رسائل الجزائرى

الأولى

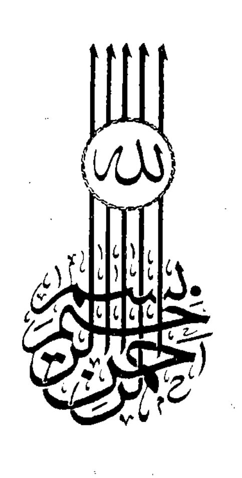
ثلاثون رسالة
في مواضيع دينية وإصلاحية مختلفة

عنى بنشرها وتصحيحها
مؤلفها

أبو بكر جابر الجزائرى
الواعظ بالمسجد النبوى الشريف
بالمدنية المنورة



دمنهور ت ٠٤٥/٣٢٨١٩٩


بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل الجزائري
الأولى

Abu Baker Jaber Al Jazaery
Profit Mohd. Mosque's Teacher
Madina Munawarah
Tel. 8371500
P.O.Box: 871 Saudi Arabia



أبو بكر جابر الجزائري
المدرس بالمسجد النبوي الشريف
المـدينة المنـورة
هاتف ٨٣٧١٥٠٠
ص.ب ٨٧١ المملكة العربية السعودية

DATE .... التاريخ ٧/٥/١٤١٥هـ

تفويض

فوضت أنا الموقع أدناه أبو بكر جابر الجزائري المؤلف
فوضت مكتبة أضواء المنار ودار السنة للنشر والتوزيع وعملاءها
محمد تركي عبد الكريم الحوس بطباعة رسائل الجزائري الأولى
والثانية والثالثة والرابعة، وهذا تفويض مني بذلك

المفوض
أبو بكر جابر الجزائري
٧/٥/١٤١٥هـ

أبو بكر جابر الجزائري
المدرس بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الثالثة

١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م



ر.ت ١٩٩١٣٢٨/٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وسيد بنى آدم أجمعين، أما بعد : فيما أن من وسائل الدعوة إلى الله عز وجل الكتابة والنشر فقد كنت من وقت إلى آخر أنشر ما يوفقنى الله تعالى إلى كتابته ونشره من رسائل ومنشورات فى مواضيع مختلفة، وكانت توزع فى حينها وتنفد، وبما أنها رسائل صغيرة ومتعددة حتى بلغت نيفاً وعشرين رسالة لم أتمكن من إعادة طبع ونشر أكثرها .

وأخيراً وبعد أن أبدى كثير من الأخوة الصالحين رغبتهم فى طبع كل تلك الرسائل وجمعها فى مجلد واحد ليسهل على كل أخ الحصول عليها .فقد رأيت طبع تلك الرسائل وجمعها فى مجلد واحد تحقيقاً لرغبة الإخوان، ومراعاة للقصد الأول من كتابتها ونشرها والله تعالى أسأل أن ينفع بها . ويثيب عليها إنه قريب مجيب . وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

أبو بكر جابر الجزائرى

المدرس بالجامعة الإسلامية

والواعظ بالمسجد النبوى الشريف

الرسالة الأولى

لا إله إلا الله محمد رسول الله

﴿ فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شىء عليما ﴾

قرآن كريم

«أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير »

حديث شريف (البخارى)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

مقدمــة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدى الساعة ، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله لا يضر إلا نفسه ، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد :

فهل هناك مؤمن صادق لا تنفعه الذكرى؟

وهل هناك مؤمن واحد غير مسئول فى الأمة الإسلامية من غير المجانين والأطفال . ؟

وهل هناك عاقل واحدٌ يطمئن اليوم إلى حال الأمة الإسلامية أو يرضى بما هى عليه من ضعف وتفكك ودون وهون . ؟

وهل هناك مصلح مخلص يرضى بالتدهور الدينى والخلقى الذى عليه الأمة الإسلامية اليوم . ؟

وهل هناك بلد غير[1] «نجد» قد سلمت عقيدة أغلبية بنيه من الخرافات والشركيات والضلالات .

وهل يمكن أن يكون الجواب بغير لا . وفى هذه التساؤلات كلها ؟

ولهذا فإنى لم أتوان فى إصدار هذه الرسالة ونشرها بين المسلمين غير ملتفت إلى كل ما من شأنه أن يحول دون ذلك من اعتبارات ، سواء كانت فنية تتعلق بمادة الرسالة وموضوعها وأسلوبها ، أو غير فنية تتعلق بالظروف والأحوال والنفسيات أو المناسبات .

وأنا أومن بأنى قد قدمت خيراً ، وأديت واجباً . وإن الرسالة ستجد تقديراً بين كافة أهل التوحيد والإصلاح الذين لا هم لهم فى الحياة إلا أن يعبدوا الله وحده ، وينصروا دينه ويُعلوا كلمته . وأن ينتظم شأن هذه الأمة ، ويصلح حالها، وتسعد فى دنياها وأخراها .

حقق الله آمالهم ، وأكثر أمثالهم ، واحفظ اللهم بهم دينك ، وأعز بهم سلطانك إنك وليهم والقادر على نصرهم .

وصلى اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

المؤلف

أبو بكر جابر الجزائرى

---

(١) فهم كثير من إخواننا أننى بهذه العبارة أتملق النجديين لأنهم حاكمون فأبغضونى ونالوا من عرضى سامحهم الله تعالى وغفر لى ولهم . ولم يلاحظوا ما قصدته من أن نجداً هى البلاد الوحيدة التى لا يحلف أهلها بغير الله . ولا توجد فيها قبة تزار وينذر إلى صاحبها أو يذبح له ، أو عنده .

لا إله إلا الله محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

لا إله إلا الله محمد رسول الله : هى الكلمة الوحيدة التى يعصم المرء بها دينه ، وماله ، وعرضه . وهى الكلمة الوحيدة أيضا التى ترفع الإنسان من حضيض الجحيم إلى أعلى درجات النعيم . وهى التى يدخل بها المرء فى عداد المؤمنين ، ويكون أخا لكل المسلمين . وهى الكلمة التى جُعلت عنوان الإيمان وشرط الإسلام . وهى الكلمة التى يحاج [1] بها عند الله . وهى الكلمة المحببة إلى كل قلب مؤمن . وهى التى يقول فيها الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ : «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله » .

غير أن لا إله إلا الله لم تحرز هذا الفضل ، ولم تحز هذه الميزة إلا لكونها تقرر معنى الربوبية ، وتثبت معنى الألوهية ، وهما حق الله تعالى فتثبتهما له وحده ، وتنفيهما عمن سواه كائنًا من كان .

ومن هنا وجب على قائلها فهم معناها ، والعمل بمقتضاها وإلا حرم فضلها ، وعد من غير أهلها . ولو قالها ألوف المرات ، وحيى عليها ومات [2] .

---

(١) إشارة إلى قول الرسول ﷺ لعمه أبى طالب عند وفاته :« يا عم. قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» .

(٢) لا منافاة بين هذا وبين قول الرسول ﷺ : فى رواية الترمذى :« يخرج من النار كل من قال لا إله إلا الله، وكان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان» .

وقوله : « ما من عبد قال : لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» قلت يارسول الله وإن زنى وسرق . قال : « وإن زنى وسرق » .

إذ المراد من فهم معناها : أن يكون قائلها عالما بأنها تنفى وجود رب يعبد بحق إلا الله عز وجل .

وهو يقولها لذلك تعبداً وإخلاصا .

كما أن المراد من العمل بمقتضاها :

أن يعبد قائلها الله تبارك وتعالى بطاعته فى أمره ونهيه ، وأن لا يشرك فى تلك العبادة أحداً .

معنى لا إله إلا الله

معنى لا إله إلا الله الإجمالي : هو لا معبود بحق في الوجود إلا الله ؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الرب والإله معًا ، فإنه ما أُلهَ ويؤلَّه إلا لكونه رباً ؛ لأن مدلول كلمة الرب [١] فى اللغة غير الإله .

فالرب لغة : هو السيد المدبر والمصلح المتصرف ، والإله هو المعبود ، مشتق من ألهه يألهه إذا عبده .

أما الرب فى الحقيقة ، وفى غير عرف اللغة : فهو بديع السموات والأرض وقيومهما وموجد الكائنات والمتصرف فيهما . الله الذى له الخلق ، وبيده الأمر والملك ، وهو على كل شىء قدير . واسمه الذى هو علم على ذاته سبحانه وتعالى « الله » الذى أقسم سبحانه وتعالى أنه ما ذكر على شىء إلا بارك فيه [٢] **﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره. ألا له الخلق ، والأمر . تبارك الله رب العالمين﴾** .

فقد أخبر سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة أن الرب الحق الذى كل شىء مربوب له هو الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، الذى يتصرف فى الكون كيف يشاء ، فالشمس والقمر والنجوم فى قبضته وتحت تصرفه ومسخرات بأمره .

ولما كان له الخلق وحده . فالأمر إذاً له وحده تبارك الله رب العالمين .

---

(١) وقد ورد فى كلام العرب استعمال الرب بمعنى الإله الذى يعبد كقول أحدهم وقد وجد ثعلبا يبول على وثنه :

أرب يبول الثعلبان برأسه   لقد ذل من بالت عليه الثعالب

(٢) إشارة إلى ما أورده ابن كثير فى تفسيره بسند طويل عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ « لما نزل بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الريح وهاج البحر وأصغت البهائم بآذانها ورجمت الشياطين من السماء وحلف الله بعزته أنه لا يسمى اسمه على شىء إلا بارك فيه ».

وأما الإله فى الحقيقة أيضا ، وفى غير عرف اللغة : فهو المستحق للعبادة بكامل أنواعها ، وبجميع أجزائها دون من سواه ، وذلك هو الله رب العالمين ، وإله الأولين والآخرين ، الله الذى تبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره .

والآن وقبل أن أعرض بالبحث لما أحدثه مدلول كلمتى الرب ، والإله اللغوى من خلاف فى فهم مدلولهما الحقيقى أذكر أسلوب دعوة القرآن الكريم إلى معرفة الله، وإلى أنه هو الذى ينبغى أن يكون الإله لا غيره . وأسلوب القرآن فى ذلك منطقى عقلى تمامًا ، فهو يقرر أن الله ما استحق العبادة دون سواه إلا لكونه رباً ؛ لأن من لم يك ربا لا يكون إلهًا. فالربوبية تستلزم الألوهية والعكس أيضا صحيح؛ فإن الألوهية تستلزم الربوبية ، فمن كان إلهاً ينبغى أن يكون ربًا. وإلا فهو ليس بإله يستوجب الطاعة والعبادة . فقد جاءت آيات القرآن الكريم تقرر ربوبية الله أولا ، ثم تدعو إلى وجوب إلهيته [1] دون من سواه . فقوله جلت قدرته : ﴿ **إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ [2] .

وقوله تعالى ذكره : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور** ﴾ [4] .

وقوله تعالى : ﴿ **الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شىء**

---

(١) الإلهية والألوهية بمعنى واحد .

(٢) تقدمت الآية وهى فى سورة الأعراف .

(٣) الآيتان من سورة البقرة .

(٤) الآية من أول سورة الأنعام .

قدير﴾ (1) فحمده تعالى هو عبادته .

وقوله تـعالى : **﴿ يا أيـها الناس اتـقوا ربكم الـذى خلقـكم من نفـس واحدة وخلق منهـا زوجها وبث منهما رجالاً كـثيراً ونساء ﴾** (2) فالأمر بالتـقوى هو عن الأمر بعبادته وطاعته .

فهذه الآيات القرآنية الكريمة الحكيمة وأشباهها : تثبت أولاً دعوى الربوبية لله سبحانه وتعالى ، لأنه الخالق المدبر المـتصرف ، ثم تثبت له دعوى الألوهية . لأن من كان خالقا مدبراً متصرفاً . هو الذى يستحق أن يحمد ويعبد وأن يتقى ويرهب دون من سواه . فالذى خلق وملك ودبـر كيف شاء وتصرف : هو الرب الحق ، والرب الحق : هو الذى ينبغى أن يؤله فتـصرف له جميع أنواع العبادات ، وتقدم له سائر القربات والطاعات .

الآيات نوعان تنزيلية وكونية

والآيات الدالة على وجود الله عز وجل نوعان : آيات تنزيلية وآيات كونية .

فالآيات التـنزيلية : هى آيـات القرآن الكريم الذى تحـدى به الله منزلـه بلغاء العرب وفصحاءهم على الإتيان بمثله أو ببعض مثله . كالسورة الواحدة ، أو السور القليلة فعجزوا . وتحدى الإنس والجن عامة على الإتيان بمثله فعجزوا .

وقوله تعالى : **﴿ أم يقولون افتراه . قل : فأتوا بسورة مثله وادعوا من استـطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾** (3) .

وقوله تعالى : **﴿ أم يقـولون افتراه . قـل : فأتوا بعـشر سُوَرٍ مثـله مفتـريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾** (4) .

وقوله تعالى : **﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾** (5) .

فهذا الكتاب المعجز بألفاظه ومعـانيه نزل على النبى الأمى الذى ما دخل كتَّابًا

---

(1) الآية من سورة فاطر .　(2) سورة النساء .
(3) سورة يونس .　(4) سورة هود .　(5) سورة الإسراء .

قط، ولا عرف مدرسة البتة فبزَّ البلغاء وأفحم الفصحاء، وفاق الحكماء. هذا القرآن آية واضحة وبرهان ساطع، وحجة قاطعة فاصلة على أنه منزل من عند الله بحروفه ومعانيه، وأن الله هو منزله. فهو دليل قاطع، وبرهان قوى على وجود منزله، وعلى نبوة من نزل عليه، وأرسل به وهو سيدنا محمد ﷺ.

أما الآيات الكونية: فهى هذه الآيات التى يقف العقل البشرى عندها مشدوها محتاراً لا يعرف لها علة، ولا يجد لها سبباً مثل آية الشمس، والقمر، والليل، والنهار وغيرها.

وقوله تعالى: ﴿ **ومن آياته الليل والنهار، والشمس والقمر، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ **ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون** ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ **ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين** ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿ **ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعًا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾ (٤).

فهذه الآيات الكونية من سموات وما فيهن من أجرام، وهذه الأرضون وما فيهن من عجائب الكائنات تدل بوجودها العظيم، وصنعها المحكم، ونظامها المتقن على وجود بارئها وخالقها، وتدعو بلسان حالها ومقالها إلى الاعتراف بربوبيته لكل شىء وإلى الإذعان له بالطاعة والانقياد فى كل شىء، فهو الرب والإله الذى ثبتت ربوبيته، ووجبت ألوهيته، فله وحده يجب أن تسلم الوجوه، وله وحده يجب أن تتجه القلوب بالرغبة إليه، وبالرهبة منه، فهو القادر على رحمة المطيعين، وعلى عذاب الظالمين. سبحانه لا إله تتجه له القلوب، وتصرف أنواع العبادات فى الأرض ولا فى السموات إلا هو. إله الأولين والآخرين ورب جميع العالمين.

---

(١) سورة فصلت.

(٢ ـ ٤) هذه الآيات الثلاث فى سورة الروم.

الغـرض من معرفـة الله

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يدعو خـلقه إلى معرفته بما أنزل من آيات ، وما نصب من علامات . فإن الغرض من ذلك ليس هو مجرد المعرفة السطحية فقط . فإن مثل هـذه المعرفة السطحيـة قل من ينكرها . فـقد أقر بها كثير مـن أهل الملل والنحل ﴿**ولئـن سألتـهم من خـلقـهم ليـقولن الـله**﴾. ﴿**ولئن سـألتهم مـن خلق السموات والأرض ليقولـــن خلقـهن العزيز العلـيم**﴾ .

وإنما الغـرض من معرفة رب الـعالمين تأليـهه دون من سواه ، فمـن عرف ربه وجب عليه تأليهــه بالالتجاء إليه ، والتوكل عليه ، والرغبــة إليه ، والرهبة منه ، بطاعتــه وتقواه ، بحبه الـشديد وابتغاء رضاه ، بـصرف جميع أنواع الـعبادات له وحده لا شريك له دون من سواه .

دعـوة الرسـل

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم إذ يـبدأون دعوتهم إلى الله بالدعوة إلى عبادته سـبحانه وتعالى ، وترك عـبادة غيره ﴿ **ولقد أرسلـنا نوحاً إلى قومـه ، فقال ياقوم اعبـدوا الله ما لكم مـن إله غيره** ﴾ . ﴿ **ولقد بـعثنا فى كـل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتـنبوا الطاغوت** ﴾ فهم ولابـد يعرّفون الناس بـخالقهم والمسـتحق لعبادتهم ؛ لأن معرفة الله تستلزم عبادته ، ومن كان أكثر معرفة كان أشد خشية ، وأكثر إنابة (١) .

وفى هـذا المعنـى يقول الـرسول ﷺ : « إنـــى أعلمكم بالـله وأشدكـم له خشية». والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ .

فالأعمال الـصالحات والخشية الصادقـة لا تكون إلا نتيجة إيمان بـالله قوى ، ومعـرفة به حقـة ، وكلما زادت المـعرفة وقـويت ازدادت الطاعـة ، وكثر العـمل الصالح . فدعوة الـرسل هى الدعوة إلى عبادة الله ، وإفراده بالـعبادة مع الدعوة

---

(١) ولذا قال تعالـى بعد سؤال الكافرين عن ربـهم وخالقهم ، وبعد إجابـتهم بأنه الله العزيـز العليم : ﴿**فأنى تؤفكون**﴾ ؟ ﴿ **فأنى تسحرون** ﴾ ؟ والمعنى : فكيف تصرفون عن الحق بـعد معرفته . فإذا عرفتم أن ربكم الله فلم لا تعبدونه وحده ؟ أم سحرتم فأصبح يخيل إليكم الحق باطلا؟

إلى معرفة الله ؛ لأن من لم يعرف الله لا يعبده . فكانت تسبق الدعوة إلى عبادة الله الدعوة إلى معرفته سبحانه وتعالى ؛ لأنها ضرورة لازمة لها .

قال تعالى : ﴿ **ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون** ﴾ (١) .

دعوى المعرفة بدون عبادة أو مع الشرك باطلة

دعوى الشخص معرفة الله تعالى مع عدم تأليهه له بالعبادة والطاعة دعوى باطلة كما أن دعوى التأليه والعبادة مع الشرك باطلة .

فالقرآن الكريم قد أوضح هذا المعنى عن غاية الإيضاح ، فإن كثيرا من كفار العرب ومشركيهم كانوا يدّعون المعرفة فأبطل الله دعواهم ، لأنهم يألهون غيره . وأذن لرسوله بقتالهم ، ولم يعتبر مجرد دعوى المعرفة إيماناً يعصم الدم والمال قال تعالى : ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ، فأنى يؤفكون ؟** ﴾ وقال : ﴿**قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون لله قل أفلا تتقون؟**﴾ .

فهذه الآيات وأمثالها تثبت للمشركين دعوى (٢) المعرفة لكنها تستنكر عليهم عدم العمل بموجب العلم والمعرفة . فإن من عرف الله وجب عليه أن يعبده ، ومن عرف الحق وجب عليه أن يتبعه ، وإلا فلا فائدة من هذه المعرفة وهذا العلم .

ومن هنا يُعلمَ مدى غلط كثير من المتفلسفين الذين يزعمون أن معرفة الله وحدها كافية ، وألا حاجة إلى العمل مع المعرفة لله ، والإيمان به .

ومثل هذه الدعوى دعوى عبادة الله مع عبادة غيره ، فإن هذا النوع من

---

(١) سورة البقرة ، أنداداً : أى شركاء .

(٢) وأصحاب هذه الدعوى يقال فيهم : إنهم مؤمنون إيمان ربوبية كافرون كفر ألوهية . أو موحدون توحيد ربوبية مشركون شرك ألوهية والكل غير نافع . وإنما النافع توحيد الله فى ربوبيته وتوحيده فى إلوهيته . بأن يعترف بربوبيته لكل شىء وأن تصرف له جميع العبادات التى تعبد بها خلقه .

العبادة لا يُقبل . وإن الدعوى باطلة ، لأن اللـه سبحانه وتعالى قد صرح ووضح بأنه أغنى الشركاء عن الشرك فلا يقبل عملاً أشرك فيه غيره . ولم يكن عنده ذنب أعظم من الشرك أبداً حتى جعل صاحبه ضالاً بعيد الضلال وحرم عليه الجنة وحكم عليه بالخلود فى النار .

قال تعالى : ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما** ﴾ . وفى آية أخرى ﴿**فقد ضل ضلالاً بعيداً** ﴾ .

غلط كثير من الناس
فى معرفة الفرق بين الرب والإله أوقعهم فى الشرك

إن مشركى العرب الأولين الذين بعث فيهم سيد الخلق محمد ﷺ كانوا يعرفون تمام المعرفة مدلول كلمتى الرب والإله ، ويفرقون بينهما . ولذا نراهم إذا سئلوا عن موجد الكائنات ، والمتصرف فيها ، والمدبر لها وقيومها لا يتوانون فى الإجابة بأنه الله العزيز العليم وهم يعنون أن الله هو الرب سبحانه وتعالى . وإذا دعوا إلى أنه لا إله إلا الله ينكرون كما قال تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون** ﴾ وكقوله : ﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحداً إن هذا لشىء عجاب**﴾ .

وذلك لأنهم يعرفون أن معنى الإله هو المعبود الذى تصرف له جميع أنواع العبادات ، ويتقرب إليه بصنوف القربات . ولذا أنكروا دعوى لا إله إلا الله . وقالوا : أجعل الآلهة إلها واحداً ؟ وقالوا : أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ؟

والسبب الذى جعلهم يقرّون بوجود الرب ، وينكرون وجود الإله الواحد ظاهر وهو ما ألفوه من عبادة الأوثان والتقرب إليها ، فلما علموا أنه لا إله إلا الله بمعنى أن الإله الحق الذى ينبغى أن تصرف له جميع العبادات هو الله وحده لا غيره من سائر الأصنام والأوثان : كبر عليهم الاعتراف بذلك ؛ لأن اعترافهم يحتم عليهم ترك معبوداتهم والإقبال على الله بالطاعة والتقرب إليه بدل آلهتهم التى ألفوا عبادتها التقليدية الموروثة عن الآباء والأجداد ، فأنكروا دعوى لا إله إلا الله وبالغوا فى الإنكار ، لأن الإقرار بلا إله إلا الله يكلفهم عظيما : ترك

آلهتهم، وتأليه الله وحده بالطاعة والإذعان له فى كل أمر ونهى .

وأما الإقرار بربوبية الله : فإن هذا الإقرار لم يكلفهم سوى مجرد الاعتراف فكانوا بذلك موحدين توحيد ربوبية كافرين كفر ألوهية وهل نفعهم هذا النوع من التوحيد والاعتراف ؟

الجواب قطعاً : لا . فقد أذن الله لرسوله بقتالهم وأحل له دماءهم وأموالهم. فقال تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله** ﴾ والدين هو ما يدين به العبد لله من ضروب الطاعات وأصناف العبادات . فليقاتل منكرو لا إله إلا الله حتى لا يبقى شرك وتصرف جميع أنواع العبادات لله وحده لا شريك له .

أما غير العرب الأولين الذين كانوا يفرقون بين معنى الرب والإله من كثير من جهلة الأمة الإسلامية وعامتهم . فإنهم لا يفرقون بين معنى كلمتى الرب والإله ، ولذا وقع كثير منهم فى ضروب من الشرك ، وفسدت العقيدة الإسلامية ، وضعفت فيهم المعرفة بالله ، والثقة فيه ، والتوكل عليه ، وترتب على ذلك كنتيجة حتمية فساد الدين والدنيا معاً ، وبلغت الأمة الإسلامية إلى الهوة السحيقة التى ما زالت تعانى من جرائها ما تعانيه من ذل ، وخسف ، واضطهاد ، وجهل، وشقاء . فهم يفهمون أن الرب والإله واحد ولا فرق بينهما وفهمهم هذا بالنسبة لله سبحانه وتعالى فهم صحيح لأن الله جلت قدرته هو الرب والإله وما أله إلا لأنه رب قادر . وأما بالنسبة لغيره سبحانه وتعالى فغير صحيح ، فإن معنى الرب غير معنى الإله ، وجهلهم بهذا هو الذى أوقعهم فى الشرك وهم لا يدرون . فلم يعرفوا أن الإله هو المعبود ،وأن المعبود هو من صرفت له أنواع العبادات أو بعضها،ولو عرفوا هذا ما كانوا ينذرون لغير الله ، ويذبحون لغير الله ، ويخافون غير الله،ويلجأون لغير الله ، ويصرفون كثيرًا من أنواع العبادات التى هى حق الله وحده دون من سواه ، ويزعمون أنهم موحدون غير مشركين ، وإذا وصفت أحدهم بالشرك ، أو نسبت عمله إلى الشرك أرغى وأزبد ، وأوعد وهدد، ورماك بما ليس فيك، وشنع عليك ، ونسبك إلى تكفير المؤمنين ، وجعل المسلمين مشركين . ولم يدر هذا المسكين أن فعله هو الذى أوقعه فى الشرك وجعله فى صفوف المشركين ، وأن نكرانه للشرك وبراءته منه بالقول لا تكفيه ، فلابد من

البراءة الفعلية بأن يجعل ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر كما يقولون ، فالدعاء[1] والنذر ، والذبح ، والرغبة ، والرهبة ، والخشوع ، والتوكل ، والاستعانة ، والاستغاثة ، والالتجاء ، وهى كالصلاة ، والصوم ،والزكاة ، والحج، كلها لله فلا تصرف إلا له ، ومن صرف منها شيئا لغير الله فقد أشرك . وأما محبة الأنبياء والصحابة والصالحين ، والدعاء لهم ، والترحم والترضى عنهم فهذا حقهم يصرف لهم مع نية أن الله استحب لنا ذلك وأوجبه علينا . فنحن نقوم به إطاعة لله ، وامتثالاً لأوامره .

وإن فعلنا هذا نكون قد صرفنا ما لله لله، وما لغيره لغيره ، فلا شطط ولا غلط . أما أن نصرف أعظم أنواع العبادة وأشرفها لغير الله وندعى الإيمان والتوحيد مكابرة وجهلا فعيب كبير وغلط عظيم .

والذى أوقع هؤلاء فى الشرك هو الجهل بمعنى لا إله إلا الله ، وبمعنى الشرك، ومعنى العبادة . فإنهم يعلمون أن لا إله إلا الله تنفى عبادة غير الله ، وأن العبادة هى ما تعبدنا الله به مما أنزله فى كتابه وبينه نبيه ﷺ من أنواع العبادات وأصنافها المذكورة فى كتاب الله .

وأن الشرك هو صرف نوع منها : أى من أنواع العبادة لغير الله ، وسواء كان هذا الغير ملكًا مقربًا ، أو نبيًا مرسلاً، أو وليًا صالحًا ، أو حجراً لا ينفع ولا يضر، أو شيطانًا مستطير الشر .

وعند هذا : يجب أن لا يغيب عن أذهان المصلحين أن فساد العقيدة الإسلامية فى كثير من المسلمين عائد إلى الدسائس التى دسها للأمة أعداء الإسلام، وإلى الشراك التى نصبها أدعياء المسلمين ، لعلمهم أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن ينهار بناؤها ، أو تنكس أعلامها إلا إذا انهارت عقيدتها وضعفت رابطتها بربها . فكثير من الطرق ما نصبها إلا أعداء الإسلام ، وكثير من المذاهب ما وضعها إلا أهل الإلحاد . وقانا الله شرهم وبصرنا بخدعهم حتى نلعنهم ونتبرأ منهم لتسلم عقيدتنا ، وتقوى صلتنا بربنا آمين .

---

(١) هذا تعرض لكثير من أنواع العبادة وبقى كثير لم يذكر فى كتاب الله واضح.

العبادة ومعناها

أشرت فيما سبق إلى معنى العبادة والشرك إجمالاً ، ولأهمية معرفتهما أريد أن أبين ذلك بالتفصيل ، لأن الجهل بهما كان سبب وقوع كثير من الناس فى الشرك والعياذ بالله تعالى .

قد عُرّفت العبادة بتعاريف كثيرة لكنها وإن اختلفت لفظاً فإنها اتحدت معنىً وأحسن ما عرفت به هى أنها اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة ، والباطنة.

ومعنى ذلك : أن العبادة هى طاعة الله سبحانه وتعالى باتباع جميع أوامره ، واجتناب جميع نواهيه . فإنه سبحانه وتعالى قد شرع الديانات وبين أنواع العبادات. وطلب من خلقه أن يعبدوه بما شرع لهم امتثالاً ومحبة واعترافاً بجميله وسابق نعمه . فجميع ما بينه الله سبحانه وتعالى من أنواع العبادات ، سواء كان نية واعتقاداً ، أو قولاً أو عملاً يجب أن يخص به الله وحده دون سواه، لأنه عبادة والعبادة لا تكون إلا لله . وكما أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملاً أشرك فيه غيره. فهو لا يقبل أن يعبد بما لم يشرع، فالعبادة الصالحة التى يتقرب بها إلى الله ويثاب عليها المرء ينبغى أن تكون مما شرع الله لا مما شرعت الأهواء وزينت الشياطين ، وأن تكون خالصة لله وحده [1] وأن يكون صاحبها لا يصرف غيرها من أنواع العبادة لغير الله ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**﴾ فبتوفر هذه الشروط فى العبادة تتصف بالقبول، ويبلغ بها المرء الكمال من صفاء الروح وزكاة النفس ، والإعداد لأن يكون أهلاً لكرامة الله فى دار الكرامة .

---

(١) نسبة الشرك فى العمل كنسبة الحدث للطهارة . فكما أن الحدث يفسد الطهارة فكذلك الشرك يفسد العبادة.

وقوله تعالى : ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك** ﴾ يدل على هذا المعنى دلالة واضحة .

بعض أنواع العبادة

العبادة : تشريع إلهى ، الغرض منه ابتلاء المكلفين من بنى آدم لمعرفة مقدار إيمانهم بالله وخوفهم منه ، ومحبتهم له ، ثم إعدادهم بذلك لأن يكونوا أهلاً لسعادة الدارين وكرامتهما ، وهو يختلف باختلاف الأمم ، ومن أرسل إليهم من أنبياء ومرسلين ، فقد يكون فعل شيء من الأشياء عبادة عند أمة من الأمم ، وقد يكون تركه عبادة عند أمة أخرى ــ وقد يباح الشيء لأمة، ويحظر عن أخرى لأمر تقتضيه حكمة الله العليم الحكيم ، كما هو مبين فى كتب الشريعة . والعبادة بالمعنى المشار إليه آنفا أقسام ثلاثة : نيات واعتقادات ، وأقوال ، وأفعال . فالنيات والاعتقادات من أفعال القلب ، والأقوال : من أفعال اللسان ، والأعمال : من أفعال البدن والجوارح . فالأفعال التى يقوم بها القلب : هى الإيمان بالله (١) وصفاته ، وبما أخبر به الله وبما جاء عنه وفق ما يريد ، وعلى النحو الذى يريد ، ومن أعمال القلب الخوف من الله ، والحب فى الله ، والبغض فى الله ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، والاستعاذة بجنابه ، والاستعانة به ، والاستغاثة برحمته . ومن أعمال اللسان : ذكر الله وتسبيحه ، وتنزيهه وتقديسه ، والقول لإعلاء كلمة الله ، ولنصرة الحق وأهله ولخذلان الباطل وحزبه ، وللأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بعد النطق بالشهادتين ، والإعلان عما يضمره القلب من صحة الدين ، وكمال اليقين .

ومن أعمال البدن والجوارح : الجهاد فى سبيل الله وفعل الخيرات ، وإقام

---

(١) لله سبحانه تعالى أسماء حسنى وصفات علا وصف بها نفسه فى كتابه العزيز. منها : قوله جل ذكره : **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** . **﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾** . **﴿ تبارك الذى بيده الملك﴾** **﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾** **﴿أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ﴾** . ووصفه بها نبيه (ﷺ) منها : نزوله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا ثلث الليل الآخر . ومنها : عجبه للشاب الذى ليست له صبوة . ومنها :ضحكه لرجلين يقتل أحدهما الآخر ويدخلان الجنة ، ومنها : إثبات الكلام له سبحانه وتعالى واليد وغير ذلك من صفات الحب والرضى والسخط والغضب . فهذه الصفات كلها يجب الإيمان بها وعدم التعرض لها برد أو تأويل ، أو تمثيل ، أو تعطيل . ومن فعل شيئاً من ذلك ، فقد ألحد فى أسماء الله وصفاته ــ والعياذ بالله تعالى ــ وخالف مذهب السلف الذى هو الإقرار والإمرار ، والإثبات والتنزيه .

الصلاة وإيتاء الزكاة ، وما إلى ذلك من أنواع العبادات البدنية . كالصوم ، والحج، وبر الوالدين .

فهذه الاعتقادات والأقوال ، والأفعال . كلها عبادات تعبدنا الله سبحانه وتعالى بها وهى حق له دون من سواه . فمن صرف منها شيئاً لغير الله . فقد عصاه وخالف أمره وأشرك به في عبادته . وهو يقول : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾ .

الشرك

ليس الشرك كما يعرف بعض الناس من أنه عبادة الأصنام والأوثان فقط ، وليس الشرك أيضا بأقل من الكفر ، ولا أهون من النفاق . بل الشرك أخطر من الكفر ، وأشر من النفاق . فالكفر جحود وعدم اعتراف بالله وبما جاء عن الله، والنفاق أعمال خالية من النيات الصالحة والاعتقادات الشرعية .

أما الشرك : فهو محادة الله وعدم اعتراف بملة الإسلام ، وأمة التوحيد ، قال تعالى : ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ .

ولذا وصف بأنه من أعظم أنواع الظلم ، قال تعالى : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ وحرم الله تعالى على صاحبه الجنة وجعل مقره النار . ﴿ **ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار : وما للظالمين من أنصار** ﴾ .

ولم يخف رسول الله على أمتة شيئاً أكثر مما خاف عليها الشرك فقال : «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » .

وليس الشرك هو قصد غير الله بالصلاة أو الصوم فقط ، كما يفهم كثير من الناس ، بل الشرك هو صرف أى نوع من أنواع العبادة التى هى حق لله لغير الله، فكل من توجه بقلبه لغير الله يدعوه ، أو يستعيذ به ، أو يستغيث به راجياً نفعه أو خائفا من ضره ، فقد أشرك ، ولو لم يصل لغير الله ولم يصم لسواه . والشرك كما يكون فى أصل العبادة يكون فى صفتها (١) فقد يعمل المرء عملا يريد به وجه الله ثم يعرض له ما يجعله يؤدى ذلك العمل على كيفية يقصد بها غير

---

(١) هذا هو الشرك الأصغر لأنه غالبا يقع فى صفة العمل .

وجه الله . والشرك نوعان أكبر وأصغر ، وأصغره كبائر الإثم أهون منه ؛ لأن الله يقول (١) : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه » فإذا كانت الكبيرة من الإثم تعرف بما يترتب عليها من وعيد الله فأى وعيد أكبر من ترك الله سبحانه وتعالى للعبد فمن تركه الله هلك . اللهم لا تتركنا ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد سواك طرفة عين .

هذا ويجب ألا يغيب عن الأذهان أن الشيطان ـ وهو أكبر داع إلى الشرك ـ لا يأتى الإنسان من حيث يتفطن له فيلعنه ويطرده ، وإنما يأتيه من حيث لا يتفطن للمكيدة شأن الصياد القناص عند نصب حبائله وشراك صيده ، فلم يقل الشيطان للإنسان ـ بالوسوسة ـ إن ربك فلان أو إن أمرك يملكه فلان ، ولكن يقول له : إن لفلان جاهاً عند الله ، وإنك متى قصدته وتوسلت به قضى الله حاجتك ، فينخدع الإنسان وينغر فيأتى القبر أو الضريح يتضرع ، ويبكى ويسأل من غير الله حاجته ، وقد يقضيها الله بقدر فينسب قضاءها لصاحب القبر فيشتد بذلك حبه له وخوفه منه . حتى لقد رأيناهم يتحاشون (٢) أن يحلفوا بالأولياء والصالحين كاذبين، ويحلفوا بالله كاذبين عامدين . ولقد رأيناهم يقولون : إن الله يؤخر العقوبة . أما سيده فلان وفلان فإن عقوبتهما حاضرة عاجلة ، فهم لذلك أشدهم لهم رهبة ، وأعظمهم لهم من الله محبة ورغبة .

وهناك أمور كثيرة من الشرك كبيرة وصغيرة دعا إليها إبليس اللعين وأوقع كثيراً من الأمة فيها ، منها : الذبح على القبور والأعتاب . ومنها النذور للأولياء والصالحين ، والحلف بغير الله والاستعانة بغير الله . فعلى المصلحين أن يضاعفوا جهودهم لمحاربة هذه الأدواء التى كادت تقضى على البقية الباقية من العقيدة الصحيحة فى هذه الأمة . وبالتالى على كيانها ووجودها بالمرة .

فيا أيها المصلحون عرّفوا الأمة بربها فيعرفها ، عرّفوها : أنها متى أعرضت عن ربها أعرض الله عنها ، عرفوها : أن فى صفاء العقيدة وسلامة القلب ونقاء الضمير كل سعادة وخير ، عرفوها : أن سعادتها وسيادتها لا تكمل بغير التمسك بدينها بتحليل حلاله ، وتحريم حرامه ، والقيام بواجباته وآدابه ، عرفوها : بأنها أمة لا إله إلا الله فلم ترض بسلطان غير سلطان الله ؟ ولم تحكم بغير ما أنزل الله ؟ ولم لا تعمل بمقتضى لا إله إلا الله ؟

(١) حديث قدسى رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) ينبغى أن لا يفهم من هذه العبارة أن الحلف بغير الله جائز إن كان صاحبه صادقاً فيما يحلف عليه، وإنما العبارة أوردت لتصوير حال الجاهلين فقط .

لا إله إلا الله تنفى الشريك

وتستلزم عبادة الله

إذا كان الإله هو المعبود فما معنى قول المرء لا إله إلا الله وهو يدعو مع الله غيره، وينذر لغير الله ، ويذبح لغيره ، ويرهب غير الله ، ويلجأ فى الشدائد ويفزع لغير الله ، ويحب الدنيا أكثر من حبه لله، ويعصى الله ، ويطيع غير الله ؟

إذا كانت الأفعال تناقض الأقوال. فهل يبقى للأقوال من معنى محترم غير الكذب والنفاق والتدجيل ؟

إن لا إله إلا الله تنفى جميع أنواع العبادة عن غير الله وتثبتها له وحده دون من سواه ، فينبغى لقائلها أن ينفى بالفعل ما نفاه بالقول ، وأن يثبت لله بالفعل ما أثبته له بالقول ؛ إذ العبرة ليست بمجرد الأقوال .

فالذى يعرف أنه لا إله إلا الله كيف يسوغ له أن يتخذ إلهاً غير الله ؟

والذى يعرف أن الله سبحانه وتعالى هو الإله الحق كيف يسوغ له أن لا يعبده، وأن لا يتقيه حق تقاته ؟ إن لا إله إلا الله تنفى الشريك ، وما وجه الشركة إذا لم تكن هناك عبادة ؟

وفى أى شىء يقع الشرك إذا كان قائل لا إله إلا الله لا يقوم بشىء اسمه عبادة أو طاعة ؟

فلابد لمن عرف أنه لا إله إلا الله أن يعبد الله ، وأن يعبده كما أمره أن يعبده وإلا فلا قيمة لاعترافه بأن الله هو الإله الحق وما عداه باطل فمعرفة الله تستوجب عبادته وطاعته فى كل صغير أو كبير وإلا فهذه المعرفة لا تعدو أن تكون ضرباً من الاستهزاء إن لم تكن كفراً صريحاً . وجحوداً واضحاً .

وإذا كان الشرك هو صرف العبادة التى هى حق الله وحده لغير الله . فهذا المصروف له قد أصبح قطعاً . إلهاً لمن صرف له ذلك النوع من العبادة ، وسواء

اعتقد أنه إلهه أو لم يعتقد ؟ لأن الإله هو المعبود على كل حال **﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً﴾** وقد سمى الله جلت قدرته الهوى المطاع إلهاً **﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه . أفأنت تكون عليه وكيلا ؟ ﴾** .

ذكر هذا مرتين في القرآن الكريم . وما يسمى إلهاً قد يسمى طاغوتاً ؟ لأن الإله من صرفت له العبادة والطاعة ، والطاغوت من صرف عن عبادة الله وطاعته أيا كان نوعه ، وسواء كانت العبادة له أو لغيره غير أنه يشترك في معنى الإله إن كانت العبادة له دعا إليه أو لم يدع ، اللهم إلا أن يكون غير راض بذلك. كالمسيح عليه السلام . فإنه وإن عبد وأمه من دون الله فلم يصح أن يقال فيه : إنه طاغوت ، لأنه لم يرض بعبادة الناس له ولا لأمه.

قال الله تعالى : **﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال : سبحانك . ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك [1] ، إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به : أن اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد ﴾** .

---

(١) (سورة المائدة) : في هذه الآية إثبات صفة النفس لله تعالى فيجب الإيمان بها وعدم التعرض لها برد أو تأويل، أو تمثيل ، كغيرها من صفات الباري عز وجل التي وصف بها نفسه في كتابه العزيز أو وصفه بها نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

معنى الطاغوت

ما هو الطاغوت الذى أمرنا باجتنابه ؟

قال تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله ، واجتنبوا الطاغوت**﴾ .

ما هو الطاغوت الذى أمرنا أن نكفر به ؟

قال تعالى : ﴿ **يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً** ﴾ .

الطاغوت : مأخوذ من معنى الطغيان الذى هو مجاوزة الحد .

قال تعالى : ﴿ **إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية** ﴾ .

وفيه معنى المبالغة . كالجبروت ، والملكوت ، واللاهوت .

ويطلق الطاغوت على كل ما صرف عن عبادة الله وطاعته واتباع أمره واجتناب نهيه .

فالشيطان طاغوت لصرفه الناس عن عبادة خالقهم ، وإغوائه لهم حتى عبدوا غير الله وسفكوا الدماء، وأحلوا الحرام وحرموا الحلال .

والأوثان ، والقباب ، والأشجار التى عبدت من دون الله طاغوت : لأنها صرفت عن عبادة الله تعالى بعبادة الناس لها وتأليههم إياها .

والحاكم المستبد الذى يحكم بغير ما أنزل الله تعالى طاغوت ؛ لأنه نصب نفسه منصب الإله المشرع ، وهنا يظهر معنى مجاوزة الحد فى معنى الطاغوت ، فإن الحاكم كإنسان عليه أن يتقيد بأحكام الله التى أنزلها لخلقه وبينها لهم فينفذها بكل دقة وتحرٍ ، سواء بسواء ، ولما عدل عنها وأصبح يحكم بهواه ورأيه ، منزلاً نفسه منزلة الإله المشرع لخلقه كان قد تجاوز حده المحدود له من عبد لله ينفذ أحكام الله إلى إله مشرع يحكم بما يريد ، فتجاوز حد العبودية إلى درجة الألوهية. فهو بذلك طاغوت لمجاوزته حده المحدود .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى جميع خلقه بالكفر بالطاغوت ، سواء كان إنسا ، أو جناً ، أو شجراً ، أو حجراً ، أو وهماً ، أو خيالاً ، أو هوى ، أو شهوة ، أو مالاً ، أو جاهاً ، أو وظيفة .

قال تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم**﴾ .

الزلة الكبرى

ومما تقدم يتضح مقدار الزلة الكبرى التى زلها العالم الإسلامى اليوم وقبل اليوم ومنذ قرون طويلة ، أى : من عهد ما حكم الحكام بالأهواء ، وعدلوا عن حكم السماء .

فالمسلمون عامة يعرفون أن العدل فى الأحكام ، والمساواة فى الحقوق ، والإنصاف بين الناس ، وتكافؤ الفرص، وعدم التمييز العنصرى ، وعدم اعتبار الفوارق الجنسية، وعدم اعتبار الجاه والمحسوبية، ودعوة الإصلاح العام ، والخير العام ، كل هذه المبادئ السامية قد جاء بها الإسلام ، ونزل بها القرآن ، ونفذها نبى الإسلام وخلفاء المسلمين حيناً من الدهر فسعد المجتمع الإسلامى دينًا ودنيا ، وعزّ وبزّ ، وبلغ الذروة من الكمال فى كل شيء .

ثم هم بخدعة أريب ، وبغواية مارد يعدلون جملة وتفصيلاً عن مبادئ الحكم فى الإسلام التى يمثلها القرآن الكريم ويدعو إليها رب العالمين إلى الحكم بالأهواء والشهوات ، فعمت مجتمعهم الفوضى ، وانبت حبل الوداد والوئام ، واختل نظام الأمن ، وساد الجهل ، وبيض وفرخ الفقر . ولما صحوا من سكرتهم، وانتبهوا من غفلتهم ، وأخذوا يمدون أيديهم طالبين النجاة من غرقهم ، والفوز من هلكتهم مدّ إليهم أعداء الإسلام الأيد لا لينجوهم ولكن ليوقعوهم فى القيد ـ

ولعن اللـه القيد قيد شعـرة أو حديد ـ فاستعاضـوا عن كتاب الله دستـور السماء دساتير الغرب المزيفة ، وقوانين الغرب الجـائرة الفاجرة جريا وراء الغرب ، وتعلقاً بأذيال الغـرب ، واقتداء بالغرب ، واعتقـدوا علماءَ وجهالاً أن القرآن غـير صالح للحـكم ، وأن الدين شـىء ، والدولة شىء آخـر ، ففصلـوا الدين عن الـدولة فضلوا وأضلوا وتحاكموا إلى الطاغـوت وقد أمروا أن يكفروا به ، وأراد الشيطان إضلالهم فأضلهم . وها هم أولاء فى الضلال يـعيشون ، وفى الحيرة يتخبطون ، ﴿ **وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ .

وإنها وايم اللـه لإحدى الزلات الكُبَر التى زلهـا المسلمون ، وتحمل جـريرتها الحاكمون والمحكومون .

قال تعالى : ﴿ **واتقوا فتنة لا تـصيبن الذين ظلموا منكـم خاصة، واعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾ .

كشف شبهة

يقول دعاة دساتير الغرب : إن الإسلام لم يتعرض لنوع خاص من أنواع الحكم ، فلذا للمسلمين أن يختاروا ما يناسبهم من أنواع الحكم ، ومعنى هذا : أنه لا بأس بدولة كسوريا مثلاً أن تختار دستور فرنسا . أو دولة مصر أن تختار دستور أمريكا مثلاً بحجة أنه صالح لها محقق لسعادتها . كفيل بإشاعة الأمن والرخاء بين مواطنيها .

وكشف هذه الشبهة : أن القرآن وإن لم يتعرض كما زعموا لنوع من الحكم خاص كالحكم الملكى أو الجمهورى الديمقراطى [1] أو الارستقراطى، فإنه قد ذكر أحكاماً عامة ، ووضع أسسًا ثابتة، وأنه من السهل على فقهاء الأمة الإسلامية ـ لا رجال القانون المتخرجين من الجامعات الأوروبية ـ من السهل على فقهاء المسلمين العالمين بأسرار الشريعة الإسلامية ، ومراميها السامية ، وأغراضها الإصلاحية المثالية من السهل عليهم أن يستنبطوا من تلك القواعد العامة، والأسس الثابتة ما يصلح مجتمعهم ويرقيه ، وما يجمع لهم الكمال الاجتماعى والأدبى والسياسى بأطرافه وحواشيه ، ولم يعدلوا بهم قيد أنملة عن كتاب الله وسنة رسوله ، بل يسندون كل بند من بنود الحكم إلى أصله من كتاب، أو سنة، أو إجماع ، أو قياس .

وعند ذلك لم يكن هذا الدستور صالحاً لمصر غير صالح للأردن مثلاً ، ولا صالحاً للسعودية غير صالح لليمنية مثلاً .

فالإسلام هو الإسلام ، والمسلمون هم المسلمون فى كل زمان ومكان ، وما صلح لمصر الإسلامية يصلح لكل دولة إسلامية آسيوية كانت أو إفريقية .

وجوب المعرفة بلا إله إلا الله

للعلم بلا إله إلا الله ثمرات طيبة ، ونتائج حسنة .

---

(١) الديمقراطية والارستقراطية : ألفاظ يونانية غير عربية . ومعنى الكلمة الأولى : أن يحكم الشعب نفسه بنفسه بواسطة برلمان ورئيس جمهورية ومعنى الكلمة الثانية : أن يحكم الشعب جماعة الأغنياء والأفاضل من الشعب ، أولهما معنى قريب من هذا .

فالله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه ﷺ بقوله :

﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ، والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ .

وفى ذلك إشارة إلى وجوب المعرفة ، وإلى ثمرة المعرفة المترتبة على العلم الكامل .

ويوضح هذا المعنى قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؛ «إنى أعلمكم بالله وأشدكم له خشية » (١) .

ويقرر القرآن الكريم المعنى نفسه تقريراً واضحاً إذ يقول :

﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ .

فقد قصر صفة الخشية الحقة الكاملة على صنف من عباده وهم العلماء بالله العارفون بربهم لاغير . ويشير البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه إلى وجوب العلم قبل كل شيء بقوله : باب (العلم قبل القول والعمل) . فيتقرر مما تقدم أن العمل أو القول لا يمكن أن تنتج عنهما أية نتيجة صالحة ما لم يصحبهما العلم الكامل الذى يكون سبباً فيما يثمر أنه من ثمرات طيبة ونتائج حسنة .

فلا إله إلا الله لا يمكن أن تثمر فى قلب قائلها الخشية والتقوى والكمال النفسى، والسمو الروحى إلا إذا صاحبها العلم بمعناها والمعرفة التامة لما تضمنته من نفى وإثبات ؛ لأنه لو كان الغرض منها مجرد النطق بها لا غير كما يظن السذج والبلهاء لما امتنع أحد من قولها ؛ لأنها ليست مما يجهد النفس أو يكلف المشقة، ولا مما يترتب عليه خسارة فى نفس أو مال . ولكن الممتنع عن قولها يعرف أنه إذا قالها أوجب على نفسه العمل بمقتضاها ، وذلك يتعارض قطعا مع ما يعتقده من إلهية غير الله ، وما يصرفه من عبادات ويقدمه من قربات لذلك الغير (٢) .

وأقرب مثال يوضح لنا هذا المعنى : أنا لو أتينا بأى مقارف ممن أدمنوا على

---

(١) فى الصحيحين .

(٢) التعبير بالغير كالتعبير باللالزوم . واللامسمى واللانهاية غير مستساغ عربية غير أنه شائع على ألسنة المتكلمين والكتاب .

المعاصى وقلنا له : إما أن لا تقول لا إله إلا الله وإما أن تترك هذه الجرائم فإنه لا يقولها أبداً ، كما أنا لو قلنا له : إن لا إله إلا الله تتنافى مع طاعتك لهواك ، وعبادتك لشهواتك ، إما أن تترك لا إله إلا الله ، أو تترك طاعتك لهواك ، فإنه طبعًا يبادر بترك لا إله إلا الله إلا أن يهديه الله فإنه لا مضل له .

ولذا ينبغى أن ندعو إلى معرفة لا إله إلا الله كما ندعو وأكثر مما ندعو إلى التلفظ والنطق بها . فإن قول : لا إله إلا الله مجرد رمز يرمز إلى ما ينطوى عليه الضمير من إيمان بالله ، وتعظيم له ، وهى وسيلة لا غاية ؛ فإن الغاية من لا إله إلا الله نفى الشريك بالفعل ،وإطاعة الله فى كل ما يأمر به وينهى عنه فى كتابه الذى أنزله ، وعلى لسان نبيه الذى أرسله .

فكلمة الإخلاص هذه : لا تزال طريق الوصول إلى زكاة النفس ، وطهارة الروح ما صحبها العلم بمعناها والعمل بمقتضاها.

وما دامت كذلك : فهى الذكر الذى يقول الله سبحانه وتعالى فيه : ﴿**وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**﴾ .

وهى الكلمة الله يقول فيها الرسول الأعظم ﷺ : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » .

ثمرات لا إله إلا الله

لكل غرس طيب فى تربة طيبة ثمرات طيبة ، ولا إله إلا الله إذا ثبتت جذورها فى قلب المؤمن بالله ، وبما جاء عن الله ، وسقيت بمعين المعرفة ، فإنها تثمر ــ ولا شك ــ وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .

قال تعالى : ﴿ **ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت، وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون** ﴾ .

وإن من ثمرات لا إله إلا الله : الخشية ، والخوف من الله سبحانه وتعالى . فصاحبها لا يعرف إلى المعاصى والذنوب سبيلاً ، ما دام الوازع فى نفسه يحمله

كلما ذكر الله تعالى على الابتعاد عن اقتراف الدنايا ، واجتراح السيئات.

قال تعالى : ﴿ **إن الصلاة تنـهى عن الفحشاء والمـنكر ولذكر الله أكـبر والله يعلم ما تصنعون** ﴾ .

إن ذاكر لا إله إلا الله الـعارف بمعناها : تثمـر له فى قلبه الشجـاعة . فهو لا يعرف الخوف أيًا كـان مصدره إلا من الله ، ومـن الله فقط ، فلا يـرهب موتاً ، ولا يخاف فـقراً، ولا يكترث برزايـا ، ولا يأبه بإحن . يـجاهد نفسه فـى الله ، ويحيى من أجل الله ، ويفضل الموت على الحياة حباً فى لقاء الله .

التقــوى

ومن ثمــرات العلم بلا إلــه إلا الله : التــقوى ، والتقوى مــن أوضح الأدلة على معرفــة المرء للا إله إلا الله، وتفهــمه لمعناها ؛ فإن من عــرف أن له رباً قادراً على عــذابه والانتقــام منه إن عصاه ، وعــلى رحمته وتــكريمه إن أطاعــه ، واتبع هداه: فإنــه يلزم نفسه دائــمًا بالعمل علــى طاعته واجتــناب معاصيه ، وتــلك هى التقوى المعبر عنها بامتثال الأوامر واجتناب النواهى .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى للتقــوى نتائج أكرم بها المتقين فــى الدنيا زيادة على ما أعده لهم فى دار الكرامة .

قال الله تــعالى : ﴿ **إن للمتقين عند ربــهم جنات النعيم** ﴾ . وقــال: ﴿ **إن المتقين فى ظلال وعيون . وفــواكه مما يشتهون** ﴾ . وقال: ﴿ **ياأيها الــذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم** ﴾ .

وقال: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ .

فمن نتائج التقوى النجاة من كل هلــكة ، والرزق الكافى، وتكفير السيئات، وغفران الذنوب ، وإعطــاء الفرقان ، وهو النصرة ، والغلبة عــلى أهل الباطل ، والنور الذى يبدد كــل ظلام حالك ، والبيان المفصل لكل إجــمال ، والعلم الذى ينير السبيل إلى كل خير ، وفوز وفلاح .

لا إله إلا الله لا تعرف موالاة غير أهلها

إن الذى نسى خلقه ، فتنكر لخالقه ونـاصبه العداء ، وأعلن محاربته فى غير ما خجل ولا حـياء لا يصلح لأن يكون لعـباد الله الصالحين وليـاً ؛ لأنه لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شره ، ما دام لـم يرع لخالقه حقا، ولم يحفظ لجمـيله وإحسانه عليه عهداً .

قال الـله تعـالى جـل ذكره : ﴿ **لا يتخـذ المؤمنون الـكافرين أولـياء من دون المؤمنـين ، ومن يفعل ذلك فـليس من اللـه فى شىء** ﴾ . وقـال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتـخذوا الكافرين أولـياء من دون المؤمنين ، أتريـدون أن تجعلوا الله عـليكم سلطاناً مبيناً ؟** ﴾ .

والرسول ﷺ عُرض عليه الاستـنصار بالمشركين . فأبى وقـال : «لا أستنصر بمشرك » .

لا أحسب أنه يخفـى على عاقل الوعيد الشديد فـى قوله تعالى : ﴿ **أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطاناً مبينا ؟** ﴾ .

فإنا باتخـاذنا الكافرين حلفاء وأصـدقاء قد أثبتنا للـه الحجة علينا لينـزل علينا عذابه ، ويطبق علينا عقابه ، والعقوبات عند الله أنواع .

أفلا يخشى المـؤمن إن خالف أمر مولاه فوالى غيـر أهل لا إله إلا الله ، أن يصيبه الله بعقوبة ترد سعادتـه شقاء ، وعزه هوانًا ، وشرفه ذلاً ، وحريته عبودية واسترقاقاً ، وبالتالى حياته كلها ، شقاء وجحيمًا ؟

لقد خالف أناس كـثيرون من هذه الأمة هذا النهى الـصريح فى تحريم موالاة غير المـؤمنين فما تـوانى الحق جل وعلا فـى إنزال العقـوبات الشديدة بـهم فزال سلطانهم ، واندثرت أملاكهم ، وأصبحـوا أثراً بعد عين ، وفى طيات التاريخ من هذه العبر الكثيرة والعظات العديدة .

أيها المؤمـنون : إن من استنصر بـغير أهل الإيمان خذل . وإن مـن والى غير المؤمنين ذل ، ومـن حاد الله ورسوله والمؤمنـين فليس من الله فـى شىء ، والله

منه برىء، وويل لمن الله منه برىء !!

يا أمة لا إله إلا الله لا تستبدلوا بولاية الله ورسوله والمؤمنين ولاية أعداء الله ورسوله والمؤمنين من يهود ونصارى وشيوعيين ومشركين وكافرين ممن حاربوا إسلامكم ، ونكسوا أعلامكم ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم .

إن من طلب النصر من غير الله هزم ، ومن اعتز بغير الإسلام هان .

قال الله تعالى : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** ﴾ .

يأيها المسلمون : إن عقد الأحلاف مع غير المسلمين الصادقين كبيرة وأى كبيرة، وذنب لا يغفر ، وجريمة لا تكفر . إن موالاة غير أهل لا إله إلا الله تتنافى مع عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر ، منافاة تامة ، فلا يمكن أن يجتمع فى قلب عقيدتان متضادتان : عقيدة الإيمان بالله وحب الخير ، وعقيدة الإلحاد والرغبة فى الشر .

إن الله تعالى يقول وهو خير صادق وأصدق من يقول : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ﴾ .

فهل بعد هذا البيان الإلهى من بيان ؟

وهل بعد هذا البرهان على تحريم موالاة غير أهل لا إله إلا الله من برهان ؟

اللهم اهد هذه الأمة رشدها ، وبصِّرها بعيوبها فتوالى من واليت ،وتعادى من عاديت . إنك بيديك الهداية ، وأنت ولى التوفيق .

عِبرة وعَبرة

مرت اليوم عشرون شهراً كاملة على أمة الجزائر المسلمة، وهى تعانى فى كل

لحظة من لحظات هذا الزمن الطويل أنواعاً من آلام الفتك الذريع بخيرة أبنائها . ففى كل يوم تموت المئات بمدافع الفرنسيين وقذائفهم النارية ، وفى كل يوم تدمر مئات البيوت والمنازل ، ويشرد آلاف الأطفال والنساء حيث يأوون إلى الكهوف والمغارات ليقتلهم البرد والجوع ، ولتتبعهم الطائرات النفاثة حيث تدك عليهم الصخور والجبال ليصيروا إلى ما صار إليه شيوخهم فى السجون والمعتقلات ، وشبابهم فى الملاحم والمعتركات ، حيث تطايروا أشلاء وتناثروا فى العراء .

وفى صباح هذا اليوم السادس عشر ــ من شهر ذى القعدة لعام خمسة وسبعين من القرن الرابع عشر الهجرى ــ جلست أمام المذياع أكتب هذه التقريرات، وأنتظر دقات الساعة لأسمع أنباء الصباح حيث أن مجلس الأمن الدولى ــ كما يزعمون ــ قد قرر النظر فى المجزرة الجزائرية ، ولا أقول القضية الجزائرية علّه ينتصر للحق مرة فى تاريخه فيقبح لفرنسا الطاغية جريمتها ، ويأمرها بوقف قتالها وشن هجوماتها على الضعفاء الأبرياء ، وانتظرت الساعة بفارغ الصبر ، وحان الوقت فأدرت الجهاز فى لهف وشوق لألتقط الصوت، فإذا به صاعقة تنزل علىَّ، لا خبر يلقى إلىَّ ، مجلس الأمن يقرر عدم مناقشة البحث فى القضية الجزائرية بحجة أن القضية داخلية لا يحق لغير فرنسا أن يبحثها أو يتدخل فيها ، وغلبنى البكاء فكفكفت عَبرتى ، وعدت لكتابة عِبرتى .

أما عَبرتى ــ بفتح العين ــ فيهما فهى الدمعة التى احتبستها فى عينى من شدة الحزن على أولئك التعساء الذين تألب عليهم الكفر ولم ينتصر لهم الإسلام .

وأما العبرة ــ بالكسر ــ فهى هذه العظة الكبرى التى صادفت كتابتى على موالاة غير المؤمنين فساعدتنى على تقرير هذا المعنى فى الأذهان كشاهد حال. والمعنى الذى ما زلت أقرره : أنه يحرم على المؤمنين موالاة الكافرين ، ومن شك فى هذا فقد شك فى أصول الدين . وليقرأ قوله تعالى : ﴿ **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم** ﴾ .

وليعتبر بموقف مجلس الأمن الدولى من هذه القضية الإسلامية حيث أنه لم يشف غليله ، ولم يرو غلته أنهار الدماء التى سالت من أبناء الجزائر المسلمين ، ولم يشبع نهمه مئات ألوف القتلى والجرحى من أبناء الجزائر المسلمين ، وراح

يفسح لفرنسا المجال ، ويستر عنها جريمتهـا ، ويعبد لها الطريق لتتمم قضاءها على البقية الباقية من أمة الجزائر المسلمة ، ويومئذ يفرح الكفر بانتصاره على الإسلام.

والآن فإلى المسلمين أتوجه ــ والقلب يملأه الأسى والأسف ــ بالبيان التالى :

أيها المسلمون :

لقد تحالف أكثر المسلمين مع أعداء المسلمين ، على أن ينصروهم فخذلوهم ، ولم ينصروهم .

ولقد حاول المسلمون أن يجدوا العون والنـصر فى غير المسلمين فلم يجدوا ، ولقد داهـن المسلمون غـيرهم ليداهـنوهم فلم يـداهنوهم ؛ لأنهـم أقوياء، ولأن المسـلمين ضـعفاء ، ولقـد تظاهـر المسلـمون بالـرحمة لـيرحمهـم أعداؤهم فـلم يرحموهم، وأنـه لم يبق للمسلـمين إلا سبيل واحد : الاعتراف بمـا قرره الله من وجوب مـعاداة من حـاد الله ورسـوله ولـو كان أقرب قـريب ، وإعداد الـقوة ، والإيمان بالجهاد فـى الحياة من المهد إلى اللـحد، ومن البداية حتى الـنهاية ، ومن ظن أن المسلمين يعيشون غير مجاهدين فقد غلط .

ومن ظن أن اليهود والنصارى يرضون عن المسلمين فقد غلط .

قال الله تعالى : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصـارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ فلم نصانع إذاً ؟ ولم ندارِ إذاً ؟ ونحن نعلـم أنهم أعداؤنا ولا يرضون بغير إذلالنا وانحلالنا وضـعفنا وتفرقنا لـننهزم أمامهم فى كـل معركة يريدونها لـنا ، وفى كل حرب يشنونها علينا . فإلى متى يـا قوم والعبر تتكرر ونحن ساهون لاهون، وعن نداء الله وصوت الحق معرضون ؟

قال الله تـعالى : ﴿ **ياأيـها الذين آمـنوا لا تتـخذوا الكـافرين أوليـاء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبينا ؟** ﴾ .

أمة لا إله إلا الله أمة واحدة

إن أهل كلـمة الإخلاص لا تجد الـتفرقة إلـى صفوفهـم سبيلاً ، ولا يـعرف الانقسام إليهم طريقاً . فهم أمة واحدة وكلمة واحدة ، وقـوة واحـدة قـد ربطتهم

لا إله إلا الله برباط لا تنفصم عراه ، ونظمتهم فى سلك لا يدرى أين طرفاه . أمرهم جميع ، وغايتهم فى الحياة واحدة . هم سواس [1] كأسنان المشط يسعى بذمتهم أدناهم ، لا فرق بين عربيهم وعجميهم ، ولا بين أبيضهم وأسودهم ، فهم كما قال الله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ وهم كما قال رسوله : « المسلم أخو المسلم » وإنها لأخوة لا إله إلا الله أقوى عرى وأشد رابطة من أخوة النسب . أخوة النسب رابطتها مادية ، وأخوة الإسلام رابطتها روحية إلهية ، وشتان ما بين الأخوتين وشتان ما بين الرابطتين !

إن الجامعة التى جمعت أهل لا إله إلا الله لجامعة قوية لا تسمح بحال لأحد أن يتسلل منها أو يخرج عنها ، فقانونها التأديبى : أن من رغب عن طريقتها ، واتبع غير سبيلها لا تحل لأفرادها موالاته ولا مصافاته ، وتوجب عليهم محاربته ومعاداته .

فالله عز شأنه وهو رب هذه الجامعة وإلهها يقول : ﴿ **ومن يتَّبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾ ، ومحمد ﷺ وهو إمام هذه الجامعة وقائدها الأول يقول : « من بدل دينه [2] فاقتلوه » . ويقول : «لا يحل دم امرئ مسلم [3] إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

ولهذا تحتم على المصلحين أن ينعوا على الأمة الإسلامية ــ التى تنتسب إلى لا إله إلا الله ــ تفرقها وضعفها وانحلالها وانقسامها ، لأن أمة لا إله إلا الله أمة متحدة قوية . ككل غير قابل للانقسام وكوحدة لا تتجزأ ، وكقوة لا تضعف ، وسطان لا يقهر .

إن وجود هذه الدويلات فى العالم الإسلامى يتنافى تماماً مع قول الله تعالى: ﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** ﴾ .

ويتنافى أيضا مع قول الرسول ﷺ : « المسلمون سواسية كأسنان المشط يسعى بذمتهم أدناهم » .

---

(١) يقال : هم سواس وسواسية : أى متساوون .

(٢) رواه البخارى .

(٣) متفق عليه .

فعلى المسلمين أن يجعلوا بـدل الدويلات ولايات يرفرف عليها عَلَمٌ واحد هو علم لا إله إلا الله ، ويـسودها قانون واحد هو كتاب الله ، ويحـكمها فرد واحد هو خليفة اللـه ، ويحميها جيش واحد هو أهل لا إله إلا الـله ، ويجب هذا لأنه تحقيق لمعنى الوحدة الإسلامية ، ولأنه لا يمكن لراية التوحيد أن تعلو إلا به . هذا وينبغى أن لا ننسى أن هذه الدويلات ستكون أقصر عمراً، وأقل طولاً فى الحياة ؛ لأن أعداء الإسلام لها بالمرصاد . فما من شك أنه سيأتى يوم قريب أو بعيد ينقض فيه العدو المتربص على هذه الدويلات فيأتى عليها دولة دولة ، وهذه نتيجة حتمية للانقسام والضعـف والانحـلال . وفى التاريـخ كثير من العبر والعظات .

محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

محمد رسول الله ﷺ

هذه الكلمة لا تقل عظمة وجلالاً عن كلمة لا إله إلا الله فهى شطر الإيمان ، ومفتاح الإسلام ، وعنوان الفوز ورمز السعادة .

وشهادة « لا إله إلا الله » لا تقبل من صاحبها ما لم تقرن بشهادة «أن محمداً رسول الله » .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وسلم .

وكما أن قائل لا إله إلا الله لا يثبت له الكمال ، ولا يكون محترمًا إلا إذا فهم معناها وعمل بمقتضاها فنفى ما نفته بالقول والفعل . وأثبت ما أثبتته بالقول والفعل . فكذلك قائل : إن محمداً رسول الله لا يفوز ولا يحترم إلا إذا عرف معناها وعمل بمقتضاها فأثبت للرسول شرف الرسالة ، وفضل الإرسال ، والتزم طاعته ، وأخذ على نفسه أن يسلك طريقته ، ويناصر أمته، وأن يحيى ويموت على ملته وسنته .

معنى محمد رسول الله

معنى محمد رسول الله الإجمالى : أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى العربى : رسول الله إلى الناس كافة يبلغهم عن الله دينه الذى ارتضاه لهم ، ويبين لهم شرعه الذى شرعه لهم . فمحمد عبد الله يعبده ويؤمن به ، ورسوله يطيعه ويبلغ عنه ما شاء من الشرائع والأحكام مما يوحيه إليه وينبئه به . وعلى المؤمن بالله المطيع له أن يؤمن برسالة محمد ويطيعه ؛ فإن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله ، وكل احترام وإجلال وتقدير للرسول فهو احترام وإجلال وتقدير لمن أرسله .

وإذا كان الله يعرف بالتدبر فى آياته الكونية منها والتنزيلية . فمحمد ﷺ يعرف بما أوتى من معجزات وخوارق عظيمات ، وأكبر معجزة له عليه الصلاة والسلام القرآن الكريم الذى تعهده الله بحفظة ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له**

لحافظون ﴾ فهو معجزة محمد الخالدة التى تثبت رسالته ، وتصدق نبوته، وما سواها من الخوارق والمعجزات . فقد أعطى مثلها الأنبياء والمرسلون من قبله ، بيد أنه كان ﷺ أوفرهم منها حظاً ، وأكثرهم نصيباً ، كما أنه أعظمهم شأنا، وأرفعهم قدراً، وأعلاهم منزلة ، وأسماهم مكانة ، وأعمهم رسالة ، فهو إمامهم وخطيبهم،و سيدهم وشفيعهم ، أمته سيدة الأمم ، ودينه أكمل الأديان . وله ﷺ من المزايا والخصال ما يفوق بها كل البشر ، فمحمد بشر ــ وهو فوق كل البشر ــ ولكنه ليس بإله فيعبد بل هو عبد الله ورسوله يطاع ويتبع ، ويعظم ويحترم . صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

معنى الإيمان بمحمد رسول الله

معنى الإيمان بمحمد رسول الله ﷺ : التصديق بنبوته ، والشهادة برسالته ، ونشر دعوته ، ونصر سنته ، والعمل بشريعته ، وتحقيق طاعته بامتثال أوامره ، واجتناب زواجره .

فليس من الإيمان بمحمد ﷺ الشك فى رسالته ، والإعراض عن دعوته ، والتأخر عن نصرة شريعته وسنته . كما أنه ليس من الإيمان بمحمد أن يصدق فى شيء ، ويكذب فى آخر بدعوى أن الأول معقول ، والثانى غير معقول ، أو أن الأول أثبته العلم الحديث والبحث الطبى والعلم النفسى ، وأن الثانى يتنافى مع هذه المقاييس المادية ، ولا أقول العلمية كما يقولون .

وليس الإيمان بمحمد مخالفة أمره ، والخروج عن أهل ملته ، واتباع غير سنته .

وليس من الإيمان به استساغة مخالفة آدابه ، والتخلق بغير أخلاقه ، فإنه المثل الكامل لكل الآداب ، والمصدر الكبير للفضائل فى كل باب . وإنا لفى غنى عن الإشادة بآدابه ، والتغنى بأخلاقه بعد شهادة الله مؤدبه على عظيم خُلقِه قال تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ .

حيث يقول ﷺ : « أدّبنى ربى فأحسن تأديبى » . وسئلت أم عبد الله عائشة رضى الله عنها عن خلقه فقالت : كان خلقه القرآن .

وما أعظم دعوة [1] القرآن إلى الأخلاق الفاضلة : وما أجل دعوة القرآن إلى الآداب السامية ؟ !

القرآن وهو مدرسة محمد التى تخرج منها ، والمبادئ العالية التى تشبع بها ، ففاضت عن كل ذاته فهو مثال كامل فى كل حركاته وسكناته ، فى تذكيره وتدبيره، فى نطقه وصمته ، فى سياسته وقيادته أيام حربه وسلمه . أبعد كل هذا ويذهب المسلمون المارقون يتلمسون الحكمة ، وينشدون الفضائل ، ويتعلمون أساليب الحكم ، وطرق القيادة فى مدارس أوربا الإلحادية ، وجامعاتها التى جمعت كل شىء إلا الإيمان والفضائل ؟ حال غريب ، وأمر عجيب ، وتصرفات مضحكات مبكيات !

إن الإيمان بمحمد يا مسلمون : لا يكمل إلا بالاهتداء بهديه ، والاقتداء بآثاره، والاستنارة بمناره مع طاعة كاملة تتجلى فى إخضاع الهوى لما جاء به من وحى السماء «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » وحب له يفوق كل حب حتى يربو على حب النفس والمال والولد والوالد «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » [2] .

القدوة به من الإيمان بـه ﷺ

للإيمان بمحمد ﷺ مظاهر عديدة يتجلى فيها الإيمان به ﷺ .

ومن أعظم هذه المظاهر وأجلها : القدوة ، قال الله تعالى : ﴿ **لقد كان** [3] **لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، ومن يتولّ فإن الله هو الغنى الحميد** ﴾ ، فالاقتداء به ﷺ فى كل شىء حتى فى صفة الأفعال المباحة كالأكل ، والشرب ، واللباس أمر يحتمه الإيمان برسالته ، والتصديق بنبوته ، فمن آمن أن محمداً هو مصدر السعادة البشرية وأنه رائد خير الإنسانية ، وأنه حاز

---

(١) من ذلك قوله تعالى : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم** ﴾ . وقوله : ﴿**ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا** ﴾. وقوله : ﴿ **وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه** ﴾ . وقوله : ﴿ **ولولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً** ﴾. وقوله : ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب ، ولا يغتب بعضكم بعضا** ﴾ . وقوله: ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ .

(٢) فى الصحيح . (٣) سورة الممتحنة .

الفضائل كلها فأصبح منبعها ومصدرها، وأنه المعصوم الذى لا يقر على باطل، ولا ينطق عن هوى . قال الله تعالى : ﴿**وما ينطق (١) عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى**﴾ .

فمن آمن بكل هذا كيف يبيح لنفسه التخلف عن ركبه ، والسير فى غير مساره ، والاهتداء بغير مناره ؟

اللهم إلا إذا كان مزعزع الإيمان ، ضعيف العقيدة ، مريض القلب ، فاسد النية ، خبيث الطوية .

ولذا كان من مظاهر الإيمان به ﷺ الاقتداء به ، والاقتداء به فى كل شىء فى أخلاقه ، وآدابه ، فى صبره وجلده ، فى دعوته وجهاده ، فى إيمانه بربه وتوكله عليه ، فى محبته لأمته والحدب (٢) عليها ، فى جوده (٣) وكرمه، فى عفوه وإحسانه ، فى عدله وقضائه ، فى لين جانبه للمؤمنين ، ورحمته بالفقراء والمساكين ، فى غضبه (٤) للحق وانتصاره لأهله ، وفى قمعه للباطل وأهله . هذه بعض النواحى التى يكون الاقتداء به ﷺ فيها من الإيمان به، وغيرها كثير، وهى تندرج كلها تحت هذه اللفظة السامية ، والعبارة الإلهية الغالية: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ فكل ما جاء به ﷺ أمته ، ودعاها إليه من تشريعات سماوية ، وأخلاق فاضلة نبوية ، على المؤمن به أن يتقبله بصدر رحب ، وقلب ساكن ، ونفس مطمئنة ، فيفعل كل ما هو فى طوقه وفى استطاعته وما لم يكن كذلك . فإن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ ونبيه أيضا يقول : «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » .

فكل ما نهى عنه ﷺ أمته يجب تركه كله ، لأن فى الترك راحة ، وفى اجتناب الشر سلامة . ففعل ما أمر به ﷺ واجتناب ما نهى عنه : هو عين الاقتداء به، فلم يكن رسول الله يأمر بالشىء ولا يفعله ، ولا ينهى عنه الشىء

---

(١) سورة النجم .

(٢) حدب عليه : تعطف ، والحدب مصدر حدب .

(٣) كان ﷺ جوادا وكان أجود ما يكون فى رمضان حتى شبه بالريح المرسلة . ولقد سئل لله غير ما مرة ثوبه الذى عليه فقام يدخل البيت ينزعه ويعطيه لمن سأله منه . وهذا نهاية الجود والبر .

(٤) روى أن قرشية سرقت سرقة فجاء بعض الصحابة يشفع لها عنده ﷺ فى إسقاط الحد عليها ، فغضب لذلك، وقال : «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » . فى الصحيح .

ويرتكبه حاشاه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه القدوة الحسنة ، والمثال المحتذى . وكيف وهو رسول الله ، والمبلغ عن الله ، والمؤيد بالله . صلى الله عليه وآله وجميع من اقتدى به واهتدى بهداه ؟

محبته ﷺ من الإيمان به

للمحبة فى النفوس أسباب تجلبها أهمها : إحسان المحبوب ، وما يكون عليه من الكمالات الذاتية ، والفضائل النفسية والخلقية . وإذا نظرنا إلى المحبوب ﷺ وجدناه قد توافرت فيه الأسباب التى تقتضى محبته من جميع الناس فهو أولاً مصدر رحمة وخير وإحسان لكل العالمين ، قال تعالى : ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ .

فبرسالته ودعوته حصل ما نشاهده الآن من خيرات وبركات ، ومدنية وحضارات. فإنه ـ إن أنصفنا ـ لا يوجد شيء اسمه صلاح أو إصلاح ، أو تقدم أو رقى فى هذا العالم إلا وهو حسنة من حسناته ﷺ ؛ فإن غيوم الجهالات، وسحب الضلالات التى كانت مخيمة على العالم حاجبة عنه كل تفكير صالح ، وإنتاج مثمر لم تكن لتزول إلا بشهابه الثاقب ، ونور رسالته الساطع. فما أن بُعث محمد ﷺ وانتشرت دعوته فى الآفاق تطارد جحافل الشرك والأباطيل ، والأوهام والخرافات حتى تفتقت الأذهان ، وتفتحت مغاليق الأفكار ، وانطلق العالم فى فضاء الحرية ، وأكناف العدالة الإسلامية ، وفى ضوء الرسالة المحمدية وتعاليمها السماوية انطلق يبنى ويشيد ، ويخترع ويجيد إلى أن بلغ درجة من الكمال المادى ما كان يحلم من قبل أنه بالغها ، فسخر كل شيء وانتفع بكل شيء فى الحياة ، ولولا الشرور الكامنة فى النفوس ، ولولا كفران فطر عليه الناس لعاش العالم بفضل الله ثم بما فتح على الناس من كنوز الدنيا وخيراتها أحسن عيشة وأرقاها ، وأهناها وأمراها ، ولكن قالوا : ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم !

وثانيا : فهو ﷺ قد جمع الله له من الكمالات النفسية والجسمية ما لم يجتمع لبشر قط ، فهو يُحَبُّ لكل ذلك ويُحبُّ لأن الله تعالى أوجب حبه وجعله من كمال الإيمان ، فقد أخبر عليه الصلاة والسلام أنه لا يؤمن المؤمن ولا يبلغ كمال الإيمان والغاية المطلوبة منه حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما (١) .

---

(١) أخرج البخارى عن أنس قال : قال رسول الله : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » .

ويتقرر مما تقدم أن حبه عليه الصلاة والسلام واجب بالشرع والعقل فمن أحبه وأخلص لله فى محبته فهو مؤمن به مصدق برسالته ، مقتنع بكمالاته التى أوجبت حبه ، وفرضت موالاته . ومن كان بعكس ذلك ــ والعياذ بالله تعالى ــ فهو ممن غضب الله عليهم وأصمهم وأعمى أبصارهم ، فأبعدهم عن رحمته ، وصرفهم عن سماع آياته ، وحجب بصائرهم عن رؤية الحق والكمال ، ومعرفة الحسن والجمال .

معنى محبته ﷺ

للحب مظاهر شتى يتجلى فيها حب المحب واضحاً جلياً ، ومن أعظم هذه المظاهر طاعة المحبوب ، والنزول عند رغبته ورضاه ، واجتناب ما يسىء إليه ، أو يكرهه ويأباه ، ولذا إنه لما ادعى أناس محبة الله طلب الله منهم برهان ذلك بطاعته فى اتباع نبيه محمد ﷺ قال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ وتظاهر فريق آخر بمحبة الله وهم يجاهرونه بالمعاصى ويحادونه بالمخالفات فقال مؤدبهم :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

فطاعة المحبوب من آيات صدق المحب وإخلاصه . وعصيانه من علامات كذب المحب وخداعه ، فمن ادعى محبة محمد ﷺ يجب أن يبرهن على ذلك بالأفعال لا بالأقوال بنشر دعوته ، ونصر سنته ، والانتصار لأهل ملته ، والسير وراء رغبته لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» (١) .

أما من جمح هواه ، وخالف هدى محمد وهداه . فإنه لا يكون أهلاً لشرف الانتساب إلى محمد فضلا عن أن يكون محبًا لمحمد . اللهم اجعلنا من محبيه والمهتدين بهديه وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

فدعوى المحبة لا تصدق ولا يمكن أن تتحقق إلا بطاعة المحبوب قلباً وقالباً ، ظاهراً وباطنًا مع إيثار عظيم تهون أمامه النفس ويستصغر معه المال .

(١) أخرجه الديلمى ولا بأس به .

فمعنى محبة محمد ـ كثير مدعوها ـ هى التفانى فى إحياء سنته ، والعمل على نشر دعوته ، والوقوف فى كل موطن تظهر فيه طاعته ونصرته ومحبته ، ومن هذه المواطن : أن تؤتى السنن التى سنها ، والرغائب التى رغب فيها ، وأن تترك البدع التى قبحها وحذر منها : «إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار» مع ملازمة كل حد حده الله ، والقيام بكل واجب أوجبه الله ، إلى جانب عقيدة التوحيد الخالصة التى تتمثل فى إفراد الله بكل عبادة ، والإخلاص له فى كل نية ، وعمل وطاعة .

أما أن يدعى محبة محمد أقوام وهم يناصبونه العداء صباح مساء بمخالفة سنته ، والعمل بغير شريعته ، والتخلق بغير أخلاقه ، والتأدب بغير آدابه : فادعاؤهم باطل . وهم أهل بغضته لا أهل محبته ، ولو ملأوا الأرض دعاوى والسماء شكاوى .

ويظن أقوام آخرون أن محبة محمد ﷺ هى التغنى بشمائله ، والتمدح بفضائله ، وإقامة المآدب والحفلات عند مرور ذكرى مولده ، وتاريخ هجرته ونصرته (١) ، وما علموا أن محمداً لا يفوز بمحبته إلا متبعوا سنته ، وسالكوا هديه، والصابرون على شرعه وشريعته ، والعاملون على تحقيق دعوته بأن لا يعبد إلا الله ، وأن لا يدان لأحد فى الأرض ولا فى السماء سواه .

أما إقامة الذكريات والمآدب والحفلات فلم تكن سنته ، ولا سنة راشدى (٢) أمته من بعده ، وما لم يكن كذلك . فكيف يكون مجلبة للحب ، أو مدعاة للمحبة ؟

إن للحصول على حب الرسول سبيلاً غير سبيل الحفلات والذكريات هو إحياء السنة بالعمل بها والدعوة إليها ، وإماتة البدعة باجتنابها والدعوة إلى تركها.

مخالفة الرسول سبيل الشقاء

لا شك فى أن طاعة الرسول من طاعة الله ، وأن من يطع الرسول فقد أطاع

---

(١) هى ذكرى بدر وهى ليلة ١٧ من رمضان المعظم فقد انتصر فيها الرسول ﷺ وأصحابه انتصاراً باهراً مكن للإسلام أن ينتشر وينتصر فيما بعد .

(٢) الخلفاء الراشدين الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

الله . كما لا شك فى أن أية مخالفة للرسول هى مخالفة الله ، وقد حذر الله سبحانه وتعالى من مخالفة أمره ﷺ ورتب على ذلك الإصابة بالفتنة ، أو بالعذاب الأليم .

فقال تعالى جل ذكره وعز شأنه : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة** [١] **، أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ [٢] .

وقد خالف أمره ﷺ فريق من الصحابة يوم غزوة أحد ، وهم الرماة الذين نزلوا عن مراكزهم جرياً وراء المادة المرذولة فحل بهم ما توعد الله به المخالفين فنكبوا نكبة شنعاء ــ للأسف الشديد ــ وتساءلوا عن سبب النكبة ووقوع الهزيمة فيهم وهم يجاهدون فى سبيل الله ، وفى صفوف رسوله ﷺ .

فأجابهم الله تعالى بقوله : ﴿ **أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم** ﴾ [٣] . فقوله تعالى : ﴿ **قل هو من عند أنفسكم** ﴾ .

هذا هو الجواب الصحيح المطابق لسؤالهم ، إذ هو يبين لهم أن الهزيمة جاءت منهم ، وأن النكبة كانت من عندهم ، وذلك بمخالفتهم أمر النبى ﷺ وتسابقهم وراء المادة الذميمة .

والذى نستفيده من هذه القصة الواعظة : أن مخالفة الرسول كانت سبب شقاء المخالفين لأوامره ونواهيه ، الخارجين عن تعاليمه صلى الله عليه وآله وسلم .

وإذا كانت نتيجة مخالفة أوامره وتعاليمه دائما هكذا تنتهى بفتنة المخالفين ، أو عذابهم . فكيف نرجو لأمتنا الإسلامية اليوم خروجاً من فتنة ، أو نجاة من عذاب ، وهى ليست مخالفة لأوامره ﷺ فحسب ، بل هى فى واد وتعاليمه [٤]

---

(١) فسرت الفتنة بالشرك وفى الحق لو فسرت بما هو أعم لكان أولى فلقد جربنا طويلاً أن مخالفة الرسول فى كل شىء ولو فى أمره المصلى بأن يفطر بين يديه فى صلاته تسبب فتنة بمقدار المخالفة فمن خالف فى عظيم وقع فى فتنة عظيمة ومن خالف فى صغير وقع فى فتنة أصغر .

(٢) الآية من آخر سورة النور .

(٣) أى فى يوم بدر ، لأنهم قتلوا سبعين من صناديد قريش وأسروا سبعين من رجالهم .

(٤) أليست قد عطلت أمة الإسلام الأحكام الشرعية ؟ أليست قد تخاذلت وتخالفت ؟ أليست قد تركت الصلاة؟ ألم تبح السفور والفجور ؟ ألم تبح الربا والقمار ؟ ألم تبح الرشا والزنا ؟ ألم تكن قد ضيّعت الجهاد؟ .

في واد ، ولم تكن تلتقى مع هذه التعاليم النبوية إلا فى القليل النادر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . اللهم رشدك يا الله وهداك !!

مظاهر الفتنة

من يوم خالفت هذه الأمة أوامر نبيها ﷺ ، وهى لا تكاد تنجو من فتنة إلا وتقع فى أطم منها ، ولا تكاد تستريح من عذاب إلا نزل بها عذاب أشد ألما من سابقه ، ولو كان من المجدى ذكر هذه الفتن التى أصابت هذه الأمة لأشرت إلى الكثيرمنها ، وهى بقاع سود فى تاريخ هذه الأمة الأبيض اللماع قد شوهت جماله، ونقصت من عظمته وجلاله .

ومن آبرز هذه الفتن التى أصابت هذه الأمة منذ خالفت أمر نبيها : فتنة الفرقة والانقسام وما نجم عن ذلك من تنافر وتطاحن هد كيانها عشرات المرات.

ولولا الأمانة المقدسة التى تحتضنها ــ وهى دين محمد ﷺ ــ لكانت قد انقرضت هذه الأمة من الوجود كما انقرض غيرها من الأمم التى هى أكثر منها وأشد قوة وآثاراً فى الأرض .

ولكن بفضل الله ثم بشرف هذه الأمانة لم تزل هذه الأمة تتجدد قواها كلما ضعفت ، ويظهر أمرها كلما خذلت ، وستبقى كذلك إلى انقراض هذا الكون. «ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى [1] وهم ظاهرون » .

وهذا الذى تعانيه هذه الأمة من زجر ، ومد ، وارتفاع ، وانخفاض ، سببه مخالفة أمر نبيها .

فلو عادت إلى الطاعة والانقياد لصلح حالها واستقام أمرها ، وعزت وسادت، كما أنها كلما جنحت إلى المخالفة ومالت إلى المحادة لأوامر الله ورسوله فسد شأنها ، وهان أمرها ، وتخطفتها الأمم ، وتقاسمتها قوى الشر والاستعمار ، فلا تزال فى فتنة وفى عذاب إلى أن يقيض الله لها مصلحاً يصلح من فسادها، ويأخذ بزمامها إلى طاعة الله ورسوله حتى تخرج من الفتنة وتنجو من العذاب ،

---

(١) هذا بعض حديث طويل أخذت منه ما فيه الشاهد. وهو فى كتب الحديث المعتبرة فليرجع إليها من شاء.

قال الله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ [١].

وإذا صح هذا ـ وهو لا شك صحيح ـ فعلى مريدى الخير لهذه الأمة أن يسعوا دائمًا أن يرجعوا بها إلى تعاليم دينها وطاعة ربها ونبيها ، ففى رجوعها إلى ذلك خيرها وسعادتها ، وعزها وسيادتها ، لأن وعد الله حق ، ووعيده ناجز . قال الله تعالى : ﴿ **وعد** [٢] **الله الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ .

---

(١) الآية من سورة الرعد . وهى مساقة إلى أن نعم الله تزول بسبب ظلم المنعم عليهم فلما يكفرون النعم ولم يشكروا الله تعالى عليها يغير حالهم من سعادة إلى شقاء ، وقد تساق للعكس أيضا . فإن المفسدين إذا صلحوا وتابوا يغير الله حالهم من شقاء وبلاء إلى سعادة وهناء .

(٢) الآية من سورة النور .

من القدوة به نشر دعوته ﷺ

إذا كنا نعتقد أن الخير الذى جاءنا به سيدنا محمد ﷺ هو ما اشتملت عليه دعوته الإسلامية من إصلاح دينى واجتماعى كفيل بتحقيق السعادتين : الدنيوية والأخروية .

وإذا كان اعتقادنا ذلك هو الذى جعلنا نتقبل دعوته ونتلقاها بالتسليم والقبول فلم لا نعمل على نشر هذه الدعوة وتعميمها بين الناس كافة ؟

إذا اعتقدنا صلاح هذه الدعوة لكافة بنى البشر يجب أن نبلغها لهم وأن ندعوهم إليها ، وما أحوج الناس فى هذه الظروف إلى هذه الدعوة الإسلامية ، فلو بلغ اعتقادنا فى صلاحية هذه الدعوة من القوة اعتقاد صاحبها ﷺ ، لما توانينا طرفة عين فى نشرها وتعميمها بين بنى الإنسان .

هذا وإذا كانت الأسوة به ﷺ من الإيمان به ، فإن نشر دعوته من القدوة به أيضا ، فإنه قد قضى عليه الصلاة والسلام ثلاثا وعشرين سنة كاملة فى تبليغ هذه الدعوة ونشرها ، وقد لاقى فى سبيل ذلك من العنت والعذاب ما جعله المثل الكامل فى التضحية والصبر والجهاد والثبات أمام كل عدو يعترض سبيل دعوته ، أو يقف حائلاً دون نشرها وذيوعها فى الناس وهو رسول الله إليهم كافة .

فإذا كنا نحن المسلمين خلفاءه ، فى دعوته ، وأمناءه ، على رسالته فلم لا نقدر هذه الخلافة ؟ ولم لا نراعى هذه الأمانة فننشرها ونبلغها ؟ ولم لا نقتدى به فى النشر والتبليغ كما اقتدينا به فى كثير من أمور الدين غيرهما ؟

وإذا كان قد صح عزمنا على قضاء هذا الواجب ، وأداء هذه الأمانة . فإنها لا تعوزنا الأسباب التى من شأنها أن تكفل لنا تحقيق الهدف ، وبلوغ الغاية فى نشر رسالة محمد وتعميمها بين الناس أسوة به ﷺ .

أما هو عليه الصلاة والسلام : فقد استعمل كثيراً من الأسباب ، واتخذ وسائل شتى لنشر دعوته وإبلاغها كافة الناس ، فكان يطلب الاتصال بالناس فى مجتمعاتهم العامة والخاصة . كالحج والأسواق وغيرهما : وكان يرسل الكتب ويبعث الرسل مبشرين ومنذرين ، وكان إذا اعترض طريق دعوته معترض قاومه

بالسيف حتى تجد دعوته مجالاً لأن تذيع وتنتشر .

وقد سار خلفاؤه من بعده على نفس الطريق ، ونسجوا على نفس المنوال فذاعت الدعوة وانتشرت ، حتى عمت نصف سكان المعمورة ، ولما تفككت عرى الإسلام ، وخضدت شوكةُ المسلمين أخذت الدعوة الإسلامية تنكمش، ونورها يتضاءل حتى وصلت عهداً أصبح فيه لا يوجد من يحمى هذه الدعوة فضلا عمن يفكر فى نشرها وتبليغها إلى الناس، واستمرت الحال على ما هى عليه من تفكك وضعف : عدة قرون ، والدعوة الإسلامية فى تراجع ، والأمة المحمدية فى ضياع.

والآن وقد ظهرت فى العالم الإسلامى دويلات شبه قوية فكان عليها أن تجدد عهد الدعوة الإسلامية . فتعمل على نشرها وتبليغها إلى شعوب العالم ، هذه الشعوب التى هى فى أمس الحاجة إليها ؛ لأنها ملت الرأسمالية الغربية ، والشيوعية الإلحادية . وذلك لما نالها من إجحاف الرأسمالية ، وظلم الشيوعية الإلحادية . لذلك فهى فى حاجة إلى دعوة إسلامية لا شرقية ولا غربية ، بل دعوة ربانية تنقذها من وهدتها ، وتخرجها من محنتها ، وتأخذ بيدها إلى رحمة الله وسعة فضله ، وعظيم منته وإحسانه . ولكن يجب أن تنشر هذه الدعوة بطرق غير الطرق التى نشرت بها من قبل ؛ وذلك لتباين الظروف واختلاف الأحوال.

وإنى وإن كنت لا أستطيع أن أرسم لأهل الإصلاح طرقاً تمكنهم قطعاً من بلوغ الغاية فى ذلك ، فإنى أشير هنا إلى ما بدا لى من طرق أظن نجاحها ، وآمل إفادتها . والله وحده يعلم عاقبة الأمور ، وخواتيم الأعمال .

الطرق التى يمكن أن تنشر بها الدعوة الإسلامية

وأولى هذه الطرق وأجدرها بالعناية : هو تجديد الدعوة الإسلامية فى أهلها ، وبين معتنقيها بحيث تؤدى جميع الشعائر الإسلامية وتقام كل الحدود ، وتنفذ سائر الأحكام ، ويطبق النظام الإسلامى تطبيقاً كلياً بين عامة المسلمين إلى أبعد مدى ممكن حتى يُرجع بالأمة الإسلامية إلى عهد سلفها الصالح ، وأيام خلفائها الراشدين .

وثانيها : العمل باعتناء على نشر اللغة العربية ، وإشاعتها بين طبقات الأمة الإسلامية فى كل صقع من أصقاع العالم الإسلامى ، وإفهام الأمة الإسلامية أن من أعظم العبادات وأشرفها ، ومن أوجب الواجبات وأجلها : تعلم الدين . وحيث أن الدين لا يمكن تعلمه إلا بتعلم لسانه «اللغة العربية » فإنه يجب أن يتعلم العربية كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية صغيراً كان أو كبيراً ، ذكراً كان أو أنثى.

ويتذرع لبلوغ هذه الغاية بفتح المعاهد الدينية ، والمدارس العربية فى كل بلد يوجد فيه إسلام ومسلمون . ولا أحسب أن هناك عاملاً كان أقوى على تفكك عرى الأمة الإسلامية ، والحيلولة دون اتحادها ووفاقها من جهلها لدينها ولغة دينها اللغة العربية لغة القرآن الكريم .

وثالثها : العمل على إيجاد علماء ربانيين تتوفر فيهم صفات الكمال الروحى والخلق الإسلامى العالى ، والخلوص من شوائب الدنيا وأوضارها ، والانقطاع إلى الله ، والرغبة فيما عنده ، وصفات الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة كأمثال رجالات سلف هذه الأمة الذين نشروا الإسلام بأقوالهم وأفعالهم قبل سيوفهم وسلاحهم ، وتوزيع هؤلاء الربانيين على البلاد الإسلامية يدعون إلى الله ويعرِّفون الأمة بربها وبدينها وبإسلامها ومجدها وأهدافها وغاياتها فى الحياة ، بحيث لا يخلو بلد إسلامى من دعوة هؤلاء الربانيين .

هذا فى داخل العالم الإسلامى . أما فى خارجه : فالعمل على نشر الدعوة الإسلامية يكون بفتح مساجد فى كل عواصم العالم وتعميرها بأمثال أولئك الربانيين الذين سبقت صفاتهم ، والمشار إليهم بقوله تعالى : ﴿ **إنما يعمر مساجد**

الله من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، ولم يخش إلا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين [1] ﴾ .

وتزويد هؤلاء الدعاة الربانيين بالمال اللازم الذى يمكنهم من إصدار النشرات ، والصحف ، والمجلات باللغات المختلفة للتبشير بالدعوة الإسلامية ونشرها ، وإظهارها للعالم ، وبيان فضلها وصلاحها ، ولبيان حاجة العالم اليوم إليها .

ومما ينبغى ملاحظته هنا : أن انتشار الدعوة الإسلامية فى غير أهلها يتوقف إلى حد كبير على مدى صلاح الأمة الإسلامية واستقامتها ، وأخذها بأسباب الكمال والقوة ؛ فإن غير المسلمين ينظرون إلينا لا من خلال الإسلام وتعاليمه القيمة ، ولكن من خلال أفعالنا وأحوالنا الدينية ، والاجتماعية ، والسياسية .

فبقدر ما يصلح المسلمون ويعزون ، وبقدر ما يتقيدون بالإسلام وينفذون أحكامه ، ويطبقون نظمه وآدابه بقدر ما يقبل غير المسلمين على الإسلام ويعتنقونه كمبدأ لصلاح دينهم ودنياهم ؛ لأن الناس دائما يجرون وراء مصالحهم .

ورابعها : العمل على تقريب وجهات النظر بين كافة الطوائف الإسلامية بجمع علمائهم فى مؤتمر واحد ، ودعوتهم إلى كتاب الله وسنة نبيه الصحيحة ، وترك ما من شأنه تفرقة الأمة الإسلامية ، والبعد بها عن وحدتها وقوتها ، وتعاليم دينها . وأن تجمع الأمة الإسلامية بطواعية واختيار على مذهب واحد ينتقى من المذاهب الإسلامية ، وأن يكون أساس هذا المذهب قول الله والرسول لا أقوال الفقهاء ، وآراء العلماء ؛ لأن وحدة الأمة الإسلامية لا يمكن أن تتحقق إلا بجمعها على كتاب ربها وسنة نبيها ؛ لما فى كتاب الله وسنة رسوله من التأثير على الروح البشرية الشيء الذى لا يوجد فى غيرهما من المؤلفات والتصانيف البعيدة عن الاستدلال بالكتاب والسنة ، المليئة بالنظريات والقياسات التى لا تمت أحياناً إلى روح الشريعة الإسلامية السمحة بصلة أبدا .

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام : أن جمع الأمة الإسلامية فى مذهب واحد . كان فى غير هذه الظروف متعذراً إلى حد المحال لتنائى ديارها ، وتباعد أفكارها .

أما الآن : فقد أصبح من السهولة بمكان ــ والحمد لله وذلك : بفضل الله ــ ثم بالدروس الزمانية التى تلقتها الأمة الإسلامية من ضروب الفتن ، وأصناف المحن نتيجة فرقتها وانقسامها ، إلى جانب وسائل الاتصال التى صيرت

---

(١) الآية من سورة التوبة .

البلاد المتنائية المتباعدة بلاداً واحدة،من طائرات وإذاعات وغيرهما .

فقد أصبح العالم الإسلامى يمكنه أن يعلن قراراته فى ساعة واحدة ، وتبليغ سائر أفراده فى لحظة واحدة ، فبفضل الله تعالى ثم بفضل ما سخر من هذه الإمكانيات العظيمة أصبحت وحدة الأمة الإسلامية ميسورة وسهلة جداً إذا ما شاء الله ذلك ثم شاءت الأمة وعزمت عليه .

وعد الله ووعيده

وعد الله حق ، ومن أنجز من الله وعداً ؟

وعده . كقدره لا يتأخر . ووعيده واقع لا مردَّ له ولا دافع . وقد أوعد الله المخالفين فحقق وعيده ، وحل بالمسلمين المخالفين من الفتن والإحن والمحن ، والذل والعار ما حل . وغشيهم من العذاب ما غشيهم . وواعد المؤمنين الصالحين فأنجز لهم وعده فاستخلفهم فى الأرض ، ومكن لهم فيها ، فنشروا الدين وبنوا دعائم الإسلام ، وسادوا العالم ، ودوخوا الدنيا فتحاً وانتصاراً .

والآن : وقد رغب المسلمون فى تغيير حالهم من الذل والإهانة إلى العز والكرامة . فليعلموا أنه لا سبيل إلى ما يرغبون إلا بترك المخالفات التى أقعدت بهم عن الكمال مئات السنين ، والتى ترتب عليها كل ما عانوه من فتن وعذاب طوال هذه القرون العديدة .

وبالإيمان الصحيح ، والعمل الصالح اللذان هما الشرط الأساسى فى كل نجاح وتقدم مع العمل بسنن الله تعالى فى الكون ، وفى طبيعة الحياة والأخذ بأسباب القوة والمنعة . فإذا ما حققوا هذا الشرط كاملاً وافيًا بالصدق والحق ، لا بالادعاء والنطق . فإن الله سبحانه وتعالى يحقق لهم وعده فيبدل فقرهم بغنى، وذلهم بعزة ، وشقاءهم بسعادة . والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

ووعد الله حق . ومن أنجز من الله وعداً ؟ أو ليس هو الذى يقول :

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون [١] ﴾ .

---

(١) الآية من سورة النور .

من الأسوة برسول الله ، الجهاد فى سبيل الله

هل عاش رسول الله ﷺ غير مجاهد ؟

وهل خلد إلى الدعة والراحة منذ أن خوطب بقول الله تبارك وتعالى : **﴿يأيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر﴾** ؟

ألم يكن قد قضى ثلاث عشرة سنة متوالية متتابعة داعياً إلى الله إلى كلمة التوحيد والإخلاص : « لا إله إلا الله » مسفهاً أحلام قريش ، مقبحاً لهم شركهم وما يعبدون ؟

وهل كانت قريش تقابل هذه الدعوة الجريئة ، وهذا الإنكار الشنيع بالهدوء ، والوداعة ، أم كانت تقابله بالشدة والعنف ، والضرب على أيدى كل من حاول التنقيص من شرف عقيدتها وشرف آلهتها الموهوم ؟

وهل كان موقف محمد ﷺ إزاء تحرشات قريش وتعنتها وجبروتها موقف المسالم ؟ لا . لا . بل كان موقفه معها طوال الثلاث عشرة سنة التى قضاها بمكة موقف المجاهد الصابر الذى لا تخمد له دعوة ، ولا يهدأ له صوت .

لنذكر هجرة أصحابه بأمره إلى الحبشة مرتين وفى ظرفين مختلفين .

ولنذكر حصاره وبنى عمه فى شعب أبى طالب ، والحكم عليهم وعليه بالإعدام لأية بادرة تبدر منهم .

لنذكر ذهابه إلى الطائف ورجوعه دامى العقبين .

لنذكر القرار الجائر الذى صدر فى دار الندوة والذى مفاده أن يضرب محمداً جماعة قوية من فتيان قريش ضربة تقضى عليه وتوزع دمه بين القبائل والعشائر .

ولنذكر حصاره فى الغار ثلاثة أيام ولجوءه إلى طيبة لجوء الفار بدينه ودعوته من قوم أصبح عتوهم وطغيانهم لا يطاق ولا يتحمل . ولنذكر ولنذكر وهذا قليل من كثير .

وهل بعد هجرته ﷺ إلى المدينة المنورة خلد إلى الراحة ، واستعذب طعم

الدعة والسكون ؟

وهل اكتفى بنشر دعوته بين جدران المدينة ، ومن ضمتهم مهاجره من مؤمنين تقبلوا دعوته بالطواعية والاختيار ؟

وهل كان نزوله بالمدينة ، وحلوله بها غير تحول خطير فى حياة الدعوة المحمدية الحديثة ، وبداية عهد جديد لها ؛ لأن تقوى وتذيع وتنتشر ؟

ألم يكن قد غزا ﷺ ــ فى ظرف عشر سنوات ــ سبع عشرة غزوة حضرها بنفسه متحملاً تبعاتها ، من نجاح أو إخفاق ،وما تتطلبه من عدة وعتاد ، وبعث خلالها عشرات السرايا ؟

إذا ثبت كل ما ذكرنا ، وقد ثبت بالفعل كما هو بالقول . فأين إذاً أسوة المسلمين اليوم ــ ومنذ مئات السنين بنبيهم محمد ﷺ ــ الذى قضى ثلاثا وعشرين سنة جهاداً ودعوة وتبليغاً؟

فهل قام المسلمون اليوم ومنذ مئات السنين بشيء اسمه جهاد ، أو تبليغ أسوة بنبيهم فى تبليغه وجهاده ؟ أو أن الأسوة بالنبى لا تكون إلا فيما لا يكلف مشقة نفسية ، أو خسارة مالية كتناول الطعام باليمين ، وتقليم أظافر اليدين والرجلين ؟

وأبالغ فى التساؤل إلى درجة الإلحاف (1) فنقول : فيم كان جهاد محمد ﷺ ومن أجل أى شيء كان ؟

علنا نجد فى الجواب ما يبرر موقف المسلمين من وضعهم السيف ، وعدم الائتساء بنبيهم فى جهاده وتبليغه .

إن الجواب الصحيح أيها المسلمون : هو أن الجهاد كان فيمن حارب الدعوة الإسلامية وحاول خنقها والقضاء عليها ، وعلى أتباعها ومعتنقيها ، وكان من أجل الدعوة الإسلامية ونشرها فى العالمين ؛ لأنها رحمة ،ولأنها خير ويجب أن تعم !

وإذا صح هذا الجواب ــ وهو بدون شك الصحيح وفوق الصحيح ــ فكيف ساغ للمسلمين القعود عن الجهاد ، وعن التبليغ ؟؟

أَلِأَنَّ محاربى الدعوة الإسلامية كفوا عن محاربتها ، ومحاولة القضاء عليها ،

---

(1) الإلحاف : كالإلحاح ، من ألحف السائل إذا ألح .

أم لأن الدعوة الإسلامية كانت رحمة وسلاماً ، فاستحالت جحيماً وعذاباً ، فهم لا يريدون للعالمين عذاباً ولا جحيماً ؟ لا . لا . فلاذا . ولا ذاك والله .

أيها المسلمون ، إن أعداء الدعوة الإسلامية ما زالوا يحاولون خنقها والقضاء عليها وعلى أهلها ، وأن الدعوة ما زالت كما كانت رحمة وسلاماً وأمناً ورخاء، وأن العالم اليوم لفى مسيس الحاجة إليها لتنقذه من الهوة السحيقة التى تردى فيها، ولتقيه من المستقبل الرهيب الذى ينتظره من جراء ما كسبت يداه من قنابل ذرية وهيدروجونية مخربة ساحقة ماحقة .

فإن من أراد بالعالم اليوم خيراً وأحب له السعادة ، وفضل له البقاء على الفناء فليبلغه دعوة محمد ورسالة الإسلام ولينشرهما بين ساكنيه . فإن فيهما الخير والسعادة والطمأنينة والهدوء والسلام .

القـول بعـدم التكافـؤ

يقولون : إن مسلمى الوقت غير أكفـاء لخصومهم . فهل دعوى عدم التكافؤ منطقية عقلية تتفق والواقع ؟

إن الحق الذى لا غبار عليه هو أن دعوى عدم الـتكافؤ باطلة ، وأن المسلمين لا تبرأ ذمتهـم بمثلها ؛ فإن الحروب التى قـامت فى جهات عديدة من أنـحاء العالم الإسلامى ضد قوى الشر والكفر والظلم ، قد أثبتت بوضوح أن المسلمين على أى حال كانوا أكفاء لكـل من ظلمهم وحاربهم متى كان سلاحـهم الإيمان الصحيح ، والإخلاص الكامل ، وغايتهم إحدى الحسنيين : النصر المظفر ، أو الاستشهاد فى سبيل الله .

هذا وإن سلمنا بدعوى عدم التكافؤ ، فهل نسلم باستحالة وجود التكافؤ على كر الدهور ومر العصور ؟

أو أن التكـافؤ إذا انعدم حـينا يوجـد حينا آخـر ؟ وهل التكـافؤ مما يحـصل بالصدفة ، أو مما يعمل الإنسان ويسعى على تحصيله ؟

إذا كان غيرنا يصنع نفاثة الطائرات ، أو يشتريها . فلماذا نحن لا نصنع نفاثة الطائرات أو نشتريها ؟

وإذا كان غيـرنا نستجـيب لنداء داعى الـشر للاستزادة مـن الأسلحة الفـتاكة المدمـرة ؟ لماذا لا نستجيب نحـــن لنـداء الحـق قـال الله تعالى : ﴿ **وأعـدوا لهم ما استطعتـم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون بـه عدو الله وعدوكم** ﴾ . فنستزيد من القوة ، ونعد ما نستطيع من العُدد والعـتاد بمثل ما أعده خصومنا ومحاربونا أو خيراً مما يعدون ؛ وذلك لاختلاف غايتنا فى النبل والسمو ، مع غاياتهم .

فنحن إذ نتسلح إنما نتسلح لنحمـى ديننا ونصون مجدنا ونحفظ أمن العالمين ، وهم إذ يـتسلحـون إنما يتـسلحون لإشـاعة الكفـر . ولإرهاق الشـعوب وظلمـها واستعبادها .

فنحن نتسلح لنحمى الخير ، وننشر الخير بين البشر أجمعين ، وهم يتسلحون ليحموا الشر ولينشروا الفساد فى أهل الدنيا أجمعين . فشتان إذاً ما بين الغايتين ، وشتان ما بين الفريقين .

خاتمـــة

بعد هذا العرض البسيط لبعض ما تضمنته كلمة : لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، وبعد الإشارة إلى سـوء حال المسلمين اليوم أثناء ذلـك العرض وما هم يعانونـه من ضعف وتفكك نـتيجة إعراضهم عن ديـنهم وضعف إيمانهـم بربهم ، ومخالفات أوامر ربهم ونبيهم ، وعدم الإصـغاء إلى نداءات الحق المتكاثرة المتكررة لهم ليثوبوا إلى رشدهم ويتوبوا إلى ربهم فيتوب عليهم ، وينجز لهم وعده بالنصر لهم والتمكين فى الأرض .

وبـعد أن أعـربت فـى قصـد أو فى غـير قـصـد عن كـثير من المشاعـر ، والإحساسات الـتى تجيش فى صدور كثيـر من مصلحى هذه الأمة ومـريدى الخير والسعادة لها . أردت أن أختم هذه المشاعر وهذه الإحـساسات بكلمة توجيهية أبين فيها لهذه الأمة المسلـمة الضعيفة سبيل نجاتها وطريق نجاحـها وخلاصها من الشقاء والتعاسة ، والضعـف والانحلال ، وأنا أشعر بغبطة كبيرة حيـث وفقت ـ بحمد الله تعالى ـ لأن أقدم نصيحتى الواجبة علىَّ بكل صراحة وإخلاص .

فيا أيـها المسلمـون اعلموا علم يـقين أنه لا سبيـل إلى نجاتكم ونجـاحكم إلا بالفرار إلى الله ففروا إليه ، وباللجـوء إلى كتابه الكريم فالجأوا إليه ، فإن فى هذا الفرار وهذا اللجوء نجاتكم ونجاحكم وخـلاصكم وإنه هيهات هيهات أن تجدوا فى غيرهما النجاة والنجاح والخلاص . فروا إلـى ربكم حققوا له العبادة ، وأخلصوا له التـوكل والاعتمـاد ، والجأوا إلى كتـاب ربكم بتنـفيذ أحكـامه وتحليـل حلاله وتحريم حرامـه ، وبالعمـل بآدابه ، فإنـه سبيل نجـاتكم وطريـق عزكم ورفعـتكم ومجدكـم، وإلا ، فإن الشقـاء لا يفارقكـم ، والضعف والانـقسام لا يبـرح يهدّ كيانكم.

أيها المسلمون ، يا أهل القرآن عليكم بدينكم . عليكم بإسلامكم ! واضربوا

على أيدى المارقين الذين يسمون كل دعوة إلى الدين رجعية واقطعوا ألسنة الخائنين الذيـن يقدمون لـكم الكـفر والإلحاد ويسـمونه تـقدميَّة . إن فـى إسلامكم أيـها المسلمون الطاقة التى لا تنفد فحققوا الإسلام تتحقق لكم كل قوة وسعادة .

اتخذوا الإسلام مبدأً للتحريـر والعزة والكمال . فإنكم ــ والله ــ تتحررون وتعزون وتبلـغون غاية الكمال ــ والكـمال بمعناه الحق ــ لا الكـمال المزيف الذى يعرفه الإلحاديون المارقون .

أيها المسلمون يا أهلَ لا إلهَ إلا الله ! .

إنه إذا كانت دعائم قوى البشراليوم هى العلم والمال والسلاح والرجال . وقد عُرِفتم أنتـم بين البشر بأنـكم جاهلون فقـراء ضعفاء قلـيلون ، وقد رضيتـم بهذه الصفة الذميمة ، وقبلتم هذه الوصمة وصمة الجهل والفقر والضعف والقلة .

فتعالوا أيها المسلمون يا أتباع محمد ﷺ .

تعالوا هاتوا أيديكم أُرِكم مخازن العلم والمال ، والسلاح والرجال .

تعـالوا أركموهـا فى إسلامكـم ، فى مبـادئ دينكم الحـنيف ، وإسلامـكم القوى .

إن من مبادئ الإسلام العـامة والخاصة : الدعوة إلى الوحدة الشـاملة . فهو يصف المؤمنين بالأخوة الكاملة ، ويحث على توطيد دعائمها ليجعل الأمم المتباعدة أمة واحدة . فالله تعالى يقول : ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**﴾ .

ونبيه يقول : «المسلم أخو المسلم » [(١)] ، ويقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد [(٢)] بعضه بعضا » فلو حققتم هذا المبدأ كما هو مطلوب منكم فإنه يصبح عدد أفرادكم سبعمائة مليون ، أو يزيدون .

وهل يقال لكم بعد إنكم قليلون ؟ !

وإن من مبادئ الإسلام العامة والخاصة : الاستـهانة بالمخلوقين والاستخفاف بالجبارين ، والهزء بـكيد الشياطين والكافرين ، والاعتماد عـلى الله ، واستعذاب

---

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه .

العذاب فى الله وفى ذات الله .

فلو حققتم هذا المبدأ ـ كما هو مطلوب منكم فاستهنتم بكل شىء إلا ما عظم الله ـ واستخففتم بكل قوى البشر فى الحياة ، واستعذبتم طعم الموت فى سبيل الحياة فأصبحتم أنتم القنبلة الهيدروجونية التى لا تقوى الأرض ومن عليها على غضبتها ، ولا الكائنات على انفجارها .

فهل يقال لكم بعد إنه ينقصكم السلاح والعتاد ؟

وإن من مبادئ الإسلام العامة والخاصة : تحريم كنز المال ، وتحريم إضاعة المال، وتحريم احتكار المال ، وتحريم القعود عن طلب المال ، وتحريم اغتصاب المال. فلو حققتم هذا المبدأ ـ كما هو مطلوب منك ـ فانطلقتم تجمعون المال بإيجاد أسبابه وانطلقتم تطاردونه من جيوب المسرفين ، ومن خزائن الممسكين ، ومن أيدى المحتكرين ، لتحشروه حشراً وتجمعوه جمعاً فى بيت مال المسلمين لينفق على عزة المسلمين ومصالح المسلمين ، وأصبحت بيت مال المسلمين تضم جميع مال المسلمين وتقنطرت فيها القناطير وتمليرت فيها الملايير .

فهل يقال لكم بعد، إنكم فقراء ؟

وإن من مبادئ الإسلام العامة والخاصة : الدعوة إلى العلم . فقد أوجب الله تعالى تعلمه ، وفرض نبيه طلبه .

فالله تعالى يقول : ﴿ **فلولا نفر** (١) **من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ ونبيه ﷺ يقول : «طلب العلم (٢) فريضة على كل مسلم » فلو حققتم هذا المبدأ كما هو مطلوب منكم فرحتم تنشرون العلم فى ربوع بلادكم ، وبين عامة أفرادكم والمراد بالعلم : العلم الصحيح لا العلم المزيف الذى تعلمه أبناؤكم من مدارس أوربا الإلحادية فأصبحوا به معاول هدم وتخريب لمقوماتكم الروحية ، ولإصولكم الدينية . العلم المراد لكم هو ما أراده الله ورسوله ، وهو العلم الذى كان يتلقى من هذه الآيات

---

(١) الآية من سورة التوبة .

(٢) رواه البيهقى فى شعب الإيمان وابن عبد البر (صحيح) .

القرآنية النورانية التى ما هذه المدنية الحالية إلا من نور اكتشافاتها ، وبركات أسرارها .

هذه الآيات التى كانت تتلى وتتلقى بين جدران المساجد فتثمر ما لا تثمره الكليات والجامعات اليوم من إصلاح وصلاح .

هذه الآيات التى أخرجت أئمة الهدى وأعلام الإصلاح ، ودهاقنة السياسة ، وأساطين البناء والتعمير ، وقواد جيوش الأمن والرخاء والسلام فى العالم .

وهذه الآيات هى قوله تعالى : ﴿ **إنّ فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون ، إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم** [1] ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **الم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**﴾ ؟

وقوله : ﴿ **فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله ، فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيمًا**﴾ .

وقوله : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقًا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، إن الله قوى عزيز** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم** ﴾ .

---

(١) لم أرتب وضع هذه الآيات القرآنية المباركة بحسب ما تدعو إليه من إصلاح فى الدين ، أو فى الاجتماع ، أو فى السياسة ، وإنما وضعتها كما حضرتنى ساعة تبييضها . فجاءت متنوعة كما هو أسلوب القرآن الكريم والغرض منها بيان شاهد ، وضرب مثال وهذا لا يتطلب تنظيمًا فى الوضع ولا تدقيقاً فى الترتيب .

وقوله : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ .

وقوله : ﴿ قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها ﴾ .

وقوله : ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم ﴾ .

وقوله : ﴿ فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ .

وقوله : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ .

وقوله : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ .

وقوله : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ﴾ .

وقوله : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ .

وقوله : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ .

وقوله : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ .

وقوله : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .

وقوله : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ؟ ﴾ .

فمن أسرار هذه الآيات ، ومئات أمثالها : كان الإسلام يبسط فى الأرض عدله، وينشر فى الخلق رحمته ، ويرفع للحق رايته ، ويعلى للبشرىّ قيمته ، وبخدعة خادع، وحيلة ماكر ، وببغض فاجر ومس مارد تحول المسلمون عن هذا الصراط ، ورغبوا عن هذا المعين الصافى فضلوا وعموا وصموا، وراحوا

يتلــمسون الهــداية والنور فى غــير مظانــها يتلــمسونها مــن دساتير أوربــا وقوانين الفاجرين . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

أرأيتم أيّها المسلمون لو أشعتم هذا العلــم بين أبنائكم كعهد أسلافكم . أيقال لكم بعد إنكم جاهلون ؟

هذه نصيحتى إليــكم أيها المسلمون قد قدمتها وهذه سبــيل نجاحكم وفلاحكم قد بينتها .

فديــنكم دينــكم . وإسلامــكم إسلامكــم . والقرآن الــقرآن . كتاب ربــكم وقانون حياتكم ورمز مجدكم وعزكم . والله وليى ووليكم وهو حسبنا وبيده أمرنا وإليه المصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

الرسالة الثانية
الحج المبرور

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله تعالى ، وبه أستعين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وسيد جميع العالمين .

وبعد : فإلى عامة إخوانى فى الشرق والغرب أقدم هذا الكتاب ، وكلى أمل فى أن يجدوا فيه بغيتهم ، ويتحقق به غرضهم فى وجود كتاب لمناسك حجهم ، وآداب زيارة مسجد نبيهم ، يكون سليم اللفظ ، سهل العبارة ، قريب الإشارة ، قريبا من الأفهام ، مبيناً جامعاً للأحكام ، حاويًا لشتى المسائل شاملاً لكثير من الآداب والفضائل ، يغنيهم مع صغر حجمه ، وعدم الدقة فى وضعه عن الكتب المطولات ، والحواشى والموسوعات . يتناوله الطالب المبتدى ، والعالم المنتهى فيظفر كل بما يريد من معرفة حكم ، أو استخراج حكمة ، يصحبه الحاج فى حجه، أو الزائر فى زيارته فيجد فيه خير مرشد ، وأصدق دليل .

هذا وإن كان لكل كتاب ميزة فميزة كتابهم هذا هى :

١ ــ أنه جمع من كل مذهب أحسنه ، ومن كل قول أصدقه ، فكان بذلك جامعاً للأمة ومذاهبها ، قاضياً على الفرقة الدينية وأسبابها ، ممثلاً للحقيقة والصواب جامعاً لهدى السنة والكتاب .

٢ ــ قد ذكر لأغلب الأحكام أدلتها ، فقلما يذكر حكم إلا وقد قرن به دليله من الكتاب والسنة .

٣ ــ تفصيل الأحكام وبيانها حكمًا حكمًا ، ثم التعقيب عليها ببيان كيفية العمل بها ، مما لا يوجد ــ فيما أعلم ــ فى كتاب من كتب المناسك على كثرتها ، وتباين وضعها .

٤ ــ أن جميع مسائله متوخى فيها روح الإصلاح ، وثمرة العبادة زيادة على تحقيق الأحكام الفقهية وبيان أصولها .

٥ ــ محاولة الكشف عن حكم وأسرار أغلب المناسك بالقدر الذى وسع

خادمهم وفتح الله به عليه .

٦ ــ اختيار بعض الأدعــية المزكية للروح ، المقوية للشعور الــديني فى النفس ووضع كل منــها فى المقام الذى يــناسبه ، بحيــث يسهل حفظــها ومراجعتهــا عند الحاجة .

٧ ــ وضع كلمة خــاصة بالتشريع وأسراره ، ومن يحــق له أن يشرع فى أول الكتاب تساعد على فهم حقيقة العبادة وأسرار تشريعها .

فبهذا كان الكتاب خير ما يقدم لهــذه الأمة الإسلامية فى ظروفها المادية الحالية وفى عصرها المتطرف فى كل شىء ، عساهــا تجد ما يروى الظمأ ، ويكبح الجماح ويقوى دواعــى الخير والصــلاح ، وهى فى وقت أحــوج ما تكون إلــى الإصلاح والخير ، وإلى المساعدة على التغلب على الفساد والشر ، فاللهم حقق بفضلك لها ذلك ، فإن رجــاءنا فيك ، وتوكلــنا عليك ، وصل الــلهم على عبــدك ورسولك محمد وآله وصحبه وسلم .

كلمـــة !

فى التشريع ، وأسراره ، ومن يحق له أن يشرع

اعلم ـ أخى المسلم ـ أن سعادة الإنسان متوقفة تماماً على صلاح جثمانه وروحه ، وأن صلاح الجسد والروح متوقف كذلك على تشريع حكيم ذى قوانين محكمة، ووظائف دقيقة ، ووجود هذا التشريع فى صورته الكاملة يتوقف إلى أبعد حد على مدى علم وخبرة الواضع له ، فبقدر معرفة الواضع لأحوال وشئون الموضوع لهم ظاهراً وباطناً ، وفى كل ظروفهم وأطوار حياتهم يكون التشريع صالحاً مؤديًا للثمرة المرجوة منه من إصلاح روح الإنسان وجسمه اللذين توقفت سعادته الكاملة على صلاحهما. وليس من شك فى أنه لا يعرف أحوال الخلق الظاهرة والباطنة فى الحال والمآل إلا الخالق ؛ لأنه لا أعلم بالخلق من خالقهم . قال تعالى : ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ (١) . وقال تعالى جده: ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما** ﴾ (٢) فهو وحده إذاً صاحب التشريع ، ليس لغيره من حق فى وضع أى قانون للخلق لا سيما فيما يتعلق بإصلاح أرواحهم . أما وقد تكفل سبحانه وتعالى بهذا منذ أن بدأ الخليقة فقد قال : ﴿ **الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان** (٣) ﴾ وقال عز شأنه : ﴿ **فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ (٤) .

فالبيان الذى علمه ، والهدى الذى واعد بالإتيان به هما تعاليمه تعالى وتشريعاته لخلقه ، ومن المقطوع به مما دلت عليه الآية السالفة الذكر أن عدم اتباع تشريعه يفضى بالمخالف إلى عذابه وشقائه ؛ لأن التشريع الموضوع هو السبب المترتب عليه سعادة الإنسان . فإذا لم يعمل به لم يسعد قطعاً ، كما أن سبب الشقاء أيضا المترتب عليه هو ترك العمل بالتشريع الإلهى الموضوع لسعادة البشر وهنائهم .

---

(١) من سورة الملك . (٢) من سورة طه . (٣) من سورة الرحمن .

(٤) من سورة طه .

وإذا عرفت مما سبق أن التشريع لا يكون إلا لله تعالى، لأنه أعلم بالخلق ، وبما يصلح أجسامهم وأرواحهم ، ولأنه قبل كل شيء ربهم ، والرب هو المتكفل بإصلاح من يربيهم فيضع لهم من القواعد والسنن ما يحفظ حياتهم ويحقق سعادتهم . فإذا عرفت هذا فإنك تعرف مدى بطلان وفساد كل تشريع لم يأذن به الله عز وجل ، ولم يضعه لخلقه . قال تبارك وتعالى: ﴿ **شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم** [1] ﴾ وتعرف كذلك مدى فداحة الجرم الذى يرتكبه من يرغب عن تشريع الرب جل جلاله ، وعظم سلطانه إلى تشريع المخلوقين الجاهلين بحالهم ومآلهم ، ومصائر أمورهم .

هذا واعلم أن التشريع المتعلق بما يصلح الجسد فإنه يدور على تحريم ما حرم الله تعالى من المطعومات والمشروبات والمنكوحات وعلى تحريم المفاسد والمضار التى تضر بالإنسان فى نفسه ، أو ماله أو عرضه ، أو عقله ، أو دينه من الكليات الخمس التى اتفقت جميع الشرائع الإلهية على صيانتها والمحافظة عليها ، ووضعت لذلك العقوبات والجزاءات التى من شأنها أن تكفل صيانتها وسلامتها . كل ذلك قصد إسعاد البشر وتجنبهم الشقاء والخسران .

وأما التشريع المتعلق بإصلاح الروح . فإنه يدور على الوظائف والأعمال التعبدية التى شرعها الله سبحانه وتعالى وأذن بفعلها كالصلاة والصدقة والصيام والحج والعمرة وغيرها . ولما كان أمر الروح من أمر الرب جلّ وعلا قال جلت قدرته : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى** ﴾ [2] فإن الإنسان مهما أوتى من العلم سيبقى يجهل حقيقة الروح وشأنه . وإذا كان كذلك فإنه ليس له أن يعرف ما يزكو به الروح أو يطهر ولا يتدسى به ويفسد ، فلولا أن الله تبارك وتعالى شرع عبادة الصلاة مثلا ماكنا لنهتدى بالعقل إلى أن الصلاة تزكى النفس، وتقرب من الله تعالى ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى حرم الزنى ما كنا لنعرف أن الزنى تتدسى به النفس وتخبث . وفوق هذا وذاك إن مما يطهر النفس ويزكيها ، أو ما يفسدها ويدسيها من الأقوال والأعمال يرجع إلى حكمة الله تعالى التابعة لمشيئته ، وإلى سنته التى لا تتخلف فى المخلوقات ، فإنه كما أودع الماء حكمته فى إزالة أوساخ الجسم به ، وجعل ذلك سنة لا تتخلف أودع ما شرعه من أقوال

---

(1) من سورة الشورى .

(2) من سورة الإسراء .

العبادة وأفعالها حكمته التى تطهر النفس وتزيل عنها أدرانها فكما لا تتخلف سنة الله تعالى فى إزالة الماء للأوساخ عن الأجسام فإنها لا تتخلف كذلك فى إزالة العبادة التى وضعها للأدران التى على النفوس .

فقد يصبح من غير المعقول جداً أن يزيل الماء الوسخ الظاهر ، ولا تزيل العبادة الدرن الباطن ، وكلاهما موضوع للتطهير ، ومن قال بالتفرقة بينهما ، فقد حاول أن يبدل سنة الله تعالى ، والله عز وجل يقول: ﴿**فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً**﴾ (١) .

وإنما قد تؤدى العبادة أداء ناقصاً تفقد به خاصيتها فيجعلها ذلك لا تؤثر فى النفس بالتطهير والتزكية كما هو الحال لو أنها أديت أداء كاملاً ، كما أن الماء نفسه إذا لم يحسن استعماله فى غسل الأجسام فإنه لا يوثر فى تطهيرها لا سيما إذا خالطه شيء لا يتلاءم وطبيعته فإنه يفقده خاصيته بالكلية كالعبادة مثلاً إذا لابسها شرك أو رياء فإنها تفقد خاصية التطهير منها ، وتصير إثمًا يدسى النفس ويخبثها.

ومن هنا نعلم أن صلاح البشر جسمانيًا وروحانيًا متوقف على العمل بما شرع الله لهم ، وأنزل عليهم فبقدر انقيادهم لذلك التشريع وعملهم به . تعظم سعادتهم أو تقل . وأن ما وضعه الله تعالى لإصلاح النفس من أنواع العبادات لا يؤثر فى النفس بالزكاة والطهر إلا إذا نفذ كاملاً بصفته وكميته ، وبجميع متعلقاته ومستلزماته من هنا أيضا : يتبين لنا خطأ المبتدعة وضرر الابتداع فى الدين وخاصة فى العبادات . وأن البدعة وإن قصد بها صاحبها ثمرتها المرجوة منها من تطهير النفس وتزكيتها لا تحقق ذلك أبداً ؛ وأنها وإن لم تدس النفس وتدنسها ، لا تطهرها ولا تزكيها . ولم لا يكون إلا ذلك ؟ وخالق الأرواح والعالم بما يصلحها ترك عمل تلك البدعة فلم يشرعه وما لم يشرعه سبحانه وتعالى لا يكون إلا خاليا من مادة التطهير التى أودعها ما شرع من ضروب العبادة وأصنافها.

وبناء على ما تقدم . فإن البدعة فى الدين قبيحة وقبيحة جداً ، وأقبح منها المبتدع؛ فإنه أقل ما يقال فيه : إنه نازع ربه التشريع ، أو افترى على الله تعالى وأعظم الفرية ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب** (٢) ﴾ أو قال على الله

---

(١) من سورة فاطر .

(٢) من سورة الصف .

ما لم يقل ، ومن أعظم المفاسد القول على الله بغير علم ، قال تعالى: ﴿ **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** [١] ﴾ قاله عز شأنه فى سياق بيان ما حرم من أصول المفاسد . والمبتدع قائل على الله بدون علم من غير شك ، ومن نازع ربه حقه فى التشريع وافترى عليه بنسبته البدعة إلى الدين ، فلم لا يلعن على لسان سيد المرسلين ؟ « لعن الله من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا » وإذا كانت البدعة تدسى النفس وتدنسها فلم لا تسمى ضلالة ؟ وقد قال الرسول ﷺ : « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » وقال : «شر الأمور محدثاتها » وبهذا تعرف أن الزيادة فى الدين كالنقص فيه ، وأن كلاً من النقص والزيادة مخرج له عن حقيقته ، مذهب لما أودع الله تعالى فيه من طاقة الإصلاح ، ومادة التطهير ؛ وأن العمل الدينى الذى هو من جنس العبادات إذ لم يكن عليه إذن الله ولا إذن رسوله ﷺ فهو عمل باطل مردود وكيف وقد صح عنه ﷺ : قوله « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » وقوله : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وقوله: «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » .

هذا وإذا كانت العبادات الخالية من إذن الله تعالى ، أو إذن رسوله ﷺ لا تصلح الروح ولا تطهرها ، فإن الأحكام التى توضع لإصلاح الجسد إذا كانت أيضا خالية من إذن الله ورسوله لا تصلح الجسد بحال من الأحوال ، فما كان منها موضوعًا للأمن فإنه لا يحققه ، وما كان موضوعاً منها للعدل فإنه لا يحققه وما كان موضوعًا لدرء المفاسد لا يقدر على درئها، وما وضع لاقتلاع الفواحش أو للتقليل منها ، فإنه لا يزيدها إلا رسوخاً وانتشاراً ، ومن قال كيف ذلك ؟ قلنا له ما قد سبق أن قلناه وكررناه : من أنه لا يعرف أحوال الخلق وحاجاتهم وما تتطلبه حياتهم إلا خالقهم ومربيهم ، فما وضعه بالإذن أو أمر به ، فهو صالح مصلح محقق لما يرجى منه ، وما لم يكن كذلك ، فليس له ذلك أبداً لما سبق أن أشرنا إليه، وهو أن تشريع الله تعالى يحمل معه مادة الإصلاح والتطهير بخلاف تشريع غيره فإنه خلو من ذلك البتة . وبيان ذلك أن الله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، وأما غيره فليس له ذلك قط .

---

(١) البقرة .

وهذه خلاصة ما تقدم :

١ ــ التشريع من حق الله تعالى [1] وحده لأنه هو الـرب ، والرب هو الذى يضع لمن يربى من القـوانين والوظائف ما يصلحه بها ، ويربيه تـربية صالحة جسماً وروحاً ليعده بها للسعادة فى كلتا حياتيه الأولى والثانية .

٢ ــ صـلاح البشر أجـساماً وأرواحـاً متوقـف على تشـريع اللـه وحده وأن سعادتهم تابعة لصلاح أرواحهم وأجسامهم .

٣ ــ كل ما وضعه الله تـعالى من القوانين الشرعية والأعمال التـعبدية يحمل معه طـاقة الإصلاح للـجسد ، ومادة الـتطهيـر للروح كمـا يحمل المـاء مادة الرى والتنظيف .

٤ ــ تأثير العبادة فى النفس بالزكاة والطهر والإصلاح متوقف على أدائها أداء كاملاً وصحيحاً .

٥ ــ البدعة الدينية قبيحة شديدة القبح ، وأقبح منها المبتدع نفسه .

٦ ــ البدعة مهما كانت لا تزكى النفس ولا تطهرها ولا تقرب العبد من ربه ؛ بل الواقع أنها تدسى النفس وتبعد فاعلها عن ربه [2] .

٧ ــ عظم الجرم الذى ارتكبه من يستعيض بالقوانين الإلهية القوانين الوضعية وعظم الشر والـفساد والبلاء الذى جره على الأمة الـتى يحكمها بغير شـريعة الله تعالى الموضوعة للإصلاح والإسعاد .

٨ ــ الغرض من الـتشريع هو إصلاح الإنسان جـسداً وروحاً ، وإعداده لأن يكون أهلا لكرامة الله تعالى وإنعامه فى الدار الآخرة .

٩ ــ سعادة الإنسان وشـقاؤه مدارهما على النفس زكاء وتدسـية قال تعالى : **﴿قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها﴾** .

١٠ ــ صلاح النفس وزكاؤها مداره الإيمان والعـمل الصالح ، وفساد النفس وخبـثها مداره الـشرك والمعاصـى فليعـلم هذا فإنـه سر الشرع ، وروح الـدين ، والحكمة التى من أوتيها فقد أوتى الخير الكثير .

---

(١) وقد يشرع الرسول ﷺ لكن نسبة التشريع إليه ليست حقيقية بل إضافية ، لأن تشريعه ﷺ لا يخلو من إذن الله تعالى .

(٢) الابتداع المتعلق بما يصلح الجسد أهون من الابتداع فيمـا يصلح الروح ، لظهور حاجات الجسد ومتطلباته ، بخلاف حاجات الروح منها فإنها خفية بخفاء الروح .

الحج ومناسكه

من أعظم ما شرع الله تعالى لعباده لتطهير أرواحهم وتزكية نفوسهم عبادة الحج لبيته الحرام

معنى كلمتى الحج والمناسك :

الحج ــ بكسر الحاء وفتحها ــ مصدر حج المكان يحجه إذا قصده فمعنى الحج على هذا : قصد بيت الله الحرام بمكة المكرمة لأداء عبادات خاصة من طواف وسعى، وما يتبع ذلك من وقوف بعرفة ومبيت بمزدلفة . ورمى للجمرات .

والمناسك : جمع منسك . والمنسك : الموضع الذى يضع فيه النسك . والنسك : العبادة عامة ، ويطلق على أعمال الحج خاصة : لقوله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام ﴿**وأرنا مناسكنا**﴾ الآية وقوله ﴿**فإذا قضيتم مناسككم**[1]﴾ وقد يطلق النسك على الذبح تقربا ومنه قوله تعالى : ﴿**قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له**[2]﴾الآية وقوله : ﴿**ففدية من صيام أو صدقة أو نسك**[3]﴾ وقد قال الرسول ﷺ لفاطمة رضى الله تعالى عنها « قومى فاشهدى أضحيتك ، وقولى : إن صلاتى ونسكى » الحديث . ففيه بيان أن المراد بالنسك الذبح تقربا .

تاريخ الحج وبيان فرضيته على هذه الأمة

يرجع تاريخ الحج إلى عهد نبى الله إبراهيم الخليل عليه السلام فهو أول من بنى البيت على التحقيق ، وأول من طاف بها مع ولده إسماعيل عليهما السلام ، وهما اللذان سألا ربهما سبحانه وتعالى أن يريهما أعمال الحج ومناسكه قال تعالى : ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم**[4]﴾ .

---

(١) هذه الآية والتى قبلها من سورة البقرة .

(٢) من سورة الأنعام .

(٣) من سورة البقرة .

(٤) الآيات من سورة البقرة .

ومن ثم نعلم أن الله تعالى قد تعبد ذرية إسماعيل بهذه المناسك وأنها بقيت فى العرب إلى عهد الإسلام الحنيف غير أن العرب لما نسوا التوحيد وداخلهم الشرك تبع ذلك تحريف وتغيير فى أعمال هذه العبادة ، شأنهم فى ذلك شأن الأمم إذا فسدت يسر الفساد فى كل شىء منها . وقول الله تعالى : ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** ﴾ .

وقوله جلت قدرته : ﴿ **فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً** ﴾ يدل دلالة واضحة على أن هذه العبادة كانت موجودة قبل الإسلام، وذلك أن قريشا كانت تقف فى الحج موقفاً دون موقف سائر العرب الحجاج الذى يقفونه، وكانت تفيض من مكان غير الذى يفيضون منه، فلما أقر الإسلام الحج ، أمر المسلمين بالمساواة فى الموقف والإفاضة . فقال تعالى : ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** ﴾ وكانوا يجتمعون فى الحج للفخر بالأحساب وذكر شرف الآباء والأنساب فأمر الإسلام أتباعه أن يستبدلوا بذكر الآباء ذكر الله ذى الفضل والآلاء . قال تعالى : ﴿ **واذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً** [١] ﴾ كما صحح التاريخ أن النبى ﷺ فى أول أمره بالدعوة الإسلامية كان يلاقى العرب فى أسواقهم ومواسم حجهم .

أما تاريخ فريضة الحج على هذه الأمة . فالجمهور يقولون : أنه فرض فى السنة التاسعة من الهجرة حيث أمر رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق على الناس ليحج بهم أميراً للحج ، وفى السنة العاشرة حج الرسول ﷺ بالأمة حجة الوداع، فاستدل الجمهور على فرضية الحج فى هذه السنة : سنة تسع من الهجرة. وكان الصواب والله أعلم : أن الحج كان مفروضاً قبل الإسلام أى من عهد الأب الرحيم [٢] وولده إسماعيل عليهما السلام وأقره الإسلام فى الجملة ونزل فى إيجابه وتأكيد فر ضيته قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين** [٣] ﴾ ثم إن هذه الآية المصرحة بفرضية الحج وليس لدينا غيرها هى إحدى آيات سورة آل عمران التى نزلت عقب غزوة أحد مباشرة ، ومن المعروف أن غزوة أحد وقعت فى السنة

---

(١) الآيتان من سورة البقرة .

(٢) قيل أن الأب الرحيم ترجمة لإبراهيم بالسريانية .

(٣) سورة آل عمران .

الثالثة من الهجرة ، وعلى هذا يمكن القول بأن الحج فرض قبل سنة تسع ولم ينفذ إلا فيها لما كان من عجز المسلمين عن ذلك ؛ لأن مكة كانت فى تلك الفترة من الزمن خاضعة لسلطان قريش فلم يسمح للمسلمين بأداء هذه العبادة العظيمة، وقد أرادوا العمرة فعلا فصدوهم عن المسجد الحرام كما خبر تعالى بقوله : ﴿ **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام ، والهدى معكوفا أن يبلغ محله** [1] ﴾ فعجز المسلمين أسقط عنهم هذه الفريضة ، كما أن العجز مسقط لفريضة الحج عن كل مسلم ، ولما فتح الله سبحانه وتعالى على رسوله مكة سنة ثمان من الهجرة لم يتوان الرسول ﷺ فى أمر الناس بأداء فريضة الحج ، فأمر أبا بكر أن يحج بالناس فحج بهم فى السنة التاسعة المباشرة لعام الفتح تماماً .

أدلة فرضية الحج ووجوب العمرة

أما أدلة الكتاب على فرضية الحج فأظهرها آية آل عمران : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ وأما أدلة السنة على ذلك فكثيرة جداً . منها : قوله ﷺ فى جوابه لجبريل عليه السلام حين سأله عن الإسلام فقال : «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وأن تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » .

وقوله : فى حديث ابن عمر – رضى الله عنه – الذى رواه الشيخان أيضا «بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا [2] » .

وإجماع الأمة من أقوى الأدلة على ذلك ،فجحود هذه العبادة يعتبر من الكفر الصراح الذى لا يقبل الجدل بحال من الأحوال .

---

(١) الآية من سورة الفتح .　　(٢) البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

العمـــرة

وأما العـمرة وهى لغـة : الزيارة . وشرعـاً : زيارة بيت الـله الحرام للـقيام بمناسـك خاصة كالطواف والـسعى ، والحلق. وأكـبر فارق بينهـا وبين الحج : أن ميقاتها الزمـانى غير محدد ، بل هو مطلق فتصح الـعمرة فى أى وقت من أوقات السنة بخلاف الحج فإن له وقته المحدد وأشهره المعلومة .

الخلاف فى وجوب العمرة

بين أئمة الـدين خلاف فى وجوب العـمرة وعدم وجوبها ، والأكـثرون على عدم وجوبها ، بـل هى عندهم سنة من الـسنن الواجبة ، ومن أبرز أدلة الـقائلين بالوجوب وهم السادة الحنابلة : قوله ﷺ لمن سأله قائلا : « إن أبى شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الضعن . فقال له حج عن أبيك واعتمر [1] ». وكذا قوله ﷺ : « نعـم عليهـن جهاد لا قتـال فيه : الحج والـعمرة » فى جـوابه لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لما سألته قائلة : هل على النساء جهاد يارسول الله؟

ومن أدلة الـقائلين بالوجـوب أيضا : قوله تـعالى : ﴿**وأتموا الحج والـعمرة لله**﴾[2] غير أن القائـلين بعدم الوجوب وهم الأكثرون يـقولون : إن الآية لا تدل على وجوب العمـرة ولا على عدمه ، وإنما هى تطالب من أحرم بـأحد النسكين : الحج أو العمـرة أو بهما معاً أن يواصل عـملهما خالصـتين لله تعالى لا تشـوبهما شائبـة شرك أو رياء حتـى يفرغ من أدائـهما ، كما لا يـجوز له أن يقـطعهمـا بعد الشروع [3] فيهما ، أو لا يخـرج لهما حتى [4] إذا تجاوز الميقات أحـرم بهما إذ كل هذا يتنافى مع كمال هذه العبادة ، وإتمامها لله سبحانه وتعالى .

ومما تجدر ملاحظته هنا : أن القائلين بعدم وجوب العمرة لا يعنون أنها ليست ذات شأن ، أو أنها ليست مما يطهر النفـس ويقرب من الله تعالى كالحج لا بل هم يعدونـها من أعظـم أنواع القرب كـالحج وغيره، ويـكفى للـتدليل عـلى ذلك أن

---

(١) رواه غير واحد والترمذى وصححه .　　(٢) البقرة .

(٣) فعلى هذا تكون العمرة واجبة بمجرد الشروع فيها .

(٤) سيأتى حكم من تجاوز الميقات ولم يحرم .

الرسول ﷺ قد اعتمر أربع عمرات ثلاثاً منفردات وأخرى أدخلها على حجه ﷺ .

وفائدة الخلاف تظهر فى المعضوب [1] فمن قال بالوجوب فإنه يلزمه بأن يستنيب عنه غيره فيعتمر عنه ، وإن كان قد مات ولم يوص ، فإنه يعتمر عنه بمال من التركة قبل قسمتها ؛ لأن هذا يعتبر دينا يجب قضاؤه، كل هذا فيما إذا كان المعضوب ممن يجب عليهم الحج والعمرة لتوفر شروطهما .

ومن لم يقل بالوجوب فلا يلزمه بالاستنابه ، وإن مات فليس على الورثة من حق فى أن ينيبوا من يعتمر عنه .

الواجب فى الحج والعمرة مرة فقط

مما لا خلاف فيه بين المسلمين أن الحج والعمرة لا يجبان إلا مرة واحدة فى العمر ، وأن ما زاد على المرة الواحدة يعتبر تطوعاً فى فعل مستحب ذى مثوبة كبيرة وأجر عظيم ، لكن من نذر حجاً أو عمرة وجب عليه أداؤه ولو تكرر عشرات المرات . ودليل وجوبهما مرة فقط قوله ﷺ « الحج مرة فمن زاد فهو متطوع[2] » وقوله للسائل :« لو قلت : نعم لوجبت ، ولما استطعتم »، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام خطب فقال : « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » ، فقال الرجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله ﷺ «لو قلت نعم . لوجبت ولما استطعتم [3] ».

هل الحج على الفور أو على التراخى ؟

الخلاف مشهور بين الأئمة فى هل الحج واجب على الفور ، أو على التراخى والقائلون بوجوبه على الفور هم الجمهور ،ولكل أدلة يوردها على صحة نظره غير أنه ما دام أن العذر مسقط للوجوب إلى أن يزول فلا فائدة لهذا الخلاف ، فمن أقامت به الأعذار وحالت بينه وبين أداء هذه الفريضة فهو غير ملام على التراخى، وانتظار الوقت المناسب ليقضى فيه واجبه ، ومن لم يكن له عذر حائل

(١) الزمن أى العاجز عن المشى لداء به كالقعد ونحوه .
(٢) رواه أحمد وغيره وصححه الحاكم .
(٣) رواه مسلم .

فلم ينتظر عاماً كاملاً، وهل ضمن لنفسه البقاء حياً طول سنة كاملة؟ وإذا لم يكن كذلك فما يجيز له التأخير ، ويبيح له التراخى ؟؟ وقد قال الرسول ﷺ: «تعجلوا إلى الحـج، فإن أحدكم لا يـدرى ما يعـرض له [1] »وقال ﷺ «من أدرك الحـج فليتعجل فإنه قد يمرض المريض ، وتضل الراحلة ، وتعرض الحاجة [2] »وقال «من كسر أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرى[3] » .

ولولا ما يؤول به القائلون بعدم الفورية هذه الأحاديث لقضت بوجوب الفور حتما وانتهى الخـلاف ، وعلى كل فإن ما تطمئن إليه نفـس المؤمن الصالح هو أن الحج على الفور ما لم تقم الأعذار ، فإن قامت أعذار فانتظار زوالها طبيعى ، ولو مرت السنون العديدة ولم تزل .

الأعذار المسقطة ، لفورية الحج

إن الآية القرآنية الـتى صرحت بفرضية الحج وهى قـوله تعالى : ﴿**ولله على النـاس حج البيـت من استطـاع إليه سبـيلاً** ﴾ أشارت بـل صرحـت بذكـر الأعذار المسقطة لفورية الحـج ، ولكن فى إيجاز وبإجمال يحتاج إلى تفـصيل ، ولم يثبت عن الرسول ﷺ فى بيان الإجمال إلى قوله لمن سـأله عن السبيل فى الآية « الزاد والراحلة » فى روايتين أخـرج إحداهما الدارقطنى ، وثانيتهـما ابن ماجه . ولفظ الزاد والراحلة أيضا دلـيل مجمل يحتاج إلى تفصيـل ؛ لأنا نقول : ما هو الزاد ؟ ما مقداره ؟ ما نـوعه ؟ ونقول : ما هى الراحلـة وما نوعها ؟ وقد تناول الـفقهاء رحمهم الـله تعالى هذه الألـفاظ بالشرح والتـفسير ، وموجزهـا : أن المراد بالزاد نفقة الحاج فـى سفره إلى أن يعود إلى أهلـه ، ونفقة من يعولهـم من أهل وولد وأقربين مع براءته من الديون المالية ، ولم يكن مطالباً بزكاة ، أو نذر واجب ، أو كفارة لازمة.

وإن المراد بالراحلة : القدرة على الركوب والمشى ، ووجود ما يركب إن كان المشى غـير ممكن مع أمـن الطريق وسلامـتها عادة . فإن وجـدت هذه الأعذار أو بعضها فالحج لم يجب معها حتى تزول ، ومتى زالت تعين الحج ووجب الفور فى أدائه لما عسى أن يحدث من حوائل تحول دون أدائه .

---

(١) أحمد وضعفه السيوطى .
(٢) أحمد وابن ماجه (حسن) .
(٣) رواه أبو داود والترمذى وحسنه .

ومما يلاحـظ هنا أن كثيـراً من الناس يـرون أن الدين لا يصح مـعه حج ولا عمرة ، وليس هذا بصحيح . إن الدين مـسقط لوجوب الحج والعمرة فقط ، أما إذا استدان امرؤ مـالاً ليحج به ، أو حج بما لديـه ولم يقض ما عليـه من الديون وهو عاقد النية والـعزم على قضائها فلا شك أن حجه صحيـح مقبول إن شاء الله تعالى ، وأن ديونه فى ذمته يقضيها متى وجبت وتمكن من قضائها.

هل عدم الاستطاعة ، فقد المرأة للمحرم

إن الذى لا شك فيـه هو أن الرجل يحرم عليـه أن يخلو بامرأة غيـر محرم له أدنى خلـوة، ومهما تـأكدت السلامة مـن الفتنة ، لـتعاليـم الرسول ﷺ القاضية بتحريم ذلك ومنها قوله ﷺ :« لا يخلو رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم (١) » وما لا شك فيه أيضا أن الحرمة ليست خاصة بالرجل فقط بل المرأة مثله يحرم عليها أن تخلو بغير محرم لها وإذا ثبت هذا فـكيف تتمكن المرأة من أداء فريضة الحج بدون محرم لها يجـوز له الاختلاء بها ؟ وإذا كان الجواب : هو أنهـا لا تتمكن إلا بذى محرم : وفقدتـه فالنتيجة إذا أن فريضـة الحج قد سقطت عنها حـتى يزول عذرها بوجود المحـرم لها . وقد يقـال : إنه فى الإمكان أن تحـج فى رفقة صالحـة تضم عدد من الـنساء فيكـون اختلاؤها بالـنساء دون الرجال ، ولـكنا نجابه بـقوله ﷺ «لاتسافر المـرأة إلا مع ذى محرم (٢) »ويقول «لا يحـل لامرأة تؤمن باللـه واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها أو زوجها أو ابنها أو أخوها أو ذو محرم منها (٣) »وبقوله ﷺ :« لا يحل لامرأة تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذى محرم عليها (٤) »فلا نجد بداً مع هذا من الـقول : بأن المرأة إذا فقدت المحرم تعتبر فاقدة للاستطاعة المشروطة فى وجوب هذه الفريضة .

والملاحظ هنا : أن بين الأئمة فى هذا الموضوع خلافاً فمنهم من يجيز بشروط ومنهم من يمـنع ، وما دمنا نتحرى الأقرب إلـى الهدى النبوى فى كل مسـألة فيها خلاف فإنا نكتفى بما تقدم فى المـوضوع مع الإشارة إلى أن المرأة لو خرجت حاجة

---

(١) متفق عليه .

(٢) قال مالك فى الموطأ : إن الضرورة من النساء التى لم تحـج قط أنها إن لم يكن لها ذو محرم يخرج معها أو كان لها فلم يستطع أن يخرج معها أنها لا تترك فريضة الله عليها فى الحج لتخرج فى جماعة النساء .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه مسلم وغيره .

فى رفقة صالحة من النساء وقضت حجهـا فإنه يجزئها فى أداء الفريضة بلا شك ، غـير أنـها ارتكـبت محرمـا بسفرهـا مـع غيـر ذى مـحـرم لها فلتستغفر مـن ذلك ولتتب (١) .

هل للصبى من حج ؟

الصبى غير مكلف بالحج كما لـم يكلف بغيره من أركان الإسلام وواجباته ، لكن إن حضر العبادة وقام بما يستطيع من أفعالها فإنه يكسب بذلك خيراً كثيراً ببذره أول بذرة صالحة فى حـياته الدينية قد تـزدهر وتنمو وتثمر لـه صلاحاً وزكاء طول حياته ، وتمـرين الأطفال على أفعال الـبر وأداء العبادات محمود الـعواقب ؛ ولذا رغب فيه الشارع ودعا إليه وحض عليه . ألم يكن قد أمر الصبى بالصلاة فى سن السابعة من عمره ؟ هذا وقد صح عن النبى ﷺ إقراره لحج الصبيان فقد روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قوله: « حججنا مع رسول الله ﷺ معنا النساء والصبيان فلبينا عن الـصبيان ورمينا عنهم (٢) »وفوق هذا فـقد سئل عليـه الصلاة والسلام حينـما رفعت إليه امرأة بالروحـاء صبياً وقالت ألهذا حـج ؟ فقال : «نعم ولك أجر (٣) »فمن هنا نعلـم مشروعية حج الصبيان ، وإن من لم يـحسن النطق منهم يلبى عـنه ، ومن عجز منهم عن الرمى يرمى عنـه . أما الطواف والسعى : فيحمـلون كما يحمـل العاجز والمريض ، ومن قـدر على عمل أى نسـك عمله ، ومن لم يقدر يفعله عنه وليه وللصبى أجر وللولى أجر ، والله ذو فضل عظيم .

والملاحظ هنـا أن حج الصبى لا يسقط عـنه الفريضة بحـال إلا إذا مات قبل بلوغه فإنها له حجـة يرفع بها درجات لقوله ﷺ :« أيما صبى حج بـه أهله فمات أجزأت عنه فإن أدرك فعليه الحج(٤) » .

عظم شأن الحج والعمرة والترغيب ، والترهيب فيهما

من المعلوم أن الإنـسان ليس بملاك الطبع مضـطراً إلى فعل الخير بطـبعه قابلاً للحق بغريزته ، بل هو المخلوق الوحيد الذى تـتجاذبه نزعتان متضادتان نزعة الخير

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه والترمذى وفيه ضعف ، والعمل به .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه أحمد مرسلاً ، ومعنى أدرك بلغ الحلم .

المتركزة فى فطرته ، ونزعة الشر المتأصلة فى جبلته ؛ فقد يعرف الحق حقا ويصرفه عن قبوله والإذعان إلى اتباعه عناد أو مكابرة ، وقد يتصور الباطل باطلاً ويجذبه إلى إتيانه هوى فى النفس كمين، أو تقليد أصيل وقد يعرف الخير فى أمور كثيرة وهو يحبه ويميل إليه بطبعه ويتركه تهاوناً أو إيثاراً للدعة وميلا إلى الراحة أو السكون الذى هو طبع أغلب الكائنات. ألم تر إلى كثير من تاركى الصلاة مثلا أنهم لم يتركوها جحوداً ولا عناداً ، ولا جهلاً بقيمتها وعظم شأنها ، وإنما تركوها بدافع الميل إلى الكسل وترك العمل ومثالاً آخر : أى مسئول فى البلاد الإسلامية اليوم لا يعرف ما فى وحدة المسلمين واتحادهم من خير وعزة وقوة ؛ فهل هذه المعرفة استطاعت أن تنهض بهم ليحققوا بالفعل ما رأوه خيراً ، واعتقدوه حقاً ، وآمنوا به صالحاً نافعاً ؟ بهذا نعرف السر فيما ورد من تعليل لكثير من الأحكام الشرعية التى وضعها الخالق لإصلاح شؤون خلقه المتعلقة بأرواحهم وأبدانهم . فإنه لم يكتف فيها بالإعلام أو الإذن بأنها صالحة نافعة للإنسان فى كلتا حياتيه الدنيوية والأخروية بل عللت ، فذكر لكل حكم علته ، ولكل عبادة ثمرتها ، وجندت للترغيب فى فعل ما يفعل وللترهيب فى ترك ما يترك ، الآيات القرآنية الكثيرة ، والأحاديث النبوية العديدة . ومن ذلك هذه العبادة التى نحن بصدد دراستها وبيانها (الحج والعمرة) فقد ورد فى الترغيب والترهيب فيها من الأحاديث ما يؤثر حتى فى الجبال فضلاً عن قلب الإنسان .

ولا شك أن لهذا الترغيب أو الترهيب نتائجه الصالحة ، وثمراته الطيبة فكم من مسلم يعتقد فرضية الحج ووجوبه وأنه أحد أركان الإسلام الخمسة وهو ثرى ذو مال . وتمر به السنون الطويلة ولا ينهض به ما يعتقده من وجوب الحج فيحج حتى إذا شهد خطبة لإحدى الجمع يدعو فيها الخطيب إلى هذه العبادة ، ويرغب فى أدائها ، ويرهب من تركها والتهاون فى القيام بها فيورد على المستمعين من المصلين أمثال حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه (لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من كان له جدة ولم يحج فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين) (١) فيصادف هذا الكلام الرهيب استعداده الفطرى

(١)رواه سعيد بن منصور والبيهقى .

فينهض فى الحال يبيع أثاثه وبعض ممتلكاته تحضيراً لنفقة حجه ، ويحج بتأثير ما سمع من عامه .

وبناء على هذا فتقديم طائفة من الكلام المأثور الواعظ ، ومن الأحاديث النبوية المرشدة بين يدى التعريف بأركان هذه العبادة وواجباتها وآدابها أمر صالح عقلاً، ومستحسن شرعًا إن لم يك واجبًا صناعة ، ومحتمًا حسن دعاية لمثل هذه العبادة الجليلة القدر ، الخطرة الشأن .

وهذا أوان إيراد ذلك ، ولنبدأ بما ورد فى الترهيب قبل الترغيب .

الترهيب لمن يترك الحج تهاونًا

روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قوله: (من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ، ولم يحج ، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانياً [١]) وذلك لأن الله تعالى قال فى كتابه : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين** ﴾ وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله (لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من كانت له جدة ولم يحج فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين) وورد عن الرسول ﷺ « من لم تحبسه حاجة ظاهرة ، أو مرض حابس، أو منع من سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانياً »[٢] .

وجاء فيما يرويه الرسول ﷺ عن ربه عز وجل قوله : « إن عبداً صححت له جسمه ووسعت عليه المعيشة يمضى خمسة أعوام لا يفد إلىَّ إنه لمحروم [٣] » فهذه الأحاديث وتلك الآثار تدل على مدى ذنب المتهاون بأداء هذه الفريضة ، وأنه بتهاونه وتسويفه قد وقف على شفا هاوية من الجحيم ؛ لأنه لا يؤمن عليه أن ينقلب ذلك التهاون والتسويف إلى استباحة ترك هذه الفريضة ، أو احتقارها وعدم المبالاة بها ــ والله يحول بين المرء وقلبه ــ فيصبح ــ والعياذ بالله تعالى ــ

---

(١) رواه الحاكم وصححه .   (٢) البيهقى وسكت عنه المنذرى .
(٣) البيهقى وابن حبان مقبول .

من الـكافرين ؛ ولا غـرابة فإن هذا ظـاهر من قول الـرسول ﷺ وقول صاحـبه المتقدم: « فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً ».

ولا عجب فإن جحوده وتنـكره لهذه القاعدة الإسلامية العظـمى قد ربطه بهم وضمه إلى جامعتهم جامعة الكفر والتكذيب .

الترغيب فى الحج والعمرة

قد يعـد كافياً فى الترغيب فى فـعل هذه العبـادة سرد ما يلى مـن الأحاديث النبوية : جـاء فى الصحيحين عن أبـى هريرة رضى الله عنه عـن النبى ﷺ قوله «أفضل الأعمال : إيمان بالله ورسوله ، ثم جهاد فى سبيله ، ثم حج مبرور » .

وورد فيما أخرجه ابن ماجه فى سننه عن أم سـلمة رضى الله عنها عن النبى ﷺ : « الحج جهاد كل ضعـيف » وثبت عن أبى هريرة مرفوعاً : « جـهاد الكبير والضعيف والمـرأة : الحج والعمرة [1] » وورد « من حج هـذا البيت فلـم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه [2] » وجاء فيما أخرجه البزار عنه ﷺ: « إن الله يغفر للحـاج ولمن استغفر له الحاج [3] » وورد أن النبى ﷺ سمع رجلا يقول فـى الطواف : اللهم اغـفر لفلان بن فـلان ، فقال ﷺ :«من هـذا»؛ قال رجل حملنى أن أدعو له بين الركن والمقام . فقال : «قد غفر الله لصاحبك».

وبعد هذا فأى مؤمن يـطرق سمعه مثل هذه البشارات النبـوية ولا يهتز طرباً، ويتمـايل فرحاً وهى تـبلغه فى صـدق ووضوح أن الحج من أفضـل الأعمال وأن الحج فى ثوابـه كالجهاد فى أجره ، وأن الحاج كـالمجاهد فى المنزلـة ، وأن للحاج كرامة عند الله بها يستجاب دعاؤه ويغفر ذنبه وذنب مـن يريـد لـه ذلك ما استغفر لـه .

هل يستحسن وجود هيئة للدعاية للحج

إن نظرة واحدة فى تلـك الأحاديث الواردة فى الترهيب لكافيـة فى أن تجعلنا

(١) أحمد وابن ماجه صحح بالإرسال .
(٢) رواه مسلم .
(٣) الحاكم وصححه .

نعتقد أن وجود هيئة أو جمعية باسم الدعوة إلى حج بيت الله الحرام تشكل فى طيبة أو فى أم القرى (مكة المكرمة) وتنشئ لها فروعاً فى كافة أنحاء العالم الإسلامى تكون مهمتها إلقاء الخطب ، وإقامة المحاضرات، وتوزيع النشرات ، وكتابة الصحف والمجلات ، ومساعدة الحجاج فى كل بلد بالتوجيهات والإرشادات، وبتقديم كافة المساعدات الممكنة لمن يعزم على حج بيت الله الحرام أمر مستحسن عقلاً وشرعاً ، أما من جهة العقل فإن العقل لا يستقبح المساعدة على الخير والدعوة إليه بصورة منظمة ، وبطرق جدية كافية فى حمل الناس على الخير والمسارعة إليه .

وأما من جهة الشرع فإن ما يلمسه القارئ من أحاديث الترغيب والترهيب الواردة فى شأن الحج يجعله مقتنعاً تماماً بأن عملاً كهذا لا يعدو أن يكون تنفيذاً لرغبة الرسول ﷺ وعملاً بطاعته ونزولاً عند رضاه ومراده ، وهذا لا شك أنه من أحسن الأعمال وأفضلها ، وأوفرها مثوبة وأحسنها جزاء عند الله يوم الدين والجزاء .

وهل قول عمر ـ رضى الله عنه ـ لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من كان له جدة ولم يحج فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين ؟

وهل قول على ـ رضى الله عنه ـ من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً ؟ هل قولهما هذا لا يعد دعاية بالتعبير العصرى للحج ؟ وهل موقفهما فى ترهيب الناس من التهاون فى أداء هذه المناسك لا يعتبر موقف الداعى إلى الحج داعياً إلى الله ؟ وهل الدعوة إلى الله غير واجبة ؟ وما يدرينا أن الدعوة إلى الحج وباسم الحج ستنقلب دعوة إسلامية عامة تشمل الدعوة إلى توحيد الله وعبادته والتزام طاعته ، والوقوف عند كافة حدوده ؟ وما أحوج الإسلام إلى الدعوة والتبشير فى بلاده وبين أهليه ، وخارج بلاده وبين الكافرين به !!!

متى تفقد العبادة خاصيتها فى تزكية النفوس وتطهيرها ؟

من المعلوم أن لدى العارفين بخصائص الأشياء أن كثيراً من الأشياء تكون ذات خاصية فى التأثير على شىء آخر وقد يطرأ عليها ما يفقدها تلك الخاصية فتصبح ليست ذات تأثير فى ذلك الشىء كما كانت . وبهذه المثابة أنواع العبادات الشرعية فإنها ذات تأثير حقا على الناس فى إصلاحها وتزكيتها ، ولكنها قد يطرأ عليها ما يفقدها ذلك التأثير الخاص فتصبح غير مصلحة للنفوس ولا مزكية لها . ومن أكبر ما يطرأ على العبادة فيفقدها صلاحيتها ، وتأثيرها فى إصلاح النفوس وتطهيرها : الشرك فيها ، عملها ، وفقد الإخلاص منها .

أما الشرك وهو جعل غير الله تعالى شريكاً له تعالى فى العبادة التى تعبد بها خلقه فهو محبط للعمل مفسد له حساً ومعنى لقوله تعالى : ﴿ **ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون** ﴾ وقوله جلت قدرته : ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ وحبوط العمل بطلانه وفساده ، وإن شئت فقل هبوطه وعدم رفعه وقبوله لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا ، والعمل الذى شابه شرك فاسد ، والله لا يرفع من الأعمال إلا ما كان صالحاً ، فقد قال عز شأنه : ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ .

وأما سوء علم العبادة والمراد به إساءة فعلها بحيث يخل ببعض أركانها أو واجباتها أو سننها وآدابها : فكثير ما يفقد العبادة معناها ويخرجها عن حقيقتها ويقطع عنها ثمرتها المرجوة منها من تطهير النفس وتزكيتها ، فالإخلاص فى العبادة وحده غير كاف فى قبول العبادة ، وفى جعلها مصلحة للنفس مزكية لها بل لابد مع الإخلاص من الإتيان بالعبادة فى صورتها الشرعية وطبق ما شرع الله تعالى وبين رسوله ﷺ كمية وكيفا ؛ لأنه بمجموع الأمرين الإخلاص والمطابقة توجد فى العبادة خاصيتها من الإصلاح والتطهير ، وإلا فإنها تفقد ذلك قطعاً .

ولذا أوجب الشارع العلم وجوباً عينيًا وحث عليه فقال: « طلب العلم فريضة على كل مسلم [1] »وقال: « اطلبوا العلم ولو بالصين[2] »وخاصة العلم

---

(١) رواه البيهقى وابن عبد البر وإسناده صحيح .

(٢) الحديث موسوم بالضعف غير أن معناه من أصح الصحيح لقوله تعالى : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين** ﴾ الآية .

المتعلق بالعبادات التى لا تتلقى إلا مـن الشارع ، كل هذا رجاء الانتفاع بالعبادة فى تطهـير النفـوس وإصلاحها لتـصبح مسـتعدة للـكمال المخلوقـة لأجله فى الـدنيا والآخرة، ومن هذا نقول : إنه لقبيح جداً بمسلم يعمر طويلاً ولا يتعلم أثناء عمره الطويل أمور ديـنه ويعبد ربه على جهل . وبـناء على ما تقدم فإنه قـد يصبح من الحتم على من أراد الشروع فى هذه العبادة الـعظيمة (مناسك الحج والعمرة) أن لا يخرج من بيتـه حتى يتعلم ويعرف كل مـنسك وشعيرة فيها ليـعبد ربه بما شرع، وطبق ما بين ووصف . وقديمـاً سأل إبراهيم وإسماعيل عليهما الـسلام ربهما بيان ذلك ليعبداه كـما يريد ، ويتقربا إليه بمـا يحب أن يتقرب به إليه قال تـعالى حكاية عنهما : ﴿**وإذ يرفع إبراهيـم القواعد من البيت وإسـماعيل ربنا تقبـل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينـا إنك أنت التواب الـرحيم**﴾ فهمـا يريدان أن يعبدا ربـهما ويتقربـا إليه وليس لهما ذلك إلا من طريق العبادة المشروعة فطلبا بيان ذلك منه سبحانه وتعالى فاستجاب لهما وعرفهما مناسك الحج فعبداه بما شرع ، وتقربا إليه بما أحب . فهل بعد هذا يسـوغ للحاج المسلم الذى هو عـلى أرث من أبيه إبراهيم فـى هذه العبادة الفاضلة كما قال نبينا ﷺ : « قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم » فـهل يسوغ له أن يأتـى هذه المناسك وهو لا يـعرف منها منـسكاً واحداً فيعبد ربه على جهل فتذهب مجهوداته وأمواله وسائر تضحياته سدى بدون فائدة، ويعود بذنبه كما خرج من بيته ؟

وأما فـقد الإخلاص فإنـه إذا كان الإخلاص كالاحـتساب ، وهو إرادة الـله سبحانـه وتعالى بالعـمل دون من سواه رجاء ما عنـده من حسن المثوبـة ، وعظيم الأجر فإنـه روح العمل وقوامه فـمتى فقده الـعمل صار شيـئاً لا معنى له كـجسد فارقته الحيـاة : ولذا فإن العبادة إذا فقدت هذا الـعنصر الحى من عناصـرها الثلاثة التوحـيد ، وحسن العمـل والإخلاص فإنها تصـبح خالية تمامـاً من طاقة التطـهير والإصلاح المودعة فيهـا فلا تصلح خلقاً ولا تزكى روحـاً ، ومع الأسف فإن هذه العبادة الـتى نحن بصدد درسها وبـيانها معرضة أكثـر من غيرها لفقدان عـناصرها الهامة التى تقدمت ، فإن من بين الحـجاج من لا يقصد الحـج إلا لغرض الاطلاع والوقوف عـلى الآثار، والتمـتع بلذة التـنزه والأسفار كـبعض من ذوى الثـقافات الغربية ، والشبـاب الطائش ، ومن بـين الحجاج من لا يـقصد الحج إلا ليـحصل

على لقب الحاج فيستغل هذا اللقب فى قريته وبين أفراد عشيرته فيتوصل به إلى تحقيق بعض أغراضه المادية ، وهؤلاء يوجدون عادة بين العوام والجهلة الذين توجد فيهم نزعة حب السيادة ولم يحصلوا عليها لعدم استعدادهم لها بالمؤهلات الذاتية والخلقية والعلمية .

وعلى كل حال فالصنفان المذكوران قد خسرا عملهما وفقدا ثمرة حجهما بعدم الإخلاص الكامل لله ، فإنه ولو أراد الأولون أداء الواجب مع الاطلاع والنزهة ، وأراد الآخرون قضاءه مع الحصول على اللقب المحبوب ، والرئاسة الموهومة على ذويهم ، فإن عملاً لم يحتسب فيه لله تعالى ـ وخاصة ـ وقد قال تعالى : ﴿**وأتموا الحج والعمرة لله**﴾ لا يكون إلا خالياً من ثمرة العبادة التى هى إصلاح النفس وتزكيتها ، ومن لم تصلح نفسه ولا تزكو كيف يقال : إنه خرج من ذنبه كيوم ولدته أمه ، وإنما يقال فيه عاد بجميع ذنبه كما خرج من بيته والعياذ بالله تعالى .

واعلم أن كل ما قدمته فى بيان أن للعبادة خاصية تؤثر بها على النفوس بالزكاء والطهر ، وأن العبادة تفقد خاصيتها تلك إذا شاء بها شرك أو سيء استعمالها ، أو فقد الإخلاص منها مبنى على قاعدة شرعية جليلة وهى قوله تعالى : ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له » وقوله : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعداً » .

وبيانه : أن قوله تعالى : ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ يشهد لوجود الخاصية فى العبادات بالتأثير على النفوس ، وقوله : ﴿ **وأقم الصلاة** ﴾ هذا الأمر الذى ذكرت جملة ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ تعليلاً له يدل بصراحة أنه ينبغي للحصول على تأثير العبادة فى النفس أن تكون العبادة مؤداة أداء صحيحًا موافقًا لما شرع الله نصًا وروحاً ، وإلا فإنها تفقد خاصيتها . وقوله ﷺ : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له[1] » يشهد لفقدان العبادة خاصيتها فى إصلاح النفس وتزكيتها إذا هى فقدت مقوماتها من الخلو من الشرك ، وحسن الأداء وروح الإخلاص . كما أن قوله ﷺ : « لم

---

(١) رواه ابن أبى حاتم وسكت عن سنده ابن كثير فى التفسير .

يزدد بها من الله إلا بعدا [1] » يدل بوضوح عـلى أن القرب من الله والبـعد هما نتيجة لما تكون عليه النفس من تزكـية أو تدسية ، فإن عمل صاحب النفس بما من شأنه أن يزكى نفســه ، كالإيمان والعمل الصالح فإنه يقرب بـطهارة روحه من الله تعالى . وإن هو عمل بمـا من شأنه أن يدسى نفسه كالشرك والمعـاصى فإنه يخبث نفسه فلا يصبح أهلاً لرضى الله تعـالى والقرب منه . ومصداق هذا قوله تعالى : ﴿**قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها** ﴾ .

القيود المفروضة على تزكية عبادة الحج للنفس

إن قوله ﷺ : « من حج هذا الـبيت فلم يرفـث ولم يفسق خرج مـن ذنبه كيوم ولدته أمه[2] » نجده قد قيد الحصول على نتيـجة هذه العبادة من غفر الذنوب غفراناً كاملاً حتى لم يبق على النفس من أثر للتدسية فتطهر بعد ذلك وتصبح أهلاً لرضى الله تعالى والقرب منه ، قيده بقيدين اثنين .

أولهما : عدم الـرفث وهو اسم جامع لجنس الجـماع وسائر مقدماته الـقولية كلحن الكلام والغنـاء والألفاظ الدالة على الغريزة الجنسية تـصريحاً أو تلويحاً، أو الفعلية كالجس باليد واللمس ، والغمز بالجفن والحاجب ، والنظر المريب بالعين ، والفكر الفاسد بالقلب ، وما إلى ذلك .

وثانيـهما : عدم الـفسوق وهو لـفظ يندرج تحـته سائر المـعاصى والمخالـفات الشرعية مـن الكفر والشرك إلى أدنى مخالـفة . فمع السلامة من هذيـن القيدين الثقيلين يـحصل صلاح النفس وزكاؤها وتصـبح النفس طاهرة تقية قـريبة من الله مرضيــة ، ومع عدم السلامـة منهما فإن الـطهارة للنـفس لا تتحقـق ؛ لأن طهارة النفس عـبارة عن محو آثار الذنــب عنها فإذا لم يمـح أثر الذنب فمن أين يـأتى لها الصفاء والطهر ؟

واعلم أن سر هذا الحـرمان منشؤه أن المحرم بدخوله أرض الحـمى، وبقوله: لبيك اللهـم لبيك قد أصبح وافدًا لله ذى الجـلال والإكرام ، وأن وافداً لا يحترم نفسه ولا وفادته على ربه فيلوث نفسه بالذنب ويطمس نوره بمعصية من وفد إليه ، ويذهب كرامته بالخروج عن حدود آداب الزيـارة ، وبانتهاكه لحرمات الوفادة لحرى

---

(1) رواه الطبرانى وأعل بالوقف .

(2) فى الصحيح قد تقدم .

بأن لا يجد عند ربه أقل ما يسمى إكراماً أو حسن وفادة .

ومن هنا كان عدد الناجحين في هذه العبادة دائماً قليلاً ، ولو كان المقبلون عليها كثيرين ، وقد قيل يوماً لعبد الله بن عمر - رضى الله عنه - ما أكثر الحجاج!! فقال للمستكثر ما أقلهم ! وكأن الشاعر كان معه لما قال :

خليلى قطاع الفيافى إلى الحمى ... كثير (وجمع) الواصلين قليل

ومن القيود لهذه العبادة : البرور فقد صح عنه ﷺ قوله : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة (١) » فنراه قد خصص مطلق الحج بصفة البرور فلا يعظم أجر الحاج ولا يجزل ثوابه إلا إذا اتصف حجه بالبرور المشار إليه فى الحديث ومن هنا لزم أن نعرف معنى البرور الذى هو قوام الحج وملاك أمره ، البرور : مصدر فعل بر يبر بالفتح بروراً فى قوله : صدق ، وبر خالقه : أطاعه ، وبرت الصلاة: قبلت، وبر الله العبادة قبلها ، فعلى هذا يكون من معانى البرور : القبول ، ولنا أن نقول : الحج المبرور هو المقبول لكن قبوله مبنى على صدق الحاج فى نياته ، وأقواله ، وأعماله وعلى طاعته لربه وهذه هى شروط قبول الحج قطعاً : الإخلاص فيه لله تعالى وحده، وطاعة الله باجتناب ما حرم من الفسق والرفث والجدال وغيرها، وصحة الأداء بحيث يكون أداؤه كاملاً على ما حدد الشارع من هيآت وما وضع له من صفات .

هذا ولنذكر ما ورد عن السلف فى معنى البرور ، وهو وإن اختلف مع ما ذكرنا لفظاً فإنه يتحد معه معنى ، سئل النبى ﷺ عن البرور فى الحج فقال: «إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وطيب الكلام(٢) » وسئل ابن عمر رضى الله عنه فقال :(إن البرور شيء هين : وجه طليق ، وكلام لين) والمعروف عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان إذا سئل عن أفضل الأعمال يجيب السائل بما يتفق وإصلاح حاله . فكثيراً ما كانت تختلف إجاباته ﷺ ، والسؤال واحد ، فكان ﷺ يعالج بذلك نفوس السائلين فيصف لكل سائل دواءه الخاص .

هذا والملاحظ فى جوابه ﷺ : أنه كان يهدف إلى حمل الحاج على أن لا يقف بحجه عند الاقتصار على فعل الواجب وترك المحرم فقط بل عليه أن

---

(١) فى الصحيح . (٢) متفق عليه .

يسارع فى الفضائل وينافس فى الكمالات حتى يصل بحجه إلى أعلى درجات القبول بعد أن وصل به إلى أكمل صفات البرور . وبهذا يتضح أن ما عرفنا به البر لا يختلف أبداً مع ما عرفه به الرسول ﷺ ، ولا مع ما عرفه به صاحبه رضى الله عنه .

وخلاصة القول ؛ أن الحج المبرور هو الحج الذى استكمل سائر مؤهلات القبول من الإخلاص ، وحسن الأداء والابتعاد به عن كل ما يخدش فى قيمته كحج صادق ملؤه الخير والإحسان . وأن الحاج البار هو ذلك الحاج المطيع الذى لا يعصى ، والمحسن الذى لا يسىء فى خدمة سيده ، والذى جمع إلى الطاعة الكاملة والإحسان العام فعل الخير وإسداء المعروف لوافدى بيت الله فأطعمهم طعامه ، وألان لهم كلامه . وإن حاجاً كهذا قد ارتقى بحسن طاعته ، وسما بطيب نفسه لم يصبح جزاؤه حسنات ، ولا محواً لسيئات فقط لأن ذلك لا يعادل ما أهله الله له من سامى المنزلة ، وعظيم الدرجة فلم يكن له إذًا من جزاء يعادل ثوابه إلا الجنة منزل الأبرار ، ومقر الأصفياء الأخيار .

مواقيت الحج والعمرة وبيانها

المقصود من المواقيت: هى تلك الحدود الزمانية والمكانية التى يقف عندها الحاج والمعتمر فلا يتعداها حتى ينوى حجه أو عمرته ، ويتجرد من ملابسه العادية، ويلبس اللباس الخاص الذى يمكنه به الدخول فى حمى الله تعالى وحرمه، ولو بحثنا عن سر هذا الحمى الذى وجب أن تتخذ له الخصوصيات لوجدناه فى جلال البيت ، وقدسية الحرم ؛ لأنه إذا كانت قصور الملوك ، ودور الحكومات تتخذ لها الساحات الشاسعة ، والمساحات الرحبة الفسيحة لتكون لها حمى يحرم اجتيازه أو الدخول فيه إلا لصاحب رخصة خاصة أو إذن معين ، وكان هناك أندية عسكرية ومدنية كثيرة يمنع أصحابها ارتيادها إلا لذى لباس خاص، وبإشارة خصوصية ، فلا بدع إذا أن يكون لبيت مالك الملوك حمى يحرم دخوله على من أراده حاجاً أو معتمراً إلا بإذن خاص ، ولباس محدد النوع والصفة . فالإذن هو نية الحج أو العمرة والإعراب عن ذلك بقول : لبيك اللهم لبيك . هذه التلبية التى معناها إعلان الإجابة المتكررة المرة بعد المرة بعد أن سمع المجيب النداء، وبلغه الإذن بزيارة البيت والوقوف بالحمى . وأما اللباس المحدد النوع والمضبوط الصفة فهو إزار ورداء ونعلان لا أقل ولا أكثر، رأس مكشوف ، ووجل متنعلة كحافية ذلك هو اللباس الخاص لرواد حمى الله العزيز الجليل .

جلال بيت الله ؛ وقدسية حرمه

إن ما حازه البيت الحرام من الجلال وعلو الشأن لم يكن من تقادم عهد بنائه، ولا من علو كعبه ورسوخ دعائمه ، وإنما ما حازه من شرف على سائر البيوت كان بإضافته إلى الله تعالى ، وهذا شأن كل ما أضيف إليه سبحانه وتعالى من مخلوقاته فإنه يعظم بعظمته ويجل بجلاله ، فرسل الله وأنبياء الله وأولياء الله كلهم ما نالوا ما نالوه من شرف وحرمة إلا بنسبتهم إلى الله تعالى أما الحرم فقد اكتسب شرفه وقدسيته من البيت الذى جل بجلال الله ، وعز بعزة مولاه ، فلم يكن الحرم ليشرف لولا إحاطته ببيت الله ، ولم لا يشرف الحرم ويعظم شأنه وهو سياج بيت الله الرفيع ؟وإن آيات هذا التشريف والإجلال لبيت الله وحرمه لظاهرة بوضوح فيما ألقاه رب العزة فى قلوب العرب والعجم من إعظام للبيت وإكبار لشأن الحرم ، فإن المتعارف عند العرب أن من لجأ إلى الحرم من ذوى الجنايات تقصر دونه يد الطالب ويأمن وأن من قلد نفسه قلادة تشعر بأنه من حجاج البيت وزوار الحمى يمر فى طريقه الطويل فلا يصده صاد ، ولا يعترض سبيله باغ ، ولا عاد . ذلك بأن الله قد جعل الكعبة البيت الحرام قياماً للناس : والشهر الحرام والهدى والقلائد .

وكم من جبار أراد الحمى بسوء قصمه الله ، وكم من كائد لبيت الله كاده الله وحادثة أصحاب الفيل من أقوى دليل على ما لهذا البيت وحماه من مكانة عند الله ، حيث لم يسمح للمعتدين أن يمسوه بسوء، وكان ذلك بمثابة الإعلام العام بأن أرض الحرم أرض ليس لأحد أن يصيد فيها صيداً ، أو يؤذى فيها قريبًا أو بعيداً ، وأن كل من ضمه الحرم وآواه ، هو فى أمن الله ، وسواء كان إنسانًا أو حيواناً ما لم يشتهر بفسق ، أو يعرف بأذية قال تعالى : ﴿ **أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم** (١)﴾ وقال رسول الله ﷺ « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، فلا يقتل صيده ، ولا يعضد شجره ولا يختلى خلاه » .

---

(١) العنكبوت .

بيان المواقيت

أما الميقات الزمانى فقد بينه الله تعالى بقوله جلت قدرته : ﴿ **الحج أشهر معلومات** ﴾ فعلى مريد الحج أن لا يحرم بحجه إلا فى الأشهر المعلومة وهى شوال وذو القعدة ، وذو الحجة أى العشرة الأيام الأولى منه ؛ لأن الحج ينتهى بيومه الأكبر وهو يوم النحر ، عاشر الحجة . وأنه غير لائق بعد أن عين رب البيت موعد الزيارة لزائريه أن يتجاهل المرء هذا الموعد ويحرم بحجه فى غيره ولذا أجمع أهل العلم سلفاً وخلفاً . على كراهة الإحرام فى غير أشهره ، وهل ينعقد فيها لو أحرم به فى غيرها خلاف ؟ هذا بالنسبة إلى الحج أما العمرة فقد جعل الله تبارك وتعالى وقتها أوسع فالسنة كلها موعد زيارة وظرف تشرف وتقرب .

وأما الميقات المكانى فقد حدده رسول الله ﷺ تحديداً كاملاً واضحاً وهو يكتنف مكة المكرمة من سائر أقطارها ومناحيها : شمالاً ، وجنوباً ، وشرقاً ، وغرباً ، فقد أخرج أصحاب الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنه قوله (وقت رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرن المنازل ، ولأهل اليمن يلملم، قال فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة ، فمن كان دونهن فمهله من أهله ، وكذلك حتى أهل مكة يهلون منها) .

فهذا الأثر الصحيح قد اشتمل على بيان سائر المواقيت المكانية ، وبينها بياناً شافياً ، وهذا تفصيلها:

١ ـ ذو الحليفة: وتسمى الآن: آبار على ، وهى أبعد المواقيت لأنها تبعد عن مكة بعشر مراحل ، وهى ميقات أهل المدينة وتبعد عنها بنحو ثمانى كيلومتر وكما هى ميقات لأهل المدينة هى ميقات لكل من أتى عليها من غير أهل المدينة كسائر الحجاج الذين يقدمون الزيارة على الحج .

٢ ـ الجحفة : وهى ميقات أهل الشام ومصر وسائر أقطار المغرب العربى ومن كان وراء ذلك ، وقد اندثرت هذه القرية التى كانت تسمى أيضا (مهيعة) ولما كانت محاذية لمدينة رابغ وقريبة منها حلت مدينة رابغ محلها فأصبحت هى

ميقات أهل الشام ومصر والمغرب ، وتبعد عن مكة بنحو أربع مراحل تقريبا .

٣ ـ قرن المنازل : وهو ميقات أهل نجد ، ويبعد عن مكة بنحو مرحلتين.

٤ ـ يلملم : وهو ميقات أهل اليمن ويبعد عن مكة بنحو مرحلتين أيضا.

٥ ـ ذات عرق : وهو ميقات أهل العراق وأهل المشرق قاطبة ، ويبعد عن مكة بمرحلتين ونصف، وهذا الميقات لم يذكر فى الحديث السالف الذكر : وقد صح تعينه عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقد أخرج البخارى بسنده عن ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ أنه قال لما فتح هذا المصران (البصرة ، والكوفة) أتوا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقالوا : يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ حد لأهل نجد قرناً،وأنه جور عن طريقنا (مائل) وإن أردنا أن نأتى قرنا شق علينا ، قال : فانظروا حذوها . من طريقكم ، قال : فحد لهم ذات عرق (العرق: الجبل الصغير) .

هذا وقد أخرج أبوداود والنسائى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ وقت لأهل العراق ذات عرق . وإنما قد يقال : كيف يوقت رسول الله ﷺ لأهل العراق ميقاتاً ولم تكن العراق آنذاك بلداً إسلامياً لتأخر فتحها إلى عهد خلافة عمر رضى الله عنه ، والعقل لا يحيل هذا فقد يطلع ﷺ على ذلك فيضع لأهلها ميقاتاً ولما أسلموا بعد . أليس هو يتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ؟

٦ ـ ميقات من كان دون هذه المواقيت إلى مكة فإن ميقاته من محلة أهله فيحرم منها لقوله ﷺ « فمن كان دونهن فمهله من أهله ».

٧ ـ ميقات أهل مكة وهو بيوتهم أو المسجد الحرام إن شاءوا ، إلا العمرة فإن عليهم أن يخرجوا إلى الحل فيحرموا منه كما فعلت عائشة رضى الله عنها بأمر رسول الله ﷺ ليجمعوا بين الحل والحرم .

٨ ـ الميقات العام وهو كل من أتى من ناحية يحرم من ميقات أهلها لقوله ﷺ فى الحديث السالف « هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن » فالشامى إذا أتى بطريق اليمن أهل من يلملم ميقات أهل اليمن ، واليمنى إذا أتى بطريق الشام أهل من ميقات أهل الشام ، وهلم جرا .

الحكم فيمن تجاوز الميقات ولم يحرم

إن الحكم فيمن تجاوز الميقات ولم يحرم هو أنه يعود إلى ميقاته ليحرم منه وإن هو أحرم بعد ما جاوزه ولم يعد فإن عليه دماً وهو ذبح شاة لتركه واجباً من واجبات الحج. هذا فيما إذا كان يريد الحج أو العمرة ، أما إذا لم يكن عازما على أداء نسك من النسكين الحج أو العمرة ، وإنما تجاوز الميقات لحاجة له ، ثم لما قضاها ظهر له أن يعتمر أو يحج كمدنى قصد رابغاً أو جدة لبعض شأنه فلما قضى حاجته بدا له أن يقصد مكة لعمرة فإن هذا لا يطالب بالرجوع إلى الميقات ، ولا يجب عليه دم لكونه لم يتجاوز الميقات وهو يريد الحج أو العمرة . والشارع ﷺ قال : « لمن كان يريد الحج أو العمرة » وهذا لم يكن حال تجاوزه الميقات مريداً لهما ، وإذًا فلا شيء عليه .

الحكم فى دخول مكة بغير إحرام

إن الجمهور من فقهاء الأمة الإسلامية يقولون بتحريم دخول مكة بغير إحرام لغير عذر من الأعذار كعمل يتكرر أو قتال ، أو مرض وما إلى ذلك وأن من دخلها بغير إحرام وبدون عذر يوجبون عليه دمًا ، وحجتهم فى ذلك حديث ابن عباس رضى الله عنه الذى أخرجه البيهقى رحمه الله تعالى وهو : (لا يدخل أحد مكة إلا محرم) وحديث ابن أبى شيبة (لا يدخل أحد مكة بغير إحرام إلا الحطابين والعمالين ، وأصحاب منافعها) غير أن المحققين من الأمة يرون أنه لا حرج ولا إثم على من دخل مكة بغير إحرام ، إذا كان لا يريد حجاً ولا عمرة ، وذلك مبنى على ما يأتى :

١ ــ ضعف الحديثين اللذين استدل بهما الجمهور.

٢ ــ ما رواه مالك فى الموطأ من أن ابن عمر تجاوز الميقات بغير إحرام.

٣ ــ قوله ﷺ فى بيان المواقيت : « لمن كان يريد الحج والعمرة » فإن مفهوم الحديث يدل دلالة واضحة على أن من لم يرد الحج ولا العمرة ليس عليه أن يلاحظ ميقاتاً ولا إحرامًا .

٤ ــ إن أصحاب الرسول ﷺ كانوا يترددون على مكة لحوائجهم فى زمنه عليه الصلاة والسلام ولم يثبت أنه أمر أحداً منهم بالإحرام لدخول مكة فى غير الحج أو العمرة .

أركان الحج والعمرة

إذا كان لكل ثابت قار أركان يعتمد عليها فى ثبوته وقراره بحيث لو تسقط هذه الأركان أو أحدهـا لتداعى ذلك الشيء وانهار ، فإن لعبادة الحج والعمرة أركاناً تعتمد عليها فى ثبوتها واستقرارها عبادة مطهرة للنفس مزكية لها ، وإنها متى سقط منها ركن فسدت وزال تأثيرها فى تطهير النفس وتزكيتها ، ومن هنا كان من الواجب معرفة هذه الأركان التى انبنت عليها عبادة من أخطر العبادات نظراً لزمنها المحدد ولمكانها الخاص ، فإن من فسدت له صلاة استطاع أن يصليها بيسر وسهولة ، ومن فسد له صوم يوم أو أكثر له أن يصومه فيما بعده من أيام ، غير أن فساد الحج يكلفه الكثير من الوقت والمال والراحة ، ولذا رأيت من اللائق أن أذكر هذه الأركان مجملة ليسهل حفظها ، وتتيسر ملاحظتها ، ثم أذكرها مرة أخرى مفصلة مبينة للدراسة والفهم.

كل ركن منها مصحوب بواجباته وسننه وآدابه وحكمه وبيان كيفية أدائه ، وسأذكرها متتالية متتابعة كما هى ركنًا بعد ركن وها هى ذى الأركان مجملة : الإحرام ، الوقوف بعرفة عشية يوم تاسع ذى الحجة وجزءاً يسيراً من ليلة عاشره ، الطواف بالبيت بعد الإفاضة من عرفة ، السعى بين الصفا والمروة . هذه أركان الحج الأربعة . أما أركان العمرة فهى : الإحرام ، الطواف بالبيت ، السعى بين الصفا والمروة (١) .

والملاحظ هنا : أنه بسقوط ركن الوقوف بعرفة سقط كثير من الواجبات والسنن التى هى معظم أعمال الحاج وذلك كالمبيت بمنى ليلة عرفة ، والمبيت بالمزدلفة، والوقوف بالمشعر الحرام ، ورمى جمرة العقبة ، والمبيت بمنى أيامه الثلاثة، ورمى الجمرات بعد زوال كل يوم منها .

تنبيه : اعلم أنه لا فرق بين أركان الحج والعمرة ، فالإحرام بالحج كالإحرام بالعمرة والطواف للحج كالطواف للعمرة ، وكذا السعى بلا فارق فلنعتبر الكلام على أركان الحج كافيا فى بيان أركان العمرة . وهذه الأركان مفصلة .

---

(١) اختلف فى الحلق هل هو ركن من أركان العمرة ، أو واجب من واجباتها ؟ والراجح أنه واجب .

الركن الأول من أركان الحج والعمرة : الإحرام

معنى الإحرام :

الإحرام هو نية الدخول فى الحج أو العمرة أو فيهما معاً فمن نوى الدخول فى أحد النسكين يقال فيه أحرم [1] أى تلبس بحال يحرم عليه فيها ما كان مباحاً له قبلها كتغطية الرأس ولبس المخيط ، ومس الطيب والنساء والصيد .

واجبات الإحرام

للإحرام واجبات ينبغى معرفتها ؛ لأن تارك الواجب يطالب بدم يهريقه للفقراء والمساكين جبراً لما أصاب حجه أو عمرته من خلل بترك واجب .

وواجبات الإحرام هى كالتالى :

١ ــ الإحرام من الميقات ، لأمر الرسول ﷺ بذلك ، وفعله .

٢ ــ التجرد من المخيط .

٣ ــ التلبية ، وإن كان الجمهور يراها سنة ؛ فإن مالكا يعدها واجباً. وفعل الرسول ﷺ وأمره يقوى كونها واجباً.

سنن الإحرام

وللإحرام سنن يحسن العلم بها وهى:

١ ــ الاغتسال ولو لنفساء أو حائض حيث أن أسماء بنت عميس امرأة أبى بكر الصديق رضى الله عنهما أمرت بالاغتسال وهى نفساء وأهلت بقوله ﷺ لأبى بكر: «مرها فلتغتسل ثم لتهل» .

٢ ــ الإحرام فى رداء وإزار أبيضين نظيفين لفعله ﷺ ذلك .

٣ ــ وقوعه بعد صلاة نافلة كانت أو فريضة لخبر أن النبى ﷺ صلى الظهر

---

(١) مأخوذ من أحرم إذا دخل فى الشيء الحرام أو الحرم كأصبح إذا دخل فى الصباح وأبحر إذا دخل البحر.

ثم ركب راحلته فلما علا البيداء أهل [١] .

٤ ـ تقليم الأظفار وقص الشارب ونتف الإبط ، وحلق شعر العانة ، ومس الطيب قبله لفعله ﷺ ذلك ولقول عائشة رضى الله عنها : كنت أطيب النبى ﷺ بأطيب ما أجد [٢] .

٥ ـ تكرار التلبية وتجددها كلما تجددت حال لفعل النبى ﷺ ذلك .

٦ ـ الدعاء والصلاة على النبى ﷺ عقب التلبية لحديث ثابت : أن النبى ﷺ كان إذا فرغ من تلبية سأل الله عز وجل رضوانه والجنة واستعاذ برحمته من النار [٣] .

---

(١) هذا لا ينافى ما فى الأحاديث الدالة على أن النبى ﷺ أحرم حين فرغ من صلاته ، لأنه ينوى بعد الصلاة بمعنى يوجب على المحرم طالما ركب راحلته رفع صوته بالتلبية .

(٢) متفق عليه . (٣) رواه الشافعى .

محظورات الإحرام

وللإحرام محظورات أى محرمات أو ممنوعات وهى كالآتى:

١ ـ تغطية الرأس لنهيه ﷺ عن ذلك .

٢ ـ حلق الشعر أو قصه أو قطعه لنهى النبى ﷺ عن ذلك .

٣ ـ قلم الأظفار لنهى النبى ﷺ عن ذلك .

٤ ـ مس الطيب لنهى النبى ﷺ عن ذلك .

٥ ـ لبس المخيط لقوله ﷺ فى جواب من قال : يا رسول الله ما يلبس المحرم « لا يلبس الثوب ، ولا العمائم ، ولا السراويل ، ولا البرانس ولا الخفاف إلا من لا يجد نعلين فليلبس خفين وليقطعهما من أسفل الكعبين ولا يلبس من الثياب شيئا مسه زعفران أو ورس ، ولا تنتقب [1] المرأة ولا تلبس القفازين [2] » .

٦ ـ عقد النكاح مطلقاً للحاج أو لغيره .

٧ ـ الخطبة مطلقة للحاج أو لغيره لقوله ﷺ :« لا ينكح [3] المحرم ولا ينكح [4] ولا يخطب » .

٨ ـ قتل صيد البر لقوله تعالى : ﴿ **يأأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم** ﴾ .

٩ ـ الجماع لقوله تعالى :﴿ **فلا رفث** ﴾ والرفث : الجماع ، وهو مفسد للحج إذا وقع قبل الوقوف بعرفة بخلاف غيره من المحظورات فلا تفسد الحج غير أن فيها كفارة بصيام أو إطعام أو نسك .

١٠ ـ مقدمات الجماع كالقبلة واللمس والنظر بشهوة لدخول ذلك فى جنس

---

(١) النقاب شيء تستر به وجهها ، والحديث فى البخارى.
(٢) القفاز ما يجعل فى اليد فيستر الكفين والأصابع.
(٣) لا يتزوج والحديث رواه مسلم .
(٤) لا يزوج غيره بولاية أو وكالة .

الرفث المحرم بقوله تعالى : ﴿ **فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج** [1] ﴾ .

حكم من فعل محظورا

إذا كان المفعول من المحظورات تغطية رأس ، أو لبس مخيط ، أو حلق شعر ، أو مس طيب فإن على من فعل ذلك فدية صيام أو إطعام ، أو نسك (ذبح شاة) لقوله تعالى : ﴿ **فمن كان منكم مريضًا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام ، أو صدقة ، أونسك** ﴾[2] فالصيام : صيام ثلاثة أيام ، والصدقة : إطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (حفنتين) مما تيسر من القوت ، والنسك ذبح شاة . كما بين ذلك رسول الله ﷺ لكعب بن عجرة لما سأله قائلا: « لعلك آذاك هوام رأسك ؟» قال نعم يا رسول الله ، فقال : « أحلق رأسك ، وصم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين ، أو أنسك شاة ».

وإذا كان المحظور صيداً فعلى قاتله ، أو قتلته إن اشتركوا فى قتله جزاؤه بشروط يأتى بيانها.

وإذا كان المحظور جماعاً فإن الحج يفسد إذا وقع قبل الوقوف بعرفة ، وعليه الاستمرار فى حجه الفاسد حتى يتمه وعليه ذبح بدنة (بعير) وعليه الحج من قابل . وإن لم يجد البدنة صام عشرة أيام . وإن كان المحظور من مقدمات الجماع[3] كالقبلة والمباشرة فإن فى ذاك دمًا . وإن كان غير ما ذكر وذلك كعقد نكاح أو خطبته فإن على فاعله إثمًا فليستغفر الله منه وليتب ، ولا فدية عليه فى ذلك لعدم ثبوتها عن الرسول ﷺ أو عن أحد أصحابه رضى الله عنهم.

ما يجوز قتله من الحيوان للمحرم

يجوزللمحرم أن يقتل فى الحل أو فى الحرم : الكلب العقور ، والحدأة ، والحية ، والعقرب ، والفأرة وغيرها مما يؤذى لقوله ﷺ : « خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن فى الحرم : الغراب ، والحدأة ،والعقرب ، والفأرة ،والكلب العقور » . رواه أحمد وهو فى الصحيح بمعناه.

(١ ، ٢) البقرة .

(٣) اختلف فيمن أمنى بدون جماع ولكن بنظر أو لمس أو مباشرة فقيل يفسد حجه وقيل لا يفسد ولكن أجمعوا أن عليه بدنة ، ولا يضر الاحتلام سواء كان فى نوم ليل أو نهار .

شروط الجزاء فى الصيد

إن الآية التى حرمت قتل الصيد على المحرم اشتملت على شروط تعتبر لازمة فى الجزاء ، أما الآية فهى قوله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديًا بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياماً ، ليذوق وبال أمره** [1] ﴾ .

وأما الشروط التى اشتملت عليها فهى :

١ ــ المثلية ، فليراع فى الحيوان المقتول ما يماثله من النعم التى هى الإبل ، والبقر ، والغنم فمثل بقر الوحش البقر ، ومثل الغزال الغنم .

٢ ــ الحكمان [2] العدلان من المسلمين .

٣ ــ أن يكون الجزاء هديًا [3] يهدى إلى الحرم ليطعمه فقراء الحرم ومساكينه .

٤ ــ إن لم يوجد للحيوان مثل ، يقوم ويتصدق بقيمته طعاماً ، وإن تعذر وجود الطعام فليصم عن كل مد يومًا [4] .

بيان جزاء الصيد

١ ــ النعام وفيه بدنة (بعير) حكم به الصحابة رضى الله عنهم .

٢ ــ بقر الوحش ، وفيه بقرة حكم فيه عمر رضى الله عنه .

٣ ــ حمار الوحش ، وفيه بقرة حكم فيه عمر رضى الله عنه .

٤ ــ الضبع ، وفيه كبش حكم به الرسول ﷺ .

٥ ــ الأيل حيوان يشبه الغزال ؛ وفيه بقرة روى حكمه عن ابن عباس رضى الله عنه .

---

(١) المائدة .

(٢) اختلف هل يكفى فى الحكمين أن يكون القاتل للحيوان أحدهما ، أو لابد من آخر ، وظاهر الآية يدل على أنه لابد من آخر غير القاتل .

(٣) اختلف فى المكان الذى يقوم فيه الحيوان ، فقيل يقوم فى المكان الذى قتل فيه ، وقيل يقوم بمكة محل إطعامه الفقراء .

(٤) يجبر الكسر فإن بقى نصف مد أو ربع مد : صام عنه يوما ، لأن الصوم لا يجزأ .

٦ ــ التيتل : الوعل المسن وفيه بقرة .

٧ ــ الوعل : تيس الجبل وفيه بقرة .

٨ ــ الغزال : وفيه شاة لحديث جابر أن النبى ﷺ قال : « فى الظبى شاة » والظبى هو الغزال . رواه الدارقطنى ، وقضى به عمر رضى الله عنه كما فى الموطأ .

٩ ــ الأرنب : وفيه عناق (الأنثى من أولاد المعز) روى حكمه عن عمر رضى الله عنه .

١٠ ــ الوبر : دويبة سوداء لا ذنب لها تشبه الهرة وفيه جدى.

١١ ــ الظب : وفيه جدى حكم فيه عمر وزيد .

١٢ ــ الحمام : وفيه شاة حكم فيه الصحابة رضى الله عنهم.

١٣ ــ اليربوع : [1] وفيه جفرة حكم فيه ابن مسعود وعمر رضى الله عنهما.

حكم صغار الحيوان

اختلف فى صغار الحيوان كالجراد ، والذباب ، والنمل ، والبراغيث ، والقراد وما إلى ذلك فبعضهم قال فيها : حفنة من طعام إلا الجراد إذا تجاوز العشرة جرادات فيه القيمة ، وبعضهم يقول : لا شىء فيها إلا الجراد فيضمن بقيمته أما بيض الحيوان الكبير كالنعام والطير فيضمن بقيمة صغاره وكذا لبن ما فيه لبن يضمن بالقيمة أيضا .

(١) إن اشترك جملة فى قتل صيد فإن عليهم جميعًا مثله أو قيمته إن لم يكن له مثل وإن لم يوجد طعام صاموا عن كل مد يومًا .

لا يخلو التشريع الإلهى من حكمة مقصودة فيه

اعلم أخى المسلم أرشدنى الله وإياك أن جميع الأعمال التعبدية لا تخلو من حكم مقصودة للشارع فيها ، وأن هذه الحكم قد تكون فى بعض العبادات ظاهرة وقد تكون فى بعضها خفية غير ظاهرة ولا يسعنا عندئذ إلا أن نقول : أمرنا الشارع ولم نطلع على الحكمة فيجب التسليم له فى ذلك .

بيد أن عدم اطلاعنا على الحكمة لا ينفى وجودها ؛ لأن الشارع منزه عن اللعب والعبث: ﴿ **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين** ﴾ (١) .

ثم إن هناك حكمة عامة فى سائر التكاليف الشرعية وهى اختبار المكلفين بما يظهر مدى طاعتهم له تعالى ، ومقدار إذعانهم لأمره عز وجل ونهيه: ﴿ **الم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ (٢) .

ومع هذا الذى تقدم فإنى وضعت عقب كل منسك من مناسك الحج ما بدا لى أنه حكمة له ، وقد أخطئ ، فإن أصبت فمن الله والحمد لله ، وإن أخطأت فمن نفسى والشيطان وأستغفر الله لخطئى وقد أقول : حكمة كذا هى كذا . . أو الحكمة فى كذا . . . وأنا لا أريد الحصر أو القصر أبداً فإذا قلت حكمة كذا هى كذا . . . فليس معناه أن هذه العبادة لا حكمة لها إلا ما ذكرت فقد يكون للعبادة حكم أخرى لم ألهم معرفتها ، ولم أوفق للكشف عنها . وقد يكون ما جعلته حكمة غير حكمة ، لأن هذا مجرد اجتهاد فقط والمجتهد يصيب ويخطئ وحسبى من كل ذلك أنى مجتهد فى الموضوع . والمجتهد إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر . والمسؤول الله أن يقينا الزلل وأن يعصمنا من الخطأ والخطل .

حكمة تحريم الصيد على المحرم

إن الحكمة أو السر فى تحريم الصيد على المحرم ليلوح لدى الفكرة بوضوح وجلاء من قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب**

---

(١) الدخان .   (٢) العنكبوت .

أليم﴾ (١).

فقد علل تبارك وتعالى هذا التحريم بقوله: ﴿ **ليعلم الله من يخافه بالغيب**﴾ فظهرت الحكمة ، وانكشف السر ، وعلمنا أن المراد من التحريم هو اختبار مدى خشية المؤمن لربه ، وإظهار لمدى خوفه من الله عز وجل ، ومراقبته له ، وهذا يعد إعداداً للمؤمن وتهيئة له لأن يطيع ربه فى أوامره ونواهيه تلك الطاعة التى تتوقف عليها سعادته فى الدارين . فإن استطاع المؤمن أن يعرض له الصيد ، وهو محرم عروضاً مغرياً ، بحيث تناله يده ورمحه فيعرض عنه ولا يلتفت إليه خشية لربه واتقاء لغضب مولاه فإنه يستطيع بعد هذا أن يعرض عما هو أكبر. كزينة الدنيا وزخارف الحياة فلا الخمر تفتنه، ولا الميسر يستهويه ، ولا المال يطغيه ، ولا الزنى يرديه ، ما دام يخشى الله تعالى ويتقيه وبهذا لنا أن نقول: إن تحريم الصيد على المحرم يعتبر مدرسة لتنمية الخشية فى قلب المؤمن ، ولتخريج أولى العزائم القوية فى الحياة . هذا ومن المعروف أن الصيد فيه شيء من اللهو ، وأن الاشتغال به كثيراً ما يؤدى إلى الغفلة وأن اللهو والغفلة كلاهما لا يتفق مع ما تلبس به الحاج من عبادة الحج التى هى من أعظم العبادات وأجلها . وإن قيل : لو كان المقصود من تحريم الصيد هو اتقاء الغفلة واللهو المنسى لذكر الله تعالى . فلم حرم على المحرم أكل ما لم يصده ؟ قلنا له : إن ما صيد لأجله يعتبر صاده بالمشاركة ، وإن ما لم يصد لأجله لا مانع من أكله .

ومن أسرار تحريم الصيد على المحرم أيضا ، أن المحرم بمجرد ما قال : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك . لبيك . . . قد نبذ وراءه كل ما من شأنه الاشتغال بالذات ، وأقبل على روحه يزكيها بذكر الله تعالى ، ويطهرها بالتوجه والإقبال عليه ، فلم يبق له مع هذا مجال للهو والاشتغال بالصيد .

وقد يكون من أسرار تحريم الصيد أن المحرم ترق نفسه بذكر الله تعالى ويرهف إحساسه بالإقبال على مولاه إلى درجة لا يقوى معها على إيذاء الحيوان فضلاً عن قتله .

---

(١) المائدة .

كيفية الإحرام وأنواع النسك الثلاثة

المراد بكيفية الإحرام صفته وكيف يدخل الحاج أو المعتمر فيه . وأما أنواع النسك فإنه من المجمع عليه بين هذه الأمة سلفاً وخلفاً أن أنواع النسك ثلاثة وهى: الإفراد ، والقران ، والتمتع . ومن المعروف عن هذه الأمة الخلاف فى أى هذه الأنواع أفضل ؟ ومن المعروف عنها أيضا أن هذه الثلاثة لا خلاف فى جواز أى منها ، وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** [١] ﴾وقوله : ﴿ **فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما** [٢] ﴾ وقوله: ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** [٣] ﴾ دليل قطعى فى جواز الإحرام بأى واحد من هذه الأنواع الثلاثة ، وليس ثمت ما يلزم المسلم الإحرام بواحد منها بعينه . هذا إلى جانب الأحاديث الصحيحة الواردة فى هذا الموضوع فإنها لم تكن قطعية الدلالة فى إلزام المسلم الإحرام بواحد من أنواع النسك على الخصوص ، وهى أيضا ليست قطعية الدلالة فى أفضلية واحد منها على الآخر اللهم إلا بقيد زائد ، وإليك هذه الطائفة من الأحاديث .

١ ــ حديث عائشة رضى الله عنها عند البخارى ومسلم قالت :خرجنا مع رسول الله ﷺ فقال:« من أراد منكم أن يهل بحج وعمرة فليفعل ، ومن أراد أن يهل بعمرة فليهل » قالت : وأهل رسول الله ﷺ بالحج ، وأهل به أناس معه ، وأهل مع ناس بالعمرة والحج ، وأهل ناس بعمرة ، وكنت فيمن أهل بعمرة .

دلالته : جواز الإحرام بأحد أنواع النسك الثلاثة ، بلا ترجيح أحدها على الآخر .

٢ ــ حديث عمران بن حصين رضى الله عنه عند الشيخين ، قال : نزلت آية المتعة فى كتاب الله تعالى ، يريد قوله تعالى: ﴿ **فمن تمتع بالعمرة إلى الحج** ﴾ الآية ــ ففعلناها مع رسول الله ﷺ ، ولم ينزل قرآن يحرمه ، ولم ينه عنه حتى مات.

دلالته : جواز التمتع بالعمرة .

(١ ، ٢ ، ٣) البقرة .

٣ ـ حديث عبد الله بن شقيق عند أحمد ومسلم : أن عليًا كان يأمر بالعمرة، وعثمان ينهى عنها ، فقال عثمان [1] (كلمة) فقال علي: لقد علمت أنا تمتعنا مع رسول الله ﷺ فقال عثمان : أجل ! ولكنا كنا خائفين .

دلالته : جواز المتعة ، والإشارة إلى أن بين الصحابة رضى الله عنهم خلافاً فى جواز المتعة ، وعدم جوازها ، والصحيح جوازها ، وليس فى الحديث ترجيح لأحد أنواع النسك على الآخر .

٤ ـ حديث مروان بن الحكم عند البخارى والنسائى قال : شهدت عثمان وعلياً وعثمان ينهى عن المتعة ، وأن يجمع بينهما ، فلما رأى على ذلك أهل بهما: لبيك بعمرة وحجة ، وقال : ما كنت لأدع سنة رسول الله ﷺ بقول أحد.

دلالته : جواز المتعة والقران ، والإشارة إلى الخلاف فى جوازها وعدمه بين الصحابة رضى الله عنهم .

٥ ـ حديث أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها عند الجماعة ، إلا الترمذى. قالت : قلت للنبى ﷺ ما شأن الناس حلوا ولم تحل من عمرتك ؟ قال: « إنى قلدت هديى ولبدت رأسى ، فلا أحل حتى أحل من الحج » .

دلالته : جواز فسخ الحج إلى العمرة ، وكراهة ذلك لمن ساق الهدى.

٦ ـ حديث القاسم عن عائشة رضى الله عنها عند الجماعة إلا البخارى أن النبى ﷺ أفرد بالحج .

دلالته : جواز الإفراد .

٧ ـ حديث نافع عن ابن عمر رضى الله عنه ، عند أحمد ومسلم . وهو يدل على ما دل عليه حديث القاسم فى جواز الإفراد .

٨ ـ حديث أنس رضى الله عنه ، عند البخارى ومسلم قال : سمعت رسول الله ﷺ يلبى بالحج والعمرة جميعًا، يقول : « لبيك عمرة وحجًا» .

دلالته : جواز القران ؛ ويجمع بين هذا الحديث ، وحديث إفراد الرسول ﷺ بالحج : أنه أفرد بالحج فلبى به ، ثم ما لبث أن أدخل عليه العمرة ، فلبى

---

(١) يروى أن عثمان رجع أخيراً عن نهيه عن التمتع .

بهما معاً، وصار قارناً عند ذلك .

٩ ــ حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عند البخارى وأحمد قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول بوادى العقيق ، يقول: « أتانى الليلة آت من ربى فقال : صل فى الوادى المبارك ، ثم قل : عمرة فى حج » وفى رواية . وقل : «عمرة فى حجة».

دلالته : جواز القران . وأن وادى العقيق مبارك .

١٠ ــ حديث جابر رضى الله عنه ، عند الشيخين . قال : أقبلنا مهلين مع رسول الله ﷺ بحج مفرد ، وأقبلت عائشة بعمرة حتى إذا كنا بسرف [١] عركت[٢] ، حتى إذا قدمنا مكة طفنا بالكعبة ، والصفا والمروة [٣] فأمرنا رسول الله ﷺ : أن يحل منا من لم يكن معه هدى قال ، فقلنا : حل ماذا ؟ قال، الحل كله ، فواقعنا النساء، وتطيبنا بالطيب ، ولبسنا ثيابنا ، وليس بيننا وبين عرفة إلا أربع ليال ، ثم أهللنا يوم التروية ثم دخل رسول الله ﷺ على عائشة ، فوجدها تبكى فقال : ما شأنك ؟ قالت : شأنى أنى قد حضت ، وقد حل الناس، ولم أحلل ، ولم أطف بالبيت ، والناس يذهبون إلى الحج الآن . فقال: «إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فاغتسلى ، ثم أهلى بالحج » ففعلت ، ثم وقفت المواقف حتى إذا ما طهرت ، طافت بالكعبة وبالصفا والمروة ثم قال: «قد حللت من حجتك وعمرتك جميعاً» ، فقالت : يا رسول الله إنى أجد فى نفسى أنى لم أطف بالبيت حتى حججت . قال: « فاذهب بها يا عبد الرحمن فأعمرها من التنعيم » وذلك ليلة الحصبة [٤] .

دلالته : جواز الإفراد ، والتمتع وفسخ الحج بعمرة لمن لم يسق الهدى . وبيان حكم من حاضت فى الحج ووجوب الجمع بين الحل والحرم لمن أراد أن يعتمر وهو بمكة . وقد يدل الحديث على استحباب فسخ الحج إلى عمرة لمن لم يسق الهدى.

---

(١) مكان بين مكة والمدينة .　　(٢) عركت حاضت .

(٣) فيه جواز تسمية السعى طوفا كما فى آية : ﴿ **فلا جناح عليه أن يطوف بهما** ﴾ .

(٤) المحصب : وهو حيف معروف نزله الرسول ، ﷺ عند نزوله من منى ، فبات به إلى آخر الليل ، دخل مكة فطاف طواف الوداع .

١١ ــ حديث سراقــة، عند أحمد قــال : سمعت رسـول الله ﷺ يقـول: « دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة » قال : وقرن رسول الله ﷺ فى حجة الوداع .

دلالته : جواز القران .

١٢ ــ حديث أنس رضى الله عنه ، عند أحمد قال . خرجنا نصرخ بالحج ، فلما قدمنا مكة أمرنا رسول الله ﷺ أن نجعلها عمرة ، وقال : « لو استقبلت من أمــرى ما استدبــرت لجعلـتها عمــرة ، ولكن سـقـت الـهدى وقرنت بـين الحج والعمرة » .

دلالته : جواز فسخ الحـج إلى العمرة لمن يـسق الهدى ويقرن ، ثـم فى تمنى الرسول ﷺ التمتع بالعـمرة دلالة على استحباب التمتـع إن لم يكن هذا منه ﷺ تأكيداً فى شأن جواز التمتع الذى قد يراه البعض غير جائز ، أو مستحسن كما كان يراه عثمان وغيره من الصحابة رضى الله عنهم .

وخلاصة القول فى الموضوع : أن الخلاف فى تـفضيل أحد أنواع النسك عن الآخر خلاف قديم ، وأن كل من رجح من الأئمة رحمهم الله تعالى أفضلية نسك أول ما استـدل به غيره على أفـضلية ما رآه الأفـضل ، وأنه لا خلاف بينـهم فى جواز الإحرام بأى مـنها ، وأنه يجوز فسـخ الحج إلى عمرة ، كمـا يجوز إدخال العمرة على الحج فيصير قارنًا ، ويجـوز إدخال الحج على العمرة إن لم يشرع فى الطواف لها على خلاف فى ذلك .

غير أن أقوى الأدلة تدل على أفضلية الـتمتع ، وهو أن يحرم بعمرة حتى إذا فرغ منهــا ، حل وتمتع بما كان مـحظوراً عليه بـالإحرام إلى يوم الترويـة ، فيحرم بالحج ويخرج له كما فعل أصحاب رسول الله ﷺ .

هذا وقد أجمع الأئمة رحمهم الله تعالـى على أن من كان يسافر سفرة للعمرة وللحج سـفرة أخرى أن الإفراد له أفضل . حـكى ذلك عنهم شـيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

كيفية الإهلال بالنسك

الإهلال : رفع الصوت بالتلبية المقارنة لنية النسك . وكيفية الإهلال أو الإحرام هى: أن يقلم من أراد الإحرام أظافره ، ويقص شاربه ، ويحلق عانته، وينتف إبطيه، ثم يغتسل ويلبس إزاراً ورداء أبيضين نظيفين ،ويلبس نعلين ويمس من الطيب ما تيسر له ، ولما يصل الميقات يصلى ركعتين بنية سنة الإحرام إن كان فى وقت تحل فيه النافلة ، ثم إن شاء أهل إثر الصلاة وإن شاء ترك ذلك حتى يركب راحتله ثم يهل قائلاً إن كان مفرداً بالحج: لبيك اللهم لبيك حجًا ، أو بالحج . وإن كان متمتعاً بالعمرة قال . لبيك اللهم لبيك عمرة أو بالعمرة . وإن كان قارنا قال . لبيك اللهم لبيك حجا وعمرة أو بالحج والعمرة . وإن شاء اشترط على ربه فيقول عند إحرامه . اللهم محلى من الأرض حيث تحبسنى ؛ فإنه إن حصل له ما يمنع مواصلة الحج من مرض أو غيره تحلل من إحرامه ولا شىء عليه . وأصل هذا أن ضباعة بنت الزبير رضى الله عنهما كانت شاكية فأتت النبى ﷺ فذكرت له ذلك فقال لها :« اشترطى على ربك ، فقالت كيف أقول ؟ قال قولى : لبيك اللهم لبيك محلى من الأرض حيث تحبسنى ، فإن لك على ربك ما اشترطت (١) ».

ثم يواصل التلبية رافعاً بها صوته فى غير إجهاد ــ إلا أن تكون امرأة فالسنة فى حقها الإسرار ، ولا بأس أن تسمع جارتها الراكبة إلى جنبها ــ قائلاً : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. وهذه هى تلبية الرسول ﷺ وهى أفضل من غيرها ، وإن زاد لبيك ذا المعارج ، أو لبيك وسعديك من الألفاظ المأثورة عن السلف فلا حرج . ويستحب له أن يدعو ويصلى على النبى ﷺ كلما فرغ من التلبية ، فقد كان النبى ﷺ إذا فرغ من تلبيته سأل الله رضوانه والجنة ، واستعاذ به من النار . ويستحب له أن يجدد التلبية كلما تجددت حال ، كعند الركوب أو النزول أو إقامة الصلاة ، أو ملاقاة الرفاق ، فقد صح عنه قوله ﷺ :«من لبى حتى تغرب الشمس فقد أمسى مغفوراً له» (٢) وينبغى له أن يكف لسانه عن غير ذكر الله عز وجل فقد كان بعض

---

(١) متفق عليه .

(٢) أورده شيخ الإسلام ابن تيمية فى منسكه .

السلف إذا أحرم أحـدهم يكون كالحية الصـماء اتقاء أن يقع فى مكـروه سيما وقد قال تعالى : ﴿**فلا رفث ولا فسـوق ولا جدال فى الحج**﴾ وأكبر وسيلة إلى تجنب هذه المحـرمات المفـسدات لهـذه العبـادة من الرفـث والفسـوق والجدال الصـمت والاشتغال بـذكر الله عز وجل والتـفكر فى آيات الله الـكونية الدالة علـى كماله وعظيم سلطانه.

ويحـسن به أن يـكثر فـى طريقـه من البـر والإحسان رجـاء أن يكون حـجه مبروراً، فليحسن إلى المحتاجين ، وليبتسم هاشاً باشاً فى وجه الرفاق ، وليلن لهم كلامه ، ويبذل لهم سلامه وطعامه .

ويستحب له إذا وصل إلى مكة أن يغتسل استعداداً لدخلوها فقد كان الرسول ﷺ يغتسل بذى طوى عند دخوله إلى مكة كرمها الله وكرم من كرمها آمين .

حكمـة الإحـرام وأسـراره

لقد ثبت بالحس والمـشاهدة أن الأجسام الخفيفة هى التى تـعلو وترتفع ، وأن الأجسام الثـقيلة هى التـى تسف وتسفل ، والأرواح عـلوية الطبع فـهى تحن إلى العلو وتتوق له بفطرتها ، وترغب فيه بطبعها .

وإن مما يساعد النفـس على الوصول إلى غايتها المنشودة لهـا وهى العلو دائما أفعال البـر والطاعة والخير والإحـسان . كما أن مما يعوقـها ويحول بينـها وبين ما تشتهى من الـعلو والكمال الذنوب والجرائم والمفاسـد والشرور والآثام . وقد مد المولى الكريم سبحانه وتعالى يده إلى هذه النـفس التواقة إلى العلى الشغوفة بحب الكمال إذ دعاهـا إلى جنابـه فقـال : ﴿ **ففروا إلى الله** ﴾ وفتـح لهـا بابـه فـقال : ﴿ **ولله عـلى الناس حج الـبيت من اسـتطاع إليه سـبيلاً** ﴾ وما أحوج النـفس فى رحلتها الروحية إلى الزاد والتخفيف وهى فقيرة ببعدها عن مولاها ، ثقيلة بركونها إلى دنياها !

لكن من وضع لها مـوائد بره ، ودعاها إلى رحاب أنسه لم يكن أبـداً لينساها فقد أعطاها من خير زاد الورى لما قال : ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** (١) ﴾ وساعدها على التخفيف لما أمرها بالتجرد من المخيط والمحيط ، والذنوب والآثام ، وبهذا تجلـت الحكمة فى الإحرام ، وعرفنـا السر فى التجرد مـن الآثام فإن الحاج وافد على الله تعالى فكان عليه أن يخـتار أجمل حلة يلقى بها مولاه ، وليس فى الدنيا جمـيل يحبه الله ويرضاه سوى طـاعته وتقواه وأن ينتقى أحـسن صورة يفد فيـها علـى الله ، ولـيس ثمـت ما هو خيـر من صورة تـنبئ بـالافتقـار ، والذل والانكسـار . فليفـد إذاً الوافدون علـى الله ، وهم أشـبه بالحفـاة العراة وليـكن الشعث شعارهم ، وناسى الذات دثارهم، وتطهيـر الروح بالتلبية والتضرع بالدعاء مرامهم ، فـإنهم بذلك واصلـون ، وعلى رضى مولاهم حـائزون وتلك بغيـتهم وبغيتـنا فى الحياة فاللهـم قربنا منك ولا تبعـدنا وصلنا ولا تقطعـنا وارض عنا ولا تغضب علينا .

---

(١) البقرة .

مكة المكرمة وحدود حرمها

مكـــة:

ما أشرف مكة وما أقدسها ! وما أعظم أم القرى وما أفضلها مكة وما مكة ؟ مكة بلد ولكن سما فوق البلاد وشرف على الأرض رباها والوهاد ؛ لأنه بلد حوى بيت الله وأحاطه حرم الله فكان بذلك خير الأرض وأحبه إلى الله ومصداق ذلك قول رسول الله ﷺ : « قد علمت أنك خير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ولولا أن أهلك قد أخرجونى ما خرجت » .

مكة البلد الذى ما زال منذ وطئته قدم الخليل وراح وغدا فوق تربته إسماعيل ما زال مثابة للناس وأمناً وملجأً للخائفين وحصنًا .

تزداد عظمته على الأيام وتعظم قدسيته على مر السنين والأعوام دخله الرسول ﷺ يوم أن فتحه الله له فأعلن فيه : «أن هذا البلد بلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة» .

وماذا أريد لك ــ أخى المسلم ــ بهذا ؟ أريد لك أن يعظم إكبارك لهذا البلد الذى أكبره الله ، وأن يزداد احترامك لمكة التى حرمها الله ، فتدخلها متطامناً خاشعاً لله وتخرج منها شاكراً لله ، وذلك أقل ما يجب عليك فى بلد الله .

حدود الحرم :

ما من شك أن لكل حمى حدوداً تحده ، وعلامات تفصله عن غيره ومن هنا كان حمى الله أحق بذلك وأولى ، فقد روى أن جبريل أخذ بيد إبراهيم عليهما السلام وأوقفه على حدود الحرم فنصب عليها الخليل علامات تعرف بها فكان إبراهيم عليه السلام أول من وضع علامات حدود الحرم ثم جدد عهدها قصى من العرب ، ثم قريش على عهد الرسول ﷺ ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم كلما تصدعت رممها خلفاء الإسلام ، وكان آخرهم عهداً بإصلاحها الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود غفر الله له ورحمه .

أما بيان هذه الحدود مع مسافاتها فهو كما يلى :

١ ــ شمالاً من جهة المدينة بالمكان المسمى بالتنعيم ، أو مساجد عائشة رضى الله عنها . والمسافة بينه وبين المسجد الحرام تقدر بنحو أربعة أميال.

٢ ـ غربًا : من جهة جدة عند المكان المسمى بالحديبية ، والمسافة بينه وبين المسجد تقدر بنحو عشرة أميال .

٣ ـ شرقاً : من جهة نجد عند المكان المسمى بجعرانة والمسافة بينه وبين المسجد تقدر بنحو ثمانية أميال .

٤ ـ جنوباً : من جهة عرفة عند نمرة والمسافة بينه وبين المسجد تقدر بنحوثلاثة عشر ميلاً .

آداب دخول مكة والمسجد الحرام

من الآداب التى تتطلبها حرمة مكة وقدسيتها أن يغتسل الداخل إليها على جهة الاستحباب ، فقد كان رسول الله ﷺ يغتسل بذى طوى لدخولها ، وأن يدخلها من أعلاها عن طريق المعلاة ، وأن يخرج إذا خرج منها من أسفلها عن نهج الشبيكة .

أما المسجد الحرام فيستحب أن يدخله من باب بنى شيبة والمعروف الآن بباب السلام، وأن يقول عند الدخول : بسم الله ، وبالله ، ومن الله وإلى الله اللهم افتح لى أبواب فضلك ، وإذا رأى البيت رفع يديه ويقول : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام حينا ربنا بالسلام . اللهم زد هذا البيت تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا ومهابة وبرًا ، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفاً وتعظيماً ، وتكريماً ومهابة وبراً.

الحمد لله رب العالمين كثيراً كما هو أهله ، وكما ينبغى لكمال وجهه ، وعز جلاله ، والحمد لله الذى بلغنى بيته، ورآنى لذلك أهلا ، والحمد لله على كل حال اللهم إنك دعوت إلى حج بيتك الحرام ، وقد جئتك لذلك . اللهم تقبل منى ، واعف عنى واصلح لى شأنى كله ، لا إله إلا أنت .

البيت الحرام وتاريخ بنائه

لا شك أن تاريخ البيت الحرام من أعمق التاريخ وأطوله فقد قال تعالى: ﴿**إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين**﴾ آل عمران .

ففى هذه الآية كما فى قوله تعالى: ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت** ﴾ ما يرشد إلى أن هذا البيت العتيق من أقدم البيوت وأعرقها فى المجد والشرف .

وقد اختلف فى أول من بنى البيت فقيل : إن أول من بناه الملائكة بأمر الله تعالى، ثم آدم عليه السلام ، ثم أولاده حتى حجه نوح عليه السلام ، ثم بناه إبراهيم الخليل حيث أرشده الله تعالى إلى مكانه ، ثم العمالقة ، ثم قبيلة جرهم، ثم قصى بن كلاب ، ثم قريش على عهد الرسول ﷺ، ثم عبد الله بن الزبير رضى الله عنه سنة ٦٥ هـ ثم الحجاج بن يوسف سنة ٧٤ هـ ثم الخليفة

العثمانى السلطان مراد خان سنة ١٠٤٠ هـ .

هذا عدا الترميمات التى يقوم بها الخلفاء المسلمون من الوقت إلى الوقت ، وكان آخرها ما قام به الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٧٧هـ .

ومما ينبغى أن يلاحظ فى تاريخ بناء البيت ، أنه لا يوجد نص قطعى يشهد لبناء البيت قبل إبراهيم عليه السلام ، بل ظاهر الآيات القرآنية يدل على أن أول بنائه كان على يد الخليل وولده إسماعيل .

غير أنه لولا الرغبة فى معرفة الحقيقة لما كان يهمنا البحث فى هذا بالكلية لعلمنا أن البيت لم يشرف بقدم عهده ، وطول بقائه وإنما شرف بنسبته إلى الله تعالى،وبوضعه رمزاً لتوحيد الله ، ومنار هداية للعالمين ، وقبلة لعامة المسلمين .

شرف البيت الحرام

لقد قالوا إن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، وإذا كان هذا صحيحاً فإن لهذا البيت الأسماء العديدة والنعوت الكثيرة فهو بيت الله ، والبيت العتيق ، والبيت الحرام ، والكعبة ، والقبلة ، والبيت ودعامة الإسلام.

ولكن هذا مهما كان فإنه لا أدل على شرف البيت من قوله تعالى : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنا، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ (١) . ومن قوله عز وجل :﴿**جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس** ﴾ (٢) ومن قول الرسول ﷺ : « إن هذا البيت دعامة الإسلام ، ومن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونًا على الله عز وجل إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده أن يرده بأجر وغنيمة (٣) ». ومن قوله ﷺ : « إن لله فى كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على أهل هذا البيت فستون للطائفين ، وأربعون للمصلين ، وعشرون للناظرين (٤) » ومن قوله ﷺ لما نظر إلى الكعبة : « لا إله إلا الله ما أطيبك ! وأطيب ريحك ! وأعظم حرمتك ! والمؤمن أعظم حرمة منك، إن الله جعلك حراماً ، وحرم من المؤمن ماله ودمه وعرضه ، وأن يظن به ظنا سيئا » .

---

(١) آل عمران .

(٢) المائدة .

(٣) الطبرانى وفى سندة متروك .

(٤) البيهقى بسند حسن.

مكانة الحجر الأسود والركن اليمانى

ومن أشرف أجزاء البيت الحجر الأسود والركن اليمانى ، ولذا شرع تقبيل الأول واستلام الثانى، وقد قيل أن شرفهما كان لوضعهما على قواعد إبراهيم عليه السلام بخلاف الركنين الشاميين فلم يكونا على قواعده عليه السلام وذلك أن قريشا لما بنت الكعبة غيرت وضعها فأخرجت منها ستة أذرع ، وكان ذلك لعجزها عن النفقة الكافية لإتمام البيت على وضعه الأول ، وسبب العجز : أنها لم تشأ أن تنفق على البيت إلا المال الحلال، والمال الحلال قليل وجوده عندها ، فاقتصرت على بناء الموجود وتركت ستة أذرع إلى الحجر شمالاً،فكان ذلك الركنان الشاميان غير موضوعين على قواعد إبراهيم عليه السلام ، فلم يستحب استلامهما.

وللحجر الأسود بالخصوص مكانة فى نفوس المؤمنين ، ومنزلة سامية عند جميع المسلمين ، فهم يرون فى شرفه وعلو مكانته من الأخبار والآثار ما يزيد هذا الحجر المقدس جلالاً ومهابة ، وشرفاً وتعظيماً ومن ذلك قوله ﷺ : « الحجر الأسود يمين الله فى الأرض [١] ». وقوله : « إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ، ولولا أن طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب [٢] » وقوله : « يأتى هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق [٣] ». وقوله : « نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بنى آدم[٤] ».

ويكفى هذا الحجر شرفًا تقبيل سيد ولد آدم ﷺ له ، وقوله : « أكثروا استلام هذا الحجر فإنكم توشكون أن تفقدوه، بينما الناس يطوفون به ذات ليلة إذا أصبحوا وقد فقدوه ، إن الله لا يترك شيئًا من الجنة فى الأرض إلا أعاده فيها قبل يوم القيامة » [٥] .

وليس الركن اليمانى بأهون شأنًا أو أقل قيمة من شقيقه الحجر الأسود فإن لكل منهما فضائل ، ولكل منهما ميزات وخصائص ، فقد كان الرسول ﷺ يكثر

(١) الطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه .
(٢) الترمذى وابن حبان والحاكم .
(٣) الترمذى وحسنه .
(٤) الترمذى وصححه .
(٥) رواه الأزرقى فى التاريخ .

استلام الركن اليمانى ، وقيل له فى ذلك فقال : « ما أتيت عليه قط إلا جبريل عليه السلام قائم عنده يستغفر لمن استلمه [1] »وأثر عن أبى هريرة رضى الله عنه (أنه وكل بالركن اليمانى سبعون ملكًا فمن قال : اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ، اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، قالوا : آمين). ومما يزيد هذا الركن تقديراً فى نفوس المؤمنين ما روى أنه من وضع يده على الركن – اليمانى – ثم دعا استجيب له .

شرف الملتزم والحطيم

أليس الملتزم محاذيًا للبيت وجزءاً ملتصقاً به ؟ فلم لا يكون إذاً : شريفاً وذا قدس وجلال ؟

إن الملتزم هو ذلك المكان الذى بين باب البيت والحجر الأسود ، والذى قال فيه الرسول ﷺ :« الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء، وما دعا عبد الله تعالى فيه إلا استجاب له ، ولذا كان هذا المكان المقدس موضع تعلق وفود الله تعالى فهناك يلصقون أيديهم وصدورهم بجدار البيت باكين خاشعين ، مبتهلين متضرعين يسألون الله رضوانه والجنة ، ويستعيذون من سخطه والنار.

سبحان الله ما أطيب هناك البكاء ! وما أروح على النفس الزفرات وما أبرد على القلب العبرات .

وسبحان الله ما أطيب لثم الحجر ، وما ألذ عنده ذرف العبر ! وسبحان الله ما أسعد عبداً وضع على الحجر شفتيه، ولمسه براحته وكفيه ، وأذرف دموعه على وجنتيه !

وسبحان الله ما أروع هذا الخبر وما أعذب هذا الأثر فقد روى عن الفاروق عمر أن النبى ﷺ استقبل الحجر ووضع شفتيه عليه يبكى طويلاً ، ثم التفت فإذا عمر بن الخطاب يبكى فقال : يا عمر هاهنا تسكب العبرات.

أما الحطيم : وهو بساط النور المثلث والساحة العظمى وقطعة الأرض المثلى هو ذلك المكان المحصور [2] بين مصاعد الأنوار . ركن الحجر ، وزمزم ، والمقام

---

(١) رواه الأزرقى عن عطاء مرفوعاً .

(٢) وقيل أن الحطيم : حجر إسماعيل وذلك لكون البيت رفع بناؤه وهو بقى محطوماً.

وإن مما يدل على شرف الحطيم ، وينبىء عن قدسيته وسمو مكانته ما روى عن الرسول ﷺ لما سأل عائشة قائلا: « أى البقاع خير؟ » فقالت: الله ورسوله أعلم ثم استدركت قائلة : يارسول الله كأنك تريد بين الركن والمقام ؟ قال : « صدقت إن خير البقاع وأطهرها وأزكاها وأقربها من الله ما بين الركن والمقام وإن فيما بين الركن والمقام روضة من رياض الجنة ، فمن صلى فيها أربع ركعات نودى من بطنان العرش : أيها العبد غفر لك ما قد سلف منك فاستأنف العمل [1]».

قدسية المقام وحجر إسماعيل

إذا كان المقام هو ذاك الحجر ، الذى كان الخليل يعلوه عند بنائه البيت كلما ارتفع جدار الكعبة . ولم يتمكن من وضع الحجارة على الجدار لارتفاعه حتى إذا تم البناء تركه مكانه إلى جانب آخر جدار تم بناؤه من جدران الكعبة المشرفة ، فهو إذ يعتبر كأكبر مساهم فى بناء البيت الحرام ، وإذا كان الحجر الأسود يكرم لأنه الحجر الأساسى لوضع البيت فإن المقام ينبغى أن يكرم لأنه حجر تدشين البيت .

وما يدرينا أنا أمرنا بالصلاة خلفه حفظاً لمزيته ، وإبقاء على شرفه فإن البقاع تشرف بحسب العبادة التى تقع فيها . فقد قدم هذا الحجر أكبر خدمة لبناء بيت الله، وأعظم مساعدة لنبى الله فاستحق أن يصلى خلفه ليتشرف بأعظم عبادة لله. قال تعالى : ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ البقرة .

حقًا لقد اعترف الإسلام بمزية المقام ليرمز بذلك إلى أن مكافأة العاملين المحسنين ، وإبرار الصالحين الصادقين من مبادئ هذا الدين .

هذا وإن مما زاد المقام شرفاً تطامنه من خشية الله فلقد ساخت فيه قدما إبراهيم فكان بذلك آية صدق نبوة إبراهيم ، وعلامة واضحة على ألوهية رب العالمين . فسبحان من تهبط الحجارة من خشيته ، وتلين الصم الجلاميد من هيبته.

ليس بدعًا أن نقول : إن أثر قدمى إبراهيم ما زال على المقام إلى اليوم ، وقديما قال أبو طالب فى لاميته:

وموطئ إبراهيم فى الصخر رطبة ... على قدميه حافيًا غير ناعل

(١) رواه الأزرقى عن الفاكهانى .

وما يحمل على الإنكار ، وقد قال تعالى فى محكم كتابه: ﴿ **وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وإن منها لما يهبط من خشية الله** ﴾ البقرة .

وقال : ﴿ **لوأنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعًا من خشية الله**﴾ الحشر .

وقد صح أن أحداً اضطرب تحت قدمى الرسول ﷺ فقال له: «اسكن يا جبل فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان » ومما يجدر أن نلاحظه هنا أن صلاتنا خلف المقام أشبه بسجود الملائكة لآدم عليه السلام ، الطاعة لله وحصول شرف وتكريم لآدم والمقام حيث وقعت دونهما عبادة الله ، فزادهما الله بذلك تشريفاً وتكريمًا . ومهابة وتعظيمًا .

حجر إسماعيل :

أما حجر إسماعيل فقد اكتسب الشرف من نواح عديدة فمنها :ملاصقته للبيت ومحازاته لها، ومنها: أن نحواً من ستة أذرع من أصل البيت هى الآن داخلة فيه ومن مساحته . فقد قال الرسول ﷺ لعائشة « لولا أن قومك حديثو عهد بشرك ، لهدمت الكعبة فالزقتها بالأرض وجعلت لها باباً شرقياً ، وباباً غربيًا. وزدت فيه ستة أذرع من الحجر ؛ فإن قريشاً نقصتها حين بنت الكعبة ». فى الصحيح .

وللحجر فضائل وميزات غير ما ذكر . فقد روى عنه ﷺ : « من قام تحت الميزاب فدعا استجيب له ، وأن على باب الحجر ملكاً يقول لمن دخل فصلى ركعتين : مغفوراً لك ما مضى ». رواه الأزرقى عن عطاء .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الطواف داخل الحجر لا يصح ، بل من ورائه لأن ستة أذرع منه هى من أصل البيت ، والطواف داخل البيت لا يصح كما أن الصلاة المكتوبة داخل الحجر لا تصح كالصلاة داخل البيت للعلة السابقة ، وهى أن ستة أذرع من البيت فى الحجر الآن . أما النافلة فجائزة فى كليهما بل مستحبة.

وكلمة أخيرة :

أيها الغافلون أمثالى : أرأيتم كيف تقدست الحجارة ، وشرفت الأتربة وعلا

شأن البقاع ؟ وهل عرفتم بماذا كان قدسهما وحصل شرفهما ، وعز شأنهما؟ طبعًا ستقولون لا لأنكم غافلون ولو زالت غفلتكم لعرفتم أن ذلك ما كان إلا بنسبتها إلى الله فهى إما بيته أو حرمه أو مقام لان من خشيته ، أو مكان دفن فيه أنبياؤه، أو ساحة أظهرت فيها طاعته . ولو زالت غفلتكم أيضا لعرفتم أنكم بعبادتكم لله وبخشوعكم له ، وبطاعتكم وطهارة نفوسكم ، وبإخلاصكم وكمال توحيدكم أشد قدساً من مكة ، وأعظم حرمة من البيت ، وأسمى شرفاً من المقام وأعلى مكانة من الحطيم ، وزمزم ، وحجر إسماعيل ، وإن كنتم فى شك من ذلك فأعيدوا معى سرد هذا الحديث الصحيح :

روى عن ابن عباس رضى الله عنه :(أن النبى ﷺ لما نظر إلى الكعبة قال لا إله إلا الله ما أطيبك وأطيب ريحك ، وأعظم حرمتك ! والمؤمن أعظم حرمة منك ، إن الله جعلك حراماً ، وحرم من المؤمن دمه وماله وعرضه ، وأن يظن به ظناً سيئاً) تقدم.

فضل المسجد الحرام وزمزم

يكفى المسجد الحرام شرفاً أن كان هالة تحوط بيت الله ، دائرة مجد تقع فيها كعبة الشرف ، وأن يكون فلكاً تدور فيه الكمالات ، وأن يكون مهبطاً لنزول الرحمات والبركات.

ومما يزيده شرف قدر ، وسمو مكانة أن تكون الصلاة فيه تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه ، كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ ، وأن يكون أعظم المساجد الثلاثة وأجلها وأن يقول فيه الله : ﴿ **إن الذين كفروا ويصدون عن سبل الله والمسجد** (١) **الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾ .

فقد أظهرت هذه الآية القرآنية الكريمة قدسيته ، وسجلت حرمته ، وجعلته مأمنًا للخائفين ؛ وبيتًا مشاعًا للمسلمين والمؤمنين .

أما زمزم : فهو آية الله الدالة على توحيده فقد كان نبعه بهمزة جبريل كرامة لأم إسماعيل فشرفه ظاهر فى خلوده وطول بقائه وفى كونه سقيا إسماعيل وعمارة المسجد الحرام وشرب الطائفين والعاكفين . وليس أدل على فضله من أن يختار ماؤه لغسل قلب سيد المرسلين (٢) فإنه لو كان هناك ماء فى الأرض أطهر أو أصلح وأطيب لغسل به قلب المصطفى ليحصل به الطهر المرجو والصفاء، ولكن وقوع الاختيار على زمزم دل على ما لهذا الماء من مزية وما له من خاصة فى تطهير القلوب ، وتقوية الأرواح ، فبتلك الغسلة الخاصة والتنظيفة المتعمدة أصبح قلب الرسول ﷺ وروحه مستعداً للاتصال بالملكوت الأعلى ولمشاهدة أنوار الله التى اندكت لها الجبال ، فقد شاهد ﷺ فى تلك الرحلة السماوية من عجائب المخلوقات ، وعظيم الكائنات ما لا يقوى على رؤيته، ولا يقدر على مشاهدته إلا من كان من عالم الأرواح . قال تعالى: ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة**

---

(١) اختلف فى : هل المسجد الحرام هو الحرم كله ، أو هو المسجد الذى تقع فيه صلاة الجماعة ويحرم على الجنب أن يمكث فيه فقط ؟ ولكل قائل أدلة غير أن الراجح يكون المراد بالمسجد الحرام هو المسجد الذى تقع فيه صلاة الجماعة . يحيط بالكعبة دون ما سواه من أراضى مكة من الحرم والله أعلم .

(٢) قضية غسل قلب الرسول ﷺ بماء زمزم رواه البخارى .

المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ النجم.

ألم يكن السبب المباشر فى قوة قلب محمد ﷺ وروحه تلك الغسلة من ماء زمزم المبارك ؟ بلى . فزمزم إذاً إحدى آيات الله التى تطهر القلوب وتزكى الأرواح وإن زمزم هو كما قال فيه رسول الله ﷺ :« زمزم شفاء ، زمزم لما شرب له[1] » إن شربته تستشفى به شفاك الله ، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله ، وإذا شربته لشبعك أشبعك الله . ورضى الله تعالى عن ابن عباس فقد كان إذا شربه يقول :(اللهم إنى أسألك علمًا نافعاً ، ورزقاً واسعًا ، وشفاء من كل داء) إيمانا منه بقول الرسول ﷺ « زمزم لما شرب له » .

---

(١) الدارقطنى والحاكم .

الركن الثانى من أركان الحج والعمرة

الطواف بالبيت

الطواف بالبيت : هو أحد أركان الحج والعمرة وفى الحج ثلاثة أطوفة .

الأول : طواف القدوم وهو واجب عند المالكية ، وسنة عند باقى الأئمة .

والثانى : طواف الإفاضة وهو ركن بالإجماع بحيث لو سقط لبطل الحج بسقوطه ، ويقع بعد الإفاضة من عرفات ومزدلفة ولذا يسمى بطواف الإفاضة كما يسمى أيضا طواف الزيارة.

والثالث : طواف الوداع وهو سنة عند المالكية وواجب عند الجمهور غير أن من تركه لعذر لم يجب عليه فيه دم حيث أن الرسول ﷺ رخص للحائض فى السفر من مكة بدون طواف للوداع [1] ولم يأمرها بدم لما قام بها من علة منعتها من الطواف .

أما العمرة : فلها طوافان لا غير : طواف القدوم وهو ركن من أركانها ، والثانى طواف الوداع وهو سنة لا واجب .

هذا وللطواف شروط وسنن وآداب تجب معرفتها ؛ وإليك هى مفصلة واحدة بعد أخرى .

شروط الطواف :

١ ــ نية الطواف عند الشروع فيه لقوله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات » . البخارى.

٢ ــ الطهارة من الحدث والخبث وستر العورة لقوله ﷺ : « الطواف حول البيت مثل الصلاة إلا أنكم تتكلمون فيه ، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير [2]». فمن طاف بغير وضوء أو طاف مكشوف العورة أعاد طوافه وجوبا.

---

(١) متفق عليه .

(٢) الترمذى وابن حبان .

٣ ـ أن يكون الطواف بالبيت داخل المسجد وحول البيت ، فلو طاف خارج المسجد أو داخل البيت ، أو داخل جزء من أجزائهما كمن طاف داخل الحجر أو على الشاذروان [١] لم يصح طوافه ؛ غير أنه يجوز لضرورة الزحام أن يطوف بعيداً من البيت كما وراء قبة زمزم وما حاذاها ما لم يخرج من المسجد .

٤ ـ أن يكون البيت على يساره فلو طاف والبيت على يمينه لم يصح طوافه لمعاكسته فعل الرسول ﷺ في ذلك ، وقد قال : « خذوا عنى مناسككم».

٥ ـ أن يكون الطواف سبعة أشواط ، وأن يبدأه من الحجر الأسود ، وينهيه عنده ، فلو طاف أقل من سبعة أشواط لم يجزه طوافه ، ولو بدأه دون الحجر ، أو أنهاه قبله لا يعتد بذلك الشوط وليأت بآخر بدله .

٦ ـ أن يوالى بين الأشواط فلو ترك الموالاة لغير عذر بطل طوافه وعليه أن يستأنفه ، وإن كان العذر كانتقاض وضوئه مثلاً فجدده بالقرب فلا حرج.

سنن الطواف :

١ ـ الرمل : وهو سنة للرجال القادرين دون النساء والمرضى والعجزة ويسن فى طواف القدوم خاصة ، وكيفيته : أن يسرع في مشيه مع تقارب الخطا ، فى الأشواط الثلاثة الأولى ، أما باقى الأشواط الأربعة فلا رمل فيها بل يمشى فيها بهدوء وسكينة .

٢ ـ الاضطباع [٢] وهو كشف ضبع الرجل أى كتفه الأيمن بأن يجعل طرف ردائه تحت إبطه الأيمن وبعضه على عاتقه الأيسر . وهو خاص أيضا بطواف القدوم، ويكون فى كامل الأشواط السبعة، ودليل الرمل والاضطباع فعله ﷺ المنقول بالإجماع والتواتر .

٣ ـ تقبيل الحجر الأسود عند بدء الطواف إن أمكن وإلا فلمسه أو الإشارة إليه كافية .

---

(١) الشاذروان الجزء الأسفل اللاصق لجدار البيت والذى هومحاذى لجدارها كالرصيف ، وهو ما فضل منها عند بنائها .

(٢) لا يسن الاضطباع إلا عند إرادة الطواف لا كما يفعله العوام من حين يحرمون وهم مضطبعون .

٤ ــ قول بسم الله والله أكبر (١) اللهم إيمانًا بك ، وتصديقًا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ عند بدء الشوط الأول بعد استلام الحجر.

٥ ــ الدعاء أثناء الطواف وهو غير محدود ولا معين إلا ما كان من قول: ﴿**ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**﴾ . فقد ثبت أن النبى ﷺ كان يختم بهما الشوط من طوافه (رواه أبو داود بسند صحيح) .

٦ ــ استلام الركن اليمانى باليد ، والحجر الأسود بالفم كلما مر بهما إن أمكن .

٧ ــ الدعاء بالملتزم عند الفراغ من الطواف .

٨ ــ صلاة ركعتين بعد الفراغ من الطواف خلف مقام إبراهيم عليه السلام وأن يقرأ فيهما بـ (الكافرون والإخلاص) (٢) .

٩ ــ الشرب من ماء زمزم بعد صلاة الركعتين والتضلع منه لفعله ﷺ ذلك فى الصحيح .

١٠ ــ الرجوع إلى استلام الحجر الأسود قبل الخروج إلى المسعى .

آداب الطواف :

١ ــ أن يكون الطواف فى خشوع تام مع استحضار عظمة الله والخوف منه.

٢ ــ أن لا يتكلم فيه لغير ضرورة .

٣ ــ أن لا يؤذى أحداً بمزاحمة أو غيرها.

٤ ــ أن يكثر من الدعاء أو قراءة القرآن أو ذكر الله أو الصلاة على النبى ﷺ أثناءه .

٥ ــ أن يغض بصره عن النظر إلى النساء وعن كل ما يشغله عن الخشوع، وعن ذكر الله تعالى.

---

(١) رواه الطبرانى بسند صحيح موقوفا عن ابن عمر .

(٢) فى أحد القولين للشافعى أنهما واجب ، وعند المالكية يجبان إذا كانتا بعد طواف واجب أو ركن كطواف القدوم ، أو الإفاضة وفيما عدا ذلك فهما سنة وقد ثبت مشروعيتهما يقول الله تعالى: ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ ، ويقول الرسول ﷺ الثابت فى الصحيح .

بعض الأدعية المأثورة فى الطواف

قبل كل شىء يجب أن نعرف أن الدعاء سنة لا يبطل الطواف بتركه ولا يترتب على تاركه دم ولا صدقة ولا صيام ، ثم إن النبى ﷺ ما كان يلقن أصحابه دعاء خاصاً ، وإنما كان يدعو بما فى نفسه من رغبات ، ويسأل ربه أسمى الطلبات، وكان الرسول ﷺ يقول : « ثم ليختر أحدكم من الدعاء أعجبه إليه فيدعو به[1] » ولذا لا مانع من أن نورد بعض الأدعية المأثورة عن السلف لمن شاء أن يزيدها فى دعائه فإنها من أعجب الدعاء إلى السلف .

وهى قول :

١ ـ اللهم اجعله حجا مبروراً ، وسعياً مشكوراً ،وذنباً مغفوراً ، رب اغفر وارحم ، واهدنى السبيل الأقوم، وتجاوز عما تعلم ، وأنت الأعز الأكرم .

يقال هذا أثناء الشوط ويختم بقول : ﴿ **ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾ كما كان الرسول ﷺ يختم به شوطه من الطواف.

٢ ـ وعندما يدعو بالملتزم له أن يقول :

اللهم يارب البيت العتيق ، اعتق رقبتى من النار . اللهم إن هذا مقام العائذ بك من النار ، فأعذنى من نارك وقنى عذابك .

٣ ـ وعقب ركعتى الطواف يقول :

اللهم يسرنى لليسرى ،وجنبنى العسرى ، واغفر لى فى الأولى والأخرى.

---

(١) متفق عليه وهذا اللفظ لأبى داود .

كيفية الطواف

وكيفيــة الطواف: هى أن يدخل المسجـد متطهراً فيكون أول شــىء يبدأ به أن يدخل المطاف مضطـبعاً إن كان فى طواف القدوم ، ثم يأتى الحجـر الأسود فيقبله أو يستلمه (١) ، أو يشير إلـيه حسب الإمكان ، ثم يسـتقبل الحجر ويقـف معتدلاً ناويًا طوافه ، بـسم الله والله أكـبر ، اللهم إيمانًا بـك وتصديقًا بكتـابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعًا لسنة نبيك محمد ﷺ ، ثم يأخذ فى الطواف جـاعلاً البيت على يساره مهرولاً إن كان فى طواف القدوم ، وهو يدعو أو يقرأ أو يذكر أويصلى على النبى ﷺ إلى أن يحاذى الركـن اليمانى فيستـلمه بيده إن أمكن ، ويختـم الشوط بدعـاء : ﴿ **ربنا آتـنا فى الدنـيا حسنـة وفى الآخرة حسـنة وقنا عـذاب النار**﴾. ثم يطوف الشوط الثانى والثالث وهكذا ، ولمـا يشرع فى الشوط الرابع يترك الرمل ــ الهرولة ــ ويمشى فى سكينة حتى يتـم الأربعة أشواط الباقية ، فإذا فرغ أتى الملتزم ودعا باكـياً خاشعاً ، ثم يـأتى مقام إبراهـيم فيصلى خـلفه (٢) ركعتين يقـرأ فيهما سورتى الـكافرون والإخلاص بعـد الفاتحة ثم بـعد فراغه يـأتى زمزم فيشـرب منه مستقبل البـيت حتى يروى ؛ (لأن الرسول ﷺ كان يتضلع منه) (٣) ويدعو عند الشرب بما شاء وإن دعا بما يؤثر عن السلـف فحسن ومما يؤثر عن ابن عباس رضى الله عنه قوله : الـلهم إنى أسألك علمًا نافعاً ورزقاً واسـعاً ،وشفاء من كل داء . ثم يأتى الحجر الأسود فيقبله أو يستلمه .

وإلى هنا قد انتهى طوافــه الموافق تماما لطواف رسول ﷺ. فالرجاء أن يكون مقبولاً (٤) وبه الحج مبـروراً . وإن أراد السعى فليخـرج إليه من باب الصفـا تالياً قول الله تعالى : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البـيت أو اعتمرفلا جناح عليه أن يطوف بهما** ﴾ .

---

(١) معنى يستلمه أن يلمسه بيده ثم يقبل يده بعد ذلـك حتى ولو استلمه بشىء فإنه يقبله لما روى مسلم عن ابن عباس رأيت الرسول ﷺ يطوف بالبيت ويستلم الركن بمحجن معه ويقبل المحجن .

(٢) الصلاة خلف المقام مستحبة فإن لم يتمكن للزحمة فليصلهما فى أى مكان من المسجد الحرام .

(٣) فى صحيح مسلم .

(٤) اختلف فيمـن حمل عاجزاً فطاف به هل يجزئـهما طواف واحد ، أو عليه أن يعيد طـوافاً لنفسه لأن الأول كان للمحمـول ؟ أبو حنيفة يرى أنهما يجزئـهما طواف واحد ما دام كل منهما قد نـوى طوافه ،ويرى غيره على الحامل أن يعيد طوافا آخر لنفسه ولو كان قد نوى الأول لأنه ينصرف إلى المحمول لا إلى الحامل.

حكمة الاضطباع والرمل

الحكمة فى الاضطباع والرمل قد تؤخذ من سبب مشروعيتهما فقد روى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :(قدم رسول الله ﷺ وأصحابه ـ يريد إلى مكة معتمرين ـ فقال المشركون : إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب (المدينة) فأمرهم أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا ما بين الركنين ؟ ولم يمنعهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم)، وفى لفظ قال : (فأروهم من أنفسكم قوة) . فإذا كان السبب فى الرمل هو إظهار الجلد والقوة للأعداء المناوئين فالحكمة فيه أن يشعر المسلم أنه ينبغى له أن يكون دائمًا قوياً ، وأنه لا يجوز له أن يضعف أمام أعدائه بحال وأن عليه أن يوجد القوة الكافية التى ترهب عدوه وتجعله دائمًا يحترمه ويهابه فى أى زمان ومكان.

وأما الاضطباع وهو كشف الضبع ليكون أدعى إلى سرعة المشى ، وأنشط فى السعى والحركة فالحكمة فيه أن يعلم المسلم الذى يحتضن دون البشر راية الحق والعدل أنه ينبغي له أن يعيش دائمًا معبأ للجهاد مستعداً فى كل أوقاته بما يضمن له النصر فى سائر المعتركات ؛ فليختر من اللباس فى السلم والحرب ما يساعده على العمل بنشاط ، ومن السلاح أحده وأمضاه ، ومن العتاد أجوده وأقواه . ولكن ليس معنى هذا أن يلبس قبعة هى شعار الكافرين ، أو يلبس ما لا يستر العورتين أو يتزيا بزى أعدائه الكافرين ، وإنما عليه أن يوجد له لباسا خاصا يضمن له سرعة المشى وخفة الحركة ، وهيئة خاصة تحفظ له شخصيته من التلاشى ، وذاتيته من الاندماج فى الغير ومن أجل هذا حرم الإسلام على نبيه التشبه بأعدائه، وأوجب مخالفتهم ومباينتهم فكان نبيه ﷺ يحذر ويقول: « من تشبه بقوم فهو منهم[١] » ويقول : « خالفوا المشركين . . . [٢] » لأنه يريد أن يبقى على شخصية المسلم وذاتيته لئلا تذوب فى غيرها فيفقد الحق أنصاره، والخير أعوانه. فهذا سر المحافظة على شخصية المسلم وهذا سر الرمل والاضطباع فهل انتفع المسلمون اليوم بهذه الحكم والأسرار ؟ أو ما زال نصيبهم من العبادات صورها دون خصائصها وثمراتها؟ وحتى العبادات الشكلية أخذوا يتصفون منها ويتنصلون من القيام بها .

---

(١) أبو داود حسن .　　(٢) فى الصحيح .

ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الحكمة فى تقبيل الحجر الأسود

قالوا : إن الحجر الأسود من الجنة ، وقالوا : إنه مبدأ الطواف ، وإنه من وضع إبراهيم خليل الرحمن ، وقالوا : إنه يمين الله فى الأرض فمستلمه كمبايع لله تعالى واضع يده على يده تحقيقاً لمعنى المبايعة ، وتأكيداً لمضمونها . فهذه أمور كلها تقتضى تقبيل هذا الحجر واستلامه ، ونحن وإن سلمنا هذا فإنا نقول : إن الحكمة فى تقبيل الحجر ليست مقصورة على ما ذكر فقط ، بل هناك حكمة الحكم، وسر الأسرار فى تقبيل هذا الحجر ، وإنها لتلوح للمتأمل من قول الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (إنى أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك (١)). فمن هذا التصريح وحده تظهر الحكمة الحقة فى تقبيل الحجر الأسود ، وهى أن يعلم المؤمن الموحد أن السر فى كل العبادات هو إذن الله تعالى بفعلها،فإن أية عبادة مهما كان شكلها تخلو من أمر الله تعالى وإذنه لا ينتفع بها فاعلها لأنها فاقدة لروح العبادة وسرها، وهو أمر الله تعالى الذى يكسبها التأثير فى النفس بالإصلاح والتزكية . فالعبرة كل العبرة بالانقياد لأمر الله بفعلها ، وإلا فمن المعلوم أن الحجر الأسود حجر من جنس الأحجار التى لا تنفع ولا تضر ولكن لما تعلق بهذا الحجر إذن الله بتقبيله أصبح المؤمن ينظر إليه نظرة الإجلال والاحترام ؛ لأنه يتوصل به إلى ما يصبو إليه من حب مولاه ورضاه .

ومن هنا نعلم أن الحكمة العامة فى كل العبادات هى اختبار مدى صدق إيمان المؤمن بربه، وإلى أى مدى هو مستعد لقبول أوامر الله تعالى ، وتنفيذها حتى ولو كان بتقبيل حجر لا ينفع ولا يضر .

الحكمة فى الطواف بالبيت

إن من كرامة البشرى على ربه أن جعله وسطاً بين سكان الملأ الأعلى من الملائكة المكرمين ، وبين سكان العالم السفلى من المخلوقين الأرضين ، فهو بجسمه يمت إلى عالم المادة ، وبروحه يتصل بعالم الروح ، وإذا غلب جانب

---

(١) رواه مسلم.

الروح على جانب الجسم قويت صلته بالملأ الأعلى وأصبح أقرب منه إلى عالم المادة الذى يعيش فيه ، وإذا غلب جانب جسمه أصبح إلى الحيوانية أقرب منه إلى الروحانية ، وانقطعت علاقته بعالم السماء. ومتى حفظ توازنه بإعطاء كل من روحه وجسده مايستحق من خدمة وعناية وإصلاح اكتملت إنسانيته المفضلة ، وتتحقق سعادته الحقة ، وأصبح المخلوق الكريم على ربه ، والذى هو وسط بين عالمى المادة والروح ، وخير الأمور أوساطها .

ومن دلائل كرامة هذا المخلوق على الله أن شرع له من العبادات التى تكمل روحه ، وتحفظ له نصيبه من الروحانية التى تترتب عليها سعادته فى الدنيا والآخرة ، كتلك العبادات التى تقوم بها الملائكة فى عالم الروح مثل الصلاة والذكر والتسبيح، والاعتكاف والطواف ؛ فقد ورد عن رسول الله ﷺ :«أن البيت المعمور فى السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة (١) » فإذا كان للملائكة بيت مثل هذا يتقربون بالطواف به وزيارته. فإن لهذا البشرى المكرم بيتاً آخر وهو البيت الحرام يتقرب بالطواف به ، وبزيارته ، وحتى بالنظر إليه.

ومن هنا تظهر حكمة طوافنا بالبيت الحرام وهى أننا من كرامتنا على ربنا أن شرع لنا عبادة روحانية صرفة ، كالتى يقوم بها الملائكة الروحانيون ، وهى الطواف بالبيت العتيق الذى هو كطواف الملائكة بالبيت المعمور .

---

(١) أصله فى مسلم فى حديث المعراج .

الركن الثالث من أركان الحج والعمرة

السعى بين الصفا والمروة

السعى بين الصفا والمروة أحد أركان الحج والعمرة عند الجمهور ، وخالف الأحناف فقالوا بوجوبه فقط . وقد صح عن النبى ﷺ قوله: « اسعوا فإن الله كتب عليكم السعى [1] » وفى القرآن الكريم ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** [2] ﴾ .

وللسعى شروط وسنن وآداب ينبغى معرفتها .

شروط السعى :

١ ــ الترتيب بينه وبين الطواف بأن يأتى به بعد الطواف فلو سعى ثم طاف أعاده.

٢ ــ الموالاة بين الأشواط ، ولا يضر الفصل اليسير لا سيما إذا كان لضرورة كحبس بول ونحوه.

٣ ــ إكمال العدد سبعة أشواط ، فلو نقص شوط ، أو حتى ذراع من شوط لم يجز .

٤ ــ وقوعه بعد طواف صحيح سواء كان الطواف واجباً أو سنة ، غير أن الأولى أن يكون بعد طواف واجب كطواف القدوم [3] أو طواف ركن كطواف الزيارة .

أما سننه فهى :

١ ــ الخبب : وهو سرعة المشى بين الميلين الأخضرين ، وهو سنة للرجل القادر عليه دون المرأة والعاجز .

٢ ــ الوقوف على الصفا والمروة للتهليل والتكبير والدعاء فوقهما.

٣ ــ التهليل والتكبير والدعاء على كل من الصفا والمروة فى كل شوط من

---

(١) رواه أحمد بسند حسن .

(٢) البقرة .

(٣) عند من يرى أنه واجب كالمالكية .

الأشواط السبعة .

٤ ــ قول : الله أكبر (ثلاثا) عند رقيه على الصفا [1] أو المروة فى كل شوط وكذا قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

٥ ــ الموالاة بينه وبين الطواف إن لم يكن هناك مانع شرعى.

وأما آدابه فهى :

١ ــ الخروج من باب الصفا .

٢ ــ تلاوة قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ حال الخروج إلى المسعى.

٣ ــ أن يكون الساعى متطهراً .

٤ ــ أن يسعى ماشياً إن قدر على ذلك .

٥ ــ الإكثار من الذكر والدعاء ، والاشتغال بهما دون غيرهما .

٦ ــ أن يغض بصره عن المحارم ، وأن يكف لسانه عن المآثم.

٧ ــ أن لا يؤذى أحداً من الساعين بقوله ، أو فعله .

٨ ــ استحضاره فى نفسه ذله وفقره وحاجته إلى الله فى هداية قلبه ، وإصلاح حاله ونفسه ، وغفران ذنبه .

الأدعية الواردة فى السعى

لم يرد عن الشارع من الأدعية فى السعى شيء، وكلما صح عنه فى ذلك هو التكبير (ثلاثا) وقول: لا إلا إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

---

(١) الصفا والمروة : اسم لجبلين من جبال مكة التى حول المسجد الحرام والمسافة بين هذين الجبلين وهى المسعى وتقدر بنحو ٧٦٠ ذراع ونصف الذراع . فمجموع ما يقطعه الساعى فى الأشواط نحو كيلو متراً ونصف الكيلو ، أى عشر ونصف الكيلو.

غير أنــه أثر عن ابن مسعــود رضى الله عنــه أنه كان يقول فى ســعيه: (رب اغفر وارحم ، وتجاوز عما تعلم ، وأنت الأعز الأكرم).

وبناء على هذا فللساعى أن يدعو بمــا شاء ، وأن يختار من الدعاء أعجبه إليه، ومما يعجب الكثير من المسلمين هو :

اللهم إنى أسألــك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتــك ، والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة والنجاة من النار .

اللهم لا تدع لى ذنــبًا إلا غفرته ولا هماً إلا فرجته ولا كربــاً إلا كشفته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضًا ولى فيها صلاح إلا قضيتها .

ومن الذكر:

لا إله إلا اللــه حقًا حقاً ، لا إله إلا اللــه تعبداً ورقاً ، لا إلــه إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون.

كيفية السعى

وكيفية الســعى هى أن يخرج الحاج أو المعتمر من باب الــصفا لأنه أقرب باب إلى الصفا ، ولخروج الرسول ﷺ منه وهو يقول: ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ الآية ـــ حتى إذا وصل إلى الصفا رقاه ، ثم استقبل البيت وقال : الله أكبر (ثلاثا) لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ثم يدعو بمــا يفتح الله علــيه ، ثم ينزل من على الــصفا قاصداً المروة فيــمشى فى السعى ذاكراً داعياً إلــى أن يصل إلى بطن الوادى المشار إليه بالمــيل الأخضر فيخب مسرعا إلى أن يصل إلــى الميل الأخضر الثانى وهو نهاية بــطن الوادى الذى خبت فيه هاجــر أم إسماعيل عليــها السلام، ثم يعود إلــى المشى فى سكينــة ذاكراً داعياً مصلياً على النبى ﷺ إلى أن يصل إلى المــروة فيرقاه، ثم يكبر ويهلــل ويدعو كما صنع على الصفــا، ثم ينزل فيسعى ماشيًا إلى بطن الــوادى ، فيخب (يهرول) ولما يخرج منه يمشى حتى يصل إلى الصفا فيرقاه ثم يكبر ويهلل ويدعو ثم ينزل قاصداً المروة فيصنع كما صنع أولاً حتى يتم سبعة أشواط بثمان وقفات أربع على الصفا، وأربع على المروة .

ثم إذا كان معتمراً أو متمتعاً بعمرة قصر شعره وقد حل من عمرته فليلبس ثيابه ، وله أن يفعل كل ما كان ممنوعاً عليه بالإحرام كالطيب والنساء وما إلى ذلك، وإن كان مفرداً بالحج أو قارناً فليبق على إحرامه حتى يقف بعرفات ويرمى جمرة العقبة صبيحة يوم النحر إن شاء الله تعالى .

ثم يحلق ويتحلل التحلل الأصغر أولاً، ثم إذا طاف طواف الإفاضة بعد ذلك تحلل التحلل الأكبر ، وأصبح حلالاً.

حكمة السعى

إن من يتأمل قول الله عز وجل : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ يظهر له بجلاء ووضوح السر فى عبادة السعى ، وذلك أن قوله تعالى : ﴿ **من شعائر الله** ﴾ يشير إلى هذين الجبلين من جملة أماكن خصها الحق جل وعلا بنوع من العبادة يقع فيها، ومما خص به هذين الجبلين السعى بينهما فى تذلل وإظهار فقر واحتياج ، فالسعى إذاً مشعر بطبيعة الحال بعبودية الساعى وخضوعه لله تعالى ، ومن هنا كانت الصفا والمروة من شعائر الله ؛ لأن العمل الذى يقع بينهما أو فيهما مشعر بعبودية القائم به وعليه فالحكمة أو السر فى السعى هو إظهار العبد كامل خضوعه واستسلامه لمولاه بحيث لو كلفه بما هو أدق معنى من السعى، أو أشق عملاً منه لقام به بدون تردد ، أو تساؤل .

وهذا هو شأن العبد مع سيده . وفى هذا الانقياد والإذعان ما يطهر نفس العبد ويزكيها، وبقدر طهر النفس وزكائها يكون صلاح العبد وسعادته.

هذا ، ومن أسرار هذه العبادة أنها تذكر بنشأة الدين الأولى، وبعهد هاجر أم إسماعيل لما كانت تغدو بين الجبلين وتروح طالبة الغوث من الله ، منتظرة تفريج ما ألم بها وبولدها الصغير من شدة الجوع والعطش ـ فأغاثها من اعتمدت عليه وفوضت أمرها إليه ، حينما تركها إبراهيم بأمر الله ، وقالت : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . فقالت : إذاً فاذهب فإنه لن يضيعنا. وما زالت تتطلع إلى كريم جوده، وتنظر فضل إحسانه حتى رأت جبريل الأمين حول البيت يهمز الأرض بجناحه فتفور زمزم سقياها، فكانت بحمد الله شرابها وطعامها ، وبمعينها غذى إسماعيل جد سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وإخوانه من الأنبياء والمرسلين .

الركن الرابع والأخير من أركان الحج
الوقـوف بعرفـة

الوقوف بعرفة أحد أركان الحج الأربعة ، ومـن أدلة كونه ركناً ، قوله تعالى: **﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾** فهذه الآية وإن لم تكن صريحة فى ركـنية الوقوف بعرفة كـصراحة آية : **﴿ وليطوفوا بالبـيت العتيق ﴾** فى ركنية طواف الإفاضة فإن مـثلها مثل آية : **﴿ إن الصفا والمروة من شـعائر الله ﴾** فإنها لم تكن صـريحة أيضا فى وجوب للسعى وركنـيته ، كما أن الإحرام ، وهو أحد أركان الحـج الأربعة لم تـصرح بركنيـته آية ، وإنما كل مـا جاء فيه قـول الله تعالى : **﴿ لا تقتلوا الصيـد وأنتـم حـرم ﴾** وقولـه : **﴿ وحـرم عليكم صيد البـر ما دمتـم حرما ﴾** . فإن قيل : كيف يقال بركنـية هذه الأركان الثلاثة ، ولم يكن هناك أمر إلهى صريح بفعلها ؟

فالجواب : أن الحج عبادة قـديمة فرضها الله على إمام الحنـفاء إبراهيم وولده إسماعيـل عليهما السلام ، وعـلى أتباع الحنيفيـة السمحة ، وبقيت مـفروضة فى الحنفاء ـــ ولو أنها تغيرت بعض شعائرها بما طرأ على العرب من الوثنية والشرك ـــ حتى جاء الإسلام ، فأقرها وأقر أركانها الأربـعة ، فلم تكن هناك حاجة إلى الأمر بشىء مأمور به معروف عند القائمين به . ولعل تخصيص ركن الطواف بأمر خاص فى الإسلام ، إنما كان لبيـان الترتيب بين الوقوف والطواف فقط ، فـإنه قد يتوهم أن طواف القدوم كـاف فى الحج كما هو كاف فى الـعمرة . فجاء التنصـيص على عدم الاستجزاء به ، وأنه لابد من زيارة بيت اللـه بعد حضور عرفات كمشهد دعا إليه رب البـيت ، ليتجلى فيـه على وفوده بأنواع من الأفضـال والإحسان ، وهذا معقول جداً ، فإن ممـا يدل على كرم المزار أن يعود وفوده إلى بيتـه بعد حضورهم ما أقام لهم من مشـهد خاص لأجل إنعامهم وتكريمهم فيـه . ومن هنا تأكد طواف الإفاضة، وسمى بطواف الزيارة لما أشرنا إليه من زيارة بيت الله بعد مشهد عرفات تأكيداً لكرم الله وحـفاوته بضيوفه وإعلاماً بحاجة الزائرين وعدم اسـتغنائهم عمن وفدوا إليه .

وأما قوله تعالى فى الصفا والمروة : **﴿ فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾** .

فإنما رفع به ما توهمه بعض المسلمين من إثم يلحق الساعى بينهما لما كان موجوداً على الصفا والمروة من صنم يدعى إساف ، وآخر على المروة يسمى نائلة، فصرح بأنه لا حرج على من حج البيت أو اعتمره أن يطوف بهما ؛ لأن وجود الصنمين عارض ، والسعى عبادة قديمة من عهد إبراهيم وإسماعيل ، فلم يترك الفرض لشبهة عارضة ، فلم تعد الآية إذاً كونها رافعة لحرج متوهم، أما كون السعى مفروضاً هذا معروف من أصل العبادة المتواتر العمل بها من عهد تشريعها الأول عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

ومن أدلة السنة فى ركنية الوقوف والسعى قوله ﷺ : « الحج عرفة [1] » وقوله: « اسعوا فإن الله كتب عليكم السعى [2] ». وعمله عليه الصلاة والسلام كاف للتدليل على ذلك، وكيف ؟ وقد قال: «حجوا كما رأيتمونى أحج» وقال: «خذوا عنى مناسككم» وقال: «قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم » رواه أبو داود .

أما معنى الوقوف بعرفة : فهو الحضور بالمكان المسمى بعرفات لحظة فأكثر بنية الوقوف كامل يوم التاسع وليلة العاشر إلى طلوع الفجر. ولهذا الركن كغيره واجبات [3] وسنن وآداب تتعين معرفتها وهى :

أ ـ الواجبات وهى :

١ ـ الحضور بعرفة يوم التاسع [4] بعد الزوال إلى غروب الشمس لمن وقف[5] نهاراً .

٢ ـ المبيت بمزدلفة بعد الإفاضة من عرفة ليلة العاشر .

---

(١) أصحاب السنن صحيح .　　　(٢) تقدم .

(٣) تنبيه قد جعلت المناسك التى تؤدى فى منى وعرفات والمزدلفة تابعة لركن الوقوف بعرفة نظراً لأنها إما تحضير للوقوف كالمبيت بمنى ليلة التاسع ، وإما عمل بعده كنزول المزدلفة ورمى الجمرات بمنى والمبيت بها ثلاث ليال .

(٤) اختلف فى الوقوف قبل الزوال هلى يعتبر وقوفا مجديًا أو لا ؟

(٥) هل حضور عرفة جزءاً من الليل ركن ؟ ذهب إلى ذلك المالكية ، وعليه فإن من لم يحضر بعد الغروب لحظة بطل حجة، وأما من لم يتمكن من الحضور نهاراً وحضر ليلا فلا دم عليه بتركه واجب الحضور نهاراً بعد الزوال. لقوله ﷺ : عند أصحاب السنن والطبرانى . « من أدرك عرفات بليل فقد أدرك الحج » ولم يأمره بدم .

٣ ــ رمى جمرة العقبة يوم النحر أى عاشر ذى الحجة .

٤ ــ الحلق أو التقصير يوم العاشر .

٥ ــ المبيت بمنى ثلاث ليال ، أو ليلتين لمن دخل تعجل ، وهن ليلة الحادى عشر ، والثانى عشر ، والثالث عشر . أو ليلتا الحادى عشر والثانى عشر للمتعجل.

٦ ــ رمى الجمرات الثلاث بعد زوال كل يوم من أيام التشريق الثلاثة،أو الاثنين للمتعجل . وأدلة هذه الواجبات فعله ﷺ وقوله : «حجوا كما رأيتمونى أحج » .

ب ــ السنن وهى :

١ ــ الخروج إلى منى يوم التروية (ثامن الحجة) والمبيت بها ليلة التاسع وعدم الخروج منها إلا بعد طلوع الشمس .

٢ ــ وجوده بعد الزوال بنمرة وصلاته الظهر والعصر قصراً أو جمعاً جمع تقديم.

٣ ــ إتيانه الموقف (عرفات) بعد أدائه لصلاة الظهر والعصر، والاستمرار بالموقف ذاكراً داعياً حتى غروب الشمس .

٤ ــ تأخير صلاة المغرب إلى أن ينزل بجمع فيصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير.

٥ ــ الوقوف مستقبل القبلة ذاكراً داعياً عند المشعر الحرام (جبل قزح) حتى الإسفار البين .

٦ ــ الترتيب بين رمى جمرة العقبة والنحر والحلق وطواف الزيارة .

٧ ــ أداء طواف الزيارة يوم النحر .

جـ ــ الآداب أو المستحبات وهى :

١ ــ التوجه من منى صباح التاسع إلى نمرة بطريق ضب لفعله ﷺ ذلك .

٢ ــ الاغتسال بعد الزوال للوقوف بعرفة ، وهو مشروع حتى للحائض

والنفساء.

٣ ـ الوقوف بموقف رسول الله ﷺ عند الصخرة العظيمة المفروشة فى أسفل جبل الرحمة الذى يتوسط عرفة .

٤ ـ الذكر والدعاء والإكثار منهما مستقبل القبلة بالموقف حتى تغرب الشمس.

٥ ـ كون الإفاضة من عرفة على طريق المأزمين لا على طريق ضب الذى أتى منها ؛ لأن الرسول ﷺ كان من هديه أن يأتى من طريق ويرجع من آخر.

٦ ـ السكينة في السير وعدم الإسراع فيه لقوله ﷺ : « أيها الناس عليكم بالسكينة ، فإن البر ليس بالأبضاع (١) » ـ الإسراع .

٧ ـ الإكثار من التلبية فى طريقه إلى منى ، وعرفات ، ومزدلفة ، ومنى . إلى أن يشرع فى رمى جمرة العقبة .

٨ ـ التقاط سبع حصيات من مزدلفة لدى جمرة العقبة .

٩ ـ الدفع من مزدلفة بعد الإسفار وقبل طلوع الشمس .

١٠ ـ الإسراع ببطن محسر وتحريك الدابة به قدر رمية حجر .

١١ ـ رمى جمرة العقبة فيما بين طلوع الشمس والزوال .

١٢ ـ قول الله أكبر مع كل حصاة يرميها.

١٣ ـ مباشرة ذبح الهدى ، أو شهوده حال نحره أو ذبحه ، وقول : اللهم منك وإليك ، اللهم تقبل منى كما تقبلت من إبراهيم خليلك بعد قول: بسم الله والله أكبر الواجب .

١٤ ـ الأكل من الهدى .

١٥ ـ العودة إلى منى بعد طواف الزيارة لصلاة الظهر بها .

١٦ ـ المشى إلى رمى (٢) الجمرات الثلاث فى أيام التشريق .

---

(١) رواه أبو داود وغيره بسند صحيح .

(٢) يشترط فى الحصى التى يرمى بها أن تكون طاهرة وأن لا تكون مما رمى بها وأن تكون ما بين الحمصة والفولة فلا ينبغى أن تصغر عن الحمصة ولا أن تكون أكبر عن الفولة .

١٧ ـ قول : الله أكبر مع كل حصاة ـ وقول : اللهم اجعله حجاً مبروراً ، وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً .

١٨ ـ الوقوف للدعاء مستقبل القبلة بعد رمى الجمرة الأولى والثانية دون الثالثة فلا دعاء يستحب عندها ؛ لأن الرسول ﷺ كان يرميها وينصرف فلا يدعو عندها.

١٩ ـ رمى جمرة العقبة من بطن الوادى مستقبلاً لها جاعلاً البيت عن يساره ومنى عن يمينه.

٢٠ ـ قول المنصرف من مكة : آيبون ، تائبون، عابدون ، لربنا حامدون، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . لقوله ﷺ ذلك عند انصرافه منها كما هو ثابت فى الصحيح .

كيفية الوقوف بعرفات

وكيفية الوقوف بعرفة هى : أنه إذا كان يوم التروية [1] ثامن ذى الحجة ـ أحرم بنية الحج من لم يكن محرماً كالمتمتع ، إن شاء أحرم من منزله وإن شاء أحرم من المسجد الحرام وخرج ملبياً قاصداً منى ضحى ليقيم بها يومه وليلته فيصلى خمس أوقات بها وهى : الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء والصبح ، حتى إذا طلعت الشمس قصد نمرة بطريق ضب فيقيم بها إلى الزوال ثم يغتسل ويأتى مصلى رسول الله ﷺ ببطن عرفة عند حدود عرفات فيصلى مع الإمام الظهر والعصر جمعاً وقصراً بعد سماع الخطبة ، فإذا قضيت الصلاة ذهب إلى عرفات للوقوف بها، وله أن يقف فى أى جزء منها شاء لقوله ﷺ : « وقفت ها هنا وعرفات كلها موقف » وإن وقف عند الصخرات العظيمة المفروشة فى جبل الرحمة حيث وقف رسول الله فحسن ، وله أن يقف راكباً أو راجلاً أو قاعداً يذكر الله تعالى ويدعوه ، ويبتهل إليه ويتضرع ، حتى إذا غربت الشمس ودخل جزء من الليل يسير كخمس دقائق فأكثر أفاض منها ـ عرفات فى سكينة ملبياً إلى

---

(١) قيل فى سبب تسميته : إنهم كانوا يروون فيه الماء وقيل سمى يوم التروية لأن إبراهيم رأى رؤياه ليلته فظل ذلك اليوم يتروى فى الأمر هل رؤياه يذبح إسماعيل حلم الشيطان أو رؤيا حق من الرحمن حتى يوم التاسع فعرف وسمى اليوم التاسع لذلك بعرفة .

مزدلفة علـى طريق المأزمين فـينزل بها ، وقبل أن يـضع رحله يصلـى المغرب، ثم يضع رحله ويصلى العشاء لفعله ﷺ ذلك ، ويبيت بها حتى إذا طلع الفجر صلى الصبح وقصد المشعر (١) الحرام وهو جبل قـزح ليقف عنده مهللاً مـكبراً داعيا ، وله أن يقف فى أى مكان مـن مزدلفة لقوله ﷺ فى الصحيح :« وقـفت ها هنا» وجمع كـلها موقـف ، حتى إذا أسفـر الصبح وقبـل طلوع الشـمس التقـط سبع حصيات ليرمـى بها جمرة (٢) العقـبة ، ودفع إلى منى مـلبياً، وإذا وصل مـحسراً حرك دابته وأسرع فى سيره قدر رمية حجر لفعل الرسول ﷺ (ذلك كما قال فى مسلم) ولمـا يصل إلى منى يذهب رأسـاً إلى جمرة العقبـة فيرميها بسبـع حصيات يرفع يـده اليمنى حـال الرمى قائلاً : الـله أكبر ، وإن زاد : الـلهم اجعلـه حجاً مبروراً ، وسعيـاً مشكوراً ، وذنباً مغفوراً فـحسن ، وبعد الفراغ من الـرمى يعمد إلى هديه إن كان مـعه هدى فيذبحه أو ينـحره أو ينيب من يقوم عـنه فى ذلك إن كان عـاجزاً ، وله أن يذبـح أو ينحر فـى أى مكان شاء مـن منى لقـوله ﷺ فى الصحيح .«نحرت هاهنا ومنى كلها مـنحر » ثم يحلق شعر رأسه أو يقصره والحلق أفضل وأولى من التقصير إلا المرأة فواجبها التقصير فقط .

وإلى هنا فقد تحلل التحلل الأصغر فلم يبق محرماً عليه إلا النساء لقوله ﷺ : «إذا رمى أحدكم جمرة العقبة فـقد حل له كل شىء إلا النساء (٣) » فله أن يغطى رأسه أو يلبس ثـيابه . ثم يسير إلى مـكة المكرمة ليطوف طـواف الزيارة الذى هو أحد أركان الحج الأربعة ، فإذا وصل البيت طاف بـه سبعة أشواط لا يضطبع فيها ولا يرمل حتـى إذا فرغ صلى ركعتى الـطواف خلف المقام ، ثـم إن كان مفرداً أو قارناً ولم يسع مع طـواف القدوم ، أو كان متمتعاً فإنه يخـرج من باب الصفا إلى المسعى فيسعى سبعة أشواط لحجه على الـنحو الذى تقدم فى كيفية السعى فإذا فرغ من سعيه فقد تحلـل التحلل الأكبر وأصبح حلالاً يفعل كل مـا كان محظوراً عليه كالطيب والنساء وغـيرها من ممنوعات الإحرام . ثم يعود إلى منى مـن يومه فيبيت بها، وإذا زالت الشمس من أول يوم من أيام التـشريق (الأيام الثلاثة التى بعد يوم النحر) يذهـب إلى الجمرات فيرمى الجمـرة الأولى وهى التى تلى مسـجد الخيف

---

(١) سمى بالمشعر لأنهم كانوا يشعرون فى الجاهلية هديهم عنده ، ووصف بالحرام لأنه أدخل الحرم .

(٢) سميت الجمرة جمرة باسم ما يرمى فيها وهو الجمار والمراد بالجمار: الحجارة الصغيرة .

(٣) رواه أحمد وغيره بسند حسن .

فيرميها بسبع حصيات واحدة بعد الأخرى مكبـراً مع كل حصاة ، ولما يفرغ يتنحى قليـلاً ويستقبل الـقبلة ويدعـو طويلاً بما يفـتح الله عليـه ، ثم يسير إلـى الجمرة الوسطى وهى التى بعد الأولى وقبل جمرة العـقبة فيرميها كما رمى الأولى ويدعو إثر الرمى كما صنع فـى الأولى . ثم يسير إلى جمرة العقبة وهى الأخـيرة فيرميها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ولا يدعو بعدها كما دعا بعد الأولى والثانية، بل ينصـرف بمجرد الرمـى،وإذا زالت الشمس مـن اليوم الثانـى قصد أيضـا الجمرات فرماهن عـلى النحو الذى سبق سـواءاً بسواء، ثم إن تعجل الخروج مـن منى سار منها قـبل غروب الشمس إلى مـكة ، وإن لم يتعجل وبـات تلك الليلة بمـنى فإنه ينتظر زوال الشمس من اليوم الثالث فيـرمى الجمرات الثلاث كما سبق فى اليومين السابقين . ثم يرجع إلـى مكة وإن نزل بالمحصب [1] وبات به حتـى إذا بقى جزء من الليل دخل مكة فحسن، وإن لم يـنزل به دخل مكة رأساً فطاف طواف الوداع إن عزم على السفر ، أو انتظر ساعة عزمه على السفر فيطوف طواف الوداع ليكون آخر عهده بالبيـت الطواف به ، وتلك هى سنة الرسول صلى اللـه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الأدعية بعرفات والمشعر الحرام

اعلم أن النبى ﷺ لم يعين للأمة دعاء خاصاً بـعرفات أو بالمشعر الحرام، ولا بأى منسك من المناسك ، وإنما ترك الأمر مطلقًا يدعو كل حاج أو معتمر بما هو فى حاجة إليه من حوائج الدنيا والآخرة ، وليجـتهد فى الدعاء كل بقدر استعداده وما وهبه الله وفتح به عليه .

ولما كان الدعاء هو العبادة ومخها، وكان فى هذه الأماكن مرغباً فيه، ولما كنت أرغب أن يكون هذا الـكتاب جامعاً لكل ما يـحتاج إليه الحاج مما يتـعلق بأداء هذه الفريضة الـعظمى. وإلى جانب ذلك أرى كـثيراً من إخوانى الحجاج يـرغبون فى حفظ الأدعـية المأثورة ، ويتـناقلونها لـيدعوا بها ، سـواء منهم من يـظن أن ذلك واجب لابد منه كالعوام ، أو من يرى أن الدعاء مستحب ، وإن ما كان منه جامعًا كالمأثور عن النبى ﷺ أفضل كبعـض أهل العلم فإنى بناء عـلى كل ما ذكر أوردت

---

(١) وقيل لا يستحب النزول بالمحصب ، لأن عائشة رضى الله عـنها لما سئلت عن ذلك قالت إنما هو منزل نزله رسول الله ﷺ فقط فلم تر أن من السنة النزول به .

عقب كل موطن من المـواطن التى فيها الدعاء طرفاً من الأدعيـة التى أراها جامعة لخيرى الدنيـا والآخرة مما جمعه أهل العلم ، وممـا يستأنس به فيها وإن أغـلبها من أدعية الرسول ﷺ التى كان يقولها غير مقيدة بزمان ومكان . وهذا ما اخترته ليوم عرفة .

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

اللهم اجـعل فى بصرى نوراً وفـى سمعى نوراً ، واجعـلنى ممن تباهـى بهم الملائكة .

اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى.

اللهم رب لـك الحمد كما تقول ، وخـيراً مما تقول ، لك صلاتـى ونسكى ، ومحياى ومماتى ، وإليك مآبى .

اللهم إنى أعـوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمـر ، وعذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات .

اللهـم اهدنى بالهـدى ، واغفر لى فى الآخـرة والأولى ، ياخير مـقصود ، وأكرم مسئول .

اللـهم يا رفيـع الدرجات ، وفاطـر الأرض والسموات . لـقد ضجت إلـيك الأصوات بصنوف اللغات ، يسألك بها أصحابها الحاجات ، وحاجتى إليك . اللهم أن لا تنسانى برحمتك فى دار البلاء إذا نسينى أهل الدنيا .

اللهـم إنك تسمـع كلامى ، وترى مـكانى ، وتعـلم سرى وعلانـيتى ، ولا يخفى علـيك شيء من أمرى، أسألك مسـألة المسكين ، فلا تجعلـنى بدعائك رب شقيًا وكن بى رؤوفاً رحيمًا يا خير مسئول وأكرم مأمول .

اللهم يا الله يـارب إليك خرجنا وبفنائك أنخنا ، ولإحسـانك تعرضنا ، ومن عذابك اشفقنا وإليك بذنوبنا هربنا ، يـا من يملك حوائج السائلين ؛ فاجعل حجنا مبروراً ، وسعينا مـشكوراً، وذنبنا مغفوراً، ارزقنا رضاك ، ولا تحـرمنا إحسانك، وكن لنا ولياً ، وبنا حفياً، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة .

اللهم إن كان لكل ضيف قرى [1] ونحن أضيافك . فاجعل قرانا منك الجنة والفوز برضاك .

اللهم يا أرحم الراحمين ، ويارب العالمين ، لا تجعل هذا آخر عهدنا من هذا الموقف وارزقنا ما أحييتنا ، وردنا إلى أهلينا سالمين ، واغفر لنا وارحمنا ، وارزقنا وتجاوز عنا ، وارحم واغفر لعامة المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات . وصل اللهم وسلم على عبدك ونبيك ورسولك سيدنا محمد وآله وصحبه وأزواجه ، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وهذا لمزدلفة :

اللهم إنى أسألك فى هذا الجمع أن تجمع لى جوامع الخير كله ، وأن تصلح لى شأنى كله ، وأن تصرف عنى السوء كله ، فإنه لا يقدر على ذلك غيرك ، ولا يجود به إلا أنت ، يا قوى يا متين يا رؤوف يا رحيم .

اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

اللهم إن هذه مزدلفة وقد جمعت فيها ألسنة مختلفة تسألك حوائج متنوعة مختلفة .

اللهم فاجعلنى ممن دعاك فاستجبت له ، وممن توكل عليك فكفيته وممن استجار بك من العذاب والخزى فأجرته .

اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من عذاب الفقر والقبر.

اللهم إنى أسألك أن تقضى عنى المغرم ، وأن ترضى عنى الخصوم والمظالم يا أرحم الراحمين يارب العالمين ، وصل اللهم على نبيك ورسولك محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) القرى ما يعد للضيف من طعام وشراب .

فضل يوم عرفة

إذا ذكر يوم عرفة: فقد ذكر أفضل الأيام وأبركها ، فليس ثمة يوم طلعت عليه الشمس ، أو غربت هو خير من يوم عرفة أبداً، فقد ورد أن صيامه لغير الحاج يكفر ذنب سنة، وقد ورد أنه ما رؤى إبليس فى يوم هو فيه أصغر ولا أحقر، ولا أغيظ من عشية يوم عرفة .

وقد صح أيضاً : أن هذا اليوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه ، غفر له .

وصح كذلك : خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير. وأخرج ابن ماجه فى سننه عن عبد الله بن كنانة بن عباس ابن مرداس السلمى أن أباه أخبره « أن النبى ﷺ دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب : إنى قد غفرت لهم ما خلا المظالم ، فإنى آخذ للمظلوم منه ، قال : أى رب إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة ، وغفرت للظالم ، فلم يجب عشية عرفة. فلما أصبح بالمزدلفة ، أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل . قال: فضحك رسول الله ﷺ أو قال : تبسم فقال أبو بكر وعمر : بأبى أنت وأمى إن هذه الساعة ما كنت تضحك فيها فما الذى أضحكك ، أضحك الله سنك ؟ قال إن عدو الله إبليس لما علم أن الله عز وجل قد استجاب دعائى ، وغفر لأمتى أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ، ويدعو بالويل والثبور ، فأضحكنى ما رأيت من جزعه ».

وأخرج أيضا عن ابن المسيب عن عائشة رضى الله عنها ، أن النبى ﷺ قال: « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله عز وجل فيه عبداً من النار من يوم عرفة وأنه ليدنو عز وجل ، ثم يباهى بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء » ؟ .

لا شك أن ما أوردناه من هذه الأحاديث كاف فى الدلالة على فضل هذا اليوم العظيم. والغرض من ذلك أن يعظم أخى الحاج هذا اليوم، وأن يكبره لأنه من شعائر الله ، والله تعالى يقول : ﴿ **ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب**﴾ .

وتعظيم هذا اليوم ، كما يكون بالإكثار فيه من فعل الخيرات وضروب

الطاعات، يكون باجتناب الإثم والفواحش ، والضلالات والمنكرات.

حكم وأسرار الوقوف بعرفة

والمبيت بالمزدلفة ، والحلق والرمى والإقامة بمنى أيام التشريق من غير المشكوك فيه أن إبراهيم لما بنى البيت بأمر الله تعالى طلب إليه أن يؤذن فى الناس بالحج ﴿ **وأذن فى الناس بالحج** ﴾ الآية . فأذن وأسمع الحق جل وعلا نداءه من شاء من خلقه فكان على إبراهيم النداء ، وعلى الله تعالى البلاغ .

فما أشبه الحج بدعوة رسمية وجهها أحد الملوك إلى خدمه وعبيده بواسطة أحد خواصه والمقربين إليه ليزوروا بيته وليحظوا منه بالنوال والعطاء .

ونظراً لتفاوت استعداد المدعوين ، واختلاف مساكنهم قرباً وبعداً جعل مدة هذه الزيارة ـ شهرين وعشرين ليال ـ من شوال وذى القعدة وعشر من ذى الحجة ليتسنى الحضور فى هذه المدة لكل المدعوين مهما تناءت ديارهم ، وبعدت أقطارهم. وأخذ المدعوون يتوافدون ، ومن كل حدب وصوب يتقاطرون وينسلون، حتى تكامل الوفد ، ووجب الرفد حدد لهم موعداً ، وخصص لهم مشهداً .

يوم عرفة : ليتجلى لهم فيه ، ويمنحهم إخلاصهم فى خدمته جوائز إحسانه ، وعطايا إفضاله . فحسن أن يخرجوا يوم التروية فى ملابسهم الرسمية التى دخلوا بها حرم مولاهم . وحمى من دعاهم فينزلوا بمنى استعداداً ، حتى إذا طلعت شمس يوم الموعد المحدد ، كانوا على أتم الاستعداد لحضور ذلك المشهد ، فينزلوا بنمرة أول النهار ، وما أن تزول الشمس وتدنو ساعة الحضور . وقد طعموا وشربوا ، وتطهروا ، ونزلوا المصلى فصلوا فرضيهم معًا جمعاً وقصراً كل ذلك تفرغا منهم للمناجاة واستعداداً للملاقاة ، واندفعوا متدفقين على ذلك الميدان الرحب الفسيح (الموقف) فوقفوا ـ وكلهم رجاء ـ باكين خاشعين ، سائلين متضرعين ، ولم يزالوا كذلك حتى يتجلى لهم مولاهم ويعطيهم سؤلهم ومناهم ، فيكرم المحسنين منهم ، ويعفو عن المسيئين ، وقد باهى بهم ملأ السماء وأشهدهم على ما منحهم وأعطى .

ولما تنقضى تلك الساعات التى تزن الدهور بغروب شمس ذلك اليوم الذى

فضل العصور يأذن لهم مولاهم بالانصراف وقد أرشدهم إلى محل النزول .

مزدلفة [1] ليبيتوا ليلتهم فى بهجة وفرحة حتى إذا أصبحوا وقفوا بالمشعر الحرام ، ذاكرين لمولاهم رفده وإحسانه ، شاكرين له أفضاله وإنعامه.

﴿ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم﴾ .

وقبل إن يسفروا يخفون عائدين إلى بيت مولاهم ومكان تجمعهم ولقياهم وفى طريقهم يشفون صدورهم ويذهبون غيظ قلوبهم من عدوهم فيرمونه بالحصى، وحق أن يرموه بالشهب والنيران ؛ لأنه حرمهم الأنس بربهم ومجاورة مولاهم عندما غزا أمهم وأباهم فأخرجهم من رياض الجنان وفراديس الخلة والإنعام : **﴿ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ﴾** فهم لذلك ومن تلك الساعة فى حيرة فكر، ووحشة نفس قد لا تزولان إلا بالرجوع إلى الوطن الذى هو حضرة القدس ، ومكان الأنس . ويرحم الله ابن القيم إذ يقول :

ولكننا سبى العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

ولذا رأيتهم لما عاشوا ساعات فى ذلك الأنس تذكروا من حرمهم المكان المقدس. فعرضوا له فى طريقهم يلعنونه بالأفعال ويهينونه بالأقوال .

وهناك بمنى وقبل زيارة بيت مولاهم يلقون تفثهم ويوفون نذورهم فيذبحون وينحرون فرحين مكبرين مهللين .

ويحلقون ، أو يقصرون إلقاء للتفث ، وإزالة للشعث ، ثم يقبلون على البيت زائرين ، ولإنعام مولاهم شاكرين ، فيطوفون ببيته ، ويسبحون بحمده . وبذا يكونون قد أشهدوا على أنهم حضروا الحفل المشهود ، ونالوا الرفد الموعود، وها هم أولاء قد عادوا ليسجلوا أسماءهم فى سجل الحضور ، وليعلنوا أنهم من أكرم الزور . الزور : بمعنى الزوار جمع زائر.

ومعلوم أنه ما تم لهم حضور المشهد المفضل الذى شهدوا ، ولا تمكنوا من إجابة الدعوة التى أجابو إلا بعد جهد جهيد ، وعناء وتعب شديد ، لبعد ديارهم

---

(١) والخط : إشارة إلى محل الحكمة ، أو بيان السر فى العمل.

ولخروجهم عما اعتادوا من ملبس ومسكن ، ومأكل ومشرب ، فما أحوجهم والحال هذه إلى أيام راحة واستجمام فى مكان هادئ ومنزل طيب مريح وفسيح ، حتى إذا استراحوا واستردوا من قواهم ما فقدوا ودعوا بيت مولاهم وانصرفوا .

وما أكرم مولاهم ـ وما أعظم حفاوته بهم ! إذ أعد لهم فجاج منى الفسيحة ورحابها الطيبة المريحة ، وعزمهم لإقامة ثلاثة أيام ، ومن تعجل فى يومين فلا يلام . فيقضونها فى متع كثيرة بين ترويح للروح ، وغذاء للبدن ، فيأكلون ويشربون ، ويهللون ويكبرون ، حتى إذا قضوا أيامهم وأراحوا أرواحهم وأجسامهم ، عادوا إلى البيت فودعوا وانصرفوا ، والكل يضرب فى طريق بلاده، عائداً إلى وطنه وموضع ميلاده .

فيارب ردهم سالمين ، وسلام عليهم فى العالمين .

خلاصة ما تقدمت الإشارة إليه من الأسرار والحكم

١ ــ فى وقوف عرفة : إن قصد البيت لزيارته كان هو المقصد الأول من الحج، وأن يوم عرفة هو أشبه بحلقة أقامها رب البيت للزائرين فى فناء واسع ليتجلى لهم فيها ، وهناك تجرى الجرايات الربانية ، والهبات الإلهية للمحتفلين ، ولما كان هذا اليوم هو اليوم الخاص بتوزيع المنح والعطاءات اعتبر من لم يحضره كأن لم يحضر الحج ، ولذا قال الرسول ﷺ : « الحج عرفة [(١)] ».

هذا وفى جمع الناس فى هذا المكان إشارة إلى جمعهم يوم القيامة فصل القضاء.

٢ــ فى مزدلفة : قد يكون من حكمة النزول بالمزدلفة إراحة أهل الموقف الذين طال عناؤهم بالوقوف طوال نصف يوم كامل ، فرحمة بهم شرع لهم المبيت بمزدلفة ، أو على الأقل النزول بها ساعات ريثما يستريحون ويصلون العشاءين أما سر الوقوف بالمشعر الحرام فإنه يتلخص فى ذكر نعم المنعم وشكره والثناء عليه بالتهليل والتكبير لما سبق أن منحه أهل الموقف بعرفات .

٣ ــ فى رمى الجمرة : شفاء الصدور ، وإغاظة إبليس . حيث أن الإنس الذى حظى به أهل الموقف لم يكن ليحرمهم منه فى كلتا حياتيهم إلا إبليس لعنه الله فاستوجب لذلك سخطهم فلما رأوا مكاناً عرفوا أنه وقف فيه معترضًا طريق الخليل لعنوه فيه فرموه بالحجارة ، احتقاراً له وإهانة .

٤ ــ فى النحر والحلق : إعلان شكر وإظهار سرور وفرح على ما تم لهم من أسمى المطالب ، وأشرف الغايات ، فذبحوا الذبائح شكراناً لله تعالى، وألقوا التفث وأزالوا الشعث استعداداً لزيارة بيت الله تعالى .

٥ ــ فى الإفاضة بمنى : استرداد ما فقد الوافدون من قواهم البدنية ، وتمتعاً بالراحة والأكل والشرب تعويضاً عما فاتهم أيام أداء المراسيم والخدمات وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « أيام منى أيام أكل وشرب وذكر الله » رواه مسلم.

---

(١) تقدم هو صحيح .

هذا بعـض ما فتح الـله به عليّ مـن أسرار هذه العبـادة التى سرهـا الأعظم وحكمتها الكبرى طاعة الله المزكية للـنفوس التزكية الموجبة لسعادة الإنسان وفلاحه فى الدنـيا والآخرة ، والله أعـلم بأسرار شرعـه ، وأحوال خلقه ، وفـوائد أمره ونهيه وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

طواف الوداع

طواف الوداع هو أحد أطوفة الحج الثلاثة ، وهو واجب عند الجمهور، وسنة عند المالكية ، وبالرغم من كونه واجباً عند الجمهور فإنه لم يثبت أن النبى ﷺ أمر من تركه بذبح وصيام بل الذى صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه رخص للحائض فى مغادرة مكة بدون طواف للوداع . فقد أرد زوجته صفية رضى الله عنها فأخبرته عائشة أنها قد حاضت فقال : أحابستنا هى [(١)] حتى أعلمته أنها قد أفاضت قبل أن تحيض وعندئذ نفر ﷺ ولم ينتظرها حتى تطهر لتطوف .

وبناء على ما ذكر أن طواف الوداع سنة الرسول ﷺ المؤكدة التى لا عذر لتاركها بدون عذر ؛ فإن كان هناك عذر شرعى فلا شيء على من تركها عمداً ولغير عذر فعليه دم كفارة لما علا نفسه من إثم الاستهانة بالسنة والاستخفاف بقول رسول الله ﷺ « لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت [(٢)] » .

كيفية طواف الوداع

كيفية طواف الوداع هى: إذا نفر الحاج من منى يستحب له أن ينزل بالمحصب فيبيت به وفى آخر الليل يدخل مكة فإن أراد السفر من يومه طاف طواف الوداع ، وإن لم يعزم على السفر فى ذلك اليوم أخره إلى آخر إقامته بمكة ليكون آخر عهده بالبيت الطواف.

حتى إذا عزم على السفر طاف طواف الوداع على هيئة طواف الإفاضة بحيث لا يضطبع ولا يرمل ثم يصلى بعده ركعتى الطواف ، وله أن يقف بالملتزم ويدعو بما شاء أن يدعو به ، وإن دعا بما هو مأثور عن السلف فلا بأس ، وإذا أراد الخروج من المسجد فلا يخرج يمشى القهقرى – إلى الوراء – بل يخرج مستدبر البيت مستقبل الباب الذى يخرج منه ، فإن المشى إلى الوراء عند الخروج من البيت من البدع المنكرة ، والتى تتنافى مع هدى الرسول ﷺ .

وينبغى لمن طاف طواف الوداع أن لا يشتغل بعده بغير السفر ومستلزماته، وإن عاد إلى البيت بعد الوداع أعاد طواف الوداع حتى يكون آخر عهده بالبيت الطواف

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم.

به عملاً بقوله ﷺ « لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت » .

الدعاء المأثور فى طواف الوداع

أثر عن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان يدعو بهذا الدعاء : اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتنى على ما سخرت لى من خلقك ، ويسرتنى فى بلادك حتى بلغتنى بنعمتك إلى بيتك وأعنتنى على أداء نسكى، فإن كنت رضيت عنى فأزدد عنى رضا، وإلا فمن الآن فارض عنى قبل أن تنأى عن بيتك دارى فهذا أوان انصرافى إن أذنت لى ، غير مستبدل بك ولا ببيتك، ولا راغباً عنك ولا عن بيتك.

اللهم فاصحبنى العافية فى بدنى ، والصحة فى جسمى، والعصمة فى دينى وأحسن منقلبى، وارزقنى طاعتك ما أبقيتنى، واجمع لى خيرى الدنيا والآخرة : إنك على كل شىء قدير.

دعاء الخروج من مكة :

ثبت عن الرسول ﷺ أنه كان يقول عند منصرفه من مكة ومن غيرها (١) «آيبون تائبون عابدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ».

حكمة طواف الوداع

ما من شك فى أن الحاج أو المعتمر يعتبر زائراً لبيت الله وأنه ما حضرها إلا بإذنه عز وجل ، وتلبية لندائه ، ولذا كان من اللائق بالزائر — وقد شرفه الله تعالى بزيارة بيته ، وأكرمه بحضور تجليات عرفات — أن لا يغادر بيت من زاره ، وحظى بنواله، وعظيم عطاياه وأن لا يبارح فناءه حتى يستأذن ويودع شاكراً ذاكراً. ومن هنا وجب طواف الوداع، وتأكد على كل زائر إلا من كان ذا عذر من الأعذار .

فالحكمة إذاً فى طواف الوداع هى الاستئذان ، وتقديم الشكر والامتنان لرب البيت جل جلاله وعز سلطانه . وهى أيضاً وداع لبيت الله تعالى بآخر نظرة تبقى صورة ماثلة للعين ، وذكرى خالدة فى النفس .

---

(١) أخرج البخارى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ، ثم ليقول :« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون عابدون »الخ .

أسئلة وإجابات

مسائل الحج والعمرة :

س : هل يجوز للمرأة أن تحج بدون إذن زوجها ؟

جـ : لا يجوز لها أن تحج إلا بإذنه لما روى الدارقطنى والبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن امرأة لها زوج، ولها مال ، فلا يأذن لها فى الحج؟ فقال : ليس لها أن تنطلق إلا بإذن زوجها.

س : هل يكره للمرأة أن تكرر الحج ؟

جـ : نعم يكره للمرأة أن تكرر الحج لما روى أبو داود وسعيد بن منصور أن النبى ﷺ قاله لأزواجه فى حجة الوداع إنما هى هذه ، ثم ظهور الحصر (يعنى ملازمة البيت) وعدم السفر إلى الحج.

س : ما حكم من أحرم بالحج قبل أشهره ؟

جـ : حكم من أحرم بالحج قبل أشهره : الكراهة ، كمن أحرم قبل الميقات، وينبغى له أن يفسخ حجه إلى عمرة ، ولا يكون بذلك متمتعاً؛ لأن الله تعالى عين زمن الحج بقوله : ﴿ **الحج أشهر معلومات** ﴾ غير أنه إذا أصر على إحرامه فإنه ينعقد.

س : هل ثبت عن أحد من السلف لم يغتسل للإحرام ؟

جـ : نعم فقد روى سعيد بن منصور أن ابن عمر رضى الله عنهما توضأ فى عمرة اعتمرها ولم يغتسل.

س : ما حكم من تجاوز الميقات ولم يحرم ؟

جـ : حكم من تجاوز الميقات ولم يحرم : إما أن يرجع إلى الميقات ، وإما أن يحرم من مكانه وعليه دم ــ ذبح شاة ــ لإخلاله بواجب من واجبات الحج.

س : ما حكم من أحرم بالعمرة فى أشهر الحج ، ثم بعد أداء العمرة سافر مسافة قصر، كيمنى أحرم من ميقاته بعمرة فى أشهر الحج ، ولما قضاها سافر إلى

المدينة زائراً ، هل يعتبر متمتعاً فيجب عليه دم إن هو حج من عامه أم لا ؟ .

جـ : للفقهاء فى هذه المسألة قولان: أحدهما : أنه يعتبر متمتعاً ما دام لم يعد إلى بلده ، أو إلى أفق مثل أفقه . والثانى من القولين : أنه يعتبر متمتعاً إذا لم يسافر مسافة قصر فإن سافر قصر فلا يعتبر متمتعاً فيجب عليه هدى التمتع . وأصحاب القول الثانى يشهد لهم قول ابن عمر رضى الله عنه فى الموطأ : من اعتمر فى أشهر الحج شوال أو ذى القعدة ، أو فى ذى الحجة ، قبل الحج ثم أقام بمكة حتى يدركه الحج فهو متمتع إن حج ، وعليه ما استيسر من الهدى فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع قال مالك رحمه الله : وذلك إذا قام حتى الحج ، ثم حج من عامه . فقوله : أقام بمكة يفهم منه أنه لم يقم بها بأن سافر منها ولم يرجع حتى أحرم بالحج من الميقات فليس بمتمتع ولا يجب عليه دم التمتع .

س : ما حكم من أحرم بأحد النسكين من ميقاته ، ثم عدل عن قصد مكة إلى المدينة ، وعندها عاد إلى حاله قبل الإحرام فلبس ملابسه ، وغطى رأسه،وبم يؤمر فى هذه الحال ؟؟

جـ : يؤمر بالعودة إلى إحرامه فيتجرد من المخيط ويمتنع عن كلام محرم من محرومات الإحرام ؛ لأن المحرم لا يحله شىء سوى الطواف بالبيت ، وحكمه أنه يجب عليه فدية صيام أو إطعام أو نسك . ومن العلماء من يقول : عليه فديات لا فدية واحدة فدية لتغطية رأسه مثلا وأخرى للبسه المخيط وثالثة للبسه الحذاء إلى غير ذلك غير أن الأقرب إلى يسر هذا الدين وسماحة هذه الشريعة أن لا يكلف بفديات عدة جاهل متأول ظان أن هذا العمل جائز لا يتنافى مع تعاليم الشرع الحكيم ، بحيث أنه لو علم أن هذا يمس بحجه ، أو يخل بدينه لما فعله قط قلنا هذا ولو كان لدينا خبر عن الرسول ﷺ أو أثر عن أحد أصحابه ، أو نقل صحيح عن أحد أئمة الدين فى حادثة كهذه وفى بيان حكمها لما قدمنا على ذلك شيئًا سواء ما بلغنا كان ذا يسر أو عسر .

ومما ينبغى أن يلاحظ هنا : أن هذا المتحلل جهلا لو جامع فى هذه الحال لفسد حجه ووجب عليه قضاؤه من قابل مع بدنة ، وعليه أن يستمر فى قضاء هذا

الحج الفاسد حتى يتمه ، لأن هذا حكم كل مع جامع قبل التحلل الأصغر برمى جمرة العقبة يوم النحر .

س : متى يلبى بالنسك من أراد السفر إلى مكة بالطائرة ؟

جـ : على من أراد النسك إن كان ممن يسافر بالطائرة أن يغتسل ويتطيب ويلبس إزاره ورداءه قبل ركوبه الطائرة ، ثم إن كان المطار مطار المدينة المنورة فله أن يصلى سنة الإحرام بنفس المطار ، ثم بعد ركوبه وتحرك الطائرة بلحظات يلبى بنسكه الذى عزم عليه من حج أو عمرة أو بهما معاً ؛ لقرب الميقات من المطار . وإن كان المطار بعيدا من الميقات فإنه يغتسل ويتطيب ويلبس لباس الإحرام الخاص، ويوصى ربان الطائرة وملاحيها أن يشعروه بمحاذاة الميقات فإذا ما أشعروه صلى ركعتى الإحرام إن أمكن ولبى بنسكه .

س : ما هو ميقات حجاج قدموا من ميناء (بور سودان) بحيث لم يأتوا بطريق رابغ، ولا بطريق اليمن فيحرموا من أحد الميقاتين؟

جـ : على هؤلاء أن يتحروا محاذاة أقرب ميقات إلى طريقهم فيحرمون عنده، وليكن لهم دائماً ميقاتاً عاماً ، وإن لم يكن طريقهم محاذياً لأى من المواقيت فليحرموا على بعد مرحلتين من مكة نزولاً على قضاء عمر رضى الله عنه إذ روى البخارى رحمه الله : أنهم أتوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالوا : يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ حد لأهل نجد قرناً، وأنه جور [1] عن طريقنا ، وإن أردنا أن نأتى قرنًا شق علينا ؟ قال : فانظروا حذوها من طريقكم ، فحد لهم ذات عرق وكانت على مرحلتين من مكة . هذا وإن أقرب مكان يصلح أن يكون ميقاتاً لحجاج (بور سودان) هو مدينة جدة ولو أحرموا فى البحر على مرحلة أو مرحلتين لكان أحوط والله أعلم.

س : هل يجوز للمحرم أن يشد على وسطه المنطقة وشبهها لنقوده ، أو يعلق عليه الجراب ـ كمحفظة ـ لبعض شؤونه ؟

جـ : للعلماء فى ذلك خلاف ، والمشهور أن ذلك جائز للحاجة إليه ، غير أن بعضهم يقول بجوازه مع الفدية . ومن أدلة الجواز : ما رواه مالك فى الموطأ

---

(١) الجور : المائل.

عن سعيد بن المسيب : أنه لا بأس بالمنطقة يلبسها المحرم تحت ثيابه إذا جعل طرفيها جميعاً سيوراً يعقد بعضها إلى بعض.

ومع أن هذا مجرد قول ، أو رأى لسعيد بن المسيب . فإن مالكاً رحمه الله يقول : وهذا أحب ما سمعت إلى فى ذلك .

والملاحظ فى هذا أن قوله : تحت ثيابه يشير على ما يشد على الوسط ينبغى أن يلى الجسد مباشرة لا أن يشد فوق الإزار ، وعلى كل فإن الأقرب إلى يسر هذه الشريعة جواز ذلك للحاجة وسواء كان جرابًا أو منطقة ، أو كمراً وسواء كان تحت الإزار أو فوقه إن كانت الحاجة تدعو إلى ذلك . لما روى سعيد بن منصور إباحة ذلك عن عائشة وابن عمر رضى الله عنهما.

س : ما حكم لبس النظارات للمحرم وتغطية وجهه لغبار ونحوه ؟

جـ : الجواز إن كان ذلك لحاجة ؛ لما روى مالك أن عثمان رضى الله عنه رؤى بالعرج [1] يغطى وجهه وهو محرم .

س : هل يتختم المحرم ؟ أو يربط الساعة فى يده ؟

جـ : نعم إن كان ذلك لحاجة فقد روى الدارقطنى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المحرم يتختم ويلبس الهميان (منطقة للنقود) .

س : ما حكم المحرم يأخذ من شعر الحلال بالحلق أو التقصير ؟

جـ : لا شىء عليه ؛ لأن إلقاء التفث محظور على المحرم نفسه لا على غيره.

س : هل يجوز للمحرم أن يغير لباس إحرامه ؟

جـ : نعم يجوز له ذلك ؛ لما روى سعيد بن منصور أن النبى ﷺ غير مرة ثوبه وهو محرم . ولذا فعله أحد من السلف .

س : هل يجوز للمحرم أن يحك رأسه أو جسده ؟

جـ : نعم يجوز لما روى مالك فى الموطأ عن عائشة رضى الله عنها أنها

---

(١) قرية على مراحل من المدينة .

سئلت عن المحرم يحك جسده ؟ فقالت : نعم فليحكه وليشدد .

س : هل يجوز للمحرم أن يتداوى أو يحتجم ؟

جـ : نعم يجوز له ذلك لما روى الشيخان أن النبى ﷺ احتجم فى طريق مكة وهو محرم ، ولما أخرج الشافعى رحمه الله تعالى أن ابن عمر كان إذا رمد وهو محرم أقطر الصبر فى عينيه إقطاراً .

س : هل يكره التفلى للمحرم ؟

جـ : يكره له ذلك ؛ لما روى سعيد بن منصور عن سالم وعطاء كراهيته ، ولما روى الشافعى عن ابن عباس أنه أمر من تفلى وألقى القمل بصدقة مطلقة .

س : متى يهل المكى بالحج ؟

جـ : إن شاء أهل عند خروجه إلى منى يوم التروية وإن شاء أهل قبله لكن بعد دخول شهراً لحجه ؛ لما روى مالك عن ابن الزبير رضى الله عنهما كان يهل بالحج من مكة لهلال الحجة . وكان ابن عمر يفعله ، ويؤخر الطواف والسعى إلى بعد الإفاضة من عرفة .

س : ما حكم المكى يحج نيابة عن شخص من سكان ما وراء المواقيت فيحرم من مكة ، وهل يعتبر كمن أحرم دون الميقات فيجب عليه دم ؟

جـ : حكمه أن هذا الحج المعروف بالحج البدل جائز غير إنه إن لم يحرم من ميقات المحجوج عنه يعتبر كمن أحرم دون الميقات وفى هذه الحالة يتعين عليه دم[1] .

س : ما حكم من ذبح هدى التمتع قبل يوم النحر ؟

جـ : حكمه أنه خالف سنة الرسول ﷺ فى ذبح الهدى التى هى ذبحه يوم النحر بمنى غير أنه يجزئه إذا كان لعذر جهل أو عجز أو نسيان لخبر . ما سئل عن شىء تقدم أو تأخر قال افعل ولا حرج (تقدم الخبر) .

س : ما هو وقت ذبح الهدى ؟

---

(١) السؤال والجواب معا : نشرتهما جريدة [حراء] المكية ولما لم يكن لدينا نص صريح عن الشارع ، أو الأئمة فى الموضوع ، ورأينا أن الفُتيا مبنية على قاعدة فقهية صحيحة ، وهى أن من تجاوز الميقات بدون إحرام: وجب عليه دم نشرناها لذلك.

جـ : وقت ذبح الهدى هو يوم النحر ويومان بعده ، ومن لم يذبح فى أيامه الثلاثة فله أن يذبح بعدها بمكة قضاء، غير أن الأحناف يوجبون عليه دماً لتأخره الذبح عن أيام النحر الثلاثة .

س : ما هى السن المجزئة فى الهدى ؟

جـ : أقل ما يجزئ فى الإبل خمس سنوات ، وفى البقر سنتان كاملتان وبعض من السنة الثالثة ، وفى الغنم إن كان معزاً سنة كاملة وإن كان ضأناً سنة أو ما قاربها .

س : ما حكم من اقتصر فى التقصير على شىء يسير كأن قص شعرات قليلة من أحد جانبى رأسه ؟

جـ : حكمه أنه خالف الهدى النبوى ، وأن هذا القص الجزئى لا يجزئه، وعليه أن يقص من كامل رأسه ، أو يحلق رأسه بالكلية ، والحلق فى الحج أفضل لقوله ﷺ « اللهم ارحم المحلقين ثلاثا . وفى الرابعة قال : والمقصرين» أما فى عمرة التمتع فبعضهم يرى التقصير أولى إبقاء للشعث حتى تمام الحج.

س : ما حكم من وقف بعرفة بعد الزوال وخرج منها قبل الغروب ؟

جـ : حكمه أنه ترك واجبًا ، وعليه فى هذه الحالة دمًا ، غير أن المالكية يقولون بفساد حجه مرة واحدة ؛ لأن الركن عندهم فى الوقوف بعرفة هو وقوف جزء من الليل بعد الغروب ، وأما الوقوف قبل غروب الشمس فهو واجب يجبر بالدم.

هذا وقد اختلف فيمن وقف قبل الزوال ، ولم يعد إلى الموقف بعده لا ليلاً ولا نهاراً ، هل يصح حجه مع وجوب الدم ، أو لا يصح . الجمهور على أن حجه فاسداً أما من لم يقف إلا ليلاً ، فإن حجه صحيح ولا دم عليه لقوله ﷺ : «من أدرك عرفات بليل فقد أدرك الحج » فإنه ﷺ أثبت له الحج ولم يأمره بدم.

س : ما حكم من مر ليلة جمع (المزدلفة) ولم يمكث بها أكثر من دقائق التقط خلالها الحصى ؟

جـ : حكمه عليه دمًا لتركه واجبًا هذا فيما إذا لم يحط رحله ، وينزل بها

نزولاً كاملاً يمكث بعده ساعة من الزمن ، أما إذا حط رحله ونزل بها فصلى العشاءين وكان نفوره منها لعذر فلا دم عليه ؛ لأنه قد صح عنه ﷺ الترخيص لذوى الأعذار فى النفور من مزدلفة ليلاً قبل طلوع الفجر ؛ فقد أخرج الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت سودة امرأة ضخمة ثبطة فاستأذنت رسول الله ﷺ أن تفيض من جمع بليل فأذن لها . وروى الجماعة عن ابن عباس رضى الله عنه قوله : أنا ممن قدم النبى ﷺ ليلة المزدلفة فى ضعفة أهله. وروى أحمد عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أذن لضعفة الناس من المزدلفة بليل .

س : ما حكم من لم يرم جمرة العقبة يوم النحر ، وقد حلق وطاف طواف الإفاضة ، وهل يرمى بالعشى أو بالليل أو يترك الرمى إلى الغد وماذا يجب عليه؟

جـ : حكمه أن يرمى متى أمكنه الرمى سواء كان عشية ، أو ليلاً أو من الغد، ثم إن كان ناسياً ، أو جاهلاً ، أو ذا عذر قاهر فلا شىء عليه ، أما إذا لم يكن كذلك ، فإن عليه دماً لتركه الرمى فى وقته ؛ لأن الرسول ﷺ لما سئل عن التقديم والتأخير فى الرمى والحلق والإفاضة قال : « لا حرج لا حرج » كان السائلون يعللون عملهم بقولهم : ما شعرت . . . نسيت . . . إلخ . فاقرب إذاً إلى محاسن هذه الشريعة أن لا يؤاخذ ناس أو جاهل ، أو ذاهل ، أما العامد الذى يقدم خطوط نفسه فلابد من جزاء يطهر له نفسه ، وهو ذبح شاة ، أو صيام عشرة أيام بدلها إذا لم يجدها .

س : ما حكم من ترك حصاة لم يرمها فرمى بست فقط ؟

جـ : لا شىء عليه لما روى النسائى وسعيد بن منصور عن سعيد بن مالك قال رجعنا فى الحج مع النبى ﷺ وبعضنا يقول رميت بست حصيات وبعضنا يقول بسبع فلم يعب بعضنا على بعض .

س : ما حكم من لم يبت ليلة بمنى أيام التشريق ؟

جـ : حكمه أنه إن كان صاحب عذر بين اضطره إلى المبيت خارج منى فلا شىء عليه ؛ لأن الرسول ﷺ رخص فى ذلك لأصحاب الأعذار كرعاة الماشية وسقاة الماء. أما إذا لم يكن ذا عذر شرعى، وإنما أراد اتباع خطوط نفسه وهواه

فخرج من منى ليبيت بمكة أو جدة مثلاً فإن عليه دماً مع الإثم والكراهة والالتفات إلى قول من قال : إن عليه صدقة دون الدم كبعض الفقهاء.

س : هل يرمى عن الصبى والمريض والعاجز ، وإن رمى عنهم فهل يجب عليهم بعد ذلك دم ؟؟

جـ : أما الصبى فإنه يرمى عنه ، ولا دم عليه ، ولا على وليه البته ، وأما المريض والعاجز فقد يرمى عنهما، ولكن عليهما دم لما أخرج مالك فى موطئه قال يحيى سئل مالك : هل يرمى عن الصبى والمريض فقال : نعم وليتحر المريض حين يرمى فيكبر وهو فى منزله ، ويهرق دماً، فإن صح المريض فى أيام التشريق رمى الذى رمى عنه وأهدى وجوبًا.

فهذه الرواية عن إمام عظيم من الأئمة الأربعة ، كمالك رحمه الله يتعين العمل بها فى مسألة تعبدية كهذه حتى يظهر نص ثابت صريح عن النبى ﷺ ، أو أحد خلفائه الراشدين بسقوط الرمى عن المريض والعاجز إذا رمى عنهما فيجب المصير إليه ، لأنه لا يقدم على قول الله ورسوله، وعن سنة الراشدين شىء.

س : ما حكم من لم يرم فى اليوم الأول أو الثانى من أيام التشريق إلا بعد الغروب؟

جـ : حكمه : إن كان ناسياً ، أو جاهلاً ، أو عاجزاً لمرض ونحوه رمى بليل، ولا شىء عليه . وإن كان عامداً غير ناس ، ولا جاهل ، أو مريض فإن عليه دماً لتأخير الرمى عن وقته الذى هو من بعد الزوال إلى غروب الشمس.

وإن قلت : إن بعض المذاهب كالحنبلى مثلاً لا يوجب الدم على من أخر الرمى عن وقته ، حتى ولو أخر الرمى كاملاً إلى آخر أيام التشريق ، وإن من لم يبت ليلة بمنى لا يوجبون عليه الدم ، فكيف تقول أنت بوجوب الدم فى المسألتين على غير أصحاب الأعذار ، وما هو مذهبك إذاً ؟؟

ثم إنك تعفى الناس فى المسألتين ، مع أن ابن عباس رضى الله عنه لا يعفيه فى ذلك . حيث يقول : (من ترك من نسكه شيئًا، أو نسيه فليهرق دماً) وجوابى إليك ــ أخى الفاضل ــ هو :

أ ــ فى إيجاب الدم فى المسألتين :

لما كان بعض المذاهب يوجب الدم، وبعضهم لا يوجبه فى المسألتين ، وكانت المسألة تعتمد عند الفريقين على الرأى والقياس لا على النص الصريح من قول الله تعالى ولا من قول رسوله ﷺ ، وكنت مطالباً بتحرى الحق ، وتوخى الصواب فيما أقدمه لإخوانى من بيان لأحكام هذه العبادة العظمى ــ عبادة الحج والعمرة ــ كان على أن أقدم إليهم ما أراه الحق ، وأعتقد أنه الصواب بغير تعصيب لمذهب خاص من المذاهب المحترمة عند أغلبية المسلمين .

ب ــ فى مذهبى اعلم أن مذهبى ينبنى على الأسس التالية :

١ ــ اعتقاد أن العبادة فعلاً كانت أو تركاً ، إذ لم تكن مشروعة بإذن الله تعالى أو إذن رسوله ﷺ وعليها أمرهما لا فائدة فيها فلا تزكى النفس ، ولا تطهر الروح ومتى كانت كذلك فلا خير فى القيام بها.

٢ ــ اعتقاد أنه لا يسأل أحد يوم القيامة إلا عن معصية الله ورسوله فقط.

٣ ــ الإيمان بأن شريعة الإسلام خالية من الحرج والتكلف ، وأنها تهدف بكل ما فيها من أمر ونهى إلى إصلاح الإنسان جسماً وروحاً قال تعالى : ﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم ، وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** ﴾ المائدة . وقال رسول الله ﷺ : « إن الدين يسر ».

٤ ــ الجزم بتحريم تقديم أى قول أو رأى على قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ لقوله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله** ﴾.

وبناء على ما تقدم يكون مذهبى : تحرى العمل بكتاب الله وسنة رسوله الثابتة الصحيحة ، وإن أعوزنى الدليل من الكتاب والسنة أقدم من آراء وفتاوى الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء أجمعين ما أراه أمس بروح تشريع الله ورسوله وألصق بهدى محمد ﷺ ملاحظاً فى ذلك الغرض العام الذى تهدى إليه الشريعة الإسلامية السمحة ، وهو تزكية النفس وإصلاحها لتعيدها بذلك إلى كرامة الدنيا والآخرة وسعادتها . قال تعالى : ﴿ **قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها** ﴾.

وإليك مثالاً لذلك وبه تعرف لماذا ألفق أحيانًا الفتيا من مذهبين أو من أكثر فأصبح وكأن لى مذهباً خاصًا بى.

المثال : قال بعض : على من أخر الرمى عن وقته ، وهو من الزوال إلى غروب الشمس قضاء بليل ، أو من الغد وعليه دم. وقال بعض آخر : لا دم عليه فى ذلك ، ولم يكن للموجبين دليل صريح من كتاب ولا سنة، ولا لغير الموجبين دليل صحيح من كتاب ، أو سنة . فقلت : إذا كان الدليل الصريح من قول الله تعالى، أو قول رسوله ﷺ معدوماً عند الفريقين ـ على ما أعلم ـ وكنا موقنين أنْ لا يسأل يوم القيامة إلا عن طاعة الله ورسوله ومعصيتهما وكنا نعتقد أن العبادة سواء كانت فعلاً أو تركًا أى مما يفعل كالصلاة ، أو مما يترك كالخمر والزنا مثلاً ، لا تؤثر فى النفس بالزكاة والصلاة إلا إذا كان عليها أمر الله ورسوله ، وكنا نعتقد أن الغرض من العبادة إصلاح النفس وتزكيتها ، وكنا نعتقد أن الشريعة الإسلامية خالية من الحرج ، قلنا : إنه يجب على من أخر الرمى لغير عذر دم ، وحكمنا هذا يستند على ما يلى :

١ ـ رأى إمام من الأئمة المحترمين ، وهو البعض القائل بوجوب الدم.

٢ ـ إن من يؤخر الرمى لا لعذر ، وإنما اتباعاً لهواه ، وأثيراً لحظوظ نفسه فلا يرمى فى الوقت الذى رمى فيه صاحب الشريعة ﷺ ، يعتبر قد أجرم على نفسه. وفى هذا الحال يحتاج إلى إصلاح، ولم نعرف له ما يصلح نفسه سوى التصدق بذبح شاة ؛ لأن هذه الصدقة وضعها المشرع ﷺ لمثل هذه الأخطاء فعرفنا أنه لا يزيل أثر هذا الذنب من النفس ، إلا هذا النوع من المكفرات ، فأمرناه بإصلاح نفسه بذبح شاة .

ولم نقل بوجوب الدم على ذى العذر . سواء كان العذر جهلاً أو نسياناً أو مرضاً أو عجزاً .

١ ـ لأنه يوجد مذهب محترم لا يوجب الدم فى هذه الحال .

٢ ـ إذا كان الغرض من العبادة تطهير النفس فصاحبنا قد فعلها ، ولو فى غير وقتها بكل إذعان واستسلام. فلا شك أنه لم يفته ما تهدف إليه العبادة من تزكية نفسه.

٣ ـ من مبادئ الشريعة الإسلامية دفع الحرج عن غير العامد كالمخطئ ، والناسى والمريض فى أغلب أنواع العبادات .

٤ ـ لما لم توجد معصية تدسى النفس، وهى الرغبة عن سنة الرسول ﷺ . أو الاستخفاف بها، أو التهاون فى أدائها ، أو تقديم هوى النفس وحظوظها عنها، وإنما كان التأخير لعجز أصيل فى الإنسـان بحيث لو عرف الجاهل وقتها لما أخرها ، ولو ذكر الناسى، أو صح المريض ، أو زال المانع لما أخروها عن وقتها المعين لها . لماذا يطلب وجود كفارة ؛ وما تكفر هذه الكـفارة التى لم يسبقها ذنب؟ وفوق كل ما ذكرنا أنه لو أمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالدم أو بعدمه لما وسعنا إلا ذلك ، ولما قدمنا عليه شيئاً ، ويعلم الله .

جـ : **أما عن إعفاء الناسى،** مع أن ابن عباس رضى الله عنه لم يعفه .

فإنه إن صح القول عـنه وهو :(من ترك من نسكه شيئًا ، أو نسـيه فليهرق دماً) فهذا قبل كل شىء ليس مما نسأل عن مخـالفته يوم القيامة ؛ لأنه ليس بقول الله تعالى، ولا قول رسوله ﷺ . ثانيًا إن صح هذا الأثر فإنه لا يـنطبق على كل ما نسى من مناسك الحج . فـلقد قيل للرسول ﷺ : إنى نسيت فـأفضت قبل أن أرمى فقال: « ارم ولا حرج » فـما دام مؤخر الرمى قد نسيه . ثـم قام به ولو فى غير وقـته فلم لا نقول لـه : لا حرج أسوة بقول الـنبى ﷺ . مع أن قـول ابن عباس رضى اللـه عنه : أو نسيه يحتمـل أنه نسيه فلم يفعـله مرة واحدة ، لا أنه نسيه ثم لما تذكره وفعله بكل إذعان واستسلام .

فإن إهراق الدم لتطهـير النفس ، أو لزيادة زكائها ، وما دام صاحـبنا لم يعلق به إثم وأتى بالعبادة فزاد زكاء نفسه. فلا معنى لأمره بمزك آخر.

ومن هنا يعرف وجه مـخالفتى أحياناً لبعض المذاهب ، أو تلـفيقى الحكم من مجمـوعها . فيصبـح وكأنه مذهب خـاص ، وما قصدى فى كل ذلـك إلا توخى الصالح الـذى يصون للشريعـة حرمتها فلا يتـجرأ عليها أصحـاب الأهواء والميول الفاسدة ، ويحفـظ لها يسرها وسماحتها ومـا توفيقى إلا بالله عليـه توكلت وإليه أنيب.

س : هل يـجوز رمى جمـرة العقبـة قبل الفـجر، وهل يصـح تأخيرهـا إلى المساء؟

جـ : اعلم أن الـوقت المختار لرمى جمرة الـعقبة هو من طلوع الـشمس إلى الزوال ، وهـو الوقت الذى رمـى فيـه رسول الله ﷺ ، وأما ما قبل طلوع الفجر

فهو لأصحاب الأعذار خاصة . فقد أخرج أبـو داود عن عائشة رضى الله عنها : أن النبى ﷺ ، أمر أم سلمة ليلـة النحر فرمت جمرة العقبة قبـل الفجر ثم مضت فأفاضت أما الوقتان اللذان من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، ومن الزوال إلى غروب الشمـس . فيصح الرمى بلا كراهـة لعذر ولغير عذر ؛ غيـر أن من غربت عليه الشمس ولم يـرم ، فإنه اختلف فى حكمه فمالك رحمـه الله تعالى يقول : يرميها بالليل وعليه دم ، وأبو حنيفة يقول: يرمى ولا دم عليه ، وقال الشافعى : لا شىء عليه . وقال أحمد : لا شىء عليه . والمذهب يـرى أن تأخيرها إلى غد أولى من رميها بليل .

هذا والذى أراه أقرب إلـى روح الشريعة وأدنى إلى صـيانتها ، وإبقـاء يسرها وسماحتها . أن الذى أخر الرمى إلى اللـيل إن كان ذا عذر شرعى اضطر معه إلى التأخير . فإنـه يرمى ساعة زوال عذره فى ليل أو نهـار ، ولا دم ولا إثم عليه [1] وأما من أخر رميها اتباعاً لهواه ، وعدم مبالاة بحرمة هذه الشعيرة الدينية المحترمة . فإن علـيه أن يبادر برميـها فى الحال ، وعليـه دم تطهيراً لنـفسه ، وتكفيـراً لذنب التهاون بحرمة شعيرة تعظيمها من تقوى القلوب ، وتحقيرها من إثمها والعياذ بالله تعالى .

س : ما حكم من أراد التعجل فى اليوم الثانى فرمى الجمرات واشتغل بإعداد رحلته فما زال يربط أمتعته ، أو ينتظر سيارته حتى غربت عليه الشمس؟

جـ : إن شاء بـات ليلته بمنـى ورمى فى اليوم الـثالث ونفر ، وإن شق عـليه ذلك لربطه أمتعتـه وإنهائه أسباب إقامته بمنى نفر ولا حرج بـهذا قال الشافعى وأبو حنيفة ويؤثر عن بعض الصحابة أيضا .

س : ما حكم من لم يطف طواف الإفاضة إلا بعد أيام التشريق الثلاثة؟

جـ : يـطوف بعدهـا ولا شىء عليـه ، إن لم يكن قـد أصاب النسـاء . فإن أصابهن فعليـه مع الطواف هدى وعمرة . لما أخرج مالك عن عـبد الله بن عباس رضى الله عـنه أنه سئل عن رجـل وقع بأهله وهو بمـنى قبل أن يفيـض فأمره أن

---

(١) هذا فى كل من رمى الجمرات بليل لعذر الزحـام أو النسيان أو المرض أو الجهل لما صح عن النبى ﷺ أنه قيل له ؛ رميت بعد ما أمست فقال : «لا حرج » ، رواه البيهقى بسند صحيح .

ينحر بدنة . وفى رواية عنه أنه قال : يعتمر ويهدى.

س : ما حكم من ترك الرمى والمبيت فى اليوم الأول والثانى لعذر شرعى، ورمى فى اليوم الثالث عنه وعن اليومين الماضيين؟

جـ : ما دام قد رمى فى اليوم الثالث وهو وقت قضاء للرمى فلا شىء عليه؛ لأن تأخيره الرمى وتركه المبيت كان لعذر صحيح مقبول.

س : ما حكم من مرض أيام منى فنقل أثر مضره إلى المستشفى فلم يرم الجمرات ولم يبت بمنى؟

جـ : أما المبيت فيسقط لعذره حيث أن الرسول ﷺ رخص للرعاة والسقاة فى عدم المبيت ، وأما الرمى فلم يسقط عنه ،وحيث فاته قضاؤه بفوات أيام التشريق فعليه دم.

س : ما حكم من وجب عليه دم ولم يتمكن من ذبحه بالحرم حتى عاد إلى أهله بأفق كالهند ، أو المغرب مثلاً ؟

جـ : إن كان الدم الواجب سبب وجوبه تمتع أو قران أو فوات ، أو جزاء صيد فإنه لا يجزئه بغير مكة ، وعليه أن يقدم بنفسه لذبحه ، أو ينيب عنه من يقوم بذلك ، وإن كان الدم الواجب سببه غير ما ذكر بأن كان دم فدية ، أو ترك واجب ، أو فعل محظور . فإن له أن يذبحه فى أى البلاد شاء كالصيام والإطعام.

س : ما حكم من تمتع وعزم على الصوم لعجزه على الهدى، ولكن لم يصم لعذر أو لغير عذر حتى انقضت أيام الحج وعاد إلى أهله ؟

جـ : عليه أن يصوم العشرة أيام كاملة فى بلده ، ثم إن كان تأخيره للصوم لعذر كمرض فلا شىء عليه ، وإن كان تأخيره تهاوناً وتفريطًا . فإن عليه مع الصوم دم .

س : ما حكم من وجب عليه دم كهدى التمتع مثلاً ولم يجده ، ولا استطاع صياما ؟

جـ : بقى فى ذمته أحدهما. فإن قدر على الدم أهرقه ، وإن قدر على

الصيام وعجز عن الدم صام عشرة أيام .

س : هل لمن أفرد بالحج أن يعمر ؟

جـ : الجمهور على جواز ذلك غير أن بعض الفقهاء يرى وجوب الدم عليه لكونه اعتمر فى ذى الحجة الذى هو أحد أشهر الحج ، فأشبه من تمتع بالعمرة إلى الحج فرأوا لذلك وجوب الدم عليه .

ومما ينبغى أن يلاحظ هنا أن العمرة بعد الحج لم تكن مشهورة عند السلف وقل من يفعلها منهم بل كانوا يعتمرون متمتعين أو قارنين ، أو يعتمرون فى غير أشهر الحج ، غير أنه ما دام الرسول ﷺ أذن لعائشة رضى الله عنها بالاعتمار من مكة بعد انقضاء حجها، وذلك بأن أمر أخاها عبد الرحمن بأن يخرج بها إلى الحل لتعتمر. فخرج بها إلى التنعيم فأحرمت منه واعتمرت ، فلا مانع إذاً أبداً من العمرة بعد الحج ، ولا دم على من فعلها لاسيما من قام به عذر . كالصديقة رضى الله عنها.

س : ما حكم الصلاة داخل البيت الحرام ؟

جـ : فى صحة الفريضة داخل البيت بين العلماء خلاف، أما النافلة فلا خلاف بينهم فى جوازها بل أنها مستحبة ؛ لأن الرسول ﷺ دخل البيت وصلى فيه ركعتين كما هو مشهور فى الصحيح . والصلاة فى الحجر كالصلاة فى البيت، الفريضة مختلف فى صحتها ، والنافلة جائزة بل مستحبة، فإن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيه فأخذ الرسول ﷺ بيدى فأدخلنى الحجر ، فقال :« صلى فى الحجر إذا أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت ؛ فإن قومك اقتصروا حين بنو الكعبة فأخرجوه من البيت » .

س : ما حكم من خالف بين رمى الجمرات فرمى الوسطى أولاً ثم الأولى، أو الأولى ثم العقبة ، أو الوسطى ثم العقبة فالأولى ؟

جـ : معروف أن الترتيب فى الرمى واجب عند الجمهور ، وسنة عند غير الجمهور ، وبناء على القاعدة التى مشينا عليها فى تحرى الأقرب إلى الهدى النبوى وأمس بروح الحنيفية السمحة نقول : إن من ترك الترتيب بين الجمرات الثلاث اختياراً مع علمه أن الرسول ﷺ رماهن مرتباً رميهن ، وأبى إلا أن يعمل برأيه

ويقدم هواه فرماهن غير مرتب لهن ، أن عليه أن يعيد الرمى مرتباً له مهما كانت الحال سواء كان الحر شديداً أو الزحام قوياً ، وإن لم يعد الرمى فإن عليه دماً تطهيراً لما علق بنفسه من أثم التهاون بسنة الرسول ﷺ وشعيرة الإسلام . أما إذا كان سبب مخالفته الترتيب هو جهله بالحكم ، أو نسيانه ، أو غير ذلك من الأعذار الشرعية فلا شيء عليه، وإن أعاد الرمى فحسن، وقلنا برفع الحرج على ذى العذر؛ لأنه لم يثبت ــ فيما علمنا ــ عن الرسول ﷺ ولا عن أصحابه الأمر بإعادة الرمى لمن لم يرتبه ناسياً أو جاهلاً ، ويضاف إلى هذا قوله ﷺ :« رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » وقوله تعالى : ﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ وغير ذلك من الكليات العامة .

س : ما حكمْ استلام المرأة للحجر الأسود ؟

جـ : يكره لها ذلك متى كانت تزاحم الرجال ، ذلك لما روى الشافعى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لإمرأة قالت لها : طفت سبعاً واستلمت الركن مرتين أو ثلاثاً : لا آجرك الله تدافعين الرجال ، ألا كبرت ومررت .

س : هل يجوز لمن وجب عليه دم فأهرقه أن يأكل منه ؟

جـ : فى هذا تفصيل : إن كان الدم الواجب دم تمتع أو قران ، أو كان هدى تطوع جاز له أن يأكل منه بل يستحب له ذلك ، لأن الرسول ﷺ أكل من هديه وكان قارنًا وكذا نساؤه أمهات المؤمنين رضى الله عنهن أكلن من هديهن وكن متمتعات (فى الصحيح) .

أما ما كان من الدم لترك واجب ، أو فعل محظور ، أو جزاء صيد أو لنذر فإنه لا يجوز الأكل منه ، وهذا هو المشهور فى المسألة ، والأقرب أيضا إلى روح الشريعة ونصوصها. وإن كان هناك خلاف فقهى معروف فى الموضوع .

س : ما هو الهدى ، وكيف يشعر ويقلد ، وما محله ، وما تعريفه ؟؟؟

جـ : أما الهدى فهو ما يهدى من الإبل والبقر والغنم ضأناً أو معزاً إلى سكان الحرم وأفضل أنواعه : الإبل فالبقر فالغنم ، ويشترط فيه ما يشترط فى الأضحية من السن والسلامة من العيوب كالهزال والمرض . وقد يكون واجباً كهدى التمتع والقران ، أو النذر ، أو كفارة جزاء الصيد . وقد يكون هدى تطوع

محض بحيث يسوقه من بلده ، أو يبعث به منه قصد إهدائه إلى سكان الحرم لا لكونه وجب عليه فى تمتع أو قران ، أو نذره نذراً . وقد أهدى الرسول ﷺ مائة من الإبل ، ولم يكن قد وجب عليه فيها إلا ما كان لقرانه .

وأما كيفية إشعاره ، أو تقليده فهى أن يشق من جانب الإبل أو البقر إن كانت من ذات السنام وإلا فلا تشعر كالغنم ـ يشق من جانبها الأيسر أو الأيمن حتى يسيل الدم وهو مستقبل القبلة حال الإشعار .

وأما التقليد : فهو أن يعلق فى رقبته شيئًا كنعل وغيره من آذان القرب وعراها، إشعاراً بأنه مهدى إلى الحرم .

أما محله: فزمانى ومكانى ، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **ثم محلها إلى البيت العتيق** ﴾ وقوله جل ذكره: ﴿ **هدياً بالغ الكعبة** ﴾ وقوله عز شأنه: ﴿ **ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله** ﴾ .

وبيان ذلك : أن محل الهدى المكانى هو الحرم إلا إذا عطب الهدى ، أو أحصر المهدى ولم يتمكن من إرساله إلى الحرم فإنه يذبحه مكانه حيث أن الرسول ﷺ لما صدته قريش عن المسجد الحرام ذبح هديه بالحديبية كما هو معروف . أما محله الزمانى فيوم النحر إن كان هدى تمتع أو قران ، أو تطوع فى حج ، أما إذ لم يكن كذلك فمحله مطلق الزمن فلا يقيد بيوم خاص .

أما تعريفه : فهو أن يقف به صاحبه أو نائبه بعرفة يومها ، غير أنهم اختلفوا فى حكم هذا التعريف فذهب مالك إلى أنه إذا لم يدخل به صاحبه من الحل يجب تعريفه ، وإن دخل به من الحل فلا وجوب ، ولكن يسن ذلك . وذهب الشافعية والحنابلة إلى سنية التعريف دون وجوبه . وذهب أبو حنيفة ـ رحمهم الله أجمعين ـ إلى التعريف ليس بسنة ولا واجب . وحجة الجمهور فعل الرسول ﷺ وقد قال : « خذوا عنى مناسككم » وتأول الأحناف فقالوا إن تعريف الرسول ﷺ لهديه لم يكن مقصوداً وإنما هديه كان تابعاً لوقوفه ﷺ فما هديه إلا كسائر أمتعته وأزواده التى تحل معه حيثما حل فلم يكن يقصد تعريف الهدى بالوقوف به بعرفة حيث لم يكن هناك ما يدل على ذلك سوى وجوده معه. لا سيما وقد روى سعيد بن منصور عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إن شئت أن تعرف بالهدى وإن شئت فلا تعرف إنما أحدث الناس السياق مخافة السرق .

س : ما حكم من وجبت عليه بدنة ولم يجدها ؟

جـ : يكتفى بذبح سبع شياه لما روى ابن ماجة عن ابن عباس رضى الله عنه قال : أتى النبى ﷺ رجل فقال : إن علىَّ بدنة وأنا موسر ولا أجدها فأشتريها ؟ فأمره النبى ﷺ أن يبتاع ــ يشترى ــ سبع شياه فيذبحهن .

س : ما حكم من مرض قبل الوقوف بعرفة فلم يتمكن من الحضور بها ليلاً ولا نهاراً ؟

جـ : هذا هو ما يسمى بالفوات ، وحكمه : أن من فاته الوقوف بعرفة لعذر من الأعذر كتأخير الباخرة ، أو ضلال الراحلة ، أو مرض فإنه عليه أن يتحلل بعمرة فيطوف ويسعى ويحلق أو يقصر وعليه الحج من قابل مع هدى ، هذا إن لم يكن قد اشترط حال إحرامه بأن محله حيث يحبسه الله تعالى من الأرض ، أما إن اشترط فلا شىء عليه لا هدى ولا قضاء من قابل إلا أن يكون الحج حج فريضة أو واجباً بنذر مثلا فعليه أداؤه ، ودليل هذا : ما رواه أبو داود : من أن النبى ﷺ قال: « من كسر أو عرج أو مرض فقد حل ، وعليه الحج من قابل(١) » ولكن هذا الحديث لم يشر إلى التحلل بعمرة ولا إلى هدى غير أن رواية مالك فى الموطأ أثبتت ذلك ، فقد جاء فيها أن عمر بن الخطاب أمر أبا أيوب الأنصارى وهبار بن الأسود رضى الله عنهما حين فاتهما الحج وأتيا يوم النحر أن يحلا بعمرة ثم يرجعا حلالاً ، ثم يحجان عاماً قابلاً ويهديان ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع .

س : ما هو الإحصار ، وما حكمه ؟

جـ : الإحصار هو أن يمنع الحاج أو المعتمر بواسطة عدو أو لصوص من الوصول إلى البيت ، أو الوقوف بعرفة . وحكمه : أنه إذا أيس من الوصول إلى البيت يتحلل من إحرامه بذبح ما استيسر من الهدى شاة فما فوقها ، وإن لم يجدها الهدى صام عشرة أيام بنية التحلل لقوله تعالى: ﴿ **فإن أحصرتم** (٢)

---

(١) الحديث وسمه بعضهم بالضعف غير أنه حسن لغيره .

(٢) اختلف هل على المحصور قضاء أو لا ؟ والجمهور على أنه لا قضاء عليه ، إلا أن يكون واجباً فلابد من قضاء الواجب .

فما استيسر من الهدى [1] ﴾ الآية .

هذا فيما إذا كان الإحصار عن البيت أما إذا كان الإحصار عن عرفات فقط فإنه إن لم يكن قد طاف طواف القدوم ولا سعى فإنه يفسخ حجه إلى عمرة فيطوف ويسعى بنية العمرة ويتحلل ولا هدى عليه ، وإن كان قد طاف وسعى فقيل : يطوف ويسعى مرة أخرى ويتحلل ، وقيل : عليه أن يخرج إلى الحل فيجدد إحرامه للعمرة وحين يتمها يتحلل .

س : هل هناك أماكن بمكة تسن زيارتها سوى المسجد الحرام ؟

جـ: ليس هناك أماكن تسن زيارتها ، لا غار حراء، ولا غار ثور ، ولا دار المولد النبوى ؛ لأن الرسول ﷺ لم يسن هذا ، ولم يشرع لنا ، وما لم يكن قد أذن الشارع فيه فهو خال من الفائدة المقصودة من العبادات الشرعية التى هى إصلاح الروح وتطهيرها .

وإن قيل أنها تقصد لا لكونها سنة وإنما للدعاء فيها حيث يظن الاستجابة عندها . فالجواب : أن الاستجابة لا ترجى إلا فى أثر أداء القربة والطاعة، وما دام لم يتقرب إلى الله تعالى بشىء فبماذا يتوسل إلى القبول إذاً حتى ترجى استجابة الدعاء ؟

ويضاف إلى هذا : أن زيارتها لما لم يأذن فيها الشارع تعتبر بدعة يجب اجتنابها لأن كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

وإلى هنا قد انتهى ما يسر الله تعالى لى جمعه وتأليفه من أحكام الحج والعمرة ومسائلهما . والحمد لله رب العالمين .

---

(١) محل نحر الهدى مكان الإحصار إلا إذا كان يمكنه نحره فى الحرم فإنه عليه أن ينحره بالحرم.

زيارة المسجد النبوى الشريف والتشرف بالسلام وبالوقوف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

المدينة المنورة حرم رسول الله ﷺ وحماه .

إذا كان الله تعالى قد حرم مكة وحماها فإن رسول الله ﷺ قد حرم المدينة وحماها ، فكلاهما حرم ، وكلاهما حمى . وكما لمكة المكرمة حمى معروف المعالم والحدود لا يصاد صيده ، ولا يعضد شجره ، ولا يختلى خلاه ، كذلك للمدينة المنورة حمى حماه رسول الله ﷺ فلا ينفر صيده، ولا يعضد شجره، ولا يختلى خلاه . رواه أبو داود عن على رضى الله عنه قال : ما كتبنا عن رسول الله ﷺ إلا القرآن ، وما فى الصحيفة ، قال : قال رسول الله ﷺ :« المدينة حرام ما بين عير إلى ثور فمن أحدث حدثا وآوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه عدل ولا صرف ـ إلى أن قال ـ لا يختلى خلاها، ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها إلا لمن أشاد بها ، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال، ولا يصلح أن يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره » .

وروى أيضا عن عدى بن زيد رضى الله عنه قال : حمى رسول الله ﷺ كل ناحية من المدينة بريداً فى بريد ، لا يخبط شجرة ولا يعضد إلا ما يساق به الجمل. كما أن سعد بن أبى وقاص أخذ رجلاً يصيد فى حرم المدينة الذى حرم رسول الله ﷺ فسلبه ثيابه ، فجاء مواليه فكلموه فيه ، قال : إن رسول الله ﷺ حرم هذا الحرم وقال : « من وجد أحداً يصيد فيه فليسلبه ثيابه » ولا أرد عليكم طعمة أطعمنيها رسول الله ﷺ ولكن إن شئتم دفعت لكم ثمنه .

وموجز القول حرم حرمها رسول الله ﷺ وحماها بإذن الله تعالى ، كما حرم إبراهيم مكة وحماها بإذنه تعالى ، وإن حدود المدينة بريد من كل جهة من جهاتها أى نحو من أربعة عشر كيلو متر من كل جهة من جهاتها الأربع غير أن الجمهور على أنه لا جزاء فى صيدها ،ولا فى قطع أشجارها ، لأن الرسول ﷺ وأصحابه لم يحكموا فى ذلك بشىء.

فضل المدينة المنورة

أليست المدينة المنورة مقر الإسلام ، ومهبط الوحى ، ومصدر الحضارة الإسلامية وينبوع الكمالات والفضائل الإنسانية ؟؟

بلى ، وبلى مرات ومرات ! إذاً فالمدينة الفاضلة التى لم تر الدنيا مثلها ، ولم يشهد العالم الإنسانى على طول تاريخه مدينة جمعت أصول الكمال وفروعه ، وأطرافه وحواشيه وفى جميع الميادين مثل مدينة الرسول محمد سيد البشر ﷺ .

طيبة وطابة ، والجامعة ، والقرية التى تأكل القرى هى أسماء لتلك المدينة الفاضلة طالما حلم الفلاسفة القدامى بوجود مثلها ، ويا ليتهم عاشوا حتى شاهدوا تحقيق حلمهم يتمثل فى مدينة الرسول الأعظم ﷺ على عهده وعهد خلفائه الراشدين.

وهاك ما ورد فى فضلها على لسان النبى الصادق ، روى فى الصحاح قوله ﷺ :« اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » وقوله ﷺ :« إن الإيمان ليأرز(١) إلى المدينة ، كما تأرز الحية إلى جحرها ، لا يصبر (٢) على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » وقوله ﷺ :« من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل، فإنى أشهد لمن مات بها » وقوله ﷺ :« اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وأنا أحرم ما بين لابتيها (٣) » وقوله ﷺ : «اللهم إنهم أخرجونى من أحب البلاد إلىَّ فاسكنى فى أحب البلاد إليك (٤) » وقوله ﷺ :« إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها ».

ويرحم الله عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد ، فقد روى مالك فى الموطأ : أنه لما خرج من المدينة التفت إليها فبكى ، ثم قال : يا مزاحم ـ مولاه ـ أنخشى أن نكون ممن نفت المدينة ؟

شرف أهل المدينة

لم لا يشرف أهل المدينة ، ولم لا يعلو قدرهم ، ولم لا يفضلون عن غيرهم؟؟ أليسوا حماة الحمى أليسوا حراس الفضائل ، أليسوا أمناء مركز الإشعار

(١ , ٢) رواه مالك فى الموطأ .

(٣) اللابة: الحرة واللابتان حرتان تكتبان المدينة . والحرة حمارة جرداء .

(٤) رواه الحاكم فى مستدركه وفيه ضعف .

الإسلامى والرحمة والنور ، بلى فى كل ذلك ، وفوقه أنهم جيرة الرسول ﷺ وعمار مسجده، وسكان بلده ، والمرابطون فى حرمه ، وصلى الله على سيدنا محمد إذ يوصى بهم ، ويؤكد حرمتهم ، ويؤثل مجدهم ، ويقرر حقهم فى الفضل والسيادة ، والشرف والكمال ، فيقول : « اللهم بارك لهم ــ يعنى أهل المدينة ــ فى مكيالهم ، وبارك لهم فى صاعهم ، ومدهم » ويقول ﷺ :« لا يكيد أحد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح فى الماء » ويقول ﷺ :« لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص » ويقول ﷺ : «مهاجرى فيها مضجعى ، ومنها مبعثى . حقيق على أمتى حفظ جيرانى ، ما لم يرتكبوا الكبائر، ومن حفظهم كنت له شفيعاً وشهيدا يوم القيامة ».

ليس من أهل المدينة من يفسد فيها

إذا كان الله عز شأنه ، وجلت قدرته . يقول لنبيه ورسوله نوح عليه السلام فى شأن ولده الذى عق وفسد: ﴿ **يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح** ﴾ فيخرجه الرب جل وعلا من حظيرة أهله، وينزل به لعنة تطرده من ساحات الرحمة، وأفناء الرضا والسلام إلى الأبد ، ولا لشيء سوى أنه عمل عملاً غير صالح لا يزكى النفس ولا يطهرها من أعمال الشرك والفساد .

فإن مما لا شك فيه أن من يعمل من سكان المدينة بغير ما يصلح النفس ويزكيها لا يكون من أهلها ، ولا يعد من أنصارها ، ولا ينال شرف الانتساب إليها بل الثابت أنه تقررت لعنته ، ووجب إبعاده وطرده . وأنه وإن كانت المدينة تنفى خبثها. فإن على سكانها أن يحققوا لها ذلك بالفعل ، فيعملوا دائما على تطهيرها من كل فساد ، ومن كل فاعلية ، وكيف قال الرسول ﷺ محذراً موعداً :« ولا يحدث فيها حدث ، ومن أحدث فيها حدثًا ، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » . فهذا الحكم الذى أعلنه ﷺ ضد العابثين بشرف طيبة، والمستهترين بكمالها بما يرتكبونه فيها من شر وفساد لحكم مستمد من حكم الله تعالى :﴿ **ومن يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ .

وخلاصة القول : إن لسكان المدينة حرمة وشرفاً ، وقدراً ما لم يعملوا بمعاصى الله ، فإن هم عملوا بذلك فلا حظ لهم فى الإعزاز ولا فى التكريم . وإنا وإن كنا نعطف عليهم أكثر من غيرهم ، ونحب أن نستر عليهم إذا لم نتمكن

من إصلاحهم لما لهم فى نفوسنا ونفوس سائر المؤمنين من إجلال وإكبار ، فإنا لا نرضى أبداً ولن نرضى ما دام الحق رائدنا ، وتعاليم الدين الحنيف مبدأنا نسم بالصلاح منهم من كان فاسداً، ولا بالاعتدال والقصد منهم من كان جائراً ولا بالشكر منهم من كان للفضل ناكراً ، ولا بالهداية منهم من كان غاوياً ؛ فإن الحق أحق أن يقال ، والمداهنة على حساب الحق شر من الخذلان .

فيا حماة المعرس [1] ويا أهل الحى المقدس ، لا تضيعوا شرفكم بالحدث والفساد فى مغناه ، ولا تنزلوا قدركم بغدركم من علاه ، ولا تنسوا واذكروا دائمًا أنكم جيرة رسول الله ، اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه وعليهم ما اهتدوا بهداه.

فضل المسجد النبوى

إن مصدر كل فضل وخير وبركة هو الله تعالى والله وحده وبدون شك ، فإنه ما شرف مكان ، ولا فضل زمان إلا والله تعالى هو المشرف له عن غيره والمفضل له عما سواه . ومن المجمع عليه عندنا أمة الإسلام أن هناك أماكن مقدسة مباركة فاضلة ، ومثلها أزمنة متفاضلة مباركة فليلة القدر خير من ألف شهر ، ويوم عرفة خير يوم طلعت عليه الشمس ونحن نعلم أن سبب فضلهما لم يكن لذاتهما بل كان لما لابسهما ، أو وقع فيهما ؛ فليلة القدر شرفت بنزول القرآن فيها ، ويوم عرفة فضل لما يقع فيه من التجليات الربانية لأهل الموقف .

ومن هذه الأمكنة الشريفة الفاضلة المسجد الحرام ، ومسجده ﷺ والمسجد الأقصى الذى بارك الله حوله من أرض الشام . فالمسجد الحرام فضل لأنه لابسه بيت الله ، والمسجد النبوى شرف لأنه لابسه رسول الله ﷺ والمسجد الأقصي تشرف لأنه باركه الله ، ففضل الكل عائد إلى الله ، والله عز شأنه مصدر كل إفضال ومعطى كل إنعام.

ولقد نوه الله تبارك وتعالى بشأن هذه المساجد الثلاثة بقوله : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله** ﴾ فذكر الأول والثالث باسميهما المعروفين عند نزول الآية ، وأشار إلى الثانى ولم يصرح

(١) المعرس : موضع النزول ، والمراد به هنا منازل المدينة المنورة . والمعرس أيضا : مكان كان ينزل فيه الرسول ﷺ على بعد ستة أميال من المدينة .

باسمه لكونه لم يظهر بعد إلى حيز الوجود ، ولو كان عنده تعالى كالموجود لما سبق بذلك علمه ، وجرى به قدره . وبيان ذلك أن لكلمة الأقصى اسم تفضيل تقتضى بوضعها أنها مفضلة على غيرها وهى كلمة القاصى ومن كان بالمسجد الحرام فالمسجد القاصى بالنسبة إليه ، هو مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة ، والمسجد الأقصى هو ما كان أبعد من ذلك ، وهو المسجد الأقصى المصرح باسمه فى الآية .

فمن هنا علمنا أن مسجد الرسول ﷺ قد ذكر بالإشارة ضمن المسجدين العظيمين المنوه بشأنهما فى الآية. فمسجد الرسول ﷺ إذاً مسجد فاضل مفضل فى كتاب الله عز وجل ، وفى سنة الرسول ﷺ .

ومما يلاحظ هنا أن الرسول ﷺ لما ذكر هذه المساجد رتبها فى الذكر والفضل كالترتيب الذى جاء فى الآية الكريمة ، فقال: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » هذا ومما يدل على شرف المسجد النبوى المقدس قوله صلوات الله وسلامه عليه: « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » ومما زاده سمواً وعلواًوشرفاً وقدساً : أنه ضم روضة من رياض الجنة ، ومنبراً على حوض من حياضها؛ فقد روى مالك عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ما بين بيتي ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوض » فحق إذاً لمسجد الرسول ﷺ أن تشد له الرحال ، وأن تنفق فى زيارته الأموال وأن يتوسل بزيارته والصلاة فيه إلى الكبير المتعال طلباً للفضل وتحقيقاً للآمال .

ولا ننسى أن هذا المسجد فاز بمزية ، وتسامى بمنقبة عالية وذلك أن زيارته تمكن من زيارة أشرف مزار ، وتوقف بالمسلم موقفاً لا يساويه أهل ولا دار ، ولا درهم ولا دينار ، توصله إلى قبر ضم أعظم رفات فكان بذلك أقدس بقعة فى العالمين ، وأشرف مكان فى السموات والأرضين ، هو قبر محمد ﷺ خلاصة الأنبياء وصفوة المرسلين وسيد جميع العالمين . صلى الله عليه وآله وصحابته أجمعين.

شرف الوقوف على قبر الرسول ﷺ
والسلام على من قرب عليه ، وعلى صاحبيه

أى مؤمن صادق الإيمان ، وأى مسلم صحيح الإسلام لا يشعر بالشرف والفخار عندما يقف أمام نبيه ورسوله وحبيبه وشفيعه وقائده ورائده فيسلم عليه وعلى صاحبيه سلاماً ملؤه الإجلال والإكبار ، والتعظيم والوقار ؟

وأى مؤمن كامل الإيمان ، وأى مسلم حسن الإسلام لا يحن شوقاً لرؤية حجرة ضمنت خير مولود ، وسيد الوجود .

وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

ولهذا لم يزل المسلمون قديماً وحديثًا يتشوقون بل يتحرقون لرؤية المدينة وما ضمنت من آثار عظام . وما حوت من بركات للنبوة جسام . بها مسجد الرسول ﷺ وقبره ، ومسجد قباء وفضله وأحد وشهداؤه ، والبقيع ونقباؤه كل ذلك جعل المسلم يجتهد فى اغتنام فرصة أداء فريضة الحج ليهيئ بها له ظروفاً تمكنه من الحصول على أعظم قربة وخير وسيلة ، وأشرف نافلة ، تلك هى زيارة مسجد الرسول ، والصلاة والسلام من قرب على خير فاضل ومفضل ، صلى الله عليه وآله ما قال قائل وأحسن القول .

كيفية زيارة المسجد النبوى ، والسلام على الرسول ﷺ وصاحبيه

لما كانت زيارة المسجد النبوى مشروعة بإذن الشارع فهى إذاً قربة وعبادة وكل عبادة تفتقر إلى نية لقوله ﷺ :« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » فيتعين على من أراد زيارة المسجد النبوى أن ينوى بزيارته التقرب إلى الله تعالى ثم إن هذه الزيارة لا تختص ككثير من أنواع القربات والطاعات التى جعل الشارع زمنها مطلقا كالعمرة مثلاً تصح فى أى وقت من أوقات السنة .

وبناء على هذا فتخصيص زيارة المسجد النبوى برجب ، وإطلاق اسم الرجبية على هذه الزيارة ليس بمعروف شرعاً ، بل هو من تحسين الرجال ، ومبتدعات الضلال فالأقرب إلى الشريعة والذى ينبغى اتباعه أن لا يخصص شهر خاص من شهور السنة لزيارة المسجد النبوى ، بل يراعى كل زائر ظروفه ومصلحته .

ولذا كان لا مانع من فعلها فى وقت أداء فريضة الحج ؛ لأن العلة فى ذلك ظاهرة وهى الاقتصاد فى النفقة ، والتجنب للكلفة المترتبة على إنشاء سفر خاص تهيئ له ظروفه وتعد له أزودته .

فمن عزم على زيارة المسجد النبوى فليطلب مكسبه ، وليختر رفقته ، ولينو بزيارته التقرب إلى الله ، والاستنان بسنة رسول الله ﷺ لأن الله تعالى يتقرب إليه بالفرائض والنوافل ، والرسول يتحبب إليه بالعمل بسنته واتباع طريقته وقد سن عليه الصلاة والسلام هذه الزيارة ورغب فيها بقوله :« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » فإذا وصل الزائر المدينة المنورة يحسن به أن يتطهر ويتطيب ويلبس زينته :﴿ **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ ويأتى المسجد النبوى فإذا دخل قدم رجله اليمنى كما هى السنة فى دخول سائر المساجد، ثم يقول: باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك، ثم إذا صادف الصلاة قائمة صلى مع الجماعة الصلاة المكتوبة، وإلا قصد الروضة المباركة إن أمكنه ذلك أو أى ناحية من نواحى المسجد فيصلى ركعتين لله تعالى بنية تحية المسجد، إن كان فى وقت لا تكره النافلة فيه ، ثم يقصد الحجرة الشريفة فيقف مستقبل المواجهة

الشريفة فيسلم على الرسول ﷺ قائلا : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يا نبى الله ، السلام عليك يا أكرم الخلق على الله ويصلى عليه قائلا : صلي الله عليك وعلى آلك وأزواجك وذرياتك أجمعين ، وبارك عليك وعلى آلك وأزواجك وذرياتك أجمعين كما صلى وبارك على إبراهيم وآل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد . صلى الله عليه أفضل صلاة وأطيبها وأتمها وأزكاها .

ثم يتنحى قليلاً إلى اليمين فيسلم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه قائلاً: السلام عليك أبا بكر الصديق صفى رسول الله وثالثه فى الغار جزاك الله عن أمة سيدنا محمد خيراً ، يتنحى أيضاً قليلاً إلى يمينه ويسلم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قائلاً : السلام عليك عمر الفاروق ورحمة الله وبركاته جزاك الله عن أمة رسول الله ﷺ خيراً .

وإذا أراد أن يتوسل إلى الله تعالى بزيارته لمسجد نبيه ، وبالصلاة والسلام على رسوله ﷺ فلا مانع ؛ لأن هذه الزيارة وهذا السلام من العبادات المشروعة والتى يتقرب بمثلها إلى الله تعالى ، فليقف أو يجلس مستقبل القبلة فى أى ناحية من نواحى المسجد شاء ، ثم ليسأل الله تعالى حاجته وليتخير من الدعاء أعجبه إليه فقمن أن يستجاب له بشرط أن لا يعتدى فى دعائه ؛ لأن الله نهى عن الاعتداء فى الدعاء فقال : ﴿ **ادعو ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين** ﴾ .

ومن الاعتداء فى الدعاء أن يسأل منازل الأنبياء ودرجات المرسلين ، أو يسأل شيئا جرت سنة الله تعالى أن لا ينال إلا بأسبابه الخاصة وهو لا يطلب تلك الأسباب ولا يعمل على إعدادها كان يسأل الولد وهو راغب عن سنة الزواج فلم يتزوج ، أو يسأل نصراً على أعدائه وهو لم يعد لقتالهم عدة ، ولم يوطن نفسه لمحاربتهم . وباختصار ، فلا يسأل شيئًا من ذوات الأسباب حتى يحضر سببه ، ويضع مقدمته، وإلا فهو معتد فى دعائه لا يستجاب [1] له ، ولا يظفر

---

(١) ومما يوضح المعنى الذى أشرنا إليه : الرسول ﷺ كان فى اختفائه بغار ثور أثناء طلب قريش له وحكمت عليه بالإعدام ، كان فى اختفائه هذا عمل بالأسباب فإنه لم يكن يمكنه فى هذه الحال أكثر من أن يطلب مكاناً يختفى به عن أعين أعدائه ، وكذا فى غزوة بدر فإنه ﷺ بعد ما أعد أصحابه للقتال وعين لهم مراكزهم سأل ربه النصر واستغاث به ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم** ﴾ الآية .

فهدية ﷺ هو إتيان الأسباب المشروعة ، وإعداد كل ما يمكن إعداده لتحقيق غرضه ثم يسأل ربه =

برضى الله تعالى حيث عصاه .

= حيث أنه هو مسبب الأسباب وواضعها سبحانه وتعالى .

هذا ويجب أن نعلم أن الله قد يعطى بدون الأسباب العادية إن شاء فإن الأسباب خاضعة لأمره وتدبيره ، وإنما ليس من المنطق والحكمة أن يعصى العبد ربه بتفريطه فيما وضع من أسباب للنصر كإعداد السلاح ، والثبات وطاعة قائد المعركة وعدم التنازع ، وذكر الله فى وعده ووعيده ! والإخلاص فى الجهاد لله ثم يطلب النصر على أعدائه ممن عصاه وفرط فى أمره وتلاعب بنهيه . وهناك حالة أخرى تكون الأسباب فيها هى دعاء الله والتضرع له والإطراح بين يديه كلية . وهذه الحالة هى عندما يعدم العبد الأسباب العادية ، ويعجز بالمرة على إحضارها ؛ فأسباب فوزه هنا فى هذا الموطن هى قوة الرجاء فى الله والتفويض والتوجه وهذه الحال هى التى كانت للرسول ﷺ فى غار ثور لما قال لصاحبه وقد بدت عليه آثار الألم والخوف والحزن : «لا تخف إن الله معنا ما بالك باثنين الله ثالثهما » .

بعض الأماكن الفاضلة
سوى المسجد النبوى بالمدينة المنورة

١ ــ مسجد قباء :

مسجد قباء مسجد فاضل شريف نوه القرآن بشأنه وشأن أهله فقال: ﴿**لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** [١] ﴾ .

وسن الرسول صلوات الله وسلامه عليه زيارته بالفعال والقول فقد كان يزوره ﷺ ماشياً وراكباً، وكذا بعض أصحابه ؛ وقال: « من تطهر فى بيته وأحسن الطهور ، ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلا الصلاة فيه كان له كأجر عمرة ».

وبناء على هذا فمن أكرمه الحق جل وعلا من المسلمين بزيارة المسجد النبوى، وشرفه ، بالسلام من قرب على نبيه ﷺ وحل بالمدينة الفاضلة يتمتع ببركاتها . وينعم برؤية آثارها فلا يحرمن نفسه من زيارة هذا المسجد الفاضل للحصول على الأجر الموعود على زيارته والصلاة فيه بقوله ﷺ :« كان له كأجر عمرة » فى الحديث الآنف الذكر .

أما أن يأتيه استقلالاً ويشد لزيارته من بلده رحالاً فليس بالأمر المشروع بل هو من الممنوع بحديث: « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد » ولم يكن مسجد قباء من بينها فليسعنا ما شرع وليغننا عما منع ولا ندهش لهذا أو ننفعل فإن كثيراً من الفرائض تأخرنا عن أدائها ، وإن عظيماً من المستحبات والفضائل لم نقم بجلها ولا بالقليل منها ، وإذا كنا كذلك فلم نتشوف إلى فعل ما لم نتدب لفعله أم أحب شيء إلى الإنسان ما منع ؟

٢ــ الشهداء :

إن زيارة شهداء أحد وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ زيارة مسنونة فاضلة مشروعة ، فقد أخرج أبو داود فى سننه عن ربيعة قال :

---

(١) الآية من سورة التوبة .

ما سمعت طلحة بن عبيد الله يحدث عن رسول الله ﷺ حديثاً قط غير حديث واحد قال : قلت :وما هو ؟ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ يريد قبور الشهداء حتى إذا أشرفنا على حرة وأقم [1] فلما تدلينا منها وإذا بقبور بمحنية [2] قال: قلنا يارسول الله أقبور إخواننا هذه ؟ قال : قبور أصحابنا ، فلما جئنا قبور الشهداء قال : هذه قبور إخواننا . وبعد كل هذا فأى حرج ، أو أى بأس فى أن يخرج المدنى أو زائر المسجد النبوى فى ساعات أيامه بقصد زيارة الشهداء فيسلم عليهم ويدعو لهم اقتداء بفعل رسول الله ، وطلباً للأجر من الله ، جزاء ما خطا من خطوات ، وما قام به من دعوات ، مع ما يعود به من الذكرى ، وما يحدث له من الفكرة ؛ لأن زيارة القبور عللت بأنها تذكر الآخرة فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام قوله: «قد نهيتكم عن زيارة القبور فأذن لمحمد فى زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكركم الآخرة».

ومعلوم أن من ذكر الآخرة رق طبعه ،وصفا تبعه ، وصلح فكره ، ومات حب المال فى قلبه ، وتلطفت حدة الشهوات فى نفسه ، وإذا كانت زيارة القبور تكسب هذا الذى عجزت عن تحقيقه مدارس اليوم وكلياته وقوانين تربيته فلم لا يبيح الرسول ﷺ زيارتها ، بل لم لا يدعو إليها وهو المربى الكبير ، والمعلم القدير، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم السلام الكثير.

٣ ــ أحـــد :

من الأماكن الفاضلة بالمدينة سوى ما ذكر (أحد) ذلك الجبل الأشم الذى يكشف من شمالها إلى شرقها فيكسوها هيبة وجلالاً ، ويزيدها بهجة وجمالاً . أحد ذلك الجبل المشتق من الوحدانية ، والذى يبشر الزائر بقرب الوصول ، ويهنئ المتيم إذا بدا له بقرب غاية المأمول . أحد ذلك الجبل الذى اهتز فرحاً وهاج وماج طرباً لما علاه رسول الله ﷺ وثلاثة من خلفائه ووزرائه أبى بكر وعمر وعثمان ، فهدأ الرسول ﷺ من اهتزازاته ، وخفف من اضطراباته حين ضربه برجله وقال : « اسكن يا جبل فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان » .

أحد جبل قال فيه رسول الله ﷺ ، فيما يرويه مالك فى موطئه: إن أنساً

---

(١) وأقم : أطم من آطام المدينة . وأطم بضمتين . الحصن .

(٢) انعطاف الوادى .

قال: إن رسول الـله ﷺ لما طلـع له أحد قال: «هـذا جبل يحـبنا ونحـبه» وفى رواية: « يحـبنا ونحـبه وهو جبـل من جبال الجـنة» وفى أخرى: « أحـد ركن من أركان الجنة».

فجبل هذا خصائصه ومزاياه لا مانع من أن يـقف الزائر دونه يجيل فيه البصر ويجنى من ربوضه وطول جثومه العبر ، بـيد أنه للأسف قل من يقصد أحداً لهذا وإنما يقصد للاستشـفاع به والدعاء عنده ولطلب الحاجات بجاهـه ومتى كان للجبل جاه؟ حتى صار كغيره مـن كثير من الآثار الإسلامية فتنة للتوحيـد وشركاً للشيطان يوقع فيه أهل الإيمان، فيسلبهم روح الإيمان، وينتزع منهم حقيقة الإسلام وعصب الإخلاص والإحسان . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٤ ــ مقبرة البقيع :

هل علينا شىء بعد أن آمنا أن قبور المـؤمنين الصالحين تحول عليهم روضة من رياض الجنة إن نحن قلنا كما يقول الكثيـر من أهل المدينة (البقيع جنة الدنيا) ما أسماها عبارة ! وما أصدقه تعبيراً !

البقـيع هى تلك المـقبرة التى ضمـت تربتها أكـثر من عشرة آلاف صـحابى ، وأمثال هذا العدد من التابعين ، وعشرات أمثاله من السابقين الأولين ، والصالحين الآخرين . فمن ذا الذى يرغب عن زيارة هذا المسـتودع البشرى الهائل الذى جمع سادات الأمة وأشرافها الصالحين. إن جل أهل البقيع من أولياء الله وأحبائه الذين قرر موالاتهم ، وأوجب محبتهم.

إن من أحب الـله ووالاه ، أحب أوليـاءه ووالاهم ، وعلامة ذلـك الاهتداء بهديهم والـسير فى منارهم ، واتباع آثـارهم ، وزيارة قبورهم للتـرضى والتراحم عنهـم والاستغفـار لهم ، والسلام عـليهم ، وليـس من شك فى أن هـذه الزيارة الشرعية غير البـدعية ستعود على الزائر العارف بكثـير من الأجور ؛ لأنه ما أحب إلا فى الله وما زار إلا له . فكيف إذا عمله، والله يقول : ﴿ **إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا** ﴾ .

خلاصة القول : إن زيـارة أهل البقيع مستحبـة فاضلة لمن كان مقيمـاً بالمدينة وسواء أتـاها زائـراً ، أو سكـنهـا مهـاجراً ، مـا دام الزائـر يعـرف آداب الزيـارة

وشروطها. أما إذا كان بذلك جاهلاً ، فخير له أن يلزم مكانه، وأن يغض بصره ، ويصون لسانه ؛ فإن زيارة الجهلاء كسب آثام ، وقل ما تخلو من الشرك الحرام؛ فإنهم بدل ما يدعون للأموات يدعونهم ، وبدل ما يرجون لهم يرجونهم وبدل ما يجعلون مشيتهم وسلامهم وترحمهم وسيلة إلى رضا الله يجعلون ذلك وسيلة إلى رضا الأموات لتقضى بجاههم الحاجات ، وهذه ــ والعياذ بالله تعالى ــ شر الزيارات ، وأعظم المنكرات .

غفرانك اللهم للأحياء والأموات

شروط زيارة القبور وآدابها

الشروط:

١ ــ أن يكون القبر فى البلد الذى يقيم فيه الزائر ، أو فى ضاحية من ضواحيه فإن كان القبر بعيداً عن الزائر بحيث يعد لذلك رحلا وزاداً فلا تستحب الزيارة بحال؛ لأن الشارع لم يأذن فى ذلك فلم ينزل بها قرآن ، ولم تقم بها سنة النبى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، بل إن الشارع قد نهى عن ذلك نهيا أكيداً حيث جاء بصيغة النفى التى هى عند أهل بلاغة الكلام آكد من صيغة النهى الدالة على التحريم فقد صح عنه ﷺ قوله: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ــ الحديث » فلم يبق مكان آخر تشد لزيارته الرحال من المساجد فضلا عن القبور والمشاهد .

٢ــ أن يقصد بتلك الزيارة ثواب الله، حيث زار أولياءه وترحم على عبيده واستغفر لهم .

٣ ــ أن يقصدها لا لأجل الدعاء عندها لا لنفسه ولا لغيره ، ولا لأن يتوسل بأصحابها إلى ربه تعالى ولا لأن يصلى فيها نافلة من النوافل أو فريضة من الفرائض .

٤ ــ أن لا يضع عليها سرجا أو بخوراً ، وأن لا يأخذ من تربتها ما يتبرك به، وأن لا يتمسح بها ، أو يقبلها ، أو يذبح لها ، أو باسمها ، أو عندها .

الآداب :

١ ــ أن لا تتكرر الزيارة حتى تبلغ حداً من الكثرة يلحقها بالغلو المحرم فى الدين .

٢ ــ أن يسلم على أهل المقبرة بسلام رسول الله ﷺ ويدعو لهم بدعائه عليه الصلاة والسلام وهو : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ،ونسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم ».

٣ ـ أن لا يطأ القبور ، وأن لا يجلس عليها .

٤ ـ أن يتجنب البدع كالاجتماع حول القبر لقراءة القرآن ، أو للبكاء والنياحة أو لتوزيع الأطعمة وأكلها هناك .

٥ ـ أن يبتعد عن اللهو والمزاح والهزل والضحك وكل ما من شأنه أن يضعف التذكر فى نفسه والخشوع من قلبه.

حكمة زيارة القبور

إن زيارة القبور ، والوقوف عليها لم تكن قبل أن ينظمها الدين ويهذبها سوى استجابة لداعى الحزن على فراق الأقارب والخلان الذى هو أحد غرائز البشر فزيارة القبور والبكاء عندها معروفة عند سائر الأمم والشعوب البشرية قديماً وحديثاً، غير أنها تتطور أحياناً إلى أن تصبح ذات طابع دينى بحت فيقصد الغير لا بدافع الحزن والشوق إلى صاحبه والحنين إليه ، ولكن بقصد التقرب إليه لما يعتقد من صلاحه، وطلب الحاجة عنده لما له عند ذى السلطان الغيبى الذى يشعر عامة البشر بالافتقار إليه من مكانة وجاه، فيتوسل إليه بالمقبور المظنون الصلاح، وقد يتحول هذا التوسل والاستشفاع بصاحب القبر إلى عبادة محضة فيدعى صاحب القبر مباشرة ، وتذبح له الذبائح . وتقرب إليه كثير من القرابين . وما قصة التنزيل الحكيم من عبادة قوم نوح لود وسواع، ويغوث ويعوق ونسر كاف فى الاستدلال على صحة ما قلناه . وما هو مشاهد اليوم من عبادة النصارى للصليب وعبادة بعض المسلمين للقبور والأضرحة بالتوسل والاستشفاع بأصحابها، كدعائهم، والاستغاثة بهم وذبح الذبائح لهم ، والحلف بأسمائهم وما إلى ذلك من مصرف العبادات الكثيرة إليهم يزيد الأمر جلاءً وظهوراً ومن هذا الذى تقدم نعرف السر فى نهى الرسول ﷺ عن زيارة القبور فى أول الأمر ، وهو خشية فتنة الشرك لهذه الأمة ـ ولكن لما كان قدر الله نافذاً ـ وليتحقق خبر الصادق المصدوق ﷺ «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع» الحديث أباح عليه الصلاة والسلام زيارة القبور التى نهى عنها أباحها للرجال وكرهها للنساء . لأن الرجال أكمل عقولاً من النساء وأقوى إرادة منهن.

ووقع ما خافه رسول الله ﷺ وتخوف منه فظهرت فتنة الشرك فى الأمة

فأقيمت للقبور الحفلات الرسمية السنوية وهى أشبه شىء بأعياد الوثنيين التى يقيمونها لآلهتهم ، وذبح لها وباسمها قطعان الأبقار والأغنام ، وجعلت لها أنصبة كاملة من الحرث والأنعام ونذرت لها النذور ، ونسبت إليها البنون والبنات ، ونقل إليها للاستشفاء بجاهها أصحاب الأمراض والعاهات .

هذا وأما تهذيب الدين وتنظيمه لهذه العادة البشرية فهو بما جعله كحكمة وسر لها تؤتى من أجله ، فقد جعلها وسيلة لذكر الموت، وتذكر الآخرة ، وهما من عوامل تهذيب الشعور البشرى، وترقية فطرة الإنسان وطبعه، وتزكية نفسه ، وتطيب روحه، كما جعلها وسيلة لنفع متبادل بين الحى والميت، فالميت قد تصيبه دعوة صالحة يرفع بها درجات ، أو يخفف عنه بها العذاب بضع سنوات ، والحى قد يكتسب بما قام به من دعاء واستغفار وترحم جزاء العامين وثواب المحسنين ، مع ما يرجع به من المقبرة من تغير فى نظره إلى الحياة الفانية ، ومن استعداده للتزود إلى الحياة الباقية ، تلك الحياة التى قوى شعوره بحقيقتها، وقصد عزمه على الرحيل إليها. وفى نفس الوقت أشبع غريزة الحزن فى نفسه بوقوفه على قبر قريبه أو خليله ، وكان بذلك قد قضى حجاً وحاجة كما يقولون . وهذا أخيراً ملخص الحكمة فى زيارة القبور :

١ ــ تذكر الآخرة ـ وهو يحمل على التزود إليها بالإيمان والعمل الصالح.

٢ ــ ذكر الموت وهو يهذب النفس ويخفف من حدة الطبع ويقلل من دواعى الشهوات .

٣ ــ نفع أصحاب القبور بالاستغفار والدعاء لهم ، والترحم لهم والسلام عليهم .

٤ ــ انتفاع الزائر بالأجر على ما قام به من استغفار ودعاء وسلام . هذه بعض حكم الزيارة للقبور التى تؤتى المقابر من أجلها ومن قصد القبور لغيرها فإنه بدون شك يعود مأزوراً غير مأجور ومدسى النفس غير مزكاها وتلك خيبة لا يعلم إلا الله مداها.

خاتــمة

وإلى هنـا قد انتهى مـا رمته بحمد الـله ـ تعالـى وعونه ـ من وضـع كتاب شامل لأحكام الحج والعمرة والزيارة ، مبين لكـثير من حكمها ، مرشد إلى بعض الأسرار فى أدائها .

هذا وبالـرغم من المسائل الـعديدة التى اشـتمل عليـها هذا الكتاب فـإن هناك مسائل عديدة أخرى لم تذكر ، غير أن ما ذكر ـ والحمد لله ـ يعد كافيا وبتحقيق الغرض وافياً .

كما أنه بالرغم من المجهود الذى بذلـته فى تحرى الصواب فى مسائل وأحكام الكتاب لا آمن الـغلطات ولا العثرات . وإن عزائى فـى ذلك قول الرسول ﷺ : «من اجتهد وأصاب فـله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فلـه أجر واحد» وما دام لى فى الأمر نصيب فلست بالحزين ولا الكئيب. والله تعالى أسأل أن يجعله لإخوانى المسلمـين نافعاً، ولوجهـه الكريم خالصاً. وأن لا يـحرمنى من دعوات الـصالحين وترحمات المؤمنين .

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين

أصح ألفاظ الصلاة على النبى ﷺ وأكمل صلاة وأفضلها على الإطلاق.

ما رواه الشيخان ، ومالك ، وأبو داود ، والترمذى والنسائى ، وابن ماجه، عن كعب بن عجرة رضى الله عنه.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

الرِّسَالَة الثالثَة

رسَـــالَة رمضَـــان

بسم اللّهِ الرّحمن الرّحِيم
وصلى اللهّ على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
مقَدّمة

اعلم ــ أخى المسلم ــ أرشدنى اللّه وإياك إلى حب الخير ، والسعى فيه . أن الدعوة إلى الله تعالى واجب كل مسلم فى هذه الحياة ، وأن الدعوة إلى اللّه تعالى كما تكون باللسان ، وحسن السلوك ، والقدوة الصالحة ، تكون كذلك بالتأليف ، والطبع والنشر ، والمساعدة على ذلك .

وإنى نهوضًا بهذا الواجب المقدس أقدم اليك (رسالة رمضان) آملا أن تحوز رضاك ، وتحظى بقبولك .

ودراسة رمضان هذه هى عبارة عن دراسة عامة شاملة لركن عظيم من أركان الإسلام : صوم رمضان المعظم . دراسة علمية تتتبع جزئيات هذه العبادة وكلياتها، فلا تغفل ناحية من نواحيها الحكمية والعلمية . بل تتناولها بأسلوب سهل ، وعبارة مبسطة واضحة ، تدركها العقول على تفاوتها ، وتتناولها الأفهام على اختلافها بحيث يتصفحها المسلم ــ ومهما كانت ثقافته ــ فيعرف عن هذه العبادة ما ينبغى أن يعرفه كل مسلم عنها .

هذا وإنى جريا وراء الإصلاح الدينى والروحى معًا قد سلكت فى هذه الرسالة ما سلكته فى وضع رسالة « الحج المبرور » قبلها فجمعت فيها من كل مذهب أحسنه ، ومن كل خبر أصدقه ، فكانت ــ بحمد الله ــ جامعة للأمة ومذاهبها ، قاضية على الفرقة وأسبابها ، ممثلة للحقيقة والصواب ، شاملة لهدى السنة والكتاب .

كما فصلت فيها الأحكام تفصيلا يسهل فهمها ، ويرغب فى حفظها مراعيا فى تلك الأحكام روح الإصلاح وسر العبادة ، فذكرت لذلك عقب كل حكم دليله ، وعقب كل مسألة حكمتها أو علتها ، كشفًا عن أسرار العبادة، وإظهاراً لفوائدها . كل ذلك فى حدود طاقتى ، وما وسعه جهدى .

وبهذا أرجو أن تكون « رسالة رمضان » هذه من أحسن ما وضع فى هذا

الباب إن شاء الله تعالى .

وأسأل الـله تبارك وتـعالى أن يجـعل عملـى فيها صـالحًا ، ولوجهه الـكريم خالصًا ، وأن ينفع بها من يقرأها من إخوانى المسلمين .

وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ؟ .

المؤلف

أبو بكر جابر الجزائرى

كلمة

فى التشريع وأسراره ومن يحق له أن يشرع [1]

اعلم ـــ أخى المسلم ـــ أن سعادة الإنسان متوقفة تمامًا على صلاح جسمانه وروحه ، وأن صلاح الجسد والروح متوقف كذلك على تشريع حكيم ذى قوانين محكمة ، ووظائف دقيقة ، ووجود هذا التشريع فى صورته الكاملة ، يتوقف إلى أبعد حد على مدى علم وخبرة الواضع له ، فبقدر معرفة الواضع لأحوال وشئون الموضوع لهم ظاهرًا وباطنًا ، وفى كل ظروفهم وأطوار حياتهم يكون التشريع صالحًا مؤديًا للثمرة المرجوة من إصلاح روح الإنسان وجسمه اللذين تتوقف سعادته الكاملة على صلاحهما ، وليس من شك فى أنه لا يعرف أحوال الخلق الظاهرة والباطنة فى الحال والمآل إلا الخالق ، لأنه لا أعلم بالخلق من خالقهم .

قال تعالى : ﴿ **أَلا يَعْلَمُ من خلق [2] وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ [3] وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾ .

فهو وحده إذًا صاحب التشريع ، وليس لغيره من حق فى وضع أى قانون للخلق لا سيما فيما يتعلق بإصلاح أرواحهم .

وكيف . . ؟ وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بهذا منذ أن بدأ الخليقة فقال : ﴿ **الرَّحمنُ . علَّمَ القُرْآنَ . خَلَقَ [4] الإنسان . علمهُ البَيَان** ﴾ .

---

(١) هذه الكلمة وضعتها مقدمة لرسالة « الحج المبرور » ؛ ونظراً لفائدتها أثبتها هنا مقدمة لرسالة رمضان هذه.

(٢) من سورة الملك .

(٣) من سورة طه .

(٤) من سورة الرحمن .

وقال عز شأنه :

﴿ **فإما يأتينكمْ منِى هدى فمَن اتبعَ هُداى فلا يَضلُّ** (١) **ولا يَشقَى ، ومَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فإنَّ لَهُ معِيشَةَ ضنكًا ونحشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أعْمى** ﴾ .

فالبيان الذى علمه ، والهدى الذى وعد بالإتيان به هما تعاليمه تعالى وتشريعه لخلقه ، وحق المقطوع به مما دلت عليه الآية السالفة الذكر أن عدم اتباع تشريعه تعالى يفضى بالمخالف إلى عذابه وشقائه . لأن التشريع هو السبب المترتب عليه سعادة الإنسان فإذا لم يعمل به لم يسعد قطعًا ، كما أن سبب الشقاء أيضًا المترتب عليه هو ترك العمل بالتشريع الإلهى الموضوع لسعادة البشر وهنائهم .

وإذا عرفت مما سبق أن التشريع لا يكون إلا للّه تعالى . لأنه أعلم بالخلق ، وبما يصلح أجسامهم وأرواحهم ، ولأنه قبل كل شىء ربهم ، والرب هو المتكفل بإصلاح من يربيهم فيضع لهم من القواعد والسنن ما يحفظ حياتهم ، ويحقق سعادتهم .

فإذا قرأت هذا فإنك تعرف مدى بطلان وفساد كل تشريع لم يأذن به اللّه تعالى ، ولم يضعه لخلقه ، قال تبارك وتعالى : ﴿ **شَرَعُوا لهمْ منَ الدِّينِ مَالمْ يأذنْ بِه اللّه** (٢) **ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم** ﴾ .

وتعرف كذلك مدى فداحة الجرم الذى يرتكبه من يرغب عن تشريع الرب جل جلاله وعظم سلطانه إلى تشريع المخلوقين الجاهلين بحالهم ومآلهم ، ومصائر أمورهم . هذا واعلم أن التشريع المتعلق بما يصلح الجسد إنما يدور على تحريم ما حرم اللّه تعالى من المطعومات والمشروبات والمنكوحات ، وعلى تحريم المفاسد والمضار التى تضر بالإنسان فى نفسه ، أو ماله ، أو عرضه ، أو عقله ، أو دينه . من الكليات الخمس التى اتفقت جميع الشرائع الإلهية على صيانتها ، والمحافظة عليها ، ووضعت لذلك العقوبات والجزاءات التى من شأنها أن تكفل صيانتها وسلامتها . كل ذلك قصد إسعاد البشر ، وتجنبهم الشقاء والخسران ، وأما التشريع المتعلق بإصلاح الروح فإنه يدور على الوظائف والأعمال التعبدية التى شرعها اللّه سبحانه وتعالى ، وأمر بفعلها كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها .

---

(١) من سورة طه .

(٢) من سورة الشورى .

ولما كان أمر الروح من أمر الرب جل وعلا . قال جلت قدرته :

﴿ **يسألونك عن الروح قل الروح[1] من أمر ربى** ﴾ .

فإن الإنسان مهما أوتـى من العلم سيبقى يجهل حـقيقة الروح وشأنه . وإذا كان كذلك فـإنه ليس له أن يعرف ما يـزكو به الروح أو يطهر ، ولا ما يـتدسى به ويفسد . فلولا أن الله تبارك وتعالى شرع عبادة الـصلاة مثلا ما كنا لنهتدى بالعقل إلى أن الصلاة تزكى النفس وتقرب من اللّه تـعالى ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى حرم الزنا ما كنا لنعرف أن الزنا تتدسى به النفس وتخبث ، وفوق هذا وذاك أن ما يطهر الـنفس ويزكيهـا ، أو ما يفسدها ويدسـيها من الأقوال والأعمـال يرجع إلى حكمة اللّه تعالى التابعة لمشيئته ، وإلـى سنته التى لا تتخلف فى المخلوقات ، فإنه كما أودع الماء حكمته فى إزالة أوساخ الجسـم به ، وجعل ذلك سنة لا تتخلف . أودع ما شرعـه من أقوال العبادة وأفـعالها حكـمته التى بـها تطهر النـفس وتزول أدرانها . فكمـا لا تتخلف سنة اللـه تعالى فى إزالة الماء للأوسـاخ من الأجسام ، فإنها لا تتخلف كذلك فى إزالة العبادة التى وضعها للأدران التى على النفوس.

إنه قد يصـبح من غير المعقول جـداً أن يزيل الماء الوسخ الظـاهر ، ولا تزيل العبادة الدرن الباطنى ، وكـلاهما موضوع للتطهير ، ومن قال بالتفـرقة بينهما فقد حاول أن يؤخر سنة اللّه تعالى ، واللّه عز وجل يقول :

﴿ **فلن تجد لسنة الله تبديلا[2] ولن تجد لسنة الله تحويلا** ﴾ .

وإنما قد تؤدى العبادة أداءً ناقـصا فتفقد به خاصيتها فيجـعلها ذلك لا تؤثر فى النفس بالتطهير والتزكية كمـا هو الحال لو أنها أديت أداءً كاملا ، كما أن الماء نفسه إذا لم يحـسن استعمالـه فى غسل الأجسـام فإنه لا يؤثر فـى تطهيرها لاسـيما إذا خالطه شيء لا يتلاءم وطبيعته فإنه يفقده خـاصيته بالكلية ، كذلك العبادة فإنها إذا لابسها بشرك أو ريـاء فإنها تفقد خاصية التـطهير فيها ، وتصير إثمـا يدسى النفس ويخبثها .

ومن هنا نعلم أن صلاح البشر جسمانيـا وروحانيا متوقف على العمل بما شرع الله لهـم ، وأنزل عليهم ، فبقـدر انقيادهم لذلك الـتشريع ، وعملهم بـه تعظم

---

(١) من سورة الإسراء .　　　(٢) من سورة فاطر .

سعادتهم أو تقل ، وأن ما وضعه اللّه تعالى لإصلاح النفس من أنواع العبادات لا يؤثر فى النفس بالزكاء والطهر إلا إذا نفذ كاملا بصفته وكميته ، وبجميع متعلقاته ومستلزماته .

ومن هنا أيضًا يتبين لنا خطأ المبتدعة وضرر الابتداع فى الدين وخاصة فى العبادات ، وأن البدعة وإن قصد بها صاحبها ثمرتها المرجوة منها فى تطهير النفس وتزكيتها لا تحقق ذلك أبدًا ، وأنها إن لم تدسى النفس وتدنسها ، لا تطهرها ولا تزكيها ، ولم لا يكون إلا ذلك ، وخالق الأرواح والعالم بما يصلحها ترك عمل تلك البدعة فلم يشرعه ، وما لم يشرعه سبحانه وتعالى لا يكون إلا خاليًا من طاقة التطهير التى أودعها ما شرع من ضروب العبادة وأصنافها .

وبناءً على ما تقدم ، فإن البدعة فى الدين قبيحة ، وقبيحة جدًا ، وأقبح منها المبتدع ، فإنه أقل ما يقال فيه : أنه نازع ربه التشريع أو افترى على اللّه تعالى وأعظم الفرية ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على اللّه الكذب** ﴾ أو قال على اللّه ما لم يقل ، ومن أعظم المفاسد القول على اللّه بغير علم ، قال تعالى : ﴿**وأن تقولوا على الله مالا تعلمون** ﴾ قاله عز شأنه فى سياق بيان ما حرم من أصول المفاسد ، والمبتدع قائل على اللّه بغير علم من دون شك . ومن نازع ربه حقه فى التشريع، وافترى عليه بنسبته البدعة إلى الدين ، لم لا يلعن على لسان سيد المرسلين ؟ : «لعن اللّه (١) من آوى محدثًا » وإذا كانت البدعة تدسى النفس وتدنسها لم لا تسمى ضلالة وشرًا ؟ وقال عليه الصلاة والسلام : « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » ، وقال : « شر الأمور محدثاتها » .

وبهذا نعرف أن الزيادة فى الدين كالنقص فيه ، وأن كلا من النقص والزيادة مخرج له عن حقيقته ، مذهب لما أودع اللّه تعالى فيه من طاقة الإصلاح ، ومادة التطهير ، وإن العمل الدينى الذى هو من جنس العبادة اذا لم يكن عليه إذن اللّه ولا إذن رسول الله ﷺ فإنه لا يزكى النفس ولا يطهرها ، وكيف وقد قال ﷺ: « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وقال :« كل بدعة ضلالة ، وكل

(١) معناه : لعن الله من نصر البدعة وحماها ودافع عنها وجادل فى سبيل اقرارها وانتشارها هذا إن قرئ محدثا بفتح الدال وهو الشيء المحدث من البدع والمحدثات ، وأما بكسر الدال فهو الشخص المحدث المبتدع فيلعن من آواه ونصره .

ضلالة فى النار » .

هذا وإذا كانت العبادات الخالية من إذن اللّه أو إذن رسوله ﷺ لا تصلح الروح ولا تطهرها ، فإن الاحكام التى توضع لإصلاح الجسد إذا كانت خالية أيضًا من إذن اللّه ورسوله لا تصلح الجسد بحال من الأحوال . فما كان منها موضوعا للأمن فإنه لا يحققه ، وما كان منها موضوعا للعدل فإنه لا يحققه ،وما كان منها موضوعا لدرء المفاسد فإنه لا يدرأها .

وما وضع لاقتلاع الفواحش أو التقليل منها فإنه لا يزيدها إلا رسوخًا وانتشارًا ، ومن قال كيف ذلك ؟ كان جوابه ما قد سبق أن قلناه وكررناه ، من أنه لا يعرف أحوال الخلق وحاجاتهم ، وما تتطلبه حياتهم إلا خالقهم ومربيهم ، فما وضعه بالإذن أو أمر به فهو صالح مصلح محقق لما يرجى منه ، وما لم يكن كذلك فليس له ذلك أبدًا ، لما سبقت الإشارة إليه من أن تشريع اللّه تعالى يحمل معه مادة الإصلاح والتطهير بخلاف تشريع غيره فإنه خال من ذلك البتة . وبيان ذلك :

أن اللّه تعالى هو خالق الأسباب والمسببات ، وأما غيره فليس له ذلك قط .

وهذه خلاصة ما تقدم :

١ــ التشريع من حق الله تعالى وحده . لأنه هو الرب ، والرب هو الذى يضع لمن يربى من القوانين والوظائف ما يصلحه بها ، ويربيه تربية صالحة جسماً وروحًا ليعده بها للسعادة فى كلتا حياتيه : الأولى والثانية .

٢ــ صلاح البشر أجسامًا وأرواحا متوقف على تشريع اللّه وحده وأن سعادتهم تابعة لصلاح أرواحهم وأجسامهم .

٣ــ كل ما وضعه اللّه تعالى من القوانين الشرعية ، والأعمال التعبدية يحمل معه طاقة الإصلاح للجسد ، ومادة التطهير للروح ، كما يحمل الماء مادة الرى والتنظيف .

٤ــ تأثير العبادة فى النفس بالزكاة والطهر والإصلاح ، متوقف على أدائها أداءً كاملا وصحيحاً .

٥ــ البدعة الدينية قبيحة شديدة القبح ، وأقبح منها المبتدع نفسه .

٦ــ البدعة مهما كانت لا تزكى النفس ولا تطهرها ولا تقرب العبد من ربه ،

بل الواقع أنها تدسى النفس وتبعد فاعلها عن ربه [1] .

٧ـ عظم الجرم الذى ارتكبه من يستعيض بالقوانين الإلهية القوانين الوضعية، وعظم الشر والفساد ، والبلاء الذى جره على الأمة الـتى يحكمها بغير شريعة اللّه تعالى الموضوعة للإصلاح والإسعاد .

٨ ــ الغرض مـن التشريع هو إصلاح الإنسـان جسمًا وروحًا ، وإعداده لأن يكون أهلا لكرامة اللّه تعالى وإنعامه فى الآخرة .

٩ــ سعادة الإنسان وشقاؤه مدارهما على النفس زكاة وقدسية ، قال تعالى : **﴿ قد أفلح من زكاها [2] وقد خاب من دساها ﴾** .

١٠ ــ صلاح النفس وزكاؤها مداره الإيمان والعـمل الصالح ، وفساد النفس وخبثها مداره الشرك والمعاصى .

---

(١) الابتداع المتعلق بما يصلح الجسد أهون من الابتداع فيمـا يصلح الروح ، لظهور حاجات الجسد ومتطلباته . بخلاف حاجات النفس فإنها خفية بخفاء الروح .

(٢) من سورة الشمس .

الصوم وأحكامه

من العبادات التى شرعها الله لتطهير أرواح المؤمنين وتزكية نفوسهم . . . الصيام

تعريف الصوم :

الصوم لغة : الإمساك مطلقا يقال : صام عن الحركة أو الكلام أو الطعام إذا كف عنه ، ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام :

﴿ إنى نذرت للرحمن صوما (١) فلن أكلم اليوم إنسيا ﴾

وكذا قول النابغة :

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

أى خيل ممسكة عن الجرى والحركة ، وخيل تجرى وتتحرك فأطلق الصيام على الإمساك عن الحركة والجرى .

فهذا معنى الصوم لغة . أما معناه شرعا : فهو الإمساك بنية التعبد عن الأكل والشرب ، وغشيان النساء ، وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

تاريخ الصوم :

الصوم عبادة روحية قديمة فرضها الله على أمم كثيرة قبل هذه الأمة قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم (٢) الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ .

وقد عرف الصوم عند قدماء المصريين والهنود . كما عرف عند اليونان

---

(١) من سورة مريم .

(٢) من سورة البقرة .

والرومان . فتاريخ الصوم عميق الجذور بعيد المدى ، متغلغل فى أعماق التاريخ ، وقد قيل : إن الوثنيين من الهنود ما زالوا يصومون إلى الآن . غير أنهم لا يصومون للّه ،وإنما يصومون لتسكين آلهتهم وإرضائها إذا هم شعروا أنهم فعلوا ما يغضبها . كما أن اليهود والنصارى ما زالوا يصومون إلى اليوم ،وقد ثبت عندهم صوم موسى وعيسى عليهما السلام ، والحواريين من أتباع عيسى وأنصاره .

وتدل شرعية هذه العبادة لسائر الأمم على أنها من أعظم العبادات تطهيراً للروح ، وتزكية للنفس ، وتقوية للشعور الدينى فى القلب ، وتمتينًا لصلة العبد بربه عز وجل . فإن الصائم كلما نهزته غريزة حب الطعام والشراب والنساء ، ذكر أنه صائم فيكون دائمًا فى ذكر اللّه ، وذكر اللّه بالقلب من أكبر عوامل الإصلاح للعبد .

تاريخ فرضه على هذه الأمة :

ثبت أن النبى ﷺ كان يصوم يوم عاشوراء ، قبل فرض صوم رمضان ، حتى أنه صامه فى مكة قبل هجرته إلى المدينة لما روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان يوم عاشوراء يومًا تصومه قريش فى الجاهلية ،وكان رسول الله ﷺ يصومه فلما قدم المدينة صامه ، وأمر الناس بصيامه .فلما فرض رمضان قال: « من شاء صامه ومن شاء تركه » .

بيد أن صيام عاشوراء لم يكن على الراجح ـ صومًا مفروضًا على الرسول ﷺ والمؤمنين ، وإنما كان على سبيل التطوع فقط بدليل رواية الشيخين عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قدم النبى ﷺ فرأى اليهود تصوم عاشوراء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : يوم صالح نجى اللّه فيه موسى وبنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى . فقال ﷺ : « أنا أحق بموسى منكم ». فصامه ، وأمر بصيامه .

وفى يوم الإثنين (١) من السنة الثانية من الهجرة لليلتين خلتا من شعبان فرض اللّه الصيام على المؤمنين لقوله عز وجل :

﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات ﴾ .

(١) كون رمضان فرض فى شعبان من السنة الثانية للهجرة (لا خلاف فيه) أما التحديد بيوم الإثنين لليلتين خلتا من شعبان . فقد ذكره صاحب الدين الخالص ، ونقلناه عنه ، والله أعلم بصحة ذلك .

فقوله تـعالى : ﴿ **كتب عليكم** ﴾ يرشـد إلى أنه لم يـكن شىء من الـصوم مكتوبا عليهم ، ولهذا يذهب كثير من العلماء إلى أنه لم يفرض قبل رمضان صيام على هذه الأمة لهذه الآية ، ولما روى البخارى ومـسلم عن معاوية رضى اللّه عنه قال : سمعـت رسول اللهّ ﷺ يقـول : « هذا يوم عاشـوراء ، ولم يكتـب اللّه عليكم صيامه ، وأنا صائم . فمن شاء فليصم ، ومن شاء فليفطر » .

فوائد الصوم

العبادة تشريع إلهي لا تخلو قطعا من فائدة مقصودة منها ، وحكمة متوخاة فيها بيد أن الصوم ، وهو من أعظم العبادات له فوائد كثيرة بعضها روحى ، وبعضها اجتماعى ، وبعضها صحى ، وهذا بيانها :

الفوائد الروحية للصوم :

الصوم يعود الصبر ، وضبط النفس ، والوقوف فى وجه المغريات والمفاتن التى يتهاوى أمامها الكثير من الناس بما يخلق فى النفس من ملكة التقوى الناجمة عن كثرة المراقبة للّه تعالى بالصوم والذكر ، وهذه هى الحكمة التى أشار إليها التعليل فى قوله تعالى : ﴿ **لعلكم تتقون** ﴾ بعد إخباره تعالى بفرض الصيام بقوله: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ .

وفى الحديث الشريف [١] عنه ﷺ : « الصيام نصف الصبر » فالصبر وضبط النفس ، والتحمل والتقوى ، وطهارة الروح ، وزكاء النفس ، هى الفوائد الروحية للصيام الشرعى الصحيح .

الفوائد الاجتماعية :

١ـ الاتحاد والنظام : ففى إفطار أمة كاملة فى لحظة واحدة على اختلاف طبقاتها ، وتباعد ديارها ، لرمز قوى إلى وحدة الأمة ، وتماسكها ، وسيرها متحدة فى طريق رقيها وسعادتها ، وهذا من فوائد صوم رمضان .

٢ـ العدل والمساواة : إذ أمة كاملة يتحد أفرادها أغنياء وفقراء ، ضعفاء وأقوياء فى الإمساك المطلق طوال مدة الصوم ، سواء الموسر والمعسر ، والواجد والمعدوم ، لأمة خليقة بأن يسود فيها العدل ، وتتحقق فيها المساواة . وهذا من فضائل صوم رمضان .

---

(١) رواه ابن ماجه وصححه فى الجامع الصغير .

٣ـ تكوين العاطفة ، وخلق الرحمة فى النفوس : إن الذى لا يجوع طوال السنة لا يقدر ألم الجائعين ، والذى لا يعرف الحرمان فى شيء لا يقدر شقاء المحرومين من كل شيء ، وليس من سبيل إلى إقناع ذوى البطون بأن الجوع موجع ومؤلم ، ولا من سبيل إلى إقناع المحظوظين بأن الحرمان مشق متعس إلا بالجوع والحرمان نفسيهما ، فإذا حرم المحظوظ ، وجاع الشبعان عرفا مضاضة الجوع ، وألم الحرمان ، وتكونت فيهما عاطفة بها يعطفون على المحرومين ، ويرحمون الجائعين . والله يقول :

﴿**ولتكملوا العدة** « عدة أيام الصوم » **ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**﴾ .

فبالصوم والإفطار توجد دواعى الشكر بالبر والإحسان .

والمجتمع الذى تنبت فيه العواطف وتغشاه الرحمة يعمه البر ويكثر فيه الإحسان هو المجتمع الصالح السعيد ؛ والصوم يحقق هذا .

٤ـ الحصانة من الشر والفساد . من قوله ﷺ : « إن الشيطان يجرى [١] من ابن آدم مجرى الدم ، فضيقوا مجاريه بالجوع والصوم » . وقوله عليه السلام فى الصحيح : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة [٢] فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء [٣]» . وقوله ﷺ «الصوم جنة » [٤] .

من هذه الأحاديث تعرف فائدة الصوم فى حصانة الأفراد ، وحمايتهم من الشر والفساد . إن الرذائل والجرائم والشر والفساد مردها إلى فتنة الشيطان ، وطغيان شهوة الإنسان ، والصوم وحده الكفيل بقطع الطرق عن الشيطان ، ويكسر حدة شهوة الإنسان ،فهو إذاً حصانة للمجتمع من الرذائل والشر والفساد.

فائدة الصوم الصحية :

إن الرسول ﷺ لما قال : « صوموا تصحوا » [٥] كان يعرف حقيقة ما يقول

---

(١) أخرجه الشيخان وأحمد وأبو داود وغيرهما . (٢) مؤونة الزواج .
(٣) خصاء . (٤) وقاية .
(٥) رواه أبو نعيم عن أبى هريرة وعلم عليه فى الجامع الصغير بالحسن وروى الطبرانى فى الأوسط : اغزوا تغنموا . صوموا تصحوا . سافروا تستغنوا .

بل كان علـمه سابقًا لما يقول ـــ فما قال : صوموا تصـحوا حتى ثبت عنـده بعلم اليقين أن الصوم يكسب الـصحة . وقد صدق رسول الله ﷺ ، فانه قد ثبت أن المواد الراسبة فـى البدن وخاصة أبدان المترفـين الذين لا يعملون ولا يهـتمون ممن يكثر فيهم السمن ، ويصابون بـكثرة الشحم ، إن هؤلاء لا يعالجون إلا بالصوم ، وقد علم هـذا بالتجربة والاخـتبار . فقد قال أحـد أطباء الغرب : إن صيـام شهر واحد يذهب بالفضلات الميتة فى البدن مدة سنة .

ففائدة الصوم الصـحية إذاً تطهير الأمعاء ، وإصلاح المعدة ، وتـنظيف البدن من الفضلات والرواسـب ،والتخفيف من وطأة السمـن وثقل البطن بـالشحم ، وأعظم بهذه الفائدة من فائدة ،وأعظم بهذا التشريع الإلهى من تشريع صالح حكيم .

فضائل الصيام

الصوم عبادة روحية كتبها اللّه علينا وعلى من قبلنا ، تدل فرضيته العامة على انه ذو مغزى عـظيم وذو تأثير كبيـر فى تطهير النـفوس وتزكيتها ، فمـا عمم اللّه عزوجل إيجابه على الامم ، وشرع صومـه لكل الناس إلا لأنه من أقوى الأسباب لإصلاح النفس وتطهيرها . ولعل هذا هو الـسر فى نسبته دون سائر العبادات إلى اللّه عز وجل حيث جاء قوله تعالى فى حديث قدسى : « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فانه لى ، وأنا أجزى به » .

إن اللّه تعالى شرع العبادات مطهرات وأحـب من عباده المتطهرين والصوم من أقواها تطهيرًا ، وأكبرها تأثيرًا ، فـلم لا يكون إذًا من أشرف العبادات وأسماها ؟ ولم لا يرد من فضـله من الأحاديث ما يزيد المـؤمنين فيه ترغيبًا ، والـراغبين عنه جهلا به وترهيبا .

وهذه بعض الأحاديث الواردة فى ذلك :

١ــ قوله ﷺ : « الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال » [١] .

٢ــ وقوله ﷺ : « الصوم نصف الصبر ، والله عز وجل يقول :[٢] .

﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ »[٣] .

---

(١) رواه الشيخان .

(٢) أخرجه النسائى .

(٣) أخرجه أصحاب السنن والصحاح بألفاظ مختلفة .

٣ـ قوله ﷺ « الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم ، والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند اللّه من ريح المسك » .

يقول تبارك وتعالى :« يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى ، الصيام لى وأنا أجزى به كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به» ، « للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه[1] » .

٤ـ وقوله ﷺ :« من صام يومًا فى سبيل الله عز وجل زحزح الله وجهه عن النار بذلك اليوم سبعين خريفا »، وفى لفظ « باعد اللّه بينه وبين النار بذلك اليوم سبعين خريفًا » [2] .

٥ـ وقوله عليه الصلاة والسلام : « إن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا أدخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد »، وفى لفظ :«من دخل منه شرب ومن شرب لا يظمأ أبدًا » [3] .

٦ـ وقوله ﷺ : « إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد » [4] .

٧ـ وقوله عليه صلاة اللّه وسلامه :« إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدى ما عليه من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم فيتحمل الله عز وجل ما بقى عنه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة ».

إن هذه الفضائل الواردة فى الصوم ، وهذه الكمالات الخاصة بالصائمين لا تنال بمجرد الصوم المطلق بل بالصوم الكامل الصحيح ، لأن الصوم عبادة كسائر العبادات ، لا تؤدى ثمرتها بإصلاح النفس وتطهيرها إلا إذا استوفت شروطها وسلمت من الخلل فيها ، وهذه هى الشروط :

١ـ الإخلاص لله تعالى فيه لقوله ﷺ :«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا فإنه

---

(١) أخرجه النسائى عن أبى سعيد الخدرى . (٢) أخرجه النسائى وغيره .
(٣) أخرجه النسائى وغيره .
(٤) رواه ابن ماجه .

اشترط عليه الصلاة والسلام الإيمان والاحتساب ؛ لأن العمل بلا إيمان كبناء على غير أساس ولأن الشرك فى العبادة مبطل لها لقوله تعالى :

﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** [1] ﴾ .

٢ــ المداومة على الصوم والإكثار منه ؛ لأن قوله : الصائمون معرفا بالألف واللام يدل على أنهم أكثروا من الصيام حتى أصبح وصفًا لهم ، وصاروا عريقين بهذه الصفة كما يشير التعريف أيضا إلى كمال الصيام ، والصيام الكامل هو ما أدى أداء صحيحًا مصحوبًا بأنواع من البر والإحسان كالصدقات وتلاوة القرآن وغيرهما مبتعدًا فيه عن كل إثم ورذيلة .

٣ــ الابتعاد أثناء الصوم عن كل إثم وقبيح من القول والفعل وخاصة الغيبة والنميمة ، وأكل الحرام فإن الله تبارك وتعالى لما ذكر تحريم الأكل والشرب ، ومباشرة النساء فى نهار رمضان ، ذكر بعد ذلك النهى عن أكل المال الحرام فقال : ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾ فحرم أكل المال بعد تحريم المفطرات الحلال فكان فى ذلك إشارة إلى أن ما أفسد الصوم وهو حلال كيف لا يفسده وهو حرام.

أما الغيبة والنميمة والفحش فى الفعل والقول فما من شك أنها من مفسدات الصيام ومبطلات مفعوله في تزكية النفس ، تلك التزكية التى يتوقف عليها قبول الصوم وفوزه ، وقد قال ﷺ : « الصوم جنة ما لم يخرقها بالغيبة ، فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم ».

وقال ﷺ : «من لم يدع [2] قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه أو شرابه ».

وقال :«ليس الصيام من[3] الطعام والشراب ،إنما الصيام من اللغو والرفث».

وقال : « رب صائم [4] حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه

---

(١) الآية من سورة الزمر .

(٢) رواه البخارى .

(٣) أخرجه الحاكم والبيهقى بلفظ : «ليس الصيام من الأكل والشرب » الخ .

(٤) أخرجه ابن ماجة عن أبى هريرة وعلم عليه فى الجامع الصغير بالصحة وهو بلفظ : «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » .

من قيامه السهر » .

وفى مسند أحـمد : أن امرأتين صامتا فى عـهد النبى ﷺ فكادتا أن تموتا من العطش فذكر ذلـك للنبى ﷺ فأعرض ثم ذكـرتا له فدعاهمـا فأمرهما أن يتـقيئا ، فقاءتا ملء قدح قـيحاً ودماً وصديدًا ولحما عبيطـا ، فقال النبى ﷺ :« إن هاتين صامتا على ما أحل الـله لهما ، وأفطرتا على ما حرم الله عليـهما ،حيث جلست أحداهما للأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس ».

وخلاصة القول أن الصيـام المتقبل الفاضل ، ما كان محفـوفًا بالخيرات بعيدًا عن جنس المعاصى والمحرمات ، وإلا فهو كما قال الغزالى: الذى يعصى الله وهو صائم ، كمن يبنى قصراً ويهدم مصرًا .

أقسام الصيام

الصيام ثلاثة أقسام : فرض كصـوم رمضان ، وواجب كصوم النذر ، وتطوع كصيام عاشوراء ، ومن الـصيام ماهو مكروه ،كصيام يوم عرفـة للحاج ، ومنه ما هو حرام . كصيام يوم العيد ، وسنتكلـم على هذه الأقسام قسمًا بعد قسم إن شاء اللّه. إلا الصيام الواجب فإن له محلا غير هذا .ولنؤخر الكلام على صيام رمضان لطول الكلام عليه ،ولنبدأ بصيام التطوع لقلة البحث فيه .

صيام التطوع

صيام التطوع هو صـيام مالا يفرض ولا يجب صومه من سائر أيـام السنة غير أنه لما كانت العبادة يعظم أجرها ويكثر تأثيـرها فى تزكية النفس تبعًا للظرف الصالح ، الذى تقع فيـه شرع الرسول ﷺ على وجه الندب والاستـحباب لأمته ، صيام أيام فاضـلة من السنة رجـاء أن يعظم أجرها ، وتـكثر مثوبـتها عند ربهـا ، ومثل الصيام فى الأيـام الفاضلة كمثل البقـاع الفاضلة ، فالصلاة فى المسـجد الحرام بمئة ألف صلاة فـيما سواه ، والصلاة فـى المسجد النـبوى بألف صلاة فيـما عداه إلا المسجد الحـرام ، وصيام رمضان بأحد الحرمـين (مكة ــ المدينة) أفضـل منه فى غيرهما والصدقة فى أيام الخصاصة والاحتياج أفضل منها فى غيرها قال تعالى :

﴿ لا يستـوى منكم مـن أنفق من قبـل الفتح وقاتـل ، أولئك أعظـم درجة من الذين انفقوا من قبل وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ﴾ .

فالصيام إذا فى هذه الأيام الفاضلة أفضل منه فى غـيرها من سائر أيام السنة وهذه

الأيام الفاضلة هى كما يلى :

١ـ ٢ـ ٣ـ يوم عرفة وهو اليوم التاسع من ذى الحجة وعاشوراء ، وهو العاشر من محرم ، وتاسوعاء وهو اليوم التاسع منه لما روى أحمد والنسائى وابن ماجه أن النبى ﷺ قال: «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية [1] ومستقبلة ، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية»، ولما صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه ، قالوا: يارسول الله إنه يوم يعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله ﷺ : «إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع ».

حكمة صيام هذه الأيام

من الحكمة فى صيام هذه الأيام الثلاثة : أن الأول وهو يوم عرفة لما كان يومًا يتجلى فيه الرب عز وجل لأهل الموقف ، ويباهى بهم الملائكة ويغفر لهم ويهب مسيئهم لمحسنهم ، استحب للمؤمن أن يتعرض لهذه النفحات الإلهية لعله يحظى بمغفرة ذنبه ، كما حظى بذلك أهل الموقف .

أما يوم عاشوراء : فمن الحكمة فيه شكر الله عز وجل على نجاة أوليائه ، والتعرض لنعمة الله بالشكر ، لأن الشكر يزيد فى النعمة : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ وأما تاسوعاء فمن الحكمة فيه المحافظة على صوم عاشوراء صومًا صالحًا ما به من شائبة نقص لأن الرسول رغب فى صوم يوم تاسوعاء ، وتمناه من أجل مخالفة اليهود الذين يصومون يوم عاشوراء ، فاستحب صيام يوم قبله مخالفة لهم وليكمل صوم عاشوراء ، ويكون التشريع فيه مستقلا عن تشريع اليهود أعداء الملة .

٤ـ صيام ستة أيام من شوال . لقوله ﷺ : « من صام [2] رمضان وأتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر»، ووجه ذلك أن الحسنة بعشر أمثالها لقوله تعالى: ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** ﴾ فصوم ستة أيام بستين يومًا . من ضرب ستة فى عشرة أى بشهرين ، ورمضان شهر فى عشرة بعشرة أشهر ، فالعشرة مع الإثنين اثنا عشر شهراً وهى السنة ، فمن واظب على صيام رمضان

---

(١) المراد الصغائر .

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

والستة أيام بعده كان كصائم الدهر .

الحكمة فى صوم ستة أيام شوال

من الحكمة فى صيام ستة شوال ، أنها تجبر ما قد يحصل فى صيام رمضان من الخلل شأنها شأن نافلة الصلاة ، فإنها شرعت لتجبر ما يقع فى الفرائض من نقص .

تنبيهان

(١) اختلف ــ هل يشترط لهذه الأيام أن تكون عقب يوم العيد مباشرة . أو لا يشترط ذلك ، وهل يجوز تفرقتها ، أو ينبغى تتابعها ؟

والحق أنه لا يشترط تتابعها ولا إيقاعها بعد يوم العيد مباشرة ، فلو أوقعها بعد يوم العيد بأيام وفرقها لأجزأت ، وإنما الأولى فيها أن تقع متتابعة وبعد يوم العيد مباشرة .

(٢) ما روى أن مالكا كان يكره صيام الست من شوال علل ذلك ، بأنه لما رأى من إقبال العوام على صيامها ، والتشدد فى ذلك خاف أن يأتى على الناس زمان يعتقدون فيه أنها من رمضان فكره صيامها لذلك .

٥ــ الاكثار من الصيام فى شعبان وفى الأشهر الحرم : رجب وذى القعدة وذى الحجة والمحرم ، لما روى مسلم أن سائلا قال : يارسول الله ــ أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ . قال: « الصلاة فى جوف الليل »، ثم قال : أى الصيام أفضل بعد رمضان ؟ . قال : «شهر الله الذى تدعونه المحرم » .

وأخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر منه صيامًا فى شهر شعبان » .

وأخرج أحمد والبخارى وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام» يعنى الأيام العشر الأولى من شهر الحجة ــ قالوا يارسول الله: ولا الجهاد فى سبيل اللّه ، قال : « ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ، ثم

لم يرجع من ذلك بشيء ».

الحكمة فى الاكثار من الصيام فى هذه الأشهر

من الحكمة فى اختيار هذه الأشهر أنها هى الأشهر الحرم التى جاء ذكرها ، والإشارة بها فى القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر [1] شهراً فى كتاب اللّه يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ .

فلما كانت أشهر فاضلة كان الصوم فيها فاضلا . أما شعبان فإنه وإن لم يكن من الأشهر الحرم إلا أنه شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله عز وجل . فكان من الخير أن يرفع فيه عمل العبد وهو صائم . لما أخرج أحمد والنسائى أن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قلت يارسول الله: لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : « ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترتفع فيه الأعمال [2] إلى رب العالمين ،فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » .

[تنبيه] صوم شهرى رجب وشعبان بلا فطر فيهما بدعة منكرة ، وقع فيها كثير من العوام . فينبغى تحذيرهم وتنبيههم .

وبيان ذلك : أن الرسول ﷺ ما استكمل صيام رجب قط ، وإنه نهى عن صيام آخر شعبان . ففاعل هذه البدعة خالف سنة الرسول فى صوم رجب ، وخالف الرسول ﷺ فى صوم آخر شعبان الذى كان ينهى عنه .

٦ــ صيام الأيام البيض من كل شهر وهى : الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . لما روى النسائى أن أبا ذر الغفارى رضى الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام البيض ثلاث عشر وأربع عشر وخمس عشر ، وقال :«هى كصوم الدهر ». قوله :هى كصوم الدهر مبنى على أن الحسنة بعشر أمثالها ، كما هو صريح قوله تعالى : **﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾** فثلاثة أيام كل يوم منها بعشرة بثلاثين يوما عدة أيام الشهر . فلذا من

---

(١) الآية من سورة التوبة .

(٢) علم عليه فى الجامع الصغير بعلامة الضعف .

حافظ على صيام ثلاثة أيام من كل شهـر كان كصائم الدهر فى الأجر والمثوبة . ما المراد من الدهر ؟

الحكمة فى صيامها :

كان الحكمة فى اختيار هذه الأيام دون غيرها من أيام الشهر ، أنها الأيام التى أقسم الله تبارك وتعالى بها فى قوله :

﴿ والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ﴾ .

فهى أيام فاضلة ، لأنهـا دلائل على القدرة الإلهية العظيمة ، فـفيها يتواصل الضياء ليـل نهار ، فما تغرب الشـمس حتى يطلع القـمر ، وما يستتر القـمر حتى تشرق الشمس ، وهذا من دلائل كمال قدرة البارى عز وجل . ففضل الصيام فيها لفضلها على غيرها ، واللّه أعلم .

٧ـ صوم يوم الإثنين والخميس :

أما صيام يوم الإثنين فقد سئل عنه ﷺ فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، وأنزل على فيه » ، وأمـا يوم الخميس فقد روى أحمـد أن النبى ﷺ كان أكثر ما يصوم الإثنين والخميس فسئل عن ذلك ، فقال : « إن الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر اللّه لكل مسلم ، أو لكل مؤمن إلا المتهاجرين (١) فيقول أخرهما » .

الحكمة فى صومهما :

من الحكمة فى صوم يوم الإثنين : شكر الله عز وجل على نعمه ، وفى يوم الخميس : التوسل إلى الله تعالى بأفضل الأعمال وهو الصوم رجاء المغفرة .

٨ ـ صيام يوم وإفطار يوم : لما روى البخـارى وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « أحب الصـيام إلى الله صيـام داود ، وأحب الصلاة إلى الله صـلاة داود كان ينام نصفه ويقـوم ثلثه وينام سدسه ، وكـان يصوم يومًا ويفطر يومًا » .

الحكمة فى صوم يوم وإفطار يوم :

١ـ كان الحكمة فى أفضلية هذا الصوم أنـه أكثريته حتى أن بالمضاعفة الموعود

---

(١) اللذان يهجر كل منهما أخاه فلا يكالمه ولا يسلم عليه .

بها يفوق صوم الدهر بأضعاف .

٢ـ أنه يسهل لصاحبه الجمع بين فضيلتين هما من أعظم الفضائل : الصبر والشكر ، فهو إذا صام صابر ، وإذا أفطر شاكر ، ومن خير عباد الله الصبور والشكور .

٣ـ لما فيه من معنى قوله تعالى : ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾ .

٩ـ الصيام للأعزب من الشباب :

العزب من الرجال وخاصة من كان منهم فى سن الشباب ، تعظم عنده شهوة الجماع إلى حد يصبح معه مهدداً بأوخم العواقب ، إذا لم يرزقه الله زوجة صالحة، تعفه ويعفها ، وتحضه ويحضها . فنظراً للحال المهددة التى يعيشها العزب، شرع له النبى ﷺ الصيام بقوله فى رواية الشيخين : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة (١) فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (٢) » . فالإكثار من الصيام يكسر من حدة الشهوة ، ويلطف من شدتها إذا كان الصوم كثيراً ، متتابعًا ، وخاصة إذا كان صيام يوم وإفطار يوم آخر .

الحكمة فى هذا الصيام :

والحكمة فى هذا الصيام اجتماعية كما هى روحية ، فهى صيانة المجتمع من أعظم فاحشة وهى الزنا ، والمحافظة على روح الشباب أن تلوث بإثم التطلع إلى الحرام ، عند هيجان الشهوة إلى غشيان النساء .

١٠ ـ الصيام فى الشتاء :

لما روى أحمد والبيهقى والترمذى عن عامر بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « الصوم فى الشتاء الغنيمة الباردة » ، ولما أخرج الديلمى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « مرحبا بالشتاء فيه تنزل الرحمة ، أما ليله فطويل للقائم ، وأما نهاره فقصير للصائم » .

---

(١) مؤونة الزواج .

(٢) خصاء .

الحكمة فى صوم الشتاء

كان الحكمة فى اختيار صوم الشتاء ،وإن كان قد بدأ جانب منها من تعليله ﷺ بطول الليل وقصر النهار فيه ، فإن جانبًا آخر منها هو أن العبادة المتقبلة ما كانت صادرة عن سكون قلب وطيب نفس ، وراحة جوارح يشعر القلب معها بالفرح والغبطة، ويصفو معها الروح ، ويرهف الحس ، ويرق الشعور .وهذه الصفات لا تكون مع ملل النفس وتضجرها وقلقها من العبادة « إن الله لا يمل حتى تملوا » .

والصيام فى اليوم البارد القصير لا يشعر معه الصائم بأدنى قلق أو ضجر أو ملل ، وتكون نفسه فيه أطيب ، وكذا إذا قام العبد للتهجد بعد أن أخذ حظه من النوم فإنه يكون أكثر استعدادًا للعبادة وتقبلا لها بكل جوارحه ، فيكون فيها أنقى ضميرًا ، وأصفى نفسًا :

﴿ إن ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا ﴾ .

فكان الصيام والقيام فى هذا الظرف الصالح غنيمة تغتنم ، وفرصة تهتبل : فأرشد النبى ﷺ إلى ذلك ، وهل من مرشد ؟

الصوم المكروه كراهة تنزيه :

المراد بالمكروه كراهة تنزيه هو ما كان نهى الشارع عنه نهيًا غير جازم كالنهى عن التكشف بالليل ، ويقابله المكروه كراهة تحريم هو ما كان النهى فيه نهيًا جازمًا كالنهى عن آكل الربا مثلا ، ومن الصيام المكروه ما يلى:

١ـ صيام يوم عرفة لمن بعرفة من الحجاج . أما غير الحاج فإنه يستحب له صيامه . لما ورد أنه يكفر ذنب السنة الماضية والمقبلة ، ودليل النهى ما أخرج أحمد وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفات . كما أنه عليه الصلاة والسلام وقف بعرفة مفطراً. فقد أخرج البخارى عن ابن عباس عن أم الفضل بنت الحارس أن ناسًا تماروا عندها يوم عرفة فى صوم النبى ﷺ ، فقال بعضهم هو صائم ، وقال بعضهم ليس بصائم ، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه .

علة النهى

وعلة النهى فيه أن الصوم يضعف الحاج ، فلا يقوى معه على فعل المطلوب منه ، وهو الإكثار من الذكر ، والدعاء والاستغفار ، وهى من أفضل الأعمال يوم عرفة للواقف : فلو فرض أن هناك من لا يضعفه بالصوم ، ولا يعوقه عن المطلوب لما كره له صيامه .

٢ــ صيام يوم الجمعة منفرداً :

يكره صيام يوم الجمعة إلا أن يتقدمه بصوم أو يلحقه صوم . لما ورد أن النبى ﷺ قال : « إن يوم الجمعة عيدكم فلا تصوموه ، وإلا أن تصوموا قبله أو بعده»، وجاء فى الصحيحين عن جابر أن النبى ﷺ قال : « لا تصوموا يوم الجمعة إلا وقبله يوم أو بعده يوم » .

وعلة النهى فيه من وجهين :

(١) الخوف من اعتقاد وجوب صومه ، فإن العوام سرعان ما يعتقدون الوجوب فى كل ما يعتادون ويألفون ، فلو أذن بصومه منفرداً ، وهو يوم فاضل، لأصبح العوام يتحرونه ، حتى يروا أنه واجب فإذا تقدم بصوم أو أتبع بصوم زال اللبس وذهب الخوف من اعتقاد وجوبه ، ولهذا التعليل كان مالك لا يرى كراهية صومه .

(٢) إنه يوم عيد أسبوعى للمسلمين ، ففيه يتواصلون ويستضيف بعضهم بعضاً . فلو صامه المسلم لأحرج إخوانه عند استضافتهم له أو استضافته لهم .

٣ــ صيام يوم السبت منفرداً :

لما أخرج أحمد وغيره من أصحاب السنن أن النبى ﷺ قال : « لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم ، وإن لم يجد أحدكم إلا لحاء [1] عنب أو عود شجرة فليمضغه » .

العلة فيه :

والعلة فيه : أنه يوم يعظمه اليهود فلو أذن بصيامه منفرداً لكان ذلك مشابهة لليهود فى تعظيمه إياه .

---

(١) لحاء العنب : قشره ، ولحاء كل عود قشره .

فلـذا لو صام أحـد يومًا قبـله أو بعده لمـا كره له ذلـك ، لأنه لا يدل عـلى تخصيصه إياه بصوم خاص .

٤ـ صوم آخر شعبان :

لحديث التـرمذى عن أبى هريرة رضى الـله : إذا بقى نصف من شـعبان فلا تصومـوا . وفى رواية . إذا كان النصـف من شعبان فـأمسكوا عن الصـوم حتى يكون رمضـان ، ولحديث : « لا تقدموا صـوم رمضان بيوم أو بيـومين » . بيد أن الحديث الأخير يـشير إلى نفى الكراهـة إلى أن يبقى يومان أو ثلاثـة من شعبان ، وبغض الطرف عن صحة الحديث الأول وضعفه فقـد جمع الطحاوى بينهما جمعا حسنًا وهو أن الكراهة فـى صوم النصف الآخر من شعبان هى لمن يـضعفه الصوم حتى لا يتسبب فى العجز عن صيام رمضان ، وأن الكراهة فى صوم الأيام الأخيرة من شعبان لمن يحتاط بزعمه رمضان .

علة النهى :

وعلة الـنهى ظاهـرة فى الأول ، وهى ما يسـببه الصوم مـن ضعف للـصائم فيستقبل رمـضان الشهر المفروض للصوم ، وهو فى حالـة من الإعياء والضعف ، قد تسبب له تململا وتضجراً عند صومـه لرمضان ، وفى الثانى الفصل بين الفرض والنفل ، وعدم الخلط بينهما ، وهذا معروف من هديه ﷺ فى الصلاة ، فإنه كره للرجل أن يقوم من الفريضة للنافلة مباشرة ، وبدون فصل ، وقال : « إنما أهلك الذين من قبـلكم إنهم كانوا لا يفصلـون بين نفلهم وفرضهم » ، وفـى هذا معنى إجلال الفرائض وتقديرها والحيطة لها ، وإظهـارها كشعائر دينية فى المظهر اللائق بها : ﴿ **ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾

الصوم المكروه كراهة تحريم

ورد عن الشارع النهى عن صيام أيام كثيـرة من السنة ، وعن كيفية من الصوم خاصة ، وذلك لحـكمة يراها المشرع صلـوات اللّه وسلامه عليه ، غـير أن بعض هذا النهى كان شـديدًا إلى درجة المنع والحرمة ، وبعضه كـان خفيفًا إلى درجة أن لا يشير إلى أكثر مـن كون الترك أولى وأفضل فقط ، ومن هذا النـهى الخفيف ما تقدم فى الصوم المكروه كراهة تنزيه ، ومن النهى الشديد ما يأتى :

الأول ـ الوصال ، وهو مواصلة الصوم يومين فأكثر بلا فطور ولا سحور ، لما أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ نهى عن الوصال ، وفى لفظ قال : « لا تواصلوا » . وفى رواية : « إياكم والوصال » ، ولما قالوا له فإنك تواصل يارسول الله . قال « إنكم لستم فى ذلك مثلى ، إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى فأكلفوا [1] من العمل ما تطيقون » .

علة النهى :

وعلة النهى : التخفيف على هذه الأمة (المرحومة والرحمة بها) والشفقة عليها . كما أنه لو أذن ﷺ للأمة بالوصال لا نفتح على الأمة ميدان للتنافس . ثم للغلو والتنطع ، فيهلك كثير بغلوهم وتشددهم ، وخاصة العوام من الأمة .

(تنبيه) أذن الرسول ﷺ فى الوصال إلى السحر فقال : « لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر » .

الثانى ـ صوم يوم الشك ، وهو يوم الثلاثين من شعبان ، أو هو التسعة والعشرين منه على خلاف فى ذلك لحديث عمار بن ياسر « من صام اليوم الذى شك فيه ، فقد عصى أبا القاسم ﷺ » .

علة النهى :

وعلة النهى من أوجه :

الأول : أنه لا يجزئ عن رمضان . فصائم يوم الشك لو ثبت بالفعل أنه من يوم رمضان لما أجزأه صومه ، وتعين عليه القضاء ، فلا فائدة إذاً من الصوم .

الثانى : لو كان من غير رمضان لدخل تحت النهى عن تقديم رمضان بصوم يوم ، وهو منهى عنه .

الثالث : العبادات المحددة الوقت لا تطهر النفس إلا إذا أديت فى وقتها . لأن الوقت جزء من الطاعة فيها ، فما دام العبد شاكا فى دخول الوقت لا ينتفع بالعبادات فى إصلاح روحه ، وتطهير نفسه .

---

(١) تحملوا : من كلف الأمر إذا حمله على مشقة .

تنبيهات

١ـ من قال يوم الشك هو يوم الثلاثين من شعبان هم المالكية والحنابلة ، والقائلون هو ما بعد التاسع والعشرين هم الأحناف والشافعية ، ورأى المالكية أوجه . لأنه إذا مضى تسعة وعشرون يومًا من شعبان فليلة الثلاثين قد تكون من رمضان لاحتمال أن شعبان ناقص ، وقد تكون من شعبان لاحتمال كماله . فاذا أحال دون السماء غيم وقتر ، ولم تظهر الرؤية أصبح يموم الثلاثين يوم شك لاحتمال وجود الرؤية وإنما حال دونها السحاب والغيم ، وينهى عن صومه لعدم تحقق كونه رمضان ، ولأن الرسول ﷺ قال : « إذا غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا » . ولذا قال عمار : من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم.

٢ـ من فهم قوله ﷺ : « فإذا غم عليكم فاقدروا له » إنه من التقدير الذى هو التضييق لا من إكمال عدة شعبان كما ورد مصرحا به قال : بصوم يوم الشك، وهو يوم الثلاثين إن كان غيم احتياطا وهو مروى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، كما هو رواية عند أحمد .

٣ـ لوصام أحد يوم الشك فى قضاء واجب أو نذر، جاز له ذلك بلا كراهية .

الثالث : صوم الدهر وهو صوم السنة كلها ، فلا يفطر فيها لقوله ﷺ فى رواية أحمد والشيخين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :أن النبى ﷺ قال : «لا صام من صام الأبد » وقوله ﷺ فى رواية أحمد وابن ماجة عن عبد الله بن الشخير : « من صام الأبد فلا صام ولا أفطر » ففى الحديث الأول نفى الأجر عمن صام الدهر وفى الثانى نفى الأجر كذلك مع احتمال الدعاء عليه ، وعلى كلا الحالين فإنهما يدلان على كراهة صوم الدهر الشديدة ، غير أن جل أهل العلم كمالك والشافعى ، يرون أن الكراهة تبطل إذا هو أفطر العيدين وأيام التشريق ، وهذا بالنظر إلى مجرد النهى صحيح ؛ لأنه بالفطر فى هذه الأيام يخرج من الكراهة ولكن بالنظر إلى علة الكراهة ، والتى هى ما يصاب به صائم الدهر من الضعف والهزال . حتى يفرط فى حقوقه ، وواجبات كثيرة لا يخرج من الكراهة بمجرد فطره خمسة أيام فى السنة .

علة النهى :

وعلة النهى : الإشفاق على المؤمن والإبقاء عليه قويًا ، لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، ولأن صيام الدهر يؤدى إلى الغلو

والرهبانية الممنوعة فى الإسلام .

الرابع : صوم المرأة بلا إذن زوجها وهو حاضر لما أخرج الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن النبى ﷺ قال : «لا تصم المرأة يومًا واحدًا وزوجها شاهد إلا بإذنه إلا رمضان ».

علة النهى :

وعلة النهى : المحافظة على حقوق الزوج ، وتقديم الواجب على المستحب ، فإن حق الزوج على امرأته حق واجب ، فمتى طلبه وجب أن يعطاه ، وصومها فى غير رمضان صوم تطوع ، والتطوع يكون بعد أداء الواجب ، أو فى وقت لا يتزاحم مع الواجب ، ومتى كان الزوج حاضراً صحيحًا ، فإن المرأة لا تدرى متى يطالبها الزوج بحقه منها ، فلهذا لم يبق لها وقت للتطوع إلا إذا غاب الزوج أو مرض ، أو استأذنت منه فأذن لها .

الصيام الحرام

لا غرابة فى حرمة الصيام فى أيام خاصة ، فإن هذا التحريم ليس عائدًا إلى أصل الصوم ، وإنما هو عائد إلى الظرف الذى يقع فيه الصيام ، ونظير هذا الصلاة النافلة عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ، فإن الصلاة عبادة شريفة وقربة من أعظم القرب عند الله تعالى ، وحرمها الشارع فى هذين الوقتين لمانع وهو ما لابس هذين الوقتين من عبادة الشمس فيهما من قبل من يعبدها من النصارى ، ومن الصوم الحرام ما يلى :

١ـ صوم يوم عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، لما روى البخارى عن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه قال فى يوم عيد : هذان يومان نهى رسول اللّه ﷺ عن صيامهما يوم فطركم من صومكم ، واليوم الآخر تأكلون فيه من نسككم . ولحديث أبى سعيد عند السبعة إلا النسائى : أن النبى ﷺ نهى عن صيام يومين : يوم الفطر ويوم النحر ، وأجمع أهل العلم على أن النهى هنا التحريم ، فكان الإجماع على حرمة صوم العيدين .

علة التحريم فيهما :

علة تحريم الصوم فى يوم العيد كما هى ظاهرة من قوله :« يوم فطركم من صيامكم ، والآخر تأكلون فيه من نسككم» فإنها فى عيد الفطر : الفصل بين الصوم المفروض والفطر المباح ، وأما فى عيد النحر فإنها : الاعتراف بالنعمة وقبول المنة فإنه تعالى أكمل لنا فى الدين وسخر لنا بهيمة الأنعام ، واللّه إذا أنعم على عبده نعمة أحب ظهورها عليه .

٢ـ أيام التشريق (١) الثلاثة ، وهى الحادى عشر ، والثانى عشر ، والثالث عشر من شهر ذى الحجة ، فإن جمهور العلماء اتفقوا على تحريم صومها لما روى أحمد رضى الله عنه أن النبى ﷺ بعث عبد الله بن حذافة يطوف فى منى ـ أن لا تصوموا هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب وذكر الله ، ولما روى الطبرانى عن

---

(١) سميت بأيام التشريق لأنهم يشرقون فيها لحوم الهدى والأضاحى ، وقيل لأن الذبح فيها يكون بعد شروق الشمس .

ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول اللّه ﷺ أرسل صائمًا يصيح أن لا تصوموا هذه الأيام ، فإنها أيام أكل وشرب وبعال [1] .

علة التحريم :

وعلة النهى أولا : هى ظاهرة من لفظ الحديث من كونها أيام إظهار نعمة الله بالأكل والشرب وذكر اللّه على إفضاله وإنعامه . وثانيا : هذه الأيام بالنسبة إلى الحاج هى أيام راحة واستجمام فى ضاحية مكة المكرمة (منى) يستجم فيها الحجاج ويستريحون استعدادًا للسفر إلى بلادهم بعد أن قضوا مناسكهم .

تنبيه ـ الإمام مالك رحمه اللّه تعالى لا يمنع صوم أيام التشريق لمن عليه صوم التمتع ، ودليله رحمه الله لما روى البخارى عن ابن عمر رضى اللّه عنهما أنه قال: لم يرخص فى أيام التشريق أن يضمن إلا لمن يجد الهدى .

وفى رواية للبخارى أيضًا قال : الصيام لمن تمتع بالعمرة إلى الحج إلى يوم عرفة فإن لم يجد هديًا ولم يصم صام أيام منى .

٣ـ أيام الحيض والنفاس للحائض والنفساء : يحرم على الحائض والنفساء الصوم أيام الحيض والنفاس ، وسواء كان الصوم فرضًا أو نفلا لقوله ﷺ فى المرأة: « أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ فذلك من نقصان دينها ».

علة التحريم :

وقد تكون علة التحريم فى هذا هى الإبقاء على راحة وصحة المؤمنة الحائض، إذ بالحيض والنفاس تصاب بالضعف والهزال المتسببين عن نزيف الدم الذى هو طاقة قوة الحيوان ، فإذا قل غذاؤها ازداد ضعفها ، فرحمة بها شرع لها ترك الصوم أثناء هذه العملية الاستفراغية . أما الصلاة فلأن من شرطها الطهارة والحائض والنفساء لا تتمكنان من ذلك لجريان الدم منهما .

٤ـ يحرم صوم المريض إذا كان الصوم يشرف به على الهلاك ومثله من اشتد به العطش إلى حد الخوف على حياته لقوله تعالى :

﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا ﴾ .

---

(١) البعال : الوطء ، أى وطء الرجل امرأته .

علة التحريم :

وعلة التحريم فى هذا : المحافظة على نـفس المؤمن ، وعدم تعريضها للهلاك لحرمتها عند الله وكرامتها عليه .

صوم رمضان وأدلة وجوب صومه

رمضان اسم لـلشهر التاسع مـن شهور السنة الـقمرية ، وهو الشهـر الوحيد الذى صرح باسمه فى القرآن الكريم لقوله تعالى :

﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ﴾ .

واختلف فى علة تسميته فقيل : هـو اسم من أسماء الله تعالى ، وهو بمعنى الغافر أى يمحو الذنوب ويمحقها .

وقيل : مشتق من الرمض الذى هو شدة حر الرمل لوقع الشمس عليه لكونه يوم نقله إلى العربية كان فى زمن الحر .

وجوب صومه :

أما وجوب صومـه على هذه الأمة فإنه إجـماعى فلا خلاف فيـه ، وقد ثبت وجوبه بأدلة الكتاب والسنة ، فمن أدلة الكتاب قوله تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أيامًا معدودات ﴾ .

وقال تعالى : **﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القـرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾** .

ومن أدلة السنة قوله ﷺ فى حديث جبريل المشهور : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمـدًا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتـى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » . وقوله عليه الصلاة والسلام فى حديث ابن عمر رضى الله عنهمـا : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسـول الله ، وإقام الصلاة ؛ وإيتاء الزكـاة ، وحج البيت ، وصوم رمـضان » . وقـوله ﷺ فى حـديث الأعرابى الـذى قال : يارسول الـله أخبرنـى عما فرض اللّه عـلى من الصيام . فـقال : « شهر رمضـان إلا أن تطوع

شيئًا» .

ونسبة صوم رمضان إلى الإسلام : أنه ركنه الرابع وقاعدته العظمى ، جاحده كافر ، وتاركـه مرتد حلال الدم ، والمستخف بحرمتـه يعاقب ويعزز حتى يتوب بصيامه وتعظيمه واحترامه .

حكمة شرعيته :

والحكمة فى شرعيته هى الحكمة الغالبـة فى سائر العبادات تطهير نفس المؤمن وتزكيتها وإعدادها لتقوى الله وطاعته ، لتصبح أهلا لكرامة الآخرة وسعادتها .

عظم ذنب من انتهك حرمة رمضان بالإفطار فيه

إذا أردت أيها المسلم معرفة مدى جرم ومقدار ذنب المنتهك لحرمة رمضان بالإفطار فيه بالأكل أو الشرب ، أو غشيان النساء ، فتأمل قول الرسول ﷺ فيما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : « من أفطر يومًا من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صوم الدهر ، وإن صامه». وقوله ﷺ فيما رواه الديلمى وصححه الذهبى عن ابن عباس رضى الله عنهما عنه عليه الصلاة والسلام قال : « عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام ، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان » .

ويقول الذهبى رحمه الله : من المقرر عند المؤمنين أن من ترك صوم رمضان بلا مرض ولا عذر ، أنه شر من الزانى ، ومدمن الخمر ، بل يشكون فى إسلامه، ويظنون به الزندقة والانحلال . تأمل ما تقدم أيها المسلم ، وانظر إلى عواصم الإسلام ، وقد فتحت فيها أبواب المطاعم ، والمقاهى والحانات ، وبيوت البغى ، ومحلات الدعارة ، والفساد طوال نهار شهر رمضان ، كأن القوم تنكروا للإسلام بعد معرفته ،وكفروا بالقرآن بعد تلاوته ، ورضوا بالفسق الجماعى ، بعد أن كانوا طائعين ، وبالكفر البواح بعد أن كانوا كارهين وإلا فقل . . لماذا ؟ ؟

فضائل رمضان

إن لم يكن لرمضان من فضل سوى أنه كان ظرفًا لنزول القرآن الكريم فيه لكان ذلك كافيًا لشرفه ، وعلو مكانته . قال تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾ ، وكيف وقد خصه الله بليلة القدر ، وهى خير من ألف شهر .

وخصه الله بفضائل عظيمة ، ومزايا عديدة فهو خير شهر لخير أمة . كان رسول الله ﷺ إذا أهل هلاله [1] بشر أمته بإهلاله وقال : « أيها الناس قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » .

ومن خلال هذه الأحاديث النبوية الآتية يعرف فضل رمضان ، وتظهر مزاياه

---

(١) رواه أحمد والنسائى .

للعيان :

١ ـ روى أحمد والنسائى عنه ﷺ : « إذا كان أول ليلة [1] من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجان ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة ، فلم يغلق منها باب ، ونادى مناد : يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة » .

٢ـ أخرج البيهقى فى حديث طويل عنه عليه الصلاة والسلام : « أن الجنة لتزخرف [2] ، وتنجد من الحول إلى الحول لدخول رمضان فتقول الحور العين : يارب اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك أزواجًا تقر بهم أعيننا وتقر أعينهم بنا . وقال : إن الحور ينادين فى شهر رمضان هل من خاطب إلى الله فنزوجه ؟ » .

٣ـ وروى الطبرانى وغيره فى حديث منامه الطويل ﷺ : « ورأيت رجلا من أمتى يلهث عطشًا كلما ورد حوضًا منع منه ، فجاءه صيام رمضان فسقاه ورواه» .

٤ـ وأخرج مسلم فى صحيحه عنه ﷺ :«الصلوات [3] الخمس ، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان . مكفرات لما بينهن إن اجتنبت الكبائر » .

٥ـ أخرج البخارى عنه عليه الصلاة والسلام : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

فضل البر والإحسان فى شهر رمضان

إذا شرف الزمان أو المكان شرف تبعًا لهما ما يقع فيهما من الأعمال الصالحة والأقوال الطيبة النافعة ، فالطاعة فى مكة أفضل منها فى غيرها ،وأعمال البر يوم الجمعة أفضل منها فى غيرها . ومن هذا رمضان المعظم المبارك ، فإنه لفضله فضل كل ما يقع فيه من أفعال الخير ، وأضرب البر والإحسان فالصدقة ، فقيام الليل ، فتلاوة القرآن ، فالاعتكاف ، فالاعتمار ، كل هذه فى رمضان أفضل منها فى غيره من سائر الشهور ، والأحاديث الآتية تبين ذلك :

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) أخرجه البيهقى ، ومعنى تنجد : تجمل بالبسط والفرش .

(٣) رواه مسلم .

أولا ــ فى فضل الصدقة :

أخرج الترمذى عن أنــس قال : قال رسول الله ﷺ :« أفضل الصدقة صدقة فى رمضان » . وأخــرج أحمد وبعض أهل الــسنن عنه ﷺ أنه قال : « مــن فطر صائمًا فله مثل أجره من غير أن ينــقص من أجر الصائم شيء » . وروى الطبرانى والبزار عن سلمان الفارســى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « من فطر صائمًا على طــعام وشراب من حــلال صلت عليــه الملائكة فــى ساعات شهــر رمضان ، وصلى عليه جــبريل ليلة القدر » ؛ وأخرج ابن خــزيمة أن النبى ﷺ قال : « من فطر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه ، وعــتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينــقص من أجره شيء » قالــوا يارسول الله : ليس كــلنا يجد ما يــفطر به الصائم . قال : « يعطى الله هذا الثواب لمن فطرصائمًا ، على مذقة لبن (١) ، أو تمرة، أو شربة ماء » .

وأخرج الترمذى عن على رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « إن فى الجنة غرفًا يرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها » قالوا : لمن يارسول الله ؟ قال: «لمن طيب (٢) الكلام وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام».

وأخرج البخــارى عن ابن عباس رضى الــله عنه قال : كان الــنبى ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون فى رمضــان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبى ﷺ القرآن ، فاذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح (٣) المرسلة .

فهذه الأحاديث وغيرها تبين مدى فــضل الصدقة فى رمضان ، ومقدار الأجر الموعود عليها .

[تنبيه] لو أن الذين آمنوا بعظيم أجر الــصدقة فى رمضان ، وكبير مثوبتها ،

---

(١) مذقة اللبن : لبن ممزوج بماء .

(٢) كل هذه المذكورات من تطيب الكلام ، وإطعام الطعام ، والصيام والقيام تجتمع .

(٣) التشبيه بالريح المرسلة فى الإسراع وعموم النفع .

كما جاء ذلك على لـسان نبيهم ﷺ يجتمعون عند حلـول شهر رمضان المبارك فى مسجد قريتهم أو حيهم ، ثم يجرون إحصاء لفقراء الحى أو القرية ، ثم يوزعونهم واحدًا واحدًا أو اثنين اثنين على أهل القرية أو الحـى يشاركونهم فى طعام الفطور والسحور ، أو على الأقل طـعام الفطور طوال شهر رمضان لكانـوا بذلك يقدمون لأنفسهم خيـرًا ، ويقيمون لتعاليم نبيـهم وزنًا كأمة حية تعلم فتعمـل وتجنى نتائج أعمالها صلاحًا وسلامًا وطهراً ، وقد جربنا لأول مـرة هذه الفكرة بالمسجد النبوى مع إخواننا الطلبة الذين يحضرون دروسنا فنجحت أكبر نجاح ، وكان لها أثر طيب فى النفوس ؛ والحمد لله .

وثانيًا ـ فى فضل قيام الليل :

قيام الليل هو النهوض من النوم أثناء الليل للصلاة والتلاوة ، والذكر والدعاء، والليل كله ظرف صالح لذلك غير أن وسط الليل وآخره أفضل من أوله لقوله ﷺ : « وأحب الصلاة إلى اللّه صلاة داود كان ينام نصفه ، ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وقد أنزل اللّه القرآن بلأمر به كقوله :

﴿ **يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا. نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ .

وكان هذا واجبا فى حق نبينا ﷺ ثم نسخ بقوله تعالى :

﴿ **فاقرأوا ما تيسر من القرآن** ﴾ الآية .

نسخ (١) الوجوب وبقى الاستحباب .

وأثنى الله على أهل قيام الليل فقال تعالى :

﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ويتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون** ﴾ وقال تعالى : ﴿**أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه**﴾ وقال تعالى : ﴿ **كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون**﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار** ﴾ .

إلى غير ذلك من الآيات التى تشيد بفضلهم وتنطق بكرامتهم عند ربهم هذا

---

(١) نسخ قيام الليل عنه ﷺ ليس من المجمع عليه ، والقول بالنسخ قول بعضهم فقط أما عن الأمة فإنه إجماع.

وقيام رمضان أعظم أجرا وأكثر ثوابا من قيام غيره من سائر الشهور فقد قال ﷺ: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »وكان عليه الصلاة والسلام وسائر أصحابه يقومون رمضان ويحيون لياليه وخاصة العشر الأواخر منه حتى ترجى ليلة القدر ويطمع فى نيلها والحصول عليها فقد أخرج الترمذى عن على رضى اللّه عنه قال ، كان رسول اللّه ﷺ يوقظ أهله فى العشر الأواخر من رمضان وكل صغير وكل كبير يطيق الصلاة .

وأخرج الشيخان عن عائشة رضى اللّه عنها أن النبى ﷺ كان إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر ، وكان ﷺ يطرق فاطمة وعلياً ليلا فيقول لهما ألا تقومان فتصليان ؟ وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده ، وأراد أن يوتر .

صلاة التراويح

وبمناسبة قيام الليل نتكلم على صلاة التراويح والتى هى جزء من قيام رمضان. صلاة التراويح هى إحياء ليالى رمضان بالصلاة والقراءة الطويلة فيها وسميت التراويح لأنهم كانوا يستريحون بين كل تسليمتين من أجل ما يحصل لهم من الإعياء لطول القيام وحكمها الاستحباب ، والأصل فيها قوله عليه الصلاة والسلام : « إن اللّه قد فرض عليكم صيام رمضان وسننت لكم قيامه » ، وقوله: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » ، وامتازت عن غيرها من قيام الليل المستحب فى كل ليلة من ليالى السنة بأنها يكثر فيها من قراءة القرآن حتى أنهم ليختمونه فيها عدة مرات ، وبأنها تفعل جماعة فى المسجد حيث جمع عمر بن الخطاب الصحابة على قارئ واحد فى رمضان وقال فيها : نعمت البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون ، واختلف فى عدد ركعاتها والأكثرون على أنها عشرون ركعة دون الوتر والحقيقة أنها لم تحدد من قبل المشرع ﷺ ، والعبرة منها إحياء ليالى رمضان فمن أطال القراءة يقل عنده الركعات ومن قصرها يكثر ذلك عنده ، ولهذا اختلفوا فى عدد ركعاتها إلى عدة أقوال .

الحكمة فى الإكثار من التلاوة

إنه لما كان القرآن الكريم ابتدئ نزوله فى رمضان نزل كله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا فى ليلة القدر من رمضان ، ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ كما قال ذلك ابن عباس ورواه ابن كثير فى تفسيره ، استحب استعراض القرآن فى هذا الشهر ولو مرة واحدة ، وهى سنة جبريل مع الرسول ﷺ ، فإنه كان يعارضه القرآن فى كل سنة من رمضان حتى إذا كانت السنة الأخيرة من حياته ﷺ عارضه فيها جبريل القرآن مرتين .

تنبيهات

١ـ قول عمر نعمت البدعة هذه لا ينبغى أن يفهم منه أنه ابتدع بدعة واستحسنها فامتدحها بقوله المذكور ، لأن عمر رضى الله عنه يعرف نهى الرسول عن البدعة وذمه لها بقوله : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »، ولأن هذه الصلاة كانت مشروعة على عهد رسول الله ﷺ فإن صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان صلى بهم ثلاث ليال فى المسجد فلما كثروا خاف أن تفرض عليهم ولم يستطيعوها فلم يخرج اليهم بعد ، فكانوا يصلون فرادى ويصلون الرجل بالرجل ، والإثنين ، والثلاثة ،حتى عهد عمر فجمعهم على أبى بن كعب وقال قولته فرحا بنعمة الله حيث وفقه الله تعالى إلى إحياء هذه السنة التى عطلت خشية الافتراض ولما زال السبب بموته ﷺ وأحياها الله على يديه قال فرحا بنعمة الله واغتباطا لما وفقه الله إليه « نعمت البدعة هذه » (باعتبار أنها ما كانت موجودة منذ أن تركت خشية الافتراض فلما أشبهت البدعة فى الحدوث أطلق عليها اسم البدعة إطلاقا لغويا لا شرعيا) .

وشىء آخر أن ما يسنه الخلفاء الراشدون وهو من قبيل السنن لا من قبيل البدعة حيث أن الرسول ﷺ أوصى على اتباع سنتهم بقوله : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ .

٢ـ جاء عن بعض أهل العلم من السلف أن من حضر التراويح مع الإمام حتى يفرغ منها كان كمن قام رمضان كاملا مستدلين بما أخرج الترمذى أن النبى

ﷺ قال : « إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له بقية ليلته ».

ليلة القدر

وتعيينها وبم تعرف ؟

وبمناسبة الكلام عن قيام رمضان نتكلم أيضًا على ليلة القدر حيث هي ليلة من لياليه. وأنها خصت من الشارع بمزيد من العناية والتقدير والتشريف والتمجيد، فليلة القدر ليلة مباركة جليلة شريفة شرفت بما لابسها من نزول القرآن فيها قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة** ﴾، وقال عز وجل : ﴿**إنا أنزلناه فى ليلة القدر**﴾ ولما ينزل فيها من الملائكة الكرام ، والروح عليه السلام قال تعالى : ﴿**تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر** ﴾ ولما يقضى الله للخلق من أرزاق وآجال قال تعالى ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم**﴾، ولما فيها من الخير والبركة والرحمة والسلام ، قال تعالى : ﴿ **فى ليلة مباركة**﴾. وقال : ﴿**سلام هى حتى مطلع الفجر** ﴾، وفوق كل هذا أنها وهى ليلة واحدة خير من ألف شهر أى تفضل ثلاثا وثمانين سنة وأربعة أشهر . قال تعالى : ﴿**ليلة القدر خير من ألف شهر**﴾ أى تفضلها قدرًا ومعنى ، فالعبادة والعمل الصالح فيها خير من العبادة فى ألف شهر من غيرها ولهذا رغب رسول الله ﷺ فى التماسها وحث على قيامها فقال : «التمسوها فى العشر الأواخر». وقال من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه . ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، أما تعيين ليلة القدر فقد اختلف فيه ، والمشهور من أقوال العلماء والذى عليه الأدلة الصحيحة أنها فى الوتر من العشر الأواخر لقوله ﷺ : «تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان». ولاعتكافه ﷺ فى العشر الأواخر ليتحراها فيهن وكذا إيقاظ أهله فيهن كل هذا يرجح أنها فى العشر الأواخر وأنها فى الوتر منها ، ثم يترجح أن تكون ليلة السابع والعشرين ، أو ليلة ثلاث وعشرين للأحاديث الآتية :

(أ) ما يرجح أن تكون ليلة سبع وعشرون .

١ــ رواية أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: « من كان منكم متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين» أو قال : «تحروها ليلة سبع

وعشرين »، يعنى ليلة القدر .

٢ــ رواية أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا قال: يا رسول الله إنى شيخ كبير يشق على القيام فمرنى بليلة يوفقنى اللّه فيها لليلة القدر قال: «عليك بالسابعة» يعنى من العشر الأواخر .

٣ــ عن ابن عمر رضى اللّه عنهما قال : كانوا لا يزالون يقصون على النبى ﷺ إنها الليلة السابعة من العشر الأواخر ، فقال رسول اللّه ﷺ :« أرى رؤياكم قد تواطأت أنها ليلة السابعة من العشر الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرا ها ليلة السابعة من العشر الأواخر ».

(ب) ما يرجح أن تكون ليلة ثلاث وعشرين .

١ــ ما جاء فى مسند أحمد عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن النبى ﷺ قال : «أكم مضى من الشهر» ؟ قلنا : مضت اثنان وعشرون وبقى ثمان ، فقال رسول الله ﷺ لا بل مضت سنتان وعشرون وبقى سبع اطلبوها الليلة» .

٢ــ ما جاء فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال فى ليلة القدر : «أريت أنى أسجد صبيحتها فى ماء وطين ». فانصرف النبى ﷺ من صلاة الصبح يوم ثلاث وعشرين وعلى جبهته أثر الماء والطين .

٣ــ رواية سعيد بن المسيب : كان النبى ﷺ فى نفر من أصحابه فقال :«ألا أخبركم بليلة القدر ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، فسكت ساعة ثم قال : «لقد قلت لكم ما قلت آنفًا ــ وأنا أعلمها ــ ثم أنسيتها أرأيتم يوم كنا بموضع كذا وكذا أى ليلة هى »؟ فى غزاة غزاها ، فقالوا : أسرنا فقفلنا حتى استقام ملأ القوم على أنها ليلة ثلاث وعشرين .

أما بم تعرف ؟

فالمعروف أنهم اختلفوا فى ــــ هل تعرف أو لا تعرف ؟ وإذا كانت تعرف ــ فهل لها علامات تعرف بها ؟ والأكثرون على أن لها علامات تعرف بها ، وملخص هذه العلامات وهى محكية عن السلف هو كما يلى :

١ــ أن الشمس تطلع صبيحتها بلا شعاع (عن أبى بن كعب) .

٢ــ أن يرى الملائكة أو يسمع كلامهم (عن الصحابة) .

٣ــ أن يرى نورًا ، أو بابًا من السماء مفتوحًا (عن الصحابة) .

٤ــ أنها بلجه لا حارة ولا باردة تصبح الشمس فيها ضعيفة حمراء .

ويرجح أنها تعلم رواية الترمذى وابن ماجة عن عائشة رضى اللّه عنها قالت: قلت يا رسول اللّه إذا وافقت ليلة القدر مـا أقول فيها ؟ قال : قولى « اللهم إنك عفو تحب العفو فـاعف عنى » .فقولها رضى اللّه عنها إذا وافـقتها وإقرار الرسول ﷺ لهـا على رأيهـا فى موافـقتها دلـيل علـى أنها تعـلم ، والأشيـاء تعلم طـبعًا بعلامتها، فهى إذاً ذات علامات تعرف بها هذا ، وهناك مـسائل ينبغى التنبيه عليها وهى:

الأولى : أن معرفتهـا ليست ضرورية فى حصول الأجر واستـجابة الدعاء بل العبرة بإحيائها بالقيام فيها والدعاء .

الثانية : إن عدم ظهورها بعلاماتها لمن التمسها طوال شهر رمضان لا يدل على عدم وجـودها ، فـإن إظهارهـا يكون كـرامة مـن اللّه تعـالى لمن شـاء من عـباده الصالحين ، فقد يجلس اثنان جنبًا إلى جنب فـى العبادة ويطلع اللّه أحدهما عليها أو يريـه علاماتهـا فيشاهـدها والآخر تحجـب عنه فلا يـراها ، ولا يرى شيـئًا من علاماتها .

الثالثة : العلة فـى إخفائها هى أن يحصل الاجتهاد فى العـبادة والطاعة كامل الليالى التى من شأنها أن تلتمس فيها وهى العشر الأواخر من رمضان .

الرابعـة : العلة فى إيـجادها وتخصـيص هذه الأمة بهـا تفهم من الـروايتين الآتيتين .

١ــ قال مالك : بلغنى أن رسول اللّه ﷺ « رأى أعمار الناس قبله أو ما شاء اللّه من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذى بلغه غيرهم فى طول العمر فأعطى ليلة القدر خير من ألف شهر ».

ثالثًا ـ تلاوة القرآن الكريم

لا خلاف فى أن تلاوة القرآن الكريم على أكمل الحالات أفضل من سائر الأذكار ، وأن التالى للقرآن حق تلاوته يؤجر على كل حرف بعشر حسنات لما فى رواية ابن مسعود رضى اللّه عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « من قرأ حرفًا من كتاب اللّه فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول آلم حرف بل ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

وقد أثنى اللّه تبارك وتعالى على من قرأ القرآن وعمل بما فيه من أحكام وآداب فى غير ما آية من القرآن الكريم منها قوله تعالى :

﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ . وقوله تعالى : **﴿ ليسوا سواء ، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات اللّه آناء الليل وهم يسجدون ﴾** .

وأمر نبيه ﷺ بذلك فقال :

﴿ اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ .

وأمره بترتيله والترتل فى تلاوته بقوله :

﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾،﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا (١) . قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ﴾ .

وأمر بالاستماع له والإنصات عند تلاوته بقوله تعالى :

﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ .

ووصف المؤمنين بأن إيمانهم يزداد عند تلاوته عليهم فقال :

﴿ وإذاتليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا (٢) ﴾ .

---

(١) من سورة الاسراء .

(٢) من سورة الانفال .

والآيات فى بيان فضل كتاب الله وفضل تلاوته أكثر من أن تذكر فى أسطر أو تجمع فى وريقات .

هذا وإن لتلاوة القرآن الكريم وخاصة فى رمضان المعظم لتأثيراً كبيراً على النفس بالإصلاح والطهر المترتب عليهما قبول العبد وقربه من ربه عز وجل ولهذا كان الصالحون يقبلون على تلاوته فى هذا الشهر ، ويكثرون من ختمه المرات العديدة ، حتى أن الإمام الشافعى رحمه اللّه تعالى يؤثر عنه أنه كان يختمه ستين مرة فى رمضان وأسوتهم فى ذلك رسول الله ﷺ فقد كان يكثر من تلاوة القرآن الكريم ، وكان جبريل يدارسه القرآن فى رمضان ، فقد أخبرت فاطمة الزهراء أنه ﷺ أخبرها أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة وأنه عارضه فى عام مرتين [1] ، وكان ﷺ يطيل القراءة فى قيام رمضان أكثر مما يطيل فى غيره فقد صلى معه حذيفة ليلة فقال : قرأ بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران ، لا يمر بآية تخويف إلا وقف عندها وسأل ، فما صلى ركعتين حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة .

ومما يدل على فضل قراءة القرآن فى قيام رمضان الروايات الآتية :

١ـ قوله [2] ﷺ : « الصيام والقيام يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصوم رب منعته الطعام والشراب بالنهار ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنا فيه» .

٢ـ قوله [3] ﷺ: « أن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب يقول له : هل تعرفنى ؟ أنا صاحبك الذى أظمأتك فى الهواجر، وأسهرت لياليك ، وكل تاجر من وراء تجارته ، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ثم يقال له اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها ، فهو فى صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً » .

٣ ـ قوله عليه الصلاة والسلام: « [4] أن القرآن يأتى صاحبه فى القبر أنا الذى كنت أسهر ليلك ، وأظمئ نهارك وأمنعك شهوتك وسمعك وبصرك

---

(١) هو العام الذى توفى فيه النبى عليه الصلاة والسلام .

(٢) رواه فى السنة .

(٣) رواه أحمد أيضاً .

(٤) هو من حديث طويل لعبادة بن الصامت .

فستجدنى من الأخلاء خير خليل . ثم يصعد فيسأل له فراشا ودثاراً ، فيؤمر له بفراش من الجنة ، وقنديل من الجنة ، وياسمين من الجنة ، ثم يدفع القرآن فى قبلة القبر فيوسع عليه ما يشاء الله من ذلك ».

صفات قارئ القرآن

قال ابن مسعود رضى الله عنه : ينبغى لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون ، ونهاره إذ الناس مفطرون ، وببكائه إذ الناس يضحكون ، وبورعه إذ الناس يخلطون ، وبصمته إذ الناس يخوضون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون ، وبحزنه إذ الناس يفرحون . وقال محمد بن كعب : كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه ، يشير إلى سهره وطول تهجده . وقال وهيب بن الورد : قيل لرجل ألا تنام؟ قال : إن عجائب القرآن أطرن نومى .

وأنشد ذو النون المصرى :

منع القرآن بوعده ووعيده   مقل العيون بليلها لا تهجع
فهموا عن الملك العظيم كلامه   فهماً تذل له الرقاب وتخضع

رابعا ــ فى الاعتكاف :

ومن أعمال البر الفاضلة فى رمضان الاعتكاف ، والاعتكاف لغة : الملازمة للشيء وشرعا : ملازمة المسجد للعبادة تقرباً إلى الله عز وجل ، وهو سنة فى رمضان ، ويستحب أن يكون فى العشر الأواخر منه ، لما روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ كان يعتكف فى العشر الأواسط من رمضان ، فاعتكف عاما حتى أن كان ليلة إحدى وعشرين ، وهى الليلة التى يخرج من صبيحتها من اعتكافه ، قال : من كان اعتكف معى فليعتكف العشر الأواخر ، فقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها . ولما روى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ، ثم اعتكف أزواجه من بعده .

زمن الاعتكاف :

ومدة الاعتكاف مختلف فيها فقال بعض : أقله يوم وليلة ، وقال بعض آخر: لا حد له بل اللحظة والساعة تكون زمنا له ، والصحيح أن الاعتكاف الموافق للسنة العملية للنبى ﷺ ما كان يوما وليلة فأكثر إلى عشرة أيام إلى عشرين يوما ، لأن رسول الله ﷺ لم يعتكف أقل من يوم وليلة بل اعتكف عشراً واعتكف عشرين . أما مطلق الاعتكاف فيصح ويقبل ويثاب عليه فاعله ، ولو كان أقل من ساعة إذا صاحبته المجاورة فى المسجد لعبادة الله تعالى . وقد صح أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نذر فى الجاهلية اعتكاف ليلة فى المسجد الحرام. فقال له الرسول ﷺ : « أوف نذرك » .

شروطه :

يشترط للاعتكاف : النية ــ والمسجد ــ والطهارة .

أما النية فلأنها شرط فى سائر العبادات لقوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » .
وأما المسجد فلأن رسول الله ﷺ اعتكف مدة ما اعتكف فى المسجد ، ولم يعرف أنه أذن فى الاعتكاف فى غير المسجد ، ولقوله تعالى :

﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ﴾ .

فإن فيه إقراراً للواقع ، وهو أن الاعتكاف لايكون إلا فى المساجد . بيد أن الجمهور يشترطون فى المسجد أن يكون جامعا حتى لا يضطر المعتكف إلى الخروج إلى صلاة الجمعة . كما أن بعضهم رخص للمرأة أن تعتكف فى مسجد بيتها إن كان لها مسجد ، وأما الطهارة فلأن الجنب والحائض لا يحل لهما المكث فى المسجد ، فكان لابد من اشتراط الطهارة من الحدث الأكبر : الجنابة ، والحيض ، والنفاس .

مفسداته :

١ ــ يفسد الاعتكاف بالجماع لقوله تعالى : ﴿ **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد** ﴾ . فلو جامع المعتكف زوجته أو أمته أثناء اعتكافه ، لبطل اعتكافه، غير أنهم اختلفوا فى المباشرة من غير الجماع : كالقبلة ، ونحوها . والظاهر الفساد .

٢ ــ يفسده كل كبيرة من المعاصى والمحرمات .

٣ ــ الخروج من المسجد لغير حاجة ضرورية .

ما يباح للمعتكف :

يباح للمعتكف أن يخرج من المسجد لقضاء الحاجة ، كما يباح له أن يراجع امراته فى شىء ، أو يعقد نكاحا له أو لغيره ، وأن يتكلم فيما يعنيه ، وأن يبيع ويشترى لضرورة ، وأن ينام ويسكت .

ما يشتغل به المعتكف :

يشتغل المعتكف بقراءة القرآن ، والذكر ، والدعاء والتسبيح ، والصلاة ، ولا بأس بحضور مجالس العلم وطلبته له فى المسجد .

حكم الخروج منه :

إن كان قد قطع اعتكافه لعذر من الأعذار فإنه لاقضاء عليه ، وإن قطعه عذر الغير وأفسده ، بفعل ما يفسده ، فإن من السنة قضاءه هذا إذا كان الاعتكاف تطوعاً ، أما إذا كان واجباً لنذر فإنه يجب قضاؤه ، وقد ثبت قضاء الاعتكاف عنه ﷺ فإنه عزم على الاعتكاف ثم تركه ، ثم قضاه فى شوال . فقد أخرج البخارى

عن عائشة أن رسول الله ﷺ ذكر أن يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، فاستأذنته عائشة فأذن لها ، وسألت حفصة عائشة أن تستأذن لها ففعلت . فلما رأت ذلك زينب بنت جحش أمرت بناء فبنى لها ، قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا صلى انصرف إلى بنائه فأبصر الأبنية ، فقال : «ما هذا» ؟ قالوا بناء عائشة وحفصة وزينب . فقال رسول الله ﷺ : « أكبر أردن بهذا ؟ ما أنا بمعتكف » . فرجع . فلما افطر اعتكف عشراً من شوال .

تنبيهات

(١) هل يشترط للاعتكاف صيام ؟ الجمهور على أنه لابد له من صيام لقول عائشة رضى الله عنها : ولا اعتكاف إلا بصوم ، ولا اعتكاف إلا فى مسجد جامع . وكذا قال به عمر : لا اعتكاف إلا بصيام . وهذا مبناه أمران صحيحان — أحدهما : أن الله تعالى ذكر الاعتكاف مقروناً بالصوم فى قوله :

﴿ **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد** ﴾ .

والثانى : أن النبى ﷺ لم يعتكف وهو مفطر قط .

ولهذا أشرط الجمهور الصوم للاعتكاف ، ولم يشترط الشافعى رحمه الله لأنه يرى اعتكاف الساعة ، والزمن اليسير ، ولا يمكن له صيام ، ولرواية ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «ليس على المعتكف صيام إلا أن يجعله على نفسه » .

(٢) متى يدخل المعتكف ، ومتى يخرج ؟

الجمهور على أنه يدخل قبل غروب الشمس إن كان نوى اعتكاف يوم وليلة فأكثر ويخرج بعد غروب الشمس ، وإن كان فى العشر الأواخر من رمضان فانه يستحب له أن يخرج بخروجه (١) إلى صلاة العيد ؛ وغير الجمهور يرون الدخول للمعتكف بعد صلاة الصبح ، ودليلهم ما صح عنه ﷺ أنه كان إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ، ثم دخل معتكفه . وأوله الجمهور بأن هذا دخوله للبناء المضروب له . أما دخوله المسجد للاعتكاف فقد كان قبل ذلك (وتأمل) .

---

(١) هذا رأى مالك بالخصوص ، ويرى أنه لو خرج بعد الغروب من ليلة العيد لما كان فى ذلك بأس .

فضل الاعتكاف :

الاعتكاف انقطاع إلى الله ، والمعتكف فى جوار الله لملازمته بيت الله ، وليس للعبد من حالة أكمل ولا أفضل من الحالة التى يكون فيها مع الله بروحه منقطعا إليه فيها بجسمه . ومن هنا كان الاعتكاف من أفضل الأعمال ، وليس أدل على أفضليته من هذين الأثرين :

١ ــ أخرج أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ «أن للمساجد أوتاداً الملائكة جلساؤهم إن غابوا يفتقدوهم ، وإن مرضوا عادوهم ، وإن كانوا فى حاجة أعانوهم » .

٢ ــ أخرج الطبرانى والبزار عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المسجد بيت كل تقى ، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة ، والجواز على الصراط إلى رضوان الله ، إلى الجنة » .

حكمة الاعتكاف :

من حكم الاعتكاف :

١ــ ترويح النفس البشرية بالانقطاع إلى الله عز وجل وتطييبها بعبادته تعالى وذكره .

٢ــ تعويد المسلم على الهجرة وتمرينه على الاغتراب فى ذات الله سبحانه وتعالى .

٣ــ ما يحققه التبتل والانقطاع إلى الله تعالى ، وجمع القلب على طاعته من عظيم الحسنات التى قد يكفر الله بها ما شاء من سيئات العبد التى يجترفها طوال السنة ، فالاعتكاف من هذه الناحية أشبه بحج يغفر الله به ذنوب عباده ، وأمثل بعملية تطهير سنوية يتعهد بها المؤمن روحه من سنة لأخرى ليحافظ بها على طهارة روحه تلك الطهارة التى تتوقف عليها سعادته وكرامته فى الدار الآخرة لقوله تعالى:

﴿ قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾

خامسا ــ فى الاعتمار :

الاعتمار : زيارة بيت الله الحرام . بالطواف به ، والسعى بين الصفا والمروة بنية العمرة ، وإذا كان الاعتمار من أفضل الأعمال وأعظم القرب لقوله ﷺ : «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما » ، وقوله : « الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب » وقوله : « جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج والعمرة » ، وقال : «النساء عليهن جهاد لا دم فيه الحج والعمرة » .

فان الاعتمار فى رمضان أعظم منه فى غيره ، لما روى البخارى ومسلم أنه ﷺ قال : « عمرة فى رمضان تعدل حجة معى » .

فانظر أيها المسلم الكريم كيف ارتفعت درجة العمرة لوقوعها فى رمضان إلى درجة الحج ، وارتقت إلى حجة عظيمة معه ﷺ .

ثبوت الرؤية لرمضان

فرض الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة الإسلامية الصيام بقوله :

﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات ﴾ .

ثم بين أنه صوم شهر رمضان بقوله :

﴿ شهر رمضان [1] الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ .

ثم أناط صيامه بمن شهده بقوله :

﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ .

والشهر عادة يثبت بانقضاء الشهر الذى قبله ، أو برؤية هلاله أول ليلة منه . فانحصرت لهذا معرفة دخول رمضان فى أمرين :

الأول : تمام الشهر السابق وهو شعبان ثلاثين يوما ، لأن الثلاثين هى الغالبة .

الثانى : رؤية هلال [2] رمضان .

وعلى هذا المنطق السليم . جاء بيان الرسول ﷺ فقال : « إذا رأيتم الهلال[3] فصوموا ، وإذا رأيتموه فأفطروا » ، وهو عام للرؤيتين : رؤية رمضان للصوم ، ورؤية شوال للإفطار . وهذا حيث لاغيم ولاقتر ، لأنه الغالب ، فإن حصل ما يحول دون الرؤية من غيم أو سحاب أو قتر فإن الرسول ﷺ قال : «لا تصوموا [4] حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروا الهلال ، فان غم عليكم

---

(١) هذه الآية هى والتى قبلها من سورة البقرة .

(٢) يستحب لمن رأى الهلال أن يقول : الله أكبر ، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى ، ربى وربك الله . لما روى الأثر عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال : «الله أكبر . . . » الخ .

(٣) يستحب للناس ترائى الهلال ليلة الثلاثين من شعبان ليحتاطوا لصيامهم لما روى الترمذى أن النبى ﷺ قال : « أحصوا هلال شعبان لرمضان » ؛ وهذا يقتضى ترائى رؤية شعبان أيضا .

(٤) رواه البخارى .

فاقدروا له » ، والمراد بقوله ﷺ فاقدروا له : أن ينظر فى أول الشهر وتكتمل عدته ثلاثين يوما ، وهذا تفسير الجمهور المعتمد فيه على ما جاء مفسراً فى رواية أخرى : « فان غم عليكم (١) فأكملوا العدة ثلاثين يوماً » ، وهو صالح للاستدلال به على الصيام والإفطار ؛ فإنه إن غم علينا فى هلال شوال أتممنا رمضان ثلاثين يوما ، ثم أفطرنا ، كما هى الحال فى الصيام ، فإنا نتم شعبان ثلاثين يوما ثم نصوم . هذا وهناك جوانب للموضوع تحتاج إلى دراسة نتعرض لها فى البيانات التالية :

الأول : اختلف فى رؤية الواحد هل يثبت بها الصوم والفطر أولا ؟ والجمهور على أن رؤية العدل يثبت بها الصوم دون الفطر ففرقوا بين الصيام والإفطار ، لما روى الطبرانى والدارقطنى ، أن رجلا جاء إلى والى المدينة ، وبها ابن عمر وابن عباس فشهد عنده على رؤية هلال شهر رمضان ، فسأل ابن عمر وابن عباس عن شهادته ، فأمراه أن يجيزها وقالا : إن رسول الله ﷺ أجاز شهادة رجل واحد على رؤية هلال رمضان ، وكان لا يجيز شهادة الإفطار إلا بشهادة رجلين .

وهذه الرواية وإن ضعفت عندهم فإنه يحمل على قبولها والعمل بها الاحتياط للدين ، فإن صيام يوم من شعبان خطأ أهون من إفطار يوم من رمضان خطأ . ثم إن الفاسق إذا أراد أن يغرر أو يضلل فإنه لا يغرر أو يضلل فى الصيام ، لأنه مخالف لطبيعته ولما يميل اليه من حب الإفطار ، وإنما يضلل الناس أو يغرر بهم فى الإفطار لرغبته فيه . فلذا رأى الجمهور أن من الحيطة قبول شهادة العدل الواحد فى الصوم دون الفطر ، وهو فقه دقيق ، وعلم عميق (٢) .

الثانى : اختلف فيمن رأى الهلال . وروت شهادته هل يصوم أو يفطر ؟ الجمهور على أنه يصوم إن رأى هلال رمضان ، ولا يفطر إن رأى هلال شوال لقوله ﷺ : « الصوم يوم تصومون ، والفطر يوم تفطرون ، والأضحى يوم تضحون» ، وهذه المسألة منظور فيها كسابقتها الى الاحتياط ، لأن رؤية الفرد قد تخطئ وقد تصيب ، ولأن تخطئ فى الصوم فيصوم يوما زائدا أولى من أن تخطئ

---

(١) رواه البخارى .

(٢) ممن يرى اشتراط العدلين صياما وإفطارا مالك رحمه الله تعالى .

فى الفطر فيفطر يوما من رمضان ، وقد أمر الله بإكمال عدته بقوله تعالى: ﴿ولتكملوا العدة﴾ .

الثالث : اختلف فى قوله ﷺ : « فإن غم عليكم فاقدروا له » ، فإن ابن عمر رضى الله عنه ومن تابعه من رجال السلف قالوا معنى فاقدروا له ، هو من قدر عليه رزقه ، إذا ضيقه إشارة الى قوله تعالى : ﴿ **ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله** ﴾ . وعليه فمعناه إذاً التضيق على شعبان بأن يصام يوم الثلاثين منه وهو يوم الشك احتياطا ، وتعليل هذا أن يكون الشهر تسعة وعشرين كما يكون ثلاثين، واذا حال دون الرؤية غيم فمن الجائز أن يكون يوم الثلاثين أول رمضان باعتبار نقصان شعبان ، فمن الحيطة إذاً أن يصام يوم الشك ، وقد أفصح عن هذا ابن عمر رضى الله عنه بقوله : (١) لأن أصوم يوم الشك أحب إلى من أن أفطر يوما من رمضان .

أما الجمهور فهم على خلاف هذا ، وقالوا معنى « اقدروا له » : أتموا عدة شعبان ثلاثين يوما ، ثم صوموا كما جاء اللفظ مفسرا فى رواية : « فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

وقالوا : يوم الثلاثين عند وجود الغيم هو يوم الشك المنهى عن صومه بقوله: « من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم » . ورحم الله الجميع ورضى عنهم وعنا آمين .

الرابع : هل يرجع إلى الحساب فى شأن الرؤية ؟ الجمهور على أنه لا يرجع فى شأن الرؤية بالحساب أيا كان حساب منازل أو حساب تنجيم . أما الأول فلقوله ﷺ : « إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب (٢) الشهر ، الشهر هكذا » ، وهكذا يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين . وأما الثانية فلقوله ﷺ :

« من صدق كاهنًا (٣) أو عرافًا أو منجماً فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » .

---

(١) وهو منسوب الى أبى هريرة وعائشة رضى الله عنهما ، ولعل نسبته اليهما أصح .

(٢) يحسب بالضم بمعنى يعد . أما يحسب بالفتح والكسر فهو بمعنى يظن ؛ والحديث أخرجه الشيخان .

(٣) الكاهن : المدعى لعلم الغيب . أى يخبر عن المستقبل ، وأما العراف فهو الذى يخبر عن الماضى ، ويدعى معرفة ما دخل من الأشياء أو غاب ؛ وأما المنجم فهو الذى ينظر فى النجوم ويخبر عن وقوع الحوادث فى العالم . الحديث رواه أحمد والحاكم .

ومن هنا فلا يعمل بالحساب إلا فى إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما ، عند عدم التمكن من الرؤية بسبب الغيم والسحاب والقتر ؛ وهذا مبنى على سماحة الشريعة الإسلامية ونصاعتها ووضوحها :«صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأتموا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

الخامس : إذا رأى الهلال أهل إقليم فهل يلزم ذلك أهل إقليم آخر ؟ اختلف فى هذه المسألة أيضا ، فمن قائل بعدم الوجوب ، وهم الأكثرون . ومن قائل باللزوم فيما سامت وجاور بلد الرؤية دون ما كان بعيدا كالهند أو المغرب بالنسبة للحجاز مثلا ، ومن قائل باللزوم إذا كان الإمام واحدا لوجوب طاعته ، وإن نأت الديار وتباعدت الأقاليم ، ومن قائل باللزوم مطلقاً إذا ثبت الرؤية بشروطها ، ووصلت إلى أهل إقليم بشهادة عدلين ، ووجب عليهم قبولها صياماً أو إفطاراً .

وحجة القائل بعدم اللزوم برواية مسلم وأحمد والترمذى عن كريب قال : قدمت الشام واستهل على هلال رمضان وأنا بالشام ، فرأيت الهلال ليلة الجمعة . ثم قدمت المدينة آخر الشهر ، فسألنى ابن عباس ــ ثم ذكر الهلال ــ فقال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت : رأيناه ليلة الجمعة . فقال أنت رأيته ؟ فقلت: نعم ، ورآه الناس فصاموا ، وصام معاوية . فقال : كلنا رأيناه ليلة السبت ، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين يوما أو نراه . فقلت : ألا تكتفى برؤية معاوية ؟ فقال : لا ، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ.

هذا والذى أراه فى الموضوع أمران :

أحدهما : انه لا بأس ولا مانع من صيام وإفطار أقاليم متعددة على رؤية إقليم واحد ما دامت الرؤية قد ثبتت بعدلين ، ووصلت بعدلين ، ولم يختلف الليل والنهار بين تلك الأقاليم اختلافا كبيرا كأن يكون الفرق أربع ساعات فأكثر ، وذلك كإقليم المغرب العربى والسودان وسوريا والحجاز ، وما سامت هذه الأقاليم من منطقة الشرقين الأوسط والأدنى .

وذلك استناداً على قوله ﷺ : « صوموا [1] لرؤيته وأفطروا لرؤيته » فانه

---

(١) وكذا قوله تعالى : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ .

خطاب عـام يشمل الأمة الإسلامـية جمعاء ، فلـم يخص فيه إقلـيم دون آخر ، ولاقطر دون قطر ، وإنما العبرة بثبوت الرؤية ، كما فهم ذلك ابن القاسم ، وكثير من أهل الـعلم ، وقالـوا بلزوم من بـلغهم الخـبر بشهـادة عدلين أن يصـوموا أو يفطروا .

وثانيهـما : أرى كثيرا من أهـل العلم وغيرهـم يتذمرون من اختـلاف البلاد الإسلامية فى الـصيام والإفطار ، ويعدون هذا الاخـتلاف منكرا ينبغـى إزالته فى حين أنه لا داعى لهذا التذمر ، والإسراف فيه أبـدا ، فانه لو تمسك أهل كل إقليم برؤيتهم ، فصـام أهل المغرب أو أفطروا ، وصام من فى سوريـا أو أفطروا ، بناء على رؤيتهم غير ملتفتين إلى رؤية غيرهم ، لما زاد هذا الاختلاف الدين إلا متانة، والعقيدة الإسلامية إلا رسوخا وثبوتاً ، ولعلم أهل الدنيا أننا أمة ثابتة لانتهاون فى أمر ديننا ، ولا نتساهل فى شأن شريعة ربنا ، وإنا لا نخضع ديننا للمظاهر المادية، ولا للتيارات العاطفية ، وإنا مع سلفنـا القائل : لكل أهل بلد رؤيتهم . كما جاء ذلك عن ابن عباس حبر هذه الأمة رضى الله عنه ، وعن سائر وسلف هذه الأمة الصالحة .

شروط الصيام

يشترط فى وجوب الصوم على المرء أن يـكون مسلمًا عاقلاً بالغًا ، وإن كانت امرأة يشترط لصحة صيامها : أن تكون طاهرة من دم الحيض والنفاس . فلاصيام على كافر أو مجنون أو صبى . كما لا يصح صيام من حائض ولا نفساء .

وأدلة هذا أحاديث الرسول ﷺ كقوله : « رفع [1] : القلم عن ثلاثة المجنون حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم » .

والإجماع العام فإن العلماء أجمعـوا على عدم وجوب الصوم على من ذكر ، وعلى عدم صحة صوم الحائض والنفساء .

حكم صوم المسافر
والمريض والشيخ الكبير والحامل والمرضع

هؤلاء خمســة أصناف : المريض ، والمسافـر ، والشيخ الكبـير ، والحامل ، والمرضع . وجب عليهم الصوم ، ورخص لهم فى الفطر ، لما قام بهم فى العذر. أما المريض والمسافر فلقوله تعالى :﴿ **ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر** ﴾. فحكمهما بنص الكتاب بأنه يبـاح لهما الإفطار ، ويصح منهما الصيام إن صاما ، وكـان الصوم لا يلحق بـهما ضررا كبيـراً ، وإن أفطرا وجب عليـهما القضاء بعد زوال العذر .

وأما الشيـخ الكبير ، والمرأة الـعجوز ، وكذا المريض الـذى لا يرجى برؤه . فإنهم إن عجزوا عن الـصوم سقط عنهم ، ووجب عليهم فديـة طعام مسكين عن كل يوم يفطرونه .

ودليل هذا ما روى عن ابن عباس رضى الله عـنهما أنه قال : رخص للشيخ الكبير أن يطعم عن كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه ولعله مأخوذ عن قوله تعالى : ﴿**وعلى الذين** [1] **يطيقونه فدية طعام مساكين** ﴾ الآية .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى .

(٢) الآية من سورة البقرة . هى قراءة ، وهى قراءة ورش . أما قراءة حفص فهى ﴿ **فدية طعام مسكين**﴾ .

أما المرضع والحامل فإنهما إن خافتا على أنفسهما أو ولديهما يرخص لهما فى الفطر كالمريض . ثم هل عليهما قضاء وإطعام ، أو قضاء بلا إطعام ، أو إطعام بلا قضاء ؟ .

اختلف أهل العلم فى ذلك فمن قائل عليهما القضاء دون الإطعام ، ومن قائل عليهما الإطعام دون القضاء ، ومن قائل القضاء والإطعام معا ، ومنهم من فرق بين أن يكون الخوف على نفسهما أو على ولديهما ، فإن كان على ولديهما قال : عليهما القضاء والإطعام معا ، وإن كان على نفسهما قال : عليهما القضاء فقط .

هذا وما دام الدليل مع كل قائل غير قطعى الدلالة ــ وإلا لما اختلفوا ــ فإن أحوط هذه الاقوال قول من قال : بالقضاء والإطعام ، وأيسرها من قال : بالإطعام دون القضاء ، وأعدلها من قال : بالقضاء دون الإطعام ، وأفقهها من فرق بين من خافت على نفسها ،وبين من خافت على ولدها . وفى هذا الخلاف ما يروح على نفس الراسخين فى العلم .

[تنبيه] المراد بالإطعام فى هذا الباب إعطاء مد (حفنة) من بر لأحد الفقراء أو المساكين عن كل يوم يفطر فيه .

حكم صوم الصبى
وعلامات بلوغه

الصيام كالصلاة فى اشتراط البلوغ لوجوبه على المسلم وفى كون المميز من الصبيان يؤمر به استحبابا من أجل رياضته وتمرينه على أداء هذا الركن الهام من أركان الإسلام . فقد صح أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يصومون صبيانهم. فقد أخرج البخارى عن الربيع بنت معوذ أن رسول الله ﷺ أرسل صبيحة يوم عاشوراء إلى قرى الأنصار :« من كان أصبح صائما فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطراً فليصم بقية يومه » . فكنا نصومه بعد ذلك ، ونصوم صبياننا الصغار منهم . فلهذا استحب لأولياء الصبيان أن يأمروهم بالصيام كما أمروهم بالصلاة لسبع سنين ، حيث جاء الندب بذلك رياضة وتمريناً لهم على الصيام إن كانوا يستطيعون ذلك بلا مشقة كبيرة ، ولا جهد مضن ، حتى إذا بلغوا

النكاح أمروهم بالصيام أمر إلزام ووجوب ، وقسروهم على أداء هذا الركن العظيم من أركان الإسلام قسراً وأكرهوهم على صيام رمضان إكراها .

علامات البلوغ :

أما علامات البلوغ فإنها بالنسبة للغلام ثلاثة : ـــ

إنبات الشعر والمراد به شعر العانة الخشن لا الزغب الرقيق ، والاحتلام وهو خروج المنى وبلوغ خمسة عشرا أو ستة عشرا إلى ثمانية عشر سنة وهو أقصى حد للسن ومهما كان جسم الصبى ضعيفاً فمتى وجدت علامة من هذه العلامات الثلاث فى الصبى فقد بلغ وانتقل من حالة الطفولة إلى حالة الرجولة وأصبح مكلفا بسائر أنواع التكاليف الشرعية من صيام وصلاة وحج وغيرها .

وأما بالنسبة إلى الجارية فهى إنبات الشعر والحيض والحمل وبلوغ السن المذكورة فى علامات بلوغ الغلام .

العلة فى عدم تكليف الصبى والمجنون والكافر

أما الصبى والمجنون فلانهما لا يعقلون معنى القربة ولا معنى الطاعة والامتثال والتكليف من شرطه أن يكون المكلف قاصدا بعمله الامتثال والطاعة أو الزلفى والتقرب وأما الكافر فإنه وإن كان يفهم من معنى التكليف أنه الطاعة والامتثال فإنه لما كان لا يؤمن بالله سبحانه وتعالى ولا بأصول دينه . وقواعد شرعه أصبح من غير الممكن أن يقصد بعمله طاعة من لا يؤمن به ولا يعرفه ، ومن شرط القصد العلم بالمقصود فلذا لم يكن فى تكليفه بفروع الشريعة من معنى يكلف من أجله .

أحكام الصيام فى السفر

١ ـــ المسافة التى يباح الفطر فيها :

الجمهور من الصحابة والتابعين وغيرهم على أن المسافة التى يباح فيها الفطر للصائم هى المسافة التى يسن فيها قصر الصلاة وهى أربعة برد فأكثر أى ثمانية وأربعون ميلا فأكثر مع ملاحظة أن مسافة الأربعين برد لم تكن إلا من قبيل الاجتهاد من الصحابة والتابعين لأنه لم يرد فيها عن الرسول ﷺ نص صريح بتحديد المسافة بها ولما كانوا قد وضعوها حداً أدنى لقصر الصلاة قاسوا عليها

الصيام لظهور علة الإفطار فيه وهى المشقة والمشقة لا تحصل عادة فى أقل من مسافة قصر الصلاة ، أما غير الجمهور فإنهم يرون أن كل ما يسمى سفراً لغة يباح فيه الفطر والقصر طالت المسافة أوقصرت بدعوى أنه لم يثبت عن الشارع تحديد ، ورأى الجمهور أحوط وأضبط وهو الذى ينبغى التعويل عليه وإلا فقد يتلاعب بالأحكام الشرعية ويتجرأ الفسقة وضعفة الإيمان على انتهاك حرمة رمضان بالخروج من البلد عدة أميال بدعوى أنهم سافروا وقد رأيناهم ينشئون الأسفار لا لحاجة إلا من أجل ألا يصوموا ، والعياذ بالله تعالى من هذا الانهزام المشين أمام النفس والهوى .

ثانيا ــ متى يباح للمسافر الفطر :

الجمهور على أنه يباح للمسافر الفطر متى نوى للسفر وعزم عليه ولو لم يخرج من بيته بعد لما روى الترمذى أن أنس بن مالك أتى فى رمضان وهو يريد سفرا وقد وحلت راحلته ولبس ثياب السفر فدعا بطعام فأكل فقيل له : سنة ؟ فقال سنة ، ثم ركب . هذا فيما إذا لم ينو الصيام أما إذا نواه فإنه لا يرخص له فى الفطر إلا بعد الخروج من البلد والشرع فى السفر وإن رأى بعضهم أنه لايرخص له فى الفطر ما دام قد نوى الصيام ، غير أن رواية مسلم حجة عليهم ونصها أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح فصام حتى بلغ كراع الغميم وصام الناس معه فقيل له أن الناس قد شق عليهم الصيام ، أن الناس ينظرون فيما فعلت . فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون اليه فأفطر بعضهم وصام بعضهم ، فبلغه أن ناساً صاموا فقال : «أولئك العصاة » .

ثالثا ــ أيهما أفضل للمسافر الفطر أم الصوم :

بغض النظر على رأى الظاهرية القائلين بعدم إجزاء الصوم فى السفر تمسكاً منهم بظاهر قوله تعالى : ﴿ **فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر**﴾ فإن الجمهور قد اختلفوا فى أيهما أفضل الصوم أم الفطر ، وأجمل ما فى الموضوع أن المسافر إذا كان يشق عليه الصوم ويضعفه فيقعد به عن القيام بأعباء سفره وتكاليفه أن الفطر له أفضل ، وإن كان لايشق عليه ، ولا يحول دون قضاء حاجياته فالصوم له أفضل . هذا .

وقد وردت أحاديث كثيرة ترد مذهب الظاهرية فى وجوب الفطر على المسافر،

وتقرر التمييز بين الفطر والصوم ، وتشهد لمن رجح أحدهما بحسب المشقة وعدمها ، ومن هذه الأحاديث حديث مسلم عن حمزة الأسلمى قال : قال : قلت يا رسول الله أجد منى قوة على الصوم فى السفر فهل على جناح ؟ فقال : « هى رخصة من الله تعالى ، فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » .

وكذا حديث أحمد ومسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فى رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يجد [1] الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم ، ثم يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسنا ، ويرون أن من وجد ضعفاً فأفطر فإن ذلك حسن .

تنبيهات

١ ـ أجمعت الأمة على أن من أفطر من ذوى الأعذار المبيحة للفطر من مرض أو سفر أو حيض أو نفاس أن عليه القضاء بعدد الأيام التى أفطر فيها بعد زوال العذر لقوله تعالى :

﴿ فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ .

٢ ـ من فرط فى قضاء رمضان بدون عذر حتى دخل عليه رمضان آخر فإن عليه أن يطعم مكان كل يوم يقضيه مسكينا ، فيجمع بين القضاءوالإطعام لما روى مالك فى الموطأ عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه ، أنه كان يقول : من كان عليه قضاء رمضان فلم يقضه وهو قوى على صيامه حتى جاء رمضان آخر فإنه يطعم مكان كل يوم مسكينا مداً من حنطة ، وعليه مع ذلك القضاء .

٣ ـ من مات من المسلمين وعليه صيام ، قضاه عنه وليه سواء كان الصوم صوم رمضان أو صوم نذر أو كفارة غير أنه إذا كان مما ينبغى فيه التتابع صامه عنه وليه متتابعا كما فاته وإن كان غير متتابع كصيام رمضان جاز متفرقاً حتى ولو صام عنه ثلاثون رجلا يوما واحداً لأجزأ عن شهر هذا ودليل القضاء عن الميت ـ رواية البخارى .

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « من مات وعليه صيام صام عنه وليه» وكذا روايته عن ابن عباس رضى الله عنه ان رجلا جاء إلى النبى ﷺ

(١) يقال : وجد عليه يجد إذا أغضب عليه .

فقال : يارسول الله إن أمى ماتت وعليها صوم شهر ، أفأقضيه عنها ؟ قال «نعم فدين الله أحق أن يقضى ».

أركان الصيام

أركان الصيام ثلاثة : النية ، والامساك ، والزمان .

أما النية فهى عزم القلب على الصوم امتثالاً لأمر الله عز وجل ، أو تقربا إلى الله تعالى ، فإن كان الصيام فرضا وجبت النية بليل قبل الفجر ولم تجزئ بعده لما روى أحمد عنه ﷺ :« من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له » ، ولما روى مالك موقوفا والبخارى مرفوعا ، عنه عليه الصلاة والسلام :« من لم يبت الصيام من الليل فلا صيام له » . وإن كان الصيام تطوعاً فإن نية النهار تجزى فيه إذا كان لم يطعم شيئا ، مع ملاحظة أن مالكا يرى عدم الإجزاء ، والجمهور على خلافه وحجتهم حديث عائشة رضى الله عنها عن مسلم ونصه قالت رضى الله عنها : دخل على رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : «هل عندكم شىء قلنا : لا ، قال: فإنى صائم ». فدلت هذه الرواية على صحة إنشاء نية صيام التطوع من النهار، غير أن هذا لا ينافى أن الصوم الكامل هو ما كان قد بيته صاحبه بليل ووطن نفسه كما رأى مالك والجواز شىء والكمال شىء آخر (فليتأمل) .

والإمساك هو الكف عن المفطرات من أكل وشرب وجماع لقوله تعالى : **﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾** .

فدلت الآية على أن الصوم هو الإمساك عن كل مفطر وتعيَّن بذلك أن الإمساك ركن الصوم .

وأما الزمان : والمراد به النهار وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس فهو ركن الصيام بحيث لا يصح الصيام بدونه فلو صام أحد الليل وأفطر بالنهار لما قيل فيه أنه صائم لقوله تعالى :

﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ .

فدلت الآية على أن الصيام بالنهار لا بالليل ، فكان بذلك النهار ركنا من أركان الصيام الثلاثة التى لا يتحقق إلا بها .

[تنبيه] اختلف فى تجديد النية فى رمضان ، فقال مالك وأبو حنيفة لا يجب تجديدها كل ليلة بل يكتفى فيها بنية أول ليلة من رمضان كاملا ، وإنما يستحب تجديدها فقط ، وهذا ينقطع صوم رمضان بمثل سفر أو مرض أو حيض أو نفاس فإنه يتعين تجديدها حينئذ عند استئناف الصوم والشروع فيه وقال غيرهما ينبغى تجديد النية كل ليلة سواء انقطع الصوم أو اتصل والأقرب إلى سماحة الشريعة المحمدية ويسرها أن نية أول ليلة كافية إذا لم ينقطع الصوم فإن انقطع وجب تعينها عند الاستئناف غير أن ذكر النية كل ليلة بعزم القلب على امتثال أمر الله سبحانه وتعالى خير وأفضل لما فى ذلك من معنى الإحسان الذى هو قوام كل عبادة .

سنن الصوم

من آداب الصوم وسننه تعجيل الفطر وكون الفطر على رطب أو تمر أو ماء والدعاء عنده والسحور وتأخيره فهذه خمس سنن نبينها فيمايلى :

الأولى : تعجيل الفطر والمراد به الافطار عقب تحقق غروب الشمس بلا مهلة بحيث لا يستقل الصائم بشىء سوى الافطار ، لا صلاة ولا غيرها لقوله ﷺ : «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» وقوله :«إذا جاء الليل من هاهنا وذهب النهار من هاهنا وغابت الشمس فقد أفطر الصائم» ، ولقول أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ لم يكن يصلى المغرب حتى يفطر ولو على شربة ماء .

حكمة تعجيل الفطر

من حكم تعجيل الفطر سرعة امتثال المؤمن لأمر ربه وإظهار نعمة الله عليه بإباحة ما كان ممنوعا والتفرغ إلى صلاة المغرب بدفع غائلة الجوع والعطش والرفق بضعفاء الأمة ورحمة بالعاجزين منها .

الثانية : كون الفطر على رطب أو تمر أو ماء من سنن الصوم أن يفطر الصائم على واحدة من ثلاث : الرطب فإن لم يجده فالتمر فإن لم يجده فالماء ، وأفضل هذه الثلاثة أولها وآخرها أدناها ، والمراد بالرطب نضج البصر ، والمراد بالتمر ما يبس من الرطب فيقدم اللين على اليابس ، ويستحب أن يقطع الرطب أو التمر على وتركأن يفطر على ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع مثلا لقول أنس بن مالك رضى الله عنه : كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلى ، فان لم

تكن فعلى تمرات ، فان لم تكن حسا حسوات من ماء ، أخرجه أبو داود فى سننه

حكمة الفطر على هذه الثلاثة

أما الافطار على الرطب فانه ثبت طبيا أنه يجلو البصر إذا أكل عند فراغ المعدة من الطعام والتمر مثله غير أن الرطب أكثر نفعاً ، وأما الماء فانه يبرد الكبد ويذهب عنه جفافه الناشئ عن العطش فيكون بذلك منبها للكبد ومساعدا له على أداء وظيفته كما أن هذه الثلاثة ليست مما مست النار فالإفطار عليها يساعد على النشاط فى أداء صلاة المغرب ، بخلاف الإفطار على غيرها مما مست النار فانه يثقل المرء ويصيبه بالارتجاف الذى يتحاشاه العابدون .

الثالثة : الدعاء عند الافطار : يسن الدعاء عند الإفطار لعمل الرسول ﷺ وقوله فقد روى عنه ﷺ أنه كان يقول عند فطره : «اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا إنك أنت السميع العليم»، وكان يقول :«اللهم إنى أسألك برحمتك التى وسعت كل شيء فاغفر لى ذنوبى »وكان يقول : «ذهب الظمأ وابتلت العروق : وثبت الأجر إن شاء الله تعالى ».

حكمة الدعاء عند الافطار

الصوم من أعظم القرب والتوسل إلى الله فى قضاء الحاجات ، ورفع الدرجات يكون بالتقرب إلى الله تعالى بعظيم القرب وصالح الأعمال ، فلهذا سن للصائم أن يدعو عند فطره لأن صومه من أكبر الوسائل إلى الله تعالى فى استجابته للدعاء وتحقيق الرجاء وهذا ظاهر من قوله ﷺ :«إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد »وقوله:« ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والإمام العادل والمظلوم».

الرابعة : السحور (١) : والسحور هو الأكل والشرب فى السحر الذى هو الجزء الآخر من الليل بنية الصوم وهو من سنن هذه الأمة الخاصة بها لقوله ﷺ: «إن فضل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور »، وقد سنه الرسول ﷺ

---

(١) السحور بالضم هو كما عرفناه وأما بالفتح فهو ما ينسحر من طعام وشراب بالفتح هو ما يتطهر به من ماء أو تراب .

لنا ورغب فيه بالقول الصادق فقد أخرج أحمد والبخارى ومسلم عن زيد بن ثابت رضى الله عـنه قال: تسحرنا مـع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلـى الصلاة وعن أنس رضى الله عنـه أن النبى ﷺ قال :« تسحـروا فإن فى السحور بـركة» وقال :«من أراد أن يصوم فـليتسـحر بشىء»وأخرج أحـمد عن أبى سعـيد رضى اللـه عنه أن رسول الله ﷺ قال : «السحور سـنة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحـدكم جرعة ماء فان الملائكة يصلون على المتسحرين ».

الخامسة :تأخير السحور :

المراد بتأخير السحور تأخيره إلى الجزء الأخـير من الليل ووقت السحور يبتدئ من نصف الـليل الأخير وينتـهى بطلوع الفجر غـير أن السنة فى تأخـيره إلى قرب الفجر بـحيث إذا فرغ منه لم يـنتظر طويلا الـفجر فقد روى البخـارى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : تـسحرنا مع النبى ﷺ ثم قام إلى الصـلاة فقلت : كم كان بـين الآذان والسحور قـال قدره خمـسين آية والـزمن الذى يقـرأ فيه الـقارئ خمسـين آية لا يتجـاوز نصف ساعـة مهما تـرسل فى القـراءة ورتلها وقـد رغب الرسول ﷺ فى تأخـير السحـور بقوله :« لا تزال أمـتى بخير مـا عجلوا الـفطر وأخروا السحور ».

تنبيهان

أ ــ من شك فى طلوع الـفجر له أن يأكل أو يشرب حتى يتيـقن طلوع الفجر ثم يمسك لقوله تعالى :

﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخـيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾.

فإن فى هذه الآيـة تصريح بجواز الأكل والـشرب إلى تحقق الفجـر وقد قيل لابن عباس رضى الله عنهما : إنى أتسـحر فإذا شككت أمسكت . فقال له : كل ما شككت حتى لاتشك .

ب ــ يسن اتخاذ مؤذنين يختلف صوتهما ، يؤذن أحدهما للسحور ، وثانيهما للإمساك . فقد كان للنبى ﷺ مؤذنان بلال وابن أم مكتوم . فقد أخرج أصحاب

---

(١) وكذا قوله تعالى : فمن شهد منكم الشهر فليصمه .

السنن أن النبى ﷺ قال : « إن بلالا مؤذن بليل لينبه نـائمكم ويرجع قائمكم » . وروى مالك فى الموطأ عن سالم بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « إن بلالا يؤذن بليـل فكلوا واشربوا حتى يـنادى ابن أم مكتوم » قال :وكان ابـن أم مكتوم رجلا أعمى لا ينادى حتـى يقال له أصبحت أصبحت . فاتخـاذ مؤذنين فى القرى والأمصار من سننه ﷺ . أما ما يتخذه الناس اليوم فـى كثير من البلاد الإسلامية من رجل يضرب بطبل ، ويصيح طائفاً بأبواب المنازل وهو يقول فى صوت منكر: « سحور سـحور » . فهو مـن البدع المنكـرة التى يجب إبـطالها ، وإحـلال سنة المؤذنين محلها .

حكمة السحور وتأخيره :

من الحكمة فـى السحور أنه فصل ما بـين صيامنا وصيام أهل الـكتاب . فقد قال ﷺ : « إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور » . كما أنه يعين الصائم على صومه ، ويساعده على القيـام بعمله ، فإن فيما يتبقى فى معدته من طعام وشراب ، الـعون الكبير على مواصـلة صومه بارتياح ، وعمـله اليومى بنشاط .

أما تأخيره : فإنـه يساعد على أداء صلاة الصبح فى وقتـها ، ومع الجماعة ، لأنه لو قدم السحور ونـام لا يأمن أن ينام فلا يستيقظ حتـى يخرج وقت الصلاة . كما أن تأخيره إلى آخر الـليل يصبح الصائم معه نشطاً قـويا . غير شاعر بجوع أو عطش طوال نصف النهار الأول ، لأن السحور يعـتبر له كفطور الصباح العادى . فمن حكم السحور وتأخيره ، المساعدة للمسلم على العمل لمعاده ومعاشه ، ولهذا قال الرسول ﷺ : « تسحروا فإن فى السحـور بركة » ، وقال : « هلموا [1] إلى الغداء المبارك » .

مكروهات الصوم

يكره للصائم فعل أمور من شأنهـا الإفضاء بالصائم إلى إفساد صومه ، وهذه الأمور وإن كانت غير مفسدة للصوم بنفسها . غير أنها تؤدى إلى ما يفسد الصوم،

---

(١) أخرجه النسائى .

(٢) أخرجه الأربعة ومحمد بن خزيمة .

فكرهت من أجل ذلك ، ومنها :

١ ــ المبالغة فى المضمضة والاستنشاق عند الوضوء لقوله ﷺ : «وبالغ [١] فى الاستنشاق إلا أن تكون صائما » فكره له ﷺ المبالغة خشية أن يصل الماء إلى جوفه ، فيفسد صومه .

٢ ــ القبلة : تكره القبلة للصائم لأنها قد تؤدى إلى إثارة الشهوة التى تجر إلى إفساد الصوم بالإمذاء أو الجماع . أما ما روى عن عائشة رضى الله عنها : أن النبى ﷺ كان يقبل بعض أزواجه وهو صائم ، ويباشر وهو صائم . فانه لا دلالة فيه على عدم الكراهية . لأنها قيدته بقولها : وكان أملككم لأربه ، وحقاً من يساوى المعصوم أو يماثله فى ضبط النفس وطهارتها ، جعلنى الله فداه .

٣ ــ إدامة النظر إلى الزوجة أو الجارية .

٤ ــ الفكر فى شأن الجماع .

٥ ــ اللمس أو المباشرة بالجسد للعلة السابقة للقبلة .

٦ ــ مضغ العلك (اللبان)لأنه يؤدى إلى تسرب بعض أجزائه الى الجوف .

٧ ــ ذوق الطعام أو القدر لمعرفة طعمه لأنه يؤدى كذلك إلى تسرب شىء منه إلى الجوف .

٨ ــ المضمضة فى غير الوضوء أو حاجة تدعو إليها ، للعلة المذكورة فى مضغ العلك .

٩ ــ الاكتحال بالكحل للعلة السابقة .

١٠ ــ الحجامة أو الفصد مع خشيه الضعف المؤدى إلى الإفطار لما فى ذلك من التغرير بالصوم .

فهذه الأمور وغيرها كرهها أهل العلم من الصحابة والأئمة محافظة على حرمة رمضان وصيانا للصوم من الفساد ، ومما يدل على مدى تحرى سلفنا الصالح واحتياطه لدين الله تعالى أن مالكا رحمه الله تعالى قال : كان الأفاضل يتحاشون دخول بيوتهم بالنهار ، محافظة على حرمة رمضان .

---

(١) أخرجه الأربعة ومحمد بن خزيمة .

هذا وانظـر ما عليه أغلـب المسلمين الـيوم من استهـتار برمضان واستـخفاف بحـرمة الصيـام ، حتى أن الأغـانى الماجنـة ومجالـس القمـار ، وندوات الغيـبة والنميـمة ، وحفلات الرقص والـدعارة ، لا يعرفها الـكثير إلا فى شهـر رمضان المبارك . ثـم احكم بما تـراه ، وهل تستـطيع أن تحكـم بغير فـساد حال المسـلمين اليوم، وضعفهم فى دينهم .

مبطلات الصوم

للصوم مبطلات عديدة ، متى فعل الصائم واحدا منها فسد صومه وبطل ووجب عليه فى بعضها القضاء ، وفى بعضها القضاء والكفارة معا . فالمبطلات إذاً قسمان : قسم يوجب القضاء فقط ، وقسم يوجب القضاء والكفارة .

ما يوجب القضاء فقط :

يوجب القضاء دون الكفارة أمور هى :

١ ـ وصول مائع إلى الجوف بواسطة الأنف كالسعوط والعين والأذن كالتقطير أو الدبر ، وقبل المرأة كالحقنة .

٢ ـ ما وصل إلى الجوف بالمبالغة فى المضمضة والاستنشاق فى الوضوء .

٣ ـ خروج المنى بلذة النظر أو إدامة فكر ، أو قبلة أو مباشرة .

٤ ـ الاستقاء العمد لخبر [١] من استقاء عمداً فليقض ، أما من غلبه القىء فقاء بدون اختياره فلا يفسد صومه .

٥ ـ الاكل أو الشرب أو الوطء فى حال الإكراه على ذلك .

٦ ـ من أكل أو شرب ، ظاناً بقاء الليل ، ثم تبين له طلوع الفجر .

٧ ـ من أكل أو شرب ، ظاناً دخول الليل ، ثم تبين له بقاء النهار .

٨ ـ من أكل أو شرب نسياناً ثم لم يمسك ظاناً أن الإمساك غير واجب عليه فواصل الإفطار إلى الليل .

٩ ـ وصول ما ليس بطعام أو شراب إلى الجوف بواسطة الفم كابتلاع جوهرة أو حصاة ، أو خيط . لما روى عن عائشة رضى الله عنها : إنما الإفطار مما دخل لا من ما خرج .

١٠ ـ رفض نية الصوم ، ولو لم يأكل أو يشرب إن كان غير متأول للإفطار وإلا فلا .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما . ولفظه : من ذرعه القىء فليس عليه قضاء ، ومن استقاء عمدا فليقض ، ومعنى ذرعه عليه .

١١ ــ الردة عن الإسلام إن عاد اليه لقوله تعالى :

﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ .

ما يوجب القضاء والكفارة :

يوجب القضاء والكفارة معا ، أمور هى :

١) الجماع المتعمد فى غير إكراه ،فمن جامع متعمدا مختارا ، وجب عليه القضاء والكفارة معا ، لحديث أبى هريرة رضى الله عنه « عند الجماعة » قال : جاء رجل الى النبى ﷺ ، فقال : هلكت يارسول الله . قال : «وما أهلكك »؟ قال : وقعت على امرأتى فى رمضان . فقال : «هل تجد ما تعتق رقبة »؟ قال : لا . قال : «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين »؟ قال : لا . قال : «فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا »؟ قال لا . قال : ثم جلس فأتى النبى ﷺ بعرق [١] فيه تمر ، وقال : « تصدق بهذا ». قال : فهل على أفقر منا ؟ فما بين لأتيتها أهل بيت أحوج اليه منا . فضحك النبى حتى بدت نواجذه ، وقال :« اذهب فأطعمه أهلك» .

٢ــ الاكل والشرب عمدا بلا عذر مبيح ، عند مالك وأبى حنيفة دون الشافعى وأحمد ، ودليل مالك رحمه الله فى وجوب الكفارة حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وهو أن رجلا أفطر فى رمضان فأمره رسول الله ﷺ أن يكفر. وحديث عامر بن سعد [٢] عن أبيه قال : جاء رجل الى النبى ﷺ فقال أفطرت يوما فى رمضان متعمدا ؟ فقالﷺ : «اعتق رقبة أو صم شهرين متتابعين ، أو اطعم ستين مسكينا ». ثم القياس : قياس الاكل والشرب على الجماع بجامع انتهاك حرمة الصوم فى الاكل .

٣ــ الاستمناء : عند مالك رحمه الله فمن استمنى بإدامة فكر أو ملاعبة أو مباشرة فأمنى ، وجب عليه القضاء والكفارة قياسا على الجماع بجامع انتهاك حرمة الصوم ، كما تقدم فى حكم الأكل والشرب عمدا .

---

(١) العرق : محركا . مكيال يسع خمسة عشر صاعا .

(٢) رواه الدارقطنى .

(تنبيه) اختلف فيمن جامع ناسياً صيامه ، هل عليه مع القضاء كفارة ؟ أو لا قضاء ولا كفارة عليه ؟

الجمهور أن عليه القضاء دون الكفارة ، وأحمد يرى أن عليه القضاء والكفارة.

الحكمة فى القضاء :

من الحكمة فى قضاء العبادات والصوم من جملتها :

١ـ المحافظة على الأجر الموعود على تلك العبادة كاملا.

٢ـ محو ما يعلق بالنفس من أثر الذنب المترتب على إفساد العبادة المحرم لقوله تعالى :

﴿ ولا تبطلوا أعمالكم ﴾

وذلك لقوله تعالى :

﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾

ولقوله ﷺ : « وأتبع [1] السيئة الحسنة تمحها » .

٣ـ صيانة العبادات من التلاعب بها ، لأنه إذا كان المفسد للعبادة يعلم أنه مطالب بقضائها امتنع من إفسادها ، وحافظ على صلاحيتها .

ما يباح للصائم فعله
وما يعفى عنه فى الصوم

يباح للصائم أمور كثيرة قد يظن غير الفقيه فى الدين أنها ممنوعة ، وهى :

١ ـ السواك طول النهار ، اللهم إلا ما كان من أحمد فإنه يكره للصائم بعد الزوال .

٢ ـ التبرد بالماء من شدة الحر ، وسواء يصبه على جسمه ، أو ينغمس فيه

---

(١) رواه الترمذى وحسنه ، ولفظه تاما : «اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن ».

انغماسا .

٣ ـ الأكل والشرب ليلاً حتى تحقق طلوع الفجر .

٤ ـ السفر لحاجة ، وإن كان يعلم أن السفر سيلجئه إلى الإفطار .

٥ ـ التداوى بأى دواء حلال لا يصل إلى جوفه منه شيء ، ومن ذلك استعمال الحقنة فى غير الدبر . أو الإحليل بشرط أن لا تكون بالتغذية .

٦ ـ مضغ الطعام لطفل صغير لايجد من يمضغ له طعامه الذى لا غنى له عنه بشرط ألا يصل منه الى جوفه شيء .

٧ ـ التطيب أو التبخر بالطيب أو البخور لعدم ورود النهى فى كل هذه .

وأما ما يعفى عنه فى الصوم فهو :

١ـ بلع الريق ولو كثر ، والمراد به ريق الصائم نفسه ، وأما ريق غيره فإنه يفسد الصوم .

٢ـ غلبة القيء والقلس إن لم يرجع منهما شيئا الى جوفه بعد أن يصل إلى طرف لسانه .

٣ ـ ابتلاع الذباب غلبة وبدون اختيار .

٤ ـ غبار الطرق والمصانع ، وكذا الدخان [١] ، وسائر الأبخرة التى لا يمكن التحرز منها .

٥ـ الإصباح جنبا ولو يمضى عليه نهاره كاملا ، وهو جنب .

٦ـ الاحتلام : لا شيء على من احتلم نهارا وهو صائم ، لرفع القلم عن النائم .

٧ـ الأكل أو الشرب خطأ أو نسياناً ، غير أن مالكا رحمه الله يرى عليه القضاء إن أكل أو شرب أو جامع ناسيا أو مخطئا ، وكان هذا من الإمام احتياطا فقط . وإلا فقوله عليه الصلاة والسلام : « من نسى [٢] وهو صائم فأكل أو

---

(١) المراد بالدخان دخان النار لا التبغ والشجرة الخبيثة .

(٢) رواه الجماعة .

شرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه » ، وقوله : « من أفطر فى رمضان ناسيا فلا قضاء [١] عليه ولا كفارة » دليل على عدم القضاء .

[تنبيه] اختلف أهل العلم المعاصرون فى استعمال ما يسمى : بالإبرة للصائم نهارًا ، فقال قوم بالجواز مطلقا ، لأنها ليست مما ينفذ إلى الجوف بواسطة المنافذ المعتادة ، كالفم ، والأنف ، والعين ،والأذن ، والدبر . وقال آخرون بالمنع مطلقا احتياطا ، وفرق جماعة بين ما كان منها فى العرق ، حيث يختلط الدواء بالدم ، وما لم يكن فى العرق فما كان فى العرق منعوه وما لم يكن أجازوه؛ والذى أراه فى الموضوع أن يعظم المسلم من شهر رمضان ما أعظم الله ، وأن يتحاشى كل ما فيه ريبة ، وأن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس ، وأن يتقى من الشبهات ما يستبرئ به لدينه ما دام فى سعة من أمره ، ولم تلجئه ضرورة ، وإن ألجأته الضرورة للتداوى بالإبرة بحيث لم يجد بداً من استعمالها فليستعملها ، وما كان منها فى العروق ، أو كان مخصصا للتغذية يقضى معه احتياطا ، وما لم يكن للتغذية ، ولا فى العروق فلا حرج إن شاء الله تعالى ، ولاقضاء عليه احتياطا ، ولا وجوبا .

---

(١) رواه البيهقى والدارقطنى والحاكم . وقال الحافظ بن حجر : إسناده صحيح .

الكفارة وبيان أنواعها

الكفـارة هى ما يكفـر به الذنب المتـرتب على المخالـفة للشارع أو الجـناية ، وجاءت فى القرآن الكريم موضوعة لجنايتين . وهما : القتل الخطأ لقوله تعالى :

﴿ **ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة** ﴾ الآية : والصيد للـمحرم لقوله تعالى :

﴿ **ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم ، يحكم بـه ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفـارة إطعام مساكين أو عدل ذلك صياما** ﴾ .

ومخالفتين وهما : الحنث فى اليمين لقوله تعالى :

﴿ **لا يؤاخـذكم اللـه باللـغو فى أيمانـكم ولكـن يؤاخذكـم بما عقـدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين** ﴾ الآية .

والظهار من النساء لقوله تعالى :

﴿ **والذين يـظاهرون من نـسائهم ثـم يعودون لما قـالوا فتحـرير رقبة مـؤمنة** ﴾ الآية.

وجاءت السنة النبوية بكفارة رمضان ،وهى المقصودة لنا هنا ،والأصل فيها ـ الرجل الذى جاء إلـى رسول الله ﷺ وقال له : هـلكت يارسول اللـه ، فقال : «ما أهلكك »؟ فقال وقعت [1] على امرأتى فى رمضان . فقال له الرسول ﷺ : «هل تجد ما تعتق رقبة »؟ الحديث .

وهى كما جـاءت فى الحديث نفســه ثلاثة أنواع : عتق أو صـيام أو إطعام ، فمن جـامع من رجل أو امـرأةعامداً مختـاراً ، وكذا إن أكل أو شرب ، كـما هو مذهب مـالك وأبى حنيـفة ، وجب عليه قـضاء ذلك اليوم مـع كفارة بعتـق رقبة مؤمنة . أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد من بر أو تمر أو شعير بحسب الاستطاعة على رأى الجمهور .

---

(١) رواه مالك والجماعة ، وتقدم بطوله فى ص ٢٦٥ .

أما أبو حنيفة فيرى مدين لكل مسكين ، وحديث الأعرابى حجة عليه حيث أن العرق الذى جيء به إلى الرسول ﷺ وكفر به عن الرجل كان مكيالا يسع خمسة عشر صاعا ، والصاع أربعة أمداد ، فكان ما فى العرق إذاً ستون صاعا ، وهى موافقة لرأى الجمهور .

تنبيهات

أ ــ اختلف هل على المرأة الموطوءة كفارة ؟ الجمهور على أن عليها الكفارة إن كانت مختارة ، فإن كانت مكرهة فلا كفارة عليها . وغير الجمهور يقولون لا كفارة عليها لأن الرسول ﷺ لما أمر الرجل أن يكفر كان يعلم أن له موطوءة طبعا ، ولم يأمره فى شأنها بشىء .

ب ــ هل أنواع الكفارة على الترتيب أو التخيير ؟

الجمهور على أنها على الترتيب كما هى فى الحديث المتقدم : عتق . فإن لم يكن فصيام ، فإن لم يكن فإطعام . أما مالك ورواية عند أحمد فإنها على التخيير ككفارة اليمين ، فالمكفر يخير بين الثلاثة أيها شاء فعل . غير أن المالكية يستحبون الإطعام لعموم نفعه ، وحجة مالك وحجة الله تعالى ما رواه فى الموطأ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا أفطر فى رمضان فأمره النبى ﷺ أن يكفر برقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، أو إطعام ستين مسكينا ، فجاء التعبير بأو التى تقتضى التخيير بوضعها اللغوى . فتمسك بهذا فقال رحمه الله بالتخيير .

جـ ــ هل تتعدد الكفارات بتعدد المخالفات ؟ الجمهور على أنها تتعدد ، فمن جامع فى يوم ثم جامع فى يوم آخر فإن عليه كفارتين ، وهكذا قل أو كثر ، وأبو حنيفة رحمه الله يقول بعدم تعددها ، إن لم يكفر عن الأولى فإن كفر تعددت ، ومثاله : أن يجامع يوم الأحد ولم يكفر عن مخالفته . حتى جامع يوم الأربعاء مثلا فالكفارة واحدة ، وإن هو جامع فكفر ، ثم جامع بعد التكفير فان عليه كفارة أخرى .

د ــ هل يجب التتابع فى قضاء رمضان ؟

الجمهور على أنه لا يجب فيه التتابع إلا مالكاً فقد استحبه فقط .

هـ ــ هل على من أفطر فى صوم تطوع قضاء ؟

أكثر أهل العلم على أنه لايجب عليه قضاء ، وإنما يستحب له فقط لقوله فى حديث أبى سعيد [1] رضى الله عنه قال : صنعت لرسول الله ﷺ طعاما فأتانى هو وأصحابه فلما وضع الطعام . قال رجل من القوم : إنى صائم . فقال رسول الله ﷺ : « دعاكم أخوكم وتكلف لكم » ثم قال : « أفطر وصم يوما بدله إن شئت » .

و ــ من مات وعليه صيام صامه عنه وليه لقوله ﷺ : « من مات وعليه صيام صامه عنه وليه » ، ولما روى أن رجلاً جاء الى النبى ﷺ فقال : يارسول الله إن أمى ماتت وعليها صيام شهر أفأقضيه عنها ؟ فقال له : «لو كان على أمك دين أكنت قاضيه »؟ قال : نعم . قال : «فدين الله أحق أن يقضى» . بيد أن مالكا وأبا حنيفة يريان الإطعام بدل الصيام ، وهذا يعود الى أمرين : إما أنهما لم يصح عندهما الحديث ، أو لم يبلغهما . أو فهما منه الاستحباب لا الإيجاب فاختارا الإطعام لنفعه ، وإما قاسا هذا على المريض الذى لا يرجى برؤه فإنه يطعم ولا يصوم ، والإطعام هنا مد من حنطة عن كل يوم .

ز ــ هل تسقط الكفارة بالإعسار ؟

الجمهور على أنها لا تسقط بل تبقى بالذمة فمن وجبت عليه كفارة ثم لم يستطعها انتظر بها ساعة اليسر وأداها ، وغير الجمهور يقول بسقوطها بالإعسار ، فمن وجبت عليه كفارة ولم يجدها سقطت عنه ، ولم يطالب بها يوم الميسرة .

حكمة الكفارة :

من الحكم التى شرعت من أجلها الكفارة :

١ ــ صون الشريعة من التلاعب بها ، وانتهاك حرمتها .

٢ ــ تطهير نفس المؤمن من أثر جريمة المخالفة ، ولهذا ينبغى أن نؤدى الكفارة على النحو الذى بين الشارع كمية وكيفا ، وإلا فإنها لا تقوى على إزالة أثر الذنب من النفس ، والأصل فيها قوله تعالى :

﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾

وقوله عليه الصلاة والسلام : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » .

---

(١) رواه البيهقى .

زكاة الفطر
ودليل وجوبها

زكاة الـفطر هى الـصدقة الواجـبة على أعـيان المسلـمين بحلـول عيد الفـطر المبارك، شرعهـا رسول الله ﷺ لهذه الأمـة ، عندما فرض اللـه سبحانه وتـعالى عليـها صيام رمـضان . فتاريخ شـرعيتها ، وتـاريخ صوم فرض رمـضان واحد . ووجه تسمـيتها بزكاة الـفطر . أنها لما كـانت تجب بحلول يـوم أو ليلة عيد الـفطر أضيفت الـيه فقيل فيـها زكاة الفطر . وقـيل اشتقاقهـا من الفطرة التـى هى أصل الخلقة كقوله تعالى :

﴿ فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله (١) ﴾

فهى زكاة بدن ، متعلقة بكل بدن مـن أبدان المسلمين صغاراً كانوا أو كبارا ، ولهذا كثيـر من المسلمين يسمونهـا زكاة الرؤوس ، وزكاة النفوس ، لأنها مـتعلقة بكل نفس أو رأس .

وحكمها : أنها واجبة على كل عين من أعيان المسلمين صغارا كانوا أو كبارا، ذكورا أو إنـاثاً ، أحـراراً أو عبـيداً . لمـا روى مالك فـى الموطـأ والشـيخـان فى صحيـحيهما عن ابـن عمرو رضى الله عـنهما قال : فرض رسـول الله ﷺ زكاة الفطـر من رمضان صاعـا من تمر أو صاعا مـن شعير عـلى العبد والحـر ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير من المسلمين .

فضلها :

فضل صدقة الفطر فـضل عظيم ، وثوابها المترتب عليهـا ثواب جزيل كثير . ويكفيها فضلا أن الله تبارك وتعالى أناط بها وبصلاة العيد التى تعقبها فلاح المؤمن وفوزه بسعادة الآخرة ، وكرامتها فقال تعالى :

﴿ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ﴾ (٢)

وأن رسول الـله ﷺ وصفها بـأنها طهرة للـصائم من اللغـو والرفث ، وهذا

---

(١) الآية من سورة الروم .

(٢) الآية من سورة الأعلى .

مبنى على أن فلاح العبد متوقف على زكـاة نفسه وطهارتها بما شرع الله من صالح الأقوال والأعمـال ، وزكاة الفطر من بـينها ، فهى إذاً مـؤهلة للمؤمـن لأن ينال فلاح الآخرة ، بتزكيتها له وتطهيرها لنفسه ، ويكفيها هذا شرفا وفضلاً .

حكمتها :

زكاة الفطر كغيرها من أنواع العبادة مشـروعة لتحقيق أهداف خاصة للمؤمنين فهى :

أولا : تزكى نفس المؤمن وتطهرها مما قد يعلق بها من آثار اللغو والرفث أثناء صيام رمضـان ، وهذا ظاهر من قوله علـيه الصلاة والسلام فى روايـة ابن عباس رضى الله عنهما : فرض [1] رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للـصائم من اللغو والرفث وطعمة للـمساكين ، من أداها قبل الصلاة فهى زكـاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات .

ثانيـا : تصون كرامة المؤمـن ، وتحفظ له عزته ، فـالمؤمن الجائع قد يـضطره جوعه إلى أن يسأل الناس يوم العيد ، وفى ذلك من الذلة والانكسار ما يتنافى مع عزة المؤمن وكرامـته ، وصدقة الفطر تحول دون هـذا لقوله ﷺ : « اغنـوهم [2] عن السؤال فى هذا اليوم ».

ثالثا : المحافـظة على المجتمع الإسلامى سـعيداً مرحوماً ، فزكاة الـفطر عند توزيعهـا على الفقراء ، وإخـراجها لبيوت الأرامل والمـساكين ، مظهر مـن مظاهر رحمة المؤمنين لبعضـهم تلك الرحمة التى لا تتحقق سعادة مجـتمع من المجتمعات إلا بها ، لأنه لا سـعادة لمجتمع بعـض أفراده يموتون بالشـبع والبطنة ، والـبعض الآخر يموت بالخصاصة ، والجوع ، ولاسيما فى يوم عيد وفرح عام .

أنواع الطعام

التى تخرج منها زكاة الفطر

يجوز اخراج زكاة الفطر من غالب قوت أهل البلد سواء أكان تمرا أو شعيراً ،

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه .

(٢) أخرجه البيهقى والدارقطنى عن أبو عمر بالاقساط مقاربة .

كما فى حديث ابن عمر رضى الله عنه ، أو كان براً أو زبيبا أو إقطاً ، أو غيرها من سائر الحبوب المقتات كالأرز والذرة ، والعدس والجلبانة . غير أنه لا ينبغى العدول عن الأصناف الخمسة المذكورة فى الحديث الشريف إلا عند عدمها ، والأصناف المذكورة فى السنة النبوية هى : البر والشعير والتمر ، والزبيب والإقط. كما هى فى حديث أبى سعيد عند الشيخين : كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام (بر) أو صاعا من شعير أو صاعاً من تمر أو صاعاً من أقط ، أو صاعا من زبيب .

ولفظ هذا الحديث يشير إلى جواز التخيير بين هذه الأصناف الخمسة المذكورة، كما هو يشير الى أن يختار أنفعها ، وأصلحها . فيخرج منه زكاته ، ما لم يشق عليه ذلك ، أو يكلفه .

(تنبيه) هل يجوز اخراج زكاة الفطر دراهم ؟

الجمهور على عدم الجواز . أما أبو حنيفة فإنه يرى جواز ذلك ، حتى لقد روى عن أحد أصحابه ، وهو أبو يوسف قوله : الدقيق أحب إلى من الحنطة ، والدراهم أحب إلى من الدقيق والحنطة ، لأن ذلك أقرب الى دفع حاجة الفقير ، ولأن المطلوب إغناء الفقير فى هذا اليوم ـ والإغناء يحصل بالقيمة بل هو أتم واقر.

هذا واستنادا على ظاهر نصوص السنة ، وعلى رأى الجمهور من الائمة ، وعلى أن الحكمة فى زكاة الفطر ليست مقصورة على اغناء الفقير فقط ، أقول والله ولى التوفيق : أن القيمة لا يعدل اليها إلا عند الضرورة ، كما عدل الرسول فى زكاة الانعام الى أخذ الدراهم عند تعذر السن المطلوبة للزكاة .

فاذا لم يوجد الطعام أو وجد ، وعسر على الفقراء الانتفاع به بحيث لم يمكنهم بيعه ، ولا طحنه ، أو خبزه ، كما هى الحال فى كثير من المدن الكبيرة ، فإنه لا بأس بدفع القيمة دراهم مقدرة بحسب الصاع ، وتكون إن شاء الله مجزئة نافعة . لقوله تعالى :

﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ .

وقول الرسول ﷺ : « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » . أما فى

البلاد التى يوجد بها الحب يمكن الانتفاع بـه ببيعه أو طحنه وطبخه . فإنى أرى أنه لاينبغى العدول الى القيمة ، حيث أن السنة النبوية قضت بدفع غير القيمة ، ولأن زكاة الفطر مشروعة مع اغـناء الفقير يوم العيد لتطهير نفـس المؤمن ، وهى كغيرها من سائر العبادات ، لا تـؤدى ثمرتها فى التطهير الا إذا أديت أداء صـحيحا ، كما جاء عن الشارع ملاحظا فى ذلك الوصف ، والكمية والزمان والمكان .

على من تجب زكاة الفطر ؟

تجب زكاة الفطر بنص الحديث على كل فرد من أفراد المسلمين ذكوراً كانوا أو اناثا ، صـغارا أو كباراً ، وأحراراً أو عبـيداً . لحديث ابن عـمر رضى الله عنـهما فرض رسول الله ﷺ زكاة الفـطر على النـاس من رمضان : صاعـا من تمر ، أو صاعـا من شعيـر ، على كل حـر أو عبد ، ذكر أو أنـثى من المسـلمين ، ويتـعين وجوبها على أفراد المسلمين ، بدخـول أول ليلة من شوال . فمن مات ، أو افتقر قبلـها ، فلا زكاة عـليه لأنها تجـب بالفطـر ، والفطر يبـتدأ من آخر يـوم من أيام رمضان كما لاتجب زكاة الـفطر على غير المسلمين ، ولا على مسـلم ليس له فضل عن قوت يومه .

هل تجب زكاة الفطر على الجنين ؟

لا تجب علـى الجنين إن لم يـولد ليلة الـفطر أو قبلـها ، وانما ورد استـحباب اخراجها على الجنين ، استحبابا لا وجـوبا ، فقد روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه كان يخرجها على الجنين فى بطن أمه استحباباً وندباً لا وجوباً وفرضاً.

مقدار زكاة الفطر

بينت الـسنة الصحيـحة مقدار زكاة الفـطر هو صاع بصاع الـنبى ﷺ والصاع أربعة أمداد ، والمـد الحفنة ، ويقدر الـفقهاء الصاع بـخمسة أرطال وثلـث بالرطل العراقـى، وبما أن الرطل الـعراقى قد أصبـح فى حكم المـعدوم الآن فى كثـير من البلاد الإسلامـية ، فإنه لا مانع مـن العمل بالمد الـذى هو حفنة الرجـل المتوسط الكفين ، فأربع حفنات بحفنات الرجل المعتدل الكفين هو مقدار زكاة الفطر ، وإن زيد على ذلك شيئا يسيرا للتحرى فحسن هذا ، وكيلة أهل المدينة اليوم تعتبر صاعا

مجزيا ، حيث اذا قدرناها فوجدناها أربع حفنات وزيادة يسيرة تصلح للتحرى والاحتياط .

وقت إخراجها :

لإخراج زكاة الفطر ثلاثة أوقات : وقت جواز ، ووقت أداء ، ووقت قضاء. أما وقت الجواز فهو ما كان قبل العيد بيوم أو يومين لما أخرج أبو داود والدارقطنى عن نافع أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يؤديها قبل العيد بيوم ويومين . أما وقت الأداء فهو وقت ما بعد طلوع الفجر الى قبيل صلاة العيد وهو وقتها المستحب الفاضل الذى حدد لها وعين من المشرع ﷺ تعيينا فقد أخرج أبو داود عن ابن عباس رضى الله عنه قوله : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين ، من أداها قبل الصلاة فهى زكاة متقبلة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات ، كما أخرج السبعة إلا ابن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة .

وأما وقت القضاء ، فهو ما كان بعد صلاة العيد فصاعدا فتلخص من هذا أن زكاة الفطر يجوز إخراجها قبل يوم العيد بيوم أو يومين وأن وقتها الفاضل المشروع هو من بعد فجر يوم العيد إلى صلاة العيد .

وأن إخراجها بعد صلاة العيد مجزى مع الكراهة .

تنبيهان :

(أ) من أهل العلم من قال بجواز إخراجها من أول شهر رمضان ، وهذا وإن كان فى ظاهره مخالفا للسنة فإنه يجوز الأخذ به فى حالات استثنائية خاصة : وذلك كأن تكون مجاعة مهددة لحياة الأفراد ، ولم يكن من سبب لتخفيفها إلا بإخراج زكاة الفطر قبل وقتها فقد ثبت أن النبى ﷺ تعجل زكاة مال عمه العباس قبل حلولها بعام ، وكان ذلك لمصلحة عامة اقتضت التعجيل .

(ب) كما تجب زكاة الفطر على الرجل فى نفسه ، فإنها تجب عليه فيمن تلزمه نفقتهم من ولد ووالد وزوجة وعبد ، إن لم يكن لهم مال يخرجون منه . ويرى الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، أن من أعال فقيراً شهر رمضان وجبت عليه زكاته

كما وجبت عليه فى عياله .

مصرفها :

تصرف زكاة الفطر بالأولى للفقراء والمساكين لقوله ﷺ : « أغنوهم عن الطلب فى هذا اليوم » ، ومعلوم أن الذى يطلب الطعام فى هذا اليوم « يوم العيد» هو الفقير أو المسكين ، ولهذا قال الإمام مالك رحمه الله تعالى : لايجوز صرفها لغير الفقراء والمساكين من باقى الأصناف الثمانية الذين تصرف لهم الزكاة ، أما غير مالك فقد قالوا بجواز صرفها لسائر الأصناف المذكورة فى آية :

﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ﴾ .

وعلى كلا القولين فالتوسط أولى وأحسن والتوسط فى هذا أن يعطى الفقراء والمساكين أولا ، فإن استغنوا ، او لم يوجد ما فى البلد صرفت زكاة الفطر إلى غيرهم من باقى الأصناف الثمانية .

تنبيهات :

(أ) المرأة الغنية تدفع صدقتها لزوجها الفقير وتصح منها ، والعكس لا يجوز ولا يصح .

(ب) تسقط زكاة الفطر عن الذى لا يملك قوت يومه .

(جـ) من فضل له عن قوت يومه شىء أخرجه وأجزأه لقوله تعالى :

﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ .

وقوله ﷺ : «اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » .

(د) يجوز صرف صدقة فرد الى متعددين موزعة عليهم ، ويجوز صرف صدقة عدة أفراد إلى فرد واحد .

(هـ) تجب زكاة الفطر على المسلم فى البلد الذى هو مقيم به ، ولا يجوز تحويلها الى بلد آخر الا اذا عدم الفقراء أو كان غيرهم أحوج اليها منهم .

خاتمة

لقد تم بحمد الله تعالى جمع ما استخرت الله فى جمعه من أحكام الصيام وحكمه ، وفضائله وفوائده ، وجاءت « رسالة رمضان » كما رجوت الله لها أن تكون ، محققة للغرض ، موفية بالمقصود .

والحمد لله على توفيقه وهدايته واعانته ، هذا ولا يفوتنى فى هذه الخاتمة أن أنبه الى أن ما عللت به بعض المنبهات ، وما جعلته حكمة لبعض الواجبات ، لم يكن الا من قبيل الرأى والاجتهاد ، فقد أصيب فى ذلك وقد أخطئ ؛ فإن أصبت فمن الله تعالى ، وان أخطأت فمن نفسى وأستغفر الله .

كما أننى لا أدعى العصمة فى كل ما كتبته من أحكام الصيام ومسائله بل إننى أعتقد أنى معرض للخطأ كغيرى من سوى المعصومين . ولذا فعلى من رأى من الاخوان العالمين خطأ أن يصوبه ، أو فسادا أن يصلحه ، وألا يتحرج فى ذلك فإنه ما من أحد الا ويؤخذ من كلامه ويرد الا صاحب الشرع سيدنا محمد ﷺ ، حيث أن الله عصمه ليبلغ عنه رسالته ، فهو وحده المعصوم ، وأما من دونه فهو عرضة للزلل والخطأ ، الا من شاء الله تعالى رشاده وسداده .

فاللهم أرشدنا للصواب ، وسددنا للحق ، وخذ بأيدينا الى ما ترضى وتحب، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد عبدك ورسولك وآله وصحبه وسلم.

وسلامك اللهم على سائر أنبيائك والمرسلين ، والحمد لله رب العالمين . ؟

الرسالة الرابعة

إلـــى الزكـــاة

الزكاة سر الحياة

والعبادة سر الزكاة

ومفتاح السعادة موضوع بيد هذه الثلاثة

وقد عهد إليها أن لا تسلمه إلا لمن فاز بالقبول

فلينشد إذاً القبول بالصدق والإقبال

بسم الله الرحمن الرحيم

هل تدرى ؟؟

أتدرى أيها المسلم ما الزكاة التى دعيت اليها ؟ إنها العملية التطهيرية التى بها يستأصل داء الشح ، ومرض البخل من نفس الانسان .

إنها الضريبة المالية التى بدونها لا يستحق الفرد اسم المواطن المسلم أبدا .

إنها الصدقة التى بها يحقن الدم ، ويحفظ المال ، وإلا فبدونها الدم عرضة للسفك والمال للمصادرة . إنها العبادة المالية التى بدونها لا يثبت للمرء إيمان ، ولا يصح منه إسلام .

إنها بنت الصديق التى قاتل دونها حتى استردها وهو يقول لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعونى عقال بعير لقاتلتهم عليه .

هذه الزكاة سر الحياة يدعى المسلم اليوم الى رحابها الطاهرة فى شهر رمضان المبارك فهل يجيب ؟؟ .

القرار السامى

هذا ما قرره الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة فى شأن الزكاة المالية نضعه بين يديك أيها المسلم لتكون على علم من خطر ما دعوناك اليه .

١ ــ لا أخوة لمانع الزكاة ــ أو تارك الصلاة قال تعالى : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين** ﴾ .

٢ ــ مانع الزكاة خبيث الروح قال تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ .

٣ ــ مانع الزكاة يقاتل عليها حتى تؤخذ منه قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم واموالهم ، الا بحق الاسلام » .

بيانات رسمية

١ ـ وجوب الزكاة فى الحب والثمار :

تجب الزكاة فى سائر الحبوب المقتاتة المدخرة كالبر والشعير والذرة والفول والحمص ، واللوبيا وغيرها من الحبوب كما تجب فى جميع أنواع الثمار كالزيتون والتمر والعنب وما اليها .

٢ ـ المقدار الواجب فى المعشرات :

اذا بلغ الحب أو التمر خمسة أوسق (١٢٠٠) حفنة وجبت فيه الزكاة ، وان لم يبلغها فلا زكاة واجبة فيه لقول رسول الله ﷺ: «ليس فيما دون خمسة اوسق من التمر صدقة ».

ثم ان كان الزرع أو الغرس مما يسقى بلا مؤونة ولا كلفة فالواجب فيه العشر أى بنسبة عشرة فى المائة ١٠٪ وإن كان مما يسقى بكلفة كالمكائن والسواقى فالواجب فيه نصف العشر أى خمسة فى المائة ٥٪ .

٣ ـ وقت وجوب الزكاة :

اذا احمر التمر أو اصفر وجبت فيه الزكاة ، واذا افرك الحب ، أو طاب الزيتون وجبت فيه الزكاة .

٤ ـ المقدار الذى تجب فيه الزكاة من الذهب والفضة ، وما ينوب عنها ويقوم مقامها من العملات ، اذا بلغ الذهب عشرين مثقالا ، والفضة مائتى درهم والعملة ما يساوى عشرين مثقالا ذهبا ، أو مائتى درهم فضة وجب فيه الزكاة وهى اثنان ونصف فى المائة ٢,٥٪ وما لم يبلغ هذا النصاب فلا زكاة واجبة فيه لقول الرسول ﷺ :«ليس فيما دون خمس أواق صدقة ».

٥ ـ كيفية زكاة عروض التجارة :

التجارة نوعان مدارة ومحتكرة ، فالمدارة ، وهى التى لا تستقر البضاعة معها بل تدخل وتخرج : كلما باع صاحبها بضاعة أخلفها بأخرى وهكذا طول السنة ، وذلك كتجارة البقالة ، والأقمشة ، وأدوات البناء ، والكهرباء ، والسيارات والمكائن المختلفة . فطريقة زكاتها أن يقوم الموجود منها ويضاف اليه ما يوجد من

نقد ويزكى الجميع اذا بلغ النصاب بنسبة ٢,٥٪ .

وأما المحتكرة وهى التى تستقر عند صاحبها السنة والسنوات إذ لا يبيعها الا اذا ربح فيها ، ولو مكثت سنوات عدة ، وذلك كتجارة الدور ، والحقول ، والأراضى والبساتين ، وما اليها فطريقة زكاتها أنها تزكى يوم بيعها لعام واحد ، ولو مكثت عدة سنوات .

[تنبيه] هذه المسألة اجتهادية اذ لانص فيها صريح من كتاب أو سنة ، وما اتبعناه فيها هو مذهب مالك رحمه الله تعالى حيث قال فى الموطأ : وأنه ان لم يبع ذلك العرض سنين لم يجب عليه فى شيء من ذلك العرض زكاة ، وان طال زمانه ، فاذا باعه فليس فيه الا زكاة واحدة .

٦ ـ كيفية زكاة الدين :

الدين إما يكون على موسر ، أو على معسر ، فان كان على موسر فعلى صاحبه أن يضمه الى ما عنده من نقد أو بضاعة تجارة ويزكيه رأس كل حول وان كان على معسر فان له ان لا يزكيه الا يوم يقبضه وعلى سنة واحدة فقط ولو مكث عند المدين عدة سنوات قال مالك رحمه الله تعالى : الامر الذى لا اختلاف فيه عندنا فى المدينة ان صاحبه لا يزكيه حتى يقبضه وان اقام عند الذى هو له سنين ذوات عدد ، ثم قبضه صاحبه لم تجب فيه الا زكاة واحدة .

٧ ـ زكاة حلى النساء :

الحلى هو ما تتحلى به المرأة المسلمة لزوجها من ذهب أو فضة فما كان منه اتخذ لغرض الزينة فقط فلا زكاة فيه لما روى مالك عن عائشة رضى الله عنها وكذا ابن عمر رضى الله عنهما كانا لا يزكيان الحلى المعد للزينة واللباس لخروجه عن معنى الكنز .

وما كان قد اشترى لغرض الادخار لوقت الحاجة فهو كنز تجب الزكاة فيه بلا خلاف . فيقوم رأس كل سنة فان بلغ نصابا زكى بنسبة ٢,٥٪ وان لم يبلغ نصابا وكان لصاحبته نقد او تجارة اضافته اليه وزكته معه .

٨ ــ زكاة الماشية :

أ ــ الابل وفى كل خمسة ابعرة شاة حتى تبلغ خمسة وعشرين فتجب فيها بنت مخاض أوفت سنة ودخلت فى الثانية الى ستة وثلاثين فتجب فيها بنت لبون وهى ما أوفت سنتين ودخلت فى الثالثة ، الى ستة واربعين فاذا بلغتها وجبت فيها حقة أوفت ثلاث سنوات ودخلت فى الرابعة حتى تبلغ احدى وستين فاذا بلغتها وجبت فيها جذعة أوفت أربع سنوات ودخلت فى الخامسة حتى تبلغ ستة وسبعين فتجب فيها بنتا لبون حتى تبلغ احدى وتسعين فتجب فيها حقتان حتى تبلغ مائة وعشرين فاذا زادت عليها وجب فى كل خمسين حقة ،وفى كل اربعين بنت لبون.

ب ــ زكاة البقر :

لا تجب فى البقر زكاة حتى تبلغ ثلاثين بقرة ، فاذا بلغتها ، وجب فيها عجل، أوفى سنتين ، حتى تبلغ اربعين فيجب فيها مسنة أوفت ثلاث سنوات ودخلت فى الرابعة ، حتى تبلغ ستين فيجب فيها تبيعان ، حتى تبلغ سبعين فما فوق فيجب فى كل ثلاثين تبيع وفى كل اربعين مسنة .

جـ ــ زكاة الغنم :

لا زكاة فى الغنم حتى تبلغ اربعين فيجب فيها شاة جذعة أوفت سنة ودخلت فى الثانية ان كانت ضأنا ، وان كانت معزا أوفت سنتين وهى الثنية حتى تبلغ مائة واحدى وعشرين فيجب فيها شاتان حتى تبلغ مائتين وواحدة فاكثر فيجب فيها ثلاث شياه ، ثم فى كل مائة شاة أربع باربع وخمس بخمس وهكذا .

[تنبيه] صغار الابل والبقر والغنم تحسب على صاحبها كالكبار ، ولاتؤخذ فى الزكاة . وحول الصغار حول الكبار كربح التجار حوله حول اصله ولا تجب زكاة فى الابل والبقر والغنم ، والذهب والفضة والتجارة الا اذا حال عليها الحول. اما حول الحبوب والثمار فهو وقت الحصاد والطيب ، واذا زكيت الحبوب والثمار ثم ادخرت فانها لاتجب فيها زكاة اخرى ولو مكثت اعواما .

لوائح هامة

الأولى فى الحلى :

لو ان المسلمة تقوم حـليها كل سنة وتزكيه شكرا لله تعـالى على نعمه وجوده عندها حيث لم تضـطرها الظروف ، ولم يحوجها الزمان الى بيـعه لكان اولى بها وخيرا لها لما فى المسألة من خلاف بين الصحابة والأئمة رحمهم الله اجمعين .

الثانية فى الفواكه والخضر :

لو ان الفلاح يـتصدق بشىء من كل ما يـجنيه من فاكهة او خـضرة ولو كان قليلا يضعه فى يد فقير او مسكين لـكان خيرا له واولى به لأن الله تعالى يقول : **﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ﴾** .

الثالثة فى أسهم الشركات :

على صاحب السهم او الاسهم فـى اية شركة ذات رأس مال ان يزكى أسهمه رأس كل سنة بسعر السهم الحاضر . وهـذا على سبيل الوجوب والحتم ، وخاصة اذا كانت الأسهم تباع وتشترى وتزيد قيمتـها كلما قويت الشركة وتوسعت ، وهذا بالقياس على زكاة النقد المتوفر ، أو على زكاة التجارة المدارة ، او زكاة الدين على موسر ايضا .

الرابعة دفع الزكاة للدولة :

اذا كانـت الحكومـة مسلـمة تقـيم الحدود والـصلاة وتؤتـى الزكاة ، وتـأمر بالمعروف وتنهى عن المـنكر وطلبت من المسلم أن يدفع اليهـا زكاة ماله وجب عليه ذلك وبرئت ذمته بدفعه اليها .

الخامسة فى مصارف الزكاة :

مصارف الزكاة ثمانية كما فى القرآن الكريم وهى :

١ ــ ٢ الفقراء والمساكين .

٣ ــ العاملين عليها : من جابٍ لها ، أو كاتب ، او حارس .

٤ ــ المؤلفة قلوبهم : من كافر يرجى اسلامه ، او مسلم يرجى قوة ايمانه .

٥ ـ فى الرقاب : من مكاتب ، او رقيق يعتق فى سبيل الله .

٦ ـ الغارمون : من مدين لم يرتكب الدين فى المعاصى والشهوات .

٧ ـ فى سبيل الله : من مجاهد ، ومرابط فى الثغور ، او حاج .

٨ ـ ابن السبيل : من سائح انقطع ولم يجد ما يواصل به سفره المباح .

السادسة فى كيفية توزيع الزكاة :

يقدم فى اعطاء الزكاة ما قدم اللـه تعالى فى الآية ، ثم الاحوج فالأحوج وان وجد صنف واحد أعطى له الزكاة كلهـا ، وان وجد اكثر من صنف وزعت عليهم بحسب الحاجة الشديدة القائمة بهم .

السابعة فى زكاة الفطر :

زكاة الفطر واجبة على كل فرد من المسـلمين صغيرا كان او كبيرا ذكرا كان او انثى لا تسقط الا على من لم يجد قوت يومه .

ومقدارها صـاع (اربع حفنات) من طعـام حب أو تمر من غالب قـوت البلد وتخرج يوم العـيد قبل الصلاة وان اخرجت قـبل العيد بيوم جازت وتـأخيرها عن يوم العيد مكروه .

ولا تعـطى الا للفـقراء والمسـاكين لقول الـرسول ﷺ :« اغنـوهم فـى هذا اليوم» .

الثامنة فى صدقة التطوع :

صدقة التطوع وهـى غير واجبة من أفضل انواع البر . فلا يـليق بالمؤمن ولا يحسن بالمسلم ان يمـر عليه يوم أو أكثر لا يتصدق فيه بصدقة قلـيلة أو كثيرة لقول الرسول ﷺ فى الصحيح : « كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ». الحديث . . (والسلامى المفصل والعضو) .

وقوله ﷺ : « ما من يوم يصبح فيه العباد الا ملكان ينزلان فيقول احدهما: اللهم اعط منفقا خلفاً ، ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا ».

هذا وخير ما يختتم به الكلام ، حمد الله تعالى والصلاة والسلام على محمد خير الأنام .

الرسالة الخامسة

لماذا نصوم نحن المسلمون وكيف نصوم ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام علـى رسول الله نبينا محمد وآله وصحبه .

وبعد :

بدون مقدمة نقول :

لماذا نصوم نحن المسلمون :

نصوم لأننا مسلمون آمنا باللـه رب العالمين ربا ، وبالاسلام دين الـله دينا ، وبمحمد رسـول الله نبيا ورسولا . فـلذا نحن المسلـمين نصوم . تنفيـذا لأمر الله ربنا ، وطاعة له عز وجل ، حيث كتب على عـباده المؤمنين الصيام وفرضه عليهم بقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتـب عليكم الصـيام كما كتب عـلى الذين من قبـلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات** ﴾ ونصوم لان رسولنا قد أخبرنـا أن ديننا مبناه على خمسة أمور مـنها ، الصيام ، فقد روى فى الصـحيح قوله ﷺ :« بنـى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتـاء الزكاة ، وحج الـبيت ، وصوم رمـضان » فلـذا نحن نعـتبر الصـوم ركن الاسلام ، وتاركه هادما له غير مسلم .

ونصوم أيضا : لأن مولانا عز وجل يحب الصوم والصائمين فنصوم تزلفا اليه سبحانه وتعالى وتحببا ، فقد أخبر عنه رسوله ﷺ فقال : قال الله عز وجل :«كل عمل ابن آدم له الا الصوم فـانه لى وأنا اجزى به » . وقال ﷺ :« والذى نفس محمد بيـده لخلوف فم الصائم أطيب عنـد الله من ريح المسك ، للصـائم فرحتان يفرحهما ، اذا أفطر فرح بفطره ، واذا لقى ربه فرح بصومه » البخارى .

ونصوم أيضا : لما نعلم من كـرامة الصائمين وجزائهم يوم الـقيامة فقد روى البخارى عن النبى ﷺ : «أن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم فاذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد ».

وقال ﷺ : « ما من عبد يصوم يوما فى سبيـل الله تعالى الا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا » .

وقال ﷺ : « ثلاثة لا ترد دعوتهم ، الصائم حين يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها ابواب السماء »، ويقول الرب: «وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » احمد والترمذى وحسنه .

ونصوم أيضا : لأن الصوم يكسب أجسامنا التى نعبد بها ربنا ونخدمه طول الحياة يكسبها قوة وصحة فقد قال رسول الله ﷺ : « اغزوا تغنموا ، وصوموا تصحوا [١] وسافروا تستغنوا » وقال العدد الكثير من الأطباء قديما وحديثا : ان الصوم يفيد جسم الصائم فائدة صحية لم يكن ليحصل عليها الا بالصيام ، وذلك أن الصوم يطهر الأمعاء ويصلح المعدة ، وينظف البدن من الفضلات والرواسب ، كما يخفف من وطأة السمن ، وثقل البطن بالشحم .

ونصوم أيضا : لأن الصوم يزكى أرواحنا ، ويهذب نفوسنا ، ويقوم أخلاقنا بما يربى فى الصائم من ملكة التقوى التى جعلها الله تعالى علة للصوم فى قوله: ﴿**كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ وبالتقوى تشرق النفس وتطهر فتصبح ميالة الى الطاعة والخير ، منجذبة نحو الجميل والمعروف تكره الفسوق والعصيان ، وتبغض الفساد والباطل والشر .

لماذا نعظم رمضان ؟

إننا نعظم رمضان ونجله ونكبر من شأنه ، لأن الله مولانا عظمه بإنزال كتابه فيه ، قال تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾ ، وزاده تعظيما حيث خصه بليلة القدر ، التى هى خير من الف شهر ، وقال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من الف شهر** ﴾ .

والقرآن العظيم ، وليلة القدر من خير ما أوتى المسلمون ، وأنعم به الله عليهم فى هذه الحياة .

ونعظم رمضان أيضا : لتعظيم رسول الله ﷺ له ، فقد روى ابن خزيمة من طريق البيهقى وصححه عن سلمان رضى الله عنه قال : خطب رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان .

قال : « يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من

(١) الطبرانى ورواته ثقات .

الف شهر » شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعا . من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة . وشهر المواساة وشهر يزاد فى رزق المؤمن فيه ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء .

وقال ﷺ :« اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » .

وقال فى حقه ﷺ :« عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الاسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان » .

وقال أيضا ﷺ :« من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله ، وان صامه » .

وبم نعظم رمضان ؟

نحن لا نعظم رمضان بإقامة المهرجانات ، وايقاد الشموع ، ولا بالتفنن فى ألوان الطعام ، وأصناف الشراب ، ولا بملء لياليه باللهو واللعب ولا بإحياء لياليه بالغناء والطرب . ولكن نعظم رمضان ببذل المعروف ، واسداء الجميل ، بالإحسان الى الفقراء والمساكين بإطعام جائعهم ، وكسوة عاريهم . واسوتنا فى ذلك نبينا ﷺ، فقد كان أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل .

وقد كان يقول ﷺ :« من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شىء » . ويقول ﷺ :« من فطر صائما على طعام أو شراب من حلال صلت عليه الملائكة فى ساعات شهر رمضان ، وصلى عليه جبريل ليلة القدر » .

ونعظم رمضان ايضا : بصيامه وقيامه ، وتلاوة كتاب الله وسماع آيه . اذ الرسول ﷺ يقول : « من قام رمضان ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته

أمه » النسائى .

ويقول ﷺ : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » ونعظمه بالاعتكاف فى بيوت الله انقطاعا الى الله ، والتماسا لليلة القدر التى هى خير من الف شهر ايمانا بقول الرسول ﷺ :« من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر الله ما تقدم من ذنبه » . وقوله ﷺ : « التمسوها فى العشر الأواخر » . وقوله ﷺ : « من اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد ما بين الخافقين » الحاكم وصححه .

ونعظم رمضان : ولكن لا بمجالس الغيبة والنميمة ، ولا بندوات القمار او سهرات الفجار ، وانما نعظمه بغض البصر عن النظر الى أجنبية مسلمة كانت او كتابية . وبكف السمع عن الاصغاء الى الأغانى ، او سماع مالا يحل سماعه من قول فحش أو بذاء ، او كلام غيبة ، أو حديث نميمة .

ونعظمه : بكف اليد أن تتناول محرما بأخذ مال امرئ أو ضربه ، أو سفك دمه ، أو بإيصال أى أذى اليه .

ونعظمه : بمنع الرجل أن تمشى الى باطل ، أو تسعى الى فساد أو شر .

ونعظمه : بحفظ اللسان أن يقول باطلا أو زورا ، أو كذبا أو سبا لمسلم أو شتما .

كل ذلك عملا بقول الرسول ﷺ :« فاذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم إنى صائم » البخارى . وقوله ﷺ: « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه » البخارى . وقوله ﷺ :« الصيام جنة مالم يخرقها ، فقيل : بم يخرقها؟ قال: بكذب أو غيبة » النسائى حسن .

وكيف نصوم ؟

أما كيف نصوم فاننا نصوم كما كان رسول الله ﷺ يصوم ؛ لأن كل عبادة لم تؤد على الكيفية التى بينها رسول الله ﷺ ، وأداها عليها فهى عبادة باطلة لا ثواب فيها ، أو ناقصة ثوابها قليل .

فاذا كان أول ليلة من رمضان فاننا ننوى صيام شهر رمضان طاعة لله تعالى أو

تقربا اليه عز وجل لقول الرسول ﷺ :« انما الأعمال بالنيات » فالنية ركن الصيام بقول الرسول ﷺ :« من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له » الترمذى .

واذا كان آخر الليل تسحرنا بما تيسر من طعام أو شراب ناوين الصيام لقول نبينا ﷺ :« تسحروا ، فإن فى السحور بركة » .

واذا طلع الفجر أمسكنا عن المفطرات من طعام وشراب ووقاع وكل مفطر طوال النهار الى غروب الشمس .

فاذا غربت الشمس بادرنا بالإفطار تعجيلا له لقول الرسول ﷺ :« لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور » احمد .

كما نحاول أن يكون فطورنا على تمر أو ماء ابتداء ، لقول أنس :كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلى ، فان لم تكن فعلى تمرات ، فان لم تكن حسا حسوات من ماء (الطبرانى) . ثم نصلى المغرب ونتناول طعام العشاء ، ثم نهرع الى المساجد للصلاة ، وتلاوة كتاب الله وسماع آياته قياما لشهر رمضان المعظم ، ورغبة فى مغفرة ذنوبنا التى قد نكون قارفناها فى غير شهر رمضان اذ واعد الرسول ﷺ بذلك فى قوله :« من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وهكذا نصوم بالنهار عن كل مفطر من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، ونفطر بالليل على كل حلال ومباح ايمانا بقول ربنا واسترشادا به : ﴿**كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل**﴾ .

ويستمر تعظيمنا لشهر رمضان وصيامنا له هكذا حتى يهل هلال شوال ، فاذا رأيناه اصبحنا مفطرين معيدين نذكر الله تعالى ونشكره ، نذكره بالتكبير وصلاة العيد ، ونشكره بزكاة الفطر ، وقبل الخروج الى صلاة العيد التى هى سنة واجبة نكون قد أدينا زكاة الفطر الى الفقراء والمساكين ، وهى صاع : اربع حفنات من طعام ، لقول ابن عمر :(فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر ، أو صاعا من شعير ، على العبد والحر ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير من المسلمين) البخارى .

ثم نخرج الى صلاة العيد متطهرين نذكر الله تعالى قائلين : الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله . الله اكبر الله اكبر ، ولله الحمد .

مبطلات الصوم :

نصوم هكذا

ونحن نعلم أن الصوم يفسده أمور فنتركها وهى :

١ ــ وصول أى مائع الى الجوف بواسطة الأنف ، أو العين ، أو الأذن ، أو الفرج .

٢ ــ الأكل أو الشرب أو الجماع .

٣ ــ خروج المذى أو المنى بسبب قبلة المرأة ، أو مباشرتها .

٤ ــ قول كلمة الكفر والعياذ بالله تعالى ــ من سب الله أو رسوله أو دينه أو الاستخفاف بحق الله تعالى ، أو حق رسوله .

٥ ــ رفض نية الصيام والعزم على الإفطار ولو لم يحصل افطار .

مكروهات الصوم :

ويكره للصائم أمور اخرى

لا تفسد الصوم ، ولكن تعرضه للإفساد فنتجنبها وهى :

١ ــ المبالغة فى المضمضة أو الاستنشاق عند الوضوء لقول الرسول : « وبالغ فى الاستنشاق الا أن تكون صائما » .

٢ ــ قبلة المرأة ، أو ملامستها باليد ، أو مباشرتها بالجسد .

٣ ــ ذوق القدر أو الطعام ، أو مضغ العلك .

٤ ــ الاكتحال بالكحل فى أول النهار .

٥ ــ الحجامة أو الفصد .

٦ ــ استعمال الابرة للتداوى .

ما يباح للصائم :

وهكذا نترك كل مبطل للصوم

نتجنب كل ما يكره للصائم ، ونحـن نعلم أن هناك أمورا مباحة لنا ، وامورا معفو عنا فيها فنأتى منها ما دعت الحاجة اليه بلا تحرج ، وهى المباحات التالية :

١ ـ السواك من أول النهار الى الزوال .

٢ ـ السفر لحاجة مباحة ولو أدى الى التقصير .

٣ ـ التداوى باى دواء حلال لا يصل الى الجوف منه شىء .

٤ ـ التطيب والتبخر بالعود ونحوه .

ما يعفى عنه :

والمعفوات التالية

١ ـ بلع الريق ولو كثر .

٢ ـ غلبة القىء ان لم يرجع منه الى الجوف شىء .

٣ ـ غبار الطرق والمصانع .

٤ ـ الاحتلام .

٥ ـ ابتلاع الذباب غلبة وبدون اختيار .

٦ ـ الاكل أو الشرب نسيانا لقول الرسول ﷺ :« من افطر فى رمضان ناسيا فلا قضاء عليه ولا كفارة » الدارقطنى .

كفارة المخالفة

واذا فرضنا أن احدنا استزله الشيطان فأكل أو شرب أو جامع فى نهار رمضان عامـدا منتـهكا لحـرمة رمضـان فإلى ماذا نـرشده لاصلاح خـطأه والتـكفيـر عن خطيئته؟ .

نرشده الى قضاء هذا اليوم الذى أفـسده بأكل او شرب او جماع . والى فعل واحدة من ثلاث : عتـق رقبة مؤمنة ، وهى غيـر متهيئة اليوم ، او صـيام شهرين

متتابعين ، او اطعام ستين مسكينا ، لقول الرسول ﷺ للذى قال أفطرت يوما فى رمضان متعمدا :

« اعتق رقبة ، او صم شهرين متتابعين ، او أطعم ستين مسكينا » متفق عليه.

فإذا فعل المخالف واحدة من هذه فقد كفر عن خطيئته ولم يبق عليه من إثم لقوله تعالى: ﴿ **ان الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ ، وقول الرسول ﷺ « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » . الترمذى .

وأخيرا فإلى جميع اخوة الاسلام تمنيات الرضا والقبول والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

الرِّسَالة السَادِسَة

الإعلام بأَنّ العزف والغِناء حرام

حكم الله والرسول ﷺ

وسلف الأمة ، على الغناء والمعازف وسماعهما

- ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم﴾ (القرآن الكريم) : سورة لقمان ، الآية : ٦ .
- «استماع الملاهى معصية ، والجلوس عليها فسق» (نبينا ﷺ)
- «من قعد الى قينة يسمع صب فى أذنه الآنك» (نبينا ﷺ)
- الغناء والعزف مزمار الشيطان . . . (أبو بكر الصديق)
- الغناء ينبت النفاق فى القلب . . . . (عبد الله بن مسعود)
- الغناء باطل والباطل فى النار . . . . (القاسم بن محمد)
- الغناء بدؤه من الشيطان ، وعاقبته سخط الرحمن (عمر بن عبد العزيز)
- الغناء إنما يفعله الفساق عندنا . . . . (مالك بن أنس)
- الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال . . . . (الشافعى)
- الغناء ينبت النفاق فى القلب فلا يعجبنى . (أحمد بن حنبل)
- سماع الأغانى فسق والتلذذ بها كفر . (أصحاب أبى حنيفة)
- الغناء ممنوع بالكتاب والسنة . . . .(القرطبى)
- الغناء مع آلة ، الإجماع على تحريمه . . . . (ابن الصلاح)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على إمام المرسلين ، وسيد جميع العالمين ، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وبعد : فإلى الله تعالى نشكو ما لاقاه اسلامنا ويلاقيه من المنحرفين منا ، الذين أوقفوا حياتهم على تقويض أركان الإسلام ، وهدم أصوله وقواعده ، فشككوا فى العقائد ، وعطلوا الأحكام ، ولغوا الفرائض ، وزهدوا فى السنن والآداب ، وأباحوا المحظور ، وحللوا الحرام ، واعترضوا على الله فى التشريع، وعلى الرسول ﷺ فى البيان .

وبالجملة ، فقد دأبوا على مسخ الأمة الإسلامية شيئاً فشيئاً ، حتى أنسوها امامتها للبشر ، وقيادتها للانسانية . وصيروها بعد ذلك الاستقلال المطلق ، وتلك الحرية الكاملة ، وفى كل شىء : فى العقيدة والتفكير ، فى الحكم والتشريع، فى الأخلاق والعادات ، صيروها ذنباً تابعاً للغرب . لا تعرف الا التبعية والتقليد فى كل شىء . وها هى الأرقام التالية توضح ما أجملناه .

١ ــ فصل الغرب دينه عن الدولة ، لأنه دين فاسد باطل لا يحقق لأتباعه سعادة ،ولا يصلح لقيادة . ولم لا يكون كذلك وهو مجموعة من الخرافات والأباطيل والترهات تحكم بها رجال الكنيسة فى رقاب الحاكمين والمحكومين ، واسترقوا بها الفرد والجماعة طيلة قرون عدة من السنين ! فكان لزاماً للنهوض والتقدم من كسر هذا القيد ، والخلاص من ربقة الأوهام ،وأسر الخرافات . ولما فعل الغرب ذلك كان فى الواقع كمن آمن بالحق وكفر بالباطل ، فلهذا استطاع أن ينهض فيبنى ويشيد ، ويخترع ويجيد ..

ورأى دعاة التقليد منا ثورة الغرب على دينه الباطل ، فثاروا هم ينتقصون الدين الإسلامى ويعيبونه ، وينسبون إليه كل ما أصاب المسلمين من تأخر وانحطاط ، وطالبوا بفصل الدين عن كل مظهر من مظاهر الحياة ، وقصروه على مثل الصوم والصلاة .

وكانوا فى ذلك كمن آمن بالباطل ، وكفر بالحق على النقيض من أساتذتهم الغربيين ، فضلوا وحاروا ، وهاهم فى حيرتهم وضلالهم يعمهون ، ولن يخرجوا من هذه الحيرة وهذا الضلال حتى يرجعوا الى دينهم ، لأنه الدين الحق الذى نسخ الله به سائر الشرائع والأديان ، واختاره للبشرية ليكون مصدر كل خير وسعادة لها فى هذه الحياة ، مع ما يؤهلها له من كرامة الآخرة وسعادتها .

٢ ــ أباح وأعلن الغرب : الزنا ، والربا ، والقمار ، وكل فحش وخنا ، ولا يلام على ذلك ما دام لا دين له يمنع ، ولا ضمير يردع ، وما دام هذا شأن الحياة المادية البحتة . ودعا المنحرفون الى تقليد الغرب فيما أباحه وأعلنه من أمهات الخبائث ، وأصول الرذائل والمفاسد ؛ واستجابت الأمة المخدوعة فأباحت عملياً ما حرم دينها من زنا وربا وقمار وفحش وخنا اتباعاً للغرب وتقليداً له .

٣ ــ أبطل الغربيون عادة الحجاب على نسائهم وفتحوا أبواب الخلاعة والدعارة لهن ، فثار المنحرفون منا على محاربة الحجاب المشروع بالسنّة والكتاب فأبطلوه ، وسفرت المسلمة كالكافرة ، وتبع ذلك المجون والخلاعة والدعارة ، وما كان هذا ليكون لولا تقليد الغربيين .

٤ ــ ترجلت المرأة الغربية فقصرت ثيابها ، وقصت شعورها ، وشاركت فى أعمال الرجال ، فكانت توجد فى المعمل والدكان ، وفى المكتب (والبرلمان) . ودعا المنحرفون الى ترجل المسلمات ، فقصرت المسلمة كالكافرة ثيابها وقصت شعورها وبرزت لميادين الحياة العامة ، فكانت فى السوق ، وفى الدكان ، وفى الدائرة الحكومية ، وحتى البرلمان . ولولا التقليد الأعمى لما كان ذلك ليكون لأن نبى الإسلام يقول : « لعن الله الرجلة من النساء » .

٥ ــ وتخنث رجال الغرب فحلقوا وجوههم ودهنوها ، وأطالوا الثياب وأسبغوها . ودعا المنحرفون منا الى ذلك وسموه حضارة وتمدناً ، وقلد تلامذة الغرب أساتذتهم تحت وطأة تأثير المنحرفين من اخوانهم، فحلقوا وجوههم

ودهنوها، ووفروا ثيابهم الى ما تحت الكعبين وأسبغوها ، وكانوا بذلك مخنثين ، وبالنساء متشبهين ، ونبيهم يلعن المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال .

٦ ــ فتح الغرب معارض للجمال فعرضوا نساءهم وبناتهم ، وقلد أتباع الغرب أئمتهم فشاركوا فى معارض الأزياء والجمال ببناتهم ونسائهم .

٧ ــ عنى الغرب باللهو واللعب ففتح لذلك معاهد لتعليم الموسيقى والزمر والرقص ، وتأبى التبعية للمنحرفين إلا أن يقلدوا أساتذتهم وأئمتهم ، ويفتحوا معاهد لتخريج الفنانين والفنانات فى فن الموسيقى والإيقاع والرقص ، ولو أغضبوا الله ورسوله والمؤمنين .

٨ ــ أشاع الغرب الزمر والغناء فى البيوت ، والمقاهى والحانات ؛ لأنه لا قرآن له يخشى الانشغال عنه ولا صلاة . وتأبى التبعية للمنحرفين إلا تقليد أئمتهم الغربيين فأشاعوا الغناء والزمر فى البيت والدكان ، والنهج والسوق ، وفى كل مكان ، وكأنهم يحلفون على التفوق فى كل رذيلة قلدوا فيها أئمتهم وأساتذتهم.

٩ ــ تفكه الغرب بدينه ، وتمدن فيه ـــ على حد تعبيرهم ـ فكان الرجل الغربى لا يحضر الصلاة إلا يوم الأحد وليلة العيد ، وقلد التلامذة المسلمون المنحرفون أساتذتهم وأئمتهم الغربيين فكانوا لا يأتون المسجد إلا يوم الجمعة ، ولا يحضرون الصلاة إلا يوم العيد .

١٠ ــ أشاع الغرب الصور والتماثيل ، وتنافس فى اقتنائها ، وتبارى فى إيجادها وتحسينها ، فأفشاها المسلمون المقلدون بالرغم من حظر دينهم للصور، وكراهية نبيهم لها ؛ أفشوها وأشاعوا حتى فى حرميهم وقرب قبر نبيهم ، وكأنهم يتحدون بذلك شعوره وهو ميت ويستفزونه ــ فداه أبى وأمى ــ ولو كان بينهم يتحرك .

١١ ــ سن الغرب المكوس والجمارك ؛ وفرض التأشيرة . ولم يتردد المسلمون المقلدون فى ذلك فسنوا المكوس فى الأسواق ــ وهى حرام ــ وفرضوا الجمارك على التجار المسلمين ؛ وألزموا برسوم التأشيرة السياح من المؤمنين الصالحين ، ولا داعى لكل هذا سوى تقليد الغربيين .

١٢ ــ لم ير الغرب بأساً فى اختلاط المرأة الأجنبية بالرجل الأجنبى ومحادثته، والاتصال به فى أى وقت من الأوقات ، وعدوا هذا خلقاً سامياً ، وتمدناً راقياً. فأصبح المسلمون المقلدون لايرون فى اختلاط المرأة بالأجنبى بأساً ولا حرجا ، فاختيرت أجمل الفتيات ، لتمريض الرجال فى المستشفيات ، وغصت بالنساء المسارح والسينمات ، وفاضت السبل ، وامتلأت الطرق والمحلات العامة والخاصة بالحسناوات ، وحسب المنحرفون منا هذا رقياً وتقدماً فى الحياة ؛ وتجاهلوا ما صدر إليهم من أوامر ربهم : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم... وقل للمؤمنات ..** ﴾ النور : ٣٠ ــ ٣١ .

١٣ ــ وحتى فى هيئة الأكل وشكله ، وتناول الطعام ومضغه ، فقد حدثنا إخوان لنا صادقون : أن بعض المنحرفين ممن تحضروا وفى بحور الفجور غرقوا أصبحوا يأكلون وهم وقوف حيث يوضع الأكل على مائدة رفيعة طويلة ، وعند تناولهم الطعام بالملاعق لا يثبتون أمام المائدة ، بل يطوفون حولها وكحمار الرحى يدورون وهم ما بين مصفر وضاحك مقهقه . وسموا ــ لسفههم ــ هذا النوع من التحلل أكلة (أمريكية) ونسوا هيئة الأكل المحمدية ؛ لأنهم رغبوا عن سنته ، وقلدوا أعداء ملته !

وهكذا فلم يبق شىء يحرمه الإسلام ــ إلا قليلاً ــ أو يتنافى مع طبيعة المؤمن والإيمان إلا وقلد المنحرفون منا الغربيين الكافرين فيه ، وتفوقوا عليهم فى كثير من القبائح والرذائل ؛ لأنهم مسرفون ، والمسرف لا يقف عند حد .

كل هذا التغير والانحراف والشر والفساد قد حل بهذه الأمة المسلمة حتى فقدت ذاتيتها واستقلالها ، والشخصية الإسلامية التى كانت لها ، وحتى لم يبق للاسلام فى دنيا الوجود من الجماعات أو الحكومات من يمثله تمثيلاً صادقاً ، ويدعو إليه دعوة حقيقية كافية . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وإن نسينا فإننا لا ننسى أن كل هذا البلاء الذى أصابنا وأصاب إسلامنا كان سببه ــ ولا شك ــ فريق من أدعياء الإسلام ، وطوائف من المنحرفين من أبنائه العاقين . ومع الأسف فإنهم ما زالوا إلى اليوم يطاردون الإسلام من كل بلد وبيت ، ومن كل مكان ومظهر من مظاهر الحياة حتى أقبروه فى مقابر الصدور المظلمة ، فكنت إذا طلبت من أحدهم أن يقيم فريضة ، أو يترك جريمة كبيرة أو

صغيـرة أشار لك إلى صـدره يعنى بذلـك أن الإسلام فى الصـدر ، وإن ألححت عليه احتج عليك لجهله قائلاً : الإيمان فى القلب !

ومما ينبغى التـنبيه له ، أن سلاح هؤلاء المنحرفين الهدامـين للاسلام الطاعنين له، كان وما زال هـو الخداع والتضليل والتـجنى والمغالطة . ومن ذلـك قولهم : الناس طاروا فـى السماء ،وغاصوا فى البـحر ، وغزوا الفضاء ، وأنطـقوا الجماد ونحـن ما زلنـا جامديـن على هذا حـلال وهذا حرام ! ألا قـوّم الله اعوجاجـهم وأصلح فاسدهم حتى يعلموا أن الكفـر والفسق والشر والفساد لم تكن هذه هى التى دفعت الغرب والكافرين من غير الغربيين ، لم تكن هى التى رفعتهم إلى هذا المستوى المادى الذى قدسوهم له ، وأكبروهم ـ أكثر من الله ـ فى صدورهم من أجله ، وإنما رفـع الغرب والكافرين مـن روس ويابان ، رفعهم الـعزم الصادق ، والجد الحازم ، والعـمل المتواصل ، مع اطراح للـكسل والتواكل ، ونبـذ صحيح للتطاحن فيما بينهم !

ومن أسلحة المنحرفين غير ما ذكر قولهم : الإسلام دين مرن يساير العصور ، ويماشى الحياة . وقولهم : الدين عقيدة فـى النفوس ، وقولهم : الضرورات تبيح المحظورات .

وهل كـون الإسلام ـ يا عـباد الله ـ ديناً مرناً يساير العـصور ويواكب الحياة ـ لـولا الخداع والتضـليل ـ يسمح بـتعطـيل أحكـامه ، وهدم أركانـه ، وترك فرائضه، والتنكر لشعائره . والزهد فى سننه وآدابه ؟ ؟ وهل كون الإسلام عقيدة فى النفوس أكثر مما هو مظهر من مظاهر الحس ، أنه يجيز لأتباعه أن يتخلصوا من مظاهر الإيمان والإسـلام القولية والفعليـة والتى دعواهما بدونهـا باطلة ، وأنه لا يسمح لهم أن يظهروا فى أى مظهر يخالف الغرب الكافر والمشركين الكافرين ؟؟ .

وهل كـون الإسلام يبـيح عنـد الضرورة المحـظور ، معـناه أنه لـم يبق فـيه محظور، لأن الحيـاة ـ أو على الأصح ـ الشهوات قد أوجـدت الضرورات تلك الضرورات التى لا تبرح ولا تزول ! ؟

وأخيراً ، فهل تزول الغشاوة من على أبصار هؤلاء المنحرفين والمنخدعين معاً، ويصدقونا فيما قد نقول ! ؟

إننا نحـن المسلمين لنستـطيع بوحى من دينـنا ، وتأييد من ربنا أن نـوجد لنا صناعة ، أو حالة نـستغنى بها عن كثيـر من الصناعات الغربية ، وبـدون أن نتنكر لديننا ، أو نزدرى شخصيتنا ، أو نعظم الغرب ونقدسه ، أو نذل له أو نخضع بين يديه !

إننا ــ أيها المغرورون ــ لنستطيع بوحى من ديننا ، وبفـضل من ربنا أن نوفر اقتصادياتنا ، ونسهل معاملاتنا ، ونـأخذ بأيدى تجارنا والعاملين منا وبدون ربا ولا بنوك قائمة على أساس الربا !

إننا نحن المـسلمين ياقوم ــ عفـا الله عنكم ــ لنستـطيع أن نستغنى عـن نسائنا وبناتـنا ونقنيهـن تماماً ، فلا تضـطر المسلمـة الكبيرة أو الصـغيرة إلى التـجول فى الشـوارع ، ولا إلى العمـل فى الدكان ، أو الـدائرة الحكـومية أو (البـرلمان) ، وبدون أن نـشعر بأى تـعب أو نصـب ، أو نجد أدنى ضـيق أو حرج وفى كـامل الحياة!

إننا لنستطيع بوحى من ديننا وهدايـة من ربنا عز وجل أن نربى بناتنا ونهذبهن ونطهـرهن كما يـنبغى أن تـكون التربـية ، ويكون الـتهذيب والـتطهيـر ، وبدون اضطرارهن إلى سفـور أو خلاعة أو فجور ، ومن غير تبرج جـاهلى مقيت ،ولا تشبه بالرجال بغيض لعين .

إننا ــ ويـعلم الله ــ لنستـطيع بوحى من ديـننا ، وتوفيق من ربنـا أن نحفظ مصالحنا ، ونحمـى كل حمى لنا ، ونخصم خصومنـا ، ونعرف وجود كل خائن بيننا ، وبدون تمثيل أو تصوير منعهما ديننا ، وكرههما نبينا ﷺ .

إننا لنـستطيع بوحى مـن ديننا ونصر وتأيـيد من ربنا أن نعز الـبلاد ، ونصون كرامة الأفـراد ، ونعلى من شـأن الفرد ، ونرفع مـن قيمة الجمـاعة ، وبدون أن نقلد الغرب فى زى أو هندام ، ولا فى تحريم حلال ، أو إباحة حرام .

وإننـا ــ ولا شك ــ لـنستطـيع بوحى مـن ديننا ونـور من ربنا ، أن نـهذب أنفسـنا، ونطهـر أرواحنا ، ونثـقف أفكارنـا ، ونرقى شعـورنا ، ونرفع آدابـنا ، وبدون احـتياج إلى الـغرب ، ولا إلى اسـاتذة الغـرب ، ولا إلى كتب ومـجلات الغرب ، ومهما كانت الحال ، وكيفما وجدت الظروف .

إننا ـــ وبكل تأكيد ـــ ياقوم لنستطيع بوحى من ديننا ، وبقوة من ربنا أن نستقل عن الغرب ، ونقطع صلاتنا معه ، وننفض أيدينا منه ، ولا نخاف سقوطاً، ولا نخشى هبوطاً وإلى الأبد وطول الحياة !

إننا ـ ولا ريب ـ لنستطيع بأمر من ربنا ، ووحى من ديننا أن ننصب أنفسنا كما أراد الله لنا أئمة للبشر ، وهداة للعالمين ، فيقتدى الناس بنا ، ويستنيرون بهدينا ، وفى كل شؤون الحياة ، وحتى تسعد البشرية ، وحتى تتحقق الكرامة الإنسانية .

كل هذا بحمد الله تعالى نستطيع تحقيقه نحن المسلمين ونستطيع غيره لأننا نتأيد بالله ، ونتقوى به ولكن للأسف الشديد أبى لنا المنحرفون منا والمقلدون والمخدوعون إلا التبعية والتقليد والسير وراء الغرب وفى ركاب الغرب ، ونعنى بالغرب فجوره وفسوقه وتحلله ؛ وتخنثه لا جده وحزمه ولا وفاءه لنفسه وصدق عزمه ، فإن ذلك لم يقع لنا تقليد فيه .

وله ؟ لأن ديننا يفرضه ، وإيماننا يحتمه ، ومكانتنا تدعو إليه ، والمنحرفون لا يتقبلون ما جاء عن طريق الإسلام الذى انحرفوا عنه ولو كانت الحضارة الغربية التى خنعوا للغرب وخضعوا له من أجلها ، ـ والعياذ بالله تعالى ـــ من هذا الانحراف القبيح .

وإنما ـ ومع الأسف ـ كان نصيبنا من تقليد الغرب ما سبق أن بيناه وفصلناه، وما من شك أن الذى جنى على أمة الإسلام هم أبناؤها المنحرفون عنها حيث نصبوا أنفسهم فى بلادها دعاة للغرب ولرذائله ، وشروره ومفاسده ، وبدون أجر ولا شعور أحياناً ، وبأجر وشعور وقصد أحياناً أخرى ، ومن بين هؤلاء الدعاة الذين لم يشعروا بأنهم يدعون إلى مبادئ الغرب ، ويخدمون مصالحه وأفكاره ومبادئه وفى أقدس بقعة للإسلام وعند المسلمين الصالحين « مقنع عكاظ » و «متظاهر الرائد » (١) واللذان حدوا بنا لكتابة هذه السطور فى بيان الطريق لهما حيث وقف المقنع يشكك ويغالط ويضلل عن قصد أو عن غير قصد ، وقف على

---

(١) عكاظ والرائد : علمان على جريدتين تصدران بمكة المكرمة أو جدة . والمقنع والمتظاهر لقبان لشخصيتين مجهولتين لا تعرف لهما فى الخارج اسماً ولا شخصاً ولما كانا يطعنان الإسلام بالدعوة إلى التحلل والفساد بواسطة تحليل الزمر والغناء تسترا بهذين اللقبين ليخفى أمرهما حتى لا يلعنا ويطردا على أيدى الصالحين منا . .

جريدة « عكاظ » الفيحاء يولول ويقول : أفتونا أيها العلماء فى الغناء أحلال هو أم حرام؟ وكأنه يريد حقاً أن يعرف حكم الإسلام فى ذلك وما هو فى الواقع إلا مشككاً مضللاً وإن لم ير هذا أو يعتقده ! .

وفى الحقيقة : إن تساؤل أخينا هذا أصبح غير ذى موضوع ولا واقعية، لأن الغناء سواء كان حلالاً أو حراماً قد أصبح فاشياً منتشراً بصورة فظيعة بحيث لم يخل منه بيت إلا ماقل ، ولا شارع ولا سوق ولا دكان إلا ما قل ، وحتى عرفات وفى يوم التجليات وحتى مهبط الوحى مكة المكرمة ؛ والمدينة المنورة ويا للأسف! .

وأخونا المقنع يعرف هذا جيد المعرفة ،وإنما هو يهدف ــ ولو عن غير قصد ــ ومن وراء تشككاته وتضليلاته إلى أن يجهز كغيره على البقية الباقية من الصالحين الذين ما زالوا يتحرجون من السماع إلى فواحش الأغانى التى سلبت أفراد الأمة الإسلامية الحياء ، وكستهم ثوب الوقاحة والبذاء كما يريد هو وكتاب أمثاله قد انحرفوا ، أن يجهزوا كذلك على ما بقى للإسلام ، وصوت الإسلام من إذاعة ظاهرة تمثله عملياً ، وتتكلم باسمه حقيقياً ،وهى إذاعة البلد الحرام مكة المكرمة ، زادها الله تكريماً وتشريفاً ، وزاد من شرفها وكرمها ممن قدسها واحترمها تشريفاً وتكريماً ،ومهابة وعزاً ،أرادوا القضاء عليها والانتهاء منها عندما تصبح كإذاعة إسرائيل وغير إسرائيل ، مما تذيع الخلاعة ، وتدعو إلى المجون .

والذى نرى لزاماً التنبيه عليه وخاصة ونحن نكتب للحق وبيانه فقط ، وأن طريق الدعاة المنحرفين وأسلوبهم فى الدعوة إلى التقليد للغرب والتبعية له هو المغالطة والتضليل بإلقاء الشبه ، وخلق المشكلات واصطناعها ، وهذا يظهر من أسلوب أخينا المقنع ــ وإن كان كما يظن أنه ليس من دعاة الغرب ولا من أذنابه وعملائه ، لأننا ننزه أبناء هذه الأمة المجيدة ، وشعب هذه الحكومة الرشيدة ، وسكان هذا الحرم الأقدس أن يوجد فيهم أو يكون بينهم من يرضى بالتبعية أو التسخير للغير بيد أنه للأسف قد استخدم أخونا المقنع ــ أصلحه الله ــ عن غير قصد أسلوب دعاة التقليد والتضليل المنحرفين ، فهو قد قدم لتشككاته أو طعناته مقدمة أظهر فيها نفسه أنه من دعاة الإسلام والموقفين حياتهم على خدمته ، وحمايته إلى أن خلص من ذلك إلى التشكيك والمغالطة فذكر ما سماه بالحوادث والأحاديث واتخذها أدلة على صحة ما يهدف إليه من بذر بذور الشك والخلاف

بين المؤمنين فى فاحشة الغناء النكراء ، وهل هى حلال أو حرام ؟ هذه الفاحشة القبيحة التى حرمها الله تعالى بقوله : ﴿ **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾ الأنعام : ١٥١ ، والتى انتشرت بين المسلمين بصورة مهددة لهم ببلاء عظيم قد ينزل بهم ، والعياذ بالله تعالى .

إن البيوت التى كان يتلى فيها كتاب الله تعالى ، وترفع فيها أصوات التهليل والتكبير ، والتسبيح والتقديس ، قد أصبحت مراقص لا يسمع فيها طوال الليل والنهار إلا الزمر والتصفيق ، وأصوات الشياطين من الزور والباطل . ويالغرابة الإسلام فى داره !!

إن الأسر والعائلات الإسلامية التى كان إذا جهر بين أفرادها بلفظة سوء ، أو بعبارة بذيئة تمعرت وجوه الجالسين منهم حياء وخجلا ، وتفرقوا يبكون من الحياء والاحتشام ! أصبحت هذه الأسر تجتمع حول المذياع بذكورها وإناثها وهم يصفقون، ونسوا قول نبيهم : « الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار » وأصبح حال تلك العائلات الطاهرة والأسر الشريفة أن يتهادى أفرادها الأغانى الخليعة ، والأصوات الماجنة الفاتنة . فلانة تهدى أختها أو حبيبتها فلانة أغنية (. . .) للمغنى فلان، وفلان يهدى أخاه أو أخته أغنية (. . .) للمغنية أو المطربة فلانة . . . وما إلى ذلك مما يندى جبين المسلم لسماعه حياء وخجلا، ويذوب له قلب المؤمن الصادق حسرة وكمدا .

آه ثم آه ، وما أجدرنا بالتأوه والبكاء ! وما أحرانا بالنداب والصراخ ، واإسلاماه! وادبناه ! واقلة أنصاراه !

أبعد كل هذا الذى أصاب ديننا وحل بديارنا من كل هون ودون ،وسوء وشر، والمقنع المسلم الغيور ــ كما يزعم ــ يطالب بالنصوص المحرمة للغناء، ولا يخجل وهو يعلم أنه يغالط ويشكك الأمة التى تنتظر نصرته ، وتأييده ، وترجو إنقاذه وإصلاحه ، وهى أحوج ما تكون إلى المنقذين والمصلحين فى هذه الأيام ، أيام المحنة العامة والبلية الشاملة التى تعرض لها إيمانها وإسلامها، وذهبت فيها آدابها وأخلاقها !

والمقنع ــ هداه الله ــ اذا كان حقاً شاكاً فى حرمة الغناء أو حليته وأعوزه الدليل ، فلماذا ــ وهو الكاتب الذكى والمصلح المفكر لا يلقى نظرة بسيطة على

مقدمة الغناء ، وثمرته ، ونتيجته ليخرج بالدليل القاطع على التحليل أو التحريم ، فإذا كانت المقدمة صالحة ــ ولا تكون فى الغناء صالحة ، لأن ألفاظه باطل وزور، وكذب وسوء ــ فلينظر إلى ثمرته المقصودة منه ، فإذا كانت مفيدة نافعة ، ولا تكون فى الغناء مفيدة ولا نافعة ؛ لأنه لا فائدة فى اللهو الحرام ــ ثم ينظر فى نتيجته ، فإذا كانت طيبة بناءة ولا تكون فى الغناء إلا خبيثة هدامة ، كما هو مشاهد محسوس ــ ثم يخرج بالدليل إما بالحل أو التحريم؛ للعلم العام عند سائر العارفين أن الله تبارك وتعالى لا يحل للمؤمنين إلا ما كان نافعاً صالحاً مفيداً مثمراً، ولا يحرم عليهم إلا ما كان ضاراً فاسداً قبيحاً مسيئاً إلى أرواحهم ، أو أعراضهم ، أو أجسامهم ، أو أموالهم ، أو دينهم .

ولو نظر أخونا المقنع هذه النظرة لأراحنا من حيرته وتشككاته ، ووفر علينا وعليه بعض الراحة والوقت ، ولكن أبت عليه نفسه إلا إحراجنا وإتعابنا فها نحن له . وليأخذ ما يطلبه من النصوص فى تحريم فاحشة الغناء والزمر التى لم يختلف صالحان اليوم أو قبل اليوم فى تحريمها أبداً .

نصوص الكتاب الكريم فى تحريم الغناء

١ـ جاء من سورة الإسراء قول الله تبارك وتعـالى فى خطابه لإبليس عدوه : ﴿**واستفزز منِ استطعتَ منهم بصوتك**﴾ الإسراء : الآية ٦٤ .

قال مجاهد من أئمة التفسير : عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، صوت الشيطان : الغناء ، والمزامير ، واللهو . وقال الضحاك أيضاً : صوت الشيطان فى هذه الآية هو صوت المزمار .

وإذا فلْيَكْفِ الغناء والمزمار قبحاً وتحريماً أن يكونا عدة للشيطان وعتاداً له يغرى بهما عباد الله على الفسق والعصيان ، ويفتنهم بهما عن عبادة الله ، ويصدهم عن سبيله .

٢ ـ قال تعالى من سورة لقمان عليه السلام : ﴿ **ومنَ الناس منْ يشترى لهوَ الحديث ليضلَّ عن سبيل الله بغير علم** ﴾ لقمان الآية : ٦ .

قال مجاهد: وهو الذى قيل فيه : إن أتاك التفسير عن مجاهد فحسبك قال : لهو الحديث : الاستماع إلى الغناء ، وإلى مـثله من الباطل . وقال حلف عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه : بالله الـذى لا إله إلا هو ، ثلاث مرات : إنه الغناء : يعنى لهو الحديث فى هذه الآية .

بيد أن للمقنـع أن يقول : إن هذا مقيد بكونه يضل عن سـبيل الله تعالى وما دام المستمع أو المغنى لا يضل عن سبيل الله فلا محذور إذاً . فنقول له :

أولاً : إن الاضلال عن سبيل الله نتـيجة طبيعية للغناء والـسماع لا تتخلف ، سواء قصدها المغنـى أو المستمع أو لم يقصداها ؛ لأن المضلـل عن سبيل الله ليس هو غير المغنى أو المستمع دائماً ، بل نفس المـغنى أو المستمع تضل كذلك بالغناء أو السماع عن سبيل الله ، ولهذا لم يذكر المفعول به فى الآية ؛ بل حذف ليعم المغنى والمستمع وغيرهما ممن قد يقصد إضلالهم وإفسادهم .

وثانياً : فـهل الغناء يهـدى بطبعه إلى سـبيل الله ويدعو إليـه ؟ ومتى كان لا

يهدى فهو يضل ، ومتى كان لا يدعو فهو يصد . ثم هل عرف الناس طوال دهرهم ثمرة للغناء وسماعه سوى ما يصيب به قلوب أهله من قسوة ، وأخلاقهم من التدهور والفساد ، وأرواحهم من الخبث والتدسية والعياذ بالله تعالى ؟؟

أليس من المشاهد عندنا اليوم أن السماع شاغل عن ذكر الله تعالى ، وعن الصلاة ؟ أو لم يكف الغناء والسماع اليه تحريماً ومنعاً أن يذكرا ، وانهما سبيل الى الصد عن سبيل الله عز وجل ، وطريق إلى الانشغال عن ذكر الله ؟ ألم تحرم الخمر والميسر من أجل أنهما وسيلة إلى الصد عنْ ذكر الله وعن الصلاة ؟ ألم يقل الله : ﴿ **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة** ﴾ المائدة الآية : ٩١ .

وثالثاً ـ قال تعالى من سورة النجم : ﴿ **أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون** ﴾ النجم : ٥٩ ـ ٦١ .

قال عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما : السمود هو الغناء بلغة حمْيَر ، وهى إحدى القبائل العربية قال : يقال : اسمدى لنا يا فلانة : أى غنى لناَ وقال عكرمة فى تفسير الآية : كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ، ليصدوا الناس عن القرآن بالغناء . فنزلت الآية : ﴿ **أفمن هذا الحديث** ﴾ إلى ﴿ **وأنتم سامدون** ﴾ . ولهذا سمى السلف الصالح الغناء : قرآن الشيطان ؛ لأنه يعارض به القرآن ، ويشغل به عنه وعن ذكر الله كما يصد به عن الله تعالى .

وأخيراً فهل ذم الله تعالى لأصحاب هذه الصفات ، وتقريعه لهم وإنكاره عليهم هذا الصنيع من الضحك والغناء دال على غير تحريم الغناء ومنعه ؟

هذه ثلاث آيات من كتاب الله تعالى قال فيها أئمة التفسير : إنها دالة على تحريم الغناء ، ومن بين هؤلاء الأئمة رحمهم الله تعالى أجمعين ، الإمام المفسر الكبير القرطبى .

وهناك آية رابعة ، قال تعالى فى ذكر صفات المفلحين من فاتحة سورة المؤمنون: ﴿ **والذين هم عن اللغو معرضون** ﴾ المؤمنون : ٣ .

فلو كان الغناء ـــ وهو بلا شك لغو لخلوه من أية فائدة ـــ فلو كان مباحاً أو خالياً من الفساد المدنس للنفس لما كان الاعراض عنه وعن مثله من كل لغو وباطل

صفة مدح وكمال يمدح بها المتصف بها وتؤهله لأن يكون من ورثة الفردوس حيث قال تعالى فى بيان جزائهم : ﴿ **أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾ المؤمنون : ١٠ ــ ١١ صدق الله العظيم .

هذا وقد يقول المقنع : إن هذه الآيات التى سقتموها أدلة على تحريم الغناء ومنعه ليست هى صريحة فى ذلك ، وكل ما فيها أنه إيماء وإشارة فقط . ولكنا نقول له :

١ ــ إن من له أدنى علم بكتاب الله تعالى يعرف أن التحريم للأشياء لا يكون فيه دائماً بصيغة التحريم أو النهى ، وإنما يكون بهما ويكون بغيرهما من الصيغ . وقد يكون أبلغ فى الزجر ، وأشد فى التحريم . وذلك كأن يذكر عاقبة سيئة لفعل ما من الأفعال أو يذكر شيئاً معقباً عليه بذمه أو بذم فاعله ومتعاطيه ، فإن هذا يكون محرماً كالنهى عنه أو أشد ، ومن ذلك : الحسد ، والكبر والسحر ، والغل والغلول ، فهذه وغيرها محرمة إجماعاً ، ومع هذا فلم ينزل فيها حرف واحد يكون بالصيغة التى يريد المقنع وهى النهى الصريح . أو التحريم الصريح ،وكل ما جاء فيها أن الله تعالى ذم السحر وفاعله وهذا هو الشأن كذلك فى الكبر والغل والغلول .

وأوضح من هذا فاحشة اللواط فإنها طبعاً وشرعاً ، وبإجماع البشرية قاطبة ، والشرائع الإلهية عامة ، ومع هذا لم يرد فيها نص واحد من الكتاب الكريم يحرمها بالصيغة التى يريد المقنع وأمثاله ، وكل ما جاء فى تحريم هذه الفاحشة العظمى حكايته تعالى عن نبيه لوط عليه السلام وهو يؤنب قومه ، ويعتب عليهم فى شأنها ، مع ذكر عاقبة خاسرة كانت لهم بسببها وبغيرها من الذنوب والمعاصى، فهل يستطيع المقنع ومن لف لفه أن يقول : اللواط مباح ــ كما قال فى الغناء ــ وليس بمحرم ، لأن الكتاب لم ينص على تحريمه ومنعه بصيغة المنع والتحريم ؟

وقد يقول المقنع ــ فتح الله للحق بصيرته ــ : إن اللواط حرم بلفظ صريح فى التحريم ، وهو قول الله تعالى فى بيان ما حرم على عباده :

﴿ **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾ سورة الانعام : ١٥١ أننا نقول له : إن الفواحش لفظ عام للواط وغيره من كل قبيح شديد القبح كالبخل والشح والزنا ومقدماته ، والكذب والسرقة والزمر والغناء ، فليس إذا لفظ

الفواحش نصاً فى تحريم اللواط ، وإنما هو دال على تحريمه كما هو دال على تحريم المعازف والغناء سواء بسواء .

٢ ــ ليعلم المقنع أن الغناء فى عرف اللغة معناه الصوت الحسن ، فلو نزل القرآن بتحريم الصوت الحسن لحرم على المؤمن أن يرفع صوته مخافة أن يكون فى صوته حسن أو تطريب . وأى حرج أعظم من هذا الحرج ؟ والله يقول : ﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ الحج : ٨٧ .

ومن هنا كان تحريم الغناء وهو الصوت الحسن مشروطاً بأن يكون داعياً إلى لهو ، أو يكون معه زور من الكلام ، وباطل من القول ، لا مطلق الصوت ، فإنه يكون بالقرآن وبغيره من الكلام الطيب ، وهو إذ ذاك لا محذور فيه ، ولعل هذا هو السر فى مجىء الغناء الحرام فى القرآن الكريم بلفظ السمود ، لأن السمود لا يتناول فى باب الغناء ، غير الغناء المعروف ، والذى لا يخلو من لهو ومجون ، ولا تخلو ألفاظه من لغو وباطل محرمين . ومن هنا أيضاً جاء الغناء الحرام مقروناً بلفظ اللهو فى قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يشترى لهوَ الحديث ليضلَّ عن سبيل الله** ﴾ لقمان : ٦ الآية للتنبيه على أن المراد بالغناء ذاك النوع الخاص المقرون باللهو ، كآلات الطرب الصارف عن ذكر الله تعالى ، الصاد عن سبيله كما جاء بلفظ صوت الشيطان فى قوله عز وجل : ﴿ **واستفززْ من استطعت منهم بصوتكَ** ﴾ الاسراء : الآية ٦٤ . لأن الشيطان لا يوحى إلا بالباطل ولا يوسوس بغير زخرف القول تضليلاً وتغريراً .

هذا وزيادة فى الإيضاح والبيان نعرض لأخينا المقنع الحيران فى حكم الغناء مايلى : ولعل هذه الشبهة التى علقت بذهنه تزول .

١ ــ الاجماع على أن الغناء حرام بآلة حرام ، ولو كانت الالفاظ التى يتغنى بها من كلمات الله أو أسمائه أو صفاته تعالى .

٢ ــ أجمعوا على أن سماع صوت الأجنبية والتلذذ به حرام ، ولو كان بالتهليل والتكبير ، فقد قال ﷺ : « إنما التصفيق للنساء ، والتسبيح للرجال » ، فلم يأذن عليه الصلاة والسلام للمرأة أن ترفع صوتها لغير ضرورة أكيدة، حتى ولو بذكر الله عز وجل ، وهى فى أكمل حال ، أى فى الصلاة .

٣ ــ كانوا مــجمعين على أن المــغنى من الرجال يــطلق عليه اسـم المخنث ، والمغنيات مخانــيث ، وكفى بالمرء خزياً وعاراً أن يقال : إنه مخــنث أليس كذلك يا مقنع .

٤ ــ من المعلوم يقــيناً أن الرجل الغيور الذى يتحلى بالمـروءة والشهامة والعزة والكرامة لا يرضــى بحال لامرأته أن تسمع غــناء أجنبى يطرب بصــوته ويصف فى غنائه العشق والحب ، والخلخال والدلال ، والهجر والوصال .

٥ ــ الاجماع على تحريم القول الباطــل وسماعه ، وسواء كان بصوت مطرب أو بغيره من الأصوات الــغادية ، والغناء المعروف اليوم والــذى كابرتم فى تحريمه ، وهو ما ترســله أجهزة الراديو ومحطــات الاذاعة قد اجتمع فيه كـل محذور مما لا يجعل مؤمناً واحداً يتردد فى منعه وتحريمــه ، وذلك لأنه بآلة لهو وبألفاظ خليعة ، وبأصوات النــساء العاهرات ، والرجال المخــنثين . وفوق هذا أنه كلام بــاطل ليس فيه من الحق شىء ، والباطل ضلال ، والضلال فى النار .

قال ابن القاسم : سألت مالكاً رحمه الله تعالى عن الغناء فقال لى :

قال الله تعالى : ﴿ **فماذا بعدَ الحقّ إلا الضلال** ﴾ يونس : ٣٢ ، أفحق هو؟ .

والآن فهل اقتنع المقنع بحرمة ومنع هذا الــغناء البغيض ، فيستغفر الله ويتوب إليه ، ويعتقد كالصالحين حرمة الغنــاء الذى كان شاكاً فى حرمته ، بل كان يشكك المؤمنــين فيه ، ثم يــعلن من عــلى منبر دعــوته « مجلــة عكاظ » أن الغــناء حرام فاجتنبوه أيــها المؤمنون الصالحون . أم سوف يلف ويــدور ويقول : أنا لم أدع إلى الغناء المصاحب للخلاعة والمجون ، وإنما دعوت للغناء الطاهر البرىء ، وها هو ذا كلامى شاهد لى لقد قلت فى مطلع حديثى : أنا لم أطلب أن تذاع أغان خليعة ، بل أردت أن تذاع أغان لأن مــن الأغانى ما هو مباح ومــنها ما هو ممنــوع . فنقول له: إن قولك المعسول هذا والذى أوردته فى مقــدمة تشككاتك لم يكن إلا مجرد سلم أقمته عن قــصد أو غير قصد لتصل به إلى غرضك مــن إلقاء بذور الشك فى نفوس المؤمنين حتى يشكوا فى حرمة هذه الأغانــى الماجنة الخليعة التى خمت منها الدنيا وتعفنت بها الحياة . ونحن لا نستــطيع تصديقك إن ادعيت البراءة لنفسك ، لأن الأسلوب الذى كتبت بــه هو نفس أسلوب الهدامين من المنحــرفين فى كل بلد إسلامى ، إنهم ما نشروا السفور والفجور والربا والزنا والفواحش والخنا والخمور

بين المسلمين ، وما عطلوا الأحكام والشرائع ، وما أهملوا الفرائض وأنسوا السنن والآداب الشرعية إلا بمثل هذه الأساليب الملتوية والتى ظاهرها نصح وإصلاح ، وباطنها غش وفساد .

فأنت أيها المقنع الحاذق والكاتب الأريب لو كنت حقاً تريد الإصلاح لكنت اكتفيت بقولك : إن من الغناء ما هو حرام وما هو مباح ، ولكنك لسوء الحظ سقت بعد ذلك الحوادث والأحاديث ــ على حد تعبيرك تشكيكاً وتضليلا ، ثم رفعت عقيرتك ــ سامحك الله إن أنبت إليه ــ وقلت فى تحد عنيف : بينوا لنا أيها العلماء حكم الغناء أحلال هو أم حرام ؟ .

وعندها كنت كمن كشف عن نفسه الغطاء فعرفناك وأنت مقنع مستور، وعرفنا غرضك الذى أنت حوله تدور ، وهو بلا شك حسبما ظهر لنا من كلامك أنه الإجهاز على الرمق الباقى فى الأمة ممن يتحرجون من سماع الأغانى لاعتقادهم حرمتها ، فجئت أنت بحوادثك وتشككاتك وحيرتك وتساؤلاتك لتشككهم وتسهل عليهم الدخول فى هذه المفسدة التى طالما حاربوا أنفسهم من أجلها وترددوا فى الوقوع فيها .

نصـــوص السنـة المطـهـرة

فى تحريم المعازف والغناء

وبعد نصوص الكتاب الظاهرة القطعية فى تحريم الغناء المعروف اليوم ، والذى صاحبه العزف ، وهو كما هو أصوات المـرد ، ونغمات الحسان ، هذا الغناء الذى اختلـطت فيه أصوات الـنساء بأصوات الـرجال ، ولم يستـعمل فيه سـوى ألفاظ الفحش والـبذاءة ، والسوء والهجر والكـفر ، نورد نصوص السنة المـطهرة إعذاراً لاخواننا المخدوعين ، وإنذاراً لهم .

١ ــ روى البخارى فـى « صحيحه » عن أبى مالك الأشـعرى رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « ليكونَنَّ من أمتى قومٌ يستحلُّون الحِرَّ والحريرَ والخمر والمعازف » .

فالمراد بالحر : الفـرج ، والمعنى أنهم يستحلون الـزنا . والمراد بالمعازف آلات اللـهو ، من طبـل ، وطنبـور ، وعود ، وقانون ، وقـيثارة ونـحوها . ومعـنى يستحلون : إما أنهم يـفعلون هذه المحرمات فعل المستحلّ لها بحـيث يكثرون منها ولا يتحرجون من فعلها . وإما أنهم يعتقـدون حلّيتها ، وقد يكون هذا بسبب فتيا ضالة من فتاوى أصحاب الأهواء .

ودلالة هذا الحـديث على تحريم الـغناء دلالة قطعـية ولو لم يرد فـى المعازف حديث ولا آية سوى هذا الحديث لكان كافيـاً فى التحريم ، وخاصة فى نوع الغناء الذى يعرفه الناس اليوم ، هذا الغناء الـذى مادّته ألفاظ الفحش والبذاءة ، وقوامه المعازف المختلفة مـن موسيقى وقيثارة وطبل ومزمار وعود وقـانون ، ومتمماته أو محسناته أصوات المخنثين ونغمات العاهرات .

ووجهة دليـل الحديث على الحرمة هو قـوله ﷺ : « يستحلون » فـإنه لو لم تكن هذه الأشياء محرمة لما كان قوله ﷺ: « يستحلون » من معنى يذكر . والأمر واضح فلا يخفى إلا على من طمست الشهوات بصيرته،والعياذ بالله تعالى من ذلك .

٢ ــ روى أحمد فى « مسنده » وأبو داود فى « سـننه » عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن الـنبى ﷺ قال :« إن الله تعالى حرَّم على أمـتى الخمر والميسِر والكُوبة والغُبيراء وكل مسكر حرام» .

فالكوبة : الـطبل الصغير . وقيـل هو البربط . وعلى كل حـال فهو آلة من آلات الطرب ولا شك . وأما الغبيراء ، فقد اختـلف فى معناها ، فقيل : هى آلة من آلات الطـرب . وقيل هى شراب يـتخذه الحبشـة من الذرة ، وكونهـا آلة من آلات الطرب ، كالعود والـطنبور أقرب ، ووجهة دلالة الحديث عـلى تحريم الغناء هى :

١ ــ أن الغناء لهو وحرام ، ولو لم يكن حراماً كيف تحرم آلته ؟

٢ ــ الأغانى المعروفة اليوم والتى تذيعـها محطات الاذاعة لا تخلو قط من آلة طرب كمـزمار أو قانون ونـحوهما ؛ فـيحرم الغـناء لذاته ، لأنـه بألفاظ الـفحش والباطل والـسوء ، ويحرم لأنه بأصوات المومـسات والعاهرات ، التى يـحرم على الرجـال سماع أصـواتهن ، أو بأصـوات المخنثـين الذين مـهروا فى النـغم المثـير للـشهوات المحـرك للغرائـز ، فيحـرم على المـرأة سماعه لـذلك ، وهو مـع هذا مصاحب للعزف على آلات اللهو المحرمة بنص حديث البخارى السابق ذكره .

٣ ــ روى الترمـذى فى « سننه » من حـديث على رضى الله عنـه قال :قال رسول الله ﷺ : « إذا فعلـت أمتى خمس عشرة خـصلة حل بها البـلاء ــ فذكر منهـا : « إذا اتخذت القـينات والمعـازف » ودلالة هذا الحديـث على تحريم الـغناء ظاهـرة ، لأن اتخاذ القـينات والمعـازف لا يكون إلا لـلغناء . وصـدق رسول الله ﷺ، لقد ارتكبت أمتـه بالأندلس ما حذر منه فاتخذت تلك الأمة الـغابرة القينات والمعازف ، وأسرفـت فى ذلك إلى حد أن أصبحـت الدور والبساتين تـوقف على الموسيقى ، وأصبح المرضى يعالجون فى المستشفيات بالزمر والغناء ، فحل بهم بلاء استأصـل شأفتهـم ، وقطع دابرهم ، ولـم يبق منـهم أحداً . ﴿ **وما ظلـمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ النحل : ٣٣ .

وهل لدعاة الأغانى اليوم إنكار هذه الحقيقة أو التنكر لها ؟

وقل : الذى أنكـر نصوص الكتاب والـسنة لا يبعد أن يـنكر كل حقيـقة فى الوجود .

٤ ـ روى الحميدى فى « مسنده » عنه ﷺ قوله : « لا يحل ثمن المغنية ، ولا بيعها ، ولا شراؤها ، ولا الاستمتاع بها » .

إن دلالة هذا الحديث على ما جاءت فيه نصاً من تحريم ثمن المغنية وبيعها وشرائها والاستمتاع بها لظاهرة ،وإنما نريد أن نقول : إن الظاهرى وهو أحد دعاة الأغانى اليوم إذ يطعن فى سند هذا الحديث ليبطل الاستدلال به على حرمة اتخاذ المغنيات معناه أنه يريد بذلك أن الله ورسوله أباحا للمؤمن أن يكون متى شاء ماجناً خليعاً صفيقاً فاحشاً بذيئاً مسرفاً ينفق ماله فى شراء المغنيات ، ويقضى اوقاته فى سماع أغانيهن ليطرب فيشرب ، ويسكر فيفجر !!

فواعجبا ! أهكذا يريد دعاة الأغانى والزمر للمؤمن الذى حكم الله برشده وجعله وصياً على البشرية ، وإماماً تقتدى به الإنسانية فى الحياة . قال تعالى : ﴿**هو اجتباكم**﴾ الحج : ٧٨ وقال : ﴿ **سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم**﴾ الحج ٧٨ وقال : ﴿ **جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ . البقرة : ١٤٣ .

إذ يصورون ولى الله بهذه الصورة الشوهاء ، يصورونه ماجناً خليعاً ، همه الزمر والأغانى طوال الحياة .

٥ ـ روى ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يتغنى من الليل فقال : « لا صلاة له ؛ لا صلاة له ؛ لا صلاة له » .

ودلالة هذا الحديث على تحريم الغناء دلالة التزامية ، لأن نفى الصلاة يستلزم أن المغنى فاحش آت للمنكر فيكون الغناء فحشاً ومنكراً ، والفحش والمنكر من المحرمات قطعاً ، وقد نفى ﷺ فى حديث آخر على الفاحش الآتى للمنكر صلاته وأبطلها بقوله : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له » . قال هذا ﷺ إما بوحى خاص ، وإما باستنباط ، وتأول من قوله تعالى : ﴿ **وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ . العنكبوت : ٤٥ . فإن لازم هذا أن من لم تنهه صلاته عن قول الفحش والمنكر وعن فعلهما فلا صلاة له . وشىء آخر ، فهل هذا الرجل الذى نام بعض الناس ولم ينم ، وقام بعض آخر يتهجد ويتعبد ولم يقم ، وعكف على الغناء يثير به كوامن الشهوات ؛ ويستفز به

الغافلات ، ويستهوى به العفيفات يعتبر مقيماً للصلاة ، وصلاته ثابتة له مؤثرة فى نفسه بالزكاء والطهر فيشفق علـيه (الظاهرى) ويقول : لا تبطل صلاته ، ولا تبطل صلاته لمجرد تغنيه ، أبداً أبداً ، ويطعـن في سند الحديث بجهالة راو من رواته ، أو ضعفه ليخلـص إلى أن الغناء حلال وليس هو بفاحشـة ولا منكر ولا باطل ولا زور ، كل ذلك ليـخرج عن جماعة المـسلمين ويحتـفظ بشذوذه والعيـاذ بالله من الخذلان ووساوس الشيطان .

٦ ــ ذكر القـرطبى فى تفسيره « الجـامع لأحكام القرآن » من روايـة مكحول عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :

« من مات وعنده جاريةٌ مغنيةٌ فلا تصلوا عليه » .

ودلالة هذا الحديث ظاهرة فى تفسيق المكثر من الاستماع إلى الغناء ، كما قال الإمام الشافعى رحـمه الله . بيد أن الظاهرى يقول : إن هذا الحـديث معلول فلا يحتج به عـلى تفسيق المكثر للاسـتماع ، لأن مكحولا لم يسمع عـن عائشة رضى الله عنها . ونحن نقول له : افرض أن مكحولاً رحمه الله تعالى كذب على عائشة وعلى النبى ﷺ معاً ــ وحاشاه أن يكذب عليـهما ــ فها هم الصالحون اليوم وقبل اليوم وبعـد اليوم وبدون هذا الحديث لا يصـلون على من اتخذ عاهـرة ترقص له وتغنيـه ، ويقضى ليله ونـهاره فى سماع باطلـها وما ذلك إلا فهماً مـن الصالحين لنصوص الكتاب والسنة العامة والتى تقتضى تفسيق من كان هذا شأنه فى الحياة .

ثم وهل من الإنصاف يـا عباد الله أن نكذب مكحولاً ، ونطعـن فيه ونصدق الظاهرى ونقدسه ، ونحن نعرف أنه خرج غير ما مرة عن جماعة المسلمين بشذوذه وتهوره ؟ اللهـم ألهمنا رشدنا ، وأزل غشـاوة الجهل عن أبصارنا وبصـائرنا يارب العالمين .

٧ ــ روى ابن المبارك عن مـالك بن أنس عن محمد بن المنـكدر عن أنس بن مالك رضى الله عنـه قال : قال رسول الله ﷺ : « من جلس إلى قينـة (مغنية) يسمع منها صُبَّ فى أُذنيه الآنك (١) يوم القيامة » والحديث دال على حرمة السماع دلالة واضحة لا تـقبل الجدل بحال ، لـلوعيد الشديـد الذى تضمنه ، وهـو نظير

(١) الآنك : الرصاص المذاب .

قوله عليه الصلاة والسلام : « من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُبَّ فى أُذنه الآنك يوم القيامة » .

فمستمع الغناء آذى نفسه بتدسيتها بسماعها الباطل والفحش والزور ، ومستمع حديث الغير آذى غيره بسماع سره ، وما يحب أن يخفيه وهذا ذنب يدسى النفس، فإذا مات ولم يتب كان من أهل النار حيث استجوبها بتدسية نفسه بآثار ذنب المعصية ، ومن المعلوم أن العذاب فى النار ألوان ، ومن تلك الألوان: صب الآنك فى آذان المسيئين إلى أنفسهم بواسطة آذانهم لسماعهم ما لا يحل سماعه ولا يجوز لهم .

٨ ــ روى الترمذى الحكيم فى « نوادر الأصول » مرفوعاً من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين ، فقيل : ومن الروحانيون يا رسول الله ؟ قال : قرّاء أهل الجنة» .

وهذا الحديث دال على كراهة الغناء ولو بألفاظ غير بذيئة ولا باطلة ، لأن من شؤمه حرمان صاحبه من أعظم لذة فى الجنة ، وهى سماع قرائها الروحانيين عقوبة له حيث سمع غناء الدنيا وتلذذ به . وهذا فى العقوبة بالحرمان نظير قوله عليه الصلاة والسلام : « من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة ، ومن لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » .

ويفسر هذا بوجهين : أن من عصى ربه بهذا النوع من المعاصى وتدست نفسه بأثر المعصية ، ولم يتب توبة تزكى نفسه ، وتذهب بآثار ما علق بها من المعصية ومات على ذلك فإن هذا قطعاً هو كما أخبر النبى ﷺ ، فلا يشرب خمر الجنة ، ولا يلبس حريرها ، ولا يسمع الروحانيين فيها ، لأنه فى النار بعيد عن الجنة ونعيمها .

وإن هو خرج من النار بشفاعة النبى ﷺ ، ودخل الجنة فيبقى محروماً كذلك عقوبة له ، وإما أن صاحب هذه المعصية قد يتوب منها وتزكو نفسه ويدخل الجنة ابتداء ، ولكن يحرم لشؤم المعصية من لذة ما كان قد تمتع بلذته فى الحياة الدنيا، مما حرم الله ورسوله ﷺ .

٩ ــ روى ابن ماجه عن أبى أمامة مرفوعاً عن النبى ﷺ : « **إن الله يبغض** صوت الخلخال كما يبغض الغناء » . والحديث دال على حرمة تعمد إبداء الزينة من المرأة المؤمنة ، ودال كذلك على حرمة الغناء. ووجه ذلك أن المؤمن المنيب والعبد الصالح لا يفعل شيئاً يكرهه سيده بأى حال من الاحوال . وهنا نقول للظاهرى ومن لف لفه ، وأسف مثله : هل حرم الله عز وجل ضرب الخلخال فى رجل المرأة المؤمنة لإبداء الزينة ؟ وسيقول : نعم ، قطعاً ؛ لأن هذا صريح الكتاب فلا ينكره مؤمن أبداً . قال تعالى : ﴿ **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** ﴾ النور :٣٢ . ونقول له مرة أخرى : ولماذا ؟ وقد يصدق الجواب ويقول: لأنه يثير فتنة الشهوة فى قلوب الرجال الذين يسمعون صوت الخلخال ، فقد يحرك هذا البغيض ساكن أحدهم ويؤدى به إلى أن يطلب ذات الخلخال ، أو يطلب غيرها فيجرم ، وهذا النوع من الإجرام جزاؤه كما هو معروف قتل شنيع : رجم بالحجارة حتى الموت ، وعندها يخسر المجتمع الإسلامى عضوين اثنين من المؤمنين ، وما أحوج المجتمع الإسلامى الى كثرة المؤمنين !

ومن أجل هذا حرم كل سلوك أو عمل يؤدى إلى هذه الخسارة ولو كان ضرباً بالخلخال ، أو صوتاً متكسراً من أصوات النساء أو الرجال. قال تعالى لنساء النبى ﷺ : ﴿ **فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرضٌ وقلن قولاً معروفاً . وقرن فى بيوتكن ، ولا تبرَّجن تبرُّج الجاهلية الأولى** ﴾. الأحزاب٣٣, ٣٤ .

واعجبى ! كيف يكون لين كلام المرأة منهياً عنه محرماً إذا هى خاطبت الأجنبى، ولا يكون غناؤها بألفاظ السوء والبذاءة وهو موجه إلى كل من هب ودب محرماً ؟

وهل يسلم لنا الظاهرى ومشايعوه من هواة الغناء والمزمار إن قلنا : إن تحريك الشهوة بواسطة أصوات المغنين والمغنيات هو أشد من تحريكها بصوت الخلخال ، لما فى النطق من موسيقى ،وفى العبارات من نبرات ؟ وإن سلموا لنا ما قلناه فإنا نقول لهم ــ وهم يحلون الزمر والغناء ــ : كيف يحرم الله صوت الخلخال ويبغضه ، ويحرم لين كلام المرأة إن هى خاطبت أجنبياً ، ولا يحرم الغناء والزمر ، وهى أصوات تفعل بقلوب الرجال ما لا يفعله السحر والخمر بحال ؟

وبعد كل هذا فكيف لا يخجل الظاهرى ولا يستحى من الله والمؤمنين عندما يعلن على رؤوس الأشهاد ، ويكتب بحروف بارزة حمراء : ان الغناء واستعمال المعازف والمزامير والاستماع اليها مباحة ، وانها لم يحرمها كتاب ولا سنة ، ويا للعجب ! ماذا يفهم هذا الرجل من الكتاب والسنة ؟ أيفهم منهما أنهما مجرد نصوص جوفاء لا ترمى إلى هدف ، ولا تقصد إلى غاية ، أم ماذا يفهم يا ترى ؟!

ويا سبحان الله كيف تضل الأفهام ! وكيف تزل الأقدام !

اللهم إنا نعوذ بك من أن نضل أو نضل ، أو نذل أو نذل ، ونسألك اللهم العصمة من الخطأ والخطل ، ومن النزغ والحمق والطيش .

حكـم الأئمـة الأربعـة

على الغناء واستعمال المعازف والاستماع اليها

ـ ١ ـ

الإمام مالك

المعروف عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى النهى عن الغناء، وعن السماع اليه . وقـد سأله مرة تلميذه ابن القاسم رحمه الله عـن الغناء فأجابه قائلاً : قال الله تعالى : ﴿ **فماذا بعد الحق إلا الضلال** ﴾ ، أفحق هو ؟

وما أحسن جواب الإمام ، وما أعظم فقه مالك !

فإنه إن لم يكن الغناء حقاً فهو باطل ، وهل من عاقل يقول : الغناء حق ؟

وسئل مرة عما يترخص فيه بعض أهل المـدينة من الغناء ، كأمثال ابراهيم بن سعد، الـذى اتخذ المقنـع عمله حجـة فى إباحة الغـناء كما سيـأتى إن شاء الله ، فقـال: إنما يفعـله عندنـا الفساق . فـحكم الإمام رحـمه الله تعالـى على المغـنين والمستمعين المشتغلين بالغناء والطرب بالفسق . والفاسق فى حكم الإسلام لا تقبل شهـادته ، ولا يصـلى الأخيار عـليه إذا مـات ، بل يصـلى عليـه غوغاء الـناس وعامتهم! .

ومن أحكام مالك الفـقهية أن الرجل إذا اشترى جارية فوجدهـا مغنية كان له ردها بالعيب الذى هو كونها مغنية .

فانظر كيف جعل ــ رحمه الله تعالى ، وهو إمام دار الهجرة ــ الغناء عيباً ترد به الجارية كما ترد بالزنا الزانية ، ولمه ؟ والغناء بريد الزنا .

ـ ٢ ـ

الإمام الشافعى

قال رحمه الله فى كتاب أدب القضاء : إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته ، فهذا عالم قريش الذى طبق علمه الأرض محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله تعالى ، يحكم على الغناء بأنه لهو ــ واللهو حرام . إلا ما خص الشارع منه كالرماية والسباحة ونحوهما، وألحقه بالباطل ، والباطل حرام قوله وسماعه وشبهه بالمحال، والمحال ممنوع شرعاً. ونتيجة هذا الرأى الحكيم أن الغناء حرام إلا ماخص الشارع منه ، وأن المكثر غناء أو استماعاً فاسق سفيه غير راشد ، والفاسق ترد شهادته ، والسفيه يحجر عليه ، وكفى المغنى والمستمع هذا خزياً وعاراً ! .

وسئل رحمه الله عن الرجل تكون له القينة فيجمع أصحابه لتسمعهم الغناء ؟ فقال : هذه دياثة ، وصاحب هذه الجارية ديوث ! والرسول ﷺ يقول: « لا يدخل الجنة ديوث » .

هذا هو الإمام الشافعى الذى لا يمكن أن يشار إلى المقنع أو الظاهرى أمامه حتى بالاشارة فضلاً عن أن يشبها به فقهاً وعلماً وصلاحاً وتقوى ، يحكم بتفسيق وتسفيه المكثر من الغناء والسماع ، ويحكم بدياثة صاحب المغنية الذى يجمع الرجال على غنائها . وما أشبه صاحب الجارية بالرجل الذى تظل امرأته أمام المذياع تستمع إلى أغانى فريد الأطرش ،وعبد الوهاب ، وشادية ، والمرحومة أسمهان كما يقولون ! .

ـ ٣ ـ

الإمام أبو حنيفة

أما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فقد كان حكمه أشد وأقسى، فهو يرى الغناء من الذنوب التى يجب تركها والابتعاد عنها ، وتجب التوبة منها فوراً ، كسائر الذنوب والمعاصى : وأما أصحابه فقد صرحوا بحرمة الغناء وسائر الملاهى ،من مزمار ، ودف ، وقيثارة ونحوها وخصوا الغناء بأنه معصية توجب فسق صاحبها

وترد شهادته ، وبالغوا فى النهى والسماع إلى حد أن قالوا : السماع فسق والتلذذ به كفر (١) وقالوا فى المار يسمع الغناء : يجب عليه أن يجتهد فى أن لا يسمعه ، وكذا إذا كان فى دار مجاور له .

وقال أبو يوسف : إذا سمع المؤمن صوت الملاهى والمعازف فى دار دخل على أصحابها بدون إذنهم ليتمكن من تغيير المنكر ؛ لأن تغيير المنكر فرض ، وأن للإمام أن يحبس ، أو يضرب ، أو يرحل من لا ينتهى عن هذه الفاحشة .

ـ ٤ ـ

الإمام أحمد

من غير المشكوك فيه تحريم الملاهى عامة ، غناء كانت أو ضرباً على عود، أو مزماراً أو غير هذه عند أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وعند أصحابه أجمعين .

ومن المنصوص عليه فى كتبهم : كسر آلات اللهو والطرب كالطنبور وغيره إذا رؤيت مكشوفة وأمكن كسرها ، لأنها من المنكر الذى يجب تغييره وإزالته ، بل قد نصوا على أنه لو علم أن هناك آلة مستورة تحت ثوب لكشف عنها وكسرت .

وأوضح من هذا وأقوى فى الاستدلال على حرمة الغناء عند أحمد رحمه الله أنه نص فى أيتام ورثوا جارية مغنية ، وأرادوا بيعها أن لا يبيعوها إلا على أنها ساذجة غير مغنية ؛ لأنها بوصفها مغنية قد يزيد ثمنها ؛ فيفهم من هذا أنه لو كان بيع المغنية حلالاً ، وأن الغناء مباح لما كان يأمر بتضييع مال اليتامى ، وتضييعه من أشد الحرام ، ولكن لما كان الغناء حراماً كان ثمن المغنية حراماً ، كما أنه لما كان البغاء حراماً كان ثمن البغىّ حراماً ، وهكذا حرم ثمن الصليب ، وثمن الخمر ، والخنزير لأنها محرمات ؛ وثمن المحرم حرام .

ومن أجل هذا أمر الإمام رحمه الله ألاّ تباع الجارية على انها مغنية ، لأن ثمنها حينئذ يكون حراماً . فدل هذا على أن الإمام أحمد كان يحرم الغناء ولا يبيحه . وقد سأله مرة ولده عبد الله عن الغناء فقال : الغناء ينبت النفاق فى

(١) حجتهم فى تكفير المتلذذ بالسماع حديث ضعيف . ومن المعلوم أن الكفر يكون كفراً دون كفر . كما بوب ذلك البخارى رحمه الله تعالى لقول الرسول ﷺ فى النساء :« ويكفرن العشير » فلعل مرادهم من كفره أنه كفر نعمة ومعصية ، لا كفر مخرج عن الملة . وهو الصواب .

القلب فلا يعجبنى ، وقال : إن مالكاً لما سئل عنه قال : إنما يفعله الفسَّاق عندنا .

وأخيراً فهذا حكم حماة الإسلام ، وأنصار الشريعة وأمناء الأمة مالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد رحمة الله عليهم أجمعين ، وهو حكم واضح وصريح فى منع الغناء وتفسيق فاعله والمستمع اليه ، كما هو أيضاً حكم مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وقد تقدم على حكم الأئمة حكم الله ورسوله ﷺ ، وهو كذلك أكثر صراحة وأشد وضوحاً فى منع الغناء وتحريمه ، فهل يجوز بعد هذا لمؤمن يحب الله ورسوله أن يقول : أن هذا الغناء الذى يعرفه الناس اليوم مباح حلال ؟

وهل يجوز لمؤمن يحترم نفسه ، ويستبرئ لدينه وعرضه أن يعدل عن هذا المنهج القويم ، وهذه الجادة الواضحة إلى مسلك أعوج سلكه اناس مطعون فيهم، وهم عبيد الله العنبرى ، وابراهيم بن سعد وابن حزم الظاهرى ؛ غفر الله لنا ولهم ورحمنا وإياهم ؟

ولكن يا لغرابة الإسلام اليوم ! ويا لقلة أنصاره بين أهله ، وفى وسط داره ! وإلا فكيف يسمح لأصحاب الأهواء ، وصرعى الشهوات أن يلقوا فى أمة الإسلام هذه الشبهة ، ويبثوا فيها هذه الشكوك والوهميات تغييراً وتضليلا ؟ .

وأغرب من هذا أن يكون مصدر هذا التضليل آراء ابن حزم الظاهرى التى أقبرتها الأمة ، وطواها التاريخ ، فيأتى من ينشرها اليوم بعد البلى، ويظهرها بعد الفناء ، ويقول : هذا هو الدين الصحيح ! ولا حول ، ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

الغناء المرخص فيه شرعا

من سماحة شريعتنا الإسلامية مراعاتها للضعف الأصيل فى الإنسان ، فهى تحرم الميتة والدم ولحم الخنزير تحريماً باتاً ولكن تبيحها عند الضرورة قال تعالى : **﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغٍ ولا عاد فلا إثم عليه﴾** النحل ، ١١٥ . فبعد تحريمها لهذه الأربعة تحريماً قطعياً على سائر المؤمنين أباحت للمضطر القدر الذى يحفظ به حياته ، ويبقى به على وجوده بشرط أن لا يتعدى القدر المرخص له فيه . وهى تحرم الكفر بأى لفظ من ألفاظه، وفى أية صورة من صوره ، ولكن تبيح للمؤمن منه عند الاكراه ما يدفع به عن

نفسه شر العذاب ، وما يرفع به عن ذاته مالا يتحمله من النكال ، وما لا يطيقه من الوبال ، وبشرط أن لا يتعدى الكفر لسانه إلى قلبه . قال تعالى : ﴿ **إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً** ﴾ النحل: ١٠٦ . وهى تحرم اتخاذ الكلاب وبيعها وثمنها ، ولكنها ترخص فى اقتنائها وتبيحه فى حالة خاصة، قال ﷺ : « من اتخذ كلباً إلا كلب صيد أو زرع أو ماشية انتقص من أجره كل يوم قيراط » .

وهى تفرض الصوم فرضاً أكيداً ، قال تعالى : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ البقرة : ٨٥ ولكنها تراعى ضعف المؤمن فترخص له فى الافطار فى حال السفر أو المرض على أن يقضى ذلك يوم زوال عذره ، قال تعالى : ﴿ **فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدةُ من أيامٍ أخر** ﴾ البقرة : ٨٤ .

وهى تحرم الجهر بالسوء ولكنها ترخص للمؤمن فى حالة الشكوى أن ينطق بمظلمته ، ويسرح بشكواه ، قال تعالى : ﴿ **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم** ﴾ النساء : ١٤٨ .

وعلى أساس هذه الكليات والقواعد العامة فى الشريعة الإسلامية السمحة جاء حكم الغناء واللهو واللعب ، فنصوص الكتاب والسنة العامة تحرم الغناء واللهو واللعب ، لأن هذه صادة بطبعها عن سبيل الله ، صارفة للمؤمن عن الحق الذى هو قائم به ، معرضة رشده إلى سفه لا ينبغى له ، لان أتباع هذه الملة الحنيفية مجتبون للدعوة إلى الحق ، وإعلانه ، ولاقامة العدل فى الأرض وحمايته، ورفع راية الإسلام ، ونشر مبادئه ، فهم أوصياء البشرية ، وهداة الانسانية ، قال تعالى ﴿ **هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هُو سمَّاكم المسلمين من قبلُ ، وفى هذا ليكون الرسولُ شهيداً عليكم وتكونوا شُهداء على النَّاس** ﴾ الحج : ٧٨ .

ولذا كان لا يتفق وكرامة المؤمن الاشتغال بالغناء واللهو واللعب ومن تخلى من المؤمنين عن امامته ، ونزل من علياء كرامته فأسف واشتغل بالغناء واللهو واللعب فهو سفيه طائش أحمق جاهل ، لا يتردد المؤمنون فى تفسيقه ، واسقاط عدالته ، وترك شهادته ، وعلى هذا الاعتبار مضى حكم الأئمة الأربعة فى تسفيه وتفسيق المغنى والمستمع كما أن ذكرناه .

ولكن ــ والحمد لله مع تحريم شريعتنا للغناء واللهو واللعب فقد رخصت فيها فى حالات خاصة ، كما رخصت فى كثير من المحرمات والمنهيات . وقد سبقت الإشارة إلى بعضها . ومن ذلك الغناء والدف فى العرس والعيد ، ولكن تحت قيود ثقيلة وشروط شديدة ؛ كما سيذكر قريباً ان شاء الله تعالى .

وما رخّصت فيه أيضاً ملاعبة الرجل امرأته وأولاده الصغار ، أو فرسه لرياضته وتمرينه . والسباحة والسباق والرماية والصيد والمصارعة وهى أنواع من اللعب كما رخصت فى انشاد الشعر والارتجاز فى الجيش لتحميس المجاهدين ؛ واثارة روح الشجاعة والبطولة فيهم فى حال سيرهم الى المعركة ، أو إقبالهم عليها .

الرخصة فى الغناء والدف فى العرس

وبيانها

١ ـ روى الخمسة إلا أبا داود قوله ﷺ : « فصل ما بين الحلال والحرام الدُّف والصوت فى النكاح » .

٢ ـ روى ابن ماجة قوله عليه الصلاة والسلام : « أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغُربال » .

٣ ـ روى البخارى وأحمد عن عائشة رضى الله عنها : « أنها زفت امرأة من الأنصار ، فقال النبى ﷺ : يا عائشة ، ما كان معكم من لهو ، فإن الأنصار يعجبهم اللهو » .

٤ ـ روى الجماعة إلا مسلماً والنسائى عن الربيع بنت معوذ قالت : دخل على النبى ﷺ غداة بنى على ، فجلس على فراشى كمجلسك منى ، وجويريات يضربن بالدف ، يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر حتى قالت إحداهن : وفينا رسول الله يعلم ما فى غد . فقال النبى ﷺ « لا تقولى هكذا ، وقولى ما كنت تقولين » .

وبعد ، فهذه أربعة أحاديث منها الضعيف اصطلاحاً (١) ، ومنها الحسن ، ومنها الصحيح تشهد للرخصة التى عرفتها الأمة الإسلامية من عهد نبيها ﷺ إلى يومها هذا فى الغناء والدف فى العرس ، ولكن بشروطها ، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك ، وها هى شروطها :

١ ـ أن تكون فى عرس نكاح شرعى .

---

(١) المراد بالاصطلاح هو أن علماء الحديث رحمهم الله تعالى وضعوا شروطاً لقبول رواية الحديث فان توفرت تلك الشروط فالرواية صحيحة والحديث مقبول ، وإن لم تتوفر فالحديث ضعيف . ويفهم من هذا أنه قد يكون الحديث ضعيفاً اصطلاحاً، وهو فى نفس الامر صحيح ثابت عن النبى ﷺ ، فلذا ينبغى للمؤمن الصادق أن يحتاط فى رد الحديث .

٢ ــ أن يكون الدف عبارة عن إطار غربال قد جعل عليه جلد فقط بحيث يخلو من الوتر ، ومن أى شىء زائد عليه لقوله ﷺ : « واضربوا عليه بالغربال». فنص على الآلة الخاصة ، وهى الغربال ، ولذا أتى بأداة التعريف للعهد أى : الغربال المعهود عندكم ، حتى لا يتناول غير النوع المعروف ، ولو لم يكن هذا مراداً لجاء التعبير هكذا : واضربوا عليه بغربال .

٣ ــ أن يكون الغناء بألفاظ خالية من الفحش والبذاء ، ومن الزور والباطل، وما بها من شائبة شرك ، ولا رائحة كفر أو هجر .

٤ ــ أن يكون المغنى نساءً لا رجالاً ، لأن النساء هن المعروفات بالصوت والغناء ، أما الرجل إذا تغني فهو متشبه بالنساء ملعون على لسان محمد ﷺ لقوله عليه الصلاة والسلام: « لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء » .

٥ ــ أن لا يكون مع النساء المصوتات فى العرس رجال أجانب ، لأن اختلاط الأجنبى بالنساء حرام ، ولأن سماع صوت الاجنبية بلذة حرام كذلك .

٦ ــ أن يضمن صاحب العرس نظافة الالفاظ التى تقال وطهارتها وأن يراقب كل ما قد يقال فى غناء العرس فيبيح [1] منه ما أباحه الشرع ، ويمنع ما منعه ، ودليل هذه المسألة : أن النبى ﷺ رد على الجارية قولها : وفينا رسول الله يعلم ما فى غد . ومنعه لانه فيه رائحة شرك بنسبة علم الغيب إلى الرسول ﷺ وأباح لها ﷺ باقى كلامها ، لانه ما فيه من بأس ولا محذور ، فقال لها : « دعى هذا ، وقولى ما كنت تقولين » !

فإذا توفرت هذه الشروط جاز الدف والغناء أو الصوت كما هو تعبيره ﷺ ، وما أصحه من تعبير ! لان المقصود من الغناء فى العرس مجرد إظهار النكاح بصوت مرتفع عال يسمع ، لا التلذذ بالنغم ، والتمتع بنبرات صوت الحسان.

---

(١) قد ينكر علينا البعض هذا الشرط . ويستبعد ما يلزم صاحب العرس من مراقبة الالفاظ التى تقال فى عرسه. ولكى نقنع هذا البعض بأن ما اشترطناه سليم ومعقول وممكن ميسور ايضاً نقول : إذا كانت الحكومات اليوم لا تسمح بالقاء كلمة فى حفلة أو بنشرها فى صحيفة أو إذاعتها فى محطة إرسال إلا بعد مراقبتها والاطلاع عليها وحذف ما ينبغى أن يحذف منها ، وكل هذا من أجل السياسة والحكم لا غير . فلماذا لا تراقب التى تقال فى العرس إذاً حتى يحذف منها ما لا يجوز قوله وسماعه ويترك ما يجوز . أم السياسة أولى بالمحافظة عليها من توحيد الله وشريعته ؟ !

والله أكبر ما أجمع كـلامه ! وما أدق تعبيره ! وما أصح قصـده ! جعلنى الله فداء سننه ، وضحية شريعته .

هذا وينبـغى أن نعلم أن الذى شرعـت هذه الرخصة من أجـله هدف سام ، وأن الغرض منها غرض شريف . إنها كانت لـلفصل بين النكاح الحرام ، والنكاح المباح الحـلال . إنها أشبه برخـصة أكل الميتـة للمضطـر إذ تلك أبقت علـى نفس مسلمـة ؛ وهذه أبقت على نفوس ، وعـملت على صيانـة أعراض . ومن أجل هذا شرعها وحث عليها رسول الله ﷺ .

الرخصة فى الغناء واللهو فى العيد

وبيانها

١ ـ أخرج مسلم فى « صحيحه » عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل عليَّ أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث ؛ قالت : وليستا بمغنيتين ؛ فقال أبو بكر : أبمزمور الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ ؟ ! وذلك فى يوم عيد . فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً ، وهذا عيدنا » .

٢ ـ رواية البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش وحول وجهه ؛ وجاء أبو بكر فانتهرنى ، وقال : مزمارة الشيطان عند رسول الله ﷺ ؟ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : « دعهما » ؛ فلما غفل غمزتهما فخرجتا . وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب ، فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال : «أتشتهين تنظرين » ؟ قلت : نعم ، فأقامنى وراءه خدى على خده وهو يقول : «دونكم بنى أرفدة » حتى إذا مللت قال : « حسبك ؟ » قلت نعم . قال : «فاذهبى » .

٣ ـ روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « بينما الحبشة يلعبون عند النبى ﷺ بحرابهم فى المسجد ،دخل عمر فأهوى الى الحصباء فحصبهم بها . فقال رسول الله ﷺ : « دعهم يا عمر » .

٤ ـ وفى لفظ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لعبت الحبشة لقدومه فرحاً بذلك . وهذا اللفظ متفق عليه .

فهذه أربع روايات ثابتة صحيحة لا شك فيها . أما الأولى : فهى مؤذنة بترخيص الشارع ﷺ فى الغناء والدف يوم العيد وهذا ظاهر من قوله ﷺ : «إن لكل قوم عيداً ، وهذا عيدنا » . ويفهم من هذا أنه لو كان فى غير العيد لوافق نهى أبى بكر محله ، ولما رخص للجاريتين فى الدف والغناء ، لأن الأصل المنع ؛

ولذا لما رأى أبو بكر رضى الله تعالى عنه ذلك بـادر الى إنكاره قياماً بواجب النهى عن المنكر ، ولهذا ايضاً احتاج النبى ﷺ إلى الـتعليل لهذا الحكم المخالف لما تقرر قبل من منع الـغناء والدف فقال : « إن لكل قوم عيداً ، وهذا عـيدنا » وفى لفظ «حتى تعلم اليهود أن ديننا فسيح » .

والملاحظ هنا أمور وهى :

١ ــ الرخصـة الشرعية تقـدر دائماً بقدر الحاجـة ، ولا يتعدى محلـها ، فلا يجوز أن نعدى هذا النوع من اللهو الى غير العيد .

٢ ــ قول عائشـة رضى الله عنها « جاريتان » وقـولها « ليستا بمغـنيتين » يدل على أن هذه الرخصة كانت فى غناء جاريتـين صغيرتين ، والصغار يرخص لهم ما لا يرخص لـلكبار فـى باب اللهـو واللعب . وان هـاتين الجاريتـين لم تكونـا من المعروفات بالغناء المشتهرات ، فيفهم من تنصيصها على هذا أنهما لو كانتا معروفتين بالغـناء لم تكن لـتسمح لهـما بذلك ، وإنمـا لما رأت أنهما صـغيرتان وأن ما كـانتا تقولانه من الكلام لا يعدو كونه أناشيد فخر وحماس قيلت فى حرب من الحروب السابقة فأغضت عنهما لذلك . وخاصة وأن عـائشة يومها كانت صغيرة تحب اللهو واللعب بطبعها .

٣ ــ قول أبى بكر رضى الله عنه « مزمارة الـشيطان » دال على علم سابق له بأن الغناء والدف منهـى عنهما ، وأنهما من صوت إبليس يوقـد به الفتن ويهيج به الشرور والشهوات ، ويضل به عن سبيل الله ويصد عن ذكره .

٤ ــ قول عائشة رضى الله عـنها : « فلما غفل غمزتهمـا فخرجتا » دال على انها رضى الله تعالى عنـها كانت تشعر بالاساءة حيث سمحت للجـاريتين بالتدفيف والانشاد ، وأن الرخـصة وإن حصلت فى هذا الـنوع من اللهو فى هـذا اليوم لم تكن لتزيل من نفـسها ما شعرت به من مرارة الإساءة ، فلذا تحينـت الفرصة لغفلة النبى ﷺ وأخرجتهما من البيت .

٥ ــ أليس من خطل الرأى ، وخطأ الفهم ، وعمى البصيرة كذلك الاحتجاج بهذه الرخصة على أن الـغناء والمعازف ، وبالكيفية التى يعـرفها الناس اليوم ، ولا يعرفون سواها مباحان وحلالان ولم يحرمهما كتاب ولا سنة !؟

أين ما قالته بنتان صغيرتان من أبيات شعرية مضمونها الحماس والفخر، حيث ان هذه الابيات قد قيلت فى حرب تعتمد على إثارة النعرة وتقوية الحماس، شأنها شأن سائر الحروب ، أين هى من الاغانى الشائعة اليوم ، والتى لحمتها وسداها ألفاظ الفحش والبذاء والهجر والكفر ،ومعها أصوات العاهرات المومسات، وأصوات المخنثين الماجنين مما لا يجيز الاستماع إليه والتلذذ به إلا فاسق لا يطيب له العيش إلا فى حياة المجون والخلاعة ؟ .

هذا ، وأما باقى الروايات فإنها دالة على رخصة أخرى وهى اللعب واللهو يوم العيد إذا كان اللعب يتضمن فائدة تعود على المسلمين بالخير وكان خالياً من كل ما يسيء أو يضر الفرد أو المجموع فلعب الحبشة كان قطعاً بالحراب والدرق ، وهو عبارة عن تمرين على سلاح ، ورياضة على كيفية استخدامه ، كما هو إظهار للبطولة، وابراز لروح المقاومة ، وحب الجهاد . وكل ما فيه أنه مازجه نوع من خفة المرح ، ونشاط الفرح كان سببه يوم فرح عام هو يوم العيد . وأين هذه الرخصة بشروطها من السهرات الحمراء ، والمراقص الماجنة التى تشرب فيها الخمور ، وتنتهك فيها الاعراض ، وتذبح فيها الكرامة ، ويهدر فيها الشرف والطهر والعفاف !؟ .

ومع هذا كله ـــ ويا للأسف ـــ ولا يخجل ـ إخواننا المنحرفون عندما يجملون القول تضليلاً وتمويها ويقولون : الكتاب والسنة لم يحرما الغناء ، والمعازف ، ولا الاستماع إليهما ! ! .

ثم يتبجحون بالتضليل والمغالطة وكأنهم اكتشفوا لأمة الاسلام « الذرة أو الهيدروجين » لتعتز بذلك وتغلب وتسود .

ألم يعلموا أنهم بمثل هذه المواقف الشائنة يخدمون أصحاب الاهواء ، وعباد الشهوات ، ويساعدون الاستعمار الغربى الذى يدين بالمسيحية ويناصر الصهيونية يساعدونه على القضاء على الروح الدينى فى نفوس المسلمين ليسهل لهم بذلك الاستيلاء مرة اخرى على البلاد الاسلامية ، والسيطرة عليها من جديد بعد أن طردوا منها بفضل الله تعالى ثم بفضل الروح الدينى الذى استيقظ فى نفوس المسلمين فى هذا العهد الاخير ، فحملهم على المطالبة بعزة المؤمن وكرامة المسلم فى الحياة ، ثم على انتزاعهما بالقوة من أيدى الغاصبين المسيحيين .

حجج المقنع فى اباحة الغناء

ودحضها

١ ـ احتج المقنع فى إباحة الغناء بقوله تعالى : ﴿ **ويحلُّ لهم الطيبات** ﴾ من سورة الأعراف حيث السياق هكذا : ﴿ **الذين يتبعونَ الرسول النبىّ الأمىّ الذى يجدونهُ مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهمْ بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحلّ لهم الطيبات ويحرمُ عليهم الخبائث** ﴾ الاعراف ١٥٧ الآية . فقال : إن الطيبات قد فسرت بالمستلذات ، وما دام الأمر كذلك فالأصوات المطربة مستلذة والغناء مستلذ ، والمعازف مستلذة ، فهى إذاً حلال ـــ وغره أن التفسير للطيب بالمستلذ هو تفسير لغوى لا شرعى . ففهم أن كل مستلذ حلال ، وأعجب أنت أيها المؤمن الصالح من هذا الفهم الغريب والاستدلال العجيب !

إن صاحب هذا الفهم لم يبق أمامه ـ وعلى طول الخط ـ أى محرم أو ممنوع قط ما دام مقياسه فى معرفة الحلال والحرام هو اللذة ؛ فإن الزنا لذيذ ، وشرب الخمر لذيذ كذلك ، فهما إذاً حلالان مباحان حسب فهمه . وسماع الباطل يلذه السمع طبعاً ، وتستروح النفس عنده فهو إذاً حلال مباح ، والتمتع بمغازلة الحسان ومداعبتهن فى أماكن الريبة لذيذ ، فهو إذا حلال ، وهكذا فكل ما وجدت فيه لذة فهو فى حكم صاحب هذا الفهم حلال مباح ولو حرم بألف آية ، ومليون حديث !!

هذا هو فهم المقنع للاية الكريمة ، والذى أدى به إلى تحليل الحرام والعياذ بالله تعالى . وأما ما يفهمه سائر المؤمنين والمفسرين من هذه الآية فهو أنه لما سأل موسى لنفسه ولبنى إسرائيل قومه حسنة الدنيا ورحمة الآخرة بقوله : ﴿ **واكتبْ لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليكَ** ﴾ الأعراف : ١٥٦ أجابه الحق عز وجل بقوله : ﴿ **عذابى أصيبُ به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقونَ ويؤتونَ الزكاة** ﴾ إلى قوله: ﴿ **ويحلّ لهم الطيبات** ﴾ الأعراف ١٥٦ , ١٥٧ . ومعنى هذا أن الله تعالى لم يقبل دعوة موسى على إطلاقها بل جعلها مقيدة بالنسبة إلى الأجيال المقبلة من قومه بالتقوى وإيتاء الزكاة ، واتباع النبى سيدنا محمد ﷺ . وهذا الصرف الذى وقع لموسى عليه السلام عن مطلق دعوته كان قد وقع مثله لإبراهيم عليه السلام .

وذلك لأن الله تبارك وتعالى لا يحابى ولا يوارب ولا يجامل ، وإنما يهب فضله ، ويعطى رحمته لمن يتعرض لها بالتوقى من الشرك والشرور والمفاسد، وبالتزكية للروح بالايمان الصحيح والعمل الصالح فقد قال تعالى لابراهيم: ﴿ **إنى جاعلكَ للناس إماماً** ﴾ البقرة ١٢٤ . حصل له هذا الشرف وهذا الفضل والكمال بعد نجاحه فى الامتحان المرير القاسى الشديد ، والمشار إليه بقوله تعالى : ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربهُ بكلمات فأتمهنَّ قالَ إنى جاعلكَ للناسِ إماماً** ﴾ البقرة : ١٢٤ .

فلما سمع إبراهيم هذا الوعد الإلهى المقطوع بوقوعه تشوفت نفسه عليه السلام الى تعميمه لكافة ذريته من بعده ، وكيف وهو الأب الرحيم ؟ فقال : ﴿**ومن ذريتى** ﴾ البقرة :١٢٤ ، فصرفه الله تعالى عن تعميم الإمامة فى كل ذريته بقوله جلت قدرته وتعالت كلماته : ﴿ **لا ينال عهدى الظالمين** ﴾. البقرة : ١٢٤ .

وبعد هذا الخروج البسيط عن الموضوع نعود الى ما نحن بصدده فنقول : إن قوله تعالى :﴿ **ويحل لهم الطيبات** ﴾ الأعراف : ١٥٧ . جاء فى أعقاب ذكر النبى ﷺ فى التوراة ، ويحمل القول فى ذلك أن ما طلبه موسى عليه السلام له ولقومه كان مشروطاً بالنسبة الى قومه من بعده باتباع النبى الأمى الموصوف بأنه يحل لليهود ما كان محرماً عليهم من الطيبات التى حرمت عليهم بظلمهم ، كما قال تعالى : ﴿ **فبظلمٍ من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم** ﴾ . النساء: ٦٠ . وهذه الطيبات التى حرمت عليهم بظلمهم ويحللها لهم النبى الأمى إن هم آمنوا به واتبعوه هى كل ذى ظفر من بعير ، ونعامة ، وشحوم البقر والغنم ، كما قال تعالى : ﴿ **وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا ، أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون** ﴾ الأنعام : ١٤٦ .

ومن هنا يعلم يقيناً أن المراد بالطيبات فى هذه الاية هى كل ذى ظفر وشحوم البقر والغنم إلا ما استثنى منها . وليس كما يفهم المقنع من انها ما استلذ وطاب، بل المراد بها طيبات خاصة كانت قد حرمت على اليهود عقوبة لهم على فسقهم وظلمهم. وبما أن شريعة نبينا ﷺ ناسخة لما قبلها من الشرائع فإن من يؤمن به من اليهود ويتبعه يحل له ما كان محرماً عليه فى الشريعة المنسوخة ، وخاصة تلك الطيبات التى ما كانت لتحرم عليهم لولا ظلمهم واعتداؤهم .

والآن ، ألم تر أيها المؤمن الصادق أن المراد بالطيبات فى هذه الآية هى تلك

التى كانت قد حرمت على اليهود بظلمهم ، وجاء نبيناً ﷺ بشريعة ناسخة لما قبلها فأحلتها لهم ؟

وهل فى هذه الآية بعد هـذا من دليل للمقنع على أن المراد بالطـيبات فيها هو ما استلذ وطاب حتى الغناء والزمر وسماع الشر والباطل ؟

والجواب الـصحيح : أنـه لا دليل للـمقنع فـى هذه الآية علـى إباحة الغـناء والزمر واللهو ؛ ومن طـلب منها دليلا على ذلك فقد صد عن سـبيل الله وابتغاها عوجاً ، والعياذ بالله .

ومن الانصاف أن نقول : إنه قد جاء ذكر الطـيبات فى القرآن الكريم فى غير هذه الآية ، وكان المراد به مطلق اللذيذ الطيب ،ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** ﴾ غير أن المفسرين مجمعون على أن المراد بالطيب هـنا زيادة على كونه لذيذاً غيـر مستقذر أنه حلال مباح بالحـكم الشرعى. وإذاً فلا حجة فيه للمقنع كذلك .

٢ ــ حديث الجاريتين الـذى سبق أن ذكرناه بنصه وبألفاظه المخـتلفة وهو كما عرفت أيـها المؤمن الـصادق لم يدل عـلى اكثر من رخـصة شرعيـة مقيدة بـقيود ومشروطة بـشروط ، فإن وجدت قيودهـا وتوفرت شروطها جـازت ، وكانت دالة على جواز الصوت بـالاناشيد فى يوم العيد ولو كـان معها دف ، وإلا فلا تجوز . والامة مجمـعة على هذه الرخصة وجـوازها ، وقد حملت هذا الحديـث الشريف بألفاظه المختلفة عليها وقصرته عندها . كل ذلك فهما من الامة للنصوص الشرعية والكليات والقواعد العامة فى دين الاسلام .

وشىء آخر فهل يقاس ــ أيها المؤمن ــ غناء جارية صغيرة تغنى لجارية صغيرة مثلها وتسمعها صوتها الذى لا يتعدى جدارى المنزل بغناء عاهرة ماهرة تخرجت من معاهد الدعارة والفجـور تغنى للرجال والنساء معاً ، وبألفـاظ قذعة قذرة ، ويبلغ صوتها كل بيت وشارع ودكان ، ويطبق أقطار السماء والأرض ؟؟ .

٣ ــ حديـث لعبة الحبشـة بالحراب والدرق فى المسـجد وهو كما سبـق مقرر للرخصة التى عرفتها الأمة المحمدية من عهد نبيها ﷺ الى يومها هذا ، وهى جواز بعض الالعاب المتوخـى فيها فائدة تعود على الأمة بالصلاح والخـير ولذا فإن كثيراً من الاقطار الإسلامية ما زال أهلها يلعبـون بالخيول يوم العيد ، ويظهرون مهارات فائقة فى ركوبهـا ، وبطولات فى الفروسية عجيبة . وهـذا ولا شك نافع وصالح

وهو من نوع ما جاء فى حديث الحبشة ، لأنهم كانـوا يقفزون فى حركات خفيفة وهم يلوحون بالحراب ويضربون بها الدرق ، ولما فى هذا من اظهار قوة الإسلام، وإحياء روح الدفاع والمقـاومة فى النفوس كان ﷺ يدفع عنهم ويـقول لعمر رضى الله عنه : « دعهم ياعمر » . ويؤمنهـم قائلا : « أمناً بنى أرفدة » . وهذا عين ما كان يقام من ألعاب بطـولية بالسيوف عند زيارة الملك الصالـح عبد العزيز آل سعود ــ رحمـة الله تعالى عليـه ــ لأحد مناطـق مملكته إبـان حياته . وشتان مـا بين ما رخص فيه الشارع من هذا اللعب الطاهـر الذى لم يخرج عن كونه رياضة بدنية ، الأمة فى حاجـة إليها ، والى تشجـيعها ، وبين ما يـدعو إليه الخليعـون فى البلاد الإسلامـية من الرقـص الماجن ، والفـواحش القـبيحة ، واخـتلاط الجنسـين فى المسارح، والاغانى الخبيثة ، والزمر الجنونى .

وأخيراً فهل حديث الحبشة ولعبهم فى المسجد بالحراب والدرق فى يوم عيد أو ما هو كالعـيد من قدوم نبى عظيـم ، أو صالح كريم : هو صالح للاحـتجاج بأن اللهو واللعب والغناء المعروف اليوم مباح حلال ؟ .

ومن يقول بهذا أيها المؤمن الصادق ــ سوى صاحب هوى مفتون ؟ .

٤ ــ حديث عائشة رضى الله عنها فى قصة زفاف الفتاة التى كانت فى حجرها وأن النبى ﷺ قال : « فلو بعثتم من يقول معها :

أتيناكم أتيناكم   فحيونا نحييكم

هذا الحديـث هو عين ما أخذت منـه أمة الإسلام رخصة الصـوت والدف فى العرس ، وهى تعمل بها فى كل بلاد العالم الإسلامى إلى ما بعد اليوم معتقدة أن الصوت والدف فى العرس شريعة نبيها ﷺ ، وأنـها رخصة العرس التى لم ينكرها مسلم واحد منـذ أن كانت إلى اليوم ،و كيف ؟ والرسول ﷺ يـقول: « فصل ما بين الحلال والحرام : الدف والصوت فى النكاح » .

فهل لنا أن ننقل هذه الرخصة عن موضعها ، ونعديها إلى غير محلها ، ونبيح الغناء والزمر ، فنحول بيوت المسلمين إلى مراقص ومزامر وأغان شيطانية عابثة من هذا الزمر الجنونى ، والأغانى الفاحشة ، التـى ذهبت بإيمان وحياء كثير من الناس وحولت كثيراً من الأسر إلى ندامى ما بينـهم من حياء ولا احتشام ، حتى لكأنهم

قوم خليعون صفيقون يعيشون طول دهرهم على الاجرام والفساد ؟ .

٥ ــ حديث « لله أشد أذنا ـــ (سماعا) ــ إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته » .

فيا للعجب كيف يتخذ هذا الحديث دليلاً على إباحة الغناء والزمر ؟ وما فيه أكثر من أن صوت الرجل ـــ لاالمرأة ــ وبالقرآن لا بألفاظ الدعارة والتخنث يحبه الله كثيراً ويسمعه بكيفية أشد من سماع صاحب القينة إلى قينته !!

وأما قوله : من صاحب القينة إلى قينته ــ إن تشبث به المقنع ورأى فيه دليلاً على ما يدعو إليه ، لما فيه من إشارة إلى سماع صاحب الجارية من جاريته فليس فيه من دليل قط ، لأنه من الجائز أن تغنى المرأة لزوجها ، والجارية لسيدها بألفاظ طاهرة تترنم بها المرأة أو الجارية فى بيتها أمام الزوج أو السيد ، ، وأى محذور فى هذا ؟ إنه إذا كان قد حل للسيد من جاريته فرجها فكيف لا يحل له أن يسمع صوتها ؟ وإذاً فكيف يتخذ هذا الحديث دليلاً على اباحة أغانى المخنثين تسمعها العفيفات ، وعلى أغانى العاهرات يسمعها الرجال الصالحون وفى كل يوم وليلة ، وفى كل بيت ومكان ؟

٦ ــ حديث نذر الجارية الضرب بالدف بين يدى رسول الله ﷺ ان رده الله من سفره سالماً معافى .

اليس الدف مرخصاً فيه شرعاً فى العرس والعيد ؟

واذا كان هذا معلوماً للجارية ، فلماذا لا يجوز لها أن تنذر ضرب الدف أمام نبيها ﷺ فرحاً بمقدمه ؟ اليست عودة النبى ﷺ سالماً الى أنصاره وداره ومحبيه وحوارييه عيداً من خير الأعياد ، والأعياد قد رخص فيها الدف والصوت واللعب؟ فما المانع اذاً من أن تنذر هذه الطفلة الصغيرة والتى لم تكلف بعد ضرب الدف يوم عيد قدومه ﷺ ؟

ومع هذا فقد قال لها عليه الصلاة والسلام : « إن كنت نذرت فأوفى » . ومفهومه انها لو لم تنذر لما دففت امامه ﷺ وان قيل : لو لم يكن الدف مباحاً لما جاز نذرها ولا صح ،لأن نذر المعصية لا يجوز ، قلنا: نعم فإن الرخصة بجواز الدف فى العرس والعيد معلومة معروفة وهذه من تلك فأين اذاً محل الاستدلال

من هذه القصة بأن الغناء والمزمار حلالان مباحان ! ؟.

٧ ـ قول المقنع : والقصب والآلات الوترية لم يرد فيها نص صحيح يمنعها.

اعلم أيها المؤمن الصادق أن قوله هذا بالرغم من أنه مغالطة مفضوحة ، فإنه دال على جهل الرجل وعدم علمه حتى بمدلولات الألفاظ العربية ، وبيان ذلك :

١ ـ أن هذه الآلات تسمى معازف ، وقد جاء تحريمها فى « صحيح البخارى» تحريماً قطعياً ؛ لأن الصيغة التى وردت فى ذلك من صيغ التحريم الشديدة حيث صاحب ذلك إبعاد لأصحابها ومرتكبيها بالمسخ قردة وخنازير ، وقد تقدم نص الحديث فليرجع إليه !

٢ ـ أنه يريد بفهمه هذا من الرسول ﷺ أن يكون فناناً عصرياً قد استخدم كل آلات الطرب ، وعرفها واحدة واحدة لكثرة ممارسته لها ، فيسمى له كل آلة باسمها الخاص ، كأن يقول له : العود حرام ، البيانو حرام ، القيثارة حرام ، وهكذا .

مسكين أخونا المقنع ! ألم يعلم أن نبينا الطاهر ﷺ قد أوتى جوامع الكلم ، وأن قوله : المعازف ، شامل لكل آلة ؛ سواء كانت ذات وتر أو غيره . إن العزف فى اللغة : الصوت المطرب من أى مصدر كان ، وآلته تسمى معزفاً وتجمع على معازف . وبناء على هذا ، فإن صوت المغنى والمغنية داخل فى لفظ المعازف بحكم أنه صوت مطرب وهو إذاً حرام بالحديث الصحيح الصريح الذى أخرجه امام المحدثين البخارى رحمة الله تعالى عليه . وبعد هذا فهل بقى للمقنع من يصدقه فى أن القصب والآلات الوترية لم يرد فيها نص صحيح يمنعها ؟

٨ ـ استدل المقنع على اباحة الأغانى الحالية التى حرمها الكتاب والسنة وإجماع الأمة بعمل ابراهيم بن سعد . وما أتفه ما استدل به ! لأن ابراهيم بن سعد هذا رجل مطعون فيه ، وقد قدمنا قول الإمام مالك فى أمثاله ممن عرفوا بالفسق والزمر فى المدينة . فقد قيل لمالك : ما تقول فيما يترخص فيه بعض أهل المدينة من الغناء ؟ فقال : إنما يفعله الفساق عندنا . الله اكبر ! قد فسق الإمام مالك مفتى المقنع ، وعمدته فى إباحة الغناء ، وسنده فى جوازه ، وبطل استدلاله بفتاويه .

وبلا اسف إن إبراهيم بن سعد هذا والذى يرفع المقنع نسبه إلى أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ظناً منه أننا نقيم لغير

الإيمان والعمل الصالح وزناً ، والله يقول : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ الحجرات : ١٣ ، ونبيه ﷺ يقول : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . ونبيا الله نوح ولوط عليهما السلام قيل لزوجيهما ﴿ **ادخلا النار مع الداخلين** ﴾ التحريم : ١٠ ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً .

نقول : ان ابراهيم بن سعد هذا قد فسقه المقنع نفسه عندما قال : انه يفتى بالحل ! فتعبيره هذا يفهم منه بوضوح ، وكما هو الواقع أن الأمة الإسلامية فى عصورها الذهبية الأولى كانت على تحريم الغناء ،وأن ابراهيم هذا كان يفتى بالحل خروجاً عن الأمة الإسلامية وجماعة المسلمين ، وأى فسق أعظم من الخروج على جماعة المسلمين ، واتباع غير سبيل المؤمنين ؟

وليس أدل على تفسيق المقنع لصاحبه ومفتيه الذى يحتج بفتاويه على حلية ما حرم الله ورسوله من الأغانى الماجنة والمعازف المنكرة من قوله فيه : انه قد سمع منه الإمام أحمد بعدأن كان ابراهيم قد حلف ألا يحدث حديثاً ــ طبعاً عن رسول الله ﷺ ــ إلا بعد أن يغنى على عود . ويا لضياع سنة الرسول اذا كانت تؤخذ عن الحشاشين ، وأصحاب الأهواء والمجون !! ويالخسارة الإسلام ، اذا كانت نصوصه تطلب من هذا النوع الرخيص من الناس ! !

اسمع يا مقنع ! انك والله لو كنت صادقاً أو ناصحاً ، وأنك لا تريد الا نصرة الإسلام وحمايته كما زعمت مطولا فى حديثك لما استطعت أن تذكر هذه الحادثة، ولو ثبتت لديك باليقين ، وبرؤية العين ؛ لأنك بذكرها تهدم أركان الإسلام ، وتزلزل الإيمان فى قلوب المؤمنين ولكن لا لوم ولا تثريب ما دامت الدوافع معروفة، والأسباب مكشوفة .

وأخيراً ، فمن هو هذا إبراهيم الموهوم المطعون والذى تكون فتواه حجة على إجماع المسلمين، وعلى نصوص الكتاب والسنة ، من هو يا ترى ؟ أصديق هو ، أم عبد الله بن مسعود ، أم عبد الله بن عباس ، أم القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، أم عمر بن عبد العزيز ، أم مالك ، أم الشافعى ، أم أبو حنيفة، أم أحمد ، وكلهم ما بين محرم للغناء ومفسق للمغنى والمستمع ؟

وأخيراً ، فهل يتوب المقنع إلى الله ويستغفره فإن الله يتوب عليه ويعتقد كالصالحين حرمة الغناء والمعازف ، ويعلن عن توبته من على منبره ، فنحمد الله له على التوبة ، ونهنيه على الرجوع ؟ ؟ .

حجة الظاهرى الداحضة

فى إباحة الغناء والمعازف

هل تدرى أيها المؤمن الصادق بما احتج هذا المتظاهر ؟

هل تدرى بما احتج على إباحة الغناء والمزامير والمعازف والاستماع اليها ؟ هل تدرى بماذا احتج وعج ؟

انه لم يحتج على صحة ما ادعاه بكتاب ، ولا سنة ولا قياس ، ولا إجماع الأمة . انه لم يحتج بأكثر من رأى رجل خرج على المذاهب الأربعة ، وحارب اكثرها ، وشنع على كثير من أصحابها ، وسفه آراء كثيرة ، وكأنه لم يرَ إلا رأيه صائباً ، ولم يعرف إلا نفسه راشداً .

احتج المتظاهر برأى رجل تطاول على العقول ، وسفه الأحلام ، وضلل المفاهيم وجمد على ظاهر النصوص ، فكان حظه منها ما طفا على سطح العبارة،ولو صور الجنة مغارة ، والنار منارة .

ومزالق هذا الرجل الذى اتخذه متظاهر الرائد اليوم قدوة له وإماماً ، واحتج بقوله فى تحليل ما حرم الكتاب والسنة والإجماع ، والقياس والعقل والنقل . نقول مزالق هذا الرجل وسقطاته أشهر من أن تذكر ، وأكثر من أن تحصر. وهاك أيها المؤمن المتبصر صورة مصغرة من مزالق هذا الرجل حتى لا تحدث نفسك أبداً بأن ما قاله فى الزمر والغناء قد يحتمل الصدق ــ أو الصحة بحال . روت الأئمة عن نبيها ﷺ قوله : « لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يغتسل فيه » . وفهمت أن نبيها نهاها عن البول فى الماء الذى لا يجرى إذا هى أرادت ان تغتسل فيه ، لأنه يتقذر بالبول ، أو يتنجس به ، وهو فهم منطقى سليم . ويأتى الظاهرى فيقول : لو أننا تغوطنا فى الماء الدائم ثم اغتسلنا فيه لما كان فى ذلك من بأس ، لأن النبى ﷺ نهى عن البول فقط ،ولم ينه عن التغوط ! واعجب أنت أيها المؤمن من هذا الفهم السقيم ، واعجب اكثر من متظاهر الرائد ، إذ يطلب من أمة الإسلام اليوم أن تتنكر للكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وتحلل الغناء والخنا والفحش وكل طريق يؤدى الى الزنا ، لأن ابن حزم يرى هذا !

فقط لأن ابن حزم الظاهرى يرى هذا ! !

ولك ألا تعجب أيها المؤمن فإن (للمتـظاهرين) عجائب وغرائب وأن منها ما طلع به عـلينا متظاهـر اليوم من أن الكتاب والسـنة لم يحرما الغـناء والمعازف ولا الاستماع اليها ، لأن الظـاهرى فى هذا الباب لم تقنعه الكليـات العامة فى الكتاب والسنة ،والتـى فهمت منها الأمة الإسـلامية جمعاء تحريم الغـناء والمعازف ، وإنما يريد أن ينزل القرآن يقول : المزمار حـرام ، والقيثارة حرام ، والمعازف والاستماع اليهـا حرام ، وعندها يـصدق ويفهم كـما فهمت الأمـة انها حرام . مسـكين هو الظاهرى ! ومسكين هو هذا المتظاهر الذى خرج علـى المسلمين اليوم بفتنته العمياء يكتب بـحروف غليظة حـمراء ، وبكل تبجـح مزر ، ووقاحة شائـنة ، ويقول : الكتاب والسنة لم يحرما الغناء ولا استعمال المعازف والمزامير ولا الاستماع اليها .

وكأنـه قد اكتشـف على طـول البحث عـنصراً هـاماً من عـناصر تقـدم الأمة ورقيها، فـجاء يعلن عن ابتـهاجه وفرحته بما حقـقه الله على يديه من عـثوره على رسالة للـظاهرى الأول ، كان قد ضمـنها إحدى سقطاتـه التى أشرنا اليـها آنفاً ، فنشر فصولاً منها بنصها وفصها تحت عـنوانه : الكتاب والسنة لم يحرما الغناء الى آخر الهراء . . مـسكين هو هذا المتـظاهر !! ألم يعلـم أنه عندما يقـول : الكتاب والسـنة لم يحـرما الغـناء والمعازف ، وبـالخصوص فـى هذه الأيام ، وعلـى هذه الكيفيـة المعروفة اليوم ، أنه يدعـو إلى الخلاعة والمجون ، وإلى التحـلل والميوعة التى غيرت فطرة الشباب فى كثير من البلاد الإسلامية ؟

ومسكـين هو هذا المتـظاهر عنـدما ذهب بدافـع مناصرة الـشر ومشايـعة أهل الباطل ، يـقلب الأوراق البالية ، ويـبحث عن الآراء الخالية ، تـلك الآراء التى واراها الحق ، وأقبرها اليـقين . ولسوء حظه يعثر هذا المنقـب على رأى عفن بال عقيم هو رأى ابن حزم ــ غفر الله له وعفا عـنه ــ فى موضوع السماع . فطار به فرحاً ، ووقف على رأس مجلة « الرائد » يصيـح : أيها الناس الكتاب والسنة لم يحرما الغناء .

مسكين هو هـذا المتظاهر إذا كانت حجـته فى إباحة الغناء والمـعازف هى هذه التى تبخرت ولم يبق منها شىء !

وأنت أيها المؤمن الصادق فهل تأبه لمثل هذه الترهات ، وتعتقد تحليل ما حرم دينك ؟ إن مثل هـذا التضليل لا يغطـى عليك شمس الحق ، ولا يسـتر عنك نور اليقين . وكيف وأنت المؤمن الحق والمؤمن ينظر بنور الله .

ما وراء هذا التباكى ؟

إن المتأمل فى هذا الصراخ والبكاء والعويل الذى ما فتئت بعض الصحف المحلية للمملكة تنشره ، وتعلق عليه بمزيد من الاستحسان والتحبيذ . هذا البكاء أو التباكى على إذاعة الوادى الأمين « مكة المكرمة » ووصفها بأنها جامدة ، ومتأخرة ، وأنها مهجورة لجمودها وتأخرها ، وأن الشعب رغب عنها ، وأصبح أفراده يستمعون الى غيرها من إذاعات العالم اليها .

وأن مجهودات الحكومة وأموالها كلها ضائعة ، حيث إن الشعب قد انصرف بتاتاً عن هذه الاذاعة الجامدة . وصاحوا : ينبغى أن تنطلق الإذاعة من عقال الجمود ، وأن تتحرر من ربقة التزمت والتحفظ الذى لا يليق . ينبغى أن تساير العصر ، وتنافس إذاعات العالم حتى تكسب رضى الشعب ، وتظفر بالسمعة اللائقة بها فى دنيا المستمعين ! الى غير ذلك من البكاء والعويل .

وليس من شك فى أن مرادهم من تحررها ومسايرتها للعصر ، ومنافستها لاذاعات العالم هو أن تذيع الأغانى الخليعة الرخيصة لأشهر المخنثين والعاهرات فى دنيا العهر والخلاعة ، كل ذلك ليتلذذ السفهاء ، ويتمتع أصحاب الأهواء من رجال ونساء ! ويومها تصبح الاذاعة السعودية إذاعة راقية تستحق احترام الشعب وتقديره !

ومن أجل هذا فيما يظهر قام المقنع اليوم يشكك ، والمتظاهر يغالط ويضلل، ويدعيان ــ باطلا ــ أن ما يطلبه هواة الأغانى والمولعون بالمعازف والمزامير هو من الحلال الذى لم يحرمه كتاب ولا سنة .

ونحن الآن نتساءل ونقول : ماذا وراء هذا التباكى يا ترى ؟؟ .

ونجيب عن تساؤلنا إظهاراً للحقيقة وكشفاً للسر ، وتدليلا على إخلاصنا لهذه الحكومة الإسلامية التى لم يبق للإسلام فى دنيا الوجود سواها (١) ، والتى نود أن نحافظ على وجودها وقوتها وعزتها وطهارتها وصلاحها بأرواحنا ودمائنا ،

(١) بعد الله .

ويشهد الله على ذلك .

فنقـول : إن نار الحسد الـتى تتأجج فـى صدور كثير مـن إخواننا فـى الدين والجنس ، إن جـحيم البغض والـغيظ الذى يعيـش فيه أعداء الإسلام من مـسيح ويهود ، ذلك الحسد وهذا البغض اللذان سببهما : ما تتمتع به هذه الدولة المسلمة من سمعـة طيبة لدى المسلـمين عامة ، وما تحملـه لها القلوب المؤمـنة من إجلال وإكبار ، حتى انـه لا يوجد مسلم صحيح الإسـلام ، ولا مؤمن صادق الإيمان ، وفى أى بلد إسلامى ، كان ، الا ويتمنى بكل قلبه أن يحكمه ابن السعود ، وإنه لو يدعى الى مبايعته ملكا أو خليفـة للمسلمين لما تردد طرفة عين . وكان ذلك من أجل أن هذه الـدولة تمثل الإسلام وتـقوم به ، وتدعـو اليه ، وأن المسلـمين فى غيرها مـحرومون من لذة العيش تحـت ظلال دولة القرآن ، في حين أن المـسلمين فيها وتحـت رايتها ينعمون بـالأمن ، ويتمتعون بالـعدالة ، ويتلذذون بحيـاة الطهر والصفاء فى الظاهر والباطن معاً .

ولا شك أن هذه حالة داعية الى أن تحسد هذه الدولـة فى كرامتها ومكانتها . كما أنه قـد يخاف منها ان دام لـها مجدها وطهـرها ، وعم خيرها وطـار وانتشر صيتها فى الآفاق .

ومن أجل ذلك ـــ ولا شك ـــ عمل الحساد والمبغضون بطريق الدس والخديعة فى قوالب من النصح والتوجيه ، عملـوا على انزال هذه الدولة التى كانت معجزة القرن الرابع عشر ، هـذه الدولة التى لا يواليها الا مؤمن ، ولا يعـاديها إلا منافق كافر ، مـا دامت قائمة بأمـر الله ، عملوا علـى انزالها من عـلياء كرامتهـا وسماء مكـانتهـا الى المسـتوي الذى يـعيشـون هم فيـه . فشوهـدت فيهـا أمور أنكـرها الصالحون، وأحوال غريـبة لم يكن يعرفها المؤمـنون . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وها هى ذى قوى الشر اليوم تحاول النـزول بالاذاعة السعودية ، تلك الاذاعة التى تحمل راية لا اله الا الله ، وتمثل صوت القرآن ، وشخصية الاسلام ، تحاول النزول بـها الى أن تصبـح تذيع كل قبـيح وقذر ، لا فرق بـينها وبين اذاعـة لندن وباريس ، لتضحك رومـة المسيحية ، وتبكى مكة الإسلامـية آه ثم آه . ماذا يريد المنحرفون منا !! ؟ .

ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد ! ومن يدرينا أن الأمر مبيت ، والخطة مدبرة للمطالبة بوجود جوقة طرب للمحطة ، يختار لها الفنانون المهرة ، والفنانات الماهرات ؟ .

وما يدرينا أن هذه الحملة المسعورة على تحريم الغناء ما هى الا مجرد مناورة فقط، وأن الأمر أوشك أن يتم ، وتخرج (جوقة الطرب) الى حيز الوجود ، ويصبح يجلس فيها الفنان الى جنب الفنانة بلا حجاب ولا ستار ، لأن هذه طبيعة الجوقة حول أجهزة الارسال ، والأمور تجرى دائماً على طبائعها .

وياليت الأمر يقف عند هذا الحد ! وما يدرينا أننا سنسمع ضجة أخرى كهذه كذبة ـ أستغفر الله ـ كتبة جدد يطالبون بفتح معهد فى جدة أو فى مكة لتخريج المهرة من الفنانين والفنانات فى العزف والغناء ، بحجة أن الموجودين غير أكفاء ، وإنما هم متطفلون على الفن ؛ لأنهم لم يدرسوا دراسة خاصة ، ولم يكن معهم من الشهادات ما يخولهم لهذا العمل الدقيق .

والى متى وأموال الحكومة ضائعة يأكلها من لا يستحقها ؟ يجب أن يوجد معهد للفن فى بلادنا بما يتفق ونهضتنا العلمية وتطورنا الاجتماعى الذى يرعاه أبو الشعب ملكنا المحبوب !! .

ويوم يوجد هذا المعهد يأتى الشيطان بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على الفاسقين، أعزة على الصالحين ، أمثال دعاة الغناء والمزامير اليوم يكتبون بحروف حمراء وخضراء بارزة وظاهرة تحت عنوان : الكتاب والسنة لم يحرما العلم ، بل يفرضانه على كل مسلم ومسلمة . وما فن الموسيقى والإيقاع والغناء إلا علم من العلوم التى لا تتم نهضة أمة من الأمم ، ولا تكمل حضارتها الا بها ! .

ومن المقطوع به أنه عندما يصبح المعهد يخرج فنانين وفنانات يوظفون بألف ريال شهرياً فى دار الاذاعة اننا لا نجد ـ الا نادرا ـ من يتورع ولا يطلب لابنه أو ابنته مقعداً فى هذا المعهد ، ويضيق لذلك نطاق المعهد بما يضطر المسؤولين الى فتح معاهد تسد حاجة البلاد كما يقولون !

ويومئذ يضحك الشيطان قائلا على الطهر والصلاح العفاء ! .

وما قلناه وافترضناه فى الاذاعة نقوله ونفترضه فى تعليم البنت كذلك ؛ فإن

الضجة التى ثارت حول تعليم البنت لا تقل فى شدتها وعنفها عما هو ثائر حول الاذاعة ، فكم كتبت الصحف ونشرت المجلات ؟ وكم بكى أنصار التحرر وتباكى أبطال التقدمية . وقالوا مسكينة هى البنت السعودية ! محرومة هى البنت السعودية! إنها تعيش فى ظلمة المنزل وظلمة الجهل ! .

مسكينة هى البنت فى هذه البلاد ؛ محرومة من سلاح العلم ، ومن زاد العرفان . وبكوا وتباكوا الى أن خدعوا الحكومة الرشيدة وما أسهل خداع المؤمنين الصالحين ! .

وفتحت مدارس البنات ، وها هى ذى ابتدائية وقبل أن تكون ثانوية ، وقد أصبحنا ننكر ما كنا نعرفه من زى البنت المسلمة قبل . فرأينا الشعور تشذب وتهذب ، والملابس تنمق وتزوق ، والتكاليف ترتفع وتشقل . وكنتيجة حتمية ستفتتح مدارس ثانوية ، وبعد اعوام معدودة ولو كره المؤمنون امثالنا ويومها لا بد من السفور ثم الفجور . ومن قال لمه ؟ جوابنا له : انها السنن . والمقدمات لا تعدم نتائجها .

والذى استفاد من هذا الفساد قطعاً المثلث المعادى : المسيحية ، والصهيونية والخرافيون ، وليس غير ذلك ! .

هذا وبما أننا على بينة من أمرنا نقول متحدين كل عنصر فاسد ، ومعول هدام، وقلم مسخر : أرونا نتيجة كل هدم هدمتموه فى الإسلام غير محق للكرامة، وقتل للشخصية الإسلامية ، وانتزاع للروح الدينية من نفوس المؤمنين نؤمن لكم ونتابعكم ؟

ارونا نتيجة تعلم البنت ، وفى سائر البلاد الإسلامية ، والتى اصبحت البنت تملأ اكثر مقاعد المدارس المختلفة فيها ، وهل تستطيعون ان ترونا غير الخلاعة والسفور ، ومزاحمة الرجال فى الاعمال ، حتى كثرت البطالة فى الرجال ، وعظم دخل افراد ، ومات آخرون بالجوع والحرمان ؟

ارونا نتيجة معاهد الفنون وتخريج المغنين والمغنيات ، وهل ترونا غير الميوعة والتحلل ؟

ارونا نتيجة المسارح والسينمات التى يود كثير بجدع انوفهم ان لو توجد فى

هذه البلاد ــ لا اوجدها الله ــ .

ارونا نتيجة حلق اللحى والتزى بزى الكفرة والمشركين ، وهل حقق شيئاً يذكر فى عالم الحقائق سوى الانحطاط فى الكرامة ، وسوى محو لشخصية المسلم، تلك الشخصية التى طالما عمل الرسول ﷺ على تكوينها والمحافظة عليها بقوله : « من تشبه بقوم فهو منهم » وبقوله : « المرء مع من احب » وبقوله : «خالفوا المشركين ، وفروا اللحى ، واحفوا الشوارب » . وحافظ عليها خلفاؤه من بعده ، فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يمنع الذمى ان يتزيا بزى المسلم. كل ذلك من اجل ان يمتاز المسلم بشخصيته لأنه البشرى الوحيد فى هذا الوجود الذى اقيم وصياً على البشرية يرشدها ويهديها ، ويحرص على كمالها وسعادتها .

واذا ذهبت هذه الشخصية فمن للانسانية ؟

من للبشرية ؟ قولوا ــ يا عباد الله ــ من ؟؟ أروسيا البلشفية ؟ أم المسيحية الوحشية ؟ أم البوذية الهمجية ؟ أم الصهيونية الاجرامية ؟

وخلاصة القول فيما فهمناه من وراء التباكى : أن القوم ــ هداهم الله ــ يلحون من غير شعور ، فى اصرار وعناد على محو الشخصية الإسلامية ، والمظاهر الدينية فى هذا البلد المقدس لتصبح مكة كبيروت والمدينة كالقاهرة ، ولافرق ، وليصبح المسلم كالكافر ، والاسرة المسلمة كالأسرة الكافرة . ويومها يقولون : تقدمنا ، ومشينا شوطاً بعيداً فى طريق التمدن والحضارة .

وكلمة أخيرة لا بد من قولها ، وان غضب اناس ، ولم يرض آخرون لاننا لا نريد ان نرضى الناس بسخط الله ، لأن رضا الناس غاية لا تدرك .

ياقوم : إننا شعب صغير إمكانياتنا معدودة ، وطاقاتنا محدودة ، وإننا مهما تنكرنا لإسلامنا ، وسلخنا ثوب ايماننا . لنكون شعباً ــ كما تريدون ــ متحضراً متمشياً مع العصر ، متطوراً مع الحياة ، وفى كل شىء ــ كما تقولون ــ لن نبلغ مجداً ولا عزاً ، ولا كرامة ، ولا امناً ولا عدالة ، ولا قوة ولا منعة اكثر مما نحصل عليه من طريق تمسكنا بالإسلام أصلا وفرعاً ، فى العقيدة ، وفى السلوك، فى الزى وفى الهندام وفى كل مظهر من مظاهر الملة الحنيفية التى هى ملتنا ، وإن ابيتم منا إلا التنكر لها . واسمعوا يا قوم : نروى لكم القصة التالية لعلكم تجدون

فيها ما يقنعكم على صحة ما نقول .

إنه فى عام ١٩٣٥م وفى باريس بالذات ، وما أعظم باريس وحكومة باريس فى ذلك الظرف بالخصوص ، أى قبيل الحرب العالمية الثانية حدث حادث قتل ، وصادف أن شهد المحاكمة مسلم جزائرى ، وفتحت المحكمة جلستها للمرافعة، وحكمت أخيراً بسجن القاتل قتل عمد وعدوان خمس سنوات ، وعندها وقف محامى أولياء القتيل وقال ما معناه : يحيا ابن السعود ، يعيش ابن السعود ليحكمنا ابن السعود ؛ لأنه يقتل القاتل ، ولا يملأ السجون ! ودوت جنبات المحكمة بالتصفيق الحاد تصفيق الاستحسان ولم ينقطع حتى استخدم رئيس المحكمة رجال الشرطة فى إسكات المصفقين وإنهاء الضوضاء .

هذه هى القصة كما رويناها وسوف لا نعلق عليها بأكثر من قولنا انظروا يا قوم المدى الذى وصلت إليه سمعة دولتنا الإسلامية حتى تمناها شعب فرنسا الذى بلغ فى الحضارة المادية مبلغاً لن يبلغه اليوم مريدو هذه الحضارة المائعة الفاجرة ولو مزقوا المصحف ، وهدموا أركان البيت ، وتخلصوا من الإسلام تماماً ما داموا يرون ذلك طريقاً للرقى والتقدم ، وسبيلاً للتطور والتمدن لما أصاب آراءهم من تعفن وأذواقهم من فساد . والعياذ بالله .

وما ذاك إلا أن هذه الدولة الإسلامية تمثل العدالة الإلهية فى الأرض ، تلك العدالة التى يهفو اليها القلب البشرى بفطرته ، ويميل اليها بطبيعته ، ولو كان كافراً لا يؤمن بالله العظيم .

بيـــان حقيقـــة

وخاتمة

لعل المنحرفين فى دنيا المسلمين قد يتبادر إلى أذهانهم أننا بدعوتنا إلى الإسلام والتمسك به قلباً وقالباً ، عقيدة وعملاً ، مظهراً ومخبراً ، لعلهم يتبادر إلى أذهانهم أننا ندعو أمة الإسلام اليوم وحكوماتها إلى أكل الشعير ، وفرش الحصير ، وركوب الحمير ، وإلى التسلح بالحصا والعصا ، والرضى بالخنوع للغير ، والخضوع تحت شعار المقادير ، وإلى العجز والكسل باسم القضاء والقدر . لا ، لا ياقوم والله . إننا لنعلم أننا نعيش فى عصر (الذرَّة) و(الهيدروجين) وغزو الفضاء ، والبحث عن أسباب العروج إلى السماء ، فلا تصفوا ــ عفا الله عنكم ــ أفكارنا بالجمود ، ولا عقولنا بالجفوف . إننا ويعلم الله لتقدميون ، ولكن بالمعنى الصحيح ، وإننا ، وايم الله ، لمتحررون لكن من أسر الشرك والكفر ، والخرافات والشهوات ؛ أما من شعائر الدين ، وتكاليف الإسلام ، ومستلزمات الإيمان ، فلا نريد تحرراً ولا تقدماً ، بل همنا وعزمنا ، ورجاؤنا وأملنا أن نعيش لله عبيداً مسخرين ، وأرقاء مطيعين ، نأتمر بأمر الله وأمر رسول الله ،وننتهى عما نهى عنه الله ورسول الله ، وسواء كان فيما يسر أو يضر ، هذا شعارنا حتى نلقى ربنا . وسواء رضيتم أنتم يا أبناء الدنيا أم سخطتم . هذه حقيقة خشينا أن تخفى عليكم فبيناها لكم والله ولينا واليه المصير .

أما الخاتمة : فإننا بناء على ما أشرنا اليه فى معرض كلامنا على الإذاعة وعلى تعليم البنت مما يفهم من أنه نقد خال من التوجيه نريد أن نبين فيها ما نرغب فيه من إصلاح للبنت وللاذاعة كذلك .

أما البنت : فإننا نريد لها أن تتعلم كما نريد لأمها كذلك أن تتعلم ولكن لا على حساب الحجاب الذى فرضه الكتاب ، ولا على الطهر الذى لا نريد الحياة بدونه .

نريد للبنت المسلمة مدارس ، وللأم المسلمة مساجد ، على أن يكون للمدارس مناهج دينية صالحة ، ومعلمون صالحون ، وللمساجد وعاظ راشدون ،

ومعلمون ربانيون . مع تحديد هدف تعلم البنت ، وتشخيص غاية علمها . أما هدفها : فينبغى أن يكون معرفة ربها ،وفهم مسائل دينها ، وما يلزم خلقها من استقامة ، ونفسها من اصلاح .

ويكون هذا بقصرها على تعلم مثل سورة (البقرة) (والنور) حفظاً وفهماً، وعلى أحاديث نبوية صحيحة صريحة فى العقيدة والخلق ، وفى الطهارة والصلاة، وفى الصوم والزكاة ، وفى العمرة والحج الى بيت الله .

وأما غايتها فهى أن تتعلم كيف تصبر على لزوم بيتها ، وتربية أولادها ، وعلى طاعة الله ، ثم طاعة زوجها .

هذا هو الهدف الذى نريده من تعلم البنت ، وهذه هى الغاية التى نتوخاها من وراء ذلك .

ولا نريد أبداً أن يكون هدف البنت من التعلم أن تتحضر فتسفر وتفجر ، وتزدرى أمها ، ومن تعاليم الإسلام تسخر ؟

كما لا نريد ولا نرضى بحال أن تكون غاية البنت من تعلمها الحصول على ورقة الشهادة لتتوظف ــ كما هى حال أخواتها ــ لتجمع الفلس وتوفر القرش ، ولا لتبنى به العش ، ولكن لتتبرج به وتفحش .

وهذا ما لا نريده لابنتنا المسلمة ولا نرضاه لها بحال . ولما علمنا ان المسؤولين عاجزون عن الضبط والتحديد ، قلنا من الخير للبنت المسلمة أن تترك جاهلة، فإن جهلها خير لنا ولها من سفورها وفجورها ، وأن عدم علمها خير من إلحادها وكفرها . ان كنتم تعقلون .

وأما للاذاعة :

فاننا نريد للاذاعة الإسلامية ــ وايم الله ــ أن تذيع أربعاً وعشرين ساعة لا تفتر دقيقة ولا تستريح ساعة .

وأما ما تذيعه وتنشره ، وتبثه وتبذره ، فإنا نريد أن يكون ما يعلم ويحلم، وما يؤدب ويهذب ، وما يزكى الروح ، وينمى الخلق .

نريد للاذاعة الإسلامية أن تنهض بأعباء الدولة المحمدية فتبلغها للابيض

والأسود ، وللأسمر والأصفر ، فتبلغ رسالة الله الى كل أمة بلسانها والى كل شعب بلغته ولهجته .

نريد للاذاعة الإسلامية أن يشعر المسؤولون عنها ، والقائمون بشؤونها أنها نعمة يجب صرفها فى طاعة المنعم لا فى معصيته ، فيجنبونها أن تذيع اللغو والباطل ، وينزهونها أن تبث الزمر والغناء ، أو تنشر بين المؤمنين وغير المؤمنين الفاظ الفحش والبذاء .

نريد للاذاعة الإسلامية أن تكون لسان حال الإسلام والمسلمين فهى إذاً كالمسلم فى نصحها وارشادها ، فى طهرها وصفائها ، وهى كالاسلام فى مبادئه البناءة ، وتعاليمه القيمة ، وفى تبشيره للصالحين وتحذيره للمفسدين .

هذا ما نريده للاذاعة الإسلامية ، ولا نريد لها غيره ، أما إذاعة غير اسلامية فمن يلومها إن اذاعت الشر أو نشرت الفسق والكفر ! أما أن تحسب الاذاعة على الإسلام وتذيع ما يتنافى مع طبيعة الإسلام فهذه جريمة فى حق الإسلام ، وخيانة ضد المسلمين . ومن أجل هذا صحنا نحن الصائحون فى وجوه العابثين اللاعبين، وقلنا : يجب أن تبقى اذاعتنا طاهرة طهرنا وطهر اسلامنا ، فلا فحش ولا خنا ، ولا مزمار ولا غناء .

وختاماً ، فهذه ومضة مما يعتلج فى صدورنا ، وما تختلج به عروقنا من ارادة للخير وحب للاصلاح ، وليس لاخواننا السعوديين فحسب ، بل لعامة المؤمنين والمسلمين .

ويعلم الله أننا ما نريد بما كتبناه ونشرناه غير ما يرضى الله ويصلح شأن المؤمنين . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

الرسالة السابعة

حقوق المرأة فى الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

- إلى أخوة الإسلام فى كل مكان .
- إلى الصامدين كالجبال الشم فى وجه دعاة التشكيك والتضليل .
- إلى الثابتين فى طريق الحق رغم كثرة الصوارف ، ورغم الوحشة من قلة السالكين .
- إلى الذين لم يشكوا قط فى رحمة اللّه تعالى بأوليائه ، ولا فى ما يشرعه لهم، او يحكم به عليهم .
- إلى الذين لم يزالوا يحوطون نساءهم وبناتهم بهالة من التقديس والتكريم فلم تسفر حلائلهم ولم تتبرج كرائمهم.

إلى كل هؤلاء الاخوة الصالحين اقدم هذه الكلمة القصيرة فى هذه الرسالة الصغيرة رجاء ان تكون عوناً لهم فى ثباتهم على الحق وتمسكهم به .

حقق الله الرجاء ، وهدى إلى أقوم الطريق .

المؤلف

أبو بكر جابر الجزائرى

تمهيد

بسم الـله ، والحمد للـه ، والصلاة والسلام علـى رسول الله وآله وصـحبه وسلم وبعد :

فى هذه الايام التى كثرت فيها تأوهـات رجالات الغرب الذين يعنون بالاخلاق والدين ، وعـظمت فيها حـسرتهم على مـا اصاب المجتمعـات المسيحية مـن تحلل وفساد .

وحيث اخذوا يـراجعون الطريق للتـعرف على اسباب هذا الانحـلال الخلقى والفساد الدينى الـذى منيت به شعوبهم فى هذه الايام ، الامـر الذى اصبحوا معه يتوقـعون انهياراً كـبيراً قد يصـيب المجتمع المسـيحيى ، ويقـضى على كل مـعالم الحضارة فيه ، وحيـث ايقنوا ان اسباب هذا التدهور الخلقـى الحاصل ، والانهيار الكامل المتوقع هو تبرج المرأة المسيحية وفسادها بخروجها عن طبيعة انوثتها .

فى هذا الوقت بالـذات ، وبعد ان تردت شعوب اسلامية كثـيرة فى هوة هذا التحلـل والفساد نهضت الـبقية الباقيـة من المسلمين تـستحث الخطا للـحاق بركب الهالكين ، وتسابق الايام للوصول الى المهواة الـتى سقط فيها الملايين من المسلمين وغير المسلمين .

من اجل هذا قدمت هذه الـرسالة للاخوان الصالحين لينذروا بهـا ، وليعلموا انهم فى صيانة نسائـهم وبناتهم من التبرج والفساد باسم العـلم والتقدم انهم على حق . وليذكر اولوا الالباب .

لفت نظر

أخى المسلم ...

إسمح لى أستلفت نظرك الى أن الكلام على « حقوق المرأة فى الاسلام » ليس معناه المقارنة بين ما منحه الاسلام المرأة المسلمة من حقوق وحريات ، وما خولها اياه من مكانة عالية لم تعرف لها المرأة مثيلا من عهد الأم الأولى حواء عليها السلام الى بزوغ فجر الاسلام ، وبين ما يدعى الغرب ودعاته أن القوانين الغربية الحديثة قد منحته المرأة الكافرة من حقوق وحريات وما أحاطتها به من حرمات وقدسيات ، اذ لا مناسبة البتة بين ما شرع الله رب السموات والارض وما بينهما، وبين ما تضعه ـ افتياتا ـ عقول بشرية وسخة فى عصر عبد فيه أصحاب المادة ، وتخلى فيه اغلبهم عن القيم الاخلاقية والمعانى الروحية .

وان مقارنة كهذه أخوك شخصياً لا يجيزها بحال من الأحوال لأنه لا يعدها عدم انصاف لشريعة اللّه ، وخيانة للمبدأ الاسلامى فحسب ، بل يعتبرها قدحاً فى ديانته وشكاً فى ايمانه وعقيدته . أخى المسلم : ان الكلام على حقوق المرأة المسلمة معناه بيان ما ضمنته الشريعة الإسلامية للمرأة المسلمة من حقوق وما حققته لها من خيرات وكمالات ، وما أضفته على شخصها اللطيف من قدسيات لم تكن تحلم بها المرأة قبل الاسلام فضلا عن أن تطمع فى الحصول عليها بحال من الاحوال .

كما هو أيضاً ابراز للصورة الحقيقية للمرأة فى الاسلام ، وما لها وما عليها فيه. وهل الاسلام رفعها بالفعل ، أم وضعها وغض من شرفها ، وحط من قيمتها كما يدعى أعداء الاسلام وما يقول خصومه ؟ .

ولعل أخاك يأتى فى هذا الباب بما يخرس تلك الألسنه التى ما برحت تفتات على الإسلام ، وترميه بكل قاصمة للظهر ، ولا تتورع فى استعمال أساليب المكر والمخاتلة للنيل من حسنه وكماله، وللانتقاص من قوانينه وشرائعه ، تلك القوانين والشرائع التى لا تسعد البشرية فى الشرق ولا فى الغرب الا عليها ـ متجاهلين أن نسج الله لا يضاهى ، وأن ما يأتى به الله لا يأتى به أحد سواه .

حلف الزمان ليأتين بمثله   حنثت يمينك يا زمان فكفر

المرأة فى جاهلية العرب

أخى المسلم ...

لا أحسبك تجهل او يخفى عليك ما كانت المرأة قبل الاسلام تعانيه من اضطهاد ، وتقاسيه من عذاب ، وتكابده من شقاء وحرمان ، وما كان يصب عليها، وينزل بها من هون ودون الأمر الذى لايتحمله سواها ، ولايطيقه غيرها .

اذ هى التى كانت فى شبه جزيرة العرب توءد (تدفن حية) وهى صغيرة فى التراب. واقرأ ان شئت قول الله تعالى: ﴿ **واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت**﴾؟ .

وهى التى كانت تستبقى للإهانة ، أو تدس فى التراب ولا كرامة ﴿ **واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون** ﴾ !

واذ هي التى كانت اذا مات زوجها تحجر عليها بنوه أو وارثوه من عصبته أن تتزوج ما لم تؤد لهم كل ما يدعون أن أباهم أو مورثهم كان قد أنفقه عليها ، ولهم أن يغالوا فى ذلك ويبالغوا أو يساوموا ما شاءوا ، اذ لا نكير عليهم ولا ضمير . فنزل القرآن يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرهاً ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وعاشروهن بالمعروف** ﴾ .

واذ هى التى كانت اذا مات والدها لم يكن نصيبها منه سوى عبرات عين تذرفها ، وعبارات حزن وأسى ترسلها ، صرخات تملأ الفضاء وتأوهات تشيع الراحل الى المثوى ، أما التركة ، وما بقى والدها فانها ليست أهلا للارث ، وذلك لأن الارث فى نظرهم ومقاييس جاهليتهم حق لمن يقاتل ويحوز الغنيمة ، والبنت لا تقاتل ولا تحوز غنيمة اذاً فلا ارث لها ، ولا حق لها فيما يخلف والدها .

طلع فجر الاسلام ، ونزلت عدالة السماء ﴿ **يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ الآيات . ولم يخف بعض القوم تعلقهم بمبادئ الجاهلية فقال وهو يتبرم ويتململ : تعطى المرأة الربع والثمن ، وتعطى البنت النصف ، وليست بالتى تقاتل أو تحوز الغنيمة !؟

إنها ــ أخى المسلم ــ كانت اذا مات زوجها ومالك عصمتها تدخل حفشاً «بيتاً صغيرا حقيراً» وتـلبس شر ثيابها ، ولا تتنظف ، ولا تغـتسل ، ولا تمس طيبا ، أو تلقى عـنها أذى أو قذراً حتى تـنسلخ عنهـا سنتها الكـاملة ، تخرج بعـدها فى صورة منكرة لو شـاهدها حيوان أعجم لذهل عن وجـوده . روى الشيخان عن أم سلمة رضى اللّه عنها قولها: « جاءت امرأة الى رسول اللّه ﷺ فقالت : ان ابنتى عنها توفـى زوجها وقد اشتكت عينـها أفتكحلها ؟ فـقال رسول الله ﷺ لا ، لا ، مرتين أو ثلاثاً ، ثم قـال : انما هى أربعة أشهر وعشر ، وقد كـانت احداكن ترمى بالبعرة على رأس الحـول . فقالت زينب كانت المرأة اذا توفى عنـها زوجها دخلت حفشاً ، ولبست شر ثيابها ، ولم تمس طيبا ، ولا شيئاً حتى تمر بها سنة ، ثم تؤتى بدابة حمـار او طير او شاة فتنـفض به فقلمـا تنفض بشىء الا مـات ، ثم تخرج فتعطى بعرة فترمى بها ، ثم تراجع بعددها ما شاءت من طيب أو غيره .

لننظـر اخى المسلم رحمك الـلّه الى قسوة هذا التـشريع الجاهلى ولنـنظر الى رحمه الاسلام بالمرأة وغير المرأة لنحمد اللّه جميعا على نعمة الإسلام ونشكره على تشريعه العادل الرحيم .

المرأة عند أمم الغرب

أخى المسـلم: ان المرأة عنـد أمم الغرب قبـل الاسلام وبعده لـم تكن بأسـعد حظاً، ولا بأوفر كـرامة من المرأة عند العرب قـبل الاسلام اذ كانت عند اليـونانيين القدامـى تباع وتشترى فـى الأسواق كالسلـعة ، وكالرقيـق من العبيد ، بـل كانوا يطلقون عليها اسم « رجس من عمل الشيطان » .

هذا فى شرق أوربا وأما فى غربها فحدث عن تعاسة المرأة وحطتها وعن قساوة معاملـتها ولا حرج . ففى فـرنسا أم الحضارات كما يـزعمون قد انعقـد مؤتمر فى حدود سنة ٨٥٦ ميلادية للبحث فى حقيقة المرأة ، هل تعتبر إنسانا او غير انسان ؟ وانتهى البحث بتقرير إنسانيتها غير أنها ليس الا لخدمة الرجل . وفى روما الغربية انعقد مـؤتمر آخر للتحـقيق والبحث فى هـل للمرأة روح كروح الرجـل يعرج الى الملكوت الأعلى ، ويخلد فى دار النعيـم ، وهل تصح منها العبادة ؟ او حيوان لا خير فيه . وهل يصح أن تلقن مبادئ الدين ؟ ولم يعرف ما انتهى التقرير اليه .

اما فى بعض البلاد الأخرى من العالم فانهم كانوا يعتقدون أن المرأة حيوان نجس لا روح لها ولا خلود ، ولكن تجب عليها العبادة والطاعة ، ويجب ان يكمم فمها كالكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام ، لانها احبولة الشيطان .

وفى أوربا بالذات كان محرما على المرأة ان تقرأ الكتب المقدسة بصورة رسمية، لانها لا يصلح ان يكون لها دين ولا تقبل منها عبادة . حتى قال احدهم فى وصفها : ان المرأة باب شيطان اذ أفسدت آدم وحملته على الاكل من الشجرة، فهى مظهر من مظاهر قدرة اللّه تعالى . وقال آخر : ان المرأة شر لابد منه ، ونكبة تساق اليها النفوس ، وبلاء لا مهرب منه وبرق خلب وداء عضال !

وفى يوم من الايام حكمت الكنيسة الأرثوذكسية بحرمان المرأة حقها فى المجتمع فحظرت عليها حضور المآدب والحفلات ، والزمتها الحجاب صامتة صابرة لا شأن لها الا الطاعة للزوج ، والقيام بالغزل والنسيج ، وطهى الطعام ، واذا خرجت من بيتها خرجت مستورة الجسم من قمة رأسها الى أخمص قدمها .

هكذا أخى المسلم ، كانت المرأة فى الشرق والغرب ، وهكذا كان وضعها الفاسد ، وهكذا كانت حياتها التعسة . وما إن تبلج فجر الإسلام ، ولاحت أنوار رحمته ، وعدله فى الآفاق حتى اعترفت الدنيا بجريمتها ضد المرأة التى هى نصف الرجل ،وسلمت لها بكثير من حقوقها .

فما مصدر نعمة حرية المرأة اليوم وقبل اليوم ومن عهد التحرر إن لم يكن هو الإسلام والإسلام وحده .

أخى المسلم هذه نظرة خاطفة ألقيناها على حالة المرأة فى الشرق والغرب قبل الإسلام لنتبين بها مقدار ما حققه الإسلام من خير وسعادة وكمال لا للمسلمة وحدها بل ولأختها فى الجنس من نساء العالمين جمعاوات .

الحقوق الشخصية للمرأة المسلمة

ونعود الآن الى موضوع البحث « حقوق المرأة فى الإسلام » ولنتناول ابتداء الحقوق الشخصية للمرأة لنرى ما اذا كان الإسلام قد كفلها للمسلمة كاملة . او اهدر لها منها شيئاً .

إن المراد من الحقوق الشخصية ــ أخى المسلم ــ الحقوق التى هى حق كل

شخص ان يتمتع بها كحق طبيعى له فى الحياة ليس لأحد ان يحرمه منه كائناً من كان ؛ إذ هى حقوق لازمة لقيام شخصه وبقائه ، وذلك كأن يأكل ويشرب ، او يلبس ويسكن ، او يقيم ويسافر ، او يبيع ويشترى ، او يعطى ويمنع ، او يحب ويكره او يتزوج ويطلق الى غير ذلك من الحقوق الشخصية المخولة لكل فرد فى سائر الشرائع والاديان ، والمقيدة قطعاً بالعرف مرة ، وبالقانون اخرى ؛ إذ هي حقوق تكفل للفرد فى حدود ما يسمح به العرف ويجيزه القانون ، والا فقد تصير حيوانية محضة وهمجية لا تطاق . فلو اراد فرد ما ان يتمتع بحقوقه الشخصية خارجة عن حدود العرف واطار القانون فانه لا يسمح له بذلك ابداً .

فمن ذا الذى يسمح له ان يأكل ما شاء فى اى مكان شاء ، او يتزوج من شاء كيفما شاء ؟ لان مثل هذا يؤدى حتما الى فوضى لا حد لها . فلا بد اذاً لحرية الفرد وحقوقه الشخصية من ان تكون فى دائرة العرف والشرع وإلا فقد يقضى على معنويات هذه الشخصية التى يراد الحفاظ على حريتها وحقوقها ، بل وعلى وجود صاحبها كذلك .

اذا كان ـ اخى المسلم ـ هذا هو المراد من الحقوق الشخصية الاساسية للأفراد فهل حرمتها المرأة المسلمة فى ظل نظام الاسلام ، وتحت رعاية شريعته كما يزعم خصوم الإسلام والمناوئون له ؟

اليست المرأة المسلمة تأكل وتشرب وتلبس كالرجال وخيرا من الرجل ؛ إذ انها تلبس الحرير والذهب ولا يلبسهما الرجل ، وتطيل ثيابها حتى اخمص قدميها ، ويستحسن ذلك منها ، ويقصر الرجل ثوبه الى ما فوق كعبيه الى نصف ساقه ؟ اليس يسكن الرجل كيفما اتفق له . ولا تسكن المرأة إلا حيث يحسن السكن ويطيب والسكن الشرعى معترف لها به عند القضاة .

اليست تنام كما ينام الرجل وخيرا مما ينام ؛ إذ نومها دائماً ملء جفنيها ، ونوم الرجل دولة بين عينيه ، عين تنام ، واخرى ترعى الذمام ؟

اليست تسافر كما يسافر الرجل الا انها اعز منه وأكرم فى ذلك إذ انها لا تسافر الا فى معية خاصة تحوطها بسياج من الصيانة وبهالة من الكرامة والتقديس « لا تسافر المرأة ثلاثة أيام الا مع ذى محرم » متفق عليه .

اليست تعبد اللّه تعالى كما يعبد الرجل ، وتسابق الى مرضاة اللّه تعالى

وتنافس فيها فتحج وتعتمر ، وتصوم وتصلى وتزكى وتتصدق ، وتظفر بالاجر كما يظفر به الرجل ، وتحوز القبول من اللّه عز وجل كما يحوزه الرجل . ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ النحل .

اليست تبيع وتشترى وتمنع من مالها ما تشاء وتعطى كالرجل سواء بسواء ؟

اليست تتزوج برضاها غير مكرهة كالرجل ، وتطلق إذا هضم حق من حقوقها كما يطلق الرجل ؛ إذ ما من امرأة يخل الزوج بحقوقها ترفع امرها للقضاء إلا وخولها حق طلاق نفسها من زوجها الذى هضمها حقها ، ولم يف لها بشروطها التى تزوجها عليها وما على الزوج والحال هذه الا ان يؤدى الحقوق كاملة ، او يرضى بالفراق مهما كان مراً . ﴿ **فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ البقرة . وبهذه المثابة اصبحت المسلمة تشارك فى الطلاق فعلياً ، وتملك منه ما يملك الرجل غير ان حقها فيه مقيد بما اذا هضمت حقوقها ، او اسيئت عشرتها ، لانها تزوجت على اساس البقاء مع الزوج ما حافظ على حقوقها الثابتة لها ؛ فاذا لم يبخسها الزوج حقاً من حقوقها فليس لها حل عصمة الزوجية ؛ لانها عقد بين اثنين فلا يجوز حله من طرف واحد كما لا يجوز حل العقود المالية .

اما كون الرجل له ان يطلق ولو بدون رضا زوجه فذلك له اعتبار آخر ليس لها هى ــ سيذكر عند الكلام على الطلاق ــ مع ان الزوج غير مخلى من المسؤولية ولا مبرأ من التبعية فى الدنيا والآخرة اذا هو طلق امرأته لمجرد هوى نفس او شهوة ؛ لأن الطلاق مشروع لرفع الضرر ، فاذا لم يخف الزوج ضرراً ، وطلق فهو من باب الاسراف المحرم وكفر النعم ذى العواقب الوخيمة وطلاق من هذا النوع لا يلام عليه الإسلام ؛ اذ لم يستحسنه ولم يدع اليه . فهو لا يعدو أن يكون كسرقة المسلم ، او كذبه او فجوره ، فإن الإسلام كنظام غير مسؤول عن الخارجين عنه بحال ، بل المسؤول هو الخارج عنه وهو الذى يتلقى جزاء فسقه وانحرافه عاجلا فى الدنيا ، او آجلا يوم القيامة .

وأليست المرأة المسلمة تحب من بنات جنسها من تشاء كحق شخصى لها ، كما يحب الرجل من أبناء جنسه من يشاء هذا فى الحب الخاص ، أما الحب العام فإن لها أن تحب فى اللّه تعالى سائر المؤمنين والمؤمنات من الصالحين والصالحات ولا

حرج . كما يحب الرجل فى اللّه تعالى كل المؤمنين الصالحين والمؤمنات الصالحات وليس مع نفى الحرج فقط بل ومع الأجر والمثوبة ، إذ محبة الصالحين فى اللّه عز وجل طاعة للّه تعالى يثيب عليها أصحابها ويرضى عنهم .

هذه ــ أخى المسلم ــ هى الحقوق الشخصية فهل حرمها الاسلام المرأة المسلمة ، أو نقصها شيئاً منها ؟ لا ــ واللّه ــ والحمد للّه .

فأين إذاً وجه الطعن عن الإسلام وما دواعى هذه الحرب التى تشن على تعاليمه من الوقت الى الوقت ؟

أليست هذه هى الحقوق الشخصية التى يتغنى بها أعداء الإسلام وخصومه قد وفاها الاسلام المرأة وبصورة لا أكمل منها ولا أتم أبداً .

الحقوق المالية للمرأة المسلمة

وهناك جانب آخر من جوانب حقوق المرأة فى الإسلام فلنبحثه وهو حقوق المرأة المالية .

إن المرأة المسلمة فى هذا الباب لا تدانيها امرأة فى العالم ، إذ قد أعطيت حقوقها المالية كاملة ،فإن لها الحق فى عقد ما شاءت من العقود المالية كالبيع والشراء والإيجار والكراء ، والمقاولة والمضاربة ، فجميع تصرفاتها المالية جائزة لا حجر عليها فيها ، وكذا هبتها ، وصدقتها ، ووقفها ، وجميع ما تنفقه متقربة به الى اللّه سبحانه وتعالى .

وهاه ذى عائشة أم المؤمنين رضى اللّه عنها وهى تحت رسول اللّه ﷺ تعتق بريرة ، أو تعجل بعتقها على الصحيح فتدفع لمواليها الذين كاتبوها من مالها الخاص مبلغ ٣٦٠ درهماً من الفضة ويقرها الشارع ﷺ على ذلك . وقبلها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى اللّه عنها وهبت عبدها زيد بن حارثة لرسول اللّه ﷺ . والإجماع بين المسلمين قائم على جواز تصرفات المسلمة المالية فى أغلب صورها . فى حين أن المرأة الامريكية الى عهد قريب كانت محرومة تماماً من حقوقها المالية والقضائية فى كامل القارة الأمريكية . وأما القانون الرومانى القديم فقد كانت نصوصه تقول :

« إن المرأة ليست أهلا للتصرف مدة حياتها كالطفل ، وأما المرأة الفرنسية فإنها

إلى اليوم مقيدة الحرية فـى التصرف المالى ، فليس لهـا الحق فى إجازة أى تصرف مالى بدون رضا زوجها وإجازته » .

بخلاف المـرأة المسلمـة فإنها مـطلقة الحـرية فى هذا الـباب ، وذلك بفـضل الإسلام الذى هو نعمة الـلّه على المسلمين . فالحمد لله على إنـعامه ، وله الشكر على أفضاله .

حقوق المرأة الزوجية

هذا وأن هناك جانباً هاماً من جوانب حقوق المرأة فى الإسلام ألا وهو حقوق المرأة الزوجية، وإنه لجانب ذو أهمية يتطلب بحثاً ودراسة .

إن أول نص يثبـت حقوق المسلمة الـزوجية فى قانون الإسـلام هو قول اللّه تبارك وتـعالى من سورة الـبقرة : ﴿ **ولهن مثـل الذى عليهن بالمعـروف وللرجال عليهن درجة** ﴾ فقد أثبـت هذا النص الصريح الحقـوق الزوجية وكفلهـا لكل من الزوجين فى حدود العرف والقانون ، والدرجة المذكورة للرجال فى النص لاتخول الرجل بحـال أن ينتقص حقوق المرأة الـزوجية ، أو يهدر كرامتهـا ، إذ قد تكون هذه الدرجة هى ملك العصمة المخول للرجل بما مهر المرأة وبما ينفقه عليها من ماله ﴿ **الرجال قـوّامون على النسـاء بما فضل اللـه بعضهم عـلى بعض وبما أنفـقوا من أموالهم** ﴾ . وهذه الدرجة التى للـرجال من قيومية وملك العصمـة إنما اقتضاها ما حبا اللّه تعالى به الرجل من استعداد خلقى وعقلى ليس هو للمرأة بفطرتها .

إنه بموجب هذه الآيـة الكريمة ﴿ **ولهن مثل الذى علـيهن بالمعروف** ﴾ وتحت شعارها كان للمرأة المـسلمة الحق فى أن تطالب زوجها بكل حق مـن حقوقها التى كفلها لهـا الإسلام من أكل وشرب ولباس وسكن وفراش . كمـا كان للزوج أيضاً أن يطالب زوجتـه بكل حق له عليها كـتربية أولاده وإعداد طعامه ، وغـسل ثيابه وإصلاح فراشه وما جرى العرف أن تقوم به الزوجة لزوجها .وبهذا كانت الحقوق الزوجية متبادلة بـين الزوجين فليس لأحدهما مزيد كرامة على الآخـر بحيث يتمنع بها عن اداء حقوق صاحبه ، وكانت الحقوق الـزوجية مكفولة فى الإسلام للمرأة المسلمة .

كرامة المرأة المسلمة

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا الباب ان الاسلام لم يحفظ للمسلمة الحقوق والواجبات فقط بل حفظ لها كرامتها فى المجتمع ، تلك الكرامة التى أهدرت للمرأة فى غير ما مجتمع من المجتمعات التى لم تستظل بظل راية الإسلام ، ولم تحظ بالعيش تحت قوانينه العادلة .

وهاه ذى صفحة حافلة بتكريم الإسلام للمرأة نقدمها كشاهد صدق على ما نقول .

أخى المسلم ...

إن كرامة المرأة المسلمة بلغت فى الإسلام من التقديس والصيانة مبلغاً ما بلغته كرامة امرأة أخرى فى هذا الوجود . واسمع نبى الإسلام ﷺ يقول : « ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم » ويقول : «خيركم خيركم لاهله ، وأنا خيركم لاهلى » وفى آخر عهده ﷺ بهذه الحياة الدنيا كان يوصى بالنساء ويقول : « ألا واستوصوا بالنساء خيراً فانهن عوان عندكم » .

وخطب عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه مرة فقال : لاتغالوا فى صدقات النساء فانها لو كانت مكرمة فى الدنيا او تقوى عند اللّه لكان أولاكم بها رسول اللّه ﷺ ، ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتى عشرة أوقية . فقامت اليه امرأة معتزة بكرامتها الانسانية وقالت : ياعمر يعطينا اللّه وتحرمنا ؟ أليس اللّه سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً** ﴾ فقال عمر: أصابت امرأة واخطأ عمر . وفى رواية : كل الناس أفقه منك ياعمر . وترك الانكار . فهذه الرواية تشهد على مدى ما تمتعت به المسلمة من كرامة وتقدير فى ظل الإسلام والمفترى عليه بأنه لم يعط المرأة من الحقوق والتكريم ما أعطتها القوانين الغربية اللائكية (اى اللادينية) .

سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم! .

المساواة بين الرجل والمرأة فى الإسلام

وفى باب المساواة بين الرجل والمرأة فى الإسلام يكفينا لكى نعرف مدى تحقق هذا المبدأ أن نسرد الآيات القرآنية التالية : ﴿ **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع**

عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾ ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين ... إلى قوله تعالى ... **أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما ﴾ ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ ﴿ المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾** الآية .

فهذه الآيات السابقة الذكر وغيرها كثير بذكرها المرأة الى جنب الرجل وتسويتها بينهما فى الاعمال والنتائج سواء بسواء .

كانت محققة لمبدأ المساواة بين الرجل والمرأة فى أغلب مجالات الحياة .

وما لم تتم فيه المساواة وفضل فيه الرجل على المرأة من بعض شؤون الحياة فذلك عائد الى ما وهب اللّه تعالى الرجل من استعداد فى بدنه وعقله لم توهبه المرأة ، أو لاعتبار من الاعتبارات التى تقضى بتفضيل الرجل على المرأة ، فمن الأول كون الرجل يلى الولاية والمرأة لا تليها ، وكون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل وذلك لنقصان عقل المرأة وكمال عقل الرجل .

ومن الثانى ككون الرجل يملك عصمة الزواج دون المرأة ، وككون ارث المرأة دون ارث الرجل ، وهو عائد الى اعتبارات سنذكرها فى محلها ان شاء اللّه تعالى .

رعاية الإسلام للمرأة

وفى باب الرعاية للمرأة والعناية بها نجد الإسلام قد أعطى المرأة المسلمة منها قسطاً كبيراً وحظاً وافراً . الامر الذى لايوجد فى دين او قانون غير دين الاسلام وقانونه ، والارقام التالية تنطق بصحة ذلك وتثبته :

١ ــ جاء الإسلام وأهل الجاهلية يعيشون على بغض الانثى واهانتها الى حد وأد البنت وقتلها ، فحرم الاسلام ذلك ودعا الى رفع شأنها ، وتحقيق كرامتها لتكون مساوية للرجل فى كرامته فقال اللّه تعالى: ﴿ **وإذا الموءودة سئلت. بأى ذنب قتلت** ﴾ وقال نبيه ﷺ :« من رزق بنات فأحسن اليهن كن له ستراً من النار يوم القيامة » وقال ﷺ :« ما أكرم النساء الا كريم . وما أهانهن إلا لئيم » وقال ﷺ: «فاطمة بضعة منى » .

٢ ــ جاء الإسلام وأهل الجاهلية لا يورثون البنت كما كانت الحال عند اليهود أيضاً ، فأعطاها وهى بنت النصف ، وأعطاها وهى زوجة الربع والثمن ، وأعطاها وهى أخت النصف الى السدس ، واعطاها وهى ام الثلث الى السدس (١) .

٣ ــ جاء الإسلام واهل الجاهلية يرثون النساء كرهاً ، فكانت المرأة اذا مات زوجها يجئ احد الورثة فيلقى عليها ثوباً ويقول : ورثتها كما ورثت ماله فيكون احق بها من نفسها ، ان شاء زوجها بلا صداق ، او بصداق ، واستوفاه لنفسه دونها ، فوضع الاسلام حدا لهذا الاضطهاد البغيض فقال فى كتابه الكريم : ﴿ **يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً** ﴾ .

٤ ــ جاء الإسلام والعرب فى جاهليتهم يعضلون المرأة فيمنع الرجل مطلقته من ان تتزوج حتى ترد عليه جميع ما انفقه عليها او اكثر ويمنع الاب ابنته ، والأخ اخته من الزواج ان شاء ، ولا يسمحان به الا بعد ان تتنازل لهما المرأة على كل ما تملكه من مال . ويسيء الرجل عشرة امرأته ولا يطلقها الا بفدية يقدرها هو ويرضاها فحارب الاسلام هذا النوع من الاستبداد ، وقضى عليه كلية قالت نصوص قانونه ﴿ **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** ﴾ ، ﴿ **ولا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف** ﴾ .

٥ ــ جاء الإسلام والزوجة تقاسى الامرين ، وتعانى من صلف الزوج ، وسوء خلقه وقبح معاملته الامر الذى لا يطيقه سواها فحرم الاسلام ذلك وانهى عهده بقوله : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ .

---

(١) كون البنت ترث مع اخيها نصف ما يرث هو فقط لا اجحاف فيه البتة إذ هو قائم على الاعتبارات التالية :

١ ــ مصاريف البنت لا تعادل مصاريف اخيها بحال من الاحوال .

٢ ــ الرجل يتزوج فيعول امرأة واولاداً والبنت تتزوج فيعولها الرجل ولا تعوله .

٣ ــ البنت فى حال الصغر نفقتها على ابيها وفى الكبر على زوجها .

٤ ــ نفقة اولادها على ابيهم بخلاف نفقة اولاد الابن فانها على ابيهم .

٥ ـ الابن يتحمل نفقات الضيافة . والجهاد ، والعقل ، وهى لا تتحمل شيئاً من ذلك .

فلذا كان من العدل والانصاف ان تراعى هذه الاعتبارات ويفضل الولد على اخته فى تركة ابيها . وكذلك قرر الإسلام فما ارحمه شرعاً وما أعدله قانوناً وما أحمق أولئك الذين يطالبون بتسوية إرث البنت مع اخيها ، وما اتفه عقولهم !!

٦ ــ جاء الإسلام ــ واهــل الجاهلية يكرهون فتــياتهم على الزنا طلــباً للمادة المرذولة فكانوا يلجئون الفتاة إلجاء لتكتسب بفرجها ــ ويا للبشاعة والفظاعة !

ولو كان هذا خاصا بالفتيات الإماء دون الحرائر . فصدر حكم الإسلام صارماً فى هذه المفسدة الخلقــية ووضع حداً نهائياً لها ولغيرها مــن سائر الفواحش والآثام فقالت نصوص كتابه: ﴿ **وذروا ظاهر الاثم وبـاطنه**﴾ ﴿ **ولا تقربوا الـزنا انه كان فاحـشة وساء سـبيلا** ﴾ ﴿ **ولا تـقربوا الفـواحش ما ظـهر منـها وما بـطن** ﴾ ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا** ﴾ .

جاء الاسلام وعدة المرأة المتوفى عنها زوجهــا عام كامل فخففها الإسلام الى ثلــث المدة ، ووضع مــا كان معــها من آصــار واغلال . ﴿ **والذين يتوفـون منكم ويذرون ازواجاً يتربصن بأنفسهن اربعة أشهر وعشرا** ﴾ .

واخيراً فــهذا ما حققه الإســلام للمرأة المسلــمة من خير وعز وكــرامة ، وما احاطه بهــا من قداسة وتكريم فــأين ما حققه الإسلام لــلمرأة من كمال فــى الدنيا والدين من تلك الحريات الشوهاء المسيخة التى يتغنى بها اعداء الإسلام والجاهلون به ، ويدعون انها وليدة الحضارة الغربية فى القرن العشرين !؟

المرأة المسلمة والحجاب

أبتدئ عرض هذه المســألة بذكر نظرية خصوم الإسلام فــى الحجاب لأبين لك اخى المسلم انهم لا يــتورعون عند نقد اية مادة من مواد الشــريعة الإسلامية ، لا يتــورعون عن اساليــب التضــليل والتــهويش ، وعن اســتخدام قلــب الاوضاع ، وتشويه الحقائق للــنيل من الإسلام وتعاليمه ، وشرائعه واحكامــه ، فإنهم ينعتون الحجاب بأنه قبوع المرأة فى بيت مظلم لا ترى النور طول الحياة . وانه سجن المرأة التى لا تخرج مــنه الا إلى قبرها . وانه قتــل لحرية المرأة واهدار لكرامتــها وقضاء على حقها الشخـصى فى الهواء والفضاء ، وإنه إقبار للمرأة فــى الحياة قبل الممات الى غير هذا من عبارات الكذب والزور ، والباطل والبهتان .

هذه نظرية الخصوم فــى حجاب المسلمة وفي حقها فيــه ، واما نظرية الإسلام فى حجاب المسلمة فــانها صيانة عن الابتذال والامتهان ، واحاطة كــرامتها وعفتها بسياج من الاحــترام والتقديس ، وعدم السـماح لأجنبى نظراته تــؤذى ، ولحظاته تضر ان يتمتع برؤيــة محاسن اجنبية عنه لا تربطه بها رابــطة مصاهرة ، ولا يصله

بها حبل نسب اتقاء لشره ، ودفعاً لـضره . وهو قبل كل هذا طاعة لله ، وامتثال لامر رسول اللّه ﷺ . هذا ولنا ــ اخى المسلم ــ ان نناقش تلك العبارات المضللة والالفاظ الكاذبـة الخادعة التى يطلقونـها على الحجاب فى الإسلام فنـبين زيفها ، ونهتك ستر باطلها ، فنفضحهم بالواقع ، وندمغهم بالحقائق .

وهاه ذى أخـس عبارة لهـم فى نعـت الحجاب وهـى (ان الحجاب قبـوع فى ديجور مـن الظلام لا تخرج منـه المرأة طول الحياة) ننـاقشها فلا تلـبث ان تذوب وتتبخر ، ولـم يبق لها طلاء زائف ، ولا حقيقة موهومة او مزعومة .

اين محل القبوع من امرأة تنام نوماً عاديـاً ثمانى ساعات بالليل كحق ضرورى لجسمها ، وحاجة من حاجات بدنها ، وتقضى خمس ساعات فى مناجاة ربها تلك المناجاة التى لا تسـعد ولا تطيب لها الحياة الا بها وهى الصـلوات الخمس فخمس صلوات ان اقـيمت اقامـة حقيقة كـما امر اللّه ورسولـه ﷺ تستغـرق بدون شك خمس ساعات ، او ما يقـاربها ؛ لأنها ــ كما هو معلوم ــ بطـهارة لها ، وانتظار لوقتها ، ونوافل قبلها ، ومعقبات من تسبيح ودعاء بعدها .

فهذه إذاً ثـلاث عشر ساعة ، ولم يـبق من يوم المسـلمة وليلهـا سوى احدى عشر ساعـة . فهل هذه الساعـات الباقية تتسـع لطهى طعامـها ، وتنظيف بـيتها ، وغسل ثيابها وتنـاول طعامها ، ومزاولة بعض المهن الخفيفة بـيدها كخياطة أو غزل أو نسيج مثلا ؟ قطعـاً انها لا تتسع لكل هذا ولا لنصفه وحينـئذ فأين وقت القبوع كما يتصوره المبطلون ؟ فليورونا ــ ولا كرامة ــ هذا الوقت الذى تقبع فيه المسلمة فى البيت ، وهم يعنون قطعاً بالقبوع : أنه لصوق المرأة بالأرض ووضع رأسها بين ركبتـيها ،واقتـطاعها عـن الحركة ، واستغـراقها فى بـحر من الهـواجس النفـسية والأفكـار الناشـئة عـن المكث فـى البيـت ، وطول الاقامـة بالمـنزل أفٍّ لهـم ولما يتصورون .

ومن أين لـهم ان الحجاب ضرب الـستار علـى المرأة طول الحياة ، فـلا يراها أحد،ولا تراه ؟

أليست المرأة تعيش مع زوجها واولادها وذوى قراباتها ؟

أليست للمرأة جارة تجلس اليها الساعة والساعات تحدثها ، وتبثها ذات نفسها ؟

أليست المرأة تخرج الى المسجد ان شاءت للصلاة ولسماع الدروس والمواعظ والارشادات ؟

أليست تعود مرضاها ، وتزور اقربائها من ذوى رحمها ، وسواء قربت منازلهم ، أو بعدت من منزلها ؟

الم يكن لها ان تجلس فى حديقة منزلها ، أو فى بستان زوجها ، وليس عليها من حجاب ولا حائل يحول بينها وبين رؤية الفضاء والتمتع بالهواء ؟

فأين إذاً ما يتصوره المبطلون من الحبس الدائم والظلام المستمر ، والكمامة التى لا تنزع من وجه المرأة ؟ أين ما يتصورونه باطلا او يتوهمون ؟

ألم يعلموا أن الحجاب فى الإسلام ليس إلا منع المرأة من ان تكشف محاسنها لغير محارمها ؟ وهل في هذا ما يستدعى كل هذا الذى قالوه من تشنيع وتقبيح لا واللّه . . . إنما هو الحقد للاسلام والكيد المتواصل بالمسلمين فقط .

وشىء آخر ـ اخى المسلم ـ لو يفهمه منا دعاة السفور والفجور ، ومحاربوا الحجاب ، وهو إن الإسلام ما جاء الا لتزكية البشرية من حمأة الرذيلة التى انغمست فيها ، وإلا لانقاذها من وهدة الشرور والمفاسد التى تردت فيها قروناً طويلة .

إن الإسلام ما جاء إلا لتطهير الارواح البشرية وإعدادها بالطهارة والصفاء للسعادة الابدية فى الملكوت الاعلى عند اللّه تعالى ، فلهذا يقاوم الجريمة ويحارب الآثام وبكل وسيلة لأن الاثم والجريمة هما العائق الوحيد عن سمو الروح ورقيه .

ولما كان الزنا من اكبر الآثام واعظم الجرائم التى تدنس النفس البشرية وتحول بينها وبين سعادتها وكمالها ، وضع له الشارع اقصى عقوبة في باب العقوبات وهى الرجم بالحجارة حتى الموت . ولما كانت العقوبة عظيمة ، وكان سببها اعظم وهو فاحشة الزنا وضع الشارع من الاسباب الكفيلة بمنعها ، والحيلولة دون وقوعها . وضع الكثير من الاسباب ومن بينها الحجاب ، فالحجاب اذاً ليس مقصوداً لذاته ، وإنما هو وسيلة لغيره . فما لهم لا يعلمون ؟!

وهاه ذى طائفة من الاسباب الوقائية التى وضعها الإسلام للحيلولة دون وقوع جريمة الزنا ، وعقوبته التى هى الموت :

فأولا ــ حرّم البذاء ومنع الفحش فى القــول ، وكره التلفظ بالسوء ، فالقرآن الكريم يقول: ﴿ **لا يحب الله الجهر بالســوء من القول إلا من ظلم** ﴾ والسنَّة المطهرة تقول « ليس المؤمن بالفاحش البذىء » .

وثانياً ـ حرم ان يـظن بمؤمن سوء ، واوجب على المؤمن إذا ســمع عن أخيه سوءاً ان يظن به البراء من الاثم ، والطهارة من السوء كما هو طاهر وبرىء . قال اللّه تعالى: ﴿ **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمـنات بانفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين** ﴾ .

والقصد من وراء هذا عدم السماح للفاحشة ان تظهر ولو على ألسنة المتكلمين او فى اذهان السامعين تركيزاً للطهارة وتثـبيتاً لها فى جو البلاد والعباد . وفى هذا من معنى محاربة الفاحشة بالوقاية ما لا يخفى على عاقل .

وثالثاً ــ حرم قذف المؤمن او المؤمنة بـالفاحشة ، ووضع لذلك عقوبة زاجرة (الجلد ثمـانين جلدة) قال اللّه تـعالى: ﴿ **والذين يـرمون المحصنات ثم لـم يأتوا بأربـعة شهداء فـاجلدوهم ثـمانين جلـدة ولا تقبـلوا لهم شـهادة ابداً واولئـك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فإن اللّه غفور رحيم** ﴾ .

ورابعاً ــ حرم مجرد حب إشاعة الفاحـشة فى البلاد والعباد قال تعالى: ﴿**إن الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب ألـيم فى الدنيا والآخرة واللّه يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ يردّ على من يتصاغر هـذا الامر ويقول فى نفسه : كيف تعظم العقوبة لمجرد حب الفاحشة وظهورها وإن لم يعمل على ظهورها ؟

فنبه الى ان مجرد حب الفاحشة عمل على ايجادها وانتشارها ، وأن الفاحشة البـغيضــةيجب ان تـطارد من الـقلوب والـنفوس قـبل ان تطـارد من العـضلات والحركات .

وخامساً ــ منع الزواج ممن عرفت بالفــاحشة مطاردة حتى لذكر الفاحشة ، أو خطورها عـلى القلب . فقال سـبحانه: ﴿ **الزانـى لا ينـكح إلا زانيـة أو مشـركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين** ﴾ .

وسادساً ــ أوجب الاستئذان عند دخول المنــازل خشية ان تقع عين آثمة على عورة غافلة . فـتلد تلك النظرة الخاطفــة فاحشة فاضحة لاقبل لاهل الــبيت بها ،

ولا طاقة لهم على تحملها ، قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها** ﴾ .

وسابعاً ـ أوجب غض البصر وألزم بذلك الانثى والذكر . فقال اللّه تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم** ﴾ كما قال ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن** ﴾ .

وثامناً ـ حرَّم على المرأة إذا مشت ان تحدث حركة غير عادية برجلها فتحدث فتنة فى قلب من يسمعها . قال تعالى : ﴿ **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** ﴾ .

وتاسعاً ـ كره للمرأة إذا خاطبت غير محرمها ان ترقق فى عبارتها ، أو تمطط فى كلماتها مخافة ان يطمع فيها مريض شهوة من الشهوات قال سبحانه : ﴿ **فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً** ﴾ .

وعاشراً ـ حرَّم الخلوة بالاجنبية ، فلا يحل لمؤمن ان يخلو بامرأة ليس هو لها بمحرم لقول الرسول ﷺ: « اياكم والدخول على النساء » وقوله ﷺ :« لا يخلونّ احدكم بامرأة الا مع ذى محرم » .

والحادى عشر ـ حرّم على المرأة ان تبدى محاسنها او تظهر زينتها لغير محارمها قال تعالى :﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن او آبائهن** ﴾ الآيات .

الثانى عشر ـ رخص لمن لم يقدر على نكاح الحرائر ان ينكح الاماء قال تعالى :﴿ **ومن لم يستطع منكم طولاً ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات** ﴾ .

الثالث عشر ـ امر بتزويج الأيامى والإماء والصالحين من العبيد فقال تعالى : ﴿ **وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم** ﴾ .

الرابع عشر ـ أمر من لم يجد نكاحاً بالاستعفاف وواعده بالغنى إن هو صبر واحتسب قال تعالى: ﴿ **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم اللّه من فضله** ﴾ .

الخامس عشر ـ أمر الشباب بالتزوج ، وارشد من لم يقدر منهم على نفقة الزواج أرشده الى الصوم لأنه يكسر شهوته ويقلل من خطر نفسه قال رسول اللّه

ﷺ: « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » أى خصاء .

فهذه ــ أخى المسلم ــ خمس عشرة وسيلة وضعها الإسلام ليمنع بها وقوع فاحشة الزنا ، وعقوبته التى هى القتل ،ــ أو الجلد مائة والتغريب والنفى عاماً ــ لمن يكن محصناً . وما الحجاب بمعناه الذى قدمناه إلا وسيلة من جملة هذه الوسائل البالغة خمس عشرة وسيلة او تزيد .

هذا وعلى فرض ان الإسلام لم يأمر بالحجاب ولم يضعه وسيلة من وسائل المحافظة على طهارة الأرواح والمجتمعات فإن من يحترم نفسه ويقدر مسؤوليته وكرامته ، ويطيع ربه ويقيم وزناً لدينه يجد نفسه مضطراً الى مثل هذا المسلك وهو ضرب الحجاب على النساء ؛ إذ لا أجدى ولا انفع من وسيلة ابعاد النساء عن الرجال ، واقصاء الرجال عن النساء فى باب المحافظة على طهارة المجتمع ، وصيانته من الخبث والشر كما انه من السهل الذى لا تكلف فيه اقصاء الجنسين عن بعضهما بعضاً ؛ إذ عمل المرأة عادة فى البيوت والمنازل ، وعمل الرجال عادة خارجها فى المصانع والمزارع . فعمل المرأة الدائم فى البيت والذى لا تخرج منه الا نادراً ــ وان هى خرجت خرجت متخمرة بخمارها يجعل وسيلة الحجاب ممكنة سهلة وخالية من كل حرج او مشقة ــ والذى لا مجال للشك فيه أن الحجاب الذى أوجبه اللّه على المسلمة وامرها به والزمها اياه لو كان فيه إحراج او مشقة لما فرضه اللّه ولا امر به إذ دين اللّه خال من الحرج ﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** ﴾ .

إنه ــ اخى المسلم ــ لو كان الحجاب ما يتصوره الخصوم من العنت والمشقة الخالية من المصلحة او التى تربو عليه وتزيد لما شرعه الإسلام ،ولما جاء به كتابه ولا نطقت به سنة رسوله ﷺ ولكن وما دام قد شرعه الله وأمر به رسوله فإنه الخير والخير كله ، وإنه العدل والعدل اجمعه ، وإنه الرحمة والرحمة جميعها . وإن انكره المنكرون ، وحاربه الخصوم والمناوئون .

الطـلاق ودواعيـه

ومما كثر فيه خوض أولئك المبطلين ، وتوجهـت اليه انتقاداتهم الهدامة بغير ما موجب لذلـك، الطلاق فى الإسلام ، ولذا تـعين بحث هذه المسـألة فأقول : ان الطلاق وهو حل الـعصمة الزوجية ، او حل عـقدة التزويج يتطلـب البحث من جهتين: من الناحية الفقهية ، ومن الناحية التشريعية الحكمية . اما الناحية الفقهية فبحثنا هذا لا يتعلق بها . واما الناحية الثانية وهى هل الطلاق تشريع صالح محقق لمصلحـة الفرد ، او بعكس ذلك كمـا يدعى خصوم الاسلام ومناوئـوه والجاهلون بحكمه واسراره ؟ فـهذا ما اريد ان اعرض له بالبحث والدراسـة ــ وان كنت كما سبق ان قـلت ــ استغفـر الله تعالى ــ قـبل ان ابحث او اقول ؛ إذ البـحث فى صلاحية مـاشرعه الله عز وجل وانزل به كتـابه يوقف الباحث موقـف الشاك فى صلاحيته المتطلع الى معرفتهـا . وأنا فى الحقيقة لا ابحث عن شك ، وإنما أبحث عن يقين لأذهـب شك الشاكّين ، واقطع حيـرة الحائرين كما ابحـث لأظهر زيف ادعاء المغرضين الذين ما برحوا يشنون الحملات تلو الحملات على شرائع الإسلام وتعالـيمه ، فكـم اثاروا حول هذا المسـائل من شبـهة ؟ وكم تعرضـوا لها بالـنقد والطعن ، ولـكن الإسلام امتن من أن ينال مـنه مفتر افاك ، وابعـد من ان تصل اليه يد مزور مغرض ، أو عدو مبغض .

إن الطلاق ــ أخى المسلم ــ موجز القول فيه : انه شرعه الله تعالى دواء فإذا سىء استعماله انقلب داء . وأنه من الحلال الذى يبغضه الصالحون . وأن الشرع لم يلزم به أحداً من الناس إلا فى حالات خاصـة يتعرض فيها أحد الزوجين لضرر كبير قد لايتحمله ولا يقوى على مثله .

ولم يفرض الله تـعالى ولا رسوله عليه الـصلاة السلام على مؤمـن ان يطلق امرأته ما أدى حقوقها وقام بواجباتـها . كما لم يرغب الله ولا رسوله فى الطلاق كما رغبا فى فعل الخير والبـر والاحسان . بل الاسلام وهو شرع الله ورسوله نفر من الطلاق وكـرّهه للنفوس حـتى جعل المطلـقة ثلاثاً لا تحل لزوجـها الذى ابت طلاقها إلا بعد ان تنكح زوجاً غيره ، ويذوق عسيلتها وتذوق عسيلته ، وفى ذلك من التبغـيض للطلاق والتنفير مـنه ما لا يخفى على ذى بصيـرة ولا يشك فيه ذو عقل سليم أو ذوق صالح .

اخى المسلم : وإذا كـان هذا هو موقف الإسلام من الطلاق فلـم يعاب على مجرد اباحته له اذا خاف الزوجان او أحدهما ألا يقيم حدود الله مع صاحبه ، مع ان رفع الضرر تـأمر به جميع الـشرائع والتوسل الـى رفعه بما يمكن مـن الوسائل تقضى به جميع العقول .

فلمَ يعاب الإسلام على اباحة الطلاق للحاجة ؟

اليس الرجل ملزماً بنفقة الزوجة وبحقها فى الفراش ؟

واذا قلنا بلى وبلى ! فهل اذا عجز الرجل عن اداء واجباته نحو زوجه وفشل تماماً فى القيام بذلك لا يكون من الخيـر والعدل ايضاً طلاق هذه المؤمنه وخلاصها لتطلب لها سعادة بجوار رجل آخر من المسلمين ؟!

وإذا كانت المرأة سلـيطة اللسان سيئة الخـلق مطبوعة ــ والعيـاذ بالله ــ على حب الشر والأذى ، الـيس من العدل والخير أيـضاً ان يخلص هذا الرجـل العاثر الحظ من هـذا الشر والأذى بطلاق هـذه الزوجة ، فيكـفُّ عن الشر ويرفـع عنه الضرر والرسول ﷺ يقول وقوله الحق : « لا ضرر ولا ضرار » .

ام يرى المتنقصون لشـرائع الإسلام والطاعنون فى هذه التعاليم الإلـهيه القيمة ان من العدل والحق ان تسلط افعى على بشـر كريم تنهشه وتمتص دمه طول الحياة كما ان الـعكس قد يـقع ايضاً . فإن مـن الرجال من يكـون ضراباً عيـاباً ، سيء العشرة فاسد الخلـق والخلق معاً فهل من العدل والرحمة فـى شيء ان يربط مصير امرأة مؤمنة صالحة بأرقـط كهذا لايألو جهداً فى تعذيبها وتنغيـص معيشتها ؛ والى نهاية العمر ؟! ام من العدل والرحمة بهذه الضعيفة الشريفة ان تُفك رقبتها ويخلى سبيلها لعلها تعيش بعيدة عن الأذى والشر ، وهل من سبيل عادل سوى طلاقها ؟ نعم . . لا سبيل عادل إلا طـلاقها . . أما السبيل الجائر الذى يعـرفه الطاعنون فى شرعية الطلاق فى الإسلام وهو سبيل اغتيال هذا الزوج كطريق الى الخلاص منه ، فإن الإسلام لا يأمر بـه ولا يبيحه بحال ، لأن الإسلام دين مـحبة وسلام لا دين سفك للدماء واجرام .

هذا وان بعـضاً من خصـوم الإسلام لا يعيـب الطلاق من حـيث هو سبـيل للخلاص مـن الضرر وإنما نعيـب كونه بيد الزوج فـقط لا تملكه معـه الزوجة ولا تشاركه فيه برضاها إذ قد حاول بعـض هؤلاء الخصوم ان يشترط فى صحة الطلاق رضا الزوجة بحيث لا نفاذ لطلاق لا توافـق عليه من يراد طلاقها وقد فات هؤلاء

ان يعرفوا الحكمة فى وضع الطلاق في يد الزوج والا لما انكروا او ضاقوا واختنقوا. هذا . . وقد سبق ان اشرنا إلى حكمة وضع الطلاق فى يد الزوج دون الزوجة ، وذلك ان الزوج لما كان يصدق المرأة ويدفع المهر كان إناطة الطلاق به ادعى إلى بقاء عصمة الزوجية ، وعدم فصم عراها ؛ لأن الزوج العاقل الرشيد لا يعمل على تضييع ماله وافساده ، والطلاق بدون حاجة اليه من باب إفساد المال وتضييعه؛ لأن كلا منا يعرف مدى ما يتحمله المتزوج من نفقات باهظة على زواجه، فإسناد أمر الطلاق الى الزوج اسنادٌ إلى من لا يرتكبه غالباً إلا مضطراً بخلاف ما لو وضع بيد الزوجة وكانت تملك امره فإنه لا يستبعد ان تتزوج وتطلق كل عام اثنتى عشرة مرة ؛ لأنها لم تدفع فى شركة الزواج قرشاً ولا فلساً بل اخذت عليها ضريبة باهظة لاسيما اذا كانت ذات رأس مال تحب تنميته وترغب فى تكثيره .

كما ان جعل الطلاق موضع رضا الزوجين معاً فاسد ، وذلك لأنه قد تدعو الحاجة إلى الطلاق ويتأكد امره للضرر الحاصل ، ولم يسمح احد الطرفين به وقد علق امر الطلاق على رضاه ، ولم يرض ويستمر الضرر ، وهو ما ينزه عنه شرع الله تعالى العادل . فالعقل والمنطق يقضيان بوضع الطلاق فى يد احد الزوجين فقط ليسهل استخدامه لرفع الضرر عند الحاجة إليه ؛ وكونه فى يد الزوجة لا يحسن لأنها لاتؤمن عن استخدامه في صالحها لما قدمناه فتعين ان يوضع فى يد الزوج فقط ، ويحاط بسياج من الوصايا والتحذيرات .

ولا ننسى ان الزوجة لها نوع مشاركة فى الطلاق ؛ إذ تقدم لنا أن الزوج لو يهمل واجباته نحوها أو يسيء عشرتها فلها أن ترفع امرها إلى القاضى ويمكنها من الطلاق .

فهى اذاً تملك الطلاق فعلاً ان توفرت شروطه كما أن الزوج لا يملكه خالياً من اللوم والعقاب والاثم ان أوقعه بغير توفر شروطه وحضور دواعيه.

وخلاصة القول فى حكمة الطلاق وسر شرعيته أنه رفع الأذى عن المؤمن والمؤمنة والمحافظة على تقواهما لله عز وجل التى هى طريق سعادتهما وكمالهما فى الحياتين .

سبحانك اللهم ما أعدل شرعك ! . وما أعظم حكمتك ! . وما أرحمك بعبادك !

تعـدد الزوجـات والحكمـة منـه

قضية تعدد الزوجات من بين القضايا التى طعن فيها خصوم الإسلام ،واعداء تشريع الله تعالى ، واثاروا حولها الشبه والـشكوك وزعموا انها مسألة هدرت فيها كرامة المرأة وضـاع فيها حقهـا . واتخذوا من هذه القـضية طريقاً لـطعن الإسلام وانتقاد احـكامه وشرائعه وبـالتالى التشكـيك فيه وصرف النـاس عنه وما ذاك الا لحقدهم على الإسلام واتباعه اولاً ، ثم لتعفن آرائهم وفساد افكارهم ثانياً ، وثالثاً لحرمانهم من الإيمان بحكمة الله تعالى وعـدله وصلاحية تشريعه ، وتدبيره لشؤون أوليـائه ، وامور خلـقه فما اضـل سبيل الـقوم ! وما أشد عـماهم ، وما أعـظم حيرتهم فى الحياة !

إن الإسلام وانصاره واتباعه لا يرون فى مسـألة تعدد الزوجات سوى الرحمة فى التشريع ، والاصابة فى التقدير ،والعدل فى التقنين .

ولنبـحث هذه القضيـة على نظرية الـفريقين معـاً لنبين صدق نظـرية الإسلام والمسلمين فـيها ،وفساد وكذب الخصوم المناوئـين ، تشهيراً بهم وفضحـاً لسرائرهم وما يضـمرون للإسلام مـن هدم وتخريـب ، حتى يلفـظهم الصـالحون ويلعـنهم اللاعنون .

ولنبدأ البحث بهذه التساؤلات :

هل الاسلام اوجب على المسلم ان يتزوج بأكثر من واحدة ؟

هل الإسلام ألزم المسـلمة إذا خطبها من تحته زوجـة او زوجتان او ثلاث بان تلبى رغبته وتتزوجه ؟

هل الإسلام رغب فى الزواج بأكثر من واحدة ، ولو بإشارة فضلا عن عبارة؟ والجواب عن كل هذه التساؤلات فعلا بالنفى لا . لا . لا .

وهذه استفهامات اخرى وإجاباتها فلنصغ اليها :

الم يأمر الإسلام بالعدل بين الزوجتين أو الزوجات ؟

الم يحرم الإسلام الحيف والميل عن الزوجات وظلمهن ؟

الم يقل الله تبارك وتعالى: ﴿ **وان خفتم ألا تعدلوا فواحدة** ﴾ ؟

الم يقل رسول اللّه ﷺ: « من كانت له امرأتان فمال الى احدهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط » ؟ .

والجواب فى هذا كله : بلى ، بلى ، بلى :

أى امر الإسلام بالعدل بين الزوجات ، وحرم ظلمهن، وارشد الى الاكتفاء بواحدة فى حال خوف الظلم . وتهدد واوعد من يخرج من الرجال عن دائرة العدل فى ذلك .

وعليه فاين محط نقد الخصوم ، وأين موضع طعنهم فى هذه المسألة ؟ ام ان كل ما ينقمون من الإسلام انه لم يحرم التعدد للزوجات وينه عنه ؟ ونحن نقول لهم : ومتى كان الإسلام مقيد للحريات ، أو يرغب فى التضييق على الناس وتحديد تصرفاتهم الشخصية ما جانبوا الفساد والشر حتى يقال : لمَ لمْ يضيق الإسلام هذا الواسع ، ولم يقيد هذا المطلق ؟ ثم لو أن الإسلام جاء فى هذه بما يقترحون لقالوا : ما هذا التقييد للحريات ، وما هذا التضييق على الأفراد ، لم لايتزوج المرء ما شاء ويجمع بين من يشاء . أليست للمرء حريته فى الحياة ﴿ **ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن** ﴾ ثم إنه ـ ويعلم الله لو حظر التعدد وحرم على الناس لكان يفوت بحظره ومنعه خير كثير لا يعوض .

وهاه ذى فوائد تعدد الزوجات نتلوها لقوم يتفكرون :

١ ـ قد تكبر زوجة الرجل المسلم الذى يحرم دينه الزنا . ويوجب عليه حفظ فرجه ، إلا على زوجه أو ما ملكت يمينه من امة يتسرى بها ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون إلا على ازواجهم أو ما ملكت أيمانهم** ﴾ قد تكبر زوجته وقد تصاب بعاهة او مرض مزمن ولم تكن قد فعلت ما يسوغ طلاقها ، أو يحسن فراقها، ولا يجد هذا الزوج بدأ من واحدة من ثلاث: إما أن يطلق تلك المرأة الكبيرة السن والتى أكل مالها وافنى شبابها ، ونفضت له ما فى مبطنها وعمل كهذا لا يقوى عليه المسلم الصالح . وإما أن يعصى ربه فيأتى طريقاً لا يحل له إتيانه فيهلك فى دنياه ويشقى فى أخراه وإما أن يتزوج بأخرى ، ويبقى على

الأولى . فأى واحدة من هذه الحالات الثلاث أليق به ؟

لا شك أن كل عاقل سوف يقول : قطعاً الخطوة الأخيرة هى الأليق والارحم والاعدل ومن اجلها اباح الإسلام تعدد الزوجات .

٢ ــ قد يكثر النساء فى اقليم ما ، أو بلد ما ،ويقل الرجال لسبب أو آخر ، إما لحرب ضروس ، اشأم من حرب البسوس ، تقضى على الرجال والمال . وإما لوباء ينزل بالرجال دون النساء ، وإما لغير ذلك مما تجرى به الاقدار ، كأن يجتمع الرجال فى مسجد فيسقط أو فى سوق فتسيخ بهم ارضها وتغور ففى هذه الحال إما أن يتقاسم الرجال هذه الاعداد الهائلة من النساء اثنتين اثنتين او ثلاثا ثلاثا واربعا أربعاً ولا أكثر إذ الطاقة البشرية غالباً تقف عند هذا الحد فيخففوا بذلك عن ارامل إخوانهم المصاب ؛ إذ قد يسدون بعض حاجتهن ولو حاجة الطعام والشراب ، وإما ان يهملوا شأن هؤلاء فينتشر الشر ويكثر الفساد فى البلاد . فاى الحالين ابرك عند العقلاء ؟ لا شك أنها الحال الأولى التى توزعت فيها الرحمة وتقوسم فيها الخير ، ومن اجل هذا اباح الاسلام تعدد الزوجات .

٣ ــ قد يسوق القدر الرجل الى امرأة عاقر يتزوجها ويرغب فى الولد منها طلباً لامتداد حياته من بعده ، ولم تكن تلك لتنجب فأى الحالات يرتكب ؟ ايطلقها ؟ فيطلقها ولا ذنب لها ، أم يتزوج عليها ويجمعها مع امرأة غيرها فتقاسمها خيره وغيره ، أم يقتل رغبته فى نفسه ويقطع امتداد اصله بفرعه ؟

لا شك ان العقل والمنطق يقضيان بارتكاب الحالة الوسطى ؛ لأنها ارحم وأعدل .ومن اجل هذا اباح الإسلام تعدد الزوجات. . لو كان الخصوم يفهمون !

٤ ــ الأمة المسلمة التى اباح شرعها تعدد الزوجات أمة انيط بها حمل راية الحق الى الخلق وكتب عليها أن تعيش مجاهدة ، أمة كهذه رجالها مهما كثروا لا يسدوا حاجتها ولا يكفوا للقيام بكل مسؤولياتها ومتطلباتها ؛ إذ بعضهم ، غاز ، وبعضهم الى الله داع ، والبعض الآخر زارع وبان ، إن أمة يوزع رجالها هذا التوزيع لخليقة بأن تعمل على تكثير رجالها ، وتوفير افرادها لتسد بذلك حاجتها، وتقوم بواجبها ولا سبيل الى ذلك إلا باكثار من الضعائن الحلائل .ومن اجل هذا أباح الإسلام لأمته تعدد الزوجات . وقال رسول الله ﷺ : « تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة » .

حكـم ولايـة المسلمـة

هذه المسألة مما كثـر فيها الخوض وتكلم فيها الناس بـغير علم ، ومازال اقوام يهرفون بمـا لا يعرفون . فيشرعون مـالم يشرع الله ، ويهدون إلى غيـر سبيل الله والمؤمنين .

ونبدأ بحث هذه المسألة بالاسئلة التالية : ونكتفى فى بحثها بالاجابة عنها .

هل يـحق للمـرأة المسلمـة ان تشارك فى الانـتخابـات البرلمانـية أو انتخـابات المجالس البلديـة والوطنية ، وهل ترشح نفسهـا للنيابة لشغل منـصب من مناصب الدولة المختلفة فتصبح وزيرة مسؤولة أو حتى رئيسة للحكومة ؟

وهل الإسلام يمنحها هذا الحق الشخـصى ؟ وإذا كان لا يمنحها ذلك فلماذا ؟ هذه هى الأسئلة فـلنجب عليها لنرى ما اذا كـان الإسلام يقرر ولاية المرأة أو لا ؟ والجواب عن السؤال الأول :

هل يحق للمـسلمة أن تشارك فى الانتخابـات . . إلخ . هو الجواب عن هذا السؤال :

هل الإسلام يجيز هذه الانتخابات المتعارف عليها الآن ،وفى وضعها الراهن ؟

والجواب قطعاً لا ، لأن هذه الانتخابات ، وإن كـانت شبيهة بما كان الإسلام يجيزه من اختـيار رجال القبيلة أو أهل المديـنة رجلا منهم أو وفداً يتكلـم باسمهم ويمثـلهم فى هـناء أو عزاء أو صلـح حرب أو مبـايعة أميـر أو خليفـة إلا أن هذه الانتخابات المعروفه الآن والعارية عن كل امانة أو إخـلاص تعتمد فيما تعتمد عليه على الادعاء الـباطل والقول الكـاذب ولا يتورع أصحابهـا عن استعمال الـسبائب والشتائم وقلب الأوضـاع وتشويه الحقائق للحصول على كرسـى الحكم أو النيابة بأى ثمن كان ؛ إذ لا هم لهم إلا ذلك . فـى حين أن المقرر فى الإسلام فى هذا الشأن أن الولاية لا يعطاها من يطلبها . ولا تسند إلى من يتعرض لها . أو يحرص عليها « إنا والله لا نولى على هذا العمل أحداً سأله ولا احداً حرص عليه » « إن أخونَكم عندنا مـن طلبه » وكان أهل الإسلام بحق يهربون مـن الولاية فقد أسند هارون الرشـيد القضـاء الى الإمام الشـافعى فهـرب منه واختـفى حتى لا يـتولى

القضاء. وقد سجن أبو حنيفة فى الولاية واكره عليها ولم يقبل رحمه الله تعالى والإسلام يبالغ فى تحرى الاصلح واختيار الاكفى والاليق حتى قال رسول الله ﷺ : « لا احب أن يلى شيئاً من يستحى من الله فى الخلاء » فإذا كان الاسلام يقف هذا الموقف من كل طالب للولاية والمنصب فكيف إذاً يجيز هذه الانتخابات التى يترشح لها البار والفاجر ، والاحمق والعاقل ، والتى سداها ولحمتها كما هو معروف : الغش والفحش والخداع والتضليل ، واذا كان الإسلام لايجيزها لفسادها فكيف تجوز للمرأة بوجه خاص وهى هى فى وضعها وعجزها وسرعة فسادها ونقصان عقلها وصغر نفسها ؟؟

ان الاسلام ليس بدين شهوات ولا اهواء أو عواطف إنه نظام السماء لأهل الأرض لا يمكن أن يتطرق إليه الضعف والفساد أو الاغفال فى ناحية من نواحى الحياة البشرية ابداً . إن إسناد امانة ضخمة وتبعة كبيرة إلى شخص لايقوى عليها ولا يقدر على رعايتها وحمايتها يعتبره الإسلام خيانة وغشاً وخديعة ، ويعتبره بالتالى تعريضاً لنظام الكون للفساد ، الكون الذى اقامه الله تعالى على الحق والعدل ﴿ **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق** ﴾ .

هذا عن الانتخابات . . . واما عن شغل المرأة المسلمة منصباً فى الدولة يسند اليها بطريق الترشيح والاختيار مثلا فالجواب على هذا يحتاج إلى شىء من التفصيل وهو : أولاً ما هى طبيعة هذا المنصب الذى يراد أن تشغله فى الدولة ؟ إن كان منصب تعليم النساء أو إفتاء من وراء حجاب وهى أهل لذلك ، أو منصب تطبيب أو تمريض لإخوانها وبنات جنسها فى السعة أو لإخوانها فى الضيق فنعم ، لها الحق فى شغل هذا المنصب متى اختيرت له واسند إليها وكانت ذات كفاية وقدرة عليه ، والإسلام لايحرمها هذا الحق الشخصى .

وإن كان المنصب منصب ولاية أو سفارة أو قضاء أو قيادة جيش أو حكم إقليم فليس لها الحق فى هذا المنصب بحال من الاحوال وليس لها أن تطالب به أو قبوله إن اسند إليها متى كانت مسلمة صالحة ، ولايعتبر هذا حرماناً لها من حقها الشخصى إذ تقدم أن بيّنا ان الحقوق الشخصية مقيدة دائماً بما يجيزه العرف والقانون وهذا القانون منعها هذا الحق للاعتبارات التالية :

١ ــ ضعف المرأة الطبيعى فى بدنها وفى عقلها معاً الامر الذى لا ينكره عاقل، والمراد من هذا الضعف أنها أقل مستوى من مستوى الرجل فى القوة

البدنـية والعقليـة. وهذه المناصب المحرومـة منها يشـترط لبعضهـا الكفاية البـدنية والعقلية معاً، ولبـعضها الآخر الكفاية فى إحدى الناحيتين : الـبدنية أو العقلية ، وهى ناقصة فى المرأة بدون شك .

٢ ـ المناصب المذكورة التى حرمها القانـون والعرف منها مناصب تضطرها إلى مخاطـبة الأجانب والاتصـال بغير محـارمها فى الخلـوة وفى الجلوة ، ومخـالطة المسلـمة للأجنبـى والاختلاء به لا تحل بحـال لأنه إفساد لديـنها ، والشريـعة آمرة بالمحافظة على الـدين كالمحافظة على البدن ، مانعـة من افساد الاديان كالأبدان ، فلهذا المانع سقط حقها فى هذه المناصب .

٣ ـ قول الـرسول ﷺ: « لن يفلح قـوم ولوا أمرهم امرأة » هذا الـقول له وزنه عندنا نحن المسلـمين وله قيمته الكبيرة واعتباره العظـيم ، فلم نجرؤ أبداً على مخالفته لمجرد تقليد اعمى للأمم الشرقية والغربية من أهل الشرك والكفر فى تولية بعض نسائهم ، إن مخـالفة هذا الخبر النبوى ليست بالأمر الهـين ، إنها نذير بمغبة وخيمة ،وعاقبة سيئة . إن نفى الفلاح علـى لسان النبوة الصادق امر لا يستهان به ابداً . ومـن هنا كـان الإسلام لا يُجيـز تولية المـرأة مثل هـذه المناصـب ولا يرى إسنادها إليها بحال من الاحوال .

حـق المسلمة فـى العلم والتعلم

وآخر حق من حقوق المرأة فى هذا البيان هو حـقها فى العلم والتعلم . أخى المسلـم : إننا كلنا نـعلم أن العلـم الصحيح صـفة كمال فى الإنسـان ذكراً كان أو أنثى، وأن الجهل بما يلزم أن يعلمه المـرء صفة نقص كما أنه لا شك فى أن سعادة الإنسان موقوفة على العلم الصحيح ،والعمل الصالح .

ومن هنـا أشاد الإسلام بالعـلم والعلماء ، ونـوهت آيات الكتـاب واحاديث الرسول ﷺ بذلك إذ قال تعالى: ﴿ **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ وقال: ﴿ **إنما يخـشى الله من عباده العـلماء** ﴾ وقال: ﴿ **وقل رب زدنى عـلماً** ﴾ وقال رسول ﷺ: « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال ﷺ :« من التمس طريقا يلتـمس فيه علماً سهل الله له طـريقـاً إلى الجنـة » مسلـم .وقال للشفاء : «علّمى حفصة رقية النملة » وامر زيد بن ثابت أن يتعلم لسان اليهود .

أخى المسلـم : إن فضل العلم اليوم وقـبل اليوم غير خاف علـى احد ، فإنه كان وما زال ضـرورة من ضروريات الحـياة ، وشرطاً اسـاسياً من شـروط سعادة الافراد والجماعات .

بيد ان كلمـة (العلم) كلمة مجملـة تحتاج إلى بيان ؛ إذ لفظ العـلم يشمل الدينى والصناعى ، والكفائى ، والعيـنى . فالكفائى : ما يلزم ان يكون فى الأمة من يحسنه ويتقـنه ، وبذلك يسقط الاثم عن الجميع . وأما العـينى : فهو ما يلزم كل فرد مـن افراد الأمة بعـينه بحيـث لا يسعه جهـله بحال مـن الاحوال . ومن العلوم الكفائية : بعض العلوم الدينيـة كمعرفة المواريث والحساب ،وكمعرفة اللغة العربية وقواعدها وفنونها ،وكذا العلوم الصناعية المختلفة من هندسة وكيمياء وطب وعلوم الـطبيعـة،والذرة والهيدروجـين وما اليها ، ممـا هو ضرورى لكـمال الأمة وقوتها، وبخاصة أمة الإسلام التى تعتبر الوصية على البشر ، والحاملة لراية الحق والهدى والخير إليهم .

ومن العلوم العيـنية الواجبة على كل فرد من أفراد الأمـة الإسلامية ذكراً كان أو أنثى ما يسمى بالضرورى من علوم الدين كمعرفة الله تعالى وتوحيده وعبادته ، وكمعرفـة الحلال والحرام من المطعومات والمـشروبات والمنكوحات . ومـعرفة هذه

العلوم الدينية من اشرف المعارف واسماها ؛ إذ العلم يشرف بشرف غايته ، ويسمو بسمو هدفه ، وغاية العلم الديني وهدفه سعادة الدار الآخرة وكرامتها بالجنة ورضوان الله تبارك وتعالى فيها .

وبعد هذا نقول : ما هو الواجب على المسلمة أن تتعلمه من هذه العلوم ، وهل لها الحق أن تتعلمها كلها ، أو تترك منها ما تشاء وتتعلم ما تشاء ؟ وهل هناك فرق بين المسلم والمسلمة في هذا الباب ؟

ونجيب عن السؤال الأول فنقول : إنه يجب عليها وجوباً عينياً أن تتعلم الضرورى من علوم الدين كمعرفة الله تعالى وتوحيده ومعرفة عبادته من صلاة وغيرها ، ولا يسعها ترك هذا ابداً .

كما نجيب عن السؤال الثانى قائلين :

نعم ان للمسلمة الحق فى أن تتعلم ما شاءت من العلوم الصالحة النافعة كحق شخصى لها فى الحياة ، غير أنها مقيدة دائماً بوجود المقتضى وانتفاء المانع ؛ إذ الحقوق الشخصية لا يتمتع بها صاحبها إلا فى اطار العرف وحدود القانون .

أما عن السؤال الثالث والأخير :

فالاجابة ايضاً إيجابية بنعم ،أى أن هناك فرقاً ظاهراً بين المسلمة واخيها المسلم فى باب التعلم ، إذ المسلم تكثر عنده المقتضيات لطب العلوم المختلفة ، وتقل عنده الموانع التى تعوق عن طلب العلم وتصرفه عنه ، واخته المسلمة بخلافه تكثر عندها الموانع وتقل المقتضيات .

ومن هنا كان بينهما فرق فى هذا الشأن لا ينكره عاقل ولا يجهله ذو بصيرة .

وعلى ضوء هذه الحقيقة الشرعيه العلمية القاضية بوجوب تعلم البنت المسلمة الضرورى من امور دينها .

وبكون أنها لها الحق ان تتعلم سائر العلوم والفنون النافعة الصالحة كحق شخصى متى توفرت شروط ذلك بوجوب المقتضى وانتفاء المانع ، وكان ذلك فى إطار العرف وحدود ما يسمح به القانون .

فإنه ينبغى توضيح هذه المسألة وتحديدها بما يكون طريقة مثلى فى هذا الباب لا يعدل عنها ولا يطلب غيرها .

أفضل طريقة لتعليم المرأة المسلمة

وهاه ذى الطريقة والتى نود للمعنيين بشؤون تعليم البنت المسلمة أن يذكروا إزاءها دائما أنها أخذت من مرونة الإسلام وسماحته ، وسعة افقه ، ورحمة تشريعه ما لم يبق معه مجال للتمطيط ، ولا مطمع فى التوسعة والتمديد إلا ما كان من محادة الإسلام والخروج عن سبيل المؤمنين .

هاه ذى هى واضحة المعالم محددة النقاط لا يتنكب عنها شعب إلا هلك ولا تبتعد عنها أمة إلا خسرت . وهى :

أ ــ تحديد الهدف .

ب ــ تحديد نوع العلوم ــ أو المنهج الدراسى .

جـ ــ تحديد سنوات العلوم ــ أو سن المتعلمة .

وقبل أن نأخذ فى شرح هذه النقاط التى تقوم عليها الطريقة المقترحة لتعليم البنات المسلمات ننبه إلى أنه ينبغى ان يعلم أن البنت المسلمة التى يوضع لتعليمها مثل هذه الخطة أو المنهج ليست هى ولا أخوها ، ولا أمها ولا أبوها ، ليسوا جميعاً بيهود ولا نصارى ، ولا شيوعيين ، ولا ماسونيين ، ولا وجوديين إباحيين، وإنما هم قبل كل شىء مؤمنون مسلمون ، فلهذا كان ولا بد ان يتحركوا دائماً فى اتجاه واحد لا يعدلون عنه ، ولا يخطئونه ابداً . ذلك هو شريعة الله تعالى الثابتة ثبوت السنن الكونية التى لا تقبل التبديل ولا التحويل ، والتى تطور الانسان وترقى به إلى ابعد حدود السمو والكمال ، ولا تتبدل هى ولا تتطور ، شأنها شأن السنن الكونية ، فهى كالكواكب فى سيرها وثباتها ، وكالشمس فى حرارتها واشراقها ، وكالقمر فى نوره ومواقيته ، وكالارض فى كفايتها وإنباتها ، وكالأغذية المودعة فى الحبوب واللحوم وفى الثمر والخضر ، وكالهواء والماء .

فإنها كلها ــ بإذن الله ــ تطور الإنسان ولاتتطور ، وتبدله من حال إلى حال ولا تتبدل ؛ فإنها سنن مرتبطة بنظام الله تعالى خالقها وربها الذى يحفظ بها الحياة إلى غايتها ، فلو أريد لها يوماً ان تتطور بمعنى أنها تخرج عن طبيعة نظامها وتتبدل لكان فى ذلك نهاية العالم وبالتالى نهاية هذه الحياة .

وكذلك شريعة الله التى هى مبادئ الإسلام وتعاليمه ؛فإنها موضوعة وضع السنن الثابتة التى تطوّر الإنسان وترقى به فى عقله وجسمه ، ولا تتطور ولا تتغير. ومن اراد تطويرها أو تغييرها فقد اراد سلبها خصائصها ومنافعها وفى ذلك فساد الحياة الفاضلة ونهايتها .

على ضوء هذه الحقيقة نتناول تلك النقاط السابقة التى نرجو من توضيحها ان تخرج بمنهاج كامل لتعليم البنت المسلمة ، ونضعه بين أيدى اولئك المتباكين على تعليم البنت المسلمة والذارفين للدموع على جهلها وتأخرها ليأخذوا به إن كانوا صادقين فى ارادة الخير والسعادة لها .

أ ــ تحديد الهدف

إن المراد من تحديد الهدف هو تعيين الغرض الذى من اجله نعلم البنت المسلمة وهو إن انصفنا انفسنا واحترمنا كرامتنا وأقمنا وزناً لتعاليم ديننا لا يخرج عن دائرة كونه أن تتعلم البنت كيف تعبد ربها عبادة تزكى روحها ، وتصلح اخلاقها وتهذب شعورها وسلوكها فى الحياة .

ولا يكون الغرض ابداً الوظيفة بأى شكل من أشكالها ، وسواء كانت فى أجهزة الدولة ، أو فى غيرها من الأعمال الحرة اللهم إلا ما كان من تطبيب أو تمريض ولمثلها من اخواتها فقط .

وإذا كان الغرض من تعليم البنت ما ذكرنا ، أليست الأم المسلمة باكبر حاجة إلى هذا التعليم الذى يزكى الروح ، ويصلح الأخلاق ، ويهذب الشعور والسلوك.

أليست الأم المسلمة بحاجة اكثر اليه من ابنتها ؟

فلم إذاً تحرم حتى من موعظة اسبوعية فى بيت من بيوت الله تعالى ؟ أم آلاف الجنيهات التى تنفق على مدارس البنات لم تتسع لتوظيف واعظ واحد فى مسجد المدينة أو القرية لتهذيب النساء وإصلاح انفسهن ، وهن هن الأمهات اللائى يربين البنين والبنات ؟ ألم يدل اهمال جانب الأمهات بهذه الصورة أن الغرض من تعليم البنات لم يكن لوجه الله تعالى ، وهل لعمل لا يراد به وجه الله من عاقبة محمودة ، أو ثمرة طيبة ؟

ب ــ تحديد نوع العلوم ــ أو المنهج الدراسى :

إذا سلمنا بأن البنت تختلف عن اخيها فى قوة العقل والبدن ،وفى المقتضيات والموانع كما تقدم ، ألم يكن من الحكمة والمعقول ايضاً أن تختلف المواد الدراسية بين البنت المسلمة واخيها وفى جميع مراحل التعليم ؟ وإذا كان الأمر كذلك فإنه ينبغى أن تكون المواد الدراسية لكل بنت مسلمة وفى أى وسط كانت هى ما يلى :

١ ــ العلوم الدينية من توحيد وفقه وحديث وتفسير .

٢ ــ العلوم الآلية من لغة ونحو وصرف وبلاغة.

٣ ــ المهنية مما لها علاقة بالبيت فقط .

٤ ــ التطبيب والتمريض إذا كان ثم ضرورة إلى ذلك وبالشروط المبينة فى الفقرة التالية .

جـ ــ تحديد سنوات الدراسة ، او سن المتعلمة :

إن القصد من تحديد سنوات الدراسة هو حصر المدة التى تقضيها البنت المسلمة بين جدران المدرسة ثم تغادرها إلى وظيفتها التى خلقت لها ، وعُلّمت من اجلها .

وبالنظر الى مصلحة البنت الخاصة ، وبناء على ظروفها واستعداداتها الشخصية فان سنوات الدراسة لها لا ينبغى ان تزيد على اربع سنوات ابداً ، تبتدئ بالسادسة من عمرها ، وتنتهى بالتاسعة فقط ، وتخرج بعدها البنت المسلمة وهى لا تحمل شهادة ابداً وليس معها سوى اخلاقها الفاضلة وما اكتسبته من معرفة ربها، ومعرفة عبادته ، وحسبها ذلك شهادة . ويكفيها نيل هدف وشرف غاية ان عرفت الضرورى من علوم دينها ، وتعلمت ما يساعدها على استقامتها وحسن سلوكها .

هذا وتمشياً مع الرغبة فى تحقيق المصلحة العامة والخاصة للفرد والجماعة فإنّا نقول ــ غير ملتفتين إلى اعتبارات كثيرة ــ :

ان كان هناك حقاً إمكانيات لدى الدولة المسلمة تمكنها من التوسع فى تعليم البنت اكثر مما ذكرنا فان لها ان تتبع فى ذلك الخطوات التالية :

١ ــ افتتاح مدارس مهنية خاصة بالبنات المسلمات لا تخرج مادة الدراسة فيها عن تعليم بعض المهن اليدوية والخاصة كالنسج والطرز ونحوهما مع رياضة

اخلاقها وتربية نفسها على العفة والحياء ، وعبادة الله تعالى ، بما يلقى عليها من مواعظ وتوجيهات إسلامية بناءة مصلحة يومياً من مربّ صالح كبير يُعَدُّ لهذه المدارس خصيصاً .

ومدة الدراسة فى هذه المدارس ثلاث سنوات فقط تبتدئ من العاشرة وتنتهى بالثانية عشرة .

٢ ــ افتتاح معهد واحد ثانوى باسم البنات المسلمات تحدّد فيه المقاعد الدراسية بقدر ما يظن أنه يفى بحاجة الأمة ، ولا تخرج مادة الدراسة فيه على ما يؤهل البنت لفنى الطب والتمريض فقط .

٣ ــ تخصيص عدد من المقاعد فى كلية الطب فى جامعة الدولة للمتخرجات من المعهد النسائى المذكور .

هذا على شرط التقيد التام فى كل من المعهد والكلية بما يلى :

١ــ ان يحدد عدد البنات اللائى ينتخبن لهذه الدراسة .

٢ ــ ان تقبل طلبات الالتحاق اولاً فأولاً إلى ان يكمل العدد المراد لهذه المهمة .

٣ ــ ان يحدد لباس المتعلمة بلباس ساتر سابغ واسع يسترها من قمة رأسها إلى اخمص قدميها ، لا يصف ولا يشف خال من التنطع والاحتيال، بحيث يرضاه علماء الشريعة الصالحون ويوافقون عليه .

٤ــ ان يعلن للأمة جمعاء أن هذا الاجراء بصدد تعليم هذا البعض من البنات المسلمات على هذه الكيفية إنما هو ضرورة اقتضتها ظروف الأمة وحاجتها ليس غير .

٥ ــ ان يكون عمل المتخرجات مربوطاً بالدولة فيشتغلن فى مستشفيات الحكومة الخاصة بالنساء لا غير وسواء منهن الممرضة والطبيبة فلا تداوى امرأة رجلا ولا تمرضه فى حال (السلم) ابداً ، وإنما تعالج وتمرض اخواتها المسلمات فقط ، اللهم إلا فى ضرورة الحرب فمتى احتاجت الدولة ذلك فإن المسلمة تتطوع بمداواة جرحى المجاهدين وعلاجهم كما كان الصحابيّات رضى الله عنهن يفعلن ذلك فى حضرة رسول الله ﷺ .

٦ ــ ان يكون أجر عمل المسلمة الطبيبة او الممرضة على الثلث من أجر اخيها الطبيب المسلم او الممرض وذلك لقلة نفقة المرأة فهى غالباً لا تعول وإنما تعال

وتكفى حـاجاتها من زوج ووالد او أخ ، وحتـى لا يكون الراتب الضخـم مرغباً للناس فى الزج ببـناتهم فى هذا الباب ، كما ان الراتب الضـخم عادة يحمل المرأة علي التـطاول على زوجها إن كـانت ذات زوج وقد يحملـها على عدم الرغـبة فى الزواج ، وفى كل ذلك مفاسد كثيرة لا تتقى إلا بمثل هذا الاجراء .

متى يحرم تعليم المرأة المسلمة

لا خلاف بين أهـل العلم والمعـرفة : أن الوسيلة تـعطى حكم الـغاية ، وأن الاسباب لها حكم المسببات .

وبناء على هذا فـانه بكل بساطة نستطيـع ان نحكم على تعليم البـنت المسلمة بالحل أو بالحرمة .

فتعليم البنت المسلمة إذا كان الغرض منه والهدف المقصود فيه هو المادة فقط، وكانت نتائجه كما هى فى كثير من البلاد فلا شك أن هذا التعليم حرام وحرام ولا يجوز بحال مـن الاحوال . وأما إذا كان الغرض منه أن تـتعلم المسلمة كـيف تعبد ربها وتطهر اخلاقها ، وتصون بيد عفافهـا حجابها ، وتحافظ على حيائها وإيمانها ، وكانت نتائـجه كما ينبغى أن تـكون : الايمان والتقوى ، والطهـر والحياء فان هذا التعليم يكون كما هو واجباً وفريضة .

وكلمة أخيرة فى تعليم البنت المسلمة

إنه يتحتم عـلى المعنيين بشؤون تعلـيم البنت المسلمة فى الـبلاد الاسلامية أن يختاروا أمرين لا ثالث لـهما ، وذلك إما أن يسيروا فى تعليم البـنت المسلمة على المنهج الذى يرتـضيه الإسلام وتقره شريعته ، حـتى يحفظ للبنت المسـلمة حياءها وحجابها بعد إيمانها وتقواها، وفيما وضحناه من منهج كفاية وإما ان يتركوها جاهلة كما عاشت قـروناً طويلة جاهلة ولـم يضرها ذلك ابداً ؛ إذ جهل مـع إيمان وحياء وصلاح وتقوى خير من علم مع خلاف ذلك .

وعليه فهل يربأ المسؤولون بأنفـسهم أن يبوؤوا بآثام أجيال صاعدة واخرى قد صعدت عرضوها للفساد والشرور ويتخذوا لهم طـريقة سليمة فى تعليم المسلمة ، طريقـة تحقق الهدف الأسـمى من التعـليم وهو الإيمان والـتقوى والخلق الـفاضل والصفاء والطهر ، وذلك خير وأقوى .

الرِّسَالة الثَامِنَة

أسُس الدّعوَة وآداب الدّعاة

كلمة تمهيدية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

وبعد إن لكل دعوة ناجحة أسساً متينة تقوم عليها ، ودعائم قوية ترتكز عليها، حتى يمكنها أن تنجح ويضطرد نجاحها ، وتبلغ الغاية المنشودة لها ، والهدف المقصود منها .

والدعوة الإسلامية كغيرها من الدعوات التى تفتقر فى نجاحها الى أسس ودعائم . وإن المتأمل فى الدعوة الإسلامية يجدها بدون شك قامت على الأسس الآتية :

١ ــ الإيمان بها .

٢ ــ سلامتها .

٣ ــ وضوحها .

٤ ــ العلم بها .

٥ ــ كمال شخصية القائم بها .

وإنه بدراسة هذه الأسس الدراسة الوافية ، وبمعرفتها المعرفة الكافية يمكن من يحاول القيام بواجب الدعوة الى الله ان يقوم بها خير قيام وان يبلغ بها الغاية فى إنجاحها إذا ما هو تذرع لذلك باتباع الطرق الآتية:

١ ــ العرض السليم .

٢ ــ البيان الشافى .

٣ ــ تنويع الخطط .

٤ ــ كسب الأنصار .

٥ ــ الثبات عليها .

واتصف بالصفات التالية ، وتحلى بها تحلياً كاملاً وتلك الصفات هى :

١ ـ الصبر على الأذى فيها .

٢ ـ الغيرة عليها .

٣ ـ التجرد لها .

٤ ـ الصدق فيها .

٥ ـ قوة الصلة بالله عزوجل .

وإنه لمنْ غير المشكوك فيه أن من اقام دعوته على الأسس السابقة ، وسلك لها الطرق الآنفة الذكر وكان متصفاً اتصافاً حقيقياً بما ذكر من الصفات سيكون نجاحه أقرب من إخفاقه ، وانتصاره اولى من فشله . وما النصر ولا النجاح الا من عند الله .

هذا وسنتناول بإذن الله تعالى وعونه تلك الأسس والطرق والصفات التى ذكرنا بشيء من الشرح والتفسير ، ونتبع ذلك بنماذج حية ، وأمثلة صادقة ناطقة تمثل مواقف شتى للدعاة الصالحين وهم يصارعون الباطل الواقف فى طريقهم ويجابهون المشاكل الصعبة التى تعترض سبيل دعوتهم .

وكيف يغلبون الباطل ، ويتغلبون على المشاكل ، وتمضى دعوتهم فى طريق نجاحها الى أقصى غاياتها وأبعد آمادها . والقصد من ذلك الأخذ بيد الداعى المبتدى ، ومساعدته على شق طريق دعوته والوصول بها إلى ما يريد لها من نجاح واطّراد . حقق الله ذلك لى وله فى عافية ، وحسن مثوبة .

الدعوة وفضلها

تعريف الدعوة :

الدعوة الاسم من دعا فلاناً يدعوه الى كذا ،إذا ناداه لأجله ، فلفظ الدعوة إذا صالح لأن يستعمل فى الخير والشر ، والحق والباطل فلذا وجب تعريف الدعوة وتحديدها لئلا تلبس بغيرها .

فالدعوة الإسلامية هى دعوة الناس باسم الله الى الإيمان بالله وطاعته من اجل إسعادهم فى الدنيا بنشر الفضيلة بينهم ، وإقامة العدل فيهم ، وفى الآخرة

بنجاتهم من النار ، وفوزهم بالجنة .

فضل الدعوة :

اما فضل الدعوة الى الله بالإيمان به وطاعته إيمـاناً يشمل التصديق بكل ما جاء به رسـول الله ﷺ عن الله من شأن المـلائكة والـكتب والـرسل والقدر والـشرع والمعاد وطاعة تـتمثل فى امتثال أوامر الله ورسـوله واجتناب نواهيهمـا ففضل هذه الدعوة عظيم ، وجزاء الداعى بها جزاء واف وأجره عـليها أجر كبير . ويكفى فى بيان ذلك الآية والحديث التاليان :

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً ، وقال إننى من المسلمين﴾ .

« لأن يهدى الله عـلى يدك رجلا واحداً خيـر لك من حمر النـعم » ، وفى لفظ « خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

الأســاس الأول

الإيمان بالدعوة

إيمان كل داع بدعوته سر نجاحه فيها فمن لم يؤمن بصلاحية دعوته وخيريتها، وحاجة الناس اليها لا يستطيع أن يدعو اليها او يجهر بها كما لا يقوى على التضحية فى سبيل نشرها بنفس او مال .

ولذا كان لابد لمن يعتزم القيام بواجب الدعوة الى الله تعالى ان يكون مؤمناً بهذا الواجب قوى الايمان فيه معتقداً خيرية دعوته الاسلامية وصلاحيتها وحاجة الناس الملحة لها .

ومما يوفر هذا الايمان المطلوب للمسلم الداعى علمه بالأمور التالية :

١ ــ استحالة سعادة البشر عامة والمسلمين خاصة فى الدنيا وفى الآخرة ما لم تكن من طريق الاسلام والاسلام فقط ؛ إذ هو المنهاج الإلهى الموضوع لإسعاد البشر فى دنياهم وآخرتهم . فلا أمل فى الوصول الى ما تنشده أمم العالم وشعوبه من سعادة فى هذه الحياة أو فى تلك الا عن طريق الاسلام ذى المبادئ والتعاليم الالهية الموضوعة وضع السنن فى تحقيق ما انيط بها من خير الانسان وسعادته .

إنه إذا كان الماء يروى والطعام يشبع ، والنار تحرق ، عادة وكان هذا سنّة لا تتخلف ولا تتبدل فان الصدقة تطهر قلب المؤمن من رذيلة الشح والبخل ، وان الصلاة تنهاه عن الفحشاء والمنكر ، كما ان اقامة حد على سارق او زان يحقق طهراً فى البلاد وامناً ؛ لأن هذا وذاك جميعاً من سنن الله ، وسنن الله تعالى لا يوجد لها تبديل فى الحياة ولا تحويل .

وبرهان هذا الحكم ودليل هذه القضية المسلمة قول الله تعالى الذى لايتطرق الى حكمه الخطأ ، ولا لقوله الغفلة او النسيان: ﴿ **فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ .

يضاف الى هذا شهادة التاريخ بان المسلمين سعوا فى فترات من الزمن طويلة

كانوا قد تمسكوا فيها بالاسلام وساروا على نهجه القويم فتحقق لهم من ضروب السعادة وصنوف الكمال ما لم يتحقق لغيرهم من بنى الانسان ؛ إذ عاشوا أعزاء كرماء اطهاراً صالحين وعاش الناس من حولهم اشقياء أراذل فاسدين ، كل ذلك ان المسلمين ساروا على منهاج السعادة ، وغيرهم جانبه وتحاشاه .

٢ ــ الاسلام رحمة الهية المفروض فيها « شرعاً » أن تعم كل البشر ، ويسعد بها كل الناس ، وليست مما يستأثر به قبيل دون قبيل ، او جيل دون جيل ، إن الواجب فيها أن تعرض على كل فرد ، وتحمل الى كل إنسان وفى أى مكان كان رجاء أن يسعد بها البشر أجمعون ولهذا حمل الله تعالى رسوله ﷺ مسؤولية إبلاغها الى الناس ونشرها بينهم : ﴿ **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾ . ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ ﴿ **قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً** ﴾ ﴿ **وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** ﴾ .

كما ألزم اتباعه المؤمنين بان يقوموا بنشرها ودعوة الناس إليها ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ .

وقياماً بهذا الواجب وأداء له نهض المسلمون من اصحاب رسول الله ومن تبعهم باحسان ، نهضوا يبلغونها الى البشر فى شتى انحاء العالم ، فقد توفى رسول الله ﷺ ودعوة الاسلام لم تتخط حدود الجزيرة بيد انه لم يمض اكثر من نصف قرن بعد ذلك حتى بلغ الاسلام انحاء من العالم بعيدة وانتظمت دعوته ما يقرب من نصف سكان المعمورة .

٣ ــ حاجة العالم الى الاسلام اليوم لا تقل إلحاحاً ، عن حاجته اليه يوم حمل المسلمون دعوته الى الأمم والشعوب يعرضونها عليهم ويدعونهم اليها . إذ أن شعوراً عالمياً كبيراً اليوم بالحاجة الى نظام عالمى سليم ، يقى البشرية ويلات حروب مدمرة منتظرة ، وينتشل العالم من وهدة المادة التى تردى فيها حتى اصبح الانسان فى بعض البلاد لا يفضل الحيوان ولا يشرف عليه بحال من الاحوال .

وخاصة بعد أن جرب كل من النظامين الرأسمالى والشيوعى الاشتراكى اللذين كان اصحابهما يرجون منهما إسعاد البشرية وتكريمها ، وفشل كل منهما فى تحقيق ما كان يرجى منه ويؤمل فيه .

فالحال إذاً والله تتطلب عرض الاسلام من جديد على أمم العالم وشعوبه وهم يتطلعون الى نظام ينقذهم مما حل بهم من مسخ وما شاع فيهم من فساد.

غير أن عرضه الجديد يجب أن لا يكون عن طريق أمة او جماعة لم تسعد به ولم ترتفع بمبادئه وتعاليمه الى قمة مجد عالية ومكانة بشرية سامية ، تغتبط عليها وتحسد من أجلها ؛ لأن الناس ، عادة ، ينظرون الى المبادئ والتعاليم من خلال حال صاحبها ، فإن كانت حسنة صدقوا بفائدة مبادئه ونجاعتها ، وأقبلوا عليها وطلبوها ، وإن كانت حاله سيئة اعرضوا عنه وعنها وكفروا بهما !! .

ومن هنا ـ وبكل صراحة ـ كان لزاماً على الدعاة المسلمين أن يبدأوا بدعوتهم الأمم والشعوب الإسلامية قبل غيرها حتى إذا نجحوا فى إصلاح المسلمين، ورفعتهم واحلالهم المكانة اللائقة بهم ، وأصبح المسلمون يمثلون بحق عظمةالاسلام ،وقدرته على انقاذ البشر واسعادهم .

تقدموا بدعوتهم يعرضونها على امم العالم وشعوبه المحرومة من هداية الله وعنايته ، ويومئذ يدخل الله فى رحمته من يشاء والظالمون مالهم من ولى ولا نصير .

الأساس الثانى

سلامة الدعوة

المراد من سلامة الدعوة كونها بعيدة عن الاطماع الشخصية ، عارية من الشر والفساد ، خالية من العنف والحرج .

فالدعوة السليمة هى التى لا يهدف صاحبها من ورائها الى تحقيق أى هدف مادى ، ولا لأى كسب شخصى له أو لأحد أصحابه أو أتباعه كأجر يطلبه عليها ، أو ثواب يتعجله منها ،وإنما تقوم عى أساس التجرد فيها لله عز وجل واحتساب الأجر عليه سبحانه وتعالى ، كما هو شأن كل المرسلين فى دعوتهم ﴿**وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين**﴾ .

والدعوة السليمة هى التى لا يكون من أغراضها نشر الشر ، ولا من طبيعتها إظهار الفساد وإنما تكون أغراضها مقصورة على الخير ، وطبيعتها قائمة على الاصلاح ، شعار صاحبها دائماً : ﴿ **إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾ .

والدعوة السليمة هى التى لا يكون من طبيعتها العنف أو الشدة ، ولا تقود معتنقيها إلى المشقة أو الحرج ، وإنما يكون من طبيعتها السهولة واليسر ، ومن صميم واقعها البعد عن المشقة والحرج !

ومن هنا كانت الدعوة الإسلامية أمثل دعوة دعا بها إنسان فى هذه الحياة ، وذلك لسلامتها الكاملة وبعدها التام عن كل عيب أو نقص من شأنه أن يحول دون نجاح الدعوات ، وبلوغها أهدافها المحددة لها .

وبيان ذلك أن الدعوة الاسلامية لا تسمح لـلقائم عليها بحال من الاحوال أن يثرى على حسابها ، أو حتى يأكل باسمها ، فضلا عن التمول أو التأثل ، وهذا كتاب الله تعالى يقول لصاحب الدعوة ﷺ : **﴿ قل لا أسألكم عليه من أجر ﴾** ، **﴿وما سألتكم من أجر فهو لكم ﴾** . وقد حدث مرة ان علّم أحد أصحاب النبى ﷺ جماعة القرآن فأهدوه قوساً فسأل عنه رسول الله ﷺ فقال : « إن كنت تحب أن تطوق طوقاً من نار فاقبلها » .

وبعث ﷺ مرة أحد أصحابه جابياً للزكاة ، فعاد يحمل مالاً لبيت المال ، وآخر لبيته الخاص ، فقام ﷺ خطيباً ، ثم قال : « ما بال العامل نبعثه فيجىء فيقول هذا لكم وهذا أهدى إلى فهلا جلس فى بيت أمه أو أبيه فينتظر أيهدى اليه أم لا » .

ومعنى هذا ان النبى ﷺ لم يرض لأحد أن يأكل باسم الدعوة الإسلامية أو على حسابها ؛ لأن ذلك يخرج بها عن طبيعتها ، ويبعدها عن فلك الحق الذى تدور فيه .

هذا عن كون الدعوة الإسلامية لا تسمح للداعى بها أن يحقق أى كسب مادى أو غرض شخصى . وأما عن كونها عارية عن الفساد والشر ، فالدعوة الإسلامية بدون شك دعوة خير وسلام ، وليست بدعوة شر أو فساد بحال من الأحوال ، فلا تهدف من قريب أو بعيد الى الفساد ولا ترمى كذلك الى الشر بوجه من الوجوه ، وإنما هى دعوة خير تهدف دائماً الى الخير ، وصفها الله بالخيرية فى قوله تعالى: **﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾** .

وبالرحمة فى قوله: **﴿ وتواصوا بالمرحمة﴾** وعلى لسان رسوله فى قوله:

«ارحموا من فى الأرض يرحـمكم من فى السماء » وقوله: « الراحـمون يرحمهم الرحمن » فالخير والرحمة من طبيعة الدعوة الإسلامية ومن أهدافها التى ترمى الى تحقيقها فى الأرض بين بنى الإنسان .

وأما عن خـلوّها من العنـف والحرج فحدث ولا حرج وها هـى ذى نصوص كتابها واقوال صاحبها تصرح بنفى العنف عنها والحرج فيها ، وبعدم ملاءتها لذلك فالله تعالى يقول: ﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ ويقول : ﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم** ﴾ ويقول: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ .

والرسول ﷺ يقول: « يسروا ولا تعسروا ،وبشروا ولا تنفروا » ويقول:« ما كان الـرفق فى شـىء الا زانه ، ولا نزع من شـىء إلا شانه » ويـقول: « ان الله تعالى يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف » .

وبناء على هذا فأيمـا داع بدعاية الإسلام لا يعرف لها طبيعـتها من اليسر ، ولا ما تقوم عليه حقيقتها من الرحمة والخير، يسىء إليها وينفر منها ، ويصد عنها أكثر مما يحسن اليها ، ويرغب الناس فيها ويحببها اليهم ، وينقلهم الى محيط بها .

وكما على الداعى أن يعرف طبيعة الدعوة الاسلامية فى الرفق واليسر ، وعدم الشدة والحرج، عليـه أيضاً ان لا يحاول الخروج بها عن طبيـعتها ؛ لأن ذلك من شأنه أن يجعل النتائج عكسية، ورد الفعل عنيفاً للغاية .

الأسـاس الثـالث

الوضــــوح

وضوح الدعوة اساس نجاحها ، فبقدر سلامة الدعوة ووضوحها يكون نصيبها من النجاح ، فعلى هذا يتعين على الداعى ان يخلص دعوته من كل تعقيد منفر أو غمـوض صارف ؛ لان قـبول أية دعـوة متوقـف غالـباً علـى فهم الـناس لـها ، وتصورهم لحقـيقتها ، والغموض والتعـقيد من شأنهما أن يحـولا دون فهم الناس للدعوات وإدراكهم لها .

والدعوة الاسلامية ـــ والحمدلله ـ اكثر الدعوات وضوحاً ، واكـبرها سلامة من التعقيد والغموض .

فهى فى باب الايمان بالله تعالى لم تطالـب الانسان باكثر من أن يعترف بواقعه

ويسلم بوجوده ، وبذلك يجد من السهل عليه الايمان بالله خالقه . فالانسان يوجد حينما يوجد ، ويعيش ويموت كل ذلـك بغير اذن منه ولا اختيار . فلا شك إذاً أن هناك موجداً ومدبّراً له . فلم لا يؤمن بالـذى اوجده ودبر حياته ؟ ولـم لا يعظمه ويطيعه ويتقرب إليه ؟

﴿ كيـف تكفرون بـالله وكنتم امـواتاً فأحـياكم ثم يمـيتكـم ثم يحيـيكم ثم إلـيه ترجعون ﴾ .

ان الدعوة الى الإيمان بوجـود خالق مخلوقاته مشاهدة فى كـل مكان كالدعوة الى الإيمان بـوجود مدبر آثـار تدبيره ظاهـرة فى كل مخـلوق كالدعـوة الى الإيمان بوجود رازق رزقـه حاجة كل انـسان وحيوان دعـوة واضحة مابـها من تعـقيد أو غموض .

وفى باب التوحيد ، لم تطالب الدعـوة الاسلامية الانسان المؤمن باكثر من ان يفرد خالقه ورازقه ومدبر شؤونه بالعبادة الـتى هى طاعته تعالى فى أمره ونهيه مع غاية حبه وتعظيمه .

﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى وممـاتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسـلمين ﴾ ﴿ واعبدوا الله ولا تشـركوا به شيئاً ﴾ ﴿ وقـضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ .

وفى باب الايمان بالمـعاد والجزاء الاخروى لا تكلف الانسان اكـثر من ان يمعن النظر فى أصل نشأته ويصغى الى صوت فطرته فيعلم أن المعاد حق وصدق ، وأن من بدأ يعيد .

﴿ فلـينـظر الانـسان ممَّ خـلق خـلق مـن ماء دافـق يخـرج من بـين الصـلـب والترائـب إنه على رجـعه لقادر ﴾ ﴿ وهو الـذى يبدؤ الخلـق ثم يعيـده وهو أهون عليه﴾ ﴿ قال مـن يحيى العظام وهى رميـم . قل يحييها الذى أنـشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ .

وتقرب له معـنى وقوع المعاد بضرب المثل القـريب المعتاد : **﴿ ومن آياتـه أنك ترى الأرض خـاشعة فإذا أنـزلنا عـليها المـاء اهتزت وربـت إن الذى أحياهـا لمحى الموتى إنه على كل شىء قدير ﴾ .**

وفى باب العبادات : نصوصها تصرح باليسر ورفع الحرج والمشقة فالعادم الماء للطهارة او العاجز عن استعماله تنقله الى التيمم وتقول: ﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج** ﴾ والمسافر ترفع عنه كلفة إتمام الصلاة وتقول: ﴿ **وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** ﴾ والمريض والمعانى لأتعاب السفر تأذن لهما فى تأجيل عبادة الصوم الى حين الصحة والإقامة ﴿ **فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ .

ويشكو احد المؤمنين ضعفه عن الصلاة قائماً فيقول له الرسول ﷺ: « صلّ قائماً فان لم تستطع فصل قاعداً فان لم تستطع فصل جالساً فان لم تستطع فعلى جنبك » .

وفى باب القضاء والحكم : اكثر بعداً عن الغموض والتعقيد فالقضاء فيها قائم على قاعدة مبسطة سهلة واضحة وهى : البينة على المدعى، واليمين على من انكر « شاهداك أو يمينه » .

وفى باب الاخلاق : فلا اسمح منها ولا أيسر ولا اوضح منها ، ولا اصرح، ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » « ادّ الأمانة الى من ائتمنك» « ولا تخن من خانك » .

﴿ **ادفع بالتى هى أحسن** ﴾ ، ﴿ **قل لعبادى يقولوا التى هى أحسن** ﴾،﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ .

وعليه فانه ينبغى للداعى مراعاة وضوح دعوة الاسلام وسلامتها من الغموض والتعقيد فى عقائدها وفى عباداتها ومعاملاتها ، فيعرضها على الناس كما هى واضحة سليمة ، وليحذر ادخال عناصر غريبة عنها ، نتيجة لتشدده أو تزمته وغلوه فيفقدها اكبر عوامل قبول الناس لها ، واعتناقهم إياها وهو الوضوح والسلامة .

الأساس الرابع

العلم بها

المعرفة بأصول الدعوة وفروعها ، وأهدافها وغاياتها شرط أساسى فى نجاح

الداعى وفـوزه فى دعوته ، إذ أن من الـسنن العامـة والحكم المشهـورة ، **ان فاقد** الشىء لا يعطيه ، وأن الأعمى لا يقود البصراء !

فتشبع الداعى بالـعلم بدعـوته والمعرفة بـأصولها وفروعـها وأسباب نجـاحها وفشلها من العوامل الرئيسية التى لا يستغنى عنها الداعى بحال من الأحوال .

وعليه فـليكن الداعى من العـلم بدعوته ، والمعرفـة بحقيقتها مـا إذا وصفها كشف النـقاب عن واقعها ، وأبـرز سر مكنونهـا وإذا تحدث عن محاسنـها جذب القلـوب إليها ، واسـتمال الأهواء الـشاردة واستهـوى النفوس الـنافرة إلى حـبها والرغبة فيها .

والعلم بالدعوة المطلوب من الداعى هو البصيرة التى ذكر الله تعالى فى قوله: ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ وهو البينة التى وردت فى قول نوح وصالح وشعيب حيث قال كل منهم : ﴿ **يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى** ﴾ كما حكى الله ذلك عنهم فى القرآن الكريم .

وكما عـلى الداعى الذى يريـد النجاح لدعوتـه أن يكون عالماً بأصـول دعوته وفروعها ووسائـلها وغاياتها عليـه أن يكون عالماً كذلك بأحوال وظـروف ونفسيات من يدعوهم ويتصدي لهم ، ويتعرض لهدايتهم فيعطى كل داء ما يحتاج من دواء، ويلبس كل حالة لبوسها الخاص بها .

إن المعرفة بأحـوال المدعوين المؤثرة على اتجـاهاتهم وسلوكهم مـن غنى وفقر وعز وذل وشرف ونقص وعلم وجهل ، من أقـوى العوامل على جذب المدعوين إلى محيط الـدعوة ، ونقلهم الى ساحـتها بيسر وسهولـة . وإلى هذه الاشارة فى قول الرسول ﷺ لمعاذ رضى الله عنه: « إنك تأتى قوماً أهل كتاب » .

وعلى هذا فـإنه يتعين علـى الداعى أن يتضلع مـن علوم الشريعـة **الاسلامية** كالـتفسيـر والحديث ، والتـوحيد والفـقه ، ومن عـلوم الآلة كالـلغة وقواعـدها وآدابها، والبيان وفنونه ، والمنطق ومبادئـه ، وأن يلمّ بما يمكن من اللغات المختلفة ولا سيما الانجلـيزية لانتشارها وكثرة الـناطقين بها فى العالـم إذ اللسان هو الأداة الموصلة للكلام الى الآذان ، والبيان هو الآلة البـالغة بالمعانى الى القلوب والأفهام والله تعالى يقول : ﴿ **وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومـه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء** ﴾ ويقول عز وجل للنبى ﷺ: ﴿**فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به**

به المتقين وتنذر به قوماً لداً ﴾ والنبى ﷺ يقول: « إن من البيان لسحراً » .

ومن المسلم به أن من كمال الداعى أن يكون مزوداً بشتى العلوم والمعارف زيادة على ما يتعلق بدعوته وأصولها وفروعها وذلك كعلم النفس والفلسفة ، والتاريخ ، وعلم تقويم البلدان « الجغرافيا » والكيميا وعلم النبات والحيوان وخصائصها (الطبيعة) ومما يدل على فائدة ذلك ونجاعته فى الدعوة أن الله تبارك وتعالى أبطل دعوة اليهود والنصارى فى كون إبراهيم الخليل يهودياً أو نصرانياً كما زعم كل من اليهود والنصارى أبطلها بحجة التاريخ ، قال تعالى: ﴿ **يا أهل الكتاب لم تحاجّون فى إبراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون**﴾ .

وخلاصة القول فى هذا أن على الداعى أن يعلم كل ما يمكنه العلم به من شتى انواع العلوم والمعارف البشرية ليكون ذلك عوناً له على نشر دعوته ، وزاداً صالحاً له فى طريق نشرها الشاق الطويل ؛ إذ أنه بقدر سعة معرفته وطول باعه فى العلوم والمعارف تكون سبل دعوته ممهدة والسير فيها سهلا ميسوراً . والله المستعان .

الأساس الخامس

كمال شخصية القائم بها

إن كمال شخصية الداعى من أهم الأسس التى تقوم عليها الدعوات ، ومن اكبرها تأثيراً فيها نجاحاً وفشلاً فما على الداعى الصادق الا أن يعترف بهذه الحقيقة ويسلم بها ، ثم يعمل على تكميل شخصيته وتقويتها حتى تبلغ الممكن من الكمال البشرى ، وتصبح معه ذات تأثير قوى فى نفوس الذين يريد صاحبها أن يوجههم الوجهة التى يريد ، وأن ينقلهم الى المحيط الذى يرغب ويحب .

والعناصر التى تتكون منها الشخصية القوية اهمها ما يلى :

١ ــ اليقين وهو أن يكون الداعى على يقين تام بصلاحية دعوته وخيريتها بحيث يصبح يرى أن نشرها وتعميمها من أهم المهام له ، وأوجب الواجبات عليه. بل يصبح يعتقد أن عدم عرض هذه الدعوة على الناس وحملهم عليها ، ونقلهم الى محيطها من الجناية عليهم والخيانة لهم وبذلك يصبح قادراً على التفانى فى سبيل نشرها ، والتضحية بالرخيص والغالى فى الوصول بها الى ابعد غاياتها كما كان شأن الرسول ﷺ والمسلمين الأولين .

٢ ـ الروحانية وذلك بالتجافى عن الدنـيا ، والبعد عما أسف فيه ابناؤها من جمع حطامها الفانى ، والتكالب على شهواتها وملاذها المهلكة .

والاقبال على النفس تطهيراً لها وتزكـية ، ورقياً بها فى مدارج الكمال النفسى وذلك بذكر الله تعالى ، وفعل الطاعات من فرض ونفل .

حتى يبلـغ حالاً تعظم فيها فراستـه ، ويقوى فيها عمق نظره ، وتـصدق فيها تنبؤاته وفـراسته كما روى عن عمر بـن الخطاب فى هذا الشأن فقـد قال عنه ولده عبد الله : ما قال أبـى فى شيء أظنه كذا . . الا كان كما ظـن . وقال فيه رسول الله ﷺ :« لو كان فى أمتى مـحدثون لكان منهم عمر ، وما سـلك عمر فجاً الا سلك الشيطان فجاً غـير فجه » كل ذلك كان نتيجة لروحانيته القـوية التى اكتسبها بقوة اليقين والتجافى عن دار الغرور .

٣ ـ الشجاعة بنوعيها شجاعة القلب وشجاعة العقل .

فالأولى تحمـله على أن لا يخاف غيـر الله تعالى ، ولا يتهـيب احداً سواه ، فيقدم فـى مضاء ، ويمضى فى حزم لا يضـعف ولا ينهزم مهمـا لاقى من الاهوال وواجه من الصعاب يتمثل موقف ابطال الايمان ويعيشها **﴿ وكأيّن من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهـنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا ومـا استكانوا والله يحب الصابرين ﴾** .

﴿ واتل عليهم نبـأ نوح إذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكـم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكـلت فأجمعوا امركم وشركاءكم ، ثم لا يكـن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون ﴾ .

﴿ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ﴾ .

﴿ الذيـن قال لهم الـناس إن الناس قـد جمعوا لـكم فاخشـوهم فزادهم إيمـاناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ .

والثانيـة تدفعه الى أن يجـاهر برأيه ، ويصرح بـعقيدته ويصـدع بالحق الذى يتكلم به ويدعو الـيه ويعيش من أجله ، فلا يتهيب من مواجهـة الباطل ويتقصى من مصاولة العقول ومـصارعة الافكار بل يصادمها ويصارعها ويدمـغ بحقه باطلها حتى يضمحل ويزهق . والباطل كان زهوقاً .

٤ ــ الثقافة العامة الواسعة الآفاق والتى يكون معها ملماً باكبر ما يمكن من العلوم البشرية الخاصة والعامة ما كان منها وما يستجد فى الحياة فى حدود طاقة الداعى ، وما يتهيأ له منها ؛ إذ من غير الممكن استيعاب الشخص لكل العلوم والمعارف مهما بذل من جهد واستفرغ من وسع . وإنما المطلوب من الداعى أن لا يدع فرصة يمكنه فيها أن يزيد علمه الا زاده .

وأخيراً فهذه بعض مقومات الشخصية الكاملة نلفت اليها نظر الطالب المتحفز للدخول الى معركة الدعوة رجاء أن يسعى فى تحصيلها واكتسابها ليقيم عليها شخصيته ويكملها بها قبل أن يرمى بنفسه فى ساحة المعركة ، وحومة الصراع تأكيداً للنصر ، وتحقيقاً للنجاح .

فانه ما فاز ابطال الاسلام الأولون ولا نجحوا فى مختلف معاركهم العديدة الا بمثل هذه الشخصية الربانية الكاملة التى عجمت كل عود ، وعركت كل صعب فى الحياة وحققت لها نصراً فى دنيا الناس لم تعرف حياة البشرية له مثيلا .

وبتصفح تاريخهم الطويل تجد أيها الطالب أمثلة حية وصوراً ناطقة لما حققته تلك الشخصيات الكاملة من انتصارات باهرة فى مجالات الدعوة وآفاق التحرير .

طرق الدعوة

أ ــ العرض السليم

عرض الدعوة على المدعوين إليها عرضاً سليماً من كل ما يحول دون تفهمها وقبولها ضرورى لنجاح الدعوة والوصول بها إلى غاياتها وأهدافها فى إصلاح البشر وإعدادهم لسعادة الدنيا والآخرة .

والعرض السليم هو المقصود من لفظ الحكمة فى قول الله تعالى: ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾ .

وعليه فانه يجب أن تعرض الدعوة الاسلامية عرضاً قائماً على أساس الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، فيتبع فيها ما يلى :

١ ــ مراعاة حال المدعوين وقد أشارت الآية إلى أنهم ثلاثة أصناف : صنف يدعون بالحكمة وهم الخواص من أهل الفكر والفطنة والمعرفة فيخاطبون بالحجة النقلية والبراهين العقلية ، وذلك أنهم لصفاء نفوسهم واستنارة عقولهم يقبلون

دعوة الحق والخير وينقادون لها متى قامت عليهم الحجة وظهر لهم الدليل .

وصنف يدعون بالموعظة الحسنة وهم عامة الناس وبسطاؤهم من أهل الإيمان والتقوى ، فهؤلاء لطيب نفوسهم وسلامة بواطنهم وقلة فطنتهم يخاطبون بما يزيد فى رقة قلوبهم ، واستقامة أخلاقهم ، من مواعظ الكتاب والسنة ، فإن ذلك أهدى سبيلا إلى محيط الدعوة وساحاتها .

وصنف يدعون عن طريق المناظرة السليمة والمجادلة بالتى هى أحسن وهم أناس أهل فطنة وذكاء أشربوا حب الظهور والغلو بالجدل والمخاصمة ، فهم لخبث نواياهم وفساد سرائرهم لا تمكن دعوتهم بغير الاسلوب الجدلى الخالى من العنف والشدة والقائم على أساس الحجة القوية والقول الفصل إذ لا يمكن إقناعهم إلا بذلك .

عدم المساس بكرامة المدعو ، أو الإخلال بشرفه بين الناس . فقد كتب رسول الله ﷺ الى هرقل ملك الروم فقال :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين ، فإن توليت فان عليك إثم (اليريسيين) [1] ﴿ **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ .

فتضمن هذا الكتاب النبوى الشريف من جملة ما تضمن الأمور التالية :

١ ــ الاعتراف بكرامة المدعو .

٢ ــ الوعد بالخير والبشارة الحسنة .

٣ ــ النصح الخالى من الانتقاص .

٤ ــ الترفق فى الدعوة .

كما قرر مبدأ عدم المساس بكرامة المدعو ، والغض من شرفه . وهذا ما يجب على الداعى أن يلتزمه فى دعوته ويتحراه .

---

(١) الأرسيين جمع أريس أى أكار بمعنى فلاح .

٣ ـ التدرج فى عرض أصول الدعوة وفروعها وتقديم الأهم فالأهم ، مثال ذلك أن يدعى شخص لا يؤمن بالإسلام ديناً الى الإيمان بان الاسلام دين صالح لاسعاد الناس ، وتحقيق كرامتهم الانسانية وسعادتهم فى الدنيا والآخرة فانه يكتفى فى ذلك بعرض محاسن الاسلام عليه ، ومزاياه التى يفوق فيها غيره من الأديان فان اقتنع وطلب عن رغبة الدخول فى الاسلام طلب منه النطق بالشهادتين، والاغتسال ، واداء الصلاة ، وترك الخبث فى المأكل والمشرب والمنكح، حتى إذا استأنس لذلك واطمأن اليه دعى إلى باقى شرائع الاسلام عند حلول وقتها ووجود مقتضاها فيدعى الى الصوم بحلول شهر رمضان ، والى الزكاة عند حلول أجلها ، وقرب اوانها .

ومن حديث معاذ فى الصحيحين تثبت هذه الحقيقة وتقرر كمبدأ للعرض السليم للدعوة . فقد قال له ﷺ: « إنك تأتى قوماً أهل كتاب فادعهم الى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فان هم أطاعوالذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة فى اموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتردّ الى فقرائهم » الحديث .

ومثال آخر : أن يدعى شخص فاسق من المسلمين بتركه الصلاة وشربه الخمر مثلاً فانه يدعى أول ما يدعى إليه إقام الصلاة والمحافظة عليها ، حتى إذا فعل ذلك واستقام عليه دعى الى ترك شرب الخمر ؛ إذ لو دعى الى ترك الخمر وهو لا يصلى لا يتركها أبداً كما أنه لو دعى الى الاثنين معاً قد لا يصلى ولا يترك شرب الخمر بخلاف ما لو دعى الى الأهم أولاً وهو إقام الصلاة فانه إن صلى وأحسن الصلاة كان ذلك عوناً له على ترك شرب الخمر واجتنابها .

ولو رجعنا الى عهد التشريع الاسلامى لوجدنا بدون شك أن الصلاة فرضت قبل تحريم الخمر ومنعها ، وأن الخمر ما حرمت حتى تمنى المسلمون ذلك وقالوا : اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافياً ، ذلك لمنافاتها لاقامة الصلاة والمحافظة عليها .

يشهد لهذا ما روى أن عائشة رضى الله عنها قالت: أول ما نزل من القرآن آيات فيها ذكر الجنة والنار ، فلما ثبت الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ، ولو قال لهم فى أول الأمر لا تزنوا ولا تشربوا الخمر ، وامرهم بالصيام والزكاة لقالوا لا نترك الخمر والزنا أبداً . . .

ومثال ثالث: ان يدعى مسلم لاصلاح عقيدته إذ هو يتوسل بالأنبياء والأولياء، ويدعو غير الله ، ويذبح وينذر لغير الله تعالى مثلا فان الحكمة فى الدعوة تقتضى أن يدعى أولاً لترك دعاء غير الله لصريح ان الدليل : ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً** ﴾ . فان هو ترك ذلك طلب منه ان يخلص لله فى عبادة الذبح والنذر ، وإن يتوسل الى الله بإيمانه وصالح عمله ،لا بعباد الله من انبيائه وأوليائه وهكذا يقدم فى الدعوة الأهم فالأهم والجلى على الخفى ، والمجمع عليه على المختلف فيه .

٤ ــ اعتبارات أحوال النفس فيستغل الداعى منها الجانب العاطفى ويسخره فى خدمة دعوته وتحقيق اهدافها من استمالة الناس الى الدعوة وجذبهم الى صعيدها . فمثلاً عاطفة حب الوطن ، والميل الفطرى الى الرغبة فى عزته وسعادته فى مكنة الداعى أن يستغلها الى ابعد حد ممكن فى نشر دعوة التوحيد والاصلاح متى استطاع أن يربط بين عنصرى المادة والروح فى هذا المجال .

٥ ــ ملاحظة الشعور العام فى المدعوين فان على الداعية الحكيم أن يتحاشى ما أمكنه الاصطدام بالشعور العام الذى عليه المدعوون ، وليبدأ دعوته بعيداً عن ذلك ، فيصلح جوانب الفساد شيئاً فشيئاً حتى إذا مهد الطريق وأصبح يمكنه ان يجابه ذلك الشعور بما جند له من افكار وهيأ له من وسائل تحين مواتاة فرصة من الفرص ، وقال كلمته صريحة فى إصلاح ذلك المعتقد الباطل ، أو الخلق الفاسد أو البدعة المنكرة ، ولنضرب لذلك مثلاً أهل قرية شاع بينهم اختلاط الجنسين وتعارفوا عليه فأصبح الشعور العام عندهم استحسانه ، وعدم الاشمئزاز منه .

فإن الحكمة فى الدعوة تقتضى عدم مصادمة هذا الشعور العام فى أول الأمر، وتتطلب من الداعى أن يبدأ دعوته بإعداد النفوس وتهيئتها أولاً لقبول تغيير مثل هذا المنكر القبيح والوضع الشاذ وذلك بتقوية الإيمان فى نفوس مدعويه وتجسيد إيمانهم فى صور شتى من الطاعة لله والانقياد له ، والرهبة منه ، والرغبة فيما لديه سبحانه وتعالى حتى إذا أصبح بحال يتأكد معها القدرة على تغيير ذلك المنكر والعادة السيئة أمر بتغييره بحزم وعزم مستخدماً كل طاقة أعدها وعون ادخره لمثله .

كل هذا من العرض السليم للدعوة والحكمة فيها وعلى قدر السير فى هذا الطريق والتزام هذه التعاليم يكون انتصار الدعوة ونجاح الداعى فيها بإذن الله تعالى وحسن توفيقه .

ب ـ البيان الشافى

من أهم الطرق التـى على الداعى أن يلتزمها فى عرض دعـوته على الناس ، ونقلهم إلى محيـطها ، البيان الشافى والذى هو الموعظة الحـسنة المذكورة فى قول الله تعالى: ﴿ **ادع إلى سبـيل ربك بالحكمـة والموعظة الحسـنة وجادلهم بالـتى هى أحسن** ﴾ إذ الموعظـة الوصية بـالحق والخير ، واجتـناب الباطـل والشر بأسـاليب الترغيب والترهيب التى يرق لها القلب وينبعث على عمل الخير وترك الشر .

وما دامت الـدعوة الاسلاميـة دعوة حق وخيـر تتنافـى مع الباطـل والشر ، فالدعوة اليها إذاً وصـية الناس بالحق والخير ، ولما كانت تتنافـى مع الباطل والشر فهى دعوة ايـضاً الى ترك الباطل والشـر . وحمل الناس على التـزام الحق وفعل الخير ، وعلـى ترك الباطل وتجنب الـشر يحتاج الى أسالـيب بيانية من الـترغيب والترهـيب من شأنـها التأثـير على النـفوس وبعث الـقلوب علـى العمل الـصالح واجتنـاب الباطل والـفساد والشر . وهـذا يتوقف علـى مدى قدرة الداعـى على وصف الخيـر والشر وتصويـرهما بصورة واضحـة ومختلفـة تقربهمـا من الأذهان وتجعل المخاطـبين يعيشون بكـل احاسيسهم ومشـاعرهم فى جو تلك الـصور التى يجعلها الداعى بأسلوبه البيانى صوراً شاخصة الذوات بارزة الملامح ، للخير وجهه المشرق المحبوب ، وللشر وجهه الكالح المكروه .

ان الداعى الذى لا يقدر علي تصوير الحق والخير بالصورة التى تحبها النفوس وتميل الـيها ، وتطلب الـعيش الى جانبـها والحياة معـها . ولا على تصويـر الشر والباطل بالصورة التى تنفر منهما وتكره فيهما وتجعل طلب البعد عنهما والخلاص من اسبـابهما غايـة مطلوبة وهـدفاً منشـوداً ، لهو كالطـبيب الذى لا يقـدر على تشخيص الداء ولا علـى وصف الدواء ، فسعيه غير مشكور ، وعـمله غير مبرور ولو بذل من الجهـد والطاقة فوق ما تجرى به الـعادة . وبناء على هذا فانـه يتحتم على الداعى أن يكـون لنفسه ملكة بيانية كـاملة يستطيع بها أن يبلـغ دعوته بنجاح وينشرها بارتياح . وكـيفية الحصول على هذه الملكة من البيـان تكمن فى الوسائل التالية :

١ ــ حفظ القرآن الكريم حفظاً جيداً .

٢ ــ حفظ مئات الاحاديث النبوية ذات المواضيع المختلفة . من حكمة ووعظ وارشاد وتشريع .

٣ ــ حفظ آلاف الامثال والحكم الشعرية والنثرية .

٤ ــ اتقان علم البلاغة بفنونه الثلاثة المعانى ، والبيان ، والبديع .

٥ ــ التضلع الكبير فى اللغة العربية وقواعدها وآدابها .

٦ ــ التمرين المتواصل على إلقاء الخطب والمحاضرات المختلفة حتى يحصل على الملكة البيانية المطلوبة لكل داع يريد النجاح لدعوته ، والفوز فيها .

جـ ــ تنويع الخطط

الداعى المؤمن بدعوته ووجوب نشرها وإبلاغها الى الناس لا يترك طريقاً يصل به الى غايته فى إبلاغ دعوته ونشرها إلا اتبعه ، ولا سبيلا إلا سلكه ، ولا يرى فى ذلك إلا واجباً تحتم عليه القيام به ، وفريضة تعين عليه النهوض بها ، ولهذا كان تلوين الاسلوب فى الدعوة وتنويع الخطط من ضرورياتها ومستلزماتها. وهذا نبى الله نوح عليه السلام وهو مثال الدعاة الصادقين يجعل تنويع الاسلوب من الأسس التى أقام عليها دعوته ، فقد ذكر لربه تعالى أنه ما ترك سبيلاً لهداية قومه إلا سلكه ولا وسيلة نافعة إلا تذرع بها فقال : ﴿ **رب إنى دعوت قومى ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائى إلا فراراً وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ثم إنى دعوتهم جهاراً ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً** ﴾ .

وبعد نوح سيد الدعاة وإمامهم محمد ﷺ فإنه ما ترك وسيلة أمكنه القيام بها إلا أتى بها ، ولا نوعاً من أنواع الخطط الكفيلة بالوصول بالدعوة إلى غاياتها إلا جاء به ، فقد كان ﷺ يأتى مجامع قريش ويعرض عليهم دعوته ويبلغهم رسالة ربه ، ويأتى الأسواق ويخطب فيها الناس داعياً الى الله سبحانه وتعالى . ولما تعذر عليه القيام بالدعوة بمكة ذهب الى الطائف وصادف من إعراض أهله ورفضهم لدعوته ما آسفه وأحزنه واتخذ من دار الأرقم بن أبى الأرقم نادياً لدعوته ومنبراً لها ، فكان يجتمع اليه المؤمنون فيها ويعلمهم ما يجب عليهم من طاعة الله تعالى وعبادته .

ومن أغرب مواقفه ﷺ فى دعوته أنه صعد مرة جبل الصفا ثم نادى بأعلى صوته : يا صباحاه يا صباحاه !فاجتمع اليه الناس فقال : « أرأيتم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم مصدقى » ؟ قالوا : نعم . قال : « **إنى نذير لكم**

بين يدى عذاب شديد» . فقال أبو لهب : ألهذا أجمعتنا ؟ تباً لك !

ووقوفه يوماً على منازل بعض القبـائل من العرب وهو يقول : « يا بنى فلان إنى رسول الله اليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بـى وتصدقونى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به » .

وإذا بعمه أبى لهب وراءه يقول : « يابنى فلان لا تطيعوه ولا تسمعوا منه»!

واتخذ ﷺ مـن موسم الحج منـبراً لدعوته ، وهنـاك بايع جماعـة من أهل المدينة ، واتفق معهم على أن يبعث اليهم المـضطهدين من أصحابه ليخلصهم من اضطهاد المشركين لهم .

ثم هاجر بعـد ذلك بنفسه الى المدينة واتـخذها مركزاً لدعوته ومنطـلقاً لها ، ومنها راسل الملوك والأمراء فى أنحاء الجزيرة يدعوهم الى الاسلام ، كل هذا كان منه ﷺ تنويعاً لخطط الدعوة وتلويناً لأساليبها ، وهذا شأن كل مخلص فى دعوته صادق فيها .

وبناء على الذى سبق نشير الي بعض الخطط النافعة والأساليب المفيدة للدعوة فى هذه الظروف الراهنة وفى هذا الوقت الحاضر فنقول :

أولاً ــ الدرس : اتخـاذ الداعية مجلساً لـه فى أحد المساجد التى يـؤمها أهل البلد للصلاة فيها لإلقاء دروس دينية ، والمواظبة على ذلك عمل إيجابى فى محيط الدعوة الإسلامية ، وسيكون له نصيب من النجاح إن روعى فيه الأمور التالية :

١ ــ : الإخلاص فيه لله تعالى بحيث لا يكون له همّ سوى إرضاء الله تعالى ونشر دعوته .

٢ ــ : عدم أخذ أية مـكافأة على الدرس ، ومن أية جهة كـانت ، والاكتفاء بثواب الله عز وجل .

٣ ــ : التزام مراعاة الحكمة والموعظة الحسنة فى الدرس بحيث يتجنب كل ما من شأنـه إثارة الجدل والخلافـات العقيمـة ، والاكتفاء بتـقوية الإيمان فـى نفوس الناس ، وتقوية ملكة التقوى فيها ، والتـدرج بهم شيئاً فشيئاً الى طاعة الله تعالى وترك معاصيه .

ثانياً ــ المحاضرة : وهى من وسائل الدعوة ذات التأثير الكبير فيها ، فالداعى يلجأ الى المحاضرات من الوقت الى الوقت عندما يرى أن ذلك ضرورياً لنشر دعوته وإبلاغها للناس فيتخير موضوعاً هاماً يعده إعداداً خاصاً ، ويحاضر فيه الناس ، فلا يفرغ من إلقاء محاضرته حتى يكون قد ترك فيهم أثراً ، وغرس بينهم شجراً يجنى ثمره لدعوته بعد حين .

ثالثا ــ الكتابة : وتشمل التأليف والصحافة والنشرة ، فيتخذ الداعية من هذه منبراً لدعوته يبلغها منه الى الناس ، ويصلح بها من فسادهم . فالكتب والرسائل الصغيرة والنشرات كالكتابة فى المجلات والصحف السيارة كل ذلك لون من ألوان الدعوة ، ووسيلة من وسائلها ، فإذا لم يجد الداعية وسائل اخرى لجأ الى هذه الوسيلة ينشر بها دعوته الى الناس ويبلغهم إياها .

رابعاً ــ الجمعيات الخيرية والاصلاحية : تكوين الجمعيات فى المدن والقرى تحت اسم الخير والاصلاح ؛ لتنظيم العمل الخيرى والاصلاحى وتوجيهه حتى يثمر ويحقق الخير والاصلاح من وسائل الدعوة وخططها ، وبها يتمكن الداعى من نشر دعوته وتعميمها بين المواطنين ، وقد تكون هذه أهم وسائل الدعوة وخططها النافعة لاسيما فى المدن والقرى الكبيرة حيث يكثر السكان ويتعذر الاتصال بكل فرد منهم .

خامساً ــ الاندية الثقافية والرياضية : من الوسائل التى يلجأ اليها الداعى فتح الاندية الثقافية أو الرياضية ليتسنى له بواسطتها نشر دعوته وابلاغها الى الناس . ففى النادى يحاضر ، ويعقد الندوات العلمية ومن خلالها يوجه القلوب الى الله ويربط النفوس بخالقها . كما أن فتح نادى رياضى يمكن الداعى من الاتصال بالمرتاضين وإصلاح أعمالهم ، وتهذيب سلوكهم ، كما يتمكن من توجيههم ــ بحكم رياسته عليهم ــ الوجهة الاسلامية الصحيحة التى يريدها لهم ، ويرغب فى حملهم عليها أداء لرسالة دعوته ، وقضاء لواجب نشرها وابلاغها الى كل الناس .

سادساً ــ المراكز التبشيرية : كالمسجد والمدرسة والمستشفى فالمسجد يكون وسيلة للدعوة والتبشير بها إذا بنى فى بلد غير اسلامى كأوربا واليابان مثلاً وزوّد بإمام صالح يقيم فيه الصلاة ، ويجلس فيه لتعليم مبادئ الإسلام ، وعرضها بالحكمة على من يرد عليه فى المسجد من غير المسلمين ومن بعض المسلمين ان كانوا .

واما المدرسة والمستشفى فهذا النوع من وسائل نشر الدعوة ينفع كثيراً فى البلاد الفقيرة والمناطق المتخلفة اقتصادياً كبعض بلاد افريقيا .

فافتتاح مراكز للدعوة يشتمل الواحد منها على مدرسة ومستوصف صحى . المدرسة تعلم الدين واللغة العربية ، والمستشفى يفحص الأمراض ويعطى الدواء. كما يقوم المركز بتوزيع بعض الملابس على التلامذة سنوياً ، ويسد حاجة الطالب من الطعام الضرورى يومياً مهم جداً لنشر الدعوة الإسلامية إذ قد ثبت أن هذه المراكز من أهم وسائل نشر الدعوات فى مثل تلك البلاد ، فقد نجحت فيها الإرساليات التبشيرية المسيحية أكبر نجاح فانتشرت فيها المسيحية بصورة كبيرة حتى اصبحت عقيدة أغلب السكان فى بعض تلك البلاد الأفريقية .

د ـ كسب الأنصار

المراد من كسب الأنصار طلب رجال من ذوى الشأن والتقوى فى البلاد ليكونوا عوناً للداعى وأنصاراً له تعتز بهم الدعوة ، وتنتصر على أيديهم كما طلب ذلك موسى عليه السلام لدعوته حين قال: ﴿ **واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى** ﴾ . وقال: ﴿ **وأخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى ردءاً يصدقنى** ﴾ فأجاب ربه عزوجل بقوله: ﴿ **سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً** ﴾ وكما طلب ذلك عيسى عليه السلام حين قال للحواريين: ﴿ **من أنصارى الى الله** ﴾ فأجابوه قائلين: ﴿ **نحن انصار الله** ﴾ ومثل موسى وعيسى فى طلب الأنصار وكسبهم لدعوة نبينا محمد ﷺ فقد كان يقول: « اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب» وأسره إسلام عمر سروراً بالغاً لما كان يرى فى إسلامه من تأثير فى الدعوة وفعلاً فقد انتقلت به من السرية التى كانت تعيش فيها الى الجهر بها واعلانها فى اوساط المشركين كما كان ﷺ يجزل العطاء لذوى المكانة فى نفوس أقوامهم بتآلفهم بذلك لما يعلم فى اسلامهم من نصرة للدعوة وأهلها وقد شرع الله فى الزكاة سهماً للمؤلفة قلوبهم ، ومهما يكن من أمر فان كل داع صادق فى دعوته يهمه أمر نجاحها يجد نفسه مضطراً الى البحث على من ينصره فيها ويعينه على نشرها وابلاغها ، وقد تكون هذه سنّة متبعة لدى كل أصحاب الدعوات على اختلاف دعوتهم وتباين أهدافها ومراميها .

طريقة كسب الأنصار

وليس المهم وجود رغبة للداعى فى كسب الانصار ولا فى ان يعلم أن كسب الانصار ضرورى لنجاح دعوته فحسب بل المهم اكثر هو أن يعرف الطريقة التى يتوصل بها الى كسب من يريد من الانصار لدعوته ولعل من المفيد فى هذا الشأن أن يتبع الداعى الخطوات التالية :

١ ـ الاتصال الشخصى: وهو ان يعلم الداعى أن شخصاً ما فى بلد ما يتمتع بسمعة طيبة أو نفوذ بين الناس مع كمال المروءة والشرف فيرى ان انضمامه الى الدعوة وقبوله لها سيكون ذا أثر فيها بما له من نفوذ مادى أو سلطان روحى بين أهل المجتمع الذى يعيش فيه فيقصده الداعى الى منزله ويتعرف إليه ويذكر له أهداف الدعوة الإصلاحية ومقاصدها الخيرية ثم يعرض عليه أن يكون من انصارها والعاملين علي نشرها والتمكين لها ويخبره بأنه يرجو له أن يكون ممن يجرى الله على أيديهم الخير وأنه لا يزيده الله بهذه الدعوة الا رفعة وجاهاً بين الناس ، وبمثل هذه الطريقة يمكن استمالة الكثير من الناس ونقلهم الى صفوف الدعوة ومحيطها .

٢ ـ المراسلة:وهو أن يتصل الداعى ببعض الاشخاص النابهين ذوى الشأن ممن يرجو أن يكون لهم تأثير ما فى الدعوة إذا هم انضموا الى ركبها وذلك من طريق ارسال المؤلفات والرسائل والنشرات التى تحمل اسم الدعوة وتمثل مبادئها ثم يعرض عليه رغبته (كتابة) فى انضمامه الى الدعوة ومشاركته الفعلية فى خلقها لما فى ذلك من الخير له ولبنى جنسه من الناس .

٣ ـ الاكرام الشخصى : وهو ان يقوم الداعى بدعوة من يراه ذا اثر فى تقوية الدعوة ونصرتها فيدعوه الى منزله ويكرمه ويبالغ فى اكرامه ويكرر ذلك معه بتآلفه به ثم يعرض عليه الانضمام الى انصار الدعوة والمؤيدين لها وذلك برفق وتدرج حتى يتمكن من نقله الى محيطها ورفعه الى مستوى الداعين اليها وذلك من طريق التودد اليه والتقرب منه بإكرامه وإحسانه إليه .

٤ ـ الإحسان الخاص : وذلك بأن يتعرف الداعى الى ذوى العوز والحاجة فى البلد وينتخب منهم من يراه صالحاً للدعوة فيخصه بمساعدات مالية شهرية أو سنوية إعانة لهم على حياتهم ومساعدة على زمانهم يفعل ذلك جمعاً لقلوبهم على

الدعوة وترغيباً لهم فى نصرتها وحمايتها والذود عنها .

٥ ــ التكوين الشخصى : بأن يخص الداعية بعض الاشخاص ممن يحضرون دروسه ويغشون مجالسه بمزيد عناية فيكون منهم أفراداً تكويناً روحياً قوياً يصبحون معه خلفاء له فى دعوته وحواريين يمثلونه فى دعوته غيبة وحضوراً لما افرغ فى نفوسهم من روحه وإيمانه حتى اصبحوا صورة منه ومثلا له لايختلفون عنه فى كثير من الخصائص والصفات وهذه الطريقة تعتبر من أهم طرق تكوين الانصار وكسبهم إذ هى الطريقة التى كوّن بها رسول الله ﷺ خلفاءه الراشدين وغيرهم من صحابته الهادين الأمر الذى أصبحوا به أمثلة عالية فى السموالروحى والكمال النفسى وخلفوه فى الدعوة الإسلامية ونشرها فى انحاء العالم بصورة كبيرة ، هذه بعض طرق كسب الأنصار وللداعى استعمال ما يراه منها أقرب الى تحقيق غرضه أو ما يتهيأ له منها إذ ما كل داع فى إمكانه أن يسلك كل الطرق وإنما يسلك منها ما يتيسر له ويكون فى قدرته واستطاعته .

هـ ــ الثبات عليها :

ثبات الداعى على دعوته ووقوفه صامداً فى وجه اعدائها والمناوئين لها لا يلين له جانب ولا ينهزم له روح ومهما كان التهديد والوعيد ومهما بلغ التنكيل والتعذيب أكبر عامل من عوامل نصره فى دعوته ونجاحه فى تحقيق اهدافه فيها ، وتغيير الخطط وتلوين الأساليب لا يعد انهزاماً للداعى ولا عدم ثبات كما أن مهادنة الأعداء أو الصفح عنهم أو الإغضاء أحياناً عما يرتكبونه من شر وفساد لا يُعد انهزاماً من الداعى ولا عدم ثبات له على دعوته لأن كل ذلك قد تفرضه الظروف وتجره الأحوال ويقع مثله للدعاة فى كل زمان ومكان إذ الانهزام وعدم الثبات الحقيقيين من الداعى هو ان يتخلى عن جوهر دعوته ويترك أسسها التى قامت عليها ، تنهار أمامه وتسقط وهو لا يحرك ساكناً أو يتنكر لها بجحودها وعدم الاعتراف بها أو بالعمل الذى يتنافى معها ولا يتفق ومبادئها وتعاليمها .

وقد هادن النبى ﷺ قريشاً بعض الوقت كما وادع اليهود عند قدومه المدينة وعقد مع بعض قبائل العرب معاهدات صلح ومهادنة فى حين أنه ﷺ لم يرض أن يتنازل عن دعوته قيد شعرة ولم يفتتن بكل المغريات من العروض التى قدمت له مقابل التنازل عن دعوته أو السكوت عنها فكان يرفض كل مطلب قد يراد منه النيل من الدعوة أو القضاء عليها ، ذلك وهو فى أصعب الظروف وأشد الاحوال

حتى وهو محاصر فى شعب أبى طالب يقول كلمته الخالدة: « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان أترك هذا الأمر ما تركته أو أموت دونه » .

وكان ﷺ يوصى أصحابه بالثبات ويحثهم عليه فكانوا يتحملون ألوان العذاب وصنوف الاضطهاد فلا يردهم ذلك عن مبدئهم ولا يجعلهم يتنكرون له وقد مات من مات تحت العذاب وهو ينشد :

فلست أبالى حين أُقتل مسلماً على أى جنب كان لله مصرعى

فذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

كل هذا عائد إلى التربية النبوية التى رباهم عليها رسول الله ﷺ قائدهم وإمام دعوتهم وإلى ما كان القرآن الكريم يغذى به ارواحهم ويقوى به عزائمهم ويثبت قلوبهم من قصص المؤمنين وأحوالهم المشابهة لواقع حياتهم وما هم عليه كقصة أصحاب الأخدود وغيرها من قصص تسلط الباطل فيها على أهل الحق فى فترات من الزمن إمتحانا لاهله وتمحيصاً لهم ﴿ **قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنّ فى ملتنا قال أو لو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين** ﴾ .

وهدد فرعون السحرة المؤمنين بالصلب والقتل إن لم يتنازلوا عن إيمانهم بالله فرفضوا فى إباء وشمم ورضوا بالموت على ان يتركوا إيمانهم وأسلموا ارواحهم لله وقالوا: اقض يا فرعون ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا وقالوا: ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين .

ومن هذا كله تتجلى حقيقة الثبات على المبدأ وتلوح أعلام الطريق للسالكين فلا يظن الداعى أن طريقه دائماً محفوف بالأزهار والرياحين ولا ان أيام دعوته كلها افراح ومسرات وإنما عليه أن يوطن نفسه على ركوب الأخطار واقتحام المشاق ومجابهة الصعاب ، وليكن زاده فى ذلك وسلاحه فيه صلته بربه وإيمانه بنصر الله لأوليائه فقد يسهل عليه ما يلاقيه من العذاب ويهون عليه إن هو فاز بروحانية كبيرة تجعله يستعذب العذاب فى ذات الله ويرتاح للألم فى سبيله وهذا بلال بن رباح

يسحب على الرمضاء فى القيظ وشدة لهيب الشمس فيقول مردداً كلمة التوحيد لما يجد لها من أثر برد الراحة فى قلبه :

أحد !! أحد !!

ومات ياسر وزوجته سمية تحت العذاب بعد أن عرض عليه كلمة كفر يقولها فيتخلص بها من العذاب فقال : والله ما كنت لألوث لسانى بالكفر بعد أن طيبه الله تعالى بالإيمان .

ومات خبيب شهيداً وهو يردد قوله :

ولست أبالى حين أُقتل مسلماً   على أى جنبٍ كان لله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ   يبارك على أوصال شلو ممزع

وتساقط الشهداء فى ميادين الجهاد دفاعاً عن دعوة الحق ونصراً لها وتعطرت الأرض بدمائهم الزكية فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا وأخيراً فالثبات على المبدأ وإن كان صعباً فانه مما لا يجد الداعى عنه محيصاً متى أراد نصر دعوته وبلوغها أهدافها فى الحياة ومن لم يعط الثبات فقد حرم النصر وباء بالخيبة والفشل وذلك ما يتحاشاه النبلاء ويأباه المصلحون فاسأل الله أيها الداعى الثبات واستعذ به تعالى من النكوص على العقب والرجوع إلى الوراء فقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الحور بعد الكور .

آداب الداعى

أو

ما ينبغى أن يكوّن عليه الدعاة من الصفات

أ ــ الصبر على الأذى فيها :

من لوازم الدعوات الاصلاحية بين الناس أن يتعرض أصحابها للأذى الشديد فى سبيل إبلاغها للناس ، ونشرها بينهم ، وذلك أن تحويل عقيدة الانسان وتغييرها من الصعب بمكان ، كما أن الخروج بالانسان من عاداته ومألوفه صعب عليه ، شاق على نفسه ، لا يفتأ يدافع عنه ، ويقاتل دونه حتى ينتصر فيه ، او يغلب عليه . فلذا كان من الضرورى أن يلقى الدعاة الأذى فى سبيل دعوتهم وأن يصابوا بالمكروه من أجلها كسنة إلهية لا تتخلف .

ورحم الله شيخ قريش ورقة بن نوفل إذ يقرر هذه الحقيقة بقوله للنبى ﷺ إبان ظهور نبوته : ليتنى فيها جذع ، ليتنى اكون حياً ، إذ يخرجك قومك . فيقول له رسول الله ﷺ : «أو مخرجى هم ؟» فيقول : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا أوذى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب (١) ورقة أن توفى . وترك رسول الله ﷺ وما أخبره به ، وقرره له من سنة الأذى والعداء للدعاة الصالحين . وحقاً فقد كانت كما أخبر سلسلة من الأذى متصلة الحلقات ما بين سب وشتم ، ونفى وتشريد ، ثم صراع دام ، وقتال مرير لم ينته إلا بمجىء نصر الله عند آخر حلقة من حلقات الأذى المكتوب على الدعاة الصالحين ومن اجل هذا كان من أهم ما ينبغى أن يكون عليه الداعية من الآداب النفسية التحلى بصفة الصبر وتحمل الأذى فى ذات الدعوة ، وفى سبيل نشرها .

فليصبر على بطء الدعوة ، وتعثر سيرها ، وعلى ما تصاب به من جزر ومد، وانتصار وانكسار ، الأمر الذى يضجر له الدعاة عادة ويسأموا منه ، ويملّوا السير فيه حتى ييأسوا من انتصار دعوتهم ومن بلوغها غايتها وأهدافها ، ﴿ **حتى إذا**

---

(١) لم يتعلق بأمر من الأمور ، أى لم يلبث حتى مات .

استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ﴾ .

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ﴾ .

فليتذرع الداعية بالصبر ، وليوطن نفسه عليه ، ولا يستعجل أمر نجاح دعوته، فان استعجال الأمور قد يؤدى الى الحرمان منها ، وليرضيه من دعوته : انها دعوة حق وخير ، وأنه مأجور على حملها ، معذور على عدم نجاحها : **﴿ إنك لا تهدى من احببت ، ولكن الله يهدى من يشاء﴾ ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ﴾ ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾** وليتحمل الأذى فى سبيل إذاعتها والجهر بها ، واعلانها بين الناس وعرضها عليهم، وليكن ذلك فى غير كلل ولا ملل ، ولا خوف ولاوجل إذ الداعى مأمور بعرض دعوته على القريب والبعيد والعدو والصديق وهذا من شأنه أن يسبب له الأذى ، ويجر عليه البلاء فليتحمل ذلك وليصبر عليه حتى ينجز الله له وعده ويفتح عليه وينصره فيبلغ بدعوته مداها وبرسالته منتهاها ، ومما يكون عوناً للداعى على الصبر والتحمل فى سبيل دعوته أن يذكر دائماً ما كان يمس اخوانه الدعاة من بأساء وضراء وما كان يصيب امثاله من شدة وأذى ؛ فإن فى ذلك ما يهون عليه المصائب، وما يخفف عليه العناء .

فليذكر ما اوعد به نوح وهدد: **﴿ لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين ﴾** .

وما حكم به على إبراهيم إمام الموحدين: **﴿ قالوا اقتلوه أو حرّقوه ﴾** .

وما تؤومر به على امام المرسلين وقائد الغر المحجلين : **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ﴾**. وما كان يلقاه هو واصحابه البررة الاخيار من صنوف الأذى وألوان العذاب : فقد قام مرة ﷺ يصلى حول البيت فجاء احد المشركين بسلى جزور فوضعه على ظهره الشريف ،وأعداء الدعوة يضحكون فرحين بما صنع اخوهم بنبى الدعوة ﷺ وشكا إليه أصحابه ما يلاقونه من أعداء دعوتهم من أذى وعذاب ، فأجابهم ﷺ بقوله: « لقد كان فيمن قبلكم يؤتى بالرجل فيحفر له فى الأرض ويوضع المنشار على مفرق رأسه فينشر به، ويمشط مادون عظمه من لحم وعصب فلا يرده ذلك عن دينه . فاصبروا»!!

ب ــ الغيرة عليها :

الغيرة على الدعوة علامة حبهــا ، والإيمان بها ؛ إذ من لا يغار على دعوته لا يحبها ، ومن لا يغضب لها لا يؤمــن بها . فإذا كان الداعى يرى دعوته تهان ، أو تنقص ولا يغار علــيها ولا يغضب لها كان من غير شك غيــر محب لها ولا مؤمن بها بــأنها دعوة حــق وخير . فلــذا يجب على الــداعى إذا كان قلــيل الغيــرة على دعوته ، فاتــر الذب عنها ، لا يمتعض ان اســتخف بها ، ولا يغضب ان انــتهكت حرماتهــا كان عليه أن يقوى إيمــانه بها ، ويوفر لهــا من نفسه الحب الكــافى حتى يصبح على حــال يغار معه عليها ويغـضب من أجلها . ويومئذ فقــط يكون صادقاً فى دعوته مَخلصاً لله تــعالى فيها ، فيتوفر له بذلك أكبر عــامل من عوامل نجاحها وهو الصدق والاخلاص .

حقيقة الغيرة :

والغيرة ليســت مجرد انفعال باطنى فى النفــس لا أثر له فى الخارج ولا وجود له بين الناس ، وإنما هى تلون فى الوجه ، وحدة فى الصوت ، وبطش باليد حتى يتغير المنكر ويزول .

دخل إبراهيم النبى عــليه السلام على بهو الآلهة فى بابل الــعراق فشاهد تلك الهياكــل الحجرية وهى تمثــل الباطل فى أكبــر مظاهره ، وأعظم صــورة من صوره فحركته الغيرة على دعوته ودفعته حيث مال علــى تلك التماثيل يفتك بها ويحطمها حتى جعلها جذاذاً متهاوية وقطعاً متناثرة .

ويوم فتح مكة دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام فوجد حول الكعبة ثلاثمائة صنم كل صنــم منها يمثل الكفــر والباطل فاندفع نحوهــا غاضباً يحطمهــا ويكسرها وهو يقرأ قول ربه تعالى: ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً** ﴾ ودخل مرة ﷺ حجرة عائشة زوجته رضى الله عنهــا فرأى ستاراً فيه تصاوير فتلون وجهه وغضــب حتى عرفت ذلك منه فــقالت : أتوب الى الله . فقال: « يــا عائشة أشد الناس عذابــاً عند الله يوم القيامة الــذين يضاهون بخلق الله تــعالى» . وجاءه مرة أسامــة بن زيد وهو حبه وابــن حبه ﷺ جاءه يتوســط لامرأة قريشية اتــهمت بسرقة حلى فى تخفيف عقوبة الحد عليها فكلمه فى شأنها فغضب كأشد ما يغضب ذو غيرة من الــبشر وقال :« أتشفع فــى حد من حدود الله يا أسامــة ، لو سرقت

فاطمة بنت محمد وهى بضعة منى لقطعت يدها ، إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ،وإذا سرق فيهم الوضيع أقاموا عليه الحد » .

وكان ﷺ يقول: « إن الله تعالى يغار وغيرة الله ان يأتى العبد ما حرم الله عليه» .

فالغيرة على الدعوة إذاً من صفات الداعى الصادق فى دعوته المؤمن بها دعوة حق وخير ينبغى لها أن تسود وتنتصر .

جـ ـ التجرد لها :

إن التجرد للدعوة من ضروريات نجاحها ، والداعى الذى لا يتجرد لدعوته لا ينجح فيها ، ولا يبلغ بها غايتها من التعميم والانتشار .

معنى التجرد :

وللتجرد معنيان احدهما : الجد والاجتهاد يقال تجرد للأمر إذا جد فيه واجتهد فى تحصيله ، وثانيهما : التفرغ للأمر والانقطاع اليه والداعى الصادق لا غنى له عنهما بحال من الاحوال فالجد فى نشر الدعوة وابلاغها وتذليل الصعاب والعقبات فى طريقها أمر لا بد منه ، والاجتهاد فى التعريف بالدعوة وعرضها على الناس ، وتيسير طريق الوصول الى فهمها ومعرفتها أمر متأكد على الداعى لازم له متى أراد نجاح دعوته والوصول بها إلى أهدافها وغاياتها التى يتوخاها لها ويرجو ان تبلغها فى هداية الخلق واسعادهم فى الدنيا والآخرة .

كما أن التفرغ للدعوة والانقطاع اليها أمر لابد منه لنجاح الدعوة وبلوغها أهدافها .

فالداعى الذى ينافس الناس فى جمع المال ، او توفيره ، وفى متع الحياة ولذائذها ويسابقهم فى أنعم المأكل والمشرب ، وأفخر الملبس والمسكن ، ويجاريهم فى كسب الشهرة والحصول على الجاه والسلطان لا يمكنه أن يؤدى واجبه إزاء دعوته فضلاً عن ان ينجح فى نشرها وابلاغها للناس وهدايتهم بها .

وبناء على هذا فإن على الداعى أن يتجرد لدعوته تمام التجرد فيعمل الليل والنهار ويواصل العمل فى غير سآمة ولا ملل ، ويتخفف ما امكنه ؛ إذ لا يفوز الا المخففون فلا يسمح لنفسه ان تورطه فى جمع حطام الدنيا ، او تغمسه فى

شهواتها ، أو تجرفه الى محيط ابنائهـا الذين لا هم لهم الا الدنيا ولا غاية لهم فى الحياة الا الحصول عليها والفوز بها ولا يترخصنّ الداعى بقول الله تعالى: **﴿ وابتغ فيـما آتـاك الله الـدار الآخرة ولا تنس نصـيبك من الدنيا ﴾** فإن ذلـك يقـال لرجـل أطغاه الثراء ، وابطرتـه النعمة ، واسره جمع المال ، فلم يعرف بنـعمة المال المنعم بها ، ولم يشكره علـيها فلا تصدق ولا صلى ، فيرشد بمثل هذه الحـكمة القرآنية الى أن يطـلب بالمال سعـادة الآخرة وذلك بشكـر الله المنعم عـليه ، وبطاعـته فى أوامره ونواهيه والى أن لا ينسـى نفسه فيما لا بد منه لقيام البـنية ، والحفاظ على البدن سليماً يؤدى وظائفه التى خلق لها وذلك بالأكل من الطيب والشرب فى غير اسراف ، والسكن الصالح واللباس الكافى فى غير مخيلة أو فخر وخيلاء .

أما الداعى الذى هو من خواص البشر لا مـن سوادهم وعامتهم فإن رسالته تتنافـى مع التكالب عـلى الدنيا ، والانغمـاس فى شهواتها والجـرى وراء اكتساب الشهرة والتحصيل على الجاه أو السلطان والنفوذ وله فى أصحاب الرسالات الذين سبقوه الاسوة الحسنة والقدوة الصالحـة فرسول الله ﷺ لم يشبع من خبز فى يوم واحد مرتين حتى لقى ربه تبارك وتعالـى . وعمر بن الخطاب لم يجمع بين إدامين فى وجبة طعام قط . وعلى بن أبى طالب قال لـلدنيا : يادنيا غرى غيرى فإنى قد طلقـتك ثلاثاً فـلا رجعة لك لـى بعد . وعمر بـن عبد العـزيز التزم يـوم ولى أمر المسلمـين بأن لا يضع لبنة عـلى أخرى ما دام خليـفة للناس ، فوجد يـوماً خادماً يعالج إصـلاح درجة من درج سلم منزله فـنهاه عن ذلك وقال : لقد آلـيت على نفسى أن لا أضع لبنة على أخرى ما دمت متـقلداً أمر المسلمين . وعبد الحميد بن باديس « الجزائرى » اعتزل قصور والده وترك أموالـه ولزم معهد تدريسه لا يبارحه الليل ولا النهار يلـقى فيه اكثر من عشرة دروس يومياً فى شتـى العلوم والفنون ، ويحرر مـجلة الشهـاب ، ويتصدى لـلرد على الخرافـيين والمبطلـين والمستعـمرين المسيحيين طوال الحياة حتى وافاه أجله ولم يؤوه بيت ، أو تصاحبه زوجة أو ولد. غير أنه ربى جيلا وأصلح خلقاً كثيراً ، ونشر رسالة وأدى أمانة . وعبد العزيز بن باز يعرض عليـه بناء منزل له بالمدينة المـنورة فيرفضه ويرضى أن يعيـش كغيره من فقراء المدينة والمهاجريـن فيها جلساؤه الفقراء ، وطعامه المتيسـر ، لباسه ما يستر ، ويقى الحر والبرد ، صمته فكر ، ونطقـه ذكر ، راحته عمل ، وعمله جهد ، قل ما يقيل بالنهار ، أو يهجع بالليل .

هؤلاء هم أصحاب الرسالات ، وهذا شأنهم فى الحياة ، فما لهم لا يتعللون بآية: ﴿ **ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾ .

إن من خداع الداعى لنفسه وغشه لها وتغريره بها أيضاً أن يظن أنه بإمكانه أن يجمع لها بين ترف الحياة ومتعها ، وبين قيامه بأداء واجب الدعوة وما تقتضيه من عمل وحرمان . هذه فرية من أعظم الفرى ، وعلالة النفوس المرضى .

وخاتمة القول على الداعى أن يتجرد لدعوته ان كان صادقاً فيها ، وأن يقبل على أداء رسالته ان كان مؤمناً بها ، ولا تلهينه الأمانى عن بلوغ الآمال . فالجد من لوازم الدعوات ، والاجتهاد من ضروريات نجاحها ، والتفرغ لها والانقطاع اليها أمر لا غنى عنه .

فأيها الداعى تفرغ لدعوتك وانقطع لها تفز بنجاحها وتظفر بانتصارها .

د ـ الصدق فيها :

صدق الداعى فى دعوته يتمثل فى قوله وفى عمله ، كما يتمثل فى تفكيره وتقديره .

فأما صدقه فى قوله فيجب أن يكون الداعى صادق اللهجة بحيث لا ينافق فى قوله ، ولا يداهن فيه على حساب دعوته بل عليه أن يقول الحق ، ويصر على التمسك به ما دام هو الحق ؛ لأنه لا أضر على الداعى من القول بغير الحق أو التراجع عن الحق بعد معرفته والقول به : ﴿ **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ .

﴿**ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله** ﴾ .

وأما صدقه فى فعله فينبغى أن يكون الداعى متصفاً بالجدية فى فعله بحيث لا يتردد فى فعل عزم عليه ، ولا يتركه بعد الشروع فيه حتى ينفذه وينجزه فانه ما صدق فى فعله من تردد فيه أو تركه بعد الشروع : ﴿ **فإذا عزمت فتوكل على الله**﴾ .

﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون** ﴾ « ما كان لنبى أن يضع لأمته على رأسه فيضعها قبل أن يحكم الله بينه وبين عدوه » .

إن التـردد فى العـادة لا يكون الا نـتيجـة ارتياب وشـك والشك والارتـياب يتنافيان مع الايمان واليقين ، والإيمان والـيقين من أخص صفات الداعى ومن أهم عناصر نجـاحه فى إبلاغ دعوته ، فإذا فقـدهما فقد فقدَ كل شـىء . كما أن ترك العمـل بعد المضى فـيه يعتبر عـنوان الضعف ، وعـلامة فقدان الارادة والبـصيرة وفقدانهما يترك الداعى كالحجر لا ينفع ولا يضر وموجز القول فى هذا أن الصدق فى الـعمل يـتنافـى مع الكـسل ، ويتجـافى عن الـتردد ، ولا يتـفق مع الحـيرة والتخبط. والداعى الصادق هو من اتصف بالحزم والمضاء ، وعرف بصدق العزم. وقوة الارادة ونفاذ البصيرة وأما صدقه فى تفكـيره وتقديره فانه يحتم عليه أن يزن الأمور دائماً بميـزان الشرع والعقل . وأن يقدر الاشـياء بحسب طبائعـها وسنة الله فيها ؛ إذ ليـس من الصدق فى التفكـير والتقدير أن توزن الأمور بمـيزان الشهوات والأهواء ولا أن تقدر الأشـياء بالعوارض التـى لا تلبث أن تزول ، ولا بالـرغبات التى تقل وتكثر وتوجد وتنعدم ؟ .

وأخيـراً فعلى الـداعى أن يصدق فـى دعوته وذلـك بصدق لهـجته فى قـوله وبصدق عمله فى انجازه وتـنفيذه وبصدق تفكيره وتقديره بضـبط الاشياء وتحديدها والنظر إلى مآل الامور وعواقبها وليـعلم أن الداعى اذا خلا من الصدق فى دعوته والاخلاص لله تعالى فيها أنه لا يعدو ان يكون أحد رجلين مرائياً حسبه من دعوته أن يكتب كلمة فى صحيفة . أو يقول كلـمة على منبر أو يخطب فى جمهور ، أو يؤلف رسالة أو كتاباً فيثنى عليه الناس ويهنئونه بذلك .

أو مرتزقاً يأكـل بدعوته فيكفيه منـها أن يجلس على كرسى الـتدريس وحوله الناس يستمعون له ويصغون لما يقول ،ويتقاضى راتباً شهرياً أو مكافأة سنوية يعيش عليها شأنه شأن سائر الناس وعامتهم .

وليعلم ايضاً ان الداعى الصادق فـى دعوته هو رجل سرى حب دعوته روحاً فى جسـمه فأنطق منـه اللسان ، وحرك منـه البنان ، واستـولى على المشاعـر منه والوجدان ، فاصبـح يعيش لدعوته لا لنفـسه ، فلا يرضى بغير انتـصارها ولا تقر عينـه بغير نجـاحها ، لا يرى غيـر مشغول بـها ، ولا مفكراً فـى غير أمر نجـاحها وبلوغها غـاياتها ، خاطره لا يطيـب الا عند الحديث عنها ، وجـسمه لا يرتاح إلا بالعمل لها وأن من لم يكن من الدعاة بهذه المثابة فهو داع غير صادق فى دعوته ،

أو دعى فيها ملصق بها ، غير اصيل ولا سليل ، دعوته لها تصد عنها ، وانتسابه اليها ينفر منهـا ، فمن الخير له ولها ايضاً ان يريح نفسه منهـا ويريحها من نفسه ، فإن ذلك خير ، وأحسن تأويلا .

هـ ـ قوة الصلة بالله عز وجل :

الداعى فـى امس الحاجة الى بصـيرة ناقدة ، والى ارادة نافـذة ، والى عون علوى لا ينقطع يـتمكن بها من أداء رسالته ، وإبلاغ دعوتـه ، على اكمل الوجوه واحسنها . وقوة الصلة بالله تعالى هى التى توفر له ذلك وتمده به .

وبناء على هذا فان اتصاف الداعى بصفة قوة الـصلة بالله تعالى اتصافاً حقيقياً أمر ضرورى لابد منه للداعى ولا غنى له عنه بحال .

ومعنى قوة الصلة بالله تعالى : أن يكون للداعى مجال من طاعة الله تعالى ، ومراقبته ، وذكره وشكره ، والرهبة منه والرغبـة اليه بحيث تصفو نفسه ، وتزكو روحه ، وتفضل أخلاقه ، وتصح عقيدته ، ويـعظم يقينه ، ويصدق لجؤه ويكبر رجاؤه وتقل رغبته فى الدنيا ، وتكثر فى الآخرة . فإنه بصحة العقيدة وقوة اليقين يعظم جانـب التوكل فى نفسه فيـصبح ذا قوة روحية لا تدفع ، وقـدرة معنوية لا تقهر .

وبصفاء الروح تـعظم فراسته وتصدق ظـنونه ، وتصيب تقديـراته . وتسمو أخلاقه ،ويكبر حلـمه ، ويكثر صفحه ، ويقل عنده حب الأثـرة والنفس وينعدم داعى الـرغبة فى الـشر والانتـقام . وبرجائـه فى ربه يتـواصل عمـله ، ويستـمر نشاطه، ويستديم جهاده فى نشر دعوته وابلاغ رسالته .

وبقلة رغبتة فى الـدنيا وبزهده فيها يقوى عنده جانب خـلق العفة والنزاهة ، فيعطى الـناس فضله ويمنحهم رفده ، فـيحترم بينهم ويسود فـيهم ، لأن الناس لا يسودهم الا من استغنى عنهم وافتقروا اليه .

وبمثل هذه الخلال الفاضلة ، والصفات الحـميدة والتى هى ثمرات قوة الصلة بالله عز وجل ويكـتسب الداعى القوة المطـلوبة له ، والعون الضرورى لمـثله وهو يخوض معركة العقول والافكار مرة ، ومعركة الحديد والنار مرة أخرى .

فصبر رسول الله ﷺ ، وقوة توكله وشدة صبره وعظمة شجاعته ، كيقين أبى

بكر الصديق ، وفراسة عمر ، ونور عثمان، وكحكمة على وشجاعته ، وفقه ابن عباس ، وعدل ابن عبد العزيز كل ذلك ما كان الا نتيجة لقوة الصلة بالله تبارك وتعالى وها هى ذى آيات كتابه تقرر هذه الحقيقة وتثبتها : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾،﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ ، ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾، ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾، ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ﴾ ،﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾** .

وفى الحديث الشريف يقول الله تعالى :« من آذى لى ولياً فقد آذنته بالحرب. ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، لئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » .

وأخيراً فعلى الداعى أن يعرف هذه الحقيقة ويعمل على تقوية صلته بربه تعالى الى أن تثمر له ما هو فى امس الحاجة إليه من البصيرة الناقدة ، والإرادة النافذة ، والعون الالهى الذى لا ينقطع وحينئذ يمكنه أن ينتصر فى معركة الدعوة، وينجح فى ساحة البلاغ .

نمـاذج وأمثلـــة

وهذه أمثلة صادقــة ونماذج ناطقة تمثل مواقف شتى للـدعاة الصالحين ، وهم يصارعون الباطل فى صوره المختلفة من كبر ــ وتقليد ــ وحسد ــ ونفعية وهوى. نختم بها هذه المذكـرة رجاء أن يجد فيها الداعى ما يكون عوناً لـه على تحمل اعباء رسالته ؛ إذا هــو ائتسى بالدعاة الــسالفين فى نشر دعــوتهم ، فتحمل وصــبر كما تحملوا وصبروا . ولم يـضجر او يعجز كما لم يضجروا ولـم يعجزوا ، ومن قبل قال الله تعالى للرسول ﷺ : ﴿ **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل** ﴾ .

أ ــ باطل الكبر: ــ

الكــبر من الحوائــل الكبــيرة التى تحــول عادة دون قبول المــستكــبرين للــحق وإذعانهم له إذ الكبر كما قال الرســول ﷺ : « بطر الحق ، وغمط الناس » فاخطر ما يواجه الداعى من صنوف الناس المتكــبرون فهم شر من يدعى الى الحق فيأباه ، والى الخير فيــرفضه والطريقة التى تتــبع فى دعوة هؤلاء ، ومعالجة كبــريائهم هى القول اللــين ، والعبارة الصادقــة النزيهة مع عدم إطــماعهم فى النــزول اليهم أو الخضوع لكبريائهم بحال من الاحوال ، ولــنأخذ لذلك أنموذجاً دعوة موسى عليه السلام لفرعون ؛ إذ قال الله تعالى له ولأخــيه هارون عليهما السلام: ﴿ **اذهبا الى فرعون إنه طـغى فقولا له قولاً لينـاً لعله يتذكـر أو يخشى** ﴾ فامتثــل الرسولان أمر ربهما عــز وجل ودعوا الرجل المتكــبر بالقول اللــين غير أن دعوتهما اســتمرت فى اطار الإصرار على احقــاق الحق ، وعدم التنازل عن ذلك قيد شــبر حتى أحق الله الحق على يد موسى وهارون وابطل الباطل بدعوتهما والله عزيز حكيم .

وبالرجوع الى الآيات القرآنية التى عرضت دعوة موسى لفرعون تتجلى حقيقة ما أشير إليه . من كبــر فرعون وملئه وحكمة موسى فى دعوته وثبــاته عليها حتى نجاحه فيها بانتصاره وانهزام اعدائه .

وأنموذجاً آخر :

كبر قوم نــوح عليه السلام واصرارهم عــلى الباطل واستكبــارهم عن الحق ، فقد بعــث نوح وقومه وثنيون يعــبدون اصناماً آلهة دون الله رب العــالمين . فقال :

﴿**ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره**﴾ . فصرفهم الكبر عن قبول الحق ، ﴿**وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً**﴾ وحملهم على الاستخفاف به وباتباعه فقالوا: ﴿**ما نراك إلا بشرا مثلنا ، وما نراك اتبعك إلا الذين هم اراذلنا بادى الرأى ، وما نرى لكم علينا من فضل ، بل نظنكم كاذبين**﴾ ودفعهم الطغيان الى أن قالوا : ﴿**لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين**﴾ .

ونوح عليه السلام يقابل كل تهديد ووعيد ، بصبر قوى شديد ، وكل استخفاف وازدراء بثبات ورباطة جأش بحيث لم تزل دعوته هى فى وضوحها وصرامتها وقوتها : ﴿**ياقوم إنى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى**﴾،﴿**يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت ، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكُنْ أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلىّ ولا تنظرون . فإن توليتم فما سألتكم من اجر ان اجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين**﴾ .

حتى ختمت بما تختم به كل دعوات الحق والخير فى العالم وهو الظهور على الباطل ، والانتصار عليه: ﴿**فكذبوه فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين**﴾ .

وأنموذجا ثالثا :

شعيباً الرسول عليه السلام قال لقومه : ﴿**اعبدوا الله ، وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ، فكذبوه**﴾ وقالوا: ﴿**لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا**﴾ وسخروا منه واستهزأوا به وقالوا: ﴿**اصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى اموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد**﴾ وحملهم الكبر والغرور على أن قالوا له: ﴿**ما نفقه كثيراً مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز**﴾ وصبر شعيب على مقارعته لصنم الكبر ومقاومته للمستكبرين حتى وصل بدعوته إلى غاياتها حيث انتصر الحق بالحق وذهب الباطل وهلك المبطلون ، ووقف شعيب الداعى الحكيم امام منظر رهيب يشاهد قومه هلكى فى ديارهم جاثمين فيولى عنهم وهو يقول : ﴿**يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين**﴾ .

ب ــ باطل التقليد :

ان تقليد الأبناء للآباء والخلف للسلف فيما يعتقدون ويعملون لمن الحوائل العظيمة التى تقف دون قبول المقلدين للحق ومعرفته ، بل كثيراً ما تدفعهم الى مناهضة الحق وأهله ، لكونه لم يكن مما يعتقد آباؤهم ، أو يعرفونه ومن هنا كان التقليد من اخطر ما يواجه الداعى فى طريق دعوته ، فليعرف هذا الداعى وليعلم أن العلاج الوحيد لمكافحة هذا الداء هو الدليل المنطقى ،والحجة النقلية الشرعية ، والبرهان العقلى فهذه الوسائل التى يمكنه ان يحرر بها المقلدين من أسر التقليد ، ويخلصهم من ربقته .

وكأنموذج : لمصارعة التقليد نذكر ابراهيم الخليل عليه السلام فلنعم المثال هو فى مقاومة باطل التقليد فقد قال لأبيه وقومه : ﴿ **ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون**﴾ .

فأجابه المقلدون : ﴿**وجدنا آباءنا لها عابدين** ﴾. فقال ابراهيم: ﴿ **لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين** ﴾ فاستفهمه المقلدون : ﴿**أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين؟**﴾ فقال ابراهيم : ﴿ **بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين** ﴾ .

وسألهم مرة قائلا : ﴿**ما تعبدون**﴾ ؟ فأجابوه قائلين : ﴿**نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين** ﴾فاستفهمهم ليوبخهم ويقلع جذور التقليد من قلوبهم: ﴿**هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون**﴾ ؟ فأجابوه فى غفلة المقلد وأسر التقليد لا ﴿**إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون**﴾ .

وحاجوه مرة فى ربه فقال :﴿ **أتحاجونى فى الله وقد هدان** ﴾ وخوفوه بأصنامهم فقال : ﴿ **وكيف أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً وسع ربى كل شىء علماً ، أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ؟**﴾ .

واستمر إبراهيم يحارب التقليد فى أجلى صوره، وفى أعظم مظاهره وسلاحه ما قد بينا الحجج النقلية والادلة العقلية والبراهين المنطقية . حتى كسر أغلال التقليد ، وحطم أصنامه ورفع راية التوحيد ، وأعلى مناره .

جـ ــ باطل الحسد:

الحسد لا يقل شأناً فى باب الصـوارف عن الحق والحوائل دونه بل هو أخطر من الكبر والتقـليد إذ زيادة عن صرف صاحبه عن دعوة الحق والخيـر يحمله على الكيد للداعى والمكـر به ما أمكنه ذلك وعليه فليحذر الداعـى حسدة الناس وليكن منهم على وجل رجاء أن يسلم من أذاهم فى ذاته على الأقل .

أما دعوته فـليعرضها علـيهم فى صدق وصراحة ولـيدعهم إليها فـى شجاعة ووضوح وما هم بضاريه شيئاً إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

وأصدق مـثال لباطـل الحسد نـورده حسد اليـهود لنبـينا مـحمد ﷺ وأتبـاعه المسلمين . فإنه ما نزل ﷺ المدينة مهاجراً إليـها من مكة حتى شرق اليهود بريقهم وحملهم الحسد أن كـان النبى ﷺ من أولاد إسماعيل ولم يكن مـن بنى إسرائيل على أن ناصبـوا الرسول العداء وحاولوا قتـله بشتى الوسائل فـسحروه وسموه (١) وحاولوا اغتياله بـأخسّ الوسائط وحاربوه وألبوا العرب المشركين عـليه . فعلوا كل هذا ورسول الله ﷺ واقف فى وجه اذاهم يدفعه بمـا استطاع من قوة ، ويدعوهم إلى الحق ويبينه لهـم ويرغبهم فيه ويحذرهم مغبة معاداته وعـدم قبوله حتى حكم الله بينه وبينهم بالحق وهو خير الحاكمين . فلعنهم وأخزاهم ونصره عليهم .

د ــ النفعية .

المراد بـالنفعـية : أن شخصـاً أو أشخاصاً يـنتفعـون بوضع ما مـن الأوضاع الفاسدة فيعز عليهم تغيير ذلك الوضع .

الأمر الذى يجعلهم يبذلون كل ممكن لـلحفاظ عليه ولو أدى ذلك إلى القتال دونه لما يرون مـن توقف أمر حياتـهم على بقائه ووجـوده وعلى سبيل المـثال بائع صور أو تاجر خـمر أو سادن ضريح أو قبر ، أو حاكـم مستبد أو شريف مـستغل فان كل واحد من هؤلاء لا يرضى بأية دعوة تحاول أن تغير وضعه الذى هو عليه، وإن كان يعلم أنه وضـع باطل أو فاسد وذلك حفاظاً على الذى يـحصل له منه ، ولا سيما إذا كان أمر معاشه قائماً عليه ومـن هنا كانت النفعية من أشد الحوائل ، وأصعب العقبات التى تحول دون قبوله دعوة الحق والخير ولعل من المفيد فى دعوة هؤلاء الانـتفـاعيين ان تـقام دعـوتهم عـلى أسـاسين الأول : وعدهـم بالخـير ،

---

(١) اطعموه السم .

وبشارتهم بحال أحسن، ومستقبل أفضل . والثانى: أن يقدم لهم من النفع والخير ما يكون بعض العوض لهم عما يفوتهم بتغيير وضعهم الباطل الذى كانوا عليه .

ومن صور النفعية كحائل تحول دون قبول الحق والخير علماء اليهود واحبارهم على عهد رسول الله ﷺ ، فقد حملهم ما يحافظون عليه من رئاسة دينية لهم بين اليهود أن كتموا صفات النبى ﷺ فى التوراة وجحدوها وأولوها بأبعد التأويلات كل ذلك حتى لا يسلم اليهود فيفقدوا رئاستهم بينهم .

وصورة أخرى هى عبد الله بن أبى بن سلول رئيس المنافقين بالمدينة فقد حارب الدعوة الاسلامية ، وناصبها العداء مذ أن دخلت المدينة ، حتى مات وذلك لأنه رأى أنها حالت بينه وبين ما كان يؤمله ويعيش له وهو ان يصبح رئيساً كملك بين الأوس والخزرج ، فقد كاد يصل الى هذا المنصب لولا أن دعوة الاسلام حالت دون ذلك بمشيئة الله تعالى .

هـ ـ الهوى :

اتباع الهوى أخطر ما يحول دون المرء وقبوله دعوة الحق والخير . حتى لا يكاد متبع الهوى يرجع عن باطل هو فيه أو ضلال يعيش عليه. قال تعالى: ﴿**افرأيت من اتخذ إلـهه هواه وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله**﴾ ؟

وقال رسول الله ﷺ :إذا رأيت هوى متبعا (الحديث) فعليك بخاصة نفسك فى هذا ما يرشد الى عسر علاج مرض الهوى وأن صاحبه فرصة الهداية له قليلة .

وعليه فما على الداعى إلا أن يمضى فى إبلاغ دعوته ونشرها بين الناس معرضاً عن أصحاب الهوى غير ملتفت اليهم ، ولا مبال بهم ، حتى تخلفهم مواكب الدعوة وتصل الى فراديس جنانها وهم على أصنام الهوى فى جحيم الباطل عاكفون .

وختاماً فليذكر الداعى دائما أنه لا يملك من هداية الناس اكثر من نصحهم وإرشادهم وتبيين الحق لهم، أما هدايتهم فإلى الله دون سواه: ﴿ **إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ ﴿**وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين**﴾ .

الرسالة التّاسِعَة

الأخـلاق الإسـلاميـة

أو

ـ الحكمة العلمية ـ

كما يسميها علماء الأديان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله رب العالمين ، إله الأولين والآخرين والصلاة والسلام على محمد المرسل رحمة للعالمين ورضى الله تعالى على آل نبينا وصحابته اجمعين .

وبعد :

لقد أطبقت الشرائع الالهية على فضيلة الأخلاق الحسنة وأجمعت على ضرورة تربيتها فى النفوس وإصلاحها . مصداق ذلك قوله ﷺ :« إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » وفى لفظ « مكارم الأخلاق » كما أجمع علماء الاديان عامة على شرف الأخلاق الفاضلة وسموها (بالحكمة العلمية) وفضلوها على العلم ، ولم يعتبروا الفرد أو الأمة إلا بالأخلاق الفاضلة ، اشار الى هذا المعنى أحمد شوقى فى قوله :

صلاح امرك للاخلاق مرجعه   فقوم النفس بالأخلاق تستقم

وقوله :

وإنما الامم الأخلاق ما بقيت   فان همُ ذهبت اخلاقهم ذهبوا

فلا غرو إذاً أن تقرر الجامعة الإسلامية دراسة الأخلاق وتخصها بمزيد عناية واهتمام ، وأن تقررها فى كل من معهدها وكلياتها ضمن المواد الدراسية وأن تعنى بها عنايتها بغيرها من العلوم والمعارف الاسلامية الأخرى هذا :

وقد شاء الله تعالى : ان تسند إلى إدارة الجامعة وضع مذكرة فى هذا الشأن (الأخلاق الاسلامية) وإلقائها على طلبة السنة الثالثة من كلية الشريعة فاستعنت الله تعالى على ذلك وكتبت هذه المذكرة المبسطة وألقيتها مع ما فتح الله به على اثناء إلقاء فصولها على التلاميذ ورأيت اخيراً ان تطبع وتنشر بين الطلبة والاخوان. رجاء عموم نفعها ، فيسر الله ذلك . والحمد لله وها هى ذى المذكرة توضع بين يدى كل راغب فى دراسة الاخلاق الاسلامية والتعرف إليها ليكتسبها ويعيش فاضلا صالحاً عليها حقق الله ذلك لمبتغيه ، آمين .

الأخلاق الإسلامية

تعريف الأخلاق :

الأخلاق جمع خلق ، ويطلق لفظ الخلق على كل من الطبع ، والسجية ، والعادة ، والدين .

وحقيقة الخلق كما يقول ابن منظور صاحب لسان العرب : إنها صورة الإنسان الباطنة ، وهى نفسه واوصافها ومعانيها المختصة بها .

بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة واوصافها ومعانيها ولتلك الصورة الباطنة اوصاف حسنة وسيئة والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة اكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة .

ويعرف الغزالى الخلق فى كتابه إحياء علوم الدين تعريفاً دقيقاً .

فيقول : الخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة ، عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر ، من غير حاجة الى فكر وروية .

فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كانت تصدر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقاً سيئاً .

وبناء على هذا فلا الأفعال الجميلة والقبيحة ، ولا القدرة عليها تسمى الخلق الحسن أو القبيح وإنما الخلق الحسن أو القبيح هو الهيئة التى هى المصدر .

ويشهد لهذا ما لخص به رحمه الله تعالى تعريفه الدقيق هذا حيث قال : فالخلق إذاً هو عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة .

ولعلنا نزيد التعريف وضوحاً إذا قلنا : إن الخلق يطلق على كل من الافعال الحسنة والقبيحة ، وعلى المصدر الذى تصدر عنه تلك الأفعال وهى الهيئة النفسية وصورتها الباطنية، ويشهد للأول أى إطلاق الخلق على هيئة النفس وصورتها الباطنة رواية عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله وقال الشاعر :

يا أيها المتحلى غير شيمته ... إن التخلق يأتى دونه الخلق

ويشهد للثانى اى إطلاق الخلق على الأفعال الحسنة أو القبيحة رواية الصحيح عن عائشة رضى الله عنها وقد سئلت عن خلق النبى ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، وكانت تعنى بذلك أنه كان ﷺ متمسكاً بآداب القرآن فاعلا لأوامره تاركاً لنواهيه ، متصفاً بما اشتمل عليه القرآن من المكارم والمحاسن والألطاف [1] .

تقسيم الخلق إلى غريزى ومكتسب

وينقسم الخلق عندهم الى غريزى ومكتسب ، فالغريزى: ما كان فطرياً فى الانسان مطبوعاً عليه لا يكد ولا يجد من أجل وجوده ، ولا حصوله عليه . وذلك كخلق حب الطعام والشراب ، وكالضحك ، والغضب ، وكالخوف ، والهرب وكالفرح والحزن ، عند وجود مقتضياتها ، أو مثيراتها ومن هذا جميع الغرائز البشرية كالتعجب ، وحب التملك ، وحب الاستطلاع .

وعلامة الخلق الغريزى أنه وراثى عام فى افراد الجنس كله ، وأنه يشارك الانسان فيه بعض الحيوانات الراقية .

غير أن إطلاق لفظ الغريزة أو الطبيعة على الاخلاق الغريزية أولى واصوب من إطلاق لفظ الخلق عليها ، كما يبدو مما سبق .

وأما المكتسب ، وسواء كان حسناً أو سيئاً فهو ما كان وجوده نتيجة رياضة وتمرين، أو عادة وتدين إذ الصورة الباطنة للنفس قابلة بإذن الله تعالى لتأثير التربية والرياضة فيها ، كما هى الصورة الظاهرة للإنسان ؛ لأنها بمثابتها .

إنه كما يمكن للانسان تحسين صورته الظاهرة وإصلاحها بإزالة الأوساخ والاقذار عنها ، وذلك بغسلها وتنظيفها أو باذهاب الامراض والاسقام عنها بمداواتها وعلاجها .

وكما يمكنه أيضاً تمرين لسانه على لحن من النطق خاص أو يده أو رجليه على حركة خاصة كالكتابة ، أو قيادة الدراجة مثلا ، ويصبح ذلك النطق ، أو تلك الحركة ملكة له لا يجد فى الحصول عليها أدنى كلفة أو مشقة وعسر .

يمكنه كذلك اصلاح الصورة الباطنة وتحسينها بالعبادات الشرعية التى وضعت

---

(١) الإحسان والإتحاف .

لغرض تهذيب النفوس وتزكيتها ، وإصلاح الأرواح وتطهيرها ، وبالآداب الدينية والعقلية التى تنمى بإذن الله ملكة الخير والجمال فى النفس ، حتى تصبح النفس طيبة خيرة تحب كل أنواع الخير وتميل اليها وترغب فيها كما تنفر من الشر وتكره الخبث وتبتعد عنهما .

ثبوت الأخلاق وتغيرها

وبناء على ما سبق فان الأخلاق بصورة عامة متغيرة غير ثابتة ، ومتبذلة لا لازمة إذ هى خاضعة لعوامل التربية فيها ، متأثرة بها ، فالاعتقاد والسلوك ، والبيئة والمعاشرة كل هذه تؤثر فى هيئة النفس الباطنة . فالعقيدة الصالحة السليمة تغير خلق الجبن والهلع الى خلق شجاعة وكرم ، والسلوك الصالح يغير خلق الفحش والانحراف الى خلق عفة واستقامة . والاقامة في البيئة الطاهرة ، والمعاشرة للجماعة الصالحة غالباً ما تؤثر فى الاخلاق والسلوك وتصلحها .

ومن هنا دعت الكتب الإلهية إلى تربية الاخلاق الفاضلة ، وحضت على ذلك فالرسول ﷺ يقول :« إنما بعثت لاتمم صالح الاخلاق » والله تعالى يمتن على المؤمنين بقوله: ﴿ **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم** ﴾ ويأمر رسوله ﷺ أن يأخذ الصدقة من اموال المؤمنين لتطهيرهم من خلق الشح فيقول : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ .

غير أن التربية والمعالجة للأخلاق من أجل تغييرها ، أو إزالتها واحلال خلق آخر محلها قد يتعذر فى بعض الحالات ، ولا يكون للتربية والمعالجة أى أثر فى ذلك ؛ لتمكن الخلق السابق الذى يراد تغييره من هيئة النفس ورسوخه فيها .

وقد صرح القرآن الكريم بهذه الحقيقة فى نفيه فى غير موضع للهداية التى هى الايمان بالمثل العليا ، ومن أعظمها الايمان بالله ورسوله وشرائعه ، والاستقامة التى هى النظاقة الروحية والسلوك الحسن ، عن الظالمين والفاسقين والمجرمين .

فى مثل قوله تعالى: ﴿ **واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين** ﴾ وقوله :﴿ **فبهت الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ وذلك لان توغلهم فى الظلم والفسق والاجرام بعد استمرارهم عليه زمناً أصبح طبعاً لهم ، ووصفا لازماً

لا ينفك عنهم فحرموا هداية الله لهذه السنة الالهية وهى أن الفساد إذا اصبح طبعاً لصاحبه يحرمه الهداية حسب سنة الله تعالى فى تأثير الاعمال على النفوس .

تعديل الغرائز

وحتى الخلائق الغريزية فإنها ـ وإن كان الغالب فيها انها سجايا وطباع لا تتبدل ولا تتغير ، قد يمكن تعديلها أو توجيهها الي حيث يستفاد منها وينتفع بها ، فغريزة حب التملك مثلاً توجه الى حب العمل الجاد ،والكسب النافع ، وغريزة حب الاستطلاع قد توجه الى العلم والمعارف وتستغل فى ذلك ابعد استغلال . وهكذا فى الامكان توجيه أو تعديل الى حد ما كثير من الاخلاق الغريزية والانتفاع بها .

الأخلاق الاسلامية
وخصائصها

وصفنا الاخلاق بالاسلامية مفهم أن هناك أخلاقاً غير اسلامية وهو كذلك . غير أن وجود الفرق الكبير بين أخلاق المسلم وآدابه وبين أخلاق غير المسلمين من سائر الناس وآدابهم ، جعلنا لا نعتبر تلك الاخلاق والآداب الى جانب الاخلاق والآداب الاسلامية شيئاً .

وهذا ايضاً لا يعنى أن غير المسلم لا يكون له أى خلق فاضل ، ولا أى أدب سام رفيع ، إذ الواقع يشهد أن بين الناس من غير المسلمين من يعيش على بعض الاخلاق الكريمة ، ويتمتع ببعض الآداب الرفيعة ، وذلك كخلق العدل والرحمة والصبر والوفاء ، وكأدب المجالسة أو المحادثة ، والقول والمعاشرة وما اليها من الآداب أو الاخلاق التى يكتسبها الانسان بالدرس والمطالعة ، والرياضة والتمرين.

بيد أن اصالة الاخلاق الاسلامية وكمالها ، وخصائصها جعلتها ، تفوق كل الاخلاق وتسمو عليها وهذا عائد الى أن الاخلاق الاسلامية تدعمها عقيدة المسلم فى نفسه وينميها إسلامه فى سلوكه ، وعمله فليس منبعهما مجرد الفطرة الانسانية، واستحسان العقل البشرى .

كما هى الحال فى اخلاق غيره فحسب ، بل وتنبع من اصفى الينابيع واطيبها: الوحى الالهى ،والسنة المحمدية .

فلذلك كـان لها من الخصائص والمميزات ما لا يوجد فى غيـرها من اخلاق الناس وها هى ذى بعض تلك الخصائص التى امتازت بها نوردها كشاهد حق على ما نقول :

أ ـ شمولها

الأخلاق الاسلاميـة لا تقتصر علـى تهذيب الوجدان ، وتـنمية العاطـفة فى الانسان ولا على تطهير النفس وارهاف الحس فحسب بل هى تشمل كذلك تهذيب الجوارح الظـاهرة وترويضها عـلى قول الحق ، وفعـل الخير ، وعلى ترك الـباطل واجتناب الشر وان كانت عنايتها بتهذيب النفوس واصلاح الأرواح اكثر من العناية بتهذيب الجوارح وتعويدها على التزام الحق ، وإتيان المعروف .

يشهد لصحة هذا وذاك ما فى الوحى الالهى من مثل قوله تعالى: ﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين**﴾ .

وقوله تعالى ﴿ **قد افلـح من زكاها وقد خاب مـن دساها** ﴾ وقوله: ﴿ **وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين** ﴾ وقوله: ﴿ **ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب** ﴾ .

ففى قـوله: ﴿ **وسارعـوا الى مـغفـرة من ربـكم وجـنة عـرضهـا الـسموات والأرض اعدت للمتقين** ﴾ دعوة الى ترك جميع الرذائل والآثـام الظاهرة والباطنة والى التخلى الكامل عن جميع النقائص والعيوب الخلقية والنفسية .

كما هى دعوة أخرى الى فعل جميع الصالحات والتحلى التام بجميع الفضائل الخلقية ، والكمالات النفسية .

وفى قوله: ﴿ **قد أفلح من زكاهـا ، وقد خاب من دساها** ﴾ دعوة صادقة الى تطهير النفس وتحليتها بالفضائل الخلـقية والكمالات النفسية مثل ما هى طلب إلهى بالابتعاد عن المؤثرات الخارجية على النـفس البشرية من الشرك والمعاصى ، وسائر أنواع النقائص والرذائل وفى قوله تعالى: ﴿ **وأحسـن كما أحسـن الله إليك ولا تبغ الفسـاد فى الأرض** ﴾ تربية للوجـدان وتنمية للعواطف ، وارهاف لـلحس وابعاد للمرء عـن رذيلة الشح والبخـل ،ونقيصة الظلـم والفساد ومن هذا قولـه تعالى: ﴿**ولا يأب كاتب أن يكـتب كما علمه الله فلـيكتب**﴾ فى تربية الـوجدان الرحيم ،

والضميرالحسى والحس الصادق فإن التذكير بـحالة الجهل السابق ، وما أعقبها من العلم والمعرفة ، والمطالبة بالكتابة للمحتاج إليها شكراً على نعمة العلم بعد الجهل، والمعرفة بـعد عدمها لدعوة ربانـية الى تنمية العـواطف الانسانية وتهذيـب المشاعر البشرية ، وترقية للنفس حتى تصبح ذات كرامة فى الوجود .

ومن هذا قولـه تعالى: ﴿ **ولا تقف مـا ليس لك به عـلم ؛ ان السمع والـبصر والفؤاد كل أولئك كـان عنه مسؤولاً** ﴾ فإن فيه دعوة واضحـة الى تهذيب الجوارح الثلاث المذكورة اللسـان ،والسمع ، والبصر ، وتعويدها على أداء وظـائفها بعيدة عن الأذى والشر فاللسان ينبغى ان لا ينطق بغير الحق والعدل ، والخير والصدق، والسـمع ليـس له ان يسـمع الفـحش والـبذاء ، ولا الزور والـباطل والاخـتلاق والكذب من القول ، والبصر يجب ان لا يرسل يتتبع عورات الناس ، ويكشف ما يسترون .

ومنه ايضاً قوله تعالى: ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** ﴾ .

فإنها دعوة قرآنيـة الى تهذيب سلوك المسلم وإصلاحه ، فـالاختيال فى المشى والتكبر عن الخلق والاستطالة فى المنطـق ، والبذاء فى اللسان ، والعنف والغلظة فى المعاملة رذائل خلقية وسلوك فردى مذموم صرح هذا الوحى الإلهى بتحريمها ، والتنـفير منـها فكان ذلـك دعوة كريمة الى تـهذيب الجوارح وريـاضتها عـلى ترك الخلائق المذمومة وتعويدها على الاتـصاف بضدها من الخلال الحميدة ، والخصال الفاضلة الشريفة .

وكل مـاذكر وغيـره مما لم يـذكر وهو كثـير شاهـد صدق علـى أن الاخلاق الإسلاميـة شاملة ترعى الـظاهر والباطـن على حد سواء فـتهذب النفس وتـصلح السلوك بخـلاف غيرها من الاخلاق غير الاسلاميـة فإن نصيبها من تطهـير الباطن بتزكية النفـس وإصلاحها لا شىء ومن اصلاح الظاهر بتهـذيب السلوك وإصلاحه شىء ولكنه قـليل وغير راكز فى النفس ولاأصـيل فيها لحرمانه من الاعـتماد على ركيزة كل الـفضائل والكمالات الـبشرية ألا وهى الايمان بالله والـدار الآخرة إيماناً صحيـحاً ، إذ كل سلوك قويم ، وخـلق فاضل كريم لا يـنبع من هذه الحقـيقة ، ولايصدر عن هذا المعين ، ولا يكون فيضاً لهـذا المنبع العذب الأصيل إنما هو نفاق وخداع ، او تصنـع وتطبع لا تلبـث الاحوال المتغايرة والـظروف المتقلبـة أن تظهر

زيف ذلك ، وتكشف عن حقيقته إذ الأمر كما قال القائل :

يا أيها المتحلى غير شيمته ان التخلق يأتى دونه الخلق

وكما روى عمر : من تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله .

وكشاهد على صحة هذه الحقيقة ما تغنت به أوروبا فى عصر نهضتها الحضارية من آداب وأخلاق وما آل إليه امرها اليوم ، وهى سائرة إليه بخطى سريعة من تحلل وشر وفساد ، فقد شاع بين افرادها التلصص وتفشت الجرائم ، وظهرت فيها الإباحية السافرة ، والعرى المفضوح ، وتدهورت فيها الاخلاق بصورة أذهلت العقلاء وصاح لهولها رئيس الكنيسة غير كاتم مخاوفه من ان الأمر سيؤدى بالعالم المسيحى إلى هاوية سحيقة لا يخرج منها ابداً ذلك لأن ما كان لأوروبا من أدب وخلق أيام نهضتها لم يكن قائماً على أساس الإيمان الصحيح بالله ورسالته واليوم الآخر . ولم يكن فى جملته نابعا من الوحيين الكتاب والسنة وإنما كان اشبه بتخلق وتصنع أوحته ظروف النهوض المراد لأوروبا بعد الجثوم الطويل على الجهل والفساد . فلذا من الطبيعى بعد بلوغ النهضة شأوها البعيد ، وغايتها القصوى ان تتدهور الاخلاق المصطنعة وتتحلل تلك الآداب المتكلفة وتعود الأحوال الى ما كانت عليه قبل زمن التخلق والتأدب وان قال قائل : ان ما قلته في أوروبا هو بعينه قد وقع للمسلمين فأصيبوا بتدهور فى اخلاقهم وآدابهم الأمر الذى لا يمكن انكاره بحال فى حين ان آداب المسلمين واخلاقهم قامت علي اساس الإيمان بالله واليوم الآخر ، ونبعت من وحى الكتاب والسنة . فكيف توفق بين هذا وذاك ؟

قلنا : إن ما اصاب المسلمين أولا لم يكن صورة عامة أو شبه عامة فى جميع الافراد ، وثانياً أن هذا ما كان إلا بعد أن انسلخ اغلب المسلمين من دينهم وعاشوا بعيدين عنه فلم تكن اخلاقهم تنبع من فيوضات الوحى الالهى ولا آدابهم من اصالة عقيدة الايمان بالله والدار الآخرة .

ب ـــ إيجابيتها الصادقة

إن الدارس للأخلاق الاسلامية لا يسعه غير الاعتراف الكامل بإيجابيتها وفعاليتها وفى كامل محيط الحياة البشرية وأن السلبية كالأنانية الفردية لا مكان لهما فى الاخلاق الاسلامية وبحال من الأحوال .

وأدنى نظرة يلقيها المرء وعلى أى خلق إسلامى يتبين له بوضوح إيجابية الأخلاق الإسلامية، وفعاليتها وفي كامل الحياة .

وهذا ـــ على سبيل المثال ـ خلق الكرم فانه لا يمكن ان يفهم منه غير الايجابية ، وذلك ان الكرم وهو نقل خير من شخص كريم الى آخر فى حاجة اليه كما هو ـ الكرم إسداء معروف وبذل ندى ، وتفضل بجميل ، وتكرم باحسان علي غَيْرٍ هو أهل لذلك ومستحق له . لا يتصور معه وهذه هى حقيقته الإيجابية صادقة لا مجال للشك فيها أو الارتياب . !

وكخلق الكرم خلق الحلم مثلاً فانه وإن بدا أنه مجرد سكون ودعة ، خال من الفعل ، أو رد الفعل . فإنه في الحقيقة وواقع الحياة إيجابى أكثر من غيره ، إذ الصفح عن الجاهل ، والعفو عن المسىء ، وعدم مؤاخذة السفيه ، وما يتبع ذلك كرد فعل من ندم الجاهل على جهله ، والمسيء على إساءته ، والسفيه على سفهه وما يلزم ذلك ويترتب عليه من اشاعة الغبطة فى النفوس ، والطمأنينة في القلوب كل ذلك من إيجابية خلق الحلم وفعاليته فى حياة المسلمين ولولا ذلك لما قال فيه الرسول الاعظم ﷺ :« ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب ».

وهل يقال فى الشدة والقوة إنها سلبية غير إيجابية ؟ ومثل خلق الحلم خلق الصبر فهل من عاقل يدرك معنى الصبر أو يفهمه إذا لم تكن هناك شدائد تخاض وصعاب تشق ، وآلام تتحمل ومغريات يعرض عنها ، وشهوات ومفاتن تترك ؟

وإذا كان ذو الصبر يخوض الشدائد بلا تضجر ، ولا تململ ، ويشق الصعاب بدون كلل ولا ملل ، ويتجرع غصص الآلام بلا شكاة ولا أنين ويتعالى عن المغريات ويترفع عن الشهوات مع مواصلته ، للصالحات ، واستدامته للخيرات . فأى وجه إذاً للسلبية في خلق الصبر وإذا لم توجد السلبية فى خلق الصبر فهل توجد في خلق آخر من أخلاق المسلم ؟ كلا إنه لا وجود للسلبية في الاخلاق الاسلامية . وكيف توجد السلبية في اخلاق تنبع من معادن الخير الالهية ، وتفيض من ينابيع الرحمة الربانية من مثل قول الله تعالى : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف ، واعرض عن الجاهلين** ﴾ ومثل ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ .

ان فى قوله تـعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ مبدأ من أسـمى المبادئ التى تكفـل للمجتمع المؤمـن به النهوض والتطور والـرقى نتيجة التعـاون المثمر ، والذى هو عام فـى جميع مجالات الحيـاة وفى قوله: ﴿ **خذ العفو وأمـر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ الدلالة الواضحـة على الايجابية الصـادقة ؛ إذ هى تأمر المسلم باللطف فـى المعاملة واللين والظرف فى الأخذ والعطاء ، وتـلزمه بالنهوض برسالة الأمر بالمعروف كلما خلا مـنه مكان أو فرغ منه وجود ، لان المعروف وجه الحياة السعـيدة المشرق متى غاب عن النـاس فارقتهم الحياة الكريمـة ، وغاب عنهم معناها الجميل .

وحتى قـوله : ﴿ **وأعرض عـن الجاهـلين** ﴾ فإنـه لا معـنى للـسلبـية فـيه إذ الاعراض عن ذوى السفه والجهالات معناه الصـفح عنهم وعدم مؤاخذتهم ، وفى ذلك من مقاومة القوة الغاضبة ،ومصارعتها مالا يقدر عليه الا أبطال البشر « ليس الشديد بالصرعـة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغـضب » وقوله تعالى: ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عـداوة كأنه ولى حميم ،و ما يلقاها إلا الذين صبروا ومـا يلقاها إلا ذو حظ عـظيم** ﴾ فأين وجه السلبـية فى الأخلاق الاسلامية إذاً؟ وكيف تكون ؟

ومصادر الاخلاق الاسلامية تقول عقيدة المسلم (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) .

وتقول : من كان (١) له فضل ظهر فليعد بـه على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له الخ . . .

وتقول : خير الناس انفعهم (٢) للناس .

وتقول : تبسمك (٣) فـى وجه أخيـك صـدقـة وافراغـك مـن دلوك فى دلو أخيك، لك صدقة .

وتقول : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد (٤) بعضه بعضاً .

فكيف تعقل السلبية فى خلق امرئ يوقـف نفسه على خدمة الناس ، لينفعهم

---

(١) مسلم . (٢) القضاعى وعلم عليه السيوطى بالحسن .

(٣) البخارى . (٤) متفق عليه .

ويدفع الأذى عنهم ، ويذهب فى ذلك الى أبعد حد ممكن حتى إنه ليبسم فى وجوههم ترويحاً لنفوسهم ، ويميط الأذى عن طريقهم حفاظاً على ابدانهم أن ينالها سوء ، أو تلقى مكروهاً .

وأخيراً ان السلبية والأنانية ، وحتى الانتفاعية كل هذه لا وجود لها فى خلق المسلم ولا تتصل به من قريب أو بعيد ، وبينهما من المنافاة ما بين الحسنة والسيئة أو الفضيلة والرذيلة . وفيما تقدم من الشواهد والبراهين على ان لا سلبية فى خلق المسلم أكبر مقنع .

جـ ـ إنسانيتها العامة :

الاخلاق الاسلامية من فيوضات الرحمة الإلهية ، ورحمة الله وسعت كل شيء وانتظمت كل مخلوق فكما ان الرحمة لم تقتصر على مخلوق دون مخلوق كذلك خلق المسلم فى نفعه وعموم خيريته فما يفيض به خلق المسلم من رحمة واحسان ، لم يختص به انسان دون إنسان ، وما تثمره الأخلاق الاسلامية لأصحابها من سعادة وكمال لا يقصر على اصحابه بحال من الأحوال. ان خلق المسلم فى نفعيته وخيريته لشبيه بغيث السماء إذا نزل على الأرض فانه لا يقصر على طيب التربة دون خبيثها ولا على حر أشجارها دون هجينه إذ يسقى الكل ويروى الجميع .

فمن ظن ان خير المسلم المتدفق من خلقه وكمال نفسه يقصر على المؤمن دون الكافر وعلى البار دون الفاجر ، أو على القريب دون البعيد فقد أخطأ فى ظنه ، واساء فى فهمه وذلك نتيجة لجهله باخلاق المسلم ، وعدم معرفته لأسسها وقواعدها .

وإلا فكيف يرى قصور نفع خلق المسلم على المسلم فى الوقت الذى تعدى نفعه الإنسان إلى الحيوان إذ يقول الرسول ﷺ : « فى كل كبد رطبة أجر» . ويقول : « ان الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

ان من الاجحاف ، وعدم الانصاف ان توصف الأخلاق الاسلامية بالسلبية أو تنعت بالفردية أو توسم بالشعوبية التى لا تعرف الخير إلا لأهلها ، ولا تصنع المعروف إلا لذويها فى حين أنه لا يوجد خلق واحد فى الإسلام لا يتعدى نفعه

الى الغير ، ولا ينتقل فضله الى كافة الناس وقد سبقت شواهد ذلك فى الكرم ، والحلم والصبر فليرجع اليها .ان الاخلاق الاسلامية ربانية فى كرمها وفضلها إنسانية فى شمولها وعمومها ، قرآنية فى صلاح قواعدها ، وسلامة مبادئها .

انها مستوحاة من مثل قول الله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ وقول رسوله ﷺ : « كلكم لآدم وآدم من تراب » وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض الدعائم التى قام عليها الخلق الاسلامى ، فكان خلقاً رحيما كريماً يسع كل الناس ،و يفيض الخير والرحمة حتى على الحيوان ومن هذه الدعائم .

١ ــ الايمان بالله رباً لجميع العالمين وإلها لكل الأولين والآخرين وهذه العقيدة توحى بالايخاء العام بين جميع الناس .

٢ ــ العدل العام وبين جميع الناس : ﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾ .

٣ ــ الحياة حق للجميع : ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما** ﴾ .

٤ ــ تحريم الظلم مطلقاً :« ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ».

٥ ــ حب الخير للجميع : « لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

٦ ــ وحدة الهدف والمصير: ﴿ **فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** ﴾ .

وبعد إن أخلاقاً تقوم على مثل هذه الأسس الكمالية ، لا يمكن أن تكون غير إنسانية ولا يعقل أن تكون بعيدة عن الاصلاح الاجتماعى ، لا علاقة لها بغير اصلاح الفرد فى نفسه ، وهى بكل ما فيها تدعو الى الخير العام ، وتهدف الى سعادة الجميع وذلك لأصالتها فى ربانيتها ، الكاملة وبعدها فى انسانيتها العامة .

الأخلاق الإسلامية

دعامة الحكم والقضاء ،وإصلاح المجتمع

الأخلاق الاسلامية بوصفها مستمدة من الوحيين كتاب الله تعالى وسنة رسوله

ﷺ ،وتقوم على أساس العقل والفطرة ، الكتاب والسنة يمدانها بالقوة والجمال والعقل والفطرة يضفيان عليها حلة القبول والرضا .

كان من غير المستغرب فيها ان تكون دعامة للحكم والقضاء ،ولإصلاح المجتمع كذلك إذ الحكم فى الاسلام لله تعالى وحده هو الذى أنزل مادته واثبت شرعيته ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ وما للحاكم فى الإسلام إلا اتباع ما شرع الله من احكام ، وانزل من بيان ، وإنفاذ ذلك فى الناس ، واخذهم به تحقيقاً لكرامتهم وسعادتهم .

واتباع الحاكم والقاضى لما شرع الله تعالى من احكام ، وانفاذ ذلك بدقة كاملة واخلاص تام يتوقف بلا شك على مدى ما يتحلى به الحاكم أو القاضى من إيمان صادق بالله واليوم الآخر ، وما يتمتع به من خلق اسلامى فاضل كريم .

إنه بقدر إيمان الحاكم والقاضى وصلاح أخلاقهما ، واستقامة نفسهما تصدر أحكامهما عادلة رحيمة ، والعكس بالعكس صحيح كذلك .

وبهذا يصبح من غير المشكوك فيه تأثير الاخلاق فى توجيه الحكم وتسديد الحاكم والقاضى معاً . ويصح لنا وبكل تأكيد أن نقول ان الاخلاق الاسلامية وهى تعتمد على عقيدة الايمان بالله واليوم الآخر دعامة كبرى للحكم والقضاء فى الإسلام كما هى ركيزة كل اصلاح إجتماعى بين المسلمين ونزيد الموضوع إيضاحاً إذا قلنا ان الحاكم والقاضى الذى من أخص صفاته العلم ، ومن أخلاقه العدل ، وعقيدته الايمان بالله واليوم الآخر لا يكون من شأنه أو مما يتهيأ له أن يجور فى حكم يصدره أو يظلم فى قضاء يقضى به فى الناس لأن من كان خلقه العدل لا يحيف ومن وصفه العلم لا يجهل أو يضل ومن راقب الله تعالى وخاف مقامه بين يديه فلا يقوى على الفسق عن أمره ، ولا على الخروج عن طاعته ، وإذا كان هذا شأن الحاكم أو القاضى ذى الخلق الإسلامى فان شأن المتقاضى المسلم الذى يعيش على خلق الصدق والعدل أن لا يفجر فى خصومة ، أو يكذب فى دعوى ، أو يدعى ما ليس له بحق ، فى مال او عرض او نفس .

واذا كانت المحكمة الاسلامية تقوم على اساس هذا الطراز من القضاة والخصوم فان العدل الذى يتوفر فى هذه المحكمة لا يمكن ان يتوفر فى غيرها من محاكم غير المسلمين الأخلاقيين الصالحين وهذه بلا شك ثمرة طيبة للأخلاق

الاسلامية وبركة من بركاتها . هذا هو أثر الأخلاق الاسلامية فى الحكم والقضاء .

وأما أثرها فى إصلاح المجتمع فحدث ولا حرج ، فانه ما من تعاون بين الافراد والجماعات فى حقل البر والمعروف فعلاً وعملاً ، أو فى مجال المنكر والشر اجتناباً وتركا الا وهو ثمرة خلق الشعور بالواجب ، والقيام بالمسؤولية ، واداء فريضة التعاون المستمد من قول الله تعالى: ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾وما من جهاد ولا عمل ،ولا صبر ولا أمل يرى بين المسلمين الأخلاقيين افراداً أو جماعات ، الا نتيجة أخلاق إسلامية فاضلة تحلى بها الفرد المسلم ، وتزين بها دون سائر الناس .

إن من الحقائق المسلمة لدى علماء البشر وحكمائهم ورجال الاصلاح فيهم إن إصلاح المجتمعات البشرية يتوقف تماماً على مدى صلاح أخلاق الافراد ، واستقامة نفوسهم وإلى هذا الاشارة فى قول الرسول ﷺ :« إنما بعثت لأتمم صالح الاخلاق) وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

صلاح امرك للاخلاق مرجعه   فقوم النفس بالاخلاق تستقم

كما ان من المسلم به عندهم أيضاً ان اى شر أو فساد أو تحلل وضعف يكون فى مجتمع ما إنما منشؤه فساد الاخلاق والنفوس . والعلاج الوحيد لذلك تقويم النفوس وإصلاح الاخلاق بل ذهبوا الى أبعد من ذلك فقالوا : ان الأمة هى المعانى والقيم التى يعيش عليها الافراد فان لم تكن معان كريمة ولا قيم فاضلة فلا أمة يشار اليها أو تعد فى الوجود وقد صاغ هذا المعنى الشاعر العربى فى قوله :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فحكم بان الأخلاق هى الأمم فمتى وجدت الأخلاق الفاضلة الكريمة وجدت الأمم تبعاً لها ، وإذا انعدمت الأخلاق انعدمت الأمم .

الأخلاق الإسلامية
وآثارها فى المجتمع البشرى

للاخلاق الاسلامية آثار حميدة فى حفظ حقوق الناس ، وحسن معاملتهم ، فخلق الاحسان عند المسلم يحمله على الاعتراف بكل حق عليه ، ويساعده على

ادائه لاصحابه بكل سهولة ويسر .

● فالمسلم يعبد الله تبارك وتعالى بطاعته فى جميع ما أمره بفعله أو بتركه من معتقد ، أو قول أو فعل مع الغاية من حبه وتعظيمه مخلصاً له ذلك كله إيمانا منه أن هذا حق لله خالقه ورازقه عليه ، ويؤديه له قياماً بواجب العبودية والشكر .

● ويحسن بوالديه : بطاعتهما فى المعروف ، وإسداء الخير اليهما . وكف مطلق الاذى عنهما فلا يمنعهما خيرا ، ولا ينالهما بمكروه ، اعترافاً بحقهما عليه ، وشكرا لما قدما اليه من جميل ، وما اسديا اليه من معروف ، إذ هما علة وجوده،وسبب كينونته إنسانا فى هذه الحياة .

ويحسن الى أولاده بتغذيتهم وتربيتهم إنماء لاجسامهم وعقولهم وحفاظا على ارواحهم وابدانهم لما يشعر به من حق الابناء على الآباء ، والصغار الضعفاء على الكبار الاقوياء .

ويعترف بحقوق الزوجة ، وواجب معاشرتها بالمعروف فيبذل لها كل حق لها عليه فى طعامها وشرابها ،و كسوتها كما يكفل لها الكفاية والصيانة اللازمة حتى لا تهون أو تبتذل .

ويؤدى حقوق الأقارب ، ويقر بما لهم من واجب الإحسان فيطعم جائعهم ، ويكسو عاريهم ، ويداوى مريضهم ، وينصر مظلومهم ، ويكف الأذى عنهم ، مع تفقد احوالهم ، وزيارتهم فى ديارهم وأحيائهم ، كل ذلك من آثار خلق الاحسان فى المسلم .

ومثل الاقارب الجيران ؛ إذ خلق الاحسان يتناولهم بحكم واجب الاحسان اليهم وسواء كانوا أقارب ، أو اجانب اباعد ، مسلمين مؤمنين ، أو كافرين اهل ذمة أو معاهدين فلكل حقه من الاحسان المتمثل فى إسداء المعروف ، وصنع الجميل مع كف الأذى ودرء السوء ، والنصرة فى الحق والمعاونة على البر والتقوى .

وهذا الذى هو للجيران من الحقوق والاحسان هو عين ما يعترف به المسلم ذو الخلق الاسلامى لكل المسلمين ويؤديه لهم كاملا غير منقوص ؛ إذ خلق الاحسان فى المسلم يدفعه الى مساعدة منكوبى المسلمين ، ومواساة فقرائهم . ومداواة

مرضاهم ، ونصرة مظلوميهم . يعود مرضاهم ، ويشيع جنازة موتاهم ، ويشمت العاطس ، ويرد السلام، ويبر الاقسام . ويذهب خلق الاحسان فى المسلم الى ابعد حد فتجد آثاره الخيرية الطيبة ظاهرة فى الناس عامة لا فرق بين أحد وأحد اختلفت اجناسهم واديانهم أم اتحدت الكل يشملهم المسلم باحسانه ، فيقدم لهم النفع ويسوق إليهم الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلاً مع كراهته للشر لهم ومحاولة دفعه جهده ، وفى حدود ما يستطيع .

وحتى الحيوان البهيم ذى الكبد الرطبة فانه واجد من آثار خلق الاحسان فى المسلم رحمة تظهر فى إطعامه اذا جاع ، ومداواته إذا مرض ، وراحته إذا كل أو تعب ، وتأمين روعه اذا خاف كل ذلك لأن خلق المسلم مستمداً أصالة من الفطرة البشرية السليمة ومستوحى من تعاليم الكتاب وهدى السنة ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** ﴾ يقول الرسول ﷺ [1] : « دخلت امرأة النار فى هرة : ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت » ويقول ﷺ[2] : « فى كل ذات كبد حرا أجر » هذا ومن الآثار الحميدة لخلق المسلم فى المجتمع البشرى عامة ، والمجتمع الاسلامى خاصة عدم وجود أى أذى ، أو سوء أو شر يعترف به المسلم ، أو يقره فضلا عن ان ينال به الناس ، أو يمسهم بشىء منه . فدماء الناس واعراضهم واموالهم محرمة تحريماً كاملاً فى شريعة المسلم وآداب نفسه ، وقوانين اخلاقه « لاضرر ولا ضرار » اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح [3] « فإنه اهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » « واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب» [4] ان ترويع المسلم ، واخافته كضربه ، وضربه كقتله .

وان السب كالشتم ،وشهادة الزور كالسخرية والغيبة كالنميمة ، والغش كالخيانة والسرقة كالغصب كل هذه يحرمها دين المسلم ، ويأباها خلقه الفاضل الكريم فلهذا كان المجتمع الاسلامى الأول أيام كان للعقيدة الاسلامية سلطانها على النفوس وهيمنتها على السلوك وللدين آثاره فى النفوس وللأخلاق وزنها بين المسلمين كان له ــ المجتمع الاسلامى ــ من الكمال البشرى ما لم يكن ابداً لغيره من المجتمعات البشرية على اختلافها ومر عصورها وتعاقب دهورها ، حتى لقد

---

(١) متفق عليه . (٢) أحمد وابن ماجه .
(٣) مسلم . (٤) متفق عليه .

كانت المدينة المنورة على عهد صاحبها عليه الصلاة والسلام وعلى عهد خلفائه الراشدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين كانت تمثل المدينة الفاضلة التى حلم بها فلاسفة اليونان الأقدمون ونشدوها طول حياتهم ، ولم يظفروا برؤيتها ، ولم يفوزوا بتحقيقها كحلم راود نفوسهم دهراً من الزمن ثم اختفى ولو استمعنا الى التاريخ يروى لنا قصة العدل الاسلامى ،.والرحمة الايمانية ، وما عمر به الاسلام البلاد الذى سعدت برؤيته فيها حيث دخلها هادياً ومرشداً ومربياً مصلحاً متديناً محضراً ، وغمرها به من البر والاحسان والكرم والخير وما اشاع بين اولئك السكان من فضائل الحب والايثار ، والصفح والعفو ، والصدق والوفاء حتى اصبحوا خير الأمم ، وأفضل الشعوب ، وبلا منازع ومرة ثانية لو استمعنا الى شهادة التاريخ فى هذا كله وفى غيره لعرفنا يقيناً آثار الخلق الاسلامى فى اصلاح المجتمعات وتهيئة النفوس البشرية واعدادها لأن تكون من الكمال الروحى بحيث تدانى ملائكة السماء ، وتقرب فى طهارتها وصفائها وكمالها من سكان العالم العلوى وما ذاك الا لصفاء المنبع الذى استقى منه المسلم أخلاقه وعذوبة المورد الذى تروت به نفسه ، وشربت منه روحه ، فكان المسلم الحق يمثل ملاكاً يمشى على الأرض فلا فساد ولا شر ، ولا قبح ولا سوء ، إنما طهر وصفاء ، وكمال فى كل نواحى الحياة البشرية وخير لا يعرف حدوداً ، ولا نهاية أو غاية .

وهذه شهاد خالق الانسان والكمال ، ومبدع الانسان والجمال نسجلها أخيراً شاهد حق وصدق على سابق القول : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ وما ضرنا بعد هذه الشهادة الالهية الخالدة ان نستمع إلى شهادة (غوستاف لوبون) المؤرخ الفرنسى والكاتب الشهير وهو يقول : ما عرف العالم فاتحاً اعدل ولا ارحم من العرب قط .

الأخلاق الإسلامية

وآثارها فى تكوين الآداب العامة

لم تكن الآداب العامة ، والتى تتفاضل فيها المجتمعات البشرية ، وتتنافس فى كمالها ، والوصول بها إلى أقصى غاياتها لم تكن إلا السلوك المهذب الحسن الذى يرفع من قيمة الإنسان ، ويجعله جديراً بالتقدير والاحترام بين كافَّة الناس .

هذا وقد سبق أن عرفنا أن السلوك يتأثر بالأخلاق حسناً وقبحا وإلى أبعد

حد، بل لم يكن السلوك ، ومهما كان إلا أثراً طبيعياً للأخلاق البشرية ، فبحسب الخلق اعتدالاً ، وانحرافاً يكون السلوك كذلك .

وبناء على هذا فان سائر الآداب الاجتماعية التى يرعاها الأفراد ، ويتفاضلون فيها هى بالنسبة الى المسلم أصيلة فى نفسه ، قائمة على اساس عقيدته لا يتكلفها، ولا يتصنع فيها . فالتحية وهى من أظهر الآداب العامة بين الناس فالمسلم يقدمها لكل مسلم قريباً أو بعيداً ، معروفاً له ، أو غير معروف .

وكما يقدم المسلم التحية استناناً وأدباً فانه يردها أو أحسن منها وجوباً متحتما إيماناً منه بقول الله تعالى : ﴿ **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان علي كل شيء حسيباً** ﴾ وقول الرسول ﷺ :« وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » البخارى . وتحية المسلم : السلام عليكم ، وردها : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وهى مشعرة بمعنى الحياة والسلامة مما فيها من الآفات، والمنغصات فالمسلم إذا حيا أحداً من الناس أشعره بلفظ تحيته الاسلامية أنه لا يخيفه فى حياته ولا يروعه فيها ، فليأمن المسلم عليه ، وليقابل هذه التحية المتدفقة بالحياة الآمنة الطيبة بمثلها ، إذ ما جزاء الاحسان إلا الإحسان .

ومثل التحية فى الآداب الاجتماعية حسن المحادثة فإن المسلم يلتزم فيهما بآداب معينة تمليها عليه أخلاقه الاسلامية ، وتوحى بها إليه عقيدته فى الإيمان بالله واليوم الآخر ، إنه إذا حدث احداً لا يكذبه ، ولا يكذبه إذ صدق الحديث عنده واجب ، وحسن الظن بالمسلم لازم . ولا يمازحه بما يؤذيه ، ولا يماريه بما يضر ، أو يسقط أدبه أو مروءته ؛ لأن اذى الناس فى شريعته حرام ، ولا يحدثه بالظن لأن الظن اكذب الحديث ، ولا يسمعه لعناً ، أو سباً أو شتماً ، ولا بذاء فى القول، أو فحشاً فى المنطق لأن المسلم لا يكون لعاناً ولا طعاناً ولا فاحشاً ولا متفحشاً .

ولا يغتاب عند محدثه احداً ، ولا ينم له عليه ، لأن الغيبة ممقوتة محرمة والنميمة شر منها واكثر مقتاً .

وهكذا يلتزم المسلم ذو الاخلاق الفاضلة فى محادثته لغيره ما يوحيه اليه إيمانه، وما تمليه عليه عقيدته وما تفيضه عليه اخلاقه الاسلامية من الآداب السامية الرفيعة الخالية من التكلف والتصنع ، والتى لا يمكن أن تتوقر لأحد من بنى الناس

بصورتهـا الكاملة ولونهـا المشرق المضىء الا للمسـلم والمسلم فقط وكـالمحادثة فى قانون الاخلاق الاسلامية المجالسة فإن لها عنـد المسلم آدابها الخاصة بها ، فالمسلم إذا جالس احداً يتجنب كل ما من شأنه أن يؤذيه ، أو يضر به من قول سيئ ، أو فعل قبيح أو لفظ مؤذ ، أو نظر مضر .

إنه لا يفرق بين اثنين ليجلس بينهما إلا باذنهما ، ولا يقيم احداً ليجلس مكانه ولا يجلـس فى بيت احد إلا حيـث يأذن له ويطيـب خاطره وبجلوسـه فيه ، ولا يجلس على تكرمة أحد ، أو فى مجلسه الخاص به .

وإذا جلس حيث انتهى به المجلس حافظ على هدوء المجلس فلا يعبث ، ولا يقهقه ، ولا يرفع صوته ولا يصخب ، والتزم حسن الصمت فى نفسه فلا يحملق فى نظر ، ولا يتنخم او يتمخط غير مضطر ، ولا يتمطى ، أو يتغطى ، فإن ذلك مما يكرهه الناس ، ومن أتى الناس بمـا يكرهون فقد آذاهم ، والمسلم لا يؤذى ولا يقبل الأذى ،وكفى المرء أدباً فى نفسه اجتناب ما يكره من غيره .

والمسلم اللاأخلاقى لا يلتزم حسن السمت ، وجمال الهيأة ونظافة اللباس فى المجالس ويـتركها فى غـيرها ويتخلـى عنها فيـما سواها ، لا لا ، أبداً بـل حسن السمت وجمال الـهيأة ،ونظافة اللباس شعاره الدائـم ووصفه اللازم ، إذ موجب هذا الإيمان والخلق وما كـان كذلك فكيف يكون من شأن المؤمن تـركه أو التخلى عنه .

كما أن الاخـتيال والكـبر ، والامتهان والـضعة وهى صفـات ذميمة حـرمها الإسلام منـبع خلق المسـلم ، وحذر من الاتصاف بـها ، لا تكون بحـال صفات للمسلم ، ولا نعوتاً له يعرف بها بين الناس .

إن المسلم الأخـلاقى لا يختال فى مشـى ، ولا يتطاول فى قول ، ولا يـتكبر فيبطر حقـاً أو يغمط أحداً ، لأن منابع خلقه ومصـادر كماله تقول: ﴿ **ولا تصعر خدك لـلنـاس ، ولاتمش فـى الأرض مرحـاً ، إن الله لايحـب كل مـختـار فخـور ، واقصد فى مشيك ، واغضض من صوتك** ﴾ .

ألا فليعـلم الناس أن المسلـم طاهر نظيف : طـاهر الروح والقلب ، نـظيف الثوب والبدن ، والطهارة شطر إيمانه ، والنظافة قوام حياته . ولـم لا يكون كذلك وآيات كتابه تقول :﴿ **وثيابـك فطهر. والرجز فـاهجر** ﴾ ﴿ **إن الله يحب الـتوابين**

ويحب المتطهرين ﴾ ﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾ ، ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ ، ﴿فاعتزلوا النساء فى المحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ .

وأحاديث نبيه ﷺ تصرح وتقول: الطهور شطر الإيمان . غسل الجمعة واجب على كل محتلم. لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ ، لايقبل الله صلاة بغير طهور . إن المسلم لا ينجس . ان الله جميل يحب الجمال إذا أنعم الله على عبده نعمة أحب أن يرى أثرها عليه .

من اغتسل يوم الجمعة ولبس أحسن ثيابه ، ومس من طيب أهله الحديث .

الأخلاق الإسلامية

وآداب الطعام والشراب

ان الأخلاق الإسلامية فى عمومها وشمولها تتناول طعام المسلم وشرابه فترسم لهما طريقاً خاصاً وتحوطها بآداب إسلامية عالية قلما تكون لغير المسلم فى هذه الحياة .

من تلك الآداب ما يلى :

١ ــ ان المسلم لا يأكل طعاماً ، أو يشرب شراباً لم يأذن الله تعالى له فيه ، ومهما قل أو مست الحاجة اليه وكثرت دواعيه .

٢ ــ لا يأكل مال أحد من الناس إلا برضاه وطيب نفسه .

٣ ــ المسلم الأخلاقى لا يتضيفن فى طعام أو شراب ولايتطفل فيهما فلا يحضر وليمة لم يدع إليها ، ولا يتناول طعاماً أو شراباً لم يؤذن له فى تناولهما .

وذلك اتقاء للاثم ، وخشية المذمة لأن خلق المسلم يأمر بترك الآثام ، واجتناب المذام .

٤ ــ المسلم يفتتح طعامه وشرابه ببسم الله ويختمه بحمد الله ، إذ فى الافتتاح ببسم الله إشعار بأنه لا يأكل ما لا يأذن له ربه فيه . كما ان فى الاختتام بحمد الله إعلاناً عن شكر الله المنعم عليه ، إذ شكر المنعم واجب أخلاقى لايتهاون المسلم فيه .

٥ ـ المسلم الأخلاقى فى طعامه وشرابه مثال القصد والاعتدال فهو لا يأكل حتى يجوع ، ولا يشرب حتى يعطش ، وإذا أكل أو شرب فلا يسرف ولا يترف .

٦ ـ يأكل بيمينه ومما يليه ويغض طرفه عن مؤاكليه تجنباً لأذاهم ، وابقاء على مودتهم وصفائهم ، يجيد مضغ طعامه ، ويتنفس ثلاثا خارج الإناء فى شرابه. أكله كشربه جالساً لا متكئاً ، ولا قائماً إذ الكتاب والسنة قضيا بهذا كله وهما مصدر أخلاقه ومورد كماله . فالكتاب يقول: ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**﴾،﴿ **كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون**﴾ والسنة تقول:« سم الله ياغلام وكل بيمينك ، لا آكل وأنا متكئ إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد ، الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا من المسلمين » .

آداب الطريق :

إن الأخلاق الإسلامية لم تكن لتغفل جانباً واحداً من جوانب الحياة الفردية أو الاجتماعية فلا تعالجه ، أو تضع له من القوانين الخلقية ما يتحقق معه للفرد أو الجماعة سلامة الحياة وطيبها تحقيقاً للوعد الإلهى فى قوله: ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة** ﴾ .

ومن هذا كان جلوس المسلم فى الطرقات أو السير فيها تتحكم فيه آداب إسلامية خاصة لا يباح للمسلم التقصى منها ، أو الخروج عنها بحال من الأحوال، ومن تلك الآداب :

١ ـ غض البصر فلا يفتح الجالس فى الطريق أو المار فيها بصره فى مارة من المؤمنات ، أو واقفة ببابها أو مستشرفة على شرفات منزلها ، مطلة من نافذة لحاجة لها ، كما لا يرسل نظره حاسداً لأحد أو زارياً محتقراً لآخر .

٢ ـ أن يكف أذاه عن المارة من سائر الناس فلا يؤذى أحداً بلسانه ساباً له أو شاتماً أو عائباً مقبحاً ، ولا بيده ضارباً لاكماً ، ولا سالباً لمال غيره غاصباً ، ولا معترضاً فى الطريق صاداً المارة قاطعاً لسبيلهم .

٣ ـ أن يرد سلام كل من سلم عليه من المارة إذ رد السلام واجب﴿ **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** ﴾.

٤ ـ أن يأمر بمعروف يراه قد ترك أمامه أو أهمل شأنه بين يديه وهو يشاهده

ضائعاً متروكـاً ، إذ هو مسؤول فى هذه الحالة عن الأمر بـه ، لأن الأمر بالمعروف فريضة كل مسلم يـتعين عليه ولا يسقط الا بالقيام ، ومثـاله أن ينادى للصلاة ولا يجيب الحاضرون فى مجـلسه فإنه يجب عليه أن يأمرهم باجـابة الداعى للصلاة ، لأن اجابة النداء للصلاة معروف فلمـا ترك وجب عليه ان يامر به . ومثال آخر ان يمر جـائع أو عار فان عـليه أن يـطعمـه أو يكسوه إن قـدر على ذلـك ، وإلا أمر باطعامه أو كسـوته ، لأن اطعام الجائع وكسوة العارى مـن المعروف الذى يجب أن يؤمر به .

٥ ــ أن ينـهى عن كل مـنكر يشـاهده يرتكب أمـامه إذ تغيـير المنكـر كالامر بالمعروف وظيفة كل مسلم لقوله ﷺ :« من رأى مـنكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » ومثاله أن يبغى احد أمامه علـى احد فيضربه ، أو يسـلبه ماله فإنه يـجب عليه فى هذه الحـال أن يغير المنكر فيقف فى وجه الظلم والعدوان فى حدود طاقته ، ومدى استطاعته .

٦ ــ أن يرشد الضال ويعلم الجاهل ، فـلو استرشده أحد فى بيان منزل ، أو هداية إلى طريق ، أو التعريف باحد مـن الناس لوجب عليه أن يبين المنزل ، وأن يهدى إلى الطريق ، وأن يعرف بمن يراد تعريفه .

كل هـذا وغيره من آداب المجـالس فى الطـرقات كأمـام المنازل ، والدكـاكين والمقاهـى والساحات الـعامة ، والحدائـق العمومـية ونحوهـا مما يأمر بـه الإسلام ويعتبره واجبا اخلاقياً لا ينبغى للمسلم تركه أو التهاون فيه بحال من الاحوال روى مسلـم عنه ﷺ قوله : « ايـاكم والجلوس فى الطـرقات ، فإن أبيتـم إلا المجالس فاعطوا الطريق حقها غض البصر وكف الأذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر» (مسـلم) ومن آداب المجالس التى أمر بها قـانون الاخلاق الاسلامية أن يستغفر الجالس ربه عند قيامه من مجلسه ليكفر بذلك ما عسى أن يكون قد أَلَمَّ به في مجلسه من ذنب صغير أو كبير بـأن يقول :« سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك » حيث جاءت السنة به وصحت .

ومن اهم مجالس المسلم التى يجلسهـا ويتعين عليه فيها آداب خاصة لا يجوز ان يهملها المـساجد ؛ إذ هى بيوت الله التى أذن أن ترفع ، ومـساجده التى أمر أن تعمـر ، فرفعها يـكون بتعظـيمها واحترامـها والتزام آدابهـا وعمارتها تـكون باداء

العبادات فيهـا مع تنزيهها عن كل ما لا ينـبغى فيها ومن آدابها التى يـرعاها المسلم ويحافظ عليها .

١ ـ أن لا يسمح لكافر ولا لجنب ، أو حائض ، أو نفساء بالمكث فيها لقول الرسول ﷺ :« لا احل المسجد لحائض ولا لجنب » .

٢ ـ الا يبيع فيها أو يشترى أو ينشد ضالة .

٣ ـ ان لا يجلس بها مجلس يتحدث فيها بحديث الدنيا .

٤ ـ ان لا يصخب فيها أو يرفع صوته بغير حاجة خطابة أو تدريس .

٥ ـ أن يلتزم فيها بحسن السمت والسكينة والوقار .

٦ ـ أن لا يجلس فيهـا قبل أن يصلى نافلة أو فريضة ما لـم يكن عند طلوع الشمس أو غروبها حيث لا صلاة نافلة ساعتهما .

٧ ـ أن لا يغشاها وهـو آكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً ، أو ما فيـه رائحة كريهة كالتبغ وما إليه .

٨ ـ أن يأتيها فى احسن ثيابه وأكمل حالاته من نظافة وطهارة ما مكنه ذلك.

لقول الرسول ﷺ:« ان هذه المساجد لا تصـلح لشيء من البول أو القذر إنما هى لذكر الله وقراءة القرآن » (مسلم) .

الأخلاق الإسلامية

والمطالب المادية للجسم

سبق أن عرفنا أن الاخلاق الإسلامية تعنى بإصلاح الجسم ، وتهذيب السلوك عنايتها بإصلاح الأرواح وتهذيب النفوس وتطهيرها .

والآن نريد أن نـعرف أن الأخلاق الإسلامـية لا تتعـارض مع المطالـب المادية للجسم ،ولا تتنافى مع حاجة الإنسان وسواء منها ما كان ضرورياً كالأكل والشرب واللباس ، والنوم ، والراحة ، أو طبيعياً كالزواج ، والعمل وحب المال، وكسبه، والسلامة البدنية والصحة العقلية بيد أن للأخلاق الإسلامية حق الهيمنة على هذه الضروريات والإشراف على سائر الحاجات من أجل ان يحفظ للانسان توازن كامل

بين مطالبه الروحية ومطالبه المادية الجسمانية ، فتكمل بذلك إنسانيته ، ويرتقى ببشريته الى الكمال المقدر لها فى هذه الحياة .

ولنستعرض كيفية جريان تلك الحاجات المادية للجسم على قوانين الاخلاق المنظمة لها ، المحددة لجميعها تحديداً يجعلها لا تخرج عن دائرة الفضيلة ، والكرامة الانسانية فالأكل مثلاً فى عرف الاخلاق الاسلامية ينقسم إلى مباح ، ومحظور فالمباح للانسان أن يتناول منه ما يقيم له أوده ،ويحفظ بنيته وصحته فى حدود عدم الاسراف المضر بالجسم ، والمخل بالمروءة والدين والمحظور كالميتة والدم، ولحم الخنزير وما ذبح لغير الله ؛ وما لا يملكه المرء بوجه من اوجه الملك المشروعة ، وكذا ما كان ضاراً أو فاسداً كالسموم والمستقذرات ، فإنه ، ليس للمسلم غير المضطر أن يتناول منه قليلاً أو كثيراً اما من كان مضطراً فإنه يجوز له تناول ما يقيم به صلبه ، ويحفظ حياته . وذلك لقول الله تعالى: ﴿ **فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم** ﴾ ومثل الأكل الشرب فان للمسلم ان يشرب ما هو فى حاجة إليه من سائر المشروبات المباحة كالماء واللبن ، والعسل وعصير الفواكه على اختلافه وتباين طعومه ولكن ليس له ان يشرب المسكر ، ولا الفاسد من سائر المائعات وأن شرب ما اذن له فى شربه فلا يسرف إذ الاسراف حرام :

﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ كما يجرى كل من الأكل والشرب فى قانون اخلاقى معروف تقدم بيانه قريباً فى آداب الطعام والشراب فليرجع إليه .

واللباس كالأكل والشرب فى حاجات الانسان الضرورية اذ لابد للجسم من لباس يقيه غائلة الحر والبرد ، ويحفظه من الأذى العارض كالشوك ولسع البعوض والحشرات ونحوها . غير انه لا يجرى إلا فى نطاق الأخلاق الإسلامية الفاضلة،فلا يلبس المسلم المحرم على الرجال كالحرير والذهب ولا يختال أو يتكبر، ولا يلبس لباس شهرة يتميز به عن المسلمين فللمسلم ان يلبس ويرتدى ما شاء من أنواع الاقمشة الصالحة غير الحرير ما اخطأته اثنتان الاسراف والمخيلة ، وللمسلمة ان تتحلى بما تشاء من انواع الحلى وتتجمل بما تراه من اللباس الجميل فى نطاق الاحتشام وستر المحاسن عن غير المحارم وكاللباس النوم فانه من ضرورات

البدن التى يتوقف عليها بقاؤه ، ونماؤه فلذا كان القانون الأخلاقى لا يمنع منه ، أو يضيق فيه ولكن يطالب ان يكون وفق منهج الاعتدال العام ، فلا ينام المرء فى أوقات اداء الفرائض ، ولا ساعة نداء الواجب ولا قبل صلاة العشاء ، حيث كره الرسول ﷺ النوم قبل صلاة العشاء والحديث بعدها . كما أن هناك آداباً خاصة قبل النوم وبعده يراعيها المسلم فى نومه وذلك كالطهارة قبل النوم والنوم على الجنب الأيمن ابتداء وقوله ﷺ :« باسمك اللهم وضعت جنبى ،وباسمك ارفعه الحديث » وكقول : « الحمد لله الذى أحيانا بعد ما اماتنا واليه النشور » « لا إله إلا الله وحده لا شريك له » « له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير » عند الاستيقاظ منه ، وغير ذلك من الآداب التى تراعى عند النوم .

المطالب الطبيعية

ومثل المطالب الضرورية للجسم المطالب الطبيعية والتى منها

١ ــ الزواج فإنه لايتنافى مع الأخلاق الفاضلة ولا يتعارض معها إذ الزواج الشرعى حق طبيعى للإنسان أباحته جميع الشرائع وأذنت فيه جميع الأديان يقول فيه الله تعالى: ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء** ﴾ ويقول الرسول ﷺ: « تناكحوا تناسلوا فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » ولكن يجب ايضاً أن يكون فى اطار الأخلاق الخاص فلا ينكح المرء ما لا يحل له نكاحه كالمحرمات بنسب أو مصاهرة أو رضاع ، أو عصمة الزواج ، أو مانع الشرك بالله .

ولا ينكح بغير ولى أو صداق ، وشهود ؛ إذ النكاح بدونها يعد سفاحاً محرماً . كما لا يتم الإفضاء إلى الزوجة إلا فى حال السرية الكاملة ، والتستر الشديد ، فلا يقبل الزوج امرأته ولا يجسها أو يلاعبها أو يقول لها ما ينافى الآداب العامة إلا فى حال من الخلوة التامة .

كما على الزوجين أن يريدا من تزويجهما الاحصان والاعفاف . وطلب النسل والحفاظ على النوع البشرى وأن يؤدى كل منهما ما عليه من حقوق العشرة للآخر ما يرغب أن يؤدى إليه . حتى يتحقق مراد الله تعالى من قوله : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ .

٢ ــ العمل وكسب المال وهو حق طبيعى لـلفرد والجماعة لا يتنافى مع الشرع ولا يتعارض مع قـانون الاخلاق متى كان فى حدوده المشـروعة وإطاره الأخلاقى الخاص . فالـعمل لا يكون فـى اوقات الصلوات المفـروضة ولا فيما حـرم الدين العمل فيه كمصانع الخمر ومحلات بيعها أو كمصارف الربا وفروعها .

وكسب المال لا يكون بالتملك غيـر المشروع كالسرقة والاغتصاب ، والمصادرة ولا بالوسائل المحرمة كالغش والتدليس والـتطفيف فى الكيل والوزن والبيع الحرام وما إليه .

كما ان توفيره لا يكون على حساب منع الحقوق الواجبة فيه كالزكاة المفروضة ولا المتعينة علي الـفرد كالنفقة فى الجهاد والانفاق على الـنفس والزوجة والأبوين والاولاد ولا على إيثار شح النفس والبخل الطبيعى فتمنع منه الصدقات المستحبة، وتحرم مشاريع الخير وطرق البر والاحسان .

٣ ــ القوة والصحة البدنية فهذه ايضاً من الحقوق الطبيعية للفرد المقررة له فى سائر الشرائـع والقوانين فطلبها والعـمل على إيجادها وتوفيرهـا لا ينافى الاخلاق الفاضـلة أو يتعارض معـها ، وكيف والرسـول ﷺ يقول :« المؤمن القـوى خير وأحـب إلى الله مـن المؤمـن الضعـيف وفـى كـل خير » ويقول : أحرص على ما ينفـعك ولا تعجز . فطلـب الصحة بالغذاء الصـالح واللباس الصالـح والسكن الصالح كاستعمال الأدوية والتقيد ببرامـج خاصة لحفظ الصحة كالحمية على بعض المطـعومات والمشـروبات هذه كـلها حق طـبيعى لـلفرد لا يـعارض فيهـا شرع ولا أخلاق .

غير أن سلطان الأخلاق فى مراقبته لهذه المطالب الجسمانية المادية لتجرى على قانونه الخاص ، لا يسمـح للفرد باسم توفير الصحة ، أو اكـتساب القوة أن يأكل حرامـاً أو يشرب حرامـاً أو يتداوى بـحرام ، أو يتمـتع بحـرام، أو يترك العـمل الواجب طلباً للراحة والاستجمام أو يقضـى أغلب أوقاته فى اللهو أو النوم بحجة المحافظة على توفير القوة ، والمحافظة على الصحة .

٤ ــ المزاح ، والرياضة ، والسباحة .

وأخيـراً فهذه المـطالب الـثلاثة هى ايـضاً مما لا يـتنافـى مع قانـون الأخلاق

الإسلامية ولا يتعارض معه فقد كان الرسول ﷺ يمزح ومما روى فى مزاحه قوله لمن قال له : احملنى يا رسول الله : لا أحملك إلا على ولد الناقة . فقال الرجل: أنه لا يطيقني يا رسول الله فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقوله : للعجوز التى سألته أن يدعو الله تعالى أن يدخلها الجنة : يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة تبكى فتبسم وقال لها :أما قرأت قوله تعالى ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً** ﴾ « وقوله لامرأة من الأنصار إلحقى زوجك ففى عينيه بياض » فسعت إلى زوجها مرعوبة ، فقال لها : ما دهاك؟؟ قالت: « إن النبى ﷺ قال لى أن فى عينيك بياضاً ، فقال نعم والله وسواد» وقالت: « عائشة رضى الله عنها سابقت رسول الله ﷺ فسبقته ، فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه بتلك » والقانون الأخلاقى إذ يجيز هذه وياذن فيها لما فى ذلك من الترويح على النفس المكسب للنشاط الفكرى، المهيئ للصفاء الذهنى ، والمساعد على حفظ الصحة وزيادة وزن القوة ، لا يجيزها إلا تحت شروط معينة فالمزاح يجب أن لا يتعدى الحق إلى الكذب ؛ إذ كان الرسول ﷺ لا يقول فى مزاحه إلا الحق والرياضة على اختلافها يجب أن لا يباح فيها حرام ، أو يترك فيها واجب ، او يخل فيها بعفة أو حياء فلباس المرتاضين بلعب الكرة يجب أن يكون ساتراً لما بين السرة والركبة وكذا لباس المرتاضين بالسباحة وأن لا يختلط فيه الرجال بالنساء والذكور بالاناث وأن لاتترك فرائض الله وتتعدى حدوده والسباحة يجب أن تكون بقصد الاتعاظ والاعتبار ، أو الاكتشاف المقصود ، والاطلاع الهادف والمعرفة المثمرة لا لمجرد اللهو واللعب وانفاق المال ، كما يجب ان يحفظ فيها الدين والمروءة والشرف ومتى جرت هذه المطالب فى هذا النطاق من الاخلاق كان نفعها للجسم أكثر من ضررها عليه ، وكانت فائدتها المادية لاتقل أهمية عن الفوائد الروحية إذ كمال الروح من كمال البدن ، وكمال البدن من كمال الروح ، والعقل السليم فى الجسم السليم .

وأخيراً فبدء الدراسة الجزئية للمطالب المادية للجسم تبين لنا ان الأخلاق الإسلامية تحفظ للمسلم توازناً كبيراً بين روحه وبدنه ، فلا تطغى الروح على البدن ، فتعطل قواه وتموت بموته ولايطغى الجسد على الروح فيفسدها ويشقيها ، ويشقى معها ،ومن المعلوم أن الكمال البشرى والسعادة الإنسانية لا يتحققان إلا بوجود توازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد ، وهذا ما تهدف إليه الأخلاق الإسلامية المستمدة من الوحيين وتحققه للمسلم الحق .

الأخلاق الإسلامية
والمطالب المعنوية

لعلنا بدراستنا للمطالب المادية للجسم ومشاهدتنا من خلالها ذلك التوازن العجيب الذى تحفظه الأخلاق الإسلامية للفرد المسلم بين روحه وجسده اللذان هما قوام وجوده ، وجوهر حقيقته يصبح من السهل علينا أن ندرك حاجة الفرد المسلم إلى المطالب الروحية التى تثبت بها حقيقته ، وتكمل بها انسانيته فى هذا الوجود وذلك من العلم والمعرفة والتهذيب النفسى القائم على أساس التخلى عن الرذائل والتحلى بالفضائل أما العلم والمعرفة فلم يكتف منهاج الأخلاق بطلبهما للفرد بل أوجب ذلك ايجاباً وألزم الفرد المسلم به إلزاماً إذ الاخلاق نفسها لا تتم إلا عن طريق العلم والمعرفة فلذا لم يكن من حق الفرد التزود بالعلم والمعرفة واكتسابها فحسب بل كان من الواجب عليه ذلك والذكر فى هذا كالأنثى فى علم العقائد والعبادات والأخلاق وقد أشادت آيات الكتاب بذلك فى مثل قوله تعالى : ﴿**هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون**﴾ ؟ وقوله جل وعلا : ﴿**وقل ربّ زدنى علماً** ﴾، وقوله جل ذكره : ﴿ **إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ** ﴾ . وقوله تعالي : ﴿ **وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ كما نوهت به السنة فى حديث البخارى : «من يرد اللهبه خيراً يفقهه فى الدين ». وحديثه :« إنما العلم بالتعلم ». وكما روى فى السنن : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ».

وطلب الاخلاق للعلم طلب عام فى سائر العلوم النافعة والمعرفة المحققة لخير الانسان وسعادته ، وإن كان أكدها علم الشرع من عقائد وعبادات وسلوك ، ومما ينبغى التنبيه عليه هنا أن الأخلاق الاسلامية لا تزهد فى العلم ، أو تقلل من شأنه، ولا الدين الإسلامى يقف حجر عثرة فى طريق تعلم الفرد المسلم وتثقيفه ، ما دام العلم نافعاً غير ضار، والمعرفة مصلحة غير مفسدة وما يرى من جهل المسلمين ليس عائداً إلى سلطان الاخلاق أو الدين عليهم ، وإنما هو عائد إلى تمردهم على ذلك السلطان نفسه وعدم اذعانهم له وخضوعهم لقوانينه التى من أبرزها وجوب العلم على الفرد وتحتمه عليه الدال عليه مثل قوله تعالى: ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ .

وأما تهذيب النفس :

بالتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل فهو منهاج اخلاقى كامل يتطلب دراسة لا يكفيها من الوقت هذه العجالة [1] ولا يتحملها من هذه القرطاس الوريقات ، وبناء على قولهم مالا يدرك كله لا يترك جله ، فإنا نذكر طرفاً من كل من الرذائل والفضائل مع ذكر بعض ما ينفر من الرذيلة وما يرغب فى الفضيلة . ولما كانت الحكمة قاضية بالتخلية قبل التحلية كما هى الاشارة فى قوله تعالى: ﴿**ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله**﴾ ، وقوله: ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض** ﴾ إذ المسارعة إلى المغفرة معناها المبادرة الى ترك الآثام بالتوبة الصادقة ، والمسارعة إلى الجنة معناها التحلى بالايمان والعمل الصالح بعد التخلى عن الشرك والمعاصى .

أما الرذائل :

فجمع رذيلة ، والرذيلة ضد الفضيلة ، وإذا كانت الفضيلة الدرجة فى الحسن والكمال ، فالرذيلة إذاً الدركة في القبح والنقصان ، إذ هى عكس الفضيلة ونقيضها ، ومن الرذائل البعيدة فى القبح والنقصان العجب ، وهو إعجاب المرء بنفسه أو عمله ، أو حسب آدائه ، فيزهو على الخلق ويتعالى على الناس ، ويحتقرهم ، ولا يعترف بفضلهم .

والعجب محبطة للعمل ، مهلكة للمرء ، مفسدة للشرف ؛ أعجب إبليس بشرف أصله فتكبر عن طاعة ربه ، فأيسه الله من الخير وأيأسه من الرحمة . وأعجب المؤمنون فى غزوة حنين كثرتهم فلم تغنِ عنهم شيئاً وأصيبوا بهزيمة مريرة حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وتولوا مدبرين .

فكفى بالعجب داء يصيب صاحبه بالغرور به عن طلب الكمال فلا يزال فى نقصان حتى لا يبقى له شرف بين الناس ولا مكانة فى الوجود .

ومن الرذائل الغرور ، وهو وليد العجب ، وحقيقته أن ينظر المرء الى ما يظهر له من قوته ، أو شرف نفسه فيخدعه ذلك، فيفرط فى الانحراف والباطل ، ويفرط فى الحق والاستقامة حتى يصبح من شر الدواب عند الله الصم البكم

---

(١) العجالة : ما يتعجل من كل شيء .

الذين لا يعقلـون، فالغرور داء عضال طـالما قتل ، وعلة مـزمنة كثيراً مـا أوبقت واهلكت ، والـغرور يولده العجـب ويسببه الغـفلة وينميـه النسيان فالخـلاص منه يكون بترك العـجب والابتعاد عن الغفلة ومـقاومة النسيان فذو البصـيرة النافذة لا يغتر بالعوارض الظاهرة وذو القلب الذاكر ، لا تصرفه عن الحق الخواطر وصاحب الضمير اليقظ لا يقع فى تفريط ، ولا ينزل بشطط [1] .

وكفى بالغرور رذالة ان يوبخ به الانسان يوم يلقى الديان: ﴿ **يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم** ﴾ ومن الرذائل المهلـكة الكبر وهو ان يرى المرء لنفـسه الفضل والمجد على غيـره فيحمله ذلك على التـكبر فيغمط الحق وغمـطه عدم الاذعان له والاعتراف به وبغمص الناس وغمصهم احتقارهم والاستهانة بهم ، كما فسر ذلك رسول الله ﷺ والمتكبرون يحشرون يوم القيامة فى صور الذر يطؤهم اهل الموقف لحقارتهم وهوانهـم على الله عز وجل والكبر فى النفس من المـعوقات لها عن كل كمـال إذ هو يمنع مـن طلب العـلم ويحمـل على الاصرار عـلى الجهل . وكـفى بالجهل للمرء قبحاً وشراً .

والمتكبرون مصروفون عن الخير ، مبعدون عن طرقه قال تعالى: ﴿ **سأصرف عن آياتى الذين يتكـبرون فى الأرض بغير الحق** ﴾ والمتكبر لا يدخل الجنة ولو كان ما فى قلبه من الـكبر لا يزيد على مثقال ذرة ؛ لما روى مسـلم :« لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » .

ومن الرذائل النفسية الرياء وهى ضـرب من الشرك ولون من النفاق وكلها لا فلاح معها .

وحقيقـة الرياء : عمل المرء الـعمل الصالح ابتـغاء محمدة النـاس ، أو ابتغاء مذمتـهم حذرمنها الـرسول ﷺ بقوله: « إيـاكم والشرك الأصغر !! قـالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء » ولذا كانت الأخلاق الاسلامية تتنافى مع الرياء ، وتتعارض معها على طول الخـط ؛ إذ خلق المسلم يسير دائماً فى اتجاه واحد لا يعدل عـنه ، وهو طلب الكـمال النفسى والـسمو الروحى ورذيلـة الرياء عائقة عن ذلك مانـعة من الوصول إليه وكيف يعمل من يتـصاغر بجوارحه ويذل بقلبه أم كيف يسمو بروحه من يرجو غير الله ، ويخشى سواه والمراد يتحرك دائما

---

(١) الشطط : التباعد عن الحق مجاوزة العدد المحدد . الجور فى الحكم .

فى دائرة الطمع والخوف فلا يبرح فى ذل الأولى وألم الثانى يعمه فيهما حتى يهلك أو يشاء الله نجاته بالتوبة عليه وانجذابه إليه فيعتقه من عبودية غيره ، ويحرره له ، فينفتح له باب الكمال فيكمل وتشرق فى نفسه أنوار التوحيد فيتبين أن محمدة الناس لا تغنى شيئاً ، وأن مذمتهم لا تضر شيئاً فيرتفع بنفسه ويسمو بروحه ، فيعز ويفضل ويسود .

ومن هذه الرذائل النفسية الموبقة الشح والحرص ، وهما من الأدواء المعضلة والامراض النفسية المهلكة لا يفلح عبد لم يقه الله شرهما ولم يحفظه من خطرهما : ﴿ **ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون** ﴾ حذر الرسول ﷺ من الشح بقوله: « اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم » .

وإذا كان الشح : بخل وحرص . فالحرص قوة الشره الى الشيء والرغبة فيه وعظم التمسك والبخل به فهما إذاً خلق واحد من شر الأخلاق وأضرها ، واقبح الصفات النفسية وأرذلها ، لا يتفق مع الكمال النفسى ولا يجامعه ، ولا يتلاءم مع السمو الروحى ولا يصاحبه ، لما بينهما من التضاد والتباين ، وما فيهما من التنافى والتعارض وأخيراً فكل تلك الخلال الرذيلة ، والصفات الذميمة من العجب والغرور والكبر والرياء والشح والحرص مما يمقت الله تعالى عليه ، ويذم المتصف به فلا يبتغى أن يكون للمسلم خلقاً ولا صفة ؛ إذ أخلاق المسلم لا تكون إلا كريمة فاضلة وصفاته لا تكون إلا جميلة لما تنبع منه أخلاقه ، وتنبثق منه صفاته من الإيمان بالله واليوم الآخر ، والتصديق بالحسنى ، وحب الخير للجميع.

وأما الفضائل :

فواحدتها فضيلة وقد تقدم أنها الدرجة فى الحسن والكمال فإنها كثيرة ومنها :

١ ــ التواضع :وهو اللين والتذلل ، وضده القسوة والترصع والتكبر والترفع من الاخلاق الاسلامية الفاضلة التى أمر بها الاسلام وحث على التخلق بها ففى القرآن يقول تعالى: ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً** ﴾ وفى السنة يقول الرسول ﷺ :« إن الله تعالى اوحى الىّ ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على أحد ولا يبغى احد على أحد » مسلم .ويقول:« وما

تواضع أحد لله إلا رفعه » مسلم .

وليس التواضع فى اخلاق المسلم ضعة وهونا ، ورضاً بالدون ، وإنما التواضع لين جانب ورقة قول وحسن معاملة ، احترام الناس والاعتراف بحقوقهم وتسليمها اليهم ، مباشرة المرء عمله كأن يحمل متاعه ، ويغسل ثوبه ، ويحلب شاته ، ويعلف دابته ، أو يقود سيارته يماشي الفقراء واصحاب العاهات ، ويجالسهم ، ويؤاكلهم ، ويتحدث إليهم إلى غير ذلك من مظاهر التواضع الصادق الذى هو فضيلة خلق المسلم ، وأدب نفسه وآية إيمانه ، وعلامة خيريته بين الناس.

٢ ــ الإيثار : وهو خلق إسلامى فاضل كريم أثنى على أهله القرآن العظيم فى قوله : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ .

وحقيقة الإيثار أن يقدم المرء غيره على نفسه ويفضله عليها بالمرغوب فيه والمحبوب من طعام وشراب وغيرهما مما يحب الإنسان ويرغب فيه بحكم حاجته أو فطرته. عرف المسلمون الصالحون خلق الإيثار وعاشوا عليه وتنافسوا فيه ، فكان احدهم يجوع ليشبع غيره ، ويعطش ليروى سواه . روى البخارى أن ضيفاً نزل برسول الله ﷺ فلم يجد عند أهله ما يكرمه به ، ودخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى اهله ثم وضع بين يديه الطعام ، وأمر امرأته باطفاء السراج ، وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف إيثاراً على نفسه وأهله فلما أصبح قال له الرسول ﷺ: « لقد عجب الله من صنيعكم الليلة بضيفكم» ونزلت آية : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ .

وحكى غير واحد أن بشر بن الحارث اتاه رجل فى مرضه الذى مات فيه فشكا اليه الحاجة فنزع بشر قميصه الذى عليه فأعطاه إياه واستعار قميصاً مات فيه . . .

وأعجب من هذا وذاك ما حدّث به حذيفة العدوى حيث قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شيء من ماء ، وأنا أقول : ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه ، فإذا أنا به فقلت : اسقيك ؟ فأشار الىّ أن نعم . فإذا رجل يقول آه . . . فأشار ابن عمى الىّ أن انطلق به اليه فجئته فإذا هو هشام بن العاص فقلت : أسقيك ؟ فسمع به آخر فقال : آه . . . فأشار هشام أن انطلق به

إليه فجئته فـإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قـد مات ، فرجعت الى ابن عمى فإذا هو قد مات .

٣ ـ الزهد: وهو الإعراض عن الدنيا بالقـلب احتقاراً لها ، وعدم اعتداد بها لكثرة كدوراتها ، وسـرعة زوالها ، والاقبال على الآخرة بالقلب والـبدن لصفائها وطول بقائها .

هذا الزهد وبهـذا الحد هو أحد الأخلاق الإسلامية الـفاضلة التى يتحـلى بها المسلم الحق بين الناس فيستديم مودتـهم ، بعد الفوز بحب الله تعالى ورضاه ، إذ روى : ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس.

والزهد الذى هو من اخلاق المـسلم لم يكن ـ كما قد يظن ـــ لبس المرقعات من الثياب ، وترك الـطيبات من الطعام والشراب ، ولا ترك الحـرث والعمل إيثاراً للكسل ولا تفضيل البطالة على العـمالة .وإنما هو عزوف النفس عن الدنيا والرغبة فيهـا حتى لا يصبح لـها فى القلـب مكان ، ولا فى النـفس شأن فلا تكون سـبباً لقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ولا لوصل ما أمر الله به أن يقطع وحتى لاتطلب بديـن ، ولا تشتـرى بشـرف . إن أقبلَتْ لا يـفرح بهـا ، وإن أدبرت لا يـؤسف عليها .

وليس من الزهد ايضاً ـ وهو الخلق الفاضل المحبوب ـ الاسترسال وراء مباح الشهوات ، والانغمـاس فى بحر اللذات . إن الزاهد بحق لا يأكل كـل ما يشتهى ولايشرب كل مـا هوى ، ولا يلبس أو يسـكن إلا ما سما أو غلا ، وإنمـا يأكل ما يسد جوعته ، ويحفظ بنيته ، يلبس ما يستر عورته ، ويحفظ مروءته ، ويسكن ما يرد عنه الأذى ويقيه من غائلة الحر فى الصيف ، والبرد فى الشتاء .

والزاهد قلـبه خلو من الحسـد والحقد ، فارغ من الطـمع والحرص ، إذ هذه من مستلزمات حب الدنيا ، والزاهد معرض من الدنيا راغب عنها .

ومن آيات الزهد فى الكتاب الكريم قـول رب العالمين فى خطاب إمام المرسلين ﴿ **ولا تمدن عيـنيك إلى ما متعنا به أزواجـاً منهم زهرة الحـيوة الدنيا لـنفتنهـم فيه . ورزق ربك خيـر وأبقى** ﴾ ، وقولـه: ﴿ **بل تـؤثرون الحيوة الـدنيا والآخرة خـير وأبقى** ﴾ ، وقوله : ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند**

ربك ثواباً وخير أملا ﴾ .

ومن أحاديث الرسول ﷺ في الترغيب في هذا الخلق الفاضل الكريم ما رواه ابن ماجه بسند جيد :« من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره ، وفرق عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا وهى راغمة» ومن أحسن ما يؤثر عن السلف فى خلق الزهد قول الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى : جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا .

٤ ــ القناعة :وهى من صالح الأخلاق وفاضل الخلائق وسيلة لخلق الزهد ، وطريق الوصول اليه ، أن من لم يتصف بالقناعة والرضا لم يتصف بالزهد فى الدنيا ولا بالرغبة عنها ، لأن حقيقة القناعة الرضا بما قسم الله للعبد ، واكتفاؤه بما أحل له عما حرم عليه ، واستغناؤه بما أعطاه عما أعطى سواه فالطمع والسخط والبخل والحسد كل هذه ضد القناعة وضراتها لا تجتمع معها فى قلب ، ولا تتفق معها فى طريق الوصول إلى الكمال النفسى والسمو الروحى .

إن الزهد كما علمنا رغبة عن الدنيا وأخرى فى الآخرة واعراض عن الأولى بالقلب ، واقبال على الآخرة بالقلب والبدن معاً .

والقناعة سبيل الزهد والطريق الموصل اليه فكيف إذاً يجتمع الطمع مع القناعة أو يلتقى الحرص على الدنيا مع الزهد فيها . أو يتفق البخل بالدنيا وعدم الرغبة فيها ؟؟

ومن هنا كانت القناعة نعم الخلق للمسلم يكسبه الغنى مع الأخلاق ، والعز بدون سلطان ، رغب الرسول ﷺ بقوله :« طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به» (١) . وقوله:« ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس » (٢) .

ومن خير ما روى السلف فى مدح القناعة قول القائل :

اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس   واقنع بياس فإن العز فى الياس

---

(١) مسلم .   (٢) فى الصحيح .

واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم ان الغنىّ من استغنى عن الناس

٥ ــ العدل: وهو مـن الأخلاق الإسلامية الفاضلـة الكريمة التى يتحـلى بها المسلم ، ويعيش عليها بين الناس مثـالاً للاستقامة ، والعدل فلا يجور فى حكم ، ولا يظلم فى قول أوفعل يـجتنب كبائر الذنوب وصغائرها ، ويبـتعد من الفواحش ظاهرها وباطنها .

هذا العدل هو الذى أمر الله تعالـى المسلم به فى قوله: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ وقوله: ﴿ **وإذا قلـتم فـاعدلوا ولـو كان ذا قـربى** ﴾ وقوله :﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾ .

وهو الـقسط الـذى أمر الله المؤمنـين به فى قـوله: ﴿**وأقسـطوا إن الله يـحب المقسطين**﴾ وقولـه :﴿ **كونـوا قوامـين بالقسـط شـهداء لله ولـو على أنـفسـكم أو الوالدين والأقربين** ﴾ وأخبر الرسول ﷺ عن كرامة أهلـه عند الله يوم القيامة فى قوله ﷺ : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور : الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهـم ، وما ولوا » مسلم وأحمد . وقـوله ﷺ:« سبعة يظلهـم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ،وشاب نشأ فى عبادة الله » الحديث الصحيح .

ويتجـلى خلق العـدل فى سلوك المـسلم بكامـله فيشمـل عقيدتـه ، وأقواله وأفعاله وأحكـامه فلا يعتقد المسلم صـاحب خلق العدل غير الحق ولا ينـطق بغير الصدق ، ولا يفعل غير الخير ولا يحكم بغير الحق هذا شأنه فى سلوكه كله ، فلا يخرج عن دائرة العدل ولا يحاول التقصى عـنها إلى الحيف والجور إذ هيمنة خلق العدل عليه ، تمنعه من ذلك ولا تسمح له به .

٦ ــ العفو :وهو ترك المؤاخذة على الذنب مع القدرة عليها بسلطان النفس ، أو سلطان الشرع ، وهو من أسمى الخلائق وأكرمـها وأشرف الصفات وأنبلها يأتى دون العدل فى المرتبة ، وقد يشرف عنه أحيـاناً ويسمو فيفوق أحبه الله واتصف به كما فى الحديث الصـحيح :«اللهم إنك عفو كريم تحب العـفو فأعف عنى » وذكر أهله بخير فى قوله :﴿ **والعافين عن النـاس والله يحب المحسنين**﴾ . وفى قوله : ﴿**وإذا ما غضبوا هم يغفرون**﴾ ورغب فيه كما رغب فى فعل الخير فى قوله : ﴿**إن تبدوا خيراً أو تخفوه ، أو تعفـوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً**﴾ وقوله : ﴿**وإن تعفـوا وتصفحوا وتـغفروا فإن الله غفـور رحيم**﴾ . كتب الله تـعالى على المـؤمنين

القصاص ، وأذن فى المعاقبة بالمماثلة ، ولكنه لم يترك دعوة عباده إلى العفو عن بعضهم مع القدرة على القصاص والمعاقبة : وقال تعالى: ﴿ **فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان** ﴾ وقال : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ .

اقسم على شرف خلق العفو الرسول ﷺ في قوله :« ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة ،ومازاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ومن تواضع لله رفعه الله» (مسلم) وذكر من شرف أهله ما لا مزيد عليه فى قوله من رواية الطبرانى عن أنس بسند حسن : إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعى سيوفهم على رقابهم تقطر دماً ، فازدحموا على باب الجنة فقيل من هؤلاء ؟ قيل الشهداء كانوا أحياء مرزوقين ، ثم نادى مناد : ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة ، ثم نادى الثانية ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة ، قال : ومن ذا الذى أجره على الله؟ قال : العافون عن الناس ثم نادى الثالثة ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة وقام كذا وكذا ألفاً ، فدخلوها بغير حساب .

وبخلق العفو أختم هذه الرسالة سائلا الله تعالى أن يعفو عنى ويعافنى ويرضى عنى ويرضنى ، وأن يعاملنى بلطفه ويجعل دعوتى هذه تنال كل من دعا لى بخير أو أشركنى فى دعاء خير آمين .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الرّسَالة العَاشِرة

المُسلـم الحـقّ

في هذه الصفحات الصورة الحقّة للمسلم الحق
كما بيّنها الكتاب والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمـة

من المعلوم ان كل إنـسان يتكون من رأسه ويديه ورجلـيه ، وفى رأسه وجهه وسمعه وبصره وتفكـيره ، وعليه فسيجرى رسم هذه الأجزاء متتالـية حتى تكتمل الصورة المطلوبة للمسلم .

هذا ،ولم أرد برسـم هذه الصورة للمسلـم الحق إلا إبراز الشخصية الـكاملة للمـسلم الكامـل الذى يستحـق الاعزاز فى الدنـيا ، والتكريم فـى الآخرة وذلك لغرضين اثنين :

أولهما : إيـصاد الباب فى وجه كل دخيـل على الاسلام ،ينتسب إلـيه باطلا وزوراً .

وثانيهما : وضع مثالٍ عالٍ من المسلم لمن أراد أن يكون من المسلمين .

١ ـــ القلب

نظراً إلى أن أهم عضو فى جسم الإنســان هو « القلب » وذلك لقول الرسول ﷺ: « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صــلح الجسدُ كله ، وإذا فسدت فسدَ الجسدُ كله ، ألا وهى القلب » .

فإنى قد ابتدأت برسم قلب المسلم قبل أعضــائه التى يتكون منها جسمه وتبرز بها شخصيته ، قــلب المسلم حىٌ صالح للتلقى والإرسال ، يـعرف المعروف وينكر المنكر ، بخلاف قلب غيره فإنه ميت لايعرف المعروف ولا ينكر المنكر .

جاء فــى الصحــيح عن الــنبى ﷺ أنــه قال: « تُعـرَض الفتن عــلى القــلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأىّ قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بــيضاء حتى تصير على قلبين : على أبيــض مثل الصفاء فلا تضره فتنــة ما دامت الســماوات والأرض ، والآخر أسوداً مربــاداً كالكوز ، مــجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً » .

ومن مظاهر حيــاة قلب المسلم : أنه يحب ما أحــب الله ويكره ما يكره الله ، يُذكر بالله عز وجل فيذكر ، ويخوَّف من الله فيخشى ويخاف .

وبنــاء على هذا فــالقلب إذا كــان يسارع إلى مــحبة ما يــكره الله من الكــفر والكافــرين والظلــم والظالمين والــفساد والمفســدين وهو مقــيم على بــغض الإيمان والمؤمنين ، والصلاح والصالحين ، . . فليس هو بقلب المسلم .

وإذا كان القلــب يذكر بالله وآياته ، وبنــعم الله تعالى ونقمــه فلا يذكر ، ولا يبرح مقيما على الباطل اعتقاداً وعملاً ، عاكفاً على الشر والفساد قولاً وفعلاً . . . فهذا القلب ليس بقلب المسلم ، قال تعالى: ﴿ **وإذا ذكروا لا يذكرون** ﴾ .

وإذا كان القلب يخوف بالله تعالى وعذابه فلا يرهب ولا يخاف ، ويستمر فى بغيه فى الأرض وعدوانــه على الخلق ، فيقطع ما أمر الله بــه أن يوصل ، ويفسد فــى الأرض فيــهلــك الحرث والــنســل ،يســتبــيح الــربا والــزنا ويــشيــع الخمــور والفجور . . . فهذا القلب ليس بقلب المسلم قال تعالى ﴿ **وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد** ﴾ .

٢ ــ الرأس

يتكون الرأس عادة من: الوجه ، والسمع ، والبصر ، والنطق وهى أجزاؤه وبه يكون التفكير ، وفى الوجه يكون الحياء .

فلنرسم هذه الاجزاء واحداً بعد واحد ، ولنبدأ بالتفكير ! . . .

١ ــ التفكير :

إن التفكير عند المسلم لا يخرج عن دائرة ما ينفع الناس فى معاشهم ومعادهم أعنى فى دنياهم وأخراهم ، هذا بصورة عامة ، وفيما ينفع المسلمين بصورة خاصة، وفيما ينفع به نفسه بصورة أخص .

وعليه فالرأس الذى يفكر فيما يضر الناس فى دنياهم وآخرتهم وبخاصة المسلمين وذلك بإلقاء الشبه اليهم وإثارة الفتن بينهم ، وإشعال نار الحروب فى أقطارهم وديارهم . . ليس برأس المسلم .

والرأس الذى لا يفكر فى واجب دعوة الخلق الى الخالق ، وتوجيه الناس عامة والمسلمين الى توحيد ربهم ومعرفته وعبادته ، وإنما يفكر فى صرف الناس عن ذلك وإبعادهم عنه ، وفيما يحول بينهم وبين توحيد الله تعالى وذكره وعبادته، ويحيل تفكيره إلى أقوال وافعال فيتخذ من شعار القوميات ما يفرق به بين المسلمين ، ويضع من القوانين والأنظمة ما يحارب به شريعة الله والمؤمنين. . . فهذا الرأس ليس برأس المسلم .

والرأس الذى لا يُرفع بكتاب ولا بسنة نبيه ﷺ ، ولا يعتز بعزة الإيمان والإسلام ؛ وإنما يعتز بعادات الجاهلية وقوانين الوثنية ويعتز بشعارات الكفر والالحاد . . . ليس برأس المسلم .

قال رسول الله ﷺ :« من أصبح وهمه غير الله فليس من الله ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم » .

٢ ــ الحياء :

وجه المسلم يملأه رواًء الحياء ، ويجرى فيه ماء الاحتشام فلذا هو لا يفحش ولا يعربد ولا يجاهر بالسوء ، ولا ينطق بالفحش ولا بالبذاء .

وعليه فالوجه الصفيق الذى يبهت صاحبه المسلمين ويفترى عليهم ، ويرميهم

بما ليس فيهم ، ولا يحمر أو يخجل حياء واحتشاماً . . . ليس بوجه مسلم .

والوجه الخالى من الحياء الذى لا يتمعر عند قول السوء ولا يحمر عند فعل ما لا يحسن ، أو قول ما لا ينبغى . . ليس بوجه المسلم .

قال رسول الله ﷺ: «الحياء والإيمان قُرنا جميعاً فإذا رُفع أحدهما رفع الآخر » وقال ﷺ: « الحيـاء من الإيمان ، والإيمان فى الجنـة ، والبذاء من الجفـاء والجفاء فى النار » .

٣ ــ العين :

عين المسلم تنفتح لرؤية الخير وتغمـض عند رؤية الشر ، فليست هى مفتوحة دائماً ، ولا هى مـغمضة دائماً ، إذ المسـلم يفتح عينـه حين يرى مكاناً لفـتحها ، ويغمـضها حيث لا يرى مـكاناً لفتـحها ، أما غير المسلم فعيـنه مفتوحة لـلشر لا تغمض ابداً ، كما هى عن الخير مغمضة لا تفتح أبداً .

فالعين اللحاظة لـلعيون والمتتبعة للعورات المفتوحـة للحرام لا تغمض ابداً . . ليست بـعين المسلم قال تـعالى :﴿ **قل لـلمؤمـنين يغضـوا من أبصـارهم** ﴾ وقال الرسول ﷺ: « إيـاكم والجلوس علـى الطرقات قـالوا يا رسول الله لابد لـنا من مجالسنا نتحدث فيها فقال رسـول الله ﷺ :«إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه ، قالوا : وما حـق الطـريق يا رسـول الله ؟ قال : غضُّ الـبصـر ، وكفُّ الأذى ، ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وقال ﷺ :« العـينان تزنيان » وقال على رضى الله عنه: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فأمرنى ان أصرف بصرى .

٤ ــ الأذن :

سمع المسلم كبصره لا يلقيه ولا يسمع به إلا حيث يرى أن فى السماع خيراً ، وان فى المسموع إذناً ؛ وإلا فلا يلقى سمعه ولا يسمع لان سمعه نعمة من الله تعالى فلا يصرف هذه النعمة فى معصيته وإنما يصرفها فى طاعته ليكون بذلك شاكراً لها.

ومن هنا كان الـسمع الذى يتلذذ صاحبـه بسماع الباطل ويرتـاح لسماع الزور والبهتان . . . ليس بسمع المسلم .

والسمع الذى يـطرب صاحبه لسماع الـغناء وألفاظ الفحش والـبذء . . . ليس بسمع المسلم .

قال تعالى فى ذم اليهود ﴿ **سماعون للكـذب أكّالون للسحت** ﴾ وقال رسول الله ﷺ: « من استمع الى حديث قوم وهم لـه كارهون صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة » .

٥ ــ اللسان

منطق المسلـم سليم لا عيب فيه وطاهر لا أذى منـه ولا بأس به قوله الحق ، ونطقه الصدق ، لسانه لا يفتأ رطبـاً بذكر الله ، ولا يبرح يحمد الله على ما أتاه ، لا يسكت عن منكر يسمعه أو يراه ولا يـخرس على معروف يضيع بين عباد الله ، وعليه فاللسان الذى لا ينطق بالحق ، ولا يفوه بالصدق . . ليس بلسان المسلم .

واللسان الذى يستبيح أعراض المسلمين فـيلغ فى كل عرض ويستحل حرماتهم فيرتع بقالة السوء فى كل حرمة لهم . ليس بلسان المسلم .

واللسان الـذى لا يتنزه صاحبـه عن ان يكفه عن الـنطق بالفحـش والبذاء ، والتكلم بألفاظ الهجر والكفر . . ليس بلسان المسلم .

واللـسان الذى يطـيب لصـاحبه التـمدح بالـباطل وأهلـه ، والتغـنى بالبـغى وأصحابه ولا يقوى على قول كلمة حق يقولها لله ، ولا يقدر على كلمة حمد لله أو ثناء عليه . . ليس بلسان المسلم .

واللسان الذى يرى صاحبه المعروف بين الناس ضائعاً متروكاً ، فلا يأمر به ولا يحث أو يدعو إليه . . ليس بلسان المسلم .

واللسان الذى يرى صاحبه المنكر مرتكباً امامه ويُجاهَر به ويعلن عنه وهو قادر على إنكـاره وتغييره فيخرس عـنده ولا ينطق بكلـمة تغيير ولا بعبـارة نكير ، ولا يظهر منه ما يدل على إنكاره له أو امتـعاضه منه ، أو اشمئزاز من رؤيته . . ليس بلسان المسلم .

قال تعالى : ﴿**ولا يغتب بعضـكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحـم أخيه ميتاً فكرهتموه**﴾ وقال رسول الله ﷺ: « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » وقال عليه الصلاة والسلام :« من رأى منكـم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يسـتطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

٣ ــ اليد

يد المسلم مظـهر من مظاهر قوّته وطاقة مـن طاقات قدرته فيستعمـلها فى البر

والخير ، ويستخدمها فى كل صالح للخلق نافع لهم . فهو يكفها عن أذى الخلق، ويمنعها من البطش بالناس ويسخرها فى طاعة الله ، فيجاهد بها أعداء الله ويميط بها الأذى عن عباد الله ؛ فيغير بها المنكر ، ويقرر بها المعروف .

ولهذا فاليد التى لا تستعمل فيما ينفع الخلق ويصلح حالهم ، ولا تستخدم فيما يعود عليهم بالخير العاجل أو الآجل ، وإنما تستعمل فى جلب الأذى والشر وتستخدم فى الباطل والفساد . . ليست بيد المسلم .

واليد التى لاتبرح ملطخة بالجريمة تبطش بالمسلمين وبأولياء الله وصالحى عباده. . ليست بيد المسلم .

واليد التى لا تفتأ تسلب اموال الناس وتغتصبها وتعتدى على اموال الغير وتصادرها . . لست بيد المسلم .

قال الرسول ﷺ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »وقال ايضاً ﷺ: « من اخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين » .

٤ ــ البطن

بطن المسلم لم يكن سوى وسيلة لتغذية جسمه الغذاء الذى يحفظ به قوته البدنية ، تلك القوة اللازمة للقدرة على الحركة والعمل ؛ فيقوم بواجب العبودية لله تعالى بطاعته فى أداء فرائضه والوقوف عند حدوده .

فلم يكن ما يجعله المسلم فى بطنه من اكل وشرب غاية للأكل والشرب ، وإنما هو غاية للقدرة على العمل بطاعة الله تعالى أداء لواجب العبودية ، وتحقيقاً للغاية التى خلق من أجلها :﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ .

ولذا كان المسلم دون غيره لا يأكل فى بطنه حراماً ولا يشرب ممنوعاً لأنه يأكل ما يأكل ويشرب ما يشرب لأجل القوة على طاعة الله والعمل على مرضاته ، فكيف إذا يعصيه بنفس السبب الذى يريد أن يطيعه به .

ومن هنا كان والحق يقال : البطن الذى يأكل صاحبه ويشرب لذات الاكل والشرب . . ليس ببطن المسلم .

والبطن الذى يكون الطعام فيه قوة على معصية الله تعالى والفسق عن أمره والخروج عن طاعته . . ليس ببطن المسلم .

والبطن الذى يـزدرد فيه صاحبه ما حل وما حرم ومـا طاب وما خبث ، ولا تقضى شهوته مـن الطعام والشراب ولو اكل ما فى الأرض جميـعاً . . ليس ببطن المسلم .

قال رسول الله ﷺ : « المؤمن يأكل فى معى واحـد والكافر فى سبعة أمعاء » وقال ﷺ : « المؤمن يشرب فى معى واحد والكافر يشرب فى سبعة أمعاء » .

٥ ــ الفـرج

شهوة الفرج عند المسلم كشهوة البطن لاتعدو كونها وسيلة الى غيرها لا غاية مقصودة لذاتها .

فالمسـلم يعلم أن من وراء الـشهوة الغريزيـة أهدافاً ودونها غايـات ، فهو لا يأتيها كما يأتيها غيره من أهل الغفلـة والهوى ، وإنما يأتيها وهو ذو بصيرة بنتائجها ومعرفـة بالاهداف التى يـأتيها من أجـلها وهى إحـصان نفسه وإحـصان زوجه ، والابقاء علي رابطة الـزواج ثابتة قوية ، وعلى مودة الزواج ورحمتـه باقية نامية، بعد ابتغاء النسل والحفاظ على النـوع الإنسانى . ومن هنا كان المسلم لا يسرف فى هذه الشهوة ولا يأتيها من غير الوجـه الذى أبيحت منه وحلت به من زوجة حرة طاهرة أو أمة مؤمنة مملوكة له ظاهرة .

وعلـيه فالفـرج الذى لا يراعى صـاحبه اهداف هـذه الشهوة وغـاياتها عـند ارادتها . . ليس بفرج المسلم .

والفرج الذى يسرف صاحبـه فى إتيان الشهوة البهيمية حتـى لا يبالى أتاها فى حلال أم فى حرام ، ولا من حيث يحسن إتيانها أم يقبح . . ليس بفرج المسلم .

والفرج الـذى لا يقصر علـى الزوج أو ما ملكـت اليمين ولا يحـفظ مما دون ذلك . . ليس بفرج المسلم .

قال تعالى : ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظـون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم** ﴾ وقال رسول الله ﷺ: « ما من ذنب بعد الشرك اعظم عند الله من نطفة وضعها رجل فى رحم لا يحل له » .

٦ ــ الرجل

رجل المسلـم لا تمشى فى غير طريق الله تـعالى ، ولا تخطو فى غيـر مرضاته

فلا يغدو بها إلا إلى خير ولا يروح إلا إلى مثله .. رجل المسلم يمشى بها ولكن إلى الخير والاصلاح ، ويسعى بها ولكن الى ميادين الشرف ويسابق بها ولكن فى مجالات البر والاحسان .

وبناء على هذا فالرِّجل التى لا تمشى مرة فى سبيل الله ولا خطوة واحدة فى مرضاة الله .. ليست برجل المسلم .

والرِّجل التى تغدو ما غدت ، وتروح ما راحت ، إلا الخير والمشى إلى الشر والفساد ، والباطل والمنكر .. ليست برجل المسلم .

والرِّجل التى لا يعرف صاحبها السعى إلى الخير والمشى إلى المعروف ولا المسابقة فى ميادين البر والاصلاح وإنما يسعى إلى الفساد ؛ ويمشى إلى الشر ويسابق فى الباطل ، وينافس فى المنكر والفساد .. ليست برجل المسلم .

قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر** ﴾ وقال ﷺ: « من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلمُ أنه ظالم فقد خرج من الاسلام » وقال: « من مشى مع ظالم فقد أجرم » .

لفت نظر : المسلم الذى رسمنا صورته هو ذاك الذى قال الله عنه: « من آذى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه » البخارى .

مظهر المسلم

للمسلم مظهر بارز تكتمل به شخصيته ، وتتميز به ذاته عن شخصية غيره وذات سواه ، ومن هنا كان الاسلام لا يهمل شأن المظهر ، ولا يسقطه من حساب الحياة كما يرى بعض من لا بصيرة لهم فى الاسلام ولا معرفة لهم بدقائق أحكامه وأسرار شريعته .

حقاً . . ! الاسلام عنى بالبواطن اكثر من عنايته بالظواهر ولكنه لم يهمل الظواهر ولم يسقطها من حسابه أبداً .

وها هى ذى ثلاثة مظاهر من المظاهر التى عنى بها الإسلام فى المسلم وجعلها ذات طابع خاص به ألا وهى :

الشعر ــ واللباس ــ والنظافة :

أ ــ الشعر : فالشعر إذا كان فى الرأس فقد أمرَ باكرامه وذلك بدهنه وتطييبه وتسريحه وتشذيبه حتى يكون لائقاً صالحاً ، قال الرسول ﷺ :« من كان له شعر فليكرمه » . وإن كان فى الوجه فقد أمر باعفائه فى اللحية وتوفيرها حتى يملأ الوجه ويرويه ، ويصبح بذلك فارقاً بين وجه المسلم ووجه غيره من أهل الشرك والكفر ، وبين وجه الرجل ووجه المرأة مطلقاً ، قال الرسول ﷺ :« خالفوا المشركين أحفوا الشارب ووفروا اللحى » وقال ﷺ أيضاً :« لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء » ، وإن كان الشعر فى الشارب فقد أمر باحفائه أو قصه فقال ﷺ: « قصوا الشارب وأعفوا اللحى » .

ب ــ اللباس عادى : وأما اللباس فإنه :

أولاً ــ اعتبره فارقاً بين الرجل والمرأة ، فمنع الرجل أن يلبس لبس المرأة ومنع المرأة أن تلبس لباس الرجل فقال ﷺ: « لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل » . وذلك من أجل الحفاظ على قوة شخصية الرجل وبروز خصائصه التى تتم له بها القيومية على النساء .

وثانياً ــ نهى عن القدر الزائد عن حاجة الرجل منه فجعل ما زاد عن

الكعبين محرماً أو مكروهاً فقال ﷺ: « لا ينظر الله الى من جرَّ ثوبه خيلاء » وقال ﷺ: « ما أسفل من الكعبين من الازار فى النار » .

ثالثاً ــ حرَّم لباس الشهرة ، وهو اللباس الذى يخالف به المسلم لباس مواطنيه ليشتهر فيهم لما فى ذلك من التمييز المؤدى إلى الكبر والخيلاء المحرمين .

قال ﷺ: « من لبس لباس شهرة ألبسه الله لباس مذلة يوم القيامة» .

رابعاً ــ حدد لباس المرأة بالطويل السابغ الذى يستر كل شىء منها إلا الوجه والكفين هذا فى بيتها ومع محارمها ، أما إذا خرجت من البيت أو كانت مع غير ذى محرم لها فإنه أمرها أن تخمر وجهها وتستر محاسنها ومواضع الزينة منها قال تعالى: ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن** ﴾الآية .

خامساً ــ حرم لبس الحرير والتختم بالذهب على الرجل وأحل ذلك للنساء فقال رسول الله ﷺ وقد وضع فى يديه حريراً وذهباً : «هذان حرام على رجال أمتى حلٌ لإناثها » .

جـ ــ النظافة : وأما النظافة فقد فرضها على المسلم فرضاً فأوجب الوضوء للصلاة، وألزم بغسل الجنابة كل جنب ، وأمر بغسل الجمعة ، وانتدب إلى مس الطيب ولباس النظيف والأبيض لكمال النظافة فى المسلم ، والوصول إلى الغاية منها .

وأخيراً أليست هذه من المظاهر ؟ وقد اعتنى الإسلام بها ، وجعلها من مهام رسالته ومقاصد دعوته ؟ فكيف إذن يدعى كمال الإسلام من يحلق وجهه حتى لايبقى به شعرة واحدة تدل على أنه رجل ، ثم يتختم بالذهب فى يمينه ويساره ويلبس الحرير فى دثاره وشعاره ويستر بثيابه أعقابه وعراقيبه ، ويأذن لعقيلته وكريمته بأن تبدى زينتها وتكشف نحرها وساقها وتضع يدها فى يده وتخرج معه إلى الشارع عارية ، وهو لا يستحى من هذه المخالفات كلها ولا يخجل .

وقد يذَّكرَ فلا يذكر ولا يندم أو يستغفر ، ويااليته وقف عند هذا الحد من الهد؛ بل ادعى أن الإسلام ليس بمظهر وأن هذه الحدود فى الشرع من القيود ، وأن التزامها من الجمود والرجعية والركود. . ! فليقل لنا بربه ، لما أسقط هذا المظهر اتكالا على المخبر ماذا فى مخبره ؟ إيمان بالله حمله على أن يظل مجاهداً

فى سبيل الله ؟ وأن يبيت راكعاً ساجـداً تقرباً إلى الله ؟ أم حب لرسول الله حمله على أن يوقف حياته دفاعاً عن ملته وحماية لسنته ، وتبليغاً لدعوته ؟ فإن لم يكن فى مـخبره غيـر هذا فماذا فـى هذا المخبر سـوى نتن الإلحاد ، ومرض الـشك ، وعفونة الـشرك !؟ وختاماً : اللهم اهـد منا من ضل ،وأصلح مـن فسد ، وتب على من تاب وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

تنبيه ـ جميع أحاديث هذه الرسالة ما بين صحيح وحسن .

الرِّسَالة الحَادِيَة عَشَرَة

الشباب السعُودى

خصائصه . رسالته . مسؤوليته . ما يشكو منه .
ما يراد له . رسم طريق له إهابة به للسير
فى الطريق المرسوم له . أثمن فرصة
له لو يهتبلها .

فيصل الإسلام
يبايع لقيادة منظمة شباب المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقَــدمة

بسم الله ، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن دعا بدعوته ، وقام على ملته .

وبعــد :

إن الشباب السعودى الذى آثرنا مخاطبته فى هذه الرسالة ،والحديث إليه على صفحاتها ، ونحن نشعر بالقرب منه حتى لكأن كل شاب منه ماثل بين أيدينا يصغى لما نقول ويسمع لما نخاطبه به ، هذا الشباب ليس هو فى فتوته ، وكمال شبابه بأقل مستوى من شباب العالم الإسلامى ، ولا هو بأكثر منه قوة وعزماً ، وتدفق حيوية واكتمال نماء وإنما هو كغيره من شباب العالم الإسلامى غير أن له خصائص خلقية ، ومقومات روحية ليست لغيره جعلتنا نتوجه إليه بهذا الحديث دون غيره لنعلمه أن له رسالة ، وأن عليه مسؤولية ، وإنا نشكو منه أموراً ، ونريد له أخرى. وأن من واجبنا ما دمنا قد اتصلنا به وخاطبناه أن نرسم له طريقاً ــ ونحن أكثر منه تجربة وخبرة بالحياة ــ تمكنه من أداء رسالته ، والنهوض بمسؤوليته ، والتخلص مما نشكوه منه ، وتحقيق ما نريده له . ونحن نهيب به فى صدق ، وندعوه فى إخلاص إلى السير فى الطريق الذى رسمنا ؛ لأنه سبيل مجد ، والشباب للمجد . ــ عادة ــ طلاب !!

والآن وقد تحددت النقاط التى أردنا أن تكون مكان التقاء بيننا وبينه وهي : خصائصه ــ رسالته ــ مسؤوليته ــ ما نشكوه منه ــ ما نريده له ــ طريق السير الذى رسمنا له ــ إهابتنا به للسير فيه .

فلنبحثها معه بروح من المودة والاحترام .

خصائصه

إن للشباب السعودى خصائص روحية اختصه الله بها ومميزات لم تكن لغيره من شباب المسلمين ، تمكنه بدون شك لا من قيادة العالم الإسلامى فحسب بل من قيادة العالم الإنسانى بأسره ، وتلك الخصائص نشير إليها فيما يلى :

١ ــ وجوده فى أرض عريقة فى القداسة، متأصلة فى الكرم ، راسخة فى المجد ، بعيدة عن اللوث الحضارى المتعفن متسامية عن حمأة الماديات المرذولة .

٢ ــ كونه من أرومة بشرية سامية ، ومن سلالة هى خير سلالة فى العالم ، فقد جمع آباؤه بين مكارم العروبة الأصيلة ، وأخلاق الإسلام الشريفة ،ما كانوا به أمة ممتازة فى العالم ، بحيث لم يعرف الناس أمة خيراً منها ، ولم تكتحل عين الوجود بمثلها : شرف أصل ، ونور هداية ،وصلاح عقيدة ، وعزة سلطان ، وعدالة حكم ، ورحمة فتح ،وكمال خلق ، وصفاء روح .

٣ ــ ما أكرمه الله به من رعاية حرمه وحماية بلده وبلد رسوله ، ومن جعله أميراً للمسلمين فى حجهم ، وإماماً فى أداء مناسكهم وكفى بذلك شرفاً وفضلاً!!

٤ ــ طهارة المجتمع الذى يعيش فيه ، وبعده عن كثير من المفاسد التى وقع فيها غيره من المجتمعات بحيث لا يوجد مجتمع أنقى وأطهر ، ولا أصلح وأكمل من المجتمع السعودى اليوم ــ والحمد لله .

٥ ـ ما أنعم الله تعالى به عليه من حكم إسلامى عادل رحيم ، يقوم عليه ملك صالح له من الهمة العالية ، والحنكة السياسية ، ما يجعله مثال الملوك الصالحين فى العالم الإنسانى . ولا مبالغة .

وبعد فهذه الخصائص للشباب السعودى كافية فى أن تبوأه مركز القيادة للبشر، وأن تجعله حرياً بالنصر فى كل معركة من معارك الحياة ، وجديراً بالفوز والسبق فى كل ميدان .

كما هى خليقة أن تجعل منه المصلح المنتظر لإنقاذ المسلمين مما تردوا فيه من هوَّة الفساد السحيقة ، والشر المستطير . عجل الله بخلاصهم ، وأنجاهم مما هم فيه آمين .

رسالته

وبهذا كانت للشباب السعودى رسالة مقدسة لم تكن لغيره من شباب المسلمين. وها نحن نحصرها له فى الجوانب التالية :

١ ــ صيانة عقيدته أن تفسد ، حماية أخلاقه أن تسوء ، الحفاظ على دولة القرآن أن تدول ، وعلى شريعة الإسلام فيها أن تزول ، أو تحول .

٢ ــ جمع شتات الجزيرة ، ولم شعث أبناء العشيرة ؛ إذ حرام أن تنقص «جزيرة الإسلام» من أطرافها أو يخيم الجهل على أحقافها ، ويعتم الفساد فى مدائن شامها . وابن بلد الله ناعم فى بحبوحة من العيش ، نائم فى دائرة من المجد .

٣ ــ تعهد تركة الآباء ــ الإسلام وشرائعه ــ إذ عبث بها العابثون . وأضاعها المفلسون .

إن البلاد ــ أيها الشباب ــ التى كان يزينها خلق الإسلام ، ويحكمها قانون القرآن ، وتمنعها قوة الإيمان قد أصبحت نهبى بين الكافرين ، وأمست حقول تجارب لنظريات الملاحدة الشيوعيين ، عمها ظلام الكفر بعد نور الإيمان ، وفشا فيها داء الجهل بعد صحة العلم ، وسلامة العرفان .

فمد إليها أيها الشباب يدك الطولى وهبها نفساً من أنفاسك الألى ، لتستبدل خوفها أمناً وذلها عزاً ــ وفسادها صلاحاً ، وشقاءها سعادة وهناءً.

وبعد فهذه جوانب رسالتك أوجزناها لك فى عبارة ، وأبرزناها فى إشارة فتقدم لحملها وسر بها إلى غاياتها ، واعلم أنك لن تعدم من الله العون ، ولا الأجر غير الممنون .

مسؤوليته

إن عليك أيها الشباب السعودى ــ لمسؤولية ، لو تصورتها لهالَكَ أمرها ، ولو فكرت فيها لأفزعك خطرها ، إنها مسؤولية ذات أبعاد كبيرة ، وتبعات خطيرة . وها نحن نكشف لك النقاب عن جوانب منها فى استفهامات قليلة علّك تعرف عنها ما يمكنك معه أن تقوم ببعض الواجب ازاء مسؤليتك الملقاة على عاتقك أيها الشباب وهاه ذى الاستفهامات .

١ ـ هل تدرى أنك بحكم رسالتك التى اوضحناها لك مسؤول بعض المسؤولية عن كل شبر فى الأرض يوجد فيه بغىٌ أو فساد ، أو ظلم أو اضطهاد ؟ وعن كل شقاء أو تعاسة تصيب بنى الانسان فى دنيا الحياة ؟

٢ ـ وهل تدرى أنك مسؤول عن ابلاغ رسالة محمد بجميع عقائدها وشرائعها واحكامها والى بنى الناس كلهم ، وأن هذه المهمة لا تنتهى حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ؟

٣ ـ هل تدرى ، أن أعين المسلمين فى مختلف بلادهم لا تبرح ترنوا إليك طالبة خلاصها من أسر الجهل والفساد ، وتحريرها من رق الشبهات والشهوات ؟

٤ ـ هل تدرى أن ما حلَّ بالعالم اليوم من فساد لايرجى له من إصلاح إلا من طريقك ، وأن مشاكل العالم الكبرى التى استعصى حلها لن يوجد لها حل كامل إلا عندك ؟

٥ ـ هل تدرى أن ما جاء فى هذه الاستفهامات ما هو إلا جزء يسير من مسؤليتك التى هى أعظم وأضخم بكثير مما نرسم أو نصور ؟؟

ما نشكوه منه

وإذاً فقل لى بربك هل يليق بمن هذه حاله ان يخلى ذهنه من كل شىء وأن يفرغ قلبه من كل هم إلاّ همّ الأكل والشرب واللباس والسكن ؟

وهل يليق به أن لا يكون له فى حياته من هدف إلا أن يدرس ويتعلم وينجح ويحصل على وظيف فيتوظف ويوفر له المأكل والمشرب والمسكن والمركب وليس غير .

وهل يليق أن يهجر المساجد وهى بيوت الله ، ويعمر المقاهى والملاهى وهى بيوت الشيطان ؟

وهل يليق به أن يستبدل بتلاوة القرآن وأناشيد البطولة ، وأهاجيز المناجاة ، وأراجيز الملاقاة يستبدلها بالولوع بسماع اصوات المغنين والمغنيات وبأقبح الألفاظ واحط العبارات ؟

وهل يليق به أن يرسف فى اغلال الشهوات ، وأن يستديم الحياة فى اصفاد

الماديات ، ولا يحاول الانعتاق ، أو يطلب الانطلاق ليعيش حراً فى دنيا الكمالات طليقاً فى سماء الروحانيات ؟

وهل يليق به أن يُسف فى الحياة حتى لا يرى له واجباً الا ترجيل شعره،وإطالة ثيابه ، وحلق وجهه ، وتنعيم بشرته ، وأن يتخذ من « الفصفص » مسلاة ، ومن رخيص القصص ملهاة .

وهل يليق به أن يعجب بأفكار الملاحدة ، ويتحمس لمبادئ الهدم والتخريب ويصغى باعجاب الى روايات الباطل ، وأحاديث الكذب والبهتان ؟

وهل يليق به أن يفتح قلبه ، ويفسح فى صدره لقبول آراء خصومه ، وافكار أعدائه تلك الآراء والأفكار التى لو اخذ بها لأدنته من الهاوية بعد أن تسلخه من معنى وجوده ، وتجرده من كل اعتبار ذى قيمة فى الحياة ؟

وإذا كان الجواب منك ــ يا شباب الحمى ــ هو لا . فإن هذا الذى لا يليق بمثلك قد شكوناه فى مرارة من بعض أفرادك ، واستنكرناه فى أسف من بعض أجزائك ، وهو ما لا نريده لك .

ما نريده له

وان قلت : وبعد فماذا تريد لنا أيها الشيخ ؟ أجبناك بأنا نريد لك ما يكملك ويرقيك ، نريد لك:

١ ــ بصيرة نيرة لا تخدع بالبهارج ، ولا ينطلى عليها الكذب ، ويخفى عليها البهتان والزور ، فلا ترتاح معها لسماع تضليل الاشتراكيين عملاء موسكو وحرفاء الماركسية الشيوعية، ممن استبدلوا بمبادئ الاسلام المبادئ اللينينية الشيوعية .

٢ ــ عقيدة توحيد قوية صلبة تتحطم دونها كل العقائد الباطلة ، وتذوب أمامها كل الفلسفات والأفكار الفاسدة التى يوحى بها الشيطان ويدعو اليها عملاؤه وأذنابه من بنى الإنسان ،وحتى لا نراك تدور فى دوامة من الظنون والاوهام ، ولا نلقاك وقعت فيما وقع فيه غيرك من شباب ما يسمى بالطلائع الثورية فى البلاد العربية حيث تورطوا فى الالحاد ، وكفروا بكل القيم الاسلامية والأخلاق الدينية فأصبحوا تائهين فى دنيا الباطل على وجوههم لا يهديهم دين،ولا يرشدهم كتاب.

٣ ــ روحاً وثابة تتعشق الفضائل ، وتهيم بحب المكارم ، تبعثك فى عزم للنهوض برسالتك والقيام بمسؤوليتك ، فتعيد تاريخ أسلافك بنشر رسالة الخير، فى الناس ورفع كابوس الشر والفساد عنهم .

٤ ــ همة عالية ترتفع بها عن دنايا الأمور وسفساف الحياة وتكون بها مثالاً بين الناس تعلمهم معنى الخير وسمو الروح ، ونبل المشاعر ، وكرامة السلم ، وعزة المؤمن فى الحياة .

٥ ــ وعياً إسلامياً صحيحاً تزن به الاشياء ، وتقدر به الأمور، تعرف به الحق من الباطل وتميز به الخير من الشر ، فلا يشتبه عليك صوت الاسلام الذى ينادى به إمامك وقائدك فيصل الاسلام إلى تضامن المسلمين وتكاتفهم ضد ما يحيق بهم من اخطار الالحاد ، وشرور الاباحية بصوت الاشتراكية الثورية الذى يدعو به دعاة الشيوعية فى البلاد العربية الى التخلص من الاسلام ومبادئه ، والايمان بالله وحقائقه ، وليس أدلّ على ذلك من الهول الذى اصابهم ، والرعب الذى افزعهم من كلمة التضامن الاسلامى . حيث اعلنوا فى صراحة أنهم ضدها وحرب عليها، وإن همهم القضاء عليها حتى لا تكون، وما دروا بذلك أنهم انسلوا من الإسلام انسلال الشعرة من العجين ولم يبق لهم مكان بين المسلمين ، إلا أن يتوبوا وهل يتوب ذو البدعة أو هل يتوب الشيطان ؟

٦ ــ عزيمة قوية تدفعك إلى تحقيق آمال الإسلام فيك ، وتنهض بك إلى تحقيق ما أنيط بك .

٧ ــ خلقاً إسلامياً فاضلاً تمتاز به بين الناس ، وتتفوق به عليهم فى كل مجالات الخير والصلاح ، وحتى تكون مثال الانسان الكريم والعبد الصالح فى الحياة.

وحتى تكون أهلا لقيادة البشر وسيادة الناس .

وأخيراً فهذا مجمل ما نريده لك ــ أيها الشباب السعودى الكريم فهل ترى فيه غير ما يرفعك ، ويسعدك ، ويكملك ، ويرقيك ، وإن قلت : لا ، ولكن كيف السبيل إلى الحصول على ما أردت ــ ونحن كما تعلم اكثرنا غارق فى محيط : حب الدنيا ، وكراهية الموت . فجوابنا إليك برسم طريق واضح المعالم ، قائم الاعلام متى سلكته وصلت إلى ما نريده لك من رفعة وسؤدد وما نطلبه لك من سعادة وخير .

وإليك الطريق فدونكه فاسلكه :

أ ــ اعدادك لروحك اعداداً صالحاً يمكنها من التغلب على جميع رعوناتها وشهواتها ، وميولها الطبعية السافلة ، وذلك بأخذك إياها بالرياضة والتمرين على الوظائف التعبدية التالية :

١ ــ قراءة القرآن : فتلزمها بتلاوة جزء كامل كل ليلة سحراً تصلى به ثمانى ركعات ، ثم توتر بثلاث .

٢ ــ الصيام : فتلزمها بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ولتكن الايام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر .

٣ ـ الصدقة : فتلزمها بصدقة يومية بحسب وجدك على أن تكون دائمة لا تنقطع أبداً ، ولو قلّت .

٤ ــ الذكرى : فتلزمها بزيارة المقبرة مرة فى الاسبوع ، تقف فيها بين القبور متذكراً متأملاً تدعو لهم وتترحم عليهم ساعة ثم تنصرف .

٥ ــ التبتل : فتحبسها ساعة فى المسجد من كل يوم تنقطع فيها إلى الله تذكره وتدعوه ولتكن من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس تركع بعدها ركعات الضحى الأربع ، ثم تنصرف .

٦ــ الخروج فى سبيل الله : فتلزمها بالمشى إلى الصلوات المكتوبة خمس مرات فى اليوم ماشياً على قدميك إلى ابعد مسجد فى مدينتك .

٧ ــ المؤاخاة : تلزمها بمؤاخاة الصالحين ، ومجالسة العارفين ، وتحبسها من الوقت إلى الوقت فى مجالس الفقراء والمساكين ، وتكرهها على ذلك إكراهاً .

٨ ــ الاستعانة : وتستعين على تربية نفسك بهذه الوظائف بالله تعالى فتسأله أن يعينك على نفسك ، وأن يقدرك على تربيتها وتهذيبها وتلح فى الدعاء حتى تظفر بذلك وتفوز .

ب ــ اصلاح خلقك إصلاحاً كاملاً يؤهلك لأن تسود فى الناس ، وتقودهم وذلك بالالتزام بما يأتى :

١ ــ طهارة قلبك من الغل والغش ، والحسد ، والعجب والرياء والكبر ، والسمعة وحب الشهرة ؛ تكون بحيث لا تحمل غلاً لأحد ، ولا تغش

احداً ، ولا تحسد غيرك مهما عظمت نعمة الله تعالى عليه ولا تعجب بنفسك فتستكثر عملك ، أو تستعظم رأيك ، ولا ترائى بعمل تعمله أو تسمع به رغبة فى المحمدة ، وطلبا للصيت والشهرة ، فإن ذلك كله مفسد عليك قلبك ، طامس لبصيرتك ومن فسد قلبه هلك ، ومن انطمست بصيرته عمى .

٢ ــ طهارة لسانك من قول السوء ، وحديث الكذب وشهادة الزور . فلا تقل في أحد قالة سوء ، ولا تكذب أحداً أو تكذب عليه ، ولا تشهد على أحد زوراً ، أو ترميه بما ليس فيه ؛ فإن ذلك مخل بشرف الانسان قاعد به عن الكمال.

٣ ــ حفظك فرجك إلا على زوجك ، واستعن على ذلك بغض بصرك عن المحارم ، وبعدك عن المآثم ؛ فإنه لا طهارة مع خبث ، ولا كمال مع إسفاف .

٤ ــ كفك يدك ورجلك عما لا يحل لك البطش به ولا المشى إليه ، فلا تتناول بيدك ما ليس لك بحق ، ولا تسع برجلك مسعى أنت آثم فيه ، أو به ؛ إذ الباغى لا كرامة له ، والجانى لا حرمة له .

جـ ــ إعدادك لجسمك إعداداً كافياً ليكون قادراً على حمل أعباء رسالتك ، وقويا على النهوض بجميع مسؤولياتك ، وذلك بالتزامك بالامور التالية:

١ ــ نظافة جسمك بالاغتسال والتطيب ، وتغيير الثياب كل يوم جمعة .

٢ ــ الغذاء الصالح وهو الطيب الحلال من كل مغذ نافع متجنباً الإسراف فى ذلك .

٣ ــ تنظيم وجبات الطعام ، متحاشياً إدخال الطعام على الطعام حيث ثبتت مضرته وتأكدت مفسدته .

٤ ــ الابتعاد من المكيفات مطلقاً سواء كانت تبغاً (أو رنجيلة) أو شمّه .

٥ ــ اجتناب عامة الكحوليات سواء منها ما كان مسكراً ، أو مخدراً ، أو مفتراً أو سامًا مهلكاً .

٦ ــ التوقى من شدة الحر ، والبرد ، واستخدام ما أمكن من وسائل التدفئة

والتبريد .

٧ ـ مزاولة الرياضات التالية : كرة القدم ـ السباحة ـ الرماية ـ العدو ـ السباق لما فى ذلك من تنشيط الجسم ، والقضاء على السِّمنِ فى البطن، والكسل فى الجسم .

٨ ـ قضاء فترة لا تقل عن ١٨ شهراً فى الجندية تتعلم خلالها فنون الحرب ، وإجادة استعمال سائر الاسلحة ، والوسائل الدفاعية المختلفة أداء لفريضة الجهاد ، وإعداداً للنفس على القدرة عليه .

إهابتنا به :

وأخيراً أيها الشباب فانا نهيب بك أن تسير فى هذا الطريق الذى رسمنا ، مختاراً هذا اللون من الحياة الذى اخترنا وإنا لك والله لناصحون ، وفى سعادتك والاسعاد بك لراغبون .

واعلم أنك اكبر من اكبارنا لك وأقدر على المسؤولية مما افترضنا فيك ، فلا تهن ولا تضعف ، واذكر دائماً أنا لم نجد املنا فى غيرك ، ولم نعثر على ضالتنا المنشودة فى سواك ؛ لاعادة المجد الضائع ، والكرامة المهدورة ؛ ولإحياء ما اندرس من شريعة الإسلام ، وما مات منها من سنن وآداب .

إن أمة الإسلام ـ أيها الشباب ـ تنتظر مخلصاً مما حلّ بها ، ومنقذاً مما هى فيه فإن لم تكن أنت مخلصها ومنقذها فمن ؟

ألست شباب فيصل الملك المسلم الصالح ، والقائد المحنك الناجح ؟

ألست شباب دولة القرآن ، وأمة القرآن ؟

ألست شباب معقل الإسلام ودائرة مجد الأنام ؟

فلم لا تكون إذاً امل أمة الإسلام الذى ترجوه ولم لا تكون مخلصها المنتظر، ومنقذها المأمول ؟

فرصة سانحة

وهاه ذى فرصة من أثمن الفرص قد سنحت لك فاهتبلها ، فإنها بمثابة شق الطريق لك ، وتمهيد السبيل لمسيرتك ، إنها فرصة تبنى حكومتك الرشيدة إنشاء

منظمة الشباب الإسلامى إجابة منها لرغبة رابطة العالم الإسلامى حيث تقدم أعضاؤها باقتراح بذلك حسبما نشر فى الصحف المحلية فى حينه . فقم يا شباب الفيصل المفدى بدور الطليعة فى هذا الشباب الإسلامى ، وبادر بأخذ زمام القيادة لهذه المنظمة الاسلامية ، اتخذها جسراً تعبر به إلى الوصول إلى غاياتك من إصلاح المسلمين ، وتخليصهم من الفتن التى حاقت بهم ، والويلات التى نزلت بديارهم .

قم إلى الفيصل المعظم فبايعه على قيادة هذه المنظمة ، وسر تحت راية قيادته، فإنه سيهيئ لك كل سبب للنجاح بإذن الله ، وسيمدك بكل عون ممكن وها أنا أسبقك إلى المبايعة ، وإن كنت قد خلفت عهد الشباب ولحقت بركب الكهول والشيوخ فهات يا فيصل الإسلام يدك أبايعك على قيادة منظمة الشباب الإسلامى، كما بايعناك قبل على قيادة كل المسلمين .

فإلى التنظيم والعمل ، ونحن جندك ، والله ناصرك ومؤيدك . ولتسمحوا لى جلالتكم أن أقترح أن يكون مركز منظمة الشباب بمدينة الرسول ﷺ تيمناً بذلك وتبركاً ، وليعود إلى مدينة الرسول اعتبارها فى قيادة المسلمين ، والوصول بهم إلى قمم المجد وذرى الكمال . والله اكبر ، والخلود للاسلام ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

الرِّسَالة الثَانية عَشَرَة

إلى اللاعبينَ بالنّار

كلمة قصيرة واعظة تهدف إلى إيقاظ النائمين

وتنبيه الغافلين

الإهـــداء

الى كل أخ غرّته الحياة الدنيا ، فنسى مصيره فى الدار الأخرى . الى أولئك الذين يسيرون إلى الهاوية وهم لا يعلمون .

إلى الذين وضع العدوّ على أعينهم عصابة سوداء وقادهم إلى ساحة الهلاك والردى وهم لا يشعرون .

إلى جميع هؤلاء الاخوة المؤمنين أقدم هذه الكلمة الواعظة تعليماً لهم وذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين .

مقدمة الكلمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسولنا ونبينا محمد وآله وصحبه .

وبعد : ليس لى ما أقدمه بين يدى هذه الكلمة الواعظة سوى بيان الحقيقة التالية :

إن خطر الذنوب والمعاصى على الحكومات والشعوب أشد من غيره مما يراه الناس ويعتقدونه خطراً يهدد الحكومات بالسقوط ، والشعوب بالزوال والفناء . ومن الأدلة التاريخية على صحة هذه الحقيقة وصدقها هلاك الأمم والشعوب التالية : بعامل ذنوبها وسبب معاصيها :

١ ـ قوم نوح عليه السلام ، وكان نوع ذنوبهم فساد العقائد بالشرك والخرافات وكان هلاكهم بطوفان جارف أغرقوا فيه عن آخرهم.

وقال تعالى عنهم: ﴿ **مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً** ﴾ .

٢ ـ قوم هود عليه السلام ، وكانت ذنوبهم ومعاصيهم طغياناً تجاوز الحد ، واستكباراً فاق الوصف ، مع فساد فى العقيدة بعبادة غير الله وكان هلاكهم بعواصف هوجاء عاتية .

وقال تعالى عنهم: ﴿ **وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية** ﴾ .

٣ ـ قوم لوط وكان ذنبهم إشاعة الفاحشة بينهم مع فساد العقائد ، وانحلال الأخلاق وكان هلاكهم بالامطار المصحوبة بالأحجار وخسف وزلزال جعل عالى البلاد سافلها ، وسافلها عاليها قال عز وجل عنهم: ﴿ **وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذَرين** ﴾ . وقال: ﴿**فجعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربّك ، وما هى من الظالمين ببعيد** ﴾ .

٤ ـ قوم شعيب وكان من ذنوبهم أكل الربا ، والاحتيال على جلب المال بنقص الكيل والميزان ، وبخس الناس أشياءهم بطريقة انعدمت معها كافة الأخلاق، والقيم الإنسانية .

وكان هلاكهم بموجة من الحر الشديد ، أتت عليهم فلم تبق منهم القريب ولا البعيد قال تعالى عنهم: ﴿ **فأخذهم عذاب يوم الظلة؛ إنه كان عذاب يوم عظيم**﴾ .

٥ ــ قوم موسى ، وهم اليهود ، وكان من ذنوبهم الفسق عن أمر ربهم حيث أكلوا السحت والربا ، وقتلوا الصالحين والأنبياء ، وتدهورت أخلاقهم ، وفسدت طبائعهم حتى كانوا يقولون لرسلهم : سمعنا وعصينا . وكان ما عذبهم الله تعالى به أن كتب عليهم الذلة والمسكنة فعاشوا زهاء الثلاثة آلاف سنة مشردين، ملعونين أينما ثقفوا أذلوا وأهينوا .

٦ ــ أمة محمد ﷺ وعلى كافة إخوانه الأنبياء والمرسلين وكان من ذنوبهم التكالب على الدنيا والاسراف فى الشهوات وتنازع السلطان ، مع تعطيل لحدود الله والاعراض عن كتابه حيث تركت الفرائض وضيعت السنن ، وأوتى المنكر ، وأشيعت الفواحش وفسدت العقيدة ، وتدهورت الأخلاق .

وكان هلاكها بزوال سلطانها وذهاب ريحها وقوتها ، فعاشت دهراً من الزمن غير قصير مستعبدة مضطهدة ، ولما تخلصت من ربقة الاستعمار خرجت منه وهى مهيضة الجناح ، لا مال بيدها ولا سلاح ، تعيش تحت رحمة أعدائها إن منعوها الدواء قتلتها الأدواء ، وان حرموها مراكب السير عادت إلى ركوب الإبل والحمير.

وبتأمل هذه الحقيقة يتضح ما قلناه ، وقررناه من أن خطر الفسق والمعاصى على الحكومات والشعوب أشد من أى خطر من شأنه أن يسقط حكومة ، أو يديل دولة ، أو يبيد شعباً أو يهلك أمة .

وبناء على هذا فإن أعداء الحكومات والشعوب فى العالم الإسلامى هم فاسدو العقيدة من ملاحدة وخرافيين ، وأهل الفسق والمعاصى من معطلى الحدود، وتاركى الصلاة ومانعى الزكاة وشاربى الخمور وآكلى الربا ومعلنى الزنا . وهؤلاء هم الأعداء على الحقيقة لكل شعب مسلم وحكومة مسلمة وهم الذين يجب أن يحاربوا بلا هوادة حتى يفيئوا إلى امر الله ، وإلى دينه يرجعون ، وإلا فانهم يعرضون الأمة الإسلامية لأوخم العواقب وأشد الأخطار ، ومن أقرب ما سيحل بهم من خزى ودمار ذهاب الاستقلال ، والعودة من جديد الى الذل والاستعباد الذى عاشوه عشرات السنين ، وهذا أقل ما يمكن أن ينزل بهم من

العذاب ، والا فليس ببعيد أن يجتاحهم عدو الشرق كما اجتاح التركستان ، أو عدو الغرب كما اجتاح الاندلس الأسبان .

من أجل هذا قدمت هذه النصيحة لقسم كبير من المسلمين ،وهم المرابون من أصحاب المصارف والتجار ، وغيرهم ممن استمرأوا الربا واستحلوه فأصبحوا لا يتحرجون من أكله ، ولا التعامل به . قدمت لهم هذه الكلمة الصريحة كنصيحة، لعلهم يثوبون إلى رشدهم فيتوبون ، وبذلك يبعد خطر معاصيهم على أممهم وشعوبهم . فيسلم الكل وينجوا الجميع .

بسم الله الرحمن الرحيم

إعلان الحرب على المرابين

وبعد ؛ بناء على خطاب الله جل جلاله ، وعظم سلطانه ، والذى نصه بالحرف الواحد كما جاء فى كتابه المنزل على نبيه :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ .

وقد أُعلنت الحرب رسمياً بين الله ورسوله من جهة وبين أكلة الربا والمرابين من جهة أخرى . وقد دارت رحى الحرب بين الفريقين كأشد ما تكون ضراوة وقوة وعنفاً ، وها هم أولاء أعداء الله ورسوله يسقطون صرعى فى كل مكان . ففى كل عام تبلغ خسائرهم فى الأرواح وحدها آلاف الرجال لتنقل جثثهم الى حفر النار . غير أن هذه الطائفة المهزومة ما برحت توالى حربها غير آبهة بخسائرها الفادحة فى الأموال والأرواح فما انهزم لها جيش فى ساحات المعركة إلا وأعقبته جيشاً آخر يحارب بشدة وعنف حتى ينهزم كسالفه ثم يخلفه جيش آخر . وهكذا تتسابق جيوش الهزيمة الى حيث تلقى حتفها مجللة بالخزى والعار .

الوساطة لإنهاء الحرب

كثيرون هم أولئك الذين يتألمون لنتائج هذه الحرب المدمرة ،ولم يجرؤوا على أن يتوسطوا فى انهاء هذه الحرب ، ولو يدلون بها الى تلك الطائفة المغرورة بكثرة جيوشها ، والمتورطة بجهلها فى حرب خاسرة لا تكون نتائجها النهائية إلا القضاء المبرم على كل مراب من افرادها فى هذه الحياة وذلك لأنها حرب غير متكافئة ، حرب بين أضعف مخلوق ، وبين قوى قاهر، له فى كل أمر المنتهى ، أضحك وأبكى ، وأمات واحيا ، وأهلك عاداً الأولى ، وثمود فما أبقى ، وقوم نوح من قبل انهم كانوا أظلم وأطغى ،والمؤتفكة أهوى فغشاها من العذاب ما غشى . الله أكبر ما أعظمه ، وما أعز جانبه ، وما أقوى سلطانه ، أدال دولة الأكاسرة وأزال سلطان القياصرة ، فلا غالب إلا هو ، ولا صاحب جبروت على الحقيقة سواه ،

مغرور من يعاديه ومخدوع من يعلن الحرب عليه . فيا معشر المرابين لا تغرنكم البطون ولا تخدعنكم الظنون ، إنه من يلعب بالنار يحترق ، ومن يقاوم لجج الخضم يغرق فاربأوا بأنفسكم قبل ان تحل بكم نقمة ، أو ينزل بكم عذاب .

واعلموا انه لولا وشيجة رحم حواء التى جمعتنا بكم ، ورابطة آدم التى ربطت مصيرنا بمصيركم ،ولولا أخوة الإيمان ، وما أخذ علينا من عهد البيان لما بحثت لكم عن طريق نجاة ، ولا بذلت من أجلكم موعظة ولا عرض جاه ، غير أنا لذلك قدمنا موعظتنا ، ونبذل جاهنا آملين أن يكون لسعينا فى نجاتكم أثر محمود ، وعمل صالح غير مردود .

وها هى ذى موعظتنا : فتصوروا معنا فداحة الجرم ، وقبح وفظاعة الذنب ، ثم خذوا مقاعدكم أمام هذه الشاشة البيضاء لتشاهدوا بأم أعينكم بشاعة ما أقدمتم عليه ، وجسامة ما تورطتم فيه ؛ فلعل ذلك يكون سبباً لتوبتكم ، وبالتالى عاملاً لنجاتكم إن شاء الله تعالى .

قال تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف ، وأمره إلى الله، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ . فانظروا إلى صورة المرابين عندما يقومون من قبورهم : بطونهم بين أيديهم ملأى بالحيات ، وهى كالخيام المضروبة عليهم ،وضآلة أجسامهم فى دقة أصابعهم ، ودقة عروقهم ، يقومون ويقعدون، ويحاولون النهوض فلا يستطيعون، يضربون رؤوسهم على صخور فلوسهم ، يتخبطون فى مشيهم ، وهم فى طريقهم إلى سجن (بولص) كأنهم مجانين أو سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد .

والآن فليخبرنا المرابون هل تأثروا بهذا المنظر المخيف المفزع فزالت من قلوبهم قساوتها ، ومن على أبصارهم غشاوتها ؟ أو لم يتأثروا فهم كما كانوا فنزيح لهم الستار عن منظر آخر هو أكبر هولاً وأشد فظاعة .

وإليهم هذا المنظر الآخر : روى البخارى فى صحيحه عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ :

« رأيت الليلة رجلين أتيانى ، فأخرجانى إلى أرض مقدسة ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذى فى النهر ، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فردّه حيث كان. فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان . فقلت ما هذا الذى رأيته فى النهر ؟ قال آكل الربا » .

لاشك ان المنظر مهيل للغاية ، ومفزع الى حد كبير ، وأنه من الوضوح والبيان بحيث لا يحتاج الى تعليق أو تعقيب ، ومع هذا فإننا زيادة فى الإيضاح ومبالغة فى البيان .

نقول أمامكم أيها المرابون نهر من دم أحمر عبيط ، نهر كبير فليس ببركة ولا حوض صغير ، وها هو ذا آكل الربا يغمس فيه ، وكلما حاول الخروج منه ردّ إليه، يلقم حجراً فى فيه ليعود إلى قعره ، فيظل طافياً على سطحه ، راسباً فى قعره حتى إذا بلغ به الجهد والاعياء حاول الفرار وطلب الخلاص ، ولكن ذلك العملاق المرصد له والمعد لعذابه ، لا يزال يلقمه الحجر ويضطره إلى الانغماس فى النهر وذلك جزاء المرابين آلاف السنين وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين .

لعنة الرسول لآكل الربا

لا يعجبن المرابى من قساوة الحكم عليه ؛ فإنه لُعن على لسان نبينا محمد ﷺ ومن يلعن بلسان سلطان الأنبياء وإمام المرسلين لن يفلح أبداً . وكل عذاب يعذّبه آكل الربا قليل بالنسبة الى جرمه وعظيم ذنبه ، فمن أظلم ممن حارب الله ورسول الله ؟ روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه . وقال : هم سواء »!

حرمان آكل الربا من نعيم الجنة

روى الحاكم بسند قال : صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :« أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ، ولا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر ــ وآكل الربا ــ وآكل مال اليتيم ــ والعاق لوالديه ».

فظاعة جرم آكل الربا

الفاحشة ممقوتة بالفطرة ، ومجرمة بالشرع ، والزنا أقبح الفواحش ، يدلك

على ذلك الموتة الشنيعة البشعة التى قضى الله أن يموت بها وهى الرمى بالحجارة حتى الموت . ومع هذا فان فاحشة آكل الربا أعظم من فاحشة الزنا وهذا بيان ذلك :

روى البغوى وابن أبى الدنيا وغيرهما عن عبد الله بن سلام موقوفاً عليه ، وسنده إليه صحيح قال: الربا اثنان وسبعون حوباً (إثما) أصغرها حوباً كمن أتى أمه (وقع عليها) فى الإسلام ، ودرهم من الربا أشد من بضع وثلاثين زنية وأخرج الحاكم وقال : صحيح الإسناد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل ان ينكح الرجل أمه .

بشارة ساخرة وتهكم بأكلة الربا عجيب

روى الطبرانى بسند قال المنذرى : لا بأس به أن عبد الله بن ابى أوفى رضى الله عنه ، وقف يوماً فى سوق الصيارفة ، وقال : يا معشر الصيارفة أبشروا ! ! قالوا : بشّرك الله بالجنة ، بم تبشّرنا يا أبا محمد ؟قال : قال رسول الله ﷺ : « أبشروا بالنار » !

قد يعتذرون

قد يعتذر المرابون بجهلهم للمعاملات الرباوية ، وعدم معرفتهم بضروب الربا وصوره المختلفة ، ومن أجل ذلك نضع امامهم هذه الصور المتعددة لأنواع من المعاملات الرباوية المحرمة :

الصورة الأولى : بيع الربوى بجنسه نسيئة

المراد من لفظ الربوى: البضاعة التى يدخلها الربا ، وذلك كالذهب ، والفضة، والطعام من مكيل مدخر، ومقتات موزون .

والمراد من لفظة النسيئة ، هو تأخير أحد النقدين ، أو الطعامين وقت عقد البيع وتسلم المبيع .

وبيان ذلك : أن يشترى المرء ذهباً بذهب ، أو فضة بفضة، أوبراً ببرّ ، أو تمراً بتمر مثلاً .فإنه يشترط لصحة هذه المعاملة وخلوها من الربا أن يتساوى المبيعان وزناً أو كيلاً ، وأن يجرى المبيع والتسليم فى مجلس واحد بحيث لا يكون أحد النقدين ، أو الطعامين حاضراً والآخر غائباً .

ودليل هذه الصورة قول الرسول ﷺ فى صحيح مسلم : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلاً بمثل ، سواء بسواء ، يداً بيد ».

فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد .

ووجه الشاهد من هذا الحديث فى قوله : مثلاً بمثل سواء بسواء يداً بيد. إذ أمر بتساوى النقدين ، أو الطعامين ، وأن يكون ذلك يداً بيد أى حاضراً فى المجلس .

الصورة الثانية : بيع ربوى بربوى من غير جنسه وأحد العوضين غائب

وبيانه: أن يبيع أحد ذهباً بفضة ، أو براً بتمر ، أو ملحاً بشعير مثلاً ؛ فإنه يشترط لخلو هذه المعاملة من الربا أن يكون البيع يداً بيد ، أى كل من السلعتين حاضر فى مجلس البيع ؛ فإن كان أحدهما غائباً ، والآخر حاضراً ، فسد البيع لأنه من الربا الحرام . ودليل هذه الصورة ما تقدم من حديث مسلم إذ جاء فيه قول الرسول ﷺ :« فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد». فلم يشترط سوى الحضور فى المجلس . أما التفاضل فجائز بحيث له أن يبيع كيلو ذهب بقنطار فضة ، أو وسقاً من تمر بصاع من بر ، مثلاً .

الصور الثالثة : بيع ربوى بجنسه متفاضلا

وذلك كأن يبيع أحد أُقة ذهب وزيادة أوقية مثلاً ، أو يبيع صاعاً من تمر بصاع من تمر وزيادة حفنة مثلاً ،أو وسقاً من بر بوسق وزيادة صاع أو اكثر أو أقل مثلاً. فهذه المعاملة ربوية لا تصح ودليلها قول الرسول ﷺ فى الصحيحين لبلال رضى الله عنه وقد جاءه بتمر برنى من أين هذا ؟ فقال بلال : كان عندنا تمر ردىء فبعت منه صاعين بصاع وأتيتك به لتطعم منه . فقال ﷺ : أواه ! عين الربا ، عين الربا؛ لا تفعل ؛ ولكن إذا أردت أن تشترى فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به .

ووجه الشاهد من الحديث قوله ﷺ : لا تفعل ، حيث لم يأذن له أن يشترى صاعاً من تمر بصاعين ، وقال : عين الربا . أى هذا هو الربا بعينه .

الصورة الرابعة : بيع ذهب بذهب ، أو فضة بفضة وأحد النقدين مجهول الكمية

وذلك كأن يشترى أحد من آخر سيفاً محلى بالذهب بذهب،أو آنية فضة بفضة،

ولم تعرف كمية الذهب التى حلّى بها السيف أو كمية الفضة فى الآنية ، فإن هذا البيع لا يجوز للجهل بمقدار الذهب المقابل للذهب ، أو الفضة المقابل للفضة ، إذ الجهل بالتساوى كالعلم بالتفاضل ، والشارع نهى عن بيع الجنس بمثله متفاضلاً .

ودليل هذه الصورة قول الرسول ﷺ لفضالة بن عبيد رضى الله عنه : «لا يباع حتى يفصل » وذلك ان فضالة كان قد اشترى قلادة يوم خيبر وفى القلادة ذهب وخرز ، ففصلها فوجد فيها ذهباً اكثر مما اشتراها به من الذهب ، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال : «لا يباع الذهب المختلط بغيره حتى يفصل » .

السورة الخامسة : بيع بيعتين فى بيعة

وبيان ذلك أن يقول التاجر للمشترى : بعتك هذه البضاعة بمائة ريال نقداً ، أو بمائة وخمسين إلى أجل .

ودليل هذه المسألة ما رواه أصحاب السنن أبو داود والترمذى وصححه وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى ﷺ قال : « من باع بيعتين فى بيعة فله أوكسهما ـ أى أقلهما ثمناً ـ أو الربا » .

وعللها مالك فى الموطأ بقوله : لأنه إن أخر المائة كانت مائة وخمسين ، وإن نقد المائة « دفعها » كان كأنما اشترى بها مائة وخمسين إلى أجل .

وقد فسرها الشافعى بغير هذا التفسير . كما رواه الترمذى فى جامعه .

والحقيقة أن آراء السلف قد اختلفت فى تحديد وجه بيع بيعتين فى بيعة ، وأحسن ما انتهوا اليه هو : إن المنع إذا قال التاجر خذ هذه بكذا نقداً ، أو بكذا إلى أجل ، ويفترقان وقد أخذ المشترى البضاعة ولم يعرف هل أخذ ذلك بالنقد ، أو إلى أجل . أما إذا عين المشترى فى المجلس أن ما أخذه أخذه نقداً أو نسيئة فلا كراهية .

والذى يدل عليه ظاهر الحديث وما فسره به مالك هو أن بيع سلعة واحدة بثمنين مختلفين من أجل التأخير لا يحسن ولا ينبغى . وخاصة إذا كانت الزيادة فاحشة كالربع أو الثلث أو النصف .

وقد فهم بعض أهل العلم هذا من الحديث ، ومالك قد لوّح له وأشار .

فليرجع إلى عبارته السابقة .

الصورة السادسة : بيع العينة

وذلك كأن يبيع رجل سلعة الى آخر بثمن إلى أجل ، ثم يشتريها منه نقداً بأقل مما باعها له ، ومثالها أن يبيعه قنطار سكر أو تمر بخمسين ريالاً إلى ستة أشهر ثم يشترى منه القنطار بأربعين ريالاً إلى ستة أشهر . وهو من ربا الجاهلية الحرام.

ودليل هذه المسألة ما رواه الدارقطنى عن عائشة رضى الله عنها : أنها قالت لأم ولد زيد بن أرقم : بئس ما اشتريت بئس ما اشتريت ، إن جهاده مع رسول الله ﷺ قد بطل إلا أن يتوب .

وذلك لما قالت لها : يا أم المؤمنين إنى بعت غلاماً من زيد بن أرقم بثمانمائة درهم نسيئة « إلى أجل » وإنى ابتعته « اشتريته » منه بستمائة نقداً .

الصورة السابعة : القرض بزيادة

وذلك كأن يقرض رجل آخر قرضاً مالاً ، أو طعاماً ، أو حيواناً ، ويشترط عليه إذا رد عليه قرضه زاده عليه شيئاً قليلاً كان أو كثيراً .

ودليل هذه الصورة ما رواه البخارى عن أبى بريدة ، قال : قدمت المدينة فلقيت عبد الله بن سلام رضى الله عنه فقال لى : إنك بأرض الربا فيها فاش (منتشر) فإذا كان لك على رجل حق فأهدى إليك حمل تبن ، أو حمل شعير ، أو حمل قت فلا تأخذه فإنه ربا .

الصورة الثامنة : بيع رطب خرصاً بيابس كيلاً

وذلك أن يكون للرجل نخلاً فيبيع غلته خرصاً بتمر يابس كيلاً أو يبيع كرمه (شجر العنب) خرصاً بعنب يابس (زبيباً) وزناً ، أو يبيع زرعاً لم يحصد خرصاً بزرع كيلاً ، وذلك من أجل أن الرطب قد ينقص بعد اليبس فيكون أقل مما أخذ من صاحبه ، وبيع طعام بطعام متفاضلاً ربا .

ودليل هذه الصورة ما جاء فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن المزابنة ، وهى أن يبيع ثمر حائطه (بستانه) إن كان نخلاً بتمر كيلاً ، وإن كان كرماً أن يبيعه بزبيب كيلاً ، وإن كان زرعاً أن يبيعه بكيل

طعام . نهى عن ذلك كله .

علة تحريم ربا الفضل

والعلة فى تحريم هذه الصور وجعلها من الربا المحرم هى أنها تؤدى إلى أن يأكل المسلم مال أخيه بغير حق ، والله يقول : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ .

ومن هنا نهى رسول الله ﷺ عن أنواع كثيرة من البيوعات التى من شأنها أن تؤدى إلى أكل أموال المسلم بالباطل أو تقضى إلى إثارة العداوة بين المسلمين ، ووجود الخصومات والمنازعات بينهم ، وذلك : كبيع السلعة قبل قبضها ، وبيع الغرر ، وبيع المحرم والنجس ، وبيع العربون ، وبيع النجشى ، وبيع المسلم على بيع المسلم وبيع ما ليس عنده ، فنهى عن ذلك ﷺ كله وحذّر منه ومنعه منعاً باتاً سداً لباب الباطل والشر .

ربا الجـاهليــة

ربا الجاهلية: هو ما كان شائعاً معمولاً به فى عهد الجاهلية قبل الإسلام ، وله صور سنوردها إن شاء الله صورة بعد صورة تعليماً وتحذيراً . والفرق بين ربا الجاهلية وربا الفضل المتقدم بصوره هو أن ربا الفضل يؤدى إلى الربا ، ويكون سبباً فى الوصول إليه وأما ربا الجاهلية فإنه هو عين الربا وذاته ، وها هى ذى بعض صوره :

الصورة الأولى :

أن يكون للمرء دين على آخر سواء كان بسبب اقتراض ، أو بيع تأجل ثمنه ، أو عمل تأخرت أجرته فيطالبه بسداد الدين فيظهر عجزه ، ويقول له : أخرنى مدة وزد علىّ قدراً معيناً كثلاثة فى المائة أو أكثر أو أقل ، فيرضى بذلك الدائن ويؤخره إلى أجل على أن يزيد عليه القدر الذى اتفقا عليه . وقد يحل الأجر الثانى ويجد المدين نفسه عاجزاً عن أصل الدّين والفائدة ، فيطلب التأجيل مرة أخرى بزيادة ، وهكذا حتى يصبح الربا أضعافاً مضاعفة ويصدق عليه قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها**

الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ، واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ .

الصورة الثانية :

أن يطلب أحد من آخر قرضاً إلى أجل معين فيعطيه على شرط أن يضيف إلى أصل القرض فائدة ربوية كائنين فى المائة أو أكثر أو أقل يسددها مع رأس المال ، أو بعده أو قبله .

الصورة الثالثة :

أن يعقد المرء صفقة تجارية كبيرة لا يتسع لها ما بيده من النقود فيتولى مصرف من المصارف دفع ما عجز عنه من الثمن على أن يأخذ المصرف فائدة معلومة مقابل الثمن الذى سدده عن التاجر حتى حصل على السلعة التى أرادها وقصر عنها رأس ماله .

الصورة الرابعة :

أن يشرع أحد فى تأسيس مصنع أو بناية (عمارة) أو منزل فيحتاج إلى قدر من المال فيلجأ إلى مصرف من المصارف (البنوك) فيشترى له ما هو فى حاجة إليه من حديد أو أخشاب أو غيرها بسعر السوق ويضيف إلى رأس المال الذى دفعه سلعة للمحتاج قدراً من المال كفائدة مقابل الانتظار الذى قد يحدد له مدة بسنة أو نصف أو أكثر أو أقل .

الصورة الخامسة :

أن يحتاج المرء إلى قدر من المال يتّجر به ، فيذهب إلى أحد المرابين فيأخذ منه ألفاً أو عشرة أى القدر الذى يمكنه أن يتّجر به ويربح ، على أن يعطيه فى كل شهر قدراً معلوماً من المال مقابل ما هو يتصرف بماله ويربح ، وفى النهاية يرد عليه كامل ما أخذ منه أول مرة بلا نقص .

الصورة السادسة :

أن يتوفر للمرء قدر من المال فيضعه فى أحد المصارف (البنوك) التى تتعامل بالربا مقابل أن يعطى سنوياً نسبة معينة كائنين فى المائة أو واحد ونصف مثلاً . ولماذا يعطيه المصرف هذا القدر فى حين أن على صاحب المال أن يدفع للمصرف

قدراً مقابل حماية ماله وحراسته ؟ والجواب : لأن المصرف يعطيه لآخر جاء يطلب قرضاً ربوياً فأخذه بنسبة واحد أو اثنين فى المائة ، ويعطيه لآخر بنسبة ستة فى المائة فيكسب من طريق الأخذ من هذا والدفع لهذا ثلاثة أو أربعة فى المائة ، وهو جالس على كرسيه !

الصورة السابعة :

أن تبيع سلعة بثمن يزيد على سعر يومها ، تبيعها إلى أجل ، ثم تدفع سند الدين إلى البنك ، لتأخذ قيمة البضاعة الأصلية من المصرف (البنك) ، وهو يأخذ فائدة التأخير مقابل انتظار حلول الأجل المضروب لتسديد الدين فتكون بذلك قد توسطت للبنك فى الحصول على معاملة رباوية كسب من خلالها مالاً حراماً وأنت فيها بمثابة مخلب القط ، والعياذ بالله تعالى من شفاعة سيئة كهذه .

مضار ربا الجاهلية

لربا الجاهلية الذى تقدمت بعض صوره أضرار كبيرة ، ومفاسد خطيرة تضر بالفرد والمجتمع نشير إلى بعضها فى الأسطر التالية :

١ ــ تدسية نفس آكل الربا ، لأن أكل الربا إثم يدسى النفس ، ويحول دون طهارتها وزكائها .

٢ ــ التوصل إلى أكل أموال الناس بالباطل ، وذلك محرم بقول الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾** .

٣ ــ حرمان المسلم من استثمار ماله وتنميته بواسطة الكسب الشريف ، الخالى من الاحتيال والغش ، والبعيد عن كل ما يجلب المشاقة بين المسلمين ، ويورث العداوة والبغضاء بينهم ، وذلك كاستثمار بالتجارة والزراعة والصناعة .

٤ ــ فتح الطرق المفضية بالمسلم إلى عداوة أخيه المسلم وبغضه وكراهيته .

٥ ــ إغلاق أبواب البر والإحسان فى وجه المسلم حتى لا يتزود لآخرته فيقرض أخاه المسلم بلا فائدة ، ويداينه أو ينتظر ميسرته وييسّر عليه ويرحمه ابتغاء مرضاة الله تعالى ، فتشيع المودة بين المسلمين ، وتتوفر روح الإخاء والتصافى بينهم .

٦ ــ تجمُّع الأموال فى خزائن المرابين وتجميدها ، وفى ذلك مفسدة اقتصادية عظيمة أشار إليهــا القرآن فى قول الله تعالى : ﴿ **كيلا يكون دُولة** « متداولاً » **بين الأغنياء منكم** ﴾ .

٧ ــ إشاعة الـفقر وانتشاره بـين الطبقات الفقـيرة والمتوسطة ، إذ الـفقير لا يمكنه أن يحصل على حاجته غالباً إلا من طريق القرض والاستدانة ، فإذا كان كل ما يشتريه من حاجات إنما يشتريه بـأسعار زائدة ، لأن من يقرضه يقرضه بفائدة ، ومن يبعه سـلعة إلى أجل يزيد فى سعـرها اليومى نسبة الربـع والثلث أدى ذلك حتماً إلى ازدياد فقره واشتداد فاقته ، والله المستعان .

الى السلم

يا أيها المرابـون ادخلوا فى السلم كافـة ، ولا يغرَّنكم الشيطـان إنه لكم عدو مبين . واعلموا أن الله تعالـى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء الـنهار ، ويبسط يده بالنـهار ليتـوب مسىء اللـيل . وإنه قال لـرسول الله ﷺ : ﴿ **وإذا جاءك الـذين يؤمنون بآياتـنا فقل سلام عليكم كتب ربـكم على نفسه الرحمة أنه مـن عمل منكم سوءاً بجهالة ، ثم تاب من بعـده وأصلح فأنه غفور رحيم** ﴾ . كما أمره وأمر الله مطاع أن يقول لـلمسرفين على أنفسهـم أمثالكم : ﴿ **يا عبادى الذيـن أسرفوا على أنفـسهم لا تقـنطوا مـن رحمة الله ، إن الله يغـفر الذنوب جـميعـاً ، إنه هو الغـفور الرحيم**﴾ . فيا معشر المرابين أنيبوا إلى ربكـم وأسلموا له وجوهكم وأموالكم من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واقبـلوا عرض الله عز وجل لكم بالتوبة اليه قبل فوات فرصة العمر ، أو انقضاء فترة الإمهـال القصيرة ويكفيكم عظة وعبرة ما حل بساحة أمثالكم من عذاب ، وما نزل بهم من خزى وعار وشنار !

وإليكم صورة العرض الكريم الذى قدّمت إليكم من ربكم العزيز الرحيم :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

وان قلـتم كيف نـصنع بـأموالنا الـتى بأيـدى الناس ، وهى آلاف الـريالات وملايـينهـا ؟ أنتركـها كلـها ونمسـى فقـراء نتكـفف النـاس ، أم هل لنـا من إذن باستردادها ، أو بعضاً منها من أيدى المدينين ثم ننهى بعدها كل المعاملات الربوية ، أو ماذا نصنع أيـها الوسيط ؟ بيِّن لنا طريـق السلامة الذى نسلكه لـنخرج من هذه

الورطة التى أوقعنا فيها حب العاجلة ونسيان الدار الآخرة .

لقد أحسنتم أيها المرابون حيث استجبتم لنداء ربكم ، وأذعنتم لصوت الحق الذى يناديكم ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

وهاكم بياناً بالخطوات التى يجب عليكم اتباعها للخروج من ورطتكم ، والنجاة بأنفسكم إن كنتم صادقين :

فأولا : أن تعلنوا فى صدق عن استعدادكم لإلغاء جميع المعاملات الربوية كيفما كان أثرها على اقتصادكم وعلى أموالكم .

وثانياً : أن تعلموا أن جميع الأموال التى بأيديكم فى الخزائن أو المصارف والبنوك هى لكم وحلالكم ، وليس بمحرمة عليكم ولو كانت ملايين الجنيهات أو الدولارات والريالات ،وذلك لقول الله تعالى : ﴿ **فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ،ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ .

ففى هذا البيان الإلهى الكريم إذنٌ صريح لكم بأن ما بأيديكم من أموال هى لكم لا تطالبون بإرجاعها إلى أصحابها ، ولا بالخروج منها إلا أن تتصدقوا فذلك خير لكم ، ولن يتركم الله من اعمالكم شيئاً .

وثالثاً : الأموال التى هى بأيدى المدينين اليوم لكم منها رؤوس أموالكم التى أقرضتموها بفائدة للمدينين ، ترد إليكم كاملة غير منقوصة ، أما الفوائد الربوية فإنها تسقط كلها ، ولا حق لكم فى المطالبة بقرش منها ولا فلس ، فإنها موضوعة عن أصحابها . يقول ﴿ **وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتَظلِمون ولا تُظلَمون** ﴾ . ويقول الرسول ﷺ : « ألا إن ربا الجاهلية موضوع عنكم كله ، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وأول ربا موضوع أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب » .

ورابعاً : إن هناك من المدينين من لم يقدر على سداد ما بذمته لكم من رأس مال أسلفتموه له ، فإنه يتعين عليكم انتظاره إلى أن تتيسر حاله ويصبح يملك ما يسدد به لكم ما عليه من ديون ، وهذا دون الفوائد الربوية إذ عرفتم إنها موضوعة تماماً فلا حق لكم بطلبتها لا من الموسر ولا من المعسر .

وخامساً : من الخير لكم ، ومما يصحح موقفكم مع ربكم عز وجل أن

تتصدقوا بالتنازل عن بعض رؤوس أموالكم التى هى عند بعض المعسرين الذين لم يجدوا سداداً يسددون به لكم ، وخاصة أولئك الذين عرفتم من حالهم أنه ليس فى الإمكان قدرتهم على دفع ما لكم عليهم لعجزهم وفقرهم الذى لا تشكون فيه. هذا وإليكم نص البيان الإلهى المشتمل على كل الخطوات التى أسلفتها لكم:

قال الله جل جلاله وعز سلطانه : ﴿ **وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدّقوا خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ .

إنجاز وعد

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وإله الأولين والآخرين . والصلاة والسلام على محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أللهم إنك قلت وقولك الحق : ادعونى أستحب لكم ؛ وإنى أدعوك يا ألله لعبادك الذين تابوا إليك واتبعوا سبيلك أن تغفر لهم ما فرط من ذنوبهم وأن تكفر عنهم ما سلف من سيئات أعمالهم .

أللهم إنهم عبيدك خرجوا بفتنة عدوّك وعدوّهم عن طاعتك ، وقد أنابوا وأسلموا لك فاعف عنهم ، وارزقهم من فضلك ، واغنهم عمن سواك .

أللهم إنهم قد وجهوا إليك وجوههم ، ووضعوا بين يديك جميع أمورهم ؛ فكما حكمت عليهم بترك فوائد أموالهم الرباوية فتركوها إيماناً بك ، وطاعة لجنابك ، فاقض اللهم لهم بخير ما تقضى به لعبادك المؤمنين الصالحين ، فعوضهم من المال أكثر مما فقدوا ، وارزقهم من حيث احتسبوا ولم يحتسبوا ، إنى جئتك شافعاً لهم فاقبل شفاعتى ،ولا تخزنى يارب فيهم .

اَللهم إنك قلت وقولك الحق : ﴿ **من يشفع شفاعة حسنة** ﴾؛ وقد سألتك شافعاً لهؤلاء العبيد التائبين فاعطنى ما تعطيهم من واسع فضلك ،واغفر لى حوبى وخطاياى واسرافى فى امرى ، وارض عنى وعنهم ، واجبرنى فى واجرهم إنك الجبار والواحد القهار ، رب العالمين وأرحم الراحمين . وصلّ اللهم على خيرتك من خلقك ، وصفوة أنبيائك ورسلك نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

طريق الثروة ، وسبيل المجد

اعلموا أيها التائبون أن ربكم غنى ذو رحمة ، لا يريد ـ أبداً ـ بتحريم الربا عنكم التضييق عليكم ولا حرمانكم من أن تكونوا أرباب أموال طائلة ، أو ثروات هائلة ؛ فإنَّه جلت قدرته لا يوصد (يغلق) فى وجه عبده باباً من أبواب الشر ، الا ويفتح له أبواباً من أبواب الخير .

وإليكم طرقاً من أبواب الخير والثروة والغنى التى فتح الله فى وجوهكم مقابل باب الربا الذى أغلقه عنكم رحمة بكم وتجنيبا لكم من أسباب البوار والهلاك .

الباب الأول

التجارة

هذا الباب من أوسع أبواب الخير ، وأكثرها خيراً وبركة فقد روى الترمذى والحاكم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « التاجر الأمين الصدوق المسلم مع النَّبيِّين والصديقين والشهداء يوم القيامة » وروى الحاكم وابن ماجه بإسناد صحيح: « التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة ».

وقد ذكر تعالى التجارة فى مواضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم** ﴾ وقوله: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة** ﴾ الآية .وقوله: ﴿ **وأحل الله البيع وحرم الربا**﴾ وقوله: ﴿ **وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله** ﴾ وقوله: ﴿**فليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم** ﴾ .

فالتجارة إذاً طريق من طرق الكسب والحصول على الثروة والمال بإذن الله تعالى فما يمنعكم أيها التائبون أن تلجوا هذا الباب بصدق وتتّجروا وتربحوا ، وميادين التجارة اليوم كقبل اليوم ميادين كثيرة واسعة ، وإن قلت رؤوس أموالكم وقصرت عن كبير التجارة فاكتفوا بالمتيسر القليل منها والقناعة غنى كبير ، أو أضيفوا إلى ما عندكم من أموال اخوانكم بالشراكة أو القراض والمضاربة ما يعظم به رأس مالكم وتقدرون معه على أكبر التجارات وأوسعها .

الباب الثانى

الصناعة

الصناعة أيها التائبون باب من أبواب الرزق واسع ، وطريق من طرق الحصول على الاموال ، وإيجاد الثروات الكبيرة ، فالصناعات المختلفة ليست طريق الثروة فحسب بل هى سبيل المجد والشرف فهل نهضت أمم الغرب من كبوتها ، وارتفعت من سقطتها وسفولها الذى دام قروناً ثم سيطرت على أمم العالم بغير الصناعة ، الصناعة التى بدأت بالفأس والمحراث حتى وصلت إلى الغواصات ، والطائرات ، والصواريخ عابرة القارات ؟؟

وهل قعد بالمسلمين ، وتركهم يعدّون من مناطق النفوذ سوى تأخرهم فى باب الانتاج الصناعى ؟ مع أن كتابهم يذكرهم بالصناعات وأهميتها .

﴿ **وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم** ﴾،﴿ **آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً ، قال آتونى أفرغ عليه قطراً** ﴾ ﴿ **وألنّا لهُ الحديد أن اعمل سابغات وقدّر فى السرد** ﴾ ﴿ **وحملناه على ذات ألواح ودسر** ﴾،﴿ **ويصنع الفلك** ﴾ قد تقولون هذا صحيح ، ولكن الصناعات تحتاج إلى رؤوس أموال كبيرة ، ومن أين لنا ذلك ؟

والجواب ليس من الشرط فى وجود صناعة ما أن تبدأ من أول يوم صناعة كبيرة ، كما أن التعاون بين المسلمين واجب ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ فأى مانع أن يشترك عشرات الإخوان المؤمنين فى إنشاء أية صناعة ولو بصورة مصغرة ثم تتطور حسب سنة الله فى تطور الأشياء ، حتى تصبح صناعة ثقيلة وكبيرة بعد أن كانت خفيفة صغيرة ، فهل مصانع (فورد) أو (رينو) للسيارات بدأت من أول يوم بتشغيل خمسين ألف عامل ، وانتاج ألف سيارة فى اليوم ؟

والجواب لا ، أبداً ، إنما بدأت بنفر قليل من العمال وبانتاج سيارة فى شهر أو أكثر وفى صورة حقيرة . هذا مع العلم أن المسلمين لا اختيار لهم فى هذا الشأن فإن الصناعات ووجودها بين المسلمين من الفروض الشرعية الكفائية فأمّا

جماعة توفق للقيام بهذا الواجب تكون قد اكتسبت شرفاً ، وأثلت مجداً تعيش تفاخر به مئات السنين فالى الصناعة أيها التائبون فإنها طريق الثروة وسبيل المجد !

الباب الثالث

الفلاحة

إن الفلاحة ، أو الزراعة لا تقل أهمية ـــ أيها التائبون عن الصناعة والتجارة فى توفير الأموال ، وجمع الثروات بل هى أعظم أجراً روى البخارى فى صحيحه عن النبى ﷺ قوله: « ما من مسلم يغرس غرساً ، أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير ، أو إنسان ، أو بهيمة إلا كان له به صدقة» . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول :التمسوا الرزق من خبايا الأرض ، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة !!

وما قلناه فى الصناعة والتجارة من ضرورة اشتراك جماعة فى تكوين رأسمال يكفى للنهوض بمشروع صناعى ، أو تجارة كبيرة ويغل لأهله المال الكثير ، فقوله فى الزراعة أيضاً ، فإذا ما أردنا فلاحة ذات بال تنفع البلاد والعباد ، وتحقق لأصحابها الأموال الطائلة ، فلا بد من تحقيق مبدأ التعاون المأمور به فى كتاب الله عز وجل :﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ فيشترك جماعة باقدار مالية متساوية ولو بلغ عدد المشتركين عشرات الإخوان ، وينشئون حقولاً ومزارع تعاونية يشغلون فيها مئات الإخوان العاطلين ويعيشون عشرات الأسر من اخوانهم المؤمنين وفى نفس الوقت يكتسبون الثروات المالية التي يريدون .

وعلى سبيل المثال من جهة ،ومن باب لفت النظر من جهة أخرى ، أقول:إن الأرض البور الموجودة فيما بين (المفرق) الى مستورة ـــ وما بين مستورة الى رابغ الي جدة ، وما بين جدة الى مكة المكرمة ، كل هذه الأراضى الطيبة صالحة للزراعة ، وأنواعها المختلفة ، نظر اليها مرة أحد الفلاحين الحذاق ، وقال لى بالحرف الواحد ، لو تزرع هذه الأرض (بطراف) بقلة معرمة يصنع منها السكر لأنتجت ما يكفى لأن يسد حاجة السعودية من السكر ويزيد .

وأنا أقول أيها التائبون لو أنكم تجمعون رأسمال لا يزيد على مائة مليون ريال فقط ، لو يسهم فى جمعه كافة أغنياء المملكة ، وما أكثرهم فى هذا العهد ! لأمن

إنشاء ستين قرية عصرية نموذجية فى هذه الأرض البور التى سبق أن ذكرنا .

وبحساب الأرقام التى لا تكذب بقول : لنفرض أن القرية تتكون من واحد وعشرين منزلاً من بينها مسجد ، ودكان بقالة ، ومستوصف صحى يتكون المنزل من (مخزنين) وحسب العمل الجارى أن تكاليف المخزنين تبلغ خمسة عشر ألف ريال ، وعليه فمجموع تكاليف مبانى القرية ثلثمائة وخمسة عشر ألف ريال ، يضاف إليها حفر عشر آبار ، وشراء عشر مكائن لسحب الماء ، ومحراث آلى وبعض الأدوات الزراعية الخفيفة بمبلغ خمسة وثمانين ألف ريال فيصبح الجميع أربعمائة ألف ريال ، تكاليف القرية الواحدة بحقولها الزراعية الموزعة على ثمانية عشر فلاحاً . وعليه فالستون قرية عصرية لم تزد تكاليف إنشائها على أربعة وعشرين مليون ريال فقط . وإذا أضفنا إليها ستين قرية أخرى ، أصبح عدد القرى مائة وعشرين قرية بتكاليف هى ثمانية وأربعون مليون ريال لا غير ويبقى لدينا رصيد قدره اثنان وخمسون مليون ريال قد يكفى لإدارة تلك المزارع خمس سنوات حتى تصبح تغل وتنتج ما يوفر خمسين مليوناً سنوياً أو أكثر من هذا ، ومن الناحية (السكلوجية) أو النفسية ، أى صاحب ضمير حى فى صدر امرئ مؤمن يمر بطريق الحرمين ذاهباً أو آتياً فيجد عن يمين طريقه ، وشماله قرى عصرية بتخطيطها المنظم البديع وحقولها المكتنفة لها ، وكلها خضرة وماء وظلال ، فلا يقطع خمسة وعشرين كيلو حتى يمر بقرية من الطراز العصرى الجميل ثم لا ينثلج صدره غبطة وسروراً ، ويدعو للمنشئين والقائمين عليها بكل خير وبركة وبالتالى كيف لا يعترف بإيمان وحيوية وقدرة ومجد شعب وحكومة تحدث فى صحراء قاحلة هذه المعجزات ؟؟

وأخيراً فهل لكم أيها التائبون فى هذا الخير ؟ هل لكم فى هذا المجد والشرف هل لكم فى أن تضعوا أموالكم التى جمعتموها فى غالبها من الربا الحرام فى هذا الكوثر لتطيب وتطهر ، وتنمو صالحة وتكثر فهلا تقبلون هذه النصيحة فتفوزوا بشرف الدنيا ومجدها ، وسعادة الآخرة وكرامتها !! إن الأمر الى الله ، ثم اليكم وما أنا عليكم بحفيظ .

الباب الرابع

المصارف أو البنوك

والمصارف أيها التائبون من خير مصادر الثروة ، وطرق جلب المال الكثير ، متى وضعت على أساس إسلامى ، سليم ، خال من كل المعاملات الربوية فى الإسلام .

إنه من السهل أن ينشئ أهل القرية ، أو الحى فى المدينة مصرفاً يشارك فيه كل فرد بما لديه من مال متوفر زائد عن حاجته ، وتكون مهمة المصرف مايلى :

١ ــ قبول الودائع المالية النقدية ، وغيرها من السبائك والأشياء الثمينة .

٢ ــ تحويل العملة من نقد إلى نقد ، ومن بلد إلى بلد مقابل أجرة معلومة يقررها المصرف ،حسب الخدمة التى يقوم بها بواسطة السندات ، وغيرها

٣ ــ القرض الحسن الخالى من أى منفعة تعود على المصرف من المستقرض ، على أن يستوثق المصرف برهن صحيح يكفى الدين ويزيد . ولمدة محددة لا تخلّ بسير المصرف .

٤ ــ أصحاب الودائع يخيرون بين أن تستثمر أموالهم فى أعمال المصرف التجارية والصناعية والزراعية ، ويكون لهم من الربح بقدرها ، وعليهم من الخسران بمثلها على أساس الشركات أو المضاربة ، وبين أن تحفظ لهم ودائعهم مضمونة لهم ، متى أرادوها أو بعضها سلمت لهم ، على أن يأذنوا بطيب نفس للمصرف أن يستعملها مع جملة أمواله فى أموال المصرف ومشاريعه الإنمائية لأنه من غير المستحسن أن تبقى الأموال مخزونة بدون استثمارها والانتفاع بها . يقول الله تعالى: ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى**﴾ ، والرسول ﷺ يقول :«من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه »رواه مسلم .

٥ ــ يستثمر المصرف أمواله فى كل مشروع يرى فيه تحقيق أرباح ولو قلت . وذلك كالمقاولات المعمارية ، وإنشاء بعض المصانع المربحة النافعة ، وكالتجارات

المختلفة والمساهمة فى ضروب من الفلاحة وأصناف من الزراعة المغلة المنتجة .

٦ ــ التوسط للتجار والفلاحين والزراعيين وأرباب الصناعات الخفيفة لدى الشركات العالمية المختلفة فى جلب ما يحتاجون إليه بأثمان رخيصة بعيدة عن احتكارات بعض التجار النهمين الجشعين على أن يأخذ المصرف مقابل ذلك ربحاً بسيطاً مقابل عقد الصفقات وتقديم رأس ماله . واحضار السلعة للمستهلك من تاجر وفلاح وصانع .

أيها التائبون إن مصرفاً كهذا يقوم على أساس الخير والتعاون عليه لا يمكن أن تكون عواقبه غير حميدة ، ولا نتائجه فى الدنيا ولا فى الآخرة غير طيبة ولا مرضية ، وجربوا فإن التجربة أكبر برهان كما يقولون .

كلمة أخيرة

أيها التائبون لقد أرانى بالغت فى نصحكم ، وبذلت أقصى ما أملكه فى توجيهكم إلى ما فيه خيركم وسعادتكم ولم يكن لى من غرض أريده وأعمل عليه سوى إصلاحكم وهدايتكم . فمن أخذ الله بيده ، وانتشله من وهدته ، فتاب عليه وهداه ، وقاده إلى سبيل رضاه وأصبح يشعر بغبطة الرضا، ونعمة الهدى فليخبرنى لاهنئ نفسى واهنئه ، ولأحمد الله تعالى لى ، وإليه ، وليكن ذلك جزائى منه ، وإنى به لقانع . ومن تفضل على بجملة دعاء ، أو كلمة استغفار فإن له من الله ربى مثل ما دعا لى به . ومن يرحم يُرحم ، ومن يغفر يُغفر له.

والحمد والشكر لله ولى الإنعام ، والصلاة والسلام على محمد هادى الأنام وآله وصحبه الكرام .

الرِّسَالَة الثَالِثَة عَشَرَة

الجنّة دَار الأبرار

والطريق الموصل إليها

المقدمـــة

بسم الله ،والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه .

وبعد : فهذه كلمة قصيرة القيتها محاضرة بنادى أحد بالمدينة المنورة فاستحسنها الحاضرون وألح علىَّ بعضهم فى طبعها ونشرها بين الإخوان المسلمين فأجبتهم لذلك تحقيقاً لرغبتهم وأملاً فى أن ينفع الله بها من يقرأها كمن سمعها حقق الله ذلك آمين .

هذه هى الجنة دار السلام

يا وفد الرحمن .

هذه النوق البيض فامتطوها .

كأنى بهم وقد قاموا من قبورهم غير مذعورين ، ولا خائفين ﴿ **لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وتتلقاهم الملائكة : هذا يومكم الذى كنتم توعدون** ﴾ .

أقسم رسول الله يوما فقال ﷺ: «والذى نفسى بيده : إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة ، عليها رحال الذهب ، شراك نعالهم نور يتلألأ ، كل خطوة منها مثل مد البصر . وينتهون إلى باب الجنة » !

وفى القرآن الكريم: ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً** ﴾،﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾ .

يا لسعة الدار ! !

ما أوسع دار السلام ! وما أطيب ريحها !

أما عرضها فكعرض السماء والأرض وأما ريحها فيوجد من مسيرة مائة عام ففى الكتاب الكريم: ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله** ﴾ وفى الحديث الشريف: « فإنّ ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام » .

هذه الأبواب أيها الوافدون فادخلوها ! !

إن لدار المتقين ثمانية أبواب ، ما بين مصراعى كل باب مسيرة أربعين سنة ، والله ليأتين عليها يوم وهى كظيظ من الزحام .

علمنا أن أحد هذه الأبواب يسمى الريان وهو باب خاص بأهل الصيام .

وعلمنا أيضاً أن حلق هذه الأبواب من ياقوت أحمر على صفائح من ذهب .

روى مسلم فى صحيحه عن النبى ﷺ قوله: « إن ما بين مصراعين من

مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة وليأتين عليها يوم وهى كظيظ من الزحام »
وقال مرة ﷺ وهو يتحدث عن وفد الرحمن : « وينتهون الى باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب ».

ماذا عند باب الجنة ؟

عند باب الجنة مباشرة على يمين الداخل أو شماله ، أو أمامه شجرة عظيمة ينبع من أصلها عينان أعدت إحداهما لشرب الداخلين ، والأخرى لاغتسالهم فيشربون من الأولى لتجرى نضرة النعيم فى وجوههم فلا ييأسون أبداً ، ويغتسلون من الثانية فلا تشعث أشعارهم أبداً .

وفى القرآن الكريم: ﴿ **وحلُّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً** ﴾ .

وفى الحديث الشريف يقول الرسول ﷺ:« عند باب الجنة شجرة ينبع من أصلها عينان فإذا شربوا من إحداهما جرت فى وجوههم نضرة النعيم ،وإذا شربوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم ابداً » .

مع أفواج الداخلين

نترك يا أخى القارئ الآن الكلمة للرسول ﷺ يحدثنا عن افواج الداخلين فاسمع له يقول:« إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتمخطون ، ولا يتفلون . أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة . أزواجهم الحور العين . أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً فى السماء» .

وكيف يستقبلون ؟

هذا وفد الرحمن يا رضوان فاستقبله !

ما إن تطأ أقدامهم أبواب الجنة حتى يستقبلهم بالتهنئة والسلام جموع الملائكة الطاهرين ، وفى مقدمتهم رضوان خازن الجنان .

قال الله تعالى :﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، وقالوا**

الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ .

ماذا فى القصور ؟

الله أكبر الله أكبر ؟

من الذى يقوى على وصف قصورهم ، أو يحسن التعبير عن نعيمهم وسرورهم ، والله مكرمهم ومنعمهم يقول : ﴿ **وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً ، عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق ، وحلُّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً** ﴾ .

إن النبى ﷺ يا أخى القارئ وحده يمكنه أن يحدثنا بعض الحديث عن تلك القصور ، وما حوت من النعيم المقيم ،فلنستمع إليه فى هذا الحديث المقتضب القصير . من حديث له مسهب طويل هذا آخر رجل يدخل الجنة يقول: يا رب ألحقنى بالناس . فيقول : الحق بالناس ، فينطلق يرمل فى الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجداً ، فيقال له : ارفع رأسك مالك ؟ فيقول رأيت ربى ! فيقال له : إنما هو منزل من منازلك ، ثم يلقى رجلاً فيتهيأ للسجود له . فيقال له : مه ! ! فيقول : رأيت أنك ملك من الملائكة . فيقول له : إنما أنا خازن من خزانك ، وعبد من عبيدك ، فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر ، وهو من درة مجوفة سقافها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها ، تستقبله جوهرة خضراء مبطنة ، كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى فى كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها ، كبدها مرآته ، وكبده مرآتها ، إذا أعرض عنها إعراضةً ازدادت فى عينه سبعين ضعفاً ، فيقال له أشرف فيشرف ، فيقال له : ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصرك .

الهدايا والتحف

وإذا ضمت وفد الرحمن القصور،وانتهوا إلى نعيم غمرهم بالسرور والحبور، توافدت عليهم جموع الملائكة المهنئة لهم ، وهى تحمل أجمل التحف وأحسن الهدايا ، وتقول : ﴿ **سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار** ﴾ .

يا لتفاوت الدرجات ؟

سبحان الله ما أعظم تفاوت درجات القوم وما أبعد ما بين قصورهم ومنازلهم تبعاً لكمال إيمانهم فى الدنيا وكثرة أعمالهم الصالحة فيها .

روى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال : «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الدرى الغابر فى الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم »، قالوا يا رسول الله : تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ،«قال بلى ، والذى نفسى بيده (١) رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» .

نظرة على أرض الجنة ؟

ما تظن يا أخى . فى أرض الجنة ؟ هل هى من تراب أبيض أو أحمر ، وهل حصباؤها من حجارة ملونة جميلة ، وهل جدران مبانيها من لبن فى غاية الحسن والجمال ، وهل الطين الذى يوضع بين اللبنات لرصفها وإحكامها من مزيج الرمل الأبيض والأسمنت الأزرق الناعم .

اعلم يا أخى القارئ أنه لا يستطيع أحد أن يجيبك عن تساؤلاتك هذه إلا من شاهد الجنة وعاش فيها ساعة كرسول الله ﷺ .

وها هم أولاء أصحابه يسألونه عنها ويقولون : حدثنا يا رسول الله عن الجنة ما بناؤها ؟ كما روى ذلك أحمد والترمذى فيقول : « لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها (الطين) المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » .

إلى جنة عدن ؟

جنة عدن ، وما ادراك ما جنة عدن ، دار كرامة اولياء الله ، ومنزل الأبرار منهم .

ما بالك يا أخى بدار بناها الله ، وبستان غرسه الله ، وبنعيم أعده الله لمن أطاعه وما عصاه .

---

(١) هذا كقوله تعالى : ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ .

ولا يشفى صدرك يا أخى ، بالحديث عنها سوى رسول الله ﷺ فاسمع إليه وهو يقول كما روى ذلك الطبرانى بسند جيد « خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ،وملاطها المسك، وحشيشها الزعفران ، حصباؤها اللؤلؤ ، ترابها العنبر ، ثم قال لها انطقى، قالت : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ ».

فى الخيام :

فى الجنة خيام قطعاً لقول الله تعالى: ﴿ **حور مقصورات فى الخيام** ﴾ ولكن ما نوع هذه الخيام ،وما شكلها ؟وما هى مادة تكوينها ،وما مدى حسنها وجمالها.

وصف رسول الله ﷺ خيمة منها فقال :« إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة ، طولها فى السماء ستون ميلاً ، وعرضها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً » .

من الخيام إلى السوق ؟

سبحان الله هل فى الجنة أسواق ! وكيف لا ! والله تعالى يقول: ﴿ **ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون** ﴾ فليس من المستغرب إذاً أن تتوق نفس أحدهم فى الجنة إلى دخول سوق من الاسواق وخاصة التجار المؤمنين الذين كانوا يربحون فى أسواق الدنيا ويربحون ، فيطلب ذلك ويدعيه ، فيخلق الله تعالى لهم أسواقاً يغشونها إتماماً للانعام فى دار النعيم وهذا مسلم يخرج لنا حديث السوق فى الجنة فيقول : إن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « إن فى الجنة سوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثوا فى وجوهم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فتقول لهم أهلوهم ؛ والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ، فيقولون ، وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً » .

بين الأنهار والأشجار

هات يدك ــ أخى القارئ ــ نتجول قليلاً بين أنهار الجنة وأشجارها ،ونمتع النفس ساعة فى ذلك النعيم المقيم هيا بنا إلى الانهار الأربعة التى هى أصل كل نهر فى الجنة ، والتى هى نهر الماء ، ونهر اللبن ، ونهر الخمر ، ونهر العسل كما

اخبرنا بـذلك ربنا جل جلالـه فى قوله من سورة مـحمد ﷺ : ﴿ **مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى** ﴾ .

وإلى الكوثر يا أخى ، إلى حوض النبى محمد ﷺ وأمته فإنه من أعظم أنهار الجنة وأحسنها . فـقد حدث عنه مرة ﷺ كما روى ذلك البخارى فـقال « بينما أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ،فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هو الكـوثر الذى أعطاك ربك . قال : فضـرب الملك بيده فإذا طيـنه مسك أذفر » .

وقال مـرة أخرى فى رواية الـترمذى : «الكـوثر فى الجنـة حافتاه مـن ذهب ومجراه الـدر والياقوت ، تـربته أطيـب من المسك ، ومـاؤه أحلى من الـعسل ، وأبيض من الثلج ».

هذه هى الأنهار قد وقفنـا عليها ، وروينا النفس بالحديث عنـها ، فهيا بنا إلى الأشجار وثمارهـا . وليرو لنا إمام الحديث البخـارى طرفاً منها فلنسمـع إليه يقول قال رسول الله ﷺ :« إن فـى الجنة شجرة يـسير الراكـب فى ظلها مـائة عام لا يقطعها ؛ إن شئتم فاقرأوا :﴿ **وظل ممدود ، وماء مسكوب** ﴾ » .

ويحدث ابن عباس رضى الله عنهما عن هذا الظل الممدود فيقول : شجرة فى الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد فـى ظلها مائة عام فى كـل نواحيها ، فيخرج أهل الجنـة ، أهل الغرف وغيرهم فيتحـدثون فى ظلها ، فيشتهـى بعضهم ويذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله تعالى ريحاً مـن الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا روى هـذا الترمذى وحسنه ، وروى الحاكم وصححـه قوله : نخلة الجنة جذعها من زمـرد أخضر وكربها ذهب أحمر ، وسعفهـا كسوة لأهل الجنة . منها مقطعاتـهم ، وحللهم ، وثمرها أمثال القلال والدلاء ، أشـد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، وألين من الزبدة ليس فيها عجم .

إلى مطاعم الجنة

وهل فى الجنة مطاعم ؟

نعم فـيها مطـاعم ومشارب ، ولا يـنبئك مـثل القرآن واسـمع إليه يـحدثك

ويصف لك من ذلك الكثير . ففى سورة الإنسان يقول: ﴿ **ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا ، قواريرا من فضة قدروها تقديراً ، ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ، عيناً فيها تسمى سلسبيلاً** ﴾ ،فى سورة الزخرف يقول الله تعالى ﴿ **يا عباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين، ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وأنتم فيها خالدون** ﴾ .

وفى سورة الواقعة يقول :﴿ **يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدَّعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون** ﴾ .

ويتحدث رسول الله ﷺ عن أهل الجنة فى أكلهم وشربهم ، واصفاً لهم فيقول:« أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون طعامهم ذلك جشاء كريح المسك ، يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس » ويقول ﷺ :« إن أسفل أهل الجنة أجمعين من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم مع كل خادم صحفتان ، واحدة من فضة ، وواحدة من ذهب .فى كل صحفة لون ليس فى الأخرى مثلها ، يأكل من آخره كما يأكل من أوله ، يجد لآخره من اللذة والطعم مالا يجد لأوله ، ثم يكون بعد ذلك رشح مسك وجشاء ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون » .

الحلى والحلل

هل تريد أخى القارئ ــ أن تعرف شيئاً عن حلى أهل الجنة وحللهم؟ فأتركك للقرآن الكريم يصف لك طرفاً من ذلك فاسمع إليه فى سورة الكهف يقول: ﴿**أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك** ﴾ وفى سورة الإنسان يقول: ﴿ **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق ، وحلوا أساور من فضة** ﴾. وفى الحج يقول عنهم: ﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير** ﴾ .

أما الرسول ﷺ فإنه يصف ذلك النعيم العظيم فيقول : « من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، فى الجنة ما لا عين رأت ، ولا

أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ويقول :« ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى فتفتح له أكمامها فيأخذ من أى ذلك شاء ، إن شاء أبيض وإن شاء أحمر ، وإن شاء أخضر وإن شاء أصفر ، وإن شاء أسود مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن » .

السرر والأرائك

إن نعيم جنات دار النعيم يعظم ـ يا أخى ـ على الوصف ويقصر دونه الضبط والحصر ، وكيف يحصر ما لا يفنى ولا يبيد ، وكيف يوصف ما لا يدرك كنهه ولا يعرف أوله ولا آخره .

قرأ عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قول الله تعالى: ﴿ **متكئين على فرش بطائنها من إستبرق** ﴾ وقال : لقد أخبرتم بالبطائن فيكف بالظواهر ؟

وقيل فى قوله تعالى :﴿ **وفرش مرفوعة** ﴾: لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائه خريف .

لنترك ـ يا أخى القارئ ـ الكلمة للقرآن الكريم يحدثنا عن أسرة القوم وأرائكهم ، فمن سورة الواقعة يقول : ﴿ **والسابقون السابقون. أولئك المقربون. فى جنات النعيم. ثلة من الأولين. وقليل من الآخرين. على سرر موضونة. متكئين عليها متقابلين** ﴾ ومن سورة الرحمن يقول: ﴿ **متكئين على فرش بطائنها من إستبرق** ﴾ ويقول: ﴿ **متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان** ﴾ ومن سورة الإنسان يقول:﴿**وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً . متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً** ﴾ ومن سورة الغاشية يقول ﴿ **وجوه يومئذ ناعمة. لسعيها راضية. فى جنة عالية. لا تسمع فيها لاغية. فيها عين جارية .فيها سرر مرفوعة. وأكواب موضوعة . ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة** ﴾ .

مع الحور العين ؟

إليك يا أخى كلمات قليلة من القرآن تتحدث عن نساء دار السلام جعلنى الله وإياك من سكانها فاصغ إليها فى إجلال وخشوع ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاء. فجعلناهن أبكاراً .عربا أترابا لأصحاب اليمين** ﴾ ،﴿ **فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ ،﴿ **وعندهم قاصرات الطرف عين .كأنهن بيض مكنون** ﴾

﴿ وعندهم قاصرات الطرف أتراب. هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴾ ،﴿ إن للمتقين مفازاً .حدائق وأعنابا .وكواعب أتراباً . وكأساً دهاقاً ﴾ .

وبعد فإلى الرسول ﷺ يحدثنا عن هذا النعيم المقيم ويكشف لنا الستار عن بعض هؤلاء الحور لنزداد مقة وعشقاً ولنستحث الخطى إلى الوصول إلى العيش بجانبهن ، حدث مرة رسول الله ﷺ فقال: « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » .

وقال مرة: « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتى تليها على ضوء كوكب درى فى السماء ، ولكل امرئ منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم وما فى الجنة أعزب » .

ويقول : « لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت لملأت الأرض ريح مسك ولذهب ضوء الشمس والقمر ».

شىء من الغنى والطرب :

تعال يا أخى نطرب ساعة قبل يوم الساعة يروى الترمذى عن النبى ﷺ قوله: « إن فى الجنة لمجتمعاً لحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها يقلن : (نحن الخالدات فلا نبيد) و (نحن الناعمات فلا نبأس) و (نحن الراضيات فلا نسخط) (وطوبى لمن كان لنا وكنا له) وإليك أخى القارئ مجتمعاً آخر لحور العين يا له من مجتمع لهن عجيب !! دونك النهر على حافتيه صفوف الحور العين يغنين بأصوات إنك والله لم تسمع مثلها قط يقول أبو هريرة رضى الله عنه: (إن فى الجنة نهراً طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين بأحسن أصوات يسمعها الخلائق حتى ما يرون فى الجنة لذة مثلها) وقيل لأبى هريرة وما ذاك الغناء فقال :(إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس والثناء على الرب عز وجل) .

خيل فى الجنة ؟

إلى عشاق الخيل والمولعين بركوبها وامتطاء صهواتها نعيماً آخر تلذونه وتسعدون به إنه يوجد لكم خيول فى الجنة من الياقوت الأحمر لها أجنحة تطير بكم حيث شئتم قال عبد الرحمن بن ساعدة رضى الله عنه: كنت رجلاً أحب

الخيل فقلت يا رسول الله هل فى الجنة خيل ؟ فقال : « إن أدخلك الله الجنة ياعبد الرحمن ، كان لك فيها فرس من الياقوت له جناحان تطير بك حيث شئت» وقال فداه أبى وأمى ﷺ: « إن [1] فى الجنة لشجراً يخرج من أعلاها حلل ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت لا تروق ولا تبول لها أجنحة خطوها مد البصر تركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاءوا فيقول الذين أسفل منهم درجة ، يارب بم بلغ عبادك هذه الكرامة كلها ، فيقال لهم كانوا يصلون بالليل وكنتم تنامون وكانوا يصومون وكنتم تأكلون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون » .

معهم فى تزاورهم !

إذا كان لأهل الجنة ما تشتهى أنفسهم فيها ولهم فيها ما يدعون فأى شيء أشهى على النفس من زيارة إخوان كان يربط بينهم فى الدنيا حب الله والسير فى الطريق إليه .

وعليه فهل تحصل زيارات فى الجنة يسرون بها وينعمون على تفاوتهم فى الدرجات ، وارتفاع المنازل ، وعلو المقامات ؟ نعم يا أخى القارئ الكريم ولم لا يكون لهم ذلك ، وكيف لا وقد علمت أن لهم فيها ما تشتهى أنفسهم وما يدعون ولنسمع إلى البزار رحمه الله تعالى يروى لنا فى ذلك الحديث النبوى التالى : « إذا دخل أهل الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعاً فيتكئ هذا ويتكئ هذا ، فيقول أحدهما لصاحبه : أتعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه : نعم ، يوم كنا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله تعالى فغفر لنا ».

أما أبو هريرة رضى الله عنه فيروى لنا ويقول : إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس الجون ، عليها رجال الميس يثير مناسمها غبار المسك ، خطام أو زمام أحدهما خير من الدنيا وما فيها .

---

(١) تنبيه : جميع أحاديث هذه الرسالة خرجها المنذرى فى الترغيب وما فيها حديث غير مقبول قط .

أكرم زيارة

أية زيارة أكرم يا أخى ، وأية زيارة أعظم ، وأية زيارة أشهى على النفس وأحب لها من تلك التى هى زيارة الرب تبارك وتعالى !!

روى أبو نعيم فى حليته عن على رضى الله عنه عن النبى ﷺ قوله :« إذا سكن أهل الجنة أتاهم ملك فيقول لهم : إن الله يأمركم أن تزوروه فيجتمعون ، فيأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم توضع مائدة الخلد ، قالوا يارسول الله وما مائدة الخلد ؟ قال :«زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ، ثم يسقون ، ثم يكسون ، فيقولون لم يبق إلا النظر فى وجه ربنا عز وجل ، فيتجلى لهم فيخرون سجداً فيقال لهم : لستم فى دار عمل ، إنما أنتم فى دار جزاء ».

سلام الله عليهم

بينما أهل الجنة فى نعيم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : سلام عليكم يا أهل الجنة .

وهو قول الله تعالى من سورة يس ﴿ **سلام قولاً من رب رحيم** ﴾ فلا يلتفتون إلى شىء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ، وتبقى فيهم بركته ونوره .

نعيم لا يوصف

إن نعيماً وعد الله به أهل وفادته ، ودار كرامته لا يستطيع امرؤ وصفه ومهما كان لسنا ذابيان فضلاً عن أن يعده أو يحده ، يقول الله تعالى فيه على لسان رسوله ﷺ : «لعبادى الصالحين ما لا عين رأيت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر »ومصداق هذه فى القرآن الكريم :

﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾

إلى أعظم نعيم

﴿ **ورضوان من الله أكبر** ﴾

هكذا يقول الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿ **ورضوان من الله أكبر** ﴾ فقد ذكر

تبارك وتعالى ما أعده لأوليائه وأهل وفادته من النعيم المقيم فى جنات عدن ثم قال بعد ذكر النعيم العظيم: ﴿ **ورضوان من الله أكبر** ﴾ فعلم أن رضاه سبحانه وتعالى عن عباده هو أكبر نعيم يلقونه فى دار الإكرام والإنعام .

وهذا الإمام البخارى رحمه الله تعالى يروى لنا حديث أكبر الإنعام فيقول : قال رسول الله ﷺ :« إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة ، يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير بيديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون : وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول ، أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً » اللهم أجعلنا من أهل طاعتك ومحبتك ورضوانك آمين .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

وهـذا هـو الطـريق

هذا هو الطريق أيها السائرون !

فإلى الجنة دار النعيم التى عرفها لكم .

وهذا هو طريقها واضحاً معبداً عليه أعلامه ، وفوقه أنواره وها أنتم فى مبتداه فسيرا حثيثاً إلى منتهاه حيث أبواب الجنة مفتحة أيها السالكون !!

إليكم الطريق كما رسمه رسول الله ﷺ فى قوليه :

١ ـ « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ،لا يزيغ عنها إلا هالك ».

٢ ـ « كلكم يدخل الجنة إلا من أبى »، قيل : ومن يأبى يارسول الله ؟ فقال: « من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » إنه عليه الصلاة والسلام فى هذين الحديثين قد بيّن الطريق ورسمه واضحاً لكل ذى بصيرة فهلم أيها الإخوان لنسير سوياً ، اخواناً متحابين وأصدقاء متعاونين فهيا بنا هيا بنا ! !

واسمحوا لى أن أتقدمكم رائداً لكم لأصف طريقكم إلى جنة ربكم ، ودار إقامتكم وكرامتكم .

إن الطريق أيها الإخوة السائرون بين أربع كلمات : إثنتان سالبتان ، و إثنتان وموجبتان . فالسالبتان : الشرك والمعاصى ، والموجبتان : الإيمان والعمل الصالح.

من هذه الكلمات الأربع يتكون الطريق القاصد إلى الجنة دار الإقامة والكرامة.

وها هو ذا قد أشير إليه بكلمتى لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ؛ إذ الأولى تعنى أنه لا معبود بحق إلا الغفور الودود ، فليعبد وحده بالإيمان واليقين،والطاعة له ولرسوله بالصدق والإخلاص الكاملين . والثانية تعنى أن النبى محمداً هو الرسول الخاص ببيان كيف يعبد الله وحده فى هذه الأكوان ، وأنه لا يتأتى لأحد أن يعبد الله بدون إرشاده ﷺ وبيانه .

والآن أيها الإخوة السائرون فلنسلك الطريق مسترشدين بإشارة **لا إله إلا الله** محمد رسول **الله** ﷺ :

● فلنعتقد جازمين أن خالقنا هو الذى خلق هذه العوالم ودبرها بقدرته وعلمه ، ومشيئته وحكمته ، وفيها تجلت صفاته العلى وأسماؤه الحسنى . فبقدرته تعالى كانت هذه الأكوان ، وبعلمه تعالى اتحد وجودها وانتظم شأنها ، وسارت إلى غاياتها فى نظام محكم بديع .

● ولنعتقد جازمين أنه **لا** وجود لمشارك **لله** تعالى فى خلق هذه العوالم ، ولا مدبر لها معه سواه ؛ إذ لو كان ذلك لظهر فى العوالم التضارب والتناقض ، ولأسرع إليها الفناء والزوال: ﴿ **قل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون** ﴾ .

● ولنعتقد جازمين أنه متى لم يكن **لله** تعالى شريك فى الخلق والتدبير فإنه لا يكون له شريك فى الطاعة والعبادة ، فلا ينبغى أن يعبد معه أحد أبداً سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً ، أو دون ذلك . من سائر المخلوقات . وسواء كانت العبادة صلاة أو دعاء ، أو صوماً أو ذبحاً ، أو زكاة أو نذراً ، أو طاعة في معصيته تعالى بتحريم ما أحل أو تحليل ما حرم أو بترك ما أوجب أو فعل ما حرم.

● ولنعتقد جازمين أن حاجة الناس إلى الرسل فى بيان الطريق إلى الجنة اقتضت إرسالهم ، وإنزال الكتب عليهم ومن هنا وجب تصديق كافة الرسل واتباعهم ووجب الإيمان بالكتب والعمل بما فيها مما لم ينسخه الله تعالى بغيره من الشرائع والأحكام كما وجب الإيمان بالملائكة ، والقدر والمعاد والحساب والجزاء . بهذه النقاط الأربع المشتملة على الإيمان الصحيح كنا قد قطعنا ربع الطريق إلى الجنة أيها السائرون فإلى الربع الثانى وهو العمل الصالح .

● فلنقم الصلاة بأن نتطهر لها طهارة كاملة ، ونؤديها فى أوقاتها فى جماعة أداء وافياً مستوفى كافة الشروط والفرائض والسنن والآداب فنوافق بها صلاة رسول **الله** ﷺ حيث قال :« صلوا كما رأيتمونى أصلى » .

● ولنؤت زكاة أموالنا أهلها من الفقراء والمساكين والغارمين والمجاهدين ولنتحر فى إخراجها الجودة والكمال والإخلاص الكامل فيها **لله** تعالى .

● ولنصم رمضان بالإمساك عن المفطرات والبعد عن المتشابهات والمحرمات فى الأقوال والأفعال والخواطر والنيات .

● ولنحج بيت الله حجاً كحج رسول الله ﷺ موسوماً بالبرور وذلك بأدائه أداء صحيحاً خالياً من الرفث والفسق والجدال محفوفاً بالخيرات مفعماً بالصالحات .

● ولنبر الوالدين بطاعتهما فى غير معصية الله ، وبالإحسان اليهما ببذل المعروف وإسداء الجميل من القول والفعل ، مع كف الأذى عنهما ولو كان ضجراً منهما ، أو عدم رضا عنهما .

● ولنصل أرحامنا ببرهم وزيارتهم ، والسؤال عنهم ، والتعرف إلى أحوالهم ومساعدتهم بما فى القدرة وما هو مستطاع .

● ولنحسن إلى الجيران بإكرامهم المتمثل فى الإحسان اليهم وكف الأذى عنهم .

● ولنكرم الضيف إكرامه الواجب له باطعامه وإيوائه .

● ولنكرم المؤمن بتحقيق أخوته القائمة على أساس أداء حقوقه من السلام عليه عند ملاقاته ، وتشميته عند عطاسه . وتشييع جنازته عند مماته ، وعيادته إذا مرض ، وإبرار قسمه إذا أقسم .

● ولنعدل فى القول والفعل والحكم إذ العدل فى الكل واجب محتم ، وبه يستقيم أمر الدين والدنيا ، ويصلح شأن العباد والبلاد .

والى هنا تم نصف الطريق أيها السائرون ، ولم يبق إلا نصفه الآخر ، والذى هو ترك الشرك والمعاصى فلنواصل السير فى غير كلل ولا ملل ولنترك الشرك وذلك :

١ ــ بأن لا نعتقد أن مخلوقاً من المخلوقات كائناً من كان يملك لنفسه أو لغيره ضراً أو نفعاً بدون مشيئة الله وإذنه ، وعليه فلنحصر رغبتنا فى الله فلا نرغب فى أحد سواه فلا نسأل مخلوقاً ولا نستشفع أو نستغيث بآخر ، إذ لا معطى ولا مغيث إلا الله . فلنقصر رغبتنا فيه ، ورهبتنا وخوفنا منه .

٢ ــ بأن لا نصرف شيئاً من عبادة الله تعالى إلى أحد سواه ؛ فلا نحلف بغير الله ، ولا نذبح على قبر ولى من أولياء الله ، ولا ننذر نذراً لغير الله ، ولا ندعو

غير الله ولا نستغيث بسواه .

٣ ــ وبأن لا نعلق خيطاً أو عظماً أو حديداً نرجو بها دفع العين أو كشف الضر ، فإنه لايدفع العين ولا يكشف الضر إلا الله .

٤ ــ وبأن لا نصدق كاهناً أو عرافاً أو منجماً فيما يخبر به ويدعيه من علم الغيب ؛ إذ لا يعلم الغيب إلا الله .

٥ ــ وبأن لا نطيع حاكماً أو عالماً أو أباً أو أماً أو شيخاً فى معصية الله ، إذ طاعة غير الله بتحريم ما أحل الله ، أو تحليل ما حرم شرك فى ربوبية الله .

بهذه الخطوات الخمس أيها السائرون قد قطعنا نصف المسافة المتبقية ولم يبق إلا نصفها الآخر وهو ترك المعاصى وبعدها نصل إلى باب الجنة وندخلها إن شاءالله مع الداخلين فهيا بنا نواصل سيرنا أيها السالكون .

● فلنحفظ الدماغ فلا نفكر فيما يضر ، ولا ندبر ما يسوء من فساد أو شر .

● ونحفظ السمع فلا نسمع باطلاً من سوء أو فحش ، أو كذب أو غناء ، أو غيبة ، أو نميمة ، أو هجر أو كفر .

● ونحفظ البصر فلا نسرحه فى النظر إلى ما لا يحل النظر إليه من اجنبية غير محرمة مسلمة أو كافرة ، عفيفة أو فاجرة .

● ونحفظ اللسان فلا ننطق بفحش أو بذاء ، ولا سوء أو كذب أو زور ، أو غيبة أو نميمة أو سب أو شتم أو لعن من لا يستحق اللعنة .

● ونحفظ البطن فلا ندخل فيه حراماً طعاماً كان أو شراباً فلا نأكل ربا ولا ميتة ولا خنزيراً ، ولا نشرب مسكراً ، ولا ندخن تبغاً ولا تنباكاً .

● ونحفظ الفرج فلا نطأ غير زوجة شرعية أو مملوكة سرية أباح الله وطئها وأذن فيه .

● ونحفظ اليد فلا نؤذى بها أحداً بضرب أو قتل ، ولا نأخذ بها مالاً حراماً ولا نلعب بها ميسراً ولا نكتب بها زوراً أو باطلاً .

● ونحفظ الرجل فلا نمشى بها إلى لهو أو باطل ، ولا نسعى بها إلى فتنة أو فساد أو شر .

● ونحفظ العهد ، والشهادة والأمانة ، فلا نخفر ذمة ولاننكث عهداً ، ولا نخلف وعداً ، ولا نشهد زوراً ولا نخون أمانة .

● ونحفظ المال فلا نبذره ، ولا نسرف فيه ، كما لا نهمله ولا نضيعه ، أو نتركه بدون إنماء أو إصلاح .

● ونحفظ الأهل والولد فى أبدانهم وعقولهم وعقائدهم وأخلاقهم فندفع عنهم ما يؤذيهم أو يضرهم أو يفسد أرواحهم ، أو عقولهم وندرأ عنهم كل ما يردى أو يهلك ويشقى .

وإلى هنا انتهى الطريق أيها السائرون فدونكم الجنة دار السلام فتهيأوا للدخول منتظرين رسل ربكم متى تصل إليكم حاملة استدعاء ربكم المنعم الكريم لتفدوا عليه وتحطوا الرحال بساحته . ويومها يفرح ، المتقون .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الرِسَالَة الرابعَة عَشَرَة

الأذكار وَالأَدْعِية النَّبَويّة

للفرقة الناجية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

باسمك ، اللهم ،وبحمدك اذكرك ، واشكرك ، واستغفرك واتوب إليك . أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى ، ورزقتنى وهديتنى ، فلك المنة العظمى ولك الحمد والثناء ، وأنت الغنى الحميد ، واصلى واسلم على صفوة خلقك وخاتم انبيائك ورسلك محمد الذى أنزلت عليه ذكرك الحكيم رحمة للعالمين .

وارض عن ازواجه وذرياته وسائر اهل بيته الطاهرين وعن صحابته اجمعين.

وبعد فان لذكر الله تعالى بين العبادات شأنا عظيما إذ أمر الله تعالى به فى غير ما آية من كتابه قال تعالى : ﴿ **فاذكرونى أذكركم** ﴾. وقال عز وجل :﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً**﴾ . وأثنى عليه اهله بقوله : ﴿**والذاكرين الله كثيراً والذاكرات** ﴾. وقال فى بيان فضله رسول الله ﷺ :«ألا أُنبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم (١) وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا: بلى يا رسول الله قال : ذكر الله ». وقال ﷺ (٢) :« مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت» وقال ﷺ :« سبق (٣) المفردون قالوا : وما المفردون يا رسول الله قال ؟ الذاكرون الله كثيراً والذاكرات : ولما كان الذكر عبادة توقيفية كسائر العبادات لا مجال للإنسان فى وضعها أو توقيتها حتى أن موسى عليه السلام قال: يا رب علمنى شيئاً اذكرك وادعوك به فقال له ربه تبارك وتعالى : قل لا إله إلا الله وقد رأيت بعض الاخوان يذكرون الله ويتعبدونه بأوراد ليست فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ﷺ وهذا مما لا شك فيه أنه خال من الفائدة المقصودة منه وهى زكاة النفس ورضوان الله عز وجل إذ لا يزكى النفس ولا

---

(١) رواه الترمذى والحاكم بإسناد صحيح .

(٢) رواه البخارى . . . .

(٣) رواه مسلم .

يرضى الرب تبارك وتعالى إلا ما شرعه الله فى كتابه أو على لسان رسوله من العبادات التى رضيها لنفسه وندب إليها عباده ليتقربوا بها إليه سبحانه وتعالى فقد رأيت تأليف مجموعة من الأذكار والأدعية الثابتة عن رسول الله ﷺ والتى وردت محدودة الكيفية معلومة الوقت بحيث يأتى بها العبد على النحو الذى كان رسول الله ﷺ يأتى بها كيفية وكمية زماناً ومكاناً . وبذلك يتحقق المرجو منها من تزكية النفس والحصول على الرضوان الإلهى وقد سميتها الأذكار والأدعية النبوية للفرقة الناجية وقد ذكرتها مرتبة من ساعة أن يستيقظ العبد من نومه إلى أن يعود إليه من الليلة التالية فلم تخل حالة من شكر ولا ساعة من ذكر . ولا شك أن من وفقه الله تبارك وتعالى للاتيان بهذه الأذكار والأدعية فى كل اليوم والليلة كان من الذاكرين الفائزين بولاية الله ومحبته ورضوانه : ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ .

الذكر عند القيام من النوم

روى البخارى أن النبى ﷺ كان إذا استيقظ من نومه قال :

« الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ».

وروى ابن السنى بسند صحيح أنـه ﷺ قال: إذا استيقظ أحدكم من نومه فليقل :

« الحمد لله الذى رد على روحى وعافانى فى جسدى وأذن لى فى ذكره ».

وروى أيضاً عنه ﷺ قوله : « ما من عبد [1] يقول عند رد الله تعالى روحه:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ».

الذكر والدعاء عند لبس الثياب وخلعها

روى ابن السنى أنه ﷺ كان إذا لبس [2] ثوباً أو قميصاً أو رداء أو عمامة يقول :

«اللهم إنى أسألك من خيره وخير ما هو له واعوذ بك من شره وشر ما هو له »

وروى أيضاً أنه ﷺ قال : «من لبس [3] ثوباً جديداً فقال :

الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول لى ولا قوة

غفر له ما تقدم من ذنبه ».

روى فى الصحيحين أن النبى ﷺ كسا أم خالد خميصة وقال :

« أبلى وأَخْلِقِى »

وروى النووى عن ابن السنى أن النبى ﷺ قال [4] ستر ما بين أعين الجن وعورات بنى آدم أن يقول الرجل المسلم إذا أراد أن يطرح ثيابه :

« بسم الله الذى لا إله إلا هو »

الذكر والدعاء عند قضاء الحاجة

روى فى الصحيحين أنه ﷺ كان يقول عند دخول الخلاء :

---

(١) سكت عنه النووى .

(٢) سكت عنها النووى فى الأذكار

(٣) سكت عنها النووى فى الأذكار .

(٤) سكت عنه النووى فى الأذكار .

« اللهم إنى أعوذ بك من الخبث [1] والخبائث »

وروى الترمذى أنه ﷺ قال : «ستر ما بين أعين الجن وعورات بنى آدم إذا دخل الكنيف أن يقول بسم الله » .

وروى بسند جيد عنه ﷺ قوله : «إذا دخلتم الخلاء فقولوا :

بسم الله، أعوذ بالله من الخبث والخبائث » .

وروى ابن ماجة بسند جيد أنه ﷺ كان إذا خرج من الخلاء قال :

« الحمد لله الذى اذهب عنى الأذى وعافانى »

وروى الترمذى وغيره بسند صحيح أنه ﷺ كان إذا خرج من الخلاء قال : «غفرانك » .

الذكر والدعاء عند الوضوء

روى مسلم عنه ﷺ قوله :«من توضأ فقال :

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين .

فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ».

وروى النسائى بسند صحيح عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قوله : أتيت النبى ﷺ بوضوء فتوضأ فسمعته يقول :

« اللهم اغفر لى ذنوبى ووسع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى » .

الذكر بعد تكبيرة الإحرام

روى مسلم أن النبى ﷺ كان إذا قام من جوف الليل وكبر تكبيرة الإحرام قال :

« وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول

---

(١) ذكران الشياطين وإناثهم .

المسلمين » .

وروى الجماعة دون الترمذى أن أبا هريرة قال: كان النبى ﷺ إذا كبّر فى الصلاة سكت هنيهة قبل القراءة . فقلت : يارسول الله بأبى أنت وأمى أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول ؟ قال « أقول :

« اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد » .

وروى مسلم وغيره عن على بن أبى طالب قوله كان النبى ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال :

« وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعاً لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله فى يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت استغفرك واتوب إليك »

الذكر قبل القراءة

روى الترمذى وأبو داود أن النبى ﷺ قال قبل القراءة فى الصلاة « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه [١] ونفثه [٢] وهمزه[٣] »

الذكر فى الركوع

روى فى السنن أن النبى ﷺ قال« إذا قال أحدكم :

« سبحان ربى العظيم ثلاثاً فقد تم ركوعه »

وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يقول فى ركوعه :

«سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى » .

---

(١) الكبر (٢) الشعر (٣) الموتة أى الجنون أو الصرع

وجاء فى صحيح مسلم عن على رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يقول إذا ركع :

«اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك اسلمت خشع سمعى وبصرى ومخى وعظمى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين »

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يقول فى ركوعه وسجوده :

« سبوح قدوس رب الملائكة والروح »

الذكر عند الرفع من الركوع

وروى فى الصحيح أن النبى ﷺ كان يقول :

« سمع الله لمن حمده » حين يرفع صلبه من الركوع ويقول وهو قائم :

« ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شىء بعد أهل الثناء والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد »

الذكر فى السجود

روى اصحاب السنن أن النبى ﷺ قال :« إذا سجد احدكم فليقل :

سبحان ربى الأعلى » ثلاثا وذلك ادناه :

وروى مسلم أن النبى ﷺ كان يقول فى سجوده :

« اللهم اغفر لى ذنبى كله دقه وجله واوله وآخره علانيته وسره » .

وروى أبو داود وغيره أن النبى ﷺ كان يقول فى سجود القرآن :

« سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته . اللهم اجعلها لى عندك ذكرا واعظم لى بها اجراً وضع عنى بها وزراً وتقبلها منى كما تقبلتها من داود عليه السلام »

الذكر ما بين السجدتين

روى أبو داود وغيره أن النبى ﷺ كان إذا رفع رأسه من السجدة قال:

« رب اغفر لى وارحمنى واجبرنى وارزقنى واهدنى وعافنى » .

الذكر فى الوتر

روى النسائي وغيره عن الحسن بن علـى رضى الله عنهما قال :علمنى رسول اللهﷺ كلمات أقولهن فى الوتر :

« اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيـمن عافيت وتولنى فيمن توليت وبارك لى فيما اعطيت وقنى شر ما قضيت فانك تقضى ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وصلى الله على النبى » .

الذكر بعد التشهد

ورد فى الصحيح أن النبى ﷺ قال:« إذا فرغ احدكم من التشهد فليتعوَّذ بالله من اربع يقول :

اللـهم إنى اعوذ بـك من عذاب جهـنم ومن عـذاب القبر ومـن فتنة المحـيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال » .

وجاء فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ كان يقول بين التشهد والسلام :

« اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما اسررت وما اعلنت وما اسرفت وما أنت اعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت » .

وروى فى الصحيح أن أبا بكر الصديـق قال يارسول الله علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى قال قل :

« اللهم إنـى ظلمت نفسـى ظلماً كثيراً ولا يـغفر الذنوب إلا أنت فـاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم »

الذكر بعد السلام

اخرج مسلم أن النبى ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا :

« أَستغفر الله ــ أَستغفر الله ــ أَستغفر الله »

وقال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام »

وروى البخارى أن النبى ﷺ كان إذا فرغ من صلاته وسلم قال :

« لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ولـه الحمد وهو على كل شىء قدير» « اللـهم لا مانع لما اعطيت ولا مـعطى لما منعت ولا يـنفع ذا الجد [١] منك

---

(١) الجد : الحظ والغنى والعظمة .

الجد » .

واخرج مسلم أن النبى ﷺ كان يقول دبر كل صلاة :

« لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة والفضل وله الثناء الحسن الجميل لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون »

وروى النسائى وأبو داود أن النبى ﷺ أخذ بيد معاذ وقال« يا معاذ إنى والله لأحبك : اوصيك يا معاذ لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول :

اللهم أعنّى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »

وروى النسائى وابن حبان أن النبى ﷺ قال: من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسى لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت :

﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم ﴾ .

وروى فى السنن أن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال امرنى رسول الله ﷺ أن اقرأ بالمعوذتين دبر كل صلاة « المعوذتان هما » .

﴿ قل أعوذ برب الفلق ــ وقل أعوذ برب الناس﴾

وروى مسلم أن النبى ﷺ قال : «من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » .

وروى الترمذى أن النبى ﷺ قال : «من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة» .

وروى الترمذى وغيره أن النبى ﷺ قال : من قال فى دبر صلاة الصبح وهو ثانى رجليه قبل أن يتكلم :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير »

عشر مـرات كتب له عشـر حسنات ومحـى عنه عشـر سيئات ورفع لـه عشر درجات وكان يومـه ذلك فى حرز من كل مكـروه وحرس من الشيطان ولـم ينبغ لذنبٍ أن يدركه فى ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى »

وروى أبو داود أن مسلمـاً بن الحارث التميمى أسر اليـه النبى ﷺ قال : إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل :

« اللهم اجرنى من النار

سبع مرات فـانك اذا قلت ذلك ثم مت من لـيلتك كتب لك جـوار منها وإذ صليت الصبح فقل كذلك فإنك إن مت من يومك كتب لك جوار منها ».

وروى ابن ماجة أن النبى ﷺ كان إذا صلى الصبح قال :

« اللهم انى اسألك علماً نافعاً ، وعملاً متقبلاً ، ورزقاً طيباً »

الذكر عند الخروج من المنزل

روى اصحاب السنن ان أم سـلمة رضى الله عنها قالـت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتى قط إلا رفع طرفه إلى السماء فقال :

« بسم الله توكلت على الله الـلهم إنى اعوذ بك أن اضل أو اضل أو ازل أو ازل أو اجهل أو يجهل علي »

وروي ايضاً أنّ النبى ﷺ قال : «من قال إذا خرج من بيته :

بسم الله توكلت علي الله ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى »

يقال له كفيت ووقـيت وهديت وتنحى عنه الشيطان فيـقول له شيطان آخر : كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى ؟»

وروى مسلم عن ابن عباس أن النبى ﷺ خرج الى الصلاة وهو يقول :

« اللهم اجعل فى قلبى نوراً وفى لسـانى نوراً واجعل فى سمعى نوراً واجعل فى بصرى نـوراً واجعل من خلفى نـوراً ومن أمامى نوراً واجعل مـن فوقى نوراً ومن تحتى نوراً » .

الذكر والدعاء عند الأذان

اخرج مسلم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :اذا

قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر فقال احدكم : الله أكبر الله أكبر . ثم قال : أشهد أن لا إله الله ، قال أشهد أن لا إله الا الله ، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله فقال: أشهد أن محمداً رسول الله ثم قال :حى على الصلاة ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : حى على الفلاح ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال : الله أكبر الله أكبر ، قال: الله أكبر الله أكبر ، ثم قال : لا إله إلا الله، قال لا إله إلا الله من قلبه ، دخل الجنة .

وأخرج البخارى أن النبى ﷺ قال: من قال : حين يسمع النداء :

« اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته : حلت له شفاعتى يوم القيامة».

وروى ابو داود عن ابن عمر بسند جيد أن رجلاً قال :«يا رسول الله إن المؤذنين يفضلوننا ، فقال رسول الله ﷺ :قل كما يقولون ، فإذا انتهيت فسل تعطه » .

وروى الترمذى وصححه أن النبى ﷺ قال : قد لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة قالوا: فماذا نقول يا رسول الله ؟ قال : « سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة » :

« اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة »

الصلاة على النبى ﷺ

روى مسلم عنه ﷺ أنه قال :« من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً». وفى رواية له« من صلى علىَّ واحدة صلى الله عليه عشراً ».

وروى الترمذى بسند حسن أنه ﷺ قال :« أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىَّ صلاة ». وروى أبو داود والنسائى بسند صحيح أن النبى ﷺ قال :« ان من أفضل ايامكم يوم الجمعة فاكثروا علىَّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علىَّ ، فقالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (١) ؟ قال : إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء » .

---

(١) أصله أممت ـ أى بليت فحذفت احدى الميمين كما فى ظلت من ظللت حيث حذفوا إحدى اللامين .

وروى ابو داود بسند صحيح أنه ﷺ قال: « لا تجعلوا قبرى عيداً ، وصلوا عليّ فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » .

وروى أيضاً أنه ﷺ قال: « ما من أحد يسلم علـى إلا رد الله على روحى ، حتى أرد عليه السلام ».

وروى الترمذى بسند صحيح أنه ﷺ قال :البخيل من ذُكرت عنده فلم يصل عليّ .

صيغ الصلاة على النبى ﷺ

١ ـ « اللهم صل عـلى محمد النبى وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد »

(رواها ابو داود عـن ابى هريرة) وأولـه قوله: من سره أن يـكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا اهل البيت فليقل :

٢ ـ « اللهـم اجعل صلواتك وبركاتـك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك رسولك » (رواها ابن ماجه)

٣ ـ « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مـجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل مـحمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد » (رواها البخارى) .

٤ ـ « اللـهم صل علـى محمد وعلـى ازواجه وذريته كـما صليـت على آل ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كـما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد » (رواه الشيخان) .

٥ ـ « اللهم صل علـى محمد وعلى آل محمد كما صلـيت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعـلى آل محمد كما باركت على آل ابراهـيم فى العالمين انك حميد مجيد ». (رواه مسلم) .

الذكر والدعاء عند الصباح والمساء

روى ابو داود والترمذى ان النبى ﷺ كان يقول إذا اصبح :

« اللهم بك اصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور »

وروى مسلم أن النبى ﷺ قال : من قال حين يصبح وحين يمسى :

« سبحان الله وبحمده »

مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثله أو زاد عليه.

وروى مسلم ايضاً أن النبى ﷺ كان إذا امسى قال :

« امسينا وامسى الملك لله والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رب اسألك خير ما فى هذه الليلة وخير ما بعدها واعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها رب اعوذ بك من الكسل وسوء الكبر واعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر ».

وإذا اصبح قال : اصبحنا واصبح الملك لله الخ . . . .

وأخرج مسلم أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : ما لقيت الليلة من عقرب لدغتنى البارحة ! ! فقال له اما لو قلت حين امسيت :

« أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق » لم يضرك

وروى ابو داود بسند صحيح أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله مرنى بكلمات اقولهن إذا اصبحت وإذا امسيت قال : قل :

« اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى (١) وشر الشيطان وشركه » .

قال : قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك .

وروى ابو داود أن النبى ﷺ قال: من قال حين يصبح :

اللهم ما أصبح بى من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك ، لك الحمد ولك الشكر .

فقد أدى شكر يومه ومن قال ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته » .

وروى أنه ﷺ لم يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسى .

« اللهم إنى اسألك العافية فى الدنيا والآخرة ،اللهم انى اسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى اللهم

---

(١) المراد بشر النفس شر هواها .

احفظني من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك ان أغتال من تحتى » .

وروى أيضاً أنه ﷺ علم بعض بناته أن تقول حين تصبح :

« سبحان الله وبحمده لا قوة إلا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً » .

ويقول : من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسى ومن قالهن حين يمسى حفظ حتى يصبح .

وروى أبو داود ايضاً أن النبى ﷺ دخل ذات يوم المسجد فوجد أبا أمامة : فقال يا أبا أمامة ما لى أراك جالساً فى المسجد فى غير وقت صلاة ؟ قال: هموم لزمتنى وديون يا رسول الله قال أفلا أعلمك كلاماً إذ قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك ؟ فقال : بلى يارسول الله قال : قل إذا أصبحت وإذا أمسيت :

« اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » .

قال فقلت ذلك فأذهب الله تعالى همى وغمى وقضى عنى دينى .

الاستغفار

روى البخارى أن النبى ﷺ قال سيد الاستغفار :

« اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

من قالها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة روى مسلم أنه ﷺ قال: « إنه ليغان على قلبى وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة » وروى ابو داود وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما قوله : كنا نعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة : رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم . وروى ابو داود وابن ماجة عنه ﷺ قوله : «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب ».

الدعاء عند الاستسقاء

وروى أبو داود بسند صحيح أنه أتت النبى ﷺ بواك فقال ﷺ :

« اللهم اسقنا غيثاً مريعاً نافعاً غير ضار عاجلاً غير آجل » فأطبقت عليهم السماء .

وروى ايضاً بسند صحيح أنه ﷺ شكى اليه قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له فى المصلى ووعد الناس يوماً يخرجون فيه فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فصعد على المنبر فكبر وحمد الله عز وجل ثم قال :

« انكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن ابان زمانه عنكم وقد امركم الله سبحانه ان تدعوه ووعدكم ان يستجيب لكم »، ثم قال :

« الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد اللهم انت الله الذى لا إله إلا أنت الغنى ونحن الفقراء انزل علينا الغيث واجعل ما انزلت قوة وبلاغاً الى حين ، ثم رفع يديه فلم يزل فى الرفع حتى بدا بياض ابطيه ثم حول الى الناس ظهره وقلب او حول رداءه وهو رافع يديه ثم اقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين فأنشأ الله عز وجل سحابة فرعدت وبرقت ثم امطرت بإذن الله تعالى فلم يأت مسجده حتى سالت السيول فلما رأى سرعتهم الى السكن ضحك حتى بدت نواجذه فقال اشهد أن الله علي كل شيء قدير وانى عبد الله ورسوله » .

الدعاء عند الريح

اخرج مسلم أنه ﷺ كان يقول إذا عصفت الريح :

« اللهم انى اسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ».

الذكر عند الرعد

روى مالك عن ابن الزبير رضى الله عنه أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال :

« سبحان من سبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » .

الذكر عند الأكل والشرب

روى فى الصحيح أن النبى ﷺ قال لعمر بن سلمة :

« سم الله تعالى وكل بيمينك ».

معنى سمّ الله تعالى : قل « بسم الله »

وروى أبو داود والترمذى أنه ﷺ قال :« إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى فى اوله وإن نسى أن يذكر الله تعالى فى أوله ، فليقل باسم الله أوله وآخره».

وروى مسلم أنه ﷺ قال :« إن الله ليرضى عن العبد ان يأكل الاكلة فيحمده عليها ويشرب فيحمده عليها ».

الذكر بعد الفراغ من الأكل والشرب

أخرج البخارى ان النبى ﷺ كان إذا رفع مائدته قال :

« الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه غير مكفى [1] ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا » .

وروى النسائى أن النبى ﷺ إذا قرب اليه طعام قال : « بسم الله » وإذا فرغ من طعامه قال :

« اللهم اطعمت واغنيت واقنيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما عطيت».

وروى الترمذى بسند حسن انه ﷺ قال من اكل طعاماً فقال :

« الحمد لله الذى اطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه » .

---

(١) غير مكفى تعالى اذ هو الذى يطعم ولا يطعم وغير مودع أى غير مترك الطلب منه والرغبة إليه . ولا مستغنى عنه فمن ذا الذى يستغنى عن الله تعالى والخلق كله فقير إليه .

دعاء الضيف لصاحب الطعام

اخرج مسلم ان عبد الله بن بشير رضى الله عنه قال : نزل رسول الله ﷺ على ابى قال فقربنا اليه طعاماً ورطبة فأكل منها ثم أُتى بتمر فكان يأكله ويلقى النوى بين إصبعيه ويجمع السبابة والوسطى ثم أُتى بشراب فشربه ثم ناوله الذى عن يمينه قال : فقال أبى وأخذ بلجام دابته : ادع الله لنا فقال :

« اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم » .

وروى ابو داود وغيره بسند صحيح ان سعد بن عبادة جاء النبى ﷺ بخبز وزيت فأكل ﷺ ثم قال :

« افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة » .

وروى مسلم فى حديث طويل انه ﷺ لما طعم او شرب عند قوم رفع رأسه الى السماء فقال :

« اللهم اطعم من اطعمنى واسق من سقانى » .

دعاء من اهدى هدية ومن اهدى اليه

روى ابن السنى أن عائشة رضى الله عنها قالت: أهدى للرسول ﷺ شاة قال: اقسميها فكانت عائشة إذا رجع الخادم تقول ما قالوا ؟ يقول الخادم قالوا: « بارك الله فيكم » فتقول عائشة : وفيهم (بارك الله) نرد عليهم مثل ما قالوا ويبقى أجرنا لنا .

الذكر والدعاء فى المجلس وعند القيام منه

روى الترمذى بسند صحيح أن النبى ﷺ قال : من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك :

« سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا إله إلا أنت استغفرك واتوب إليك »

إلا كفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك ، وإذا كان المجلس مجلس خير كان ذلك الذكر كالطابع له ، كما ورد فى الحديث الصحيح :

وروى ابو داود بسند صحيح أنه ﷺ قال :«ما من قوم يقومون من مجلس لا

يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة .

وروى الترمذى بسند حسن أنه ﷺ لا يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه :

« اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما حييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وأنصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا » .

الذكر والدعاء عند دخول السوق

روى الترمذى بسند مقبول أن رسول الله ﷺ قال : من دخل السوق فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير » .

كتب الله لـه الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة ورفع لـه الف الف درجة وروى ايضاً عن بريدة ان النبى ﷺ كان إذا خرج إلى السوق قال :

« بسم الله اللهم انى أسألك من خير هذه السوق وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم انى أعوذ بك أن أصيب فيها يميناً فاجرة أو صفقة خاسرة» .

الذكر والدعاء عند العطاس

روى البخارى ان النبى ﷺ قال : إذا عطس احدكم فليقل : « الحمد لله » وليقل له أخوه أو صاحبه : « يرحمك الله » .

فإذا قال له يرحمك الله فليقل له : « يهديكم الله ويصلح بالكم » .

الدعاء عند الدخول إلى الحمام

روى ابن ابى شيبة عن ابى هريرة موقوفاً عنه : نعم البيت الحمام يدخله المسلم ، إذ دخل سأل الله الجنة ، واستعاذه من النار .

وروى الطبرانى بسند صحيح عنه ﷺ قوله: « اتقوا بيتاً يقال له الحمام قالوا: انه ينقى وينفع قال من دخله فليستتر » .

الذكر عند الكرب

روى الشيخان ان النبى ﷺ كان يقول عند الكرب :

« لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إلـه إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم » .

وأخرج التـرمذى أنه ﷺ كان إذا كربـه أمر قال: « يا حـى يا قيوم برحـمتك أستغيث » .

وروى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال : دعوات المكروب :

« اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نـفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت » .

الذكر والدعاء عند إصابة الهم أو الحزن

واخرج احمد بسند صحيح أن الـنبى ﷺ قال : ما اصاب عبداً هم ولا حزن فقال :

« اللهم انـى عبدك وابن عبدك وابن أمتـك ناصيتى بيدك ماض فـى حكمك عدل فى قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو انزلته فى كتابك أو علمـته احداً من خـلقك أو استـأثرت به فى عـلم الغيـب عندك ان تجعـل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب غمى » .

إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً .

الدعاء عند لقاء العدو

اخرج ابو داود والنسائى بسند صحيح ان النبى ﷺ كان إذا خاف قوماً قال :

« اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » .

وروى أبو داود بسند صحيح أنه ﷺ كان يقول عند لقاء العدو :

« اللهم أنت عضدى وأنت نصيرى بك اجول وبك اصول وبك اقاتل »

دعاء من همه دين

روى الترمذى بسند حسن أن مكاتباً اتى على بن ابى طالب رضى **الله** عنه فقال: إنى عجزت عن كتابتى فأعنى ، فقال له ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول **الله** ﷺ لو كان عليك مثل جبل أحد ديناً أداه عنك ؟ قل :

« اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك » .

الذكر لطرد الوسواس

روى فى الصحيح ان النبى ﷺ قال :« يأتى الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ اذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته ». لفظ الاستعاذة :

« اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم »

وفى رواية فى الصحيح عنه ﷺ : لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال : هذا خلق الله فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل :

« آمنت بالله ورسوله » .

واخرج أبو داود بسند جيد أن رجلا قال لابن عباس : ما شيء أجده فى صدرى ! ! قال : ما قلت ؟ قال : والله لا اتكلم به فقال له ابن عباس رضى الله عنه : أشيء من شك ؟ وضحك ، وقال : ما نجا منه احد حتى انزل الله تعالى: **﴿فإن كنت فى شك مما نزلنا اليك﴾**الآية ثم قال له: إذا وجدت فى نفسك شيئاً **فقل** :

﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم ﴾

الذكر فى التعوذ والرقى

جاء فى صحيح البخارى ان النبى ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما يقول :

« أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة (١) ومن كل عين لامة(٢)»

ويقول أباكما كان يعوذ بها اسماعيل واسحاق .

---

(١) الهامة ذات السم القاتل كالحية ونحوها . (٢) اللامة التى تصيب ما نظرت إليه .

وروى فى الصحيحين أنه ﷺ كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: « اللهم رب النـاس اذهب الباس واشف أنت الشافى لاشفـاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما » .

وروى مسلم ان عثمان بن ابى العـاص شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده فى جسده منذ أسلم فقال له رسول الله ﷺ :ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل « بسم الله » ثلاثا وقل سبع مرات :

« اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر » .

وروى الترمـذى بسند حســن أن النبى ﷺ قال : من عـاد مريضاً لم يـحضر أجله فقال عنده سبع مرات :

« أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك » إلا عافاه الله .

الذكر عند رؤية المبتلى

روى الترمذى بسند حسن أن النبى ﷺ قال من رأى مبتلى فقال :

«الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا » .

وروى فى الصحيح انه ﷺ كان إذا أوى الى فراشه جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما قـل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ بـرب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع مـن جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه ومما اقـبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات، قالت عائشة: فلما اشتكى «المرض»كان يأمرنى ان افعل ذلك به.

الذكر والدعاء فى النكاح

روى غير واحد من اصحاب السنن بالسند الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه قوله : علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة :

« الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا من يهـده الله فلا مضـل له ، ومن يضـلل فلا هـادى له ، واشهـد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله »

﴿ يا أيها الناس اتقـوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخـلق منها زوجها وبث منـهما رجالاً كـثيراً ونسـاء واتقوا الله الذى تـساءلون به والأرحـام إن الله كان

عليكم رقيبا ﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾.

وروى الترمذى بسند صحيح أن النبى ﷺ كان إذا رفأ [1] لإنسان قال : «بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير » .

وروى أبو داود بسند صحيح أنـه ﷺ قال: إذا تزوج احدكم امرأة أو اشترى خادماً فليقل: « اللهم انى اسألـك خيرها وخير ما جبلتها [2] عليه وأعـوذ بك من شرها وشر مـا جبلتها عليـه ، وإذا اشترى بعيراً فلـيأخذ بذروة سنامه وليـقل مثل ذلك[3] » وروى البخارى ومسلم أنه ﷺ قال : لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال :

« بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشـيطان ما رزقتنا » فقضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً .

الذكر عند الولادة

روى الترمـذى بسند صحيـح أنه ﷺ أذّن فى أذن الحسن بن عـلى رضى الله عنهما لما ولدته أمه فاطمة رضى الله عنها بالصلاة :

« الله اكبر الله اكبـر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محـمداً رسول الله إلى آخر الأذان » .

الذكر والدعاء عند رؤية باكورة الثمر

أخرج مسلم أن النبيﷺ كان يجاء إليـه بأول الثمر فيأخذه بيده ﷺ ويقول : « اللهم بارك لنا فى ثـمرنا وبارك لنا فى مدينتنا وبارك لنا فـى صاعنا وبارك لنا فى مدنا » .

ثم يعطيه أصغر من يحضر من الولدان .

---

(١) دعا له بالالتئام وحسن العشرة .

(٢) جبلتها فطرتها وخلقتها .

(٣) وليقل مثل هذا من اشترى سيارة يركبها أو دباباً أو دراجة إذ المعنى والحكم واحد .

الذكر عند سماع صياح الديك أو نهيق الحمار

روى فى الصحيح أن النبى ﷺ قال : إذا سمعتم نهاق الحمير .

« فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فانها رأت شيطاناً وإذا سمعتم صياح الديك فاسألوا الله من فضله فانها رأت ملكاً » .

روى أبو داود بسند صحيح أنه ﷺ قال:« إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله منهن فإنهم يرين ما لا ترون» .

الذكر عند رؤية المحبوب والمكروه

روى الحاكم وصححه أن النبى ﷺ كان إذا رأى ما يحب قال :

« الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات » وإذا رأى ما يكره قال :

« الحمد لله على كل حال »

الذكر فى السلام

روى الترمذى بسند حسن أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال : السلام عليكم فرد عليه ، ثم جلس ، فقال النبى ﷺ: « عشر » ثم جاء آخر ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه، فجلس . فقال: « عشرون » ثم جاء آخر ، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه ، فجلس ، فقال: « ثلاثون» (المراد بالعشرة والعشرين والثلاثين قدر الحسنات) .

وروى ايضاً بسند حسن أن النبى ﷺ قال : « اذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم ، فإن بدا له أن يجلس فليجلس ، ثم اذا قام فليسلم ، فليست الأولى بأحق من الآخرة » : ومعنى يسلم يقول :

(السلام عليكم ورحمة الله) .

الذكر عند رؤية ما يعجب

روى أحمد والحاكم بسند صحيح أنه ﷺ قال : اذا رأى أحدكم ما يعجبه فى نفسه أو ماله فليبرك عليه فإن العين حق ومعنى يبرك عليه يقول :

« اللهم بارك فيه » .

وروى عنه ﷺ أنه قال :« من رأى منكم شيئاً فأعجبه فليقل :

ما شاء الله لا قوة إلا بالله ».

ويشهد لهذا الحديث الضعيف قول الله تعالى: ﴿ **ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله**﴾: ويشهد له الحديث الصحيح الذى سبق ذكره. والله أعلم .

الذكر عند رؤية الهلال

روى الدارمى والترمذى بسند صحيح أنه ﷺ كان اذا رأى الهلال قال :

« الله اكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لماتحب وترضى ، ربنا وربك الله » .

قال اهل العلم : عندما يقول العبد هذا الذكر والدعاء يقوله وهو مستقبل القبلة لا وهو مستقبل الهلال ــ رووا هذا عن على وابن عباس رضى الله عنهم .

الذكر والدعاء عند الصوم

وروى أبو داود والنسائى بسند مقبول انه ﷺ كان إذا افطر يقول:

« ذهب الظمأ وابتلت العروق وأثبت الأجر إن شاء الله تعالى »

وروى أن عبد الله بن عمر كان إذا افطر قال :

« اللهم إنى اسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر لى »

الدعاء عند رؤية ليلة القدر

روى فى السنن بسند صحيح أن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال : قولى :

« اللهم إنك عفوٌ تحب الْعَفْوَ فاعف عنى »

الدعاء عند القتال

اخرج الشيخان ان النبى ﷺ قال فى بعض غزواته لأصحابه :« لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال :

اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم »

دعاء من نزل به ضر لم يطقه

روى فى الصحيحين أنه ﷺ قال : لا يتمنين احدكم الموت من شر اصابه فإن كان لا بد فاعلا فليقل :

« اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى » .

دعاء من تصيبه مصيبة

روى فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال : ما من عبد تصيبه مصيبة فليقل: « إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها » إلا آجره الله تعالى فى مصيبته وأخلف له خيراً منها .

ذكر ودعاء من بلغه وفاة أخيه

روى ابن السنى [1] عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال :

الموت فزع فاذا بلغ احدكم وفاة اخيه فليقل :

« إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه عندك فى المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلفه فى اهله فى الغابرين ولا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده» .

الدعاء للميت

روى مسلم أنه ﷺ صلى على جنازة فحفظ من دعائه عليها قوله :

« اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار » .

حتى قال الصحابى الذى سمعه: تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت الذى دعا له رسول ﷺ وروى الحاكم وغيره وقال صحيح قوله ﷺ حين صلى على جنازة :

---

(١) سكت النووى فى الاذكار عن سند هذا الحديث فسكتنا عنه فالله أعلم بصحته .

« اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا وشاهدنا وغائبنا اللهم من أحييته منا فاحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده » .

الذكر والدعاء عند زيارة القبور

روى مسلم أن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول :

« السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » .

وروى مسلم ايضاً عن عائشة رضى الله عنها قالت: قلت يا رسول الله كيف أقول؟ قال قولى : « السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المتقدمين منكم ومنا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون » .

وروى الترمذى بسند حسن أنه ﷺ مر بقبور بالمدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: « السلام عليكم يا اهل القبور يغفر الله لنا ولكم انتم سلفنا ونحن بالأمر».

وروى أنه ﷺ كان يعلم أصحابه اذا خرجوا الى المقابر أن يقول قائلهم : «السلام عليكم يا أهل الديار المؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون اسأل الله لنا ولكم العافية » .

الذكر والدعاء عند السفر

يستحب لمن أراد السفر الى جهة ما أن يستخير الله تعالى فى ذلك ، ودعاء الاستخارة وهو كما رواه مسلم بقوله : كان رسول الله ﷺ يقول : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل :

« اللهم إنى استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب . اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر « وتسميه باسمه » خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم ان هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة امرى وعاجله وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضّنى به » .

روى النسائـى بسند حسن انه ﷺ قال: مـن اراد أن يسافر فليقل لمـن يخلف «استودعكم الله الذى لا تضيع عنده الودائع » .

روى الترمذى بسند صحيح عن ابن عـمر رضى الله عنه أنه كان يقول للرجل إذا اراد سفراً ادن منى اودعك كما كان رسـول الله ﷺ يودعنا فيقول : «استودع الله دينك وامانتك وخواتم عملك » .

ذكر النووى فى الاذكـار أنه روى عن أنس رضى الله عنه قولـه لم يرد رسول الله ﷺ سفراً إلا قال حين ينهض من جلوسه :

« اللهم اليك توجـهت وبك اعتصمت اللهم اكفنى ما اهـمنى وما لا اهتم له اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير اينما توجهت » .

روى مسلم أنه ﷺ كان إذا اسـتوى على بعيره خارجاً الى سفـر كبر ثلاثا ثم قال :

« سبحان الذى سخر لنـا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنـقلبون اللهم إنا نسـألك فى سفرنا هـذا البر والتقوى ومـن العمل ما ترضـى اللهم هون علـينا سفرنا هذا واطو عنـا بعده انت الصاحب فى السفر والخليفـة فى الأهل اللهم انى اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى المال والأهل »

وإذا انقلب راجعاً قالهن، وزاد فيهن: « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون » .

وروى غير واحد بسند صـحيح أن علياً رضى الله عنه اتى بدابة ليـركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال :

(بسم الله) فـلما استوى علـى ظهرها قال (الحمـد لله) ثم قال ﴿ **سبحان الذى سخر لنا هذا** ﴾الآية .

اخرج النسائـى وغيره بسند صحيـح انه ﷺ لم ير قرية يريد دخـولها إلا قال حين يراها :

« اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما اقللن ورب الشياطين ومـا اضللن ورب الرياح وما ذرين أسـألك خير هذه القرية وخـير اهلها وخير ما فيها واعوذك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها » .

واخرج مسلم انه ﷺ قال : من نزل منزلاً ثم قال :

« اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق »

لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك .

استعاذات مطلقة

روى مسلم أنه ﷺ كان يقول :

« اللهم إنى اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها » .

روى مسلم أنه ﷺ كان يقول: « اللهم إنى أعوذ بك من شر ما عملت وشر ما لم أعمل » .

وروى مسلم أنه ﷺ كان يقول :

« اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك انبت وبك خاصمت اللهم انى أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنى أنت الحى الذى لا يموت والجن والانس يموتون » .

وروى مسلم أنه ﷺ كان يعوذ فيقول :

« اللهم انى أعوذ بك من سوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء وجهد البلاء » .

أدعية مطلقة

روى مسلم أن النبى ﷺ كان يقول :

«اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر ».

وروى مسلم أنه ﷺ كان يقول :

« اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » .

الذكر والدعاء عند دخول المنزل

روى أبو داود ولم يضعفه قوله قال رسول الله ﷺ: إذا ولج الرجل بيته فليقل :

« اللهم إنى اسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا » ثم ليسلم على أهله .

روى مسلم أن النبى ﷺ قال : « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال :أدركتم المبيت والعشاء ».

الذكر والدعاء عند الإيواء الى الفراش

روى مسلم أنه ﷺ كان إذا أوى الى فراشة قال :

« الحمد لله الذى اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى» .

وروى الشيخان أنه ﷺ كان إذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد والمعوذتين ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات ورويا ايضاً أنه ﷺ قال :« من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه ».

الآيتان :

﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه**﴾ الى آخر السورة .

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه أتاه آت يحثو من الصدقة ـ وكان قد جعله النبى ﷺ عليها ـ ليلة بعد ليلة فلما كان فى الليلة الثالثة قال لأرفعنك الى رسول الله ﷺ قال : دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ـ وكان أحرص شيء على الخير ـ فقال : إذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم**﴾ حتى تختمها فانه لن يزال عليك من الله حافظ ولا

يقربك شيطان حتى تصبح . فقال رسول الله ﷺ: صدقك وهو كذوب « ذاك شيطان » .

وروى الشيخان عن على رضى الله عنه قوله : أتت فاطمة الى النبى ﷺ تسأله خادماً فلم تجده ووجدت عائشة فأخبرتها قال على: فجاءنا النبى ﷺ وقد أخذنا مضاجعنا فقال :« ألا أدلكما علي ما هو خير لكما من خادم ، إذا أويتما الى فراشكما : فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين فإنه خير لكما من خادم» .

وأخرج مسلم أنه ﷺ كان إذا أوى الي فراشه قال :

« اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته . اللهم انت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر » .

وروى الشيخان عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ: إذا أويت الى مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل :

« اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى اليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا اليك آمنت بكتابك الذى انزلت وبنبيك الذى أرسلت » .

فإن متَّ من ليلتك متَّ على الفطرة . واجعلهن آخر ما تقول .

الذكر والدعاء عند الرؤيا

روى الشيخان ان النبى ﷺ قال :« الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ وليتعوذ بالله من شرها فانه لا تضره ان شاء الله تعالى» ، وفى رواية :« وليتحول عن جنبه الذى كان عليه ». لفظ التعوذ من الشيطان :

« أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

ولفظ التعوذ من شر الرؤيا :

« اللهم انى أعوذ بك من شر ما رأيت فى رؤياى أن يضرنى فى دينى أو دنياى ».

الذكر والدعاء عند الاستيقاظ أثناء النوم

أخرج البخارى انه ﷺ قال : من تعارّ (١) من الليل فقال :

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » ثم قال : « اللهم اغفر لى أو دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته » .

الذكر والدعاء عند القيام للتهجد

روى الشيخان انه ﷺ كان اذا قام من جوف الليل يقول :

« اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق، اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت إلهى لاإله إلا أنت ».

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين .

---

(١) بتاء وعين مفتوحتين فألف فراء مشددة (أى استيقظ) .

الرسَالَة الخَامِسَة عَشَرة

الدستور الإسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين . **له الخلق والأمر** ، ومنه الشرع وله الحكم ، وهو العليم الحكيم . وصلوات **الله** تعالى وسلامه على صفوة خلقه ، وخاتم أنبيائه ورسله ، محمد المبعوث بأتم الشرائع ، وأقوم المناهج وأكمل القوانين . وعلى آله الطاهرين المطهرين ، وصحابته الراشدين المهديين.

وبعد : فنظراً لإعراض أكثر حكومات المسلمين عن الشريعة الإسلامية ، ورغبتهم عنها ، وحكمهم المسلمين بقوانين لم توضع أساساً لهم ولم تتفق مع عقائدهم وتعاليم دينهم ، وحتى أصبح المسلمون يعيشون فى وضع شاذ غريب عنهم ، لم يذوقوا معه طعم الحرية ، ولم يعرفوا فيه معنى للاستقلال ، وهم الذين جاهدوا طويلاً السلطة الاستعمارية الكافرة التى كانت تحكمهم بقوانينها الجائرة الفاسدة بعد زوال الحكم الإسلامى بذنوب الآباء ، وتفريط الأجداد . أقول : جاهدوا تلك السلطة بقوانينها الكافرة من أجل إقامة الحكم الإسلامى الذى هو بمثابة الحياة للوجود ، والروح للجسد .

وتبع هذا الوضع ـ الغريب عن المسلمين ـ فساد عام انتظم جميع وجوه الحياة .

ففى العقيدة : دب الإلحاد الى كثير من النفوس .

وفى الاخلاق : تفشى الفساد وانتشر التحلل .

وفى السلوك العام : ظهر الانحراف وكثر الشر .

وفى الحكم : عمت الفوضى وساد الظلم وتحكم الطغيان ، وأصبحت الحال تنذر بأخطار عظيمة أهونها ذهاب السيادة وفقدان الاستقلال ، أو نسخ هذه الأمة ذات القيم والاخلاق والمبادئ والأهداف بأمة لا قيم لها ، ولا أخلاق ، ولا مبادئ ، ولا أهداف ، شأنها شأن غيرها من أمم الكفر والإلحاد تعيش زمناً ثم تبيد.

وصاح أهل الحق فى كل ديار المسلمين مستنكرين هذا الوضع الغريب عن المسلمين ، ومطالبين ولاة المسلمين والقائمين على الحكم فيهم : بالعودة الى شريعة الإسلام ؛ لإنقاذ الأمة من الهوة السحيقة التى يمكن أن تتردى فيها ، وللحيلولة دون الكارثة العظمى التى ستتبع حتماً هذا الوضع الفاسد الغريب .

وتصامم الحكام عن سماع تلك الصيحات ولا أقول كرها لها فحسب ، بل وعجزاً عن الخروج من الدائرة التى تركهم الاستعمار الكافر فيها ، وعدم قدرة على التخلص من جاذبية الروح الثقافية الغربية التى عاشوا فى محيطها دهراً طويلاً، وزمناً غير قصير .

واعتذر بعضهم بعدم صلاحية الشريعة الإسلامية لهذا العصر ، وعدم قدرتها على مسايرة التطور الحضارى الحالى ،وهو عذر ـ فى عرف الشرع ـ أقبح من ذنب .

وتعلل بعض آخر بعدم وجود قانون إسلامى منظم يمكن تطبيقه ، والسير عليه .وقد يكون السبب الحامل لهم على هذا التعلل هو جهلهم بشريعة الإسلام، وعدم معرفتهم بها ، ولو لم يكن فى رجالات الإسلام من يعرف الشريعة الإسلامية وقوانينها على وجهها الصحيح لكانوا معذورين ـ بدون شك ـ عند الله تعالى وعند الناس . ولكن ما دام بين المسلمين من يعرفون الشريعة الإسلامية ويحسنون تطبيقها على الوجه المحقق للسعادة فى الدنيا والآخرة . وكان فى الامكان إسناد الأمر إليهم ، ووضع المسؤولية عليهم لينهضوا ببيان شريعة الله فى كل جزئيات الحكم وكُليّاته وما على الحكام إلا إنفاذ تلك الأحكام ، وحمل الامة عليها بما لديهم من سلطان . لم يكونوا معذورين بحال من الاحوال ، وسيحاسبون أمام الله تعالى عن كل صغيرة وكبيرة أضاعوها لهذه الأمة ، وسواء كان ما أضاعوه لها ديناً أو دنيا .

وشفقة عليهم ، ورحمة بهم ، وقطعا لعذرهم ، وإبطالاً لحجتهم كذلك ، استخرت الله تعالى ، واستعنته عز وجل فى اقتباس دستور من الشريعة الإسلامية ينتظم كافة شؤون الدولة ، وعامة حاجات الأمة ، وسائر متطلبات الحياة حياة المسلم التى هى إيمان ورجاء ، وطهارة وكرامة ، كما هى عزة وسيادة ، وكما يريدها له ربه تبارك وتعالى حياةً طيبةً حيث قال : ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة**﴾ الآية ١٦ / ٩٧ .

وقد تم هذا الدستور بعون الله تعالى على نحو لا اشك فى أنه وإن كان قابلاً للتصحيح والتنقيح من رجالات الشريعة الإسلامية ، لا اشك فى أنه ما اخذت به حكومة من الحكومات الإسلامية وطبقته نصاً وروحاً على كل شؤون الدولة ، وسائر أمور الحياة إلا تحقق لها من الكمال الدنيوى والأخروى ما لم يتحقق لغيرها من أمم العالم وشعوبه بحال من الاحوال . والتجربة أكبر برهان . **ألا فلنجرب!!**

وذلك لانه من هدى الله عز وجل والذى قال فيه : ﴿ **فمن اتبعَ هُداى فلا يضل ولا يشقى** ﴾ ٢٠ / ١٢٣ .

ومن طاعة محمد ﷺ والتى قال الله تعالى فيها : ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾ ٢٤ / ٥٤ .

ومن الإيمان والعمل الصالح اللذين يتحقق بهما وعد الله فى قوله: ﴿ **وعدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً** ﴾ ٥٥ / ٢٤ .

وأخيراً فهذا هو الدستور الإسلامى أضعه بين يدى كل حاكم مسلم ، وأدعو إلى الأخذ به كل حكام المسلمين ، وكلى ثقة بأنه سيحقق لكل أمة تأخذ به بصدق ما يصبوا إليه افرادها من عزة الدنيا وسعادتها ، وكرامة الآخرة . والفوز بالنعيم المقيم فيها .

والدستور يشتمل على الاقسام التالية :

١ ــ القسم السياسى .   ٢ ــ قسم الاحكام القضائية والجنائية .

٣ ــ قسم العقائد الإسلامية .   ٤ ــ قسم العبادات الشرعية .

والله تعالى أسأل أن يوفق الحكام المسلمين للعمل بما فيه ، وأن يحقق لهم به ما تتطلع اليه شعوبهم من عَيْش العز والكرامة ، وحياة الصفاء والطهارة وليسعدوا فى دنياهم وآخرتهم .

حقق اللهم ذلك إنك قوى قدير . وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الدستور الإسلامى

تعريفه :

الدستـور الإسلامى : إلهى مـوضوع لتكمـيل الإنسان ، وإسعـاده فى الدار الدنيا ، وفى الدار الآخرة .

معنى تكميل الإنسان :

يولد الإنسان ناقصاً فى معارفه ، وأخلاقه ، غـير كامل فى فضائله النفسية ، وقيمه الانسانية ، وآدابه الخلقية محتاجاً الى التكميل فى كل ذلك .

ورحمةً بـه وضع الله تعالـى له دستوره الإلـهى الذى هو شـرع الله وهداه ؛ ليكمل به ويصبح الإنسان المكرم عند ربه .

معنى السعادة:

السعادة فى هذه الحياة : تنعيم جسد الإنسان بالحصول على حاجاته من مأكل ومشرب ، ومـلبس ، ومسكـن خالية من الـعذاب ، الجسدى وسائـر الكدورات النفسية .

وفى الحياة الآخـرة : تنعيم الجسد والروح مـعاً بلذاذة النعيم الـكامل فى دار السلام .

القسم السياسى

وفيه ثمانية أبواب
مشتملة على أحد وعشرين
فصلاً وخمس وسبعين
مادة

الباب الأول
فى الحكومة

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول
فى تكوين الحكومة

وفيه خمس مواد:

المادة الأولى : فى وجوب نصب الإمام ، وتأسيس الحكومة .

أوجب الإسلام على أتباعه نصب إمام لهم ، وإقامة حكومة تساعد الإمام على إقامة الشرع ، وحمل الناس عليه ليسعدوا بذلك فى الدنيا والآخرة .

ودليل هذا الواجب الإسلامى أمور ثلاثة :

أولها : نَصْبُ الله تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ إماماً للمسلمين حيث أوجب عليه أن يحكم بين الناس بقوله : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم** ﴾ ٥/ ٥١ . وأوجب التحاكم اليه بقوله : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** ﴾ ٤ / ٦٤ .

وأوجب تعالى الاقتداء به فى قوله : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة** ﴾ ٣٣ / ٢١ .

وكان عليه الصلاة والسلام يعين الأمراء ، ويبعث بالولاة ، حكاماً وقضاة الى الأقاليم والمناطق ، وكل ذلك كان بإذن الله تعالى وعلمه ، فدل هذا على وجوب نصب الإمام للمسلمين ، وإقامة حكومة لهم .

وثانيها: أحاديث الرسول ﷺ القاضية بذلك نحو قوله :« إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا عليهم أحدهم ». (رواه أبو داود) . وقوله : «لا يحل لثلاثة نفر

يكونون بأرض فلاة إلا أمَّروا عليهم أحدهم ». (رواه أحمد عن ابن عمر) .

ثالثها: إجماع المسلمين على هذا الواجب ، ـ وهم لا يجتمعون على ضلالةـ ومبادرتهم الى القيام به ساعة وفاة نبيهم وإمامهم الأول ﷺ حيث بايعوا أبا بكر الصديق خليفة لرسول الله ﷺ يحكم المسلمين كما كان يحكمهم رسول الله ﷺ بشريعة ربهم ، وهدى نبيهم .

المادة الثانية : فى نصب الخليفة ووجوب طاعته . خليفة المسلمين ينصب عليهم بأحد أمرين :

أولهما: أن ينصب بطريقة اختيار أهل الحل [1] والعقد والإبرام والنقض فى الأمة له ، فبايعه على الحكم بالكتاب والسنة بإقامة العدل والشرع العلماء والصلحاء ورجال الحرب والاقتصاد ، فتبايعه الأمة تبعاً لهم على الحكم بالكتاب والسنة بإقامة الشرع والعدل ، وحينئذ تجب طاعته فى المعروف ، ويحرم الخروج عليه ما دام يحكم المسلمين بشريعة ربهم ، وهدى نبيهم مقيماً فيهم الشرع والعدل، وبهذه الطريقة نصّب الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه .

وثانيهما : أن ينصب الخليفة [2] نفسه بقوة السلاح ويدعو الناس الى مبايعته، فيبادر أهل الإبرام والنقض فى الأمة من علماء ورجال الحرب ، والمال ،

---

(١) طريقة الانتخابات العامة والمعمول بها فى كثير من البلاد الغربية فانها لا تخلو من جهل وغش ، وكلاهما لا يجيزه الاسلام ، وبيان ذلك : ان اكثر الناخبين لا يعرفون عن الرجل المنتخب أكثر مما يسمعونه من دعاة الانتخاب . والذين كثيراً ما تكون لهم أغراض خاصة فى شخص ما فيبالغون فى وصفه واطرائه للجماهير تضليلاً لهم وتغريراً بهم . والرجل المنتخب ليس بذى أهلية للمنصب ، كما أن صناديق الاقتراع كثيراً ما يعبث بها، وتزور الأوراق فيها بصورة فظيعة . وهكذا لا تخلو طريقة الانتخابات العامة من جهل وغش . وما قيمة اختيار يقوم على هذين الأساسين الجهل والغش ؟ !

ثم طريقة الاقتراع لا تحسن إلا فى حالة ما اذا ترشح للمنصب أكثر من واحد ، وتشاح الناس فى اختيارهم أحدهم ، فحينئذ يحسن الاقتراع عليهم لتعيين أحدهم .

(٢) ليس هذا الأمر بطريقة مشروعة لنصب الإمام ، وإنما هو امر اضطرارى يقع بدون رضا المسلمين ، ولا اختيارهم ، ثم لا يستطيعون رده ، فيبايعون الغالب رفعاً للشر وحسماً لمادة الخلاف المفضية عادة الى الفتن والشرور .

والاقتصاد ، فيبايعونه على الحكم بالكتاب والسنة بإقامة الشرع والعدل، فيبايعه بقية المسلمين على ما بايعه عليه أهل الحل والعقد على الحكم بالكتاب والسنة ، وإقامة الشرع والعدل . فتجب حينئذ طاعته فى المعروف ، وتحرم معصيته فيه ، والخروج عنه بحال من الاحوال ، ما دام يحكم بالكتاب والسنة ، ويقيم الشرع والعدل .

وأما وجوب طاعة خليفة المسلمين وإمامهم ، فبقول الله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾** ٤ / ٥٨ .

وبقول الرسول ﷺ :« اسمعوا وأطيعوا وان تأمّر عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة» (رواه البخارى وأحمد).

كما أن حرمة الخروج على خليفة المسلمين وإمامهم ، والتمرد على حكمه ثبتت بقول الرسول ﷺ : «من كره من أميره شيئاً فليصبر ، فإنه من خرج على السلطان شبراً مات ميتة جاهلية» (متفق عليه) هذا ولا تجب الطاعة ، ولا يحرم الخروج فى غير المعروف لقول الرسول ﷺ :« السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية [1] ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» (متفق عليه) .

المادة الثالثة : فى صفات الخليفة :

لا يبايع على الخلافة ، أو الإمامة البيعة الاختيارية إلا من تتوفر فيه الصفات الآتية :

١ ــ الإسلام ، بأن يكون مؤمناً تقياً يؤدى فرائض الله ويجتنب نواهيه .

٢ ــ العقل السليم الراجح .

٣ ــ السلامة من العمى ، والصمم ،والخرس ، وسلامة اليدين والرجلين .

٤ ــ العلم بالكتاب والسنة ، وبأصول الشريعة وفروعها . وأن يكون مجتهداً

---

(١) مثال الأمر بالمعروف : أن يؤمر المسلم بأداء واجب ، أو فعل مباح فتجب عليه طاعة الإمام فى ذلك.
ومثال الأمر بالمعصية : أن يؤمر المسلم بترك فريضة ، أو بعمل محرم كزنا أو قتل بغير حق فلا تجب عليه الطاعة فى ذلك ، ولا تحرم عليه معصية أولى الأمر ، لأنه أمر بمعصية ولا طاعة فى معصية ، فليعلم هذا .

في ذلك .

٥ ــ شرف النسب وطهارته .

أما اشتراط الإسلام؛ فلقول الله تعالى : ﴿ **وأولى الأمر منكم** ﴾ فى سياق خطاب المؤمنين ، فدل ذلك على اشتراط الإيمان فى الخليفة والإمام .

وأما اشتراط العقل ؛ فلأن التكاليف دائماً منوطة بالعقل .

وأما السلامة فى الحواس والأعضاء ؛ فلأن مهام هذا المنصب لا ينهض بها إلا من كان سليم الأعضاء والحواس .

وأما اشتراط العلم بالشريعة ؛ فلأنها القانون ومادة الحكم ، فمن لم يعرف الشريعة لا يمكنه الحكم بها ، ولا تنفيذها على الوجه المطلوب .

وأما شرف النسب ؛ فلأن الأنبياء كانوا يبعثون من أشراف أممهم ، والخليفة لما كان خليفة لرسول الله ﷺ فى أمته وشرعه كان ينبغى أن يكون شريف النسب[1]، لا وضيعه ؛ لما فى ذلك من موجبات إجلاله واحترامه ، ثم طاعته والانقياد له ، يشهد لهذا قول أبى بكر الصديق : إن العرب لا تدين إلا لهذا الحىّ من قريش . وذلك لشرف قريش ومكانتها عند العرب .

المادة الرابعة : فى تكوين مجلس الخلافة ، وبيان مهمته .

يساعد الخليفة فى أعباء الحكم ومسؤولياته مجلس يدعى مجلس الخلافة، يتكون من نائب الخليفة الذى هو أشبه رجل به فى علمه وصلاحه ، وكفايته وقدرته على تحمل أعباء الخلافة ، ومهام الحكم . ومن خبراء صالحين من رجال العلم والحرب ، والصناعة ، والمال ، ممن يعتبرون أهل الحل والعقد فى البلاد .

وأما مهمة هذا المجلس فإنها زيادة على تسديد الخليفة ومساعدته بالرأى والمشورة ، عملاً بقول الله تعالى :

﴿ **وشاورهم فى الأمر** ﴾ [2].

---

(١) وعلى فرض تعذر وجود هذه الصفات مجتمعة فى رجل واحد من المسلمين ، فليختر أكمل المسلمين فى هذه الصفات بقدر الطاقة ، وما فى المستطاع ، وما لا يدرك كله لا يترك جله . كما قال الحكماء .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

وقوله : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ (١) .

واقتداء برسول الله ﷺ وعمـلاً بسنته ، حيث كان يستشيـر أصحابه ، وكانوا يشيرون عليـه بما يرونه الخير فى الأمور فيقـبل منهم مشورتهم ونصـحهم ، حتى كانوا وهم حواريوه كأنهم وزراء له ﷺ . زيادة عـلي هذا فإنه يُسند إلى كل واحد منهم رئاسة وزارة من الوزارات المختلفة . فالفـقيه يتخذهُ وزيراً للعدل والقضاء ، والعالمُ يتخذه وزيراً للتربية والتعليم ، والحربى يتخذه وزيراً للدفاع ، والاقتصادى يتخذه وزيراً للمالية والاقتصاد، والصانـع يتخذهُ وزيراً للصناعة ،وهكذا كل واحد يرأس وزارة فى ناحية اختصاصه الخاص به .

المادة الخامسة : فى حكم عزل الخليفة ، ونصب (٢) آخر بدلاً عنه .

لا يعزل الخليفة مادام قادراً على تحمل أعباء الخلافة ، ناهضاً بمسئولياتها لقول الرسول ﷺ في رواية مسلـم :« ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة بـيده ، وثمرة قلبه فليـعطه إن استطاع . فـإن جاء آخر ينازعـه ، فاضربوا عنق الآخـر ». فإذا أخل بذلك لـعجز أصابه ، أو مـرض مزمن ألم به أو تـوفى بأجله ، فـليبايع مـجلس الخلافة نائبه الذى كان أشبه رجل به فى سائر صفاته المعتبرة ، ثم يدعى الناس الى مبايعة الخليفة الجديد علي الحكم بالكتاب والسنة ، وإقامة الشرع والعدل . ويعين نائب له ممن تتوفر فيهم صفات الخليفة من علماء المسلمين وصالحيهم ، ويرفع الى مجلس الخلافة الدائم .

(١) الشورى : ٣٨ .

(٢) لا معنى لتحديد مدة الخليفة بسنوات معدودة ، ثم تجدد بيعته ، أو يخلع من منصبه كما هو جار فى بعض البلاد الغربية ، اذ العبرة بسلامة الحكم ، وتحقّق أهـدافه من اقامة العدل والشرع . فمتى حصل ذلك فلا مـعنـى للـتبـديل والـتغـييـر إلا اللـهـو واللـعب أو الـعبـث والفـساد ، وهـذا محـرم فى الإسـلام .

الفصـــل الثـــانى
فى الولاة

وفيه أربع مواد:

المادة الأولى : فى شروط الولاية .

كل ولاية فى الـدولة سواء كانت قضـاء ، أو وزارة ، أو ولاية، أو إمارة أو نظـارة ، أو إدارة لا يجوز أن تـسند لأى من الـناس إلا اذا توفـرت فيه الـشروط التالية :

١ ــ الإيمان والتقوى .لقول الله تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ (١).

فغير المسلم من المواطنين أهل الذمة ، وكذا المسلم الفاسق بكبيرة من الذنوب لا يسنـد اليهم مـنصب من المـناصب المذكـورة بحال ، إلا فى ضـرورة قصوى ، وعلى شرط أن تعمل الحكومة على إنهاء هذه الضرورة بإعداد كفء لهذا المنصب.

٢ ــ أن يكون ذا أهلـية بالعلم والمعرفـة فى شأن ما يسند إليـه من منصب ، وذلك لقـول النبى ﷺ :« إذا وسد الأمـر الى غير أهلـه فانتظر الـساعة (٢) » . (البخارى) .

٣ ــ أن لا يكون المرشـح للمنصب قد طلـبه ، أو سعى للحصول عـليه بأى سعـى كان لقـول الرسول ﷺ :« انّا والله لا نولـى هذا العـمل أحداً سـأله ، أو حرص عليه ». (مسلم) .

المادة الثانية : فى كيفية تعيين الولاة وغيرهم .

تسند المناصب الهامة فى الـدولة كالقضاء ، والوزارة ، والولاية ، والإمارة ، والقيادة والنظارة بأحد أمرين :

---

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) لفظ السـاعة أعم من أن يكون يـوم القيامة فقـط . بل إنه يتناول سـاعة هلاك كل شىء وخرابـه أو ضياعه وفساده.

اولهما : اختيار الدولة للشخص الذى تريد إسناد المنصب اليه . وذلك بعد البحث والاستقصاء فى التعرف الى أمانته وكفايته . إذ بهذه الطريقة كان النبى ﷺ، والراشدون من بعده يعينون الأمراء ، والولاة ، والعمال .

ثانيهما : ترشيح أهل الإقليم ، أو المنطقة ، أو المدينة ، أو القرية لشخص منهم تتوفر فيه شروط المنصب الذى يراد إسناده إليه ، من أمانة وكفاية (١) .

المادة الثالثة : فى مساواة الولاة لغيرهم من المواطنين : يجب أن لا يتميز ذو المنصب فى الدولة على غيره من المواطنين فى باب الحقوق والواجبات بحال من الأحوال ، ولو كان إمام المسلمين نفسه ، وذلك لأن المسلمين سواسية تتكافأ دماؤهم . ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد واحدة على من سواهم . كما جاء فى الحديث الصحيح .

فليس لذى المنصب مهما شرف منصبه أن يتفضل على مواطن مسلم ، أو ينتهك حرمته ، أو يسبه أو يضربه ، أو يأخذ ماله بغير حق واجب .

وإذا ما ثبت أن ذا منصب اعتدى على أى مواطن ، وبأى وجه من الاعتداء، فإن للمواطن كل الحق فى أن يقيم على المعتدى دعوى الى القاضى ويحاكمه . وعلى القاضى أن ينصفه منه ويعطيه ما أعطاه الشرع من حق كامل غير منقوص، ولو كان المعتدى إمام المسلمين وخليفتهم فمن دونه . فانه ليس أحد أفضل ولا أكرم من رسول الله ﷺ . وقد قال : من أخذت له مالاً فهذا مالى فليأخذ منه ، ومن ضربت له ظهراً فهذا ظهرى فليقتد منه .

والإمام على رضى الله عنه ادعى عليه يهودى دعوى فحاكمه عند قاضيه (شريح) ، فجلس أمام القضاء وهو خليفة المسلمين وإمامهم .

وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وهى سيدة الأميرات فى العالم . قال فيها رسول الله ﷺ : **والله لو سرقت لقطعت يدها !!**

المادة الرابعة : فى حق المواطنين فى التوجيه والنصح .

---

(١) المراد من الكفاية العلم والقدرة والأمانة .

من حـق كل مواطن شـاهد حيفـاً ، أو اهمالاً أو سـوء تصرف من صـاحب منصب من مناصب الدولة إمام المسـلمين أو من دونه من الولاة والعمال أن يذكره وينصحه ويعظه ويوجهه بالـكلام الطيب ، والقول المعروف فى أدب ، واحترام ، وذلك لقول الرسول ﷺ فى الصحيح : «وان تناصحوا فى من ولاه الله امركم، وعلى من نصح له أن يتقبل النصح ويشكر عليه» .

وقد ثبت أن رجلا قال لعمر بن الخطاب وهو خلـيفة للمسلمين : اتق الله فينا يا عمر فأجابه عمـر قائلا : لا خير فيكم إذا لم تقولوها لنـا . ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم .

وقال مرة : من رأى فىّ اعوجاجاً فليقومه .

وقال عثمان رضى الله عنه : إن وجدتم فى كتـاب الله تضعوا رجلى فى القيد فضعوا رجلى فى القيد .

وقال أبو بكر الصديق فى خطبة الخلافة : أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم . إن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى .

غيـر أنه لا يجوز تـوجيه الـنصح ، أو الإرشـاد بعبارات تـدل صراحة عـلى الاهانة والتحقـير ، وعدم الاحترام لولاة المسلمين . إذ الواجـب على كل مواطن احتـرام ولاة الامور وتوقـيرهم ، وذلك قـول الرسول ﷺ . إن مـن إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم وحامل القرآن غيرْ الغالى فيه ، والجافى عنه . وإكرام ذى السلطان المقسط .

الفصل الثالث

فى كيفية حكم وإدارة الأقاليم التابعة للخلافة

وفيه مادتان :

المادة الأولى : فى تعيين نائب للخليفة .

يعين الخليفة نائـباً له يتولى حكم وإدارة الإقليم التابع لـلخلافة « يسمى والى الإقليم » على أن تتوفر فيه غالب الشروط المطلوبة للخليفة نفسه من العلم بأصول

الشريعة وفروعها ، والتقوى ، والكفاية .

والاصل فى هذا عـمل الرسول ﷺ والخلفـاء الراشدين من بعـده ، إذ كانوا يعينون الولاة من طرفهم ليحكموا الأقاليم البعيدة عن عاصمة الخلافة ودارها .

المادة الثانية : في مجلس إدارة الإقليم .

على نائـب الخليفة إذا حل فـى الإقليم أن يكون لـه بالتزكية مـجلساً إقليـمياً يختار له أعضاءه من رجالات الإقليـم وغيرهم إن دعت الحاجة الى ذلك من أهل العلم والتقوى والكفاية ؛ بحيث يكون المجلس صورة مصغرة من مجلس الخلافة (الوزراء) ، فـيضـم أصحـاب الخبرات والـقدرات مـن أهل الـعلـم والحرب ، والاقتصاد والصناعة .

ويتخذ الـوالى من هذا المجلس سـنداً له وعدة يدير بـها الاقليم ويحـكمه ، فيستشير أعضاءه ، ويأخذ بصائب رأى أكثريتهم . كما يسند إلى كل عضو (١) منهم إدارة مصلحة من مصالح الدولة فى الإقليم ، فـمن الفقهاء يتخذ مديراً للقضاة ، ومن العلمـاء يتخذ مديراً للتعلـيم ، ومن الحربيين يتخذ مديـراً للأمن ، وهكذا ، فيـجعل كل ذى اخـتصاص مديـراً عاماً فى مـصلحـة اختصاصـه . ويربط جمـيع تصرفاتهم به فلا يبت أحدهم فى أمر يتعـلق بمصلحته إلا بعد عرضه على المجلس ومنـاقشتـه والموافقـة عليـه . وبعـدها يرفـع إلى مجـلس الخلافـة (الوزراء) ، للتصديق عليه وإقراره .

إيضاح :

إذا رأى وزير التـعليم مـثلا رأياً يتـعلق بوزارتـه ،فإنه يعـرضه على مـجلس الخلافة بكـامل أعضائه للنـظر فيه ، والتصديـق عليه . فإذا حاز موافـقة المجلس أمضاه الخـليفة . وبعث بـه الوزير الى كافـة مدراء التعلـيم فى المناطق والأقـاليم لتنفيذه والعمل به .

وهكذا الأمر بالنسبة إلى كل وزير فى مجلس الوزراء .

---

(١) وعليه فمجلس الاقليم أشبه بمجلس الخلافة غير أنه أصغر صورة ، وأقل خطورة .

الفصل الرابع

فى إدارة المدن ، والقرى ، داخل الإقليم

وفيه تسع مواد :

المادة الأولى : فى تكوين المجلس المدنى .

يدير المدينة ، أو مجموعة القرى المتجاورة ، مجلس يطلق عليه اسم «المجلس المدنى » .

يتكون أعضاؤه من ذوى الخبرة فى كل شأن من شؤون الدولة بحيث يكون كل عضو فيه نائباً عن مدير من مدراء المصالح الحكومية .

فرئيس المجلس يكون نائباً عن والى الإقليم ، ورئيس الحسبة (الشرطة) ، يكون نائباً عن مدير الأمن العام فى الاقليم ، ورئيس المحكمة والقضاء يكون نائباً عن مدير العدل فى الاقليم . وهكذا حتى يكون المجلس المدنى صورة مصغرة من المجلس الاقليمى الذى هو صورة من مجلس الخلافة (الوزراء) .

المادة الثانية : فى مهمة المجلس المدنى .

مهمة المجلس المدنى تنحصر فى أمرين :

أولهما : البحث فى كل ما يرفع شأن المدينة ، ويحقق لها الخير والصلاح ، والتعاون على ذلك بعرض كل عضو المسائل التى ترد على مصلحته واستشارة كافة أعضاء المجلس فيها والأخذ برأيهم فى ذلك .

وثانيهما : ان كل عضو فى المجلس يرأس مصلحة خاصة من مصالح الخلافة (الدولة) فى المدينة ، وبناء على هذا فستتفرع عن المجلس المدنى المجالس الآتية:

١ ــ الحسبة (الشرطة) .

٢ ــ القضاء .

٣ ــ المالية .

٤ ــ التعليم .

٥ــ الاصلاح الاجتماعى .

المادة الثالثة : فى تكوين مجلس الحسبة وبيان مهامّه .

تتكون هيئة الحسبة من رئيس يدعى رئـيس هيئة الحسبة « الشرطة »، ويشترط فيه ان يكون عالماً بالـشريعة ذا تقوى وكفاية . ومن أعضاء عاملـين يساعدونه على تسيير أعمال الهيئة .ويوضع تحت تصرف هذه الهيئة عدد من الرجال الاكفاء يقلون ويكثرون بحسب سعة المدينة وضيقها ، يقومون بمهمة الحسبة والتى هى :

١ ــ المحافظة على الأمن والنظام داخل البلد .

٢ ــ تنظيم السير فى البلد والاشراف عليه .

٣ ــ تنفيذ الاحكام الشرعية التى تصدرها المحكمة على المواطنين .

٤ ــ الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر فى البلد ، وبين المواطنين فيأمرون بكل معروف يرونه قد ترك بين الناس ، وينهون عن كل منكر يرونه قد ارتكب بين المواطـنين . وذلك لـقول الله تعـالى : ﴿ **ولتكـن منكم أمـة يدعون الى الخـير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المـنكر ، وأولئك هم المفلحون** ﴾ سورة آل عمران ١٠٤ .

المادة الرابعة: فى المجلس القضائى :

يتكون فى المدينة الواحدة ، أو مجموعة القرى المتجاورة محكمة قضائية تضم رئيساً وعدداً من القضــاة يساعدونه على إصدار الاحكام الشرعية فــى القضايا التى يرفعها المواطنون الى المحكمة للنظر فيها والحكم .

وذلك لقول الله تـعالى : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبيـنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** ﴾ سورة الحديد ٢٥ .

وقوله تعالى: ﴿**وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**﴾. سورة النساء ٥٧ .

المادة الخامسة: فى المجلس المالى :

يتكون فى مدينة ، أو مجموعة القرى المتجاورة مجلس مالى « هيئة » ، يضم رئيـساً للصــندوق ، وكاتـباً ، وحاسبـاً وجباة ، تودع فـيه أموال الـدولة للجـمع

والصرف . يطلق عليه اسم فرع بيت المال ، ويكون مرتبطا بوزارة المالية ، وببيت مال الخلافة .

المادة السادسة: فى مجلس التعليم :

يوجد فى مدينة من مدن الخلافة ادارة للتعليم تضم مديراً وكتّاباً وحسبة مهمتها القيام بشؤون التعليم ، وتنفيذ ما يرد إليها من الإدارة العامة للتعليم فى الاقليم من أوامر تتعلق بمهمة التربية والتعليم .

المادة السابعة: فى مجلس هيئة الاصلاح الاجتماعى وبيان مهامه .

يتكون مجلس هيئة الاصلاح الاجتماعى من احد كبار العلماء بالشريعة الإسلامية رئيسا ، ومن خبير معمارى ، وطبيب ، ورجل اقتصاد ، وآخر اجتماعى [1] .

ومهام هذه الهيئة هي : كافة ما يتعلق بشؤون المدينة من الناحيتين : الدينية والدنيوية وذلك ما يلى :

١ ــ الاشراف على البناء والتخطيط فى المدن والقرى .

٢ ــ النظافة العامة فى المدينة والقرية سواء بسواء .

٣ ــ تأمين الماء والنور فى المدينة والقرية ، وصيانتهما .

٤ ــ تأمين النقل واصلاحها داخل المدينة وبين القرى .

٥ ــ إعداد وسائل الاطفاء والإنقاذ ، والقيام بذلك عند حدوثه .

٦ ــ الإشراف على الحفلات العامة ومراقبتها ، وكذا الاجتماعات العامة كالمقاهى والأندية والملاعب الرياضية ، والمسابح البحرية وما الى ذلك .

٧ ــ مراقبة الأسواق ، والبضائع والسلع التجارية .

٨ ــ مراقبة أزياء المواطنين ، والمواطنات ، وملابسهم نساء ورجالاً ، فلا تسمح للرجل ولا للمرأة بالخروج عن آداب الزى الإسلامى المعروف .

---

(١) المراد بالرجل الاجتماعى : من يعرف احوال البلدة وسكانها وذلك كتاريخ المدينة أو القرية ، وأنساب الساكنين وعاداتهم ، وطرق معايشهم ، وما الى ذلك من احوالهم الاجتماعية .

٩ ــ تنظيم الزى وتوحيده للطوائف الآتية :

العلماء ــ الجند ــ الحسبة ــ النساء ــ المرتاضون ــ الكشافة .

ففى الجند يوحد الزى مع وجود علامة فارقة بين الجندى المسلم ، والجندى الكافر ، كالطربوش بدلاً من القبعة مثلاً .

وفى رجال الحسبة يوحد زيهم وتوضع لهم علامة مميزة . وفى النساء تلزم المواطنة بأن تلبس درعاً سابغاً واسعاً فضفاضاً يستر قدميها ، وتتقنع بقناع يستر رأسها وعنقها بحيث لم يبد منها إلا دائرة الوجه والكفان فقط ، هذا اذا ترخصت[1] فى ذلك ، وإلاّ فإنها تتلفع بمرط (ملاءة) تستر جميع جسدها من قمة رأسها الى أخمص قدميها وهذا هو اللائق بها .

وفى العلماء يوحد زيهم ، ويلزمون العمامة لتكون فارقاً بينهم وبين عامة الناس .

وفى المرتاضين يوحد الزى ، ويكون السروال ساتراً لنصف الساق ،وكذا الكشاف مع إيجاد شعار للكشافة الإسلامية تفارق بها الكشافة غير الإسلامية.

كل ذلك حذراً من قول الرسول ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم » .

المادة الثامنة : فى المجلس الصحى .

يتكون فى كل مدينة ، أو مجموعة القرى المتجاورة ادارة صحية يكون رئيسها نائباً عن مدير الصحة العام الذى هو نائب عن وزير الصحة فى مجلس الخلافة (الوزارة) ، وتكون مهمتها الاشراف على الاطباء والممرضين ، والمرضى ، والعلاج ، وكل شأن يتعلق بالعلاج والتمريض فى المشافى ، والمصحات ، والمستوصفات .

وتبذل هذه الهيئة من العناية الطبية والصحية ما يجعل مشافى الخلافة أحسن خدمة للمرضى ، وأكثر عناية بهم من جميع مشافى العالم ، وذلك لما أمر به

---

(١) بأن تأخذ بما ترخص فيه أهل العلم حيث أخذوا بظاهر قول الله تعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** .﴾ . وقول الرسول لأسماء : «ان الجارية اذا بلغت المحيض لا يبدو منها إلا هذا وهذا » ، وأشار الى الوجه والكفين .فى حديث مرسل معروف .

المسلمون من الاحسان ، والاخلاص ، ولما يتصفون به من الرفق ، والرأفة والرحمة . ومما يجب أن تمتاز به مشافى الخلافة أيضاً كون تمريض الرجال خاصاً بالرجال ، وتمريض النساء خاصاً بالنساء .

المادة التاسعة : فى الجمعيات التعاونية .

بناء على أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى ، ونهيه عن التعاون علي الإثم والعدوان فى قوله :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان ﴾ (1) .

وتحقيقاً لهذا المطلب السامى تتكون فى كل أحياء مدن الخلافة ، وعامة قراها جمعيات تعاونية حيث يقوم رجال الحى أو القرية يعاونهم المجلس المدنى ببناء مسجد جامع فى حيهم أو قريتهم يتسع لكافة أفراد الحى أو القرية ذكوراً وإناثاً ، ويختارون إماماً لهم من أهل العلم والصلاح يسندون إليه أمر الصلاة بهم ، وجمعهم فى مسجدهم مرتين فى الأسبوع ذكوراً وإناثاً لدراسة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تثقيفاً لهم ، وتربية لأرواحهم وتقويماً لأخلاقهم .

ومن المسجد وأهله تنبثق اللجان الاصلاحية التالية :

١ ـ لجنة صندوق الحى ، أو القرية ، ومهمتها جمع الاشتراكات الشهرية من أفراد الحى أو القرية ، وحفظها فى صندوق الجمعية .

٢ ـ لجنة رعاية الحى أو القرية ، ومهمتها تفقد أحوال المتساكنين فى الحى أو القرية لمعرفة مريضهم ، ومحتاجهم ، وغائبهم ، ومظلومهم وظالمهم ، وتقديم ذلك فى بيان لإمام الحى ، أو القرية ، لتقديم المساعدة الفورية التى يفرضها الإسلام بحكم الجوار ، والأخوة الإسلامية .

٣ ـ لجنة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،ويتكون أفرادها من رجل الحسبة فى الحى والذى تعينه إدارة الحسبة العامة فى المدينة ، ومن عضوين آخرين من أهل الحى ، ومهمتها مراقبة سلوك أفراد الحى أو القرية ، ومعرفة كل من ترك معروفاً وهو قادر على فعله ، أو ارتكب منكراً وهو غير مضطر إليه ، واستدعاؤه

---

(1) المائدة : ٢ .

الى لجنة التأديب فى المسجد لأخذه بطرق تأديبها الخاصة .

٤ ــ لجنة التأديب ، وتتكون من إمام المسجد وعضو من رجال الحسبة ، وأمين صندوق الحي ، ومهمتها تأديب وإصلاح كل من يخل بواجبه فى المجموعة المتساكنة فى الحى أو القرية بتركه المعروف ، أو ارتكابه المنكر من قول أو فعل أو اعتقاد .

وتستخدم هذه اللجنة فى إصلاح الأفراد وسائل التأديب التالية :

١ ــ الوعظ والنصح ، إذ كان الرسول ﷺ يؤدب أصحابه بالقول أحياناً ، فإن لم يجد ذلك انتقل الى المادة التالية :

٢ ــ المقاطعة بهجره التام من كل أفراد الحى حتى من أقرب قريب له ، الى أن يتوب بفعل ما ترك من المعروف ، أو ترك ما ارتكب من المنكر ، فإن لم تنفع هذه انتقل الى المادة التالية :

٣ ــ رفع الأمر إلى دائرة الحسبة فى المدينة ، ومطالبتها باسم كافة أفراد الحى، أو القرية بإصلاح الشخص أو نفيه من الحى أو القرية ، لأنه عضو فاسد يخشى معه سراية فساده الى أفراد الحى الصالحين .

وهكذا الحال فيما اذا ارتكب حداً من حدود الله ، فإنه يرفع الامور فوراً الى دائرة الحسبة (المحافظة) لمحاكمته ، وإقامة الحد عليه بإذن والى الخليفة فى المدينة أو الإقليم .

الباب الثانى

فى قوى الأمن والدفاع

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

فى تكوين هيئة الدفاع

وفيه ثلاث مواد

المادة الأولي : فى وجوب الدفاع .

الدفاع عن أرواح المسلمين ، وأموالهم ، وأعراضهم ، وعقائدهم واجب بالكتاب والسنة . قال تعالى : ﴿ **قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا** ﴾ (١) وقال : ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز** ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** ﴾ (٣) . وقال رسول الله ﷺ : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » . رواه أصحاب السنن وأحمد .

المادة الثانية: فى مجلس الدفاع الأعلى .

يتكون مجلس الدفاع الأعلى من وزير الدفاع الذى هو أحد أعضاء مجلس الخلافة . ومن قائد القوات المسلحة العام وهو عضو أيضاً فى مجلس الخلافة . ومن أركان حرب ،ومن نائب لكل أعضاء المجلس الثلاثة .

---

(١) آل عمران : ١٦٧ .

(٢) الحج : ٤٠ .

(٣) البقرة : ١٩٠ .

المادة الثالثة: فى ارتباط هيئة الدفاع بالخلافة .

بما ان وزير الدفاع والقائد العام عضوان فى مجلس الخلافة فإن وزارة الدفاع مرتبطة بمجلس الخلافة بطبيعة الحال . وعليه فلا تتخذ هيئة الدفاع التى هى المجلس الأعلى للدفاع أى قرار يتعلق بشأن الدفاع فى السلم والحرب إلا بعد عرضه على مجلس الخلافة ومناقشته ثم إقراره .

فليس لوزير الدفاع ، ولا لقائد القوات العام ، ولا لأركان حرب ، أو من دونهم من قادة وضباط أن يصدر أمراً الى الجيش أو بعض ألويته وكتائبه بالتحرك لقتال ما ، إلا بعد ابراز قرار مجلس [1] الخلافة وامضاء خليفة المسلمين ، وإلا فليس لافراد القوات المسلحة طاعته وامتثال أمره بحال من الاحوال .

الفصل الثانى

فى التجنيد أو الخدمة العسكرية

وفيه ثلاث مواد

المادة الأولى: فى وجوب الخدمة العسكرية .

بحكم قول الله تعالى : ﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده** ﴾ [2] .

وقوله : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن**﴾[3] .

---

(١) فى هذا ما يقى بعض الشىء الأمة والحكومة شر الانقلابات العسكرية ، التى أضحت خطراً متوقعاً دائماً وسيفاً مصلتاً على رأس الامم والحكومات . قضى على معنى الاستقرار فى كثير من البلاد . وجر ويلات كبيرة على شعوب تلك البلاد واهلها .

(٢) الحج : ٧٨ .

(٣) التوبة : ١١٢ .

وقول الرسول ﷺ : « من مات ولـم يغز ، أو يحدث نفسه بالغـزو مات ميتة جاهلية » (١) .

فإن التجنيد الـذى هو الخدمة العسكرية أمر واجب علـى كل شاب مسلم فى هذه الظروف التى تطـورت فيها الاسلحة وأساليب الدفاع ، بلغ الـثامنة عشرة من عمره ، وهو سليم العقل والجسم .

وبناء علي هذا فإن على كل شاب مسلم بلغ سن التجنيد أن ينخرط فى سلك الدفاع لقضـاء عامين فى التدريب والتمـرين على كل فنون الحرب ووسـائل القتال والدفاع .

المادة الثانية : فى هيئة التجنيد ومهمتها .

تتكون الهـيئة المختصة بتجـنيد الشباب للخـدمة العسكرية من نـائب عن قائد القوات المسلحـة ، وآخر عن أركان حرب ، وعضوين آخرين أحدهـما طبيب من وزارة الصحـة ،والثانى قـاض من وزارة العدل . ويـطلق علـى هذه الهيـئة اسم «الهيئة العليا للتجنيد والخدمة العسكرية » .

ومهمتها : استعراض المواليـد لكل سنة ، وإصدار الأوامر باستدعـاء البالغين سن التجنيد إلى مراكز التدريب حيث يخـتبرون صحياً ويلحقون بالتدريب والخدمة العسكرية المختلفة .

المادة الثالثة : فى مراكز التدريب .

ينشأ فى كل عمـالة من عمالات الخلافة وأقاليمها مركـز مجهز بكامل الآلات والأدوات الخاصة بالتدريب والتـمرين العسكرى بحيث يفى بحاجـة شباب المنطقة الذين ينخرطون كل سـنة بأعداد كبيرة . فى هذه المراكز التدريبيـة ، يتعلم الشباب المسلم ويتخرج قادراً عـلى أداء فريضة الجهاد بمعنى كلمة القـدرة حيث يحسن كافة وسائل القتال المختلفة .

وبعدها إن شاء المتـخرج البقاء فى صفوف الجيش وإن شـاء العودة الى الحياة المدنية فله ذلك ، على أن يسجل اسمه فـى سجل الجيش الاحتياطى العام ، حتى

---

(١) رواه أحمد ومسلم وغيرهما .

إذا ما دعى يوماً للجيش أجاب الدعوة ولبى الطلب ،وبهذا يكون له أجر المجاهدين قاتل أو لم يقاتل . لقول الرسول ﷺ : « ولكن جهاد ونيّة » (١) . وقوله : « من سأل الشهادة صادقاً أعطيها ولو مات على فراشه » .

وما دام الشاب قد تدرب للجهاد وسجل اسمه فى سجل المجاهدين ، فإن حكمه حكم المجاهد .

الفصل الثالث

فى التموين والتسليح

وفيه ثلاث مواد:

المادة الأولى: فى هيئة التسليح والتموين .

تتكون الهيئة المختصة بتموين الجيش وتسليحه من وزير الدفاع ، والقائد العام للقوات المسلحة ، وأركان حرب ، ووزير المالية والاقتصاد . وتكون هى الهيئة المسؤولة عن كل ما يلزم لتقوية الجيش وتطويره ، ليكون دائماً المتفوق على جيوش العالم .

المادة الثانية: فى إعداد السلاح .

على الهيئة المختصة بتسليح الجيش أن تحضر لأفراد الجيش كل أنواع السلاح المختلفة من القنبلة (الهيدروجينية) الى الحربة والسكين . وأن تبذل كل ما يمكن بذله ليكون جيش الخلافة فى مقدمة جيوش العالم ، سلاحاً ، وخبرة ، وقدرة .

وبهذا يتحتم إنشاء مصانع كبرى لانتاج أنواع السلاح المختلفة ، ولو بذلت فيه الحكومة والأمة كل طاقة وجهد ،ولو أدى بالأمة الى أن تأكل وجبة واحدة من الطعام ما دامت فريضة الله فى إعداد القوة متوقفة على ذلك .

قال تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ (٢) .

المادة الثالثة: فى ميزانية الدفاع .

جميع الأموال اللازمة لتمويل الجيش ، وتدريبه ، وتسليحه ، وإدارة مصانعه

---

(١) من حديث ابن عباس عند أحمد والبخارى ومسلم وغيرهم .
(٢) الأنفال : ٦٠ .

تؤخذ من ميزانيــة الخلافة العامة ، كما هو الشأن فى سائـر الوزارات المختلفة فى الخلافة . وعند الحاجة يفـتتح اكتتاب للأمة يُسهم فيه سائر طبقـاتها بما يسد حاجة الجيش ، إذ هذا الإسهام واجـب شرعى على أفراد الأمة من أجل القـيام بفريضة الجهـاد التى هـى فريـضة كل مـسلم . قـال تعـالى : ﴿ **وجـاهدوا فـى الله حـق جهاده**﴾[1]. وقـال : ﴿ **انفروا خفـافاً وثقالاً ، وجاهدوا بـأموالكم وأنفسـكم ، فى سبيل الله** ﴾ [2] .

الفصل الرابع

فى استخدام القوى الدفاعية

وفيه مادتان:

المادة الأولى: فى الاذن باستخدامها .

لا يسمح أن تستخدم القوات المسلحة بحال من الاحوال إلا بإذن صريح يوقع عليه الخلـيفة ، وأعضاء مجلس الخـلافة (الوزراء) ، إن لم يكونوا كلـهم فعلى الأقل ثلثاهم ، وذلـك لأن الجهاد لابد فيه من أمر الخليفة ، والـقوات المسلحة لا تستخدم إلا فى الجهاد الشرعى الذى أذن الله تعالى فيه بقوله :

﴿ **أذن للذيـن يقاتلون بـأنهم ظلموا ، وإن الله عـلى نصرهم لـقدير** ﴾ [3] . وبقوله : ﴿**وإن طائفتان من المؤمـنين اقتتلوا فأصلحوا بينهمـا ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله** ﴾ [4] .

المادة الثانية: فى الحالات التى تستخدم فيها القوات المسلحة .

تستخدم القوات المسلحة بإذن الخليفة ، ومجلس الخلافة كما نصت على ذلك المادة الأولى من هذا الفصل . ولا تستخدم إلا فى الحالات التالية :

١ ــ إذا اعتدى على أرض الخلافة أو بحارها أو أجوائها .

٢ ــ إذا اعـتدى علـى رعايا الخـلافة المسـلمـين وغيرهـم من أهل الـذمة ،

---

(١) الحج : ٧٨ .
(٢) التوبة : ٤١ .
(٣) الحج : ٣٩ .
(٤) الحجرات : ٩ .

والحماية،وسواء كان الاعتداء على الأرواح والأموال ،أو على الأعراض والأديان .

٣ ـ فى اخضاع العصابات المسلحة من أهل الحرابة وقطاع الطرق ممن يخيفون السبيل ويروعون الآمنين ، بالسطو على الاموال وازهاق الأرواح داخل أرض الخلافة .

٤ ـ فى قتال البغاة وهم الجماعة يخرجون عن الخلافة ويشقون عصا الطاعة، رغبة فى الحكم والتسلط ، فيقاتلون بموجب مادة قتال أهل البغى ، فى باب القضاء من الدستور .

٥ ـ فى قتال من صدّ عن الإسلام ، أو اعترض طريق نشر هدايته بين العالمين.

ويعتبر القتال فى هذه الحالات الأربع قتالا شرعياً . ويعتبر أهله مجاهدين فى سبيل الله تعالى ، ومن مات منهم مات شهيداً ، ومن عاش عاش عزيزاً كريماً ، وذلك لقول الله تعالى فى الحالة الأولى والثانية : ﴿ **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** ﴾ (١) وقوله ﴿ **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم**﴾ (٢) .

وقوله فى الحالة الثالثة : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض** ﴾ (٣) .

وقوله فى الحالة الرابعة : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله**﴾(٤) .

وقوله فى الحالة الخامسة : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله**﴾(٥) . وقوله : ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرَّم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ (٦) .

---

(١) البقرة : ١٩٤ . (٢) البقرة : ١٩٠ . (٣) المائدة : ٣٣ .
(٤) الحجرات : ٩ . (٥) البقرة : ١٩٣ . (٦) التوبة : ٢٩ .

الباب الثالث

في المال والاقتصاد

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

في حرمة المال ، وكيفية دخله وهيمنة الدولة عليه

وفيه ثلاث مواد :

المادة الأولى: في حرمة المال .

يعتبر الإسلام المال شيئاً محترماً ، فهو يأمر بإنمائه واصلاحه ، وينهى عن إفساده وإتلافه .ويحرم اغتصابه وسرقته . قال تعالى : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياماً** ﴾ (١) . وقال عز وجل : ﴿ **والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواماً** ﴾ (٢) . وقال : ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما** ﴾ (٣) . وقال : ﴿ **ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم ، أو وزنوهم يخسرون** ﴾ (٤) .

المادة الثانية : في طرق دخل مال الخلافة .

ميزانية الدولة التي هي بيت مال المسلمين تتكون من الأموال المجموعة من الطرق التالية :

١ ــ من المعادن والثروات الطبيعية في أرض الخلافة .

---

(١) النساء : ٥ .

(٢) الفرقان : ٦٧ .

(٣) المائدة : ٣٨ .

(٤) المطففين :

٢ ــ من الزكوات المفروضة فى أموال المسلمين بقول الله تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ [(١)] .

٣ ــ من مصانع الحكومة ومنشآتها العمرانية ومؤسساتها التجارية والفلاحية .

٤ ــ من رسوم البضائع التجارية المستوردة من خارج أرض الخلافة من تجار أهل الذمة ، والحربيين .

٥ ــ من تبرعات الأغنياء ، وطوابع البريد ،وما اليها .

٦ ــ الفىء والغنائم .

المادة الثالثة : فى هيمنة الدولة على المال .

المال عصب الدولة وقوام حياتها . فهى لا تكون بدونه ، ولا تقوى على أداء واجباتها بغير وجوده ، ولهذا يحق لها ، بل يجب عليها أن تهيمن عليه فتراقبه فى دخله وخرجه . وتفريقه وجمعه ولكن فى نطاق الحق والعدل ، ومراعاة الحلال والحرام .

فجمعه لا يكون أبداً من غير المصادر المشروعة التى أذن الله تعالى فى الاكتساب منها ، فلا يجمع مال الدولة ولا مال الأفراد من بيع المحرمات ، ولا من الفوائد الربوية ، ولا بالاغتصاب والسرقة ، ولا بمصادرة ، أو تأميم غير مشروع .

كما أن صرفه يجب أن لا يكون خارجاً عن دائرة مصلحة الأمة الخاصة والعامة بحال من الاحوال ، فلا ينفق المال سواء كان مال الدولة أو مال الأفراد فيما لا يحل الإنفاق فيه من المعاصى ، والإسراف والتبذير ، وسائر المحرمات . إن الإسلام يعتبر المال أداة نفع مشتركة بين أفراد المسلمين . قال تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ [(٢)] . وقال عز وجل : ﴿ **كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم** ﴾ [(٣)] .

فلا يحل إذاً انفاق المال من الدولة أو الأفراد فى غير ما يحقق مصلحة ظاهرة للفرد أو الأمة .

---

(١) التوبة : ١٠٣ . (٢) البقرة : ١٨٨ . (٣) الحشر : ٧ .

الفصل الثانى

فى إنماء مال الدولة

وفيه أربع مواد :

المادة الأولى : فى الانماء داخل البلاد .

تنمـية أموال الدولة أمـر ضرورى من أجل أن يفى بـجميع حاجـات الدولة ، ومتطلباتها الـكثيرة ، ومن هنا كان لابد من ضرب الحكومة بسهـم كبير فى جميع الميادين التجارية والصـناعية والفلاحية ، فتنشىء لها مؤسسات مـختلفة صناعية ، وفلاحية ، وتجارية ، وذلك لتحقيق غرضين أساسيين وهما :

١ ـ تنمية أموال الدولة لتصبح تغل باستمرار وبذلك يحفظ كيان الدولة نامياً متطوراً قوياً .

٢ ـ لإيجاد وظيفة عـمل لكل مواطن يتقاضى بموجبـها المخصص لإعاشته ، وأفراد أسرته من ميزانية الدولة التى هى بيت مال المسلمين .

هذا ، ولكى تتمكـن الحكومة من تحقيق أكبر هدف لها فـى إيجاد عمل لكل مواطن فـى الدولة ، يتقـاضى بموجبه إعـاشته وأفراد أسرتـه ، عليها أن تـختص بجميع المـرافق العامة فى البلاد وذلك كالمـعادن والثروات الطبيعيـة ، والكهرباء ، والماء ، والمواصلات .

(تنبيه) :

لا ينبغى أن يفهم من هذا أن للحكومـة أن تحتكر جميع الصناعات والتجارات من اصدار وتوريـد دون أفراد الأمة ، لا ، لا . بل لأفراد الأمة وبـكل حرية أن ينشئوا ما شاءوا من المؤسسات الصناعية والتجارية والفلاحية . وعلى الحكومة أن تشـجعهـم علـى ذلك . وما لـها علـيهـم إلا شيئـان : أولهمـا: أخذ الـزكوات المفروضـة. وثانيهما : الـنظر فى شؤون الـعمال المسـتخدمين لديهم ، بـحيث لا يوظف أحد فى الشركات والمؤسسات الأهليـة براتب وأجر أقل مما يتقاضاه الموظف فى شركات الحـكومة ومؤسساتها ؛ إذ مـن أغراض الحكومة فى إنشـاء المؤسسات

الصناعية والتجارية إيجاد عمل للمواطن يتقاضى بموجبه المخصص له فى بيت مال المسلمين (خزانة الدولة) .

وعليه فإذا وجدت الحكومة مؤسسات أهلية أمينة صالحة توظف لها أعداداً من المواطنين بقدر من المال يسد حاجتهم فى الحياة ، فإن ما عليها إلا مساعدة تلك المؤسسات وتشجيعها بما يكفل لها النمو واطراد النجاح .

المادة الثانية: فى تنمية مال الدولة خارج البلاد .

لا مانع البتة من أن تنمى الدولة الفائض من أموالها خارج حدود أرض الخلافة ، إذ ذلك يكسبها فائدتين كبيرتين :أولاهما: دخل مستمر على خزانتها من خارج بلادها ، وفى ذلك ما يدعم مركزها المالى ويقويه بين الدول والحكومات .

وثانيتهما: السمعة الطيبة بين الدول ، والنفوذ السياسى فى البلاد التى تستثمر فيها أموالها الفائضة على مشاريعها فى داخل بلادها .

الفصل الثالث

فى صرف مال الدولة وإنفاقه

وفيه أربع مواد :

المادة الأولى: فى تحريم تبذير المال وإنفاقه فى المعاصى والمحرمات .

لقد حرم الشرع الإسلامى تبذير المال ، وإنفاقه فى المعاصى والمحرمات ؛ فلذا لا يحل لأى فرد من أفراد المسلمين سواء كان حاكماً أو محكوماً ، مسؤولاً أو غير مسؤول أن يبذر مال الله ، أو يتخوض فيه بغير حق ، سواء كان مال الدولة العام، أو مال الفرد الخاص وعلى المخالف العقاب . قال تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ (١) . وقال : ﴿ **ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً** ﴾ (٢) . وقال عز وجل : ﴿ **وكلوا واشربوا ولا**

---

(١) البقرة : ١٨٨ .

(٢) الإسراء ٢٦ ، ٢٧ .

تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ (١) .

المادة الثانية: في تحديد التبذير والإسراف .

يعتبر الإنفاق للمال تبذيراً واسرافاً اذا كان :

١ ــ زائداً على قدر الحاجة من طعام أو شراب ، أو لباس ، أو سكن ، أو مركب .

٢ ــ فى معصية الله تعالى ومعصية رسوله ﷺ بفعل ما نهيا عنه وحرماه من أكل أو شرب ، أو لباس أو نظر ، أو سماع، أو اقتناء ، أو ادّخار .

٣ ــ فيما لا يعنى من المباحات بحيث لا يحقق منفعة ظاهرة ، للفرد أو الجماعة أو يدفع عنهما مفسدة أو مضرة .

المادة الثالثة: فى مراقبة الدولة للمال .

بناءً على قول الله تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ (٢) . وقوله: ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً** ﴾ (٣) . وقول الرسول ﷺ « إن الله حرم عليكم عقوق الامهات ، ووأد البنات ، ومنعَ وهات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال » .

المادة الرابعة: فى صرف مال الدولة وإنفاقه .

الدولة الإسلامية تتبع فى توزيع مالها أرقى الطرق ، وأعدل النظم التى يمكن أن يعرفها الناس فى هذا الوجود ، فهى تجرى احصاءاً عاماً دقيقاً لكل أفراد الأمة التى تحت ولايتها ، وفى ظل لوائها . وعلى أساس ذلك الاحصاء ، ومعرفة الأفراد المواطنين تضع ميزانيتها السنوية العامة ، فتجعل لكل فرد من أفراد الأمة قدراً شهرياً يكفل له الضرورى من القوت . غير أنها لا تدفع له ذلك القدر المخصص إلا مقابل عمل يقوم به للدولة ، فهى تلزم نفسها بإحداث وظيفة لكل فرد يقدر على العمل فى البلاد ليتسلم بموجبها المخصص له فى خزانة الدولة (بيت

---

(١) الأعراف : ٣١ .

(٢) البقرة : ١٨٨ .

(٣) النساء : ٥ .

المال) .

غير أن الدولة تراعى فى هذا جانبين مهمين أولهما أفراد الأسرة ، فذو زوجة وثلاثة أولاد مثلاً يعطى مرتباً شهرياً علي عمله الذى يقوم به ، لا يعطاه الذى لا أسرة له ، أو له أسرة أفرادها أقل من أسرة الأول . وثانيهما ذو المنصب المهم أو العمل الشاق ينبغى أن يزاد على مخصصه بما يشجعه علي الاستمرار في عمله ، والصدق فيه ، على أن لا تكون الزيادة فوق الضعفين .

وبناء على ما ذكر فإن مال الدولة ينفق فى طريقين أحدهما موظفى الدولة من الخليفة الى آخر موظف فى جهاز الدولة ، ومعنى هذا انه ينفق على كافة أفراد الأمة ، إذ ما من مواطن إلاوله عمل يشغله فى الدولة ليأخذ به المخصص له فى الميزانية كما تقدم .

وثانيهما مصادر التنمية التى هى مصانع الدولة ومتاجرها ، ومزارعها ، ومرافقها العامة ، والتى يعمل فيها أفراد الأمة كذلك ، وبه أصبح مال الدولة كله عائداً إلى الأمة .

الباب الرابع

فى التربية والتعليم

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

فى وجوب التعليم ، وبيان حقيقته ، ومدارسه ومواده

وفيه أربع مواد :

المادة الأولى: فى وجوب التربية والتعليم .

تربية أبناء المسلمين واجبة بالكتاب والسنة . قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** ﴾ [1] . والأولاد من الأهل ، ووقايتهم من النار تستلزم تربيتهم وتعليمهم ، وقال رسول الله ﷺ : «مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً ، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

فالأمر بالصلاة يستلزم التربية والتعليم . كما أن الأمر بالتفرقة بينهم فى المضاجع يستلزم التربية الخلقية والآداب الاجتماعية والنفسية .

المادة الثانية : فى حقيقة التربية والتعليم .

المراد من التربية تنمية جسم الولد صالحاً سليماً ، وتنمية أخلاقه فاضلة سامية، وروحه طاهرة طيبة .

فالأولى تحصل بالغذاء الصالح المنظم ، وأنواع من الرياضة البدنية المرحة السهلة .

والثانية تحصل بالعقيدة الدينية والأخلاق الإسلامية ، والعبادات الشرعية

---

(١) التحريم : ٦ . .

كالصلاة وغيرها .

المادة الثالثة: فى إنشاء مدارس التربية والتعليم .

المدارس ودور العلم وسيلة لأداء واجب التربية والتعليم ،والوسيلة تعطى حكم الغاية . فإنشاء المدارس والمعاهد إذاً من باب الواجب المتعين .

ومن هنا وجب على الخلافة أن تنشئ فى كافة القرى والمدن مدارس تبنى على أساس من التقشف والبساطة ، غير أنها ينبغى أن تضم فى غالبها ملعباً للأطفال ، ومسبحاً لتعليم السباحة، ومسجداً للصلاة فالمدرسة للتعليم والمسجد للصلاة ، والمسبح لتعليم السباحة ، والملعب لمزاولة الألعاب الرياضية البدنية المختلفة .

المادة الرابعة: فى مادة التعليم .

مادة التعليم فى المرحلة الأولى من التربية والتعليم ، لا تخرج عن تعليم كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله ﷺ المشتملة على العقيدة ، والفقه ، والأخلاق ، والآداب ،وما يلزم ذلك من قواعد الكتابة والقراءة ، وشىء من الحساب .

أما فى باقى مراحل التعليم فإن التعليم يشمل جميع العلوم والفنون التى يتوقف عليها كمال الأمة وسعادتها .

الفصل الثانى

فى تقسيم التعليم إلى اختيارى واضطرارى

وفيه خمس مواد :

المادة الأولى: فى التعليم الاضطرارى العام .

المراد من التعليم الاضطرارى ، أو الضرورى :هو ما لا يسع المسلم جهله بحيث يجد نفسه مضطراً الى طلبه ومعرفته . وذلك كمعرفة الله تعالى وتوحيده ،

ومعرفة عبادته وطاعته ، ومعرفة رسوله ﷺ وسننه ووجوب اتباعه ، وطاعته . وما الى ذلك من ضروريات الدين الإسلامى .

هذا التعليم يجب أن يعم كل فرد فى الأمة ، وأن يكون إلزامياً يجبر عليه أبناء المسلمين وبناتهم ، إذ هذا العلم هو المقصود بقول الرسول ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . ويشهد له قول الله تعالى : ﴿ **فاقرأوا ما تيسر من القرآن** ﴾ (١) .

المادة الثانية : فى التعليم الاختيارى العام .

المراد من التعليم الاختيارى العام: هو ما كان من التعليم فى المراحل بعد المرحلة الأولى الاضطرارية .

وتدرس فى هذه المراحل العلوم النافعة على اختلاف أنواعها ، وتباين منافعها وفوائدها . وذلك حسب المنهج التعليمى العام للخلافة ، وأفراد المسلمين مخيرون فى هذا التعليم فمن شاء منهم طلب هذا العلم ودرسه ، ومن شاء ترك .

كما أن الطالب مخير فى دراسة ما شاء من العلوم والفنون حسب رغبته وميوله حيث لا يكره على شيء من ذلك ، اللهم إلا من تعين عليه شيء من ذلك. كما فى المادة الرابعة من هذا الفصل .

المادة الثالثة: فى التعليم الاختيارى الخاص .

يتعين على الخلافة أن تنشئ فى كل مدن الخلافة مدارس مهنية مختلفة يؤمها من شاء من أفراد المواطنين لتعلم صناعة من الصناعات يمكنه أن يستفيد بواسطتها عيشاً حراً شريفاً وأن يفيد البلاد نتاجاً صالحاً هى فى حاجة إليه .

على أن يصاحب هذا التعليم المهنى فى مدارسه برنامج أخلاقى دينى يزود الطلاب بروح دينى طيب وخلق إسلامى كريم .

المادة الرابعة: فى التعليم الاضطرارى الخاص .

يتحتم على الخلافة إنشاء معاهد دراسات عليا مختلفة تتناول كل العلوم

---

(١) المزمل : ٢٠ .

والفنون ، كالطب والهندسة ، وغيرهما من العلوم الضرورية لحياة الأمة وقوتها . وأن يختار لـها الطلاب الصالحـين اختياراً خاصاً ويلـزمون بالدراسة فيـها إلزاماً . ولتكن هذه المعاهد من الكثرة بحيث يحـصل بها الاكتفاء المطلوب من وجود فنيين وخبراء فى كل فن من الفنون الضرورية لحياة الأمة وكمالها وقوتها .

وهذا من العلم الـكفائى الذى تأثم الأمة بتركه ، ولا تبـرأ ذمتها إلا بوجوده فيها .

المادة الخامسة : فى بعثات العلم خارج الخلافة .

إذا اضطرت الخلافة الى ابـتعاث مجموعة من الطلاب أو مـجموعات لدراسة فن من الفنون المفقودة فى بلادها ، ولم تتمكن من إيجادها ، وكانت تلك الفنون ضرورية ، وأرادت أن تبتعث طلاباً لدراستها ومعرفتها ، ونقلها الى أبنائها بواسطة من تبـتعثهـم ، وجب عليـها مراعاة ما يـلى كشروط لابـد من توفرهـا فى جواز الابتعاث ، وإرسال البعثات التعليمية :

١ ــ أن يكون ما يطلب من العلوم غير موجود فى دار الخلافة .

٢ ــ أن يُلزَم الطلاب المبتعثون بالزى الإسلامى ، وبتحريم جميع ما حرَّم الله ورسوله . وبالـقيام بجميع الـشعائر الدينيـة فى بلاد ابتعاثـهم ليتمكنـوا من حفظ عقائدهم ، وشعائرهم الدينية ، وأخلاقهم وآدابهم الإسلامية .

٣ ــ أن يجعـل على رأس كل مجمـوعة رقيب يقيـم معها يراقب سـلوكها ، ويرعى أفرادها .

ويعـطى من الصـلاحية ما يمـكنه مـن تأديب كل طـالب يحاول الخـروج عن الآداب الإسلامية ، أو الـتقصير فى أداء الواجـبات الدينية . كل ذلـك خشية أن يتسرب الفساد إلى أفراد الأمة من طريق البعثات التعليمية كما قد حصل بالفعل فى كثير من البلاد الإسلامية .

٤ ــ أن تعمل الخـلافة بسرعة على إيجـاد معاهد لتدريس كل فـن تحتاج اليه سداً لباب الابتعاث وإنهـاءً لمشكلة تعريض أبناء المسلمين لفـساد دينهم وأخلاقهم . كما هو مشاهد ومعروف .

الفصل الثالث

فى التعليم النسائى

وفيه أربع مواد :

المادة الأولى: فى كون مستوى الرجل فوق مستوى المرأة .

ثبت شرعاً وعقلا وعادة أن مستوى المرأة فى قدراتها البدنية والعقلية دون مستوى الرجل . قال الله تعالى : ﴿ **الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض** ﴾ (١) . وقال تعالي : ﴿ **وللرجال عليهن درجة** ﴾ (٢) ومن هنا كان الرجل تكثر عنده دواعى طلب العلم ومقتضياته ، وتقل عنده موانع ذلك .

والمرأة بالعكس منه حيث تكثر عندها الموانع وتقل المقتضيات ، فلهذا وجب أن يختلف المنهج التعليمى بين البنين والبنات اختلافاً كبيراً .

المادة الثانية: فى تحديد منهج التعليم ، وسنوات الدراسة للبنات :

بناء على ما جاء فى المادة الأولى من هذا الفصل من الاختلاف الطبيعى بين الابن والبنت ، بحيث تكثر عند البنت الموانع وتقل المقتضيات بخلاف الابن ، فإنه يتعين تحديد منهج الدراسة وسنوات التعليم للبنات .

فيقتصر منهج التعليم للبنات على تعليم العقائد والعبادات ، وآداب المعاشرة ، والأخلاق الإسلامية الفاضلة مع حفظ أجزاء من كتاب الله تعالى ، وطائفة من أحاديث الرسول ﷺ المتعلقة بالمواضيع التى قررت دراستها .

وأما سنوات التعليم فلتحدد بخمس سنوات فقط ، حيث تدخل البنت المدرسة فى سن السادسة وتبارحها بنهاية السنة العاشرة من عمرها ولا تختبر أثناء

---

(١) النساء : ٣٤ .

(٢) البقرة : ٢٢٨ .

الدراسة ، ولا تعطى شهادة [1] بعدها وإنما يكفيها أن تدرس المقرر لكل سنة دراسة وافية ، وتطبقه فى حياتها عملياً ، إذ القصد الأول والأخير من تعليم البنت المسلمة هو تربيتها ، وتعليمها أمر دينها ، وما يصلح أخلاقها .

المادة الثالثة : فى التعليم المهنى للبنات :

على الخلافة أن تؤسس فى كل مدن البلاد معاهد مهنية للبنات خاصة يتعلمن فيها ما يتفق وطبيعتهن من مهن يدوية خفيفة ، على أن تخضع هذه المعاهد للشروط الآتية :

١ ــ أن تكون مدة الدراسة ثلاث سنوات تبتدئ بالحادية عشرة ، وتنتهى بالرابعة عشرة من عمر البنت .

٢ ــ أن تلتزم البنت بالحجاب الإسلامى ، فلا تأتى المدرسة ولا تخرج منها إلا متخمرة ساترة لزينتها شأنها شأن كل النساء المسلمات فى ديار الخلافة .

٣ ــ أن يرافق هذه الدراسة المهنية الاختيارية دروس توجيهية دينية أخلاقية ، لتكميل البنت المسلمة وإعدادها لأن تكون امرأة صالحة .

المادة الرابعة : فى مهنتى التوليد والتمريض :

تنشئ الخلافة فى كل إقليم من أقاليم الخلافة معهداً كبيراً تنتخب له عدداً من الفتيات اللائى أنهين دراسة المرحلة الأولى ليتعلمن مهنتى التوليد والتمريض ، على أن تراعى فى هذه الدراسة الشروط التالية :

١ ــ أن تقبل طلبات الالتحاق فى هذه المعاهد الأولى فالأولى حتى يتم العدد المطلوب للدراسة فى هذه المعاهد .

٢ ــ المتخرجات من الممرضات يعملن فى الأروقة الخاصة بالنساء فى المستشفيات الحكومية ، إذ المسلمة لا يجوز لها أن تمرض غير ذى محرم لها فى

---

(١) فإن قيل : لم تحرمون البنت المسلمة من تعلم العلوم والمعارف الكونية ؟ . قلنا : لقد تعلمت هذه العلوم فى كثير من البلاد الإسلامية ، وكان ما أضاعته من دينها وأخلاقها ، وما جرته على المجتمع من فساد أكثر مما استفادته من تعلمها . والقاعدة الشرعية أنه متى زادت المضرة على المصلحة أو ساوتها بطل العمل أو حرم الشيء .

حال الاختيار .

وأما المولدات فلهن أن يعملن فى مشافى الولادة الحكومية ، ولهن أن يعملن خارجها .

٣ ــ أن تخضع الطالبــة المتخرجة لحجاب المسلمة شأنها شــأن غيرها من النساء المسلمات ، فالمهنة لا تخرج بها عن دائرة الأدب والصلاح [١] .

٤ ــ أن تــرافق هذه الدراســة دروس دينية أخــلاقية كمــا هو الشأن فــى كل المعاهد المهنية فى دار الخلافة .

---

(١) ونحن نرى أن الممرضات الأجـنبيات من الراهبات لم يمنعهــن حسن التستر فى ثيابهن عــن القيام بالواجب أحسن قيام .

الباب الخامس

فى التوجيه والإرشاد

وفيه فصل واحد:

وبه مادتان:

المادة الأولى: فى هيئة الإرشاد .

تتكون هيئة الإرشاد والتوجيه بناء على قول الله تعالي: ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون**﴾(١) .

ويختار لها خيرة العلماء الصالحين ، ويوضع تحت تصرفها كافة وسائل الاعلان والنشر من إذاعة وتلفزيون وصحافة وغيرها .

المادة الثانية: فى أعمال هيئة الإرشاد :

تقوم هيئة الإرشاد والتوجيه ، ويكون ضمن اختصاصها ما يلى :

١ ــ المراقبة لكل ما يقال وينشر فى البلاد ، فلا تسمح بنشر أو قول كل ما يمس بالشريعة الإسلامية التى هى قانون الدولة ،ودستورها الحاكم فى البلاد . ولها أن تتخذ من الإجراءات ما يناسب كل موقف .

٢ ــ استخدام الاذاعة والتلفزيون والصحافة فى الإرشاد والتوجيه لتكون أداة خير ونفع ، كما هو المطلوب ، لا أداة شر وفساد ، كما هو فى الواقع فى شتى بلاد العالم .

٣ ــ اختيار الوعاظ والمرشدين من أهل العلم الأكفاء ، وتوزيعهم على مساجد المدن والقرى ، والعمل معهم على رفع المستوى الروحى والخلقى والفكرى بين أفراد المسلمين فى كل ديار الخلافة وبلادها .

---

(١) آل عمران : ١٠٤ .

الباب السادس

فى شؤون العمل والعمال

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

فى تكوين الهيئة المشرفة وأعمالها

وفيه مادتان :

المادة الأولى: فى تكوين الهيئة .

تتكون هيئة العمل والعمال أو وزارتهما من خمسة أعضاء : أحدهم يكون عضواً فى مجلس الخلافة ويطلق عليه اسم : وزير ، أو رئيس . وتضم هذه الهيئة العليا بين أعضائها طبيباً ، ومهندساً ، وخبيراً اقتصادياً وفقيهاً شرعياً . ويكون لهذه الوزارة مديريات فى كافة مدن الأقاليم والمناطق . وتكوين هذه الهيئة كان بموجب قول الرسول ﷺ :« ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، وذكر من بينهم[1] رجلاً استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه ». وقوله ﷺ :« اعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه ».

المادة الثانية : فى اختصاص هذه الهيئة وأعمالها :

يدخل فى اختصاص هذه الهيئة أو الوزارة ، ويكون لها الحق فى الإشراف على جميع شؤون العمل والعمال . ومن ذلك :

١ ــ وضع الحد الأدنى للأجور على اختلاف الأعمال وطبائعها من أجل أن لا يضيع حق عامل ، أو يبخس فى عمله وذلك لقوله تعالى : ﴿ **ولا تبخسوا**

(١) رواه ابن ماجة بسند حسن .

الناس أشياءهم ﴾[1] وقدرة العامل شيء وأى شيء يجب أن لا يبخس فيه .

٢ ـ النظـر فى دعاوى العمال وأرباب العـمل ، والحكم فيها بمـوجب الشرع الإسلامى .

٣ ـ التدخل لإنهاء الخلاف بين العمـال وأرباب العمل ، وحل ما يعرض لهم من مشاكل بطريق تقريب وجهات النظر والمصالحة . لقول الله تعالى : **﴿ والصلح خير ﴾**[2] وقول الـرسول ﷺ : «الصلـح بين المسـلمين جـائز إلا صلحـاً أحل حراماً، أو حرم حلالاً ».

٤ ـ الـتوسـط لأرباب الـعمل لـدى الحكـومة فـى قضاء بـعض حـاجاتـهم ومساعدتهم على تطوير أعمالهم وتوسيع دائرتها .

---

(١) الأعراف : ٨٥ .

(٢) النساء : ١٢٨ .

الفصل الثانى

فى نظام التقاعد للعمال

وفيه أربع مواد :

المادة الأولى: فيمن يشمله نظام التقاعد :

يشمل نظام التقاعد أو الإحالة على المعاش كل موظفى الدولة وعمال المصانع، والمعامل ،وكذا العمال الدائمين لدى الفلاحين ، والتجار الكبار والصغار الذين يتقاضون أجراً شهرياً ، ويخصم منهم اشتراك التقاعد المقرر فى لائحة التقاعد الخاصة بتحديد النسبة المئوية التى تؤخذ من العامل .

يشهد لنظام التقاعد فى الإسلام قوله تعالى : ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون** ﴾ [1] ، وقول الرسول ﷺ : « إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيما» ، (رواه البخارى).

المادة الثانية: فى كون الاشتراك فى نظام التقاعد على التخيير :

ليس هناك ما يلزم العامل شرعاً بالانخراط فى سلك التقاعد ، ولذا يجب أن يعرض على كل موظف وعامل موضوع التقاعد ، ويبين له فائدته ، وما يؤخذ من راتبه وما يرد له عند الإحالة الى التقاعد ، ويذكر له كافة الشروط الخاصة بنظام التقاعد ليكون على بيّنة من أمره ، ثم هو بالخيار فى الاشتراك وعدمه . فإن اختار الاشتراك دوّن اسمه فى سجل التقاعد ، وحسم منه القدَر المعين ، وأصبح بذلك عضواً فى المجموعة المشتركة . فإن بلغ سن الإحالة إلى التقاعد صرف له المستحق له ، وإن مات صرف لورثته من زوجة ووالد وولد . وإن تزوجت الزوجة سقط حقها ، وكذا إن بلغ الطفل أو تزوجت البنت .

المادة الثالثة : فى تحديد سن التقاعد ، وما يؤخذ من العامل :

---

(١) التين : ٦ .

ما دامت القضية اصطلاحية محضة خالية من الإلزام الشرعى ، فقد يكون من المناسب أن تكون السن التى إذا بلغها العامل أحيل إلى المعاش ما بين الستين إلى السبعين . وعليه فإذا بلغ العامل ستين سنة من عمره خيّر بين مواصلة العمل وكان قادراً عليه ، وبين الإحالة إلي المعاش فما اختاره فهو له . وفى حال اختيار العامل مواصلة العمل فإنه يبلغ به السبعين سنة فقط ،ثم يحال إلى المعاش حتماً .

وقد يحال الموظف أو العامل على المعاش وهو لم يبلغ السن المحدد لذلك فيما إذا أصيب بمرض فى جسمه بسبب العمل الذى يقوم به فى الدائرة أو المعمل .

وأما القدر الذى يؤخذ من العامل فإنه ينبغى أن لا يضر براتبه ، وأن يكون بالنسبة المئوية أخذاً وعطاء حتى لا يكون هناك إجحاف فى حق بعض الأفراد . فمن أخذ منه القليل يرد عليه القليل ، ومن أخذ منه الكثير يرد عليه الكثير .

المادة الرابعة: فى كون ما يأخذه المتقاعد أو ورثته لا يقل عن سهمه فى بيت المال:

بما أن ميزانية الدولة توضع على أساس أفراد الأمة كثرة وقلة ،بحيث يخصص لكل فرد من أفرادها ما يمكنه العيش به كفافاً ، بلا إسراف ولا تقتير ، وإن كان لا يأخذه إلا مقابل عمل يقوم به للدولة حسب قدرته ، إن كان ذا قدرة على أى عمل كان ، وإلا فقد يعطاه بلا عمل إن كان مقعداً لا يقوى على عمل .

وبناء على هذا فإنه يجب أن لا ينقص ما يأخذه المتقاعد على القدر المخصص له فى ميزانية الدولة بحال من الأحوال فالحد الأدنى لما يأخذه المتقاعد هو نصيبه فى بيت مال المسلمين (خزينة الدولة) .

الفصل الثالث

فى التأمين

وفيه مادتان :

المادة الأولى: فى معنى التأمين وحكمه :

التأمين مصدر أمن الشخص يؤمنه تأميناً إذا أزال المخاوف عنه . فكأنما

الواضعـون لنظام التـأمين أرادوا به إزالة المخاوف عـلى الشخص الـذى أمّن على سيارته ، أو بضاعته بـاشتراكه فى هيئة تتولى دفع غرامة مـا قد يلحقه من أذى أو ضرر فى نفسه أو ماله مقابل القدر الذى يسـهم به صندوق الهيئة كل شهر أو سنة حسب المتعارف عليه .

والإسلام لـم يشرع الـتأمين المـعروف اليـوم والقـائم علـى أساس المعـارضة الخاصة،وذلـك لأنه ربط أتباعه بـرباط الأخوة المتين فجـعلهم كالجسـد الواحد إذا اشتكى مـنه عضو تداعى لـه سائر الجسد بالحـمى والسهر ، فإذا أصـابت أحدهم مصـيبة أتلـفت بعض مـاله أو أعضائـه وجد من اخـوانه المسلـمين من يواسـونه ويمسحون دموعه . فقـد جعل له فى المال نصيباً مفروضاً ، قال تـعالى فى كتابه : ﴿ **والذين فى أموالهم حق مـعلوم للسائل والمحروم** ﴾ (١) . فالمسلمون متضامنون متكـافلون فى غـير حاجة إلى مـثل شركات الـتأمين. أما غيـر المسلمـين الذين لا تربطـهم أخوة الإيمان بـالله ورسوله ، ولا تصل بـينهم وشـيجة الإسلام فـهم فى حاجة إلـى مثل هذه المنظـمات التأميـنية ليجـدوا عند النكبـات من يخفف عـنهم آلامها، وعند المصائب والنوائب من يعينهم أو يساعد .

ومع هذا فـإن الإسلام لا يمنع التأمـين الخاص بشروط خاصة ، إذ نـصوصه تقول : المسلمون على شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً . وكل عمل يقوى روابـط الأخوة ويزيد فى متـانتها حتـى تؤدى ثمرتهـا من التعاون علـى البر والتقوى ، فهو عمل مشروع جائز .

المادة الثانية : فى حقيقة التأمين الجائز وشروطه :

التأمين الجائز الذى لايمنعه الإسلام هو أن يـتفق أصحاب مهنة ما من المهن أو مصلحة من المـصالح كسائقى السيارات مثـلاً على مساهمة مالية متـساوية ووضعها فى صندوق خاص بنيّة أن من يصاب من الشركاء بحادث يتعلق بمهنته فيصيبه بضرر أو تلـف فى نفســه أو ماله يدفـع له من الـصندوق معـونة لإصلاح سيـارته ، أو مداواة جراحاته، أو دفع دية لزمته بجناية سيارته .

---

(١) المعارج ٢٥ ، من أوجه تفسير المحروم : أنه الذى أصابت حاله جائحة أو عاهة فحـرمته ما له بإتلافه ، أو إفساده .

مثل هذا التأمين لا يمنعه الإسلام إذا هو خضع للشروط التالية وتوفرت فيه بكاملها :

١ ــ النية الصالحة وهى أن ينوى بذلك التعاون على البر المأمور به فى قول الله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ (١) والرحمة المذكورة فى قول الله تعالى : ﴿ **وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة** ﴾ (٢) .

٢ ــ أن يدفع المخصص باختياره وبطيب نفسه .

٣ ــ تساوى المشتركين فى القدر الذى يدفعونه مساهمة فى الصندوق ، إلا من تبرع بأكثر فلا منع .

٤ ــ أن يتساوى المشتركون فيما يعطاه أحدهم عند نزول الحادثة ، وإصابة المصيبة .

٥ ــ إذا انسحب العضو من المنظمة مللاً ، أو عجزاً ليس له أن يطالب بما دفعه فى الصندوق ، لأنه دفعه بنيّة البر والصدقة ، فليس له أن يعود فيه لقوله ﷺ : « العائد فى هبته كالعائد فى قيئه » (رواه البخارى) .

٦ ــ أن لا يستخدم المال المتجمع فى الصندوق فى الأعمال الربوية من أجل تنميته أو لغرض آخر . ولا بأس أن ينمى بطرق خالية من الربا ، جائزة التعامل كالتجارة والصناعة وغيرهما .

٧ ــ الهيئة القائمة على الصندوق كالكاتب والمحاسب والمحافظ ، يأخذون أجرة أمثالهم من الصندوق مقابل أعمالهم .

[**تنبيه**] لا بأس بأن توقف الأوقاف الخيرية على مثل هذا الصندوق الخيرى التعاونى لأنه صندوق بر وإحسان تنفق أمواله على أصحاب النوائب والنكبات .

كما لا بأس بتشجيع الحكومة له ، بمال من خزانة الدولة .

---

(١) المائدة : ٢ .

(٢) البلد : ١٧ .

الباب السابع

فى الأعمال الخارجية للخلافة

وفيه فصلان :

الفصل الأول

فى علاقة الخلافة بالأمم والشعوب خارج حدودها

وفيه ست مواد :

المادة الأولى: فى بيان أنواع العلاقات :

العلاقات التى يمكن أن تكون بين الخلافة والدول المجاورة لها والبعيدة عنها هى:

العقيدة الإسلامية ـ الجوار ـ المنافع المتبادلة . والخلافة تعامل كل ذات علاقة من هذه معاملة خاصة بها حسب شريعة الإسلام التى هى قانونها الذى تحكم به.

المادة الثانية: فى بيان معاملة الدولة ذات العلاقة الإسلامية .

تعامل الخلافة الدولة والأمة الإسلامية المجاورة لها ، أو البعيدة عنها على أساس قول الله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ (١) . وقوله جل جلاله: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ (٢) . وقول الرسول ﷺ : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » فمتى كانت تلك الأمة مستقيمة على الإسلام كان لها حق المناصرة وواجب الدعم والتأييد . وإن كانت منحرفة عن الإسلام وشرائعه كان لها حق النصح ، وواجب التوجيه والتسديد حتى تفىء الى الحق وتستقيم على الشرع .

المادة الثالثة: فى معاملة الدولة التى علاقتها الجوار .

---

(١) الحجرات : ١٠ .

(٢) المائدة : ٢ .

فإن كانت الدولة المجاورة غير مسلمة فالخلافة تعاملها على أساس معاهدات : عدم الاعتداء وحسن الجوار ، على نحو مهادنة الرسول ﷺ لطوائف اليهود الثلاث بالمدينة عند هجرته إليها ، وإقامة الدولة الإسلامية بها فإن نقضت تلك الأمة المجاورة المعاهدة بالتعرض لأفراد المسلمين والمواطنين من غيرهم بالأذى ، أو لحدود الدولة بالاستيلاء ، أو الاعتداء ، أو صدت من يدعو إلى الإسلام فى ديارها ، أو تعرضت لمن أسلم من رعاياها بالأذى من أجل عقيدته وإسلامه ، فإن الخلافة تلغى المعاهدة من جانبها ، ثم تعرض عليها الإسلام ، أو الدخول فى حماية الإسلام بأن تصبح فى ذمة الخلافة بدفع أفرادها جزية معلومة ، أو القتال حتى يحكم الله بين الخلافة وبين أعدائها الكافرين .

المادة الرابعة : فى معاملة الدولة التى علاقتها المنافع المتبادلة .

تعامل الخلافة الدول التى لا تربطها بها سوى رابطة المصلحة المشتركة والمنفعة المتبادلة ، معاملة تلك الدولة لها مثلاً بمثل وسواء بسواء ، مع زيادة السماح للدعاة المسلمين بنشر الدعوة الإسلامية فى بلادها ، وبين أفراد رعاياها ، فإن منعت ذلك، أو تصدت للدعاة أو المسلمين فيها بأى أذى أو اضطهاد ، قطعت الخلافة علاقاتها معها ، واعتبرتها دولة غير صديقة لها ، وتركت كل تعامل معها حتى تتعهد بإخلاص لعدم التعرض لدعوة الإسلام والمسلمين فى بلادها بأى سوء أو أذى ؛ وذلك لأن الخلافة تنشئ دائماً علاقاتها مع الدول على أساس نشر الإسلام وإبلاغ دعوة الحق الى الخلق من الناس أجمعين .

المادة الخامسة : فى معاملة أهل الذمة .

أهل الذمة وأحكامهم ، وبيان معاملاتهم كل ذلك مبين فى المادة الثانية من الفصل الأول فى قسم الأحكام القضائية والجنائية من هذا الدستور فليرجع الى ذلك .

المادة السادسة : فى معاملة المحاربين ، ومعاهدتهم والصلح معهم .

أحكام المحاربين والهدنة والمعاهدة والصلح ، كل ذلك مبين فى المادة التاسعة فى الأصل الأول من قسم الأحكام القضائية والجنائية من هذا الدستور فليرجع إليه هنالك .

الفصل الثانى

فى تبادل الخلافة السفارات مع الدول

وفيه ثلاث مواد :

المادة الأولى: فى بيان الغرض الذى من أجله تفتح الخلافة سفارات لها فى دول أجنبية .

لا تفتح الخلافة سفارة لها فى دولة أخرى إلا لغرض سليم يحقق منفعة للدولة ، وذلك كأن يكون هناك رعايا مسلمون ، أو يكون هناك علاقات تجارية ، أو ثقافية تستلزم وجود ممثل للخلافة فى تلك البلاد . وأهم من هذا وذاك أن تفتح السفارة من أجل التوصل بها الى نشر الدعوة الإسلامية ، والقيام بواجب إبلاغ دعوة الإسلام إلى سكان تلك البلاد ، فهذا أسمى غرض وأنبله ، تفتح من أجله السفارات الإسلامية فى دول أجنبية وتتحمل خزانة الدولة من أجله باهظ التكاليف والنفقات .

المادة الثانية: فى بعض أنظمة خاصة بالسفارات .

ينبغى أن يراعى فى شأن السفارات التعاليم التالية ، وأن تطبق فى ذلك تطبيقاً كاملاً وبكل دقة ، وتلك التعاليم هى :

١ ــ عدم فتح أية سفارة أو ممثلية للخلافة وفى أية دولة ، إلا لتحقيق الأغراض المذكورة فى المادة الأولى من هذا الفصل . وذلك من أجل الحفاظ على أموال الدولة ، وحتى لا تنفق فى غير طائل وذلك حرام .

٢ ــ وجوب الاكتفاء بأقل ما يمكن من أعضاء فى السفارة ، وذلك كالسفير وكاتبه ، وهو نائبه ، وخادم ، ورجل الدعوة وعضوان معه ، وحارس لا غير ، وذلك من أجل تقليل النفقات .

٣ ــ وجوب تقيّد أعضاء السفارة أو الممثلية بالزى الإسلامى الكامل ؛ ليكون مظهرهم موافقاً لمخبرهم ودالاً على إسلامهم ، ومميزاً لهم عن غيرهم من

أهل الكفر .

وعليه فلا يسمح لأى عضو فى السفارة أن يتزيّا بغير الزى الإسلامى كيفما كانت الاعتبارات ، وذلك لما فى الزى الخاص من لفت النظر واسترعاء الانتباه إلى الإسلام .

٤ ـ تعيين مراقب خاص للسفارات ينتقل بينها ويراقب أعضاءها ، ويلاحظ سلوك كل فرد منهم . وأيما فرد يُخل بهذه النظم الخاصة ، أو ينحرف أى انحراف فى خلقه أو دينه يجب تأديبه ، وإبعاده ؛ كل ذلك للإبقاء على الوجه المشرق للدعوة الإسلامية متمثلاً فى أفرادها القائمين بها والساهرين عليها .

المادة الثالثة: فى كون السفارة مركزاً للدعوة الاسلامية .

يجب أن يضم مبنى السفارة فى كل بلد أجنبى توجد فيه للخلافة سفارة ؛ حجرة واسعة وكبيرة لتتخذ مسجداً يؤذّن على سطحها ، وتقام الصلوات الخمس فيها . فعندما يدخل وقت الصلاة يؤذن المؤذن بأعلى صوته ، ويصلى أعضاء السفارة ومن وجد من المسلمين معهم ، يؤمهم فيها رجل الدعوة فى السفارة ، والمخصص لها . وليتخذ من هذا المسجد الصغير داراً لنشر الدعوة الإسلامية وتبليغها فى تلك البلاد .

ففى هذا المسجد الصغير يجلس أعضاء الدعوة يعرّفون بالإسلام كل من يريد معرفته ويعلمون مبادئه وشرائعه كل من يريد أن يتعلمها .

ومن هذا المسجد توزع الكتب والرسائل والنشرات الإسلامية .

وفى هذا المسجد ايضاً يتم التلاقى وتحصل الاجتماعات مع كل فرد يريد الإسلام أو التعرف إليه .

وأخيراً ، فبهذا يمكن أن يسقط واجب الدعوة الى الإسلام المتعلق بكل فرد مسلم قادر ، وبخاصة حكومة الخلافة والمسلمين .

الباب الثامن

فى هيئة الافتاء ــ أو المجلس التشريعى

وفيه فصل واحد : به ثلاث مواد :

المادة الأولى: فى وجوب تكوين هذه الهيئة ، أو المجلس .

يجب أن تكون فى الخلافة هيئة إفتاء أو مجلس تشريعى بحكم قول الله تعالى: ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ (١) .

وقوله جل وعلا : ﴿ **فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾(٢) .

المادة الثانية: فى تحديد أعضاء هذه الهيئة .

قد يحسن أن يحدد أعضاء المجلس التشريعى بخمسة أعضاء ، بعد أن يكونوا قد اختيروا على علم من كافة ديار المسلمين بحيث يكونون أفقه وأعلم وأصلح ما فى العالم الإسلامى من رجال العلم والفقه .

المادة الثالثة: فى بيان مهمة هذا المجلس .

تنحصر مهمة المجلس التشريعى أو هيئة الافتاء فى عرض كل مسألة تحال إليها من مجلس الخلافة . على الكتاب والسنة ، والحكم فيها بالجواز أو المنع ، وذلك فى كافة الشؤون والأحوال .

ويجب أن يكون حكمها نافذاً ؛ فلا يجوز لأى فى الدولة ولو كان الخليفة نفسه أن يرفض حكماً حكمت به أو يهمله ، ولا يلتفت إليه ؛ لأن حكمها من حكم الله تعالى ،وحكم الله نافذ ، ولا معقب له .

كما يجب أن يحال الى هذا المجلس كافة المسائل التى لا نص لها فى هذا الدستور ، قبل الإعلان عنها والعمل بها ، وفى كافة ما يتعلق بشؤون البلاد والعباد ، فإن أقرها المجلس التشريعى أثبتت فى الدستور ووجب العمل بها ، وإن رفضها ولم يقرها رفضت ، ولم يجز العمل بها .

(١) النحل : ٤٣ .   (٢) النساء : ٥٩ .

قسم

الأحكام القضائية والجنائية

وفيه ١٢ فصلا و (٨١) مادة [١]

مقدمة

بسم الله ، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد :

إيماناً بأن الحكم لله تعالى دون سواه ، وذلك لقوله عز وجل : ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ [٢] . وقوله : ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ [٣]

وما القضاة إلا مبينون لأحكام الله تعالى ، ومظهرون لها . وما خليفة المسلمين ونوابه إلا منفذون لتلك الأحكام الإلهية التى يظهرها القضاة بما آتاهم الله من فهم لشريعته ، وعلم بها ؛ فإن الخلافة الإسلامية فى هذه الديار ، تقرر بصدق أن مادة الحكم فى جميع الشؤون والأحوال فى هذه البلاد لا تخرج عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما فهمه علماء السلف منها ، واستنبطوه ، وما قد يفتح الله تعالى به من فهم فى كتابه على علماء مجلس الإفتاء فى هذه الديار الإسلامية ، والذى هو المجلس التشريعى فى هذه الخلافة الذى ترفع إليه كل حادثة وأمر يستجد ليعرضه على الأصلين : الكتاب والسنة ، فما وافقهما كان شرعاً وقانوناً ، وما لم يوافقهما يلغى ، ويضرب به عرض الحائط ، وليس لأحد أن يحكم به ، أو يعمل ، كائناً من كان .

وذلك طاعة لله ورسوله ، وتحقيقاً لمبدأ إيماننا بأن الإسلام نظام إلهى موضوع

---

(١) جميع هذه الفصول والمواد موجودة فى كتاب « منهاج المسلم » للمؤلف .

(٢) يوسف ٤٠ ، ٦٧ .

(٣) الأعراف : ٥٤ .

لتكميل الإنسان وإسعاده ، فى الدار الـدنيا ، وفى الآخرة . وحتى يشعر كل فرد من مسلم وذمّى فى هذه الديار الإسلامية بأن جـميع الأحكام التى تصدر عليه فى القليل والكثير ، ويطالب بتنفـيذها فى نفسه أو ما له ؛ إنما هى أحكام صادرة عن الله تعـالى ربِّ الجمـيع ، ومالِكِ الـكل ، والذى يجـب التسـليم لـه فى حكـمه وقضائه .

وأنه لا سـلطان عـلى أحـد فى هذه الأمـة إلا سلطـان الله عز وجـل . وما الخليفة وسلطته التنفيذية إلا منفذون لأمر الله تعالى وحكمه .

وإن القضاة والمفتين ليسوا إلا مبينين لحكم الله تعالى ، ومظهرين له .

وبناء عـلى هذا فإن الاحكـام الجنائية والـقضائية المـدونة في هذا القـسم من الدستور ، والتى هى أحكام شرعية مستندة الى أدلتها من الكتاب والسنة وما فهمه واستنبطه مـنهما فقهاء السلف الصـالح رضوان الله تعالى عليهم أجمـعين . تعتبر مادة الحكم فى كافة ديار الخلافة ، يحكم بـها القضاة على كافة افراد الأمة رؤساء ومرؤوسين ، أغـنياء وفقراء ، وتـنفذ فيهـم على حد سـواء ، ومن لم يسلـم بها ويتحاكم عند قضاتها اعتبر غير مسـلم ، وحرباً على المسلمين ، تجرى عليه أحكام المحاربين . قال تعالى : ﴿ **وإن تنازعتم فى شىء فـردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حـتى يحكموك فيما شجـر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ، ويسلموا تسليما** ﴾ (٢) .

---

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) النساء : ٦٥ .

تقديم

توحيداً لعـقيدة المسلمين الذين تظـلهم راية الخلافة الإسلامية . وطلـباً لنجاة كل فرد فى هذه الأمة المسلمة فى ديار الخلافة الإسلامية .

فقد رأينا أن تكون عقيدة السلف التى هى عقيدة النبى ﷺ وأصحابه والتابعين وتابعيهم من أهل القرون المفضلة ؛ ولانهـا العقيدة المجمع على سلامتها ، ولانها الحق الذى نزل به كتاب الله ، وبينته سنة رسول الله ﷺ .

وبناء على هذا فإنه لا يسمح لأى فرد مـن افراد الخلافة ، وكيفما كان شأنه، أن يعتقد غير هذه العقيدة السلفية التى هى عقيدة الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين، وتابعيهم من أهل القرون المفضَّلة الأولى .

ومن رغب عن هـذه العقيدة المحقـقة السلامة ، والضـامنة لأصحابهـا النجاة بإذن الله تعـالى ، الى غيـرها من عقـائد الخلف المخـتلفة المـتنوعة ، والـتى هى محفـوفة بالمخاطر ، وغيـر مأمونة الجانب ،وأثـرها فى تفريـق المسلمين وتشـتيت شملهم معروف لا ينكر ، ومعلوم لا يجحد .

فإن الخلافة تعتبره شخصاً غير كامل الرشد يتعين عليها أن تستنيبه ثلاثاً بالعودة الي عقـيدة أهل القـرون المفضلـة أصحاب رسول الله والـتابعين ، فـإن تاب وإلا جرَّدته من التبعية لها ، ونفته خارج حدودها ، ويومئذ لا يلومن إلا نفسه .

كما أن الخلافـة لا تسمح لأى كان أن يطـعن بالقول أو الكـتابة فى عقيـدتها بحال مـن الاحوال ، لا سراً ولا جهـراً ، وتعتبر الـطعن بالـقول أو الكتـابة فى عقيدتها التى هى عقيدة السلف الصالح ، طعناً فى الاسلام ذاته ، والذى هو مادة قانونها ، ودستور حياتها .

وعليه فإنها لا تسمح لشخص يطعن فى عقيدتها أن يبيت أكثر من ثلاث داخل حدودها ، فالـنفى والإبعاد همـا جزاء كل من يرغب عـن عقيدة السلـف فى هذه

الديار ، لأن من رغب عــن عقيدتهم فليس مــنهم ، ومن لم يكن منــهم فهو من غيرهم ، وعليه فليخرج من ديارهم ، وليكن مع من شاء .

هذا هو الاجراء العادل الرحيم تتخذه الخلافة حفاظاً على الاسلام ، ووحدة المسلمين فى هذه الديار الإسلامية . والله وليها وهو حسبها ونعم الوكيل .

قســـم العقــائـــد

وفيه سبعة عشر فصلا [1]

(١) جميع هذه الفصول توجد مطبوعة فى كتاب « منهاج المسلم » للمؤلف .

الرِّسَالة السادسَة عَشرَة

أكبر مَشرُوع لإعَادة مَجد العَرب

وإنقاذ فلسطين

أسس المشروع

١ ـ الاعتراف بأخطاء الماضى السياسية والاجتماعية والعسكرية .

٢ ـ نكران الذات والذوبان فى روح الجماعة .

٣ ـ الإيمان الجديد برسالة العرب الإسلامية المقدسة .

٤ ـ هدم ما كان من حياة الباطل التى عاشتها أمة العرب زمناً غير قصير .

٥ ـ بناء جديد للمجتمع العربى يقوم على الدعائم التالية :

١ ـ توحيد العرب فى مجتمع واحد تحت راية واحدة وحكومة وقانون واحد من المحيط الى الخليج .

٢ ـ الاستقلال الكامل عن كل الدول غير الإسلامية .

٣ ـ الارتباط الوثيق بالدول والشعوب الإسلامية .

٤ ـ الانجاز السريع والسرية التامة .

٥ ـ القضاء على الوجود الصهيونى فى أرض العرب .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

تمهيـــد

إن درس الأسبوع الأخير من شهر صفر عام ٨٧ هـ الذى تلقته أمة العرب أمة محمد ﷺ وفى ديار العرب قاطبة كان درساً من أقسى الدروس وأشدها ألماً على النفوس ، وأكثرها اشتعالاً فى القلب ، وحرارة فى الكبد . ذلك الدرس الذى لقنتنا إياه ـــ على غير استعداد منا ـــ عصابات اليهود . ذلك الدرس الذى تمثل فى تحطيم أكثر قوانا وموت الآلاف من أبنائنا ، واحتلال جزء غال من أرضنا وافقدنا ثانى قبلتينا ، وثالث حرمينا المسجد الأقصى ويالِلخسران ؟ !

ذلك الدرس القاسى المرير قد تعلمنا منه ـــ والعلم ينفع ـــ ما يلى :

١ ـــ أننا نحن أمة العرب كنا مخطئين فى تقديرنا للحياة وما تطلبه منا للبقاء والسيادة ، والعزة والكرامة .

٢ ـــ أننا كنا مخطئين عسكرياً وسياسياً واجتماعياً .

٣ ـــ أننا أمة العرب من المحيط إلى الخليج نتعرض حقاً وعاجلاً لا إلى سلب حريتنا واستقلالنا فحسب بل إلى فناء شامل ودمار تام ، وليس على يد الصهيونية العالمية والاستعمار الغربى فقط بل وعلى يد العالم الشيوعى كذلك .

٤ ـــ أننا لم نجد ولن نجد فى دول العالم أجمع وشعوبه كافة من يتحمل معنا مسئوليتنا ، ويشاركنا بصدق فى آلامنا وآمالنا أبداً .

٥ ـــ توحيدنا نحن أمة العرب ممكن ، وليس من المستحيل أبداً ، وأن من المرجو أن نصبح فى يوم ما من الأيام أمة واحدة لا حدود بينها ، ولا فواصل تفصلها، أو فوارق تفرق بينها .

٦ ـــ أن مسئولية انقاذ هذه الأمة العربية باجيالها القادمة ملقاة على عاتق كل عربى لا فرق بين حاكم ومحكوم ، أو سائد ومسود .

٧ ــ أن النقطة التى وقف عليها عقرب ساعة حياة أمة العرب اليوم تتطلب جهاداً مريراً وعملاً جاداً سريعاً ، وفى صمت خال من الضجيج والعجيج ، حتى تعود الى الحياة الشريفة من جديد ، وينتظم سيرها الى غاياتها البعيدة فى حياة العزة والكرامة وقيادة البشر أيضاً .

وبناء علي هذا كله فإنا نتقدم الى أمة العرب ــ فى كل بلادها شعوباً وحكومات ــ بوجهة النظر هذه والمتمثلة فى هذا المخطط لإعادة مجد العرب ، وإنقاذ فلسطين ، وللحيلولة دون قوى الشر المستهدفة كيان أمة العرب ووجودها وها نحن نضعها ــ مشروعاً ــ بين يدى ملوك ورؤساء الأمة ، وندعوهم الى التجرد الكامل فى هذه القضية المصيرية : قضية إنقاذ شرف أمة العرب ، والإبقاء على وجودها المتعرض اليوم للزوال والفناء . ندعوهم الى الإخلاص التام فى هذه القضية الكبرى بحيث تذوب أطماع الإنسان وتتلاشى أغراضه الخاصة ، وتختفى أنانيته الفردية ويصبح من روح الجماعة لا ذات له ولا كياناً يعمل لحسابه أو يفكر فيه . ندعوهم فى لهفة الى التضحية باعتباراتهم الشخصية ، ومناصبهم الحكومية، ومراكزهم العالية . ندعوهم ونحن نعرف الي ما ندعوهم إليه ندعوهم الى الجهاد المرير ، والفداء القاتل ، والتضحية المميتة كل ذلك فى سبيل انقاذ ديار العروبة ديار الإسلام ، وأمة العروبة أمة الإسلام ورسالة الإسلام حيث تتعرض كلها للزوال والفناء .

ندعوهم الى أن يضحوا بأنفسهم فيسيروا فى هذا الطريق الصعب الشائك الذى لا بد من السير فيه لانقاذ الوجود العربى ، والحفاظ على كرامة أمة العرب ورسالتها فى الحياة .

وهذا هو نص المشروع الذى نتقدم به فليدرسوا أسسه ، وليتفهموا أهدافه ومراميه ، وليحيلوه الى عقيدة ، وليترجموه الى عمل ، ويخرجوا به على الدنيا من جديد بأمة واحدة لا مطمع فى تقسيمها ، وقوة واحدة لا مجال لاضعافها ، وشعب واحد قوى يفرض على كل أعداء الأمة العربية وجوده واحترامه.

أسس المشروع مفصلة

أ ــ الاعتراف بأخطاء الماضى السياسية والاجتماعية والعسكرية

١ ــ الخطأ السياسى :

يجب أن نعترف ــ مستغفرين الله تعالى بأننا أخطأنا أكبر خطأ سياسى وذلك بتقسيمنا الوطن العربى الواحد الى أوطان شتى متعددة ، وفى توزيعنا المجهود العربى الواحد الى مجهودات متفرقة . وفى تقسيمنا الحكومة الواحدة الى حكومات متعددة وفى تقسيمنا الفكر العربى الواحد إلى أفكار شتى : شرقية وغربية ، يسارية ويمينية ، تقدمية ثورية ورجعية امبريالية .

وأخطأنا أكبر خطأ سياسى عندما لم نعترف بضعفنا وواقع حياتنا ، ونعمل على تقويتنا مستقلين فى قوتنا عن كلا المعسكرين الشيوعى والمسيحى ، لقد كنا ويعلم الله غير مستقلين حتى فى لقمة العيش فضلاً عن تسليحنا وآرائنا وأفكارنا . وأن كل الذى نتلقاه من الشرق أو الغرب مما قل أو كثر لا يخرج عن دائرة أنه ثمن ندفع سلعته غالية ندفعها من عقائدنا ، من أخلاقنا ، من أفكارنا ، من كرامتنا واستقلالنا . ومع هذا نتنافس فى هذا البيع الرخيص ، ونتسابق إليه وننصب أنفسنا دعاة لبعضنا عليه ،وسماسرة له حتى فاجأنا الأسبوع الأخير من صفر ٨٧ هـ ففتحنا أعيننا علي واقع مر ووضع بغيض كريه .

وأخطأنا سياسياً عندما أوجدنا عوامل القطيعة بيننا ، وأسرفنا فى إشاعة الشكوك والريب فى صفوفنا ،وإثارة الإحن والأحقاد فى نفوسنا ، وأبحنا لأنفسنا من قالة السوء ، والكذب والبهتان ، والسب والشتم ما لم يقدم عليه أمم الكفر الذين يعيشون بلا خلق ولا دين .

وأخطأنا سياسياً عندما أسرفنا فى تهديد إسرائيل وإيعادها بكل قاصمة للظهر مبيد للوجود ، مما جعلها تسرف أكثر ، ولكن في غير كلام التهديد والوعيد ، وإنما فى الإعداد العسكرى الذى أصبح يفوق ما لدينا من قوة عدة مرات ، والواقع يشهد . هذه بعض أخطائنا السياسية وإنه والله لو توفر بعضها لإسرئيل لما

استطاعت أن تعيش إلى اليوم فضلاً عن أن تغلبنا وتهزم جيوشنا ؛ وتستولى على أغلى أراضينا وأعز مقدساتنا « المسجد الأقصى » وما حوله .

٢ ــ الخطأ الاجتماعى :

ونعترف مستغفرين الله تعالى بأن مجتمعنا العربى ضعيف روحاً وجسماً فهو مجتمع بحسب الواقع تتحكم فيه العواطف الهوجاء ، وتستبد به الشهوات الجامحة، وتعيث بعقوله الأفكار المختلفة ، وتتقاسمه المذاهب المتعددة ، وتتجاذبه التيارات المختلفة ، فهو والحق يقال مجتمع أكثر أبنائه فاقدون للوعى الصحيح، والادراك الصحيح والتفكير السليم والفهم السليم ، كل ذلك كان نتيجة لاهماله، وعدم تربيته التربية الصحيحة التى يمليها تاريخه ، وتأمر بها شريعته ويوحى بها مركزه بين الأمم والشعوب .

وضعفه الجسمى لا يقل عن ضعفه الروحى فإن نسبة القادرين فيه على تحمل أعباء الجهاد ، والقيام بمسؤولية الدفاع لا تزيد بحال عن ٥٪ من مجموع المائة مليون عربى . وذلك أيضاً لعدم تربيته جسمانياً وإعداده لحياة الجهاد والنضال بالتدريب العسكرى والتمرين على كافة وسائل الدفاع والمقاتلة .

٣ ــ الخطأ العسكرى :

ونعترف مستغفرين الله تعالى بخطئنا العسكرى إذ أننا لم نعدّ للمعركة الخاسرة ما أعد لها عدونا ، ولم نهيئ لها ما هيأ هو لها ، وليس أدل على ذلك من شل قواتنا فى أقل من ثلاثة أيام حتى عجزنا عن الدفاع فضلاً عن الهجوم والاحتلال.

ووجه ذلك أن مائة مليون عربى ليس لها مليون جندى ولا تملك من الطيران والطيارين ثلاثة آلاف طيارة ولا ألفى طائرة فى حين أن العدو وهو مليونا نسمة على أكبر تقدير يملك جيشاً يزيد أفراده على المليون جندياً ويملك من الطيران والطيارين مالا نملكه نحن مائة مليون عربى . وهذا من الخطأ الفاحش والذنب العظيم ،إذ هو مخالفة صريحة لأمر الله تعالى فى قوله: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾ فلنسأل أنفسنا ، هل بذلنا حقاً كل ما فى استطاعتنا فى باب التسليح وإعداد القوى ؟ فنكون قد أرضينا ربنا واستوجبنا نصره وتأييده ؟

هذا ما نشك فيه ، وآية ذلك أن الله تعالى قد حرمنا نصره وتأييده ، ولذلك خذلنا وانهزمنا شر هزيمة أمام العصابات اليهودية لعنة الله عليها .

الأساس الثانى

ب ـ نكران الذات ، والذوبان فى روح الجماعة . إن المقصود من هذا الاساس أن يذوب أفراد أمة العرب من المحيط إلى الخليج حكاماً ومحكومين فى ذات الجماعة العربية حتى يكونوا كالجسم الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالسهر والحمى ، وحتى تنعدم الفوارق والحدود ، والفواصل بين العرب كلهم ، ويكون العربى فى جنوب الجزيرة كالعربى فى صحراء المغرب ، والعربى فى الدار البيضاء كالعربى فى بغداد . وحتى تختفى كلمة « أنا » « وبلادى » ويحل محلها نحن وبلادنا . وهكذا حتى تذوب كل الفوارق ، وتنتهى كل المميزات بالجملة والتفصيل ، ولم يبق إلا الروح الواحد والجسم الواحد فى البلد الواحد ، وليس هذا من المحال على الشعب العربى الذى يدين بدين الحق ، ويؤمن بصدق قول الرسول ﷺ :« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ». وإن جولة واحدة لجماعة من العلماء فى بلاد العرب تدعمها إذاعة وصحافة كل العرب تنتهى حتماً بصهر أمة العرب كلها فى بوتقة واحدة ، والخروج بها جسماً واحداً يشعر بشعور واحد ويفكر بتفكير واحد .

الأساس الثالث

جـ ـ الإيمان الجديد برسالة العرب المقدسة :

يجب أن نجدد إيماننا بأن للعرب رسالة مقدسة حملوا مسؤولية نشرها فى العالمين، وإبلاغها الي الناس أجمعين . تلك الرسالة تتلخص فى النقاط التالية :

- هداية الخلق الي معرفة خالقهم ، وعبادته عبادة تؤهلهم لسعادة الدنيا

والآخرة.

- تحرير البشر من أسر الجهل ، وقيود الظلم ، وأغلال الاستبداد والاستعباد البشرى .
- نصر قوى الحق والخير فى الأرض ، وخذل قوى الباطل والشر فيها.
- بسط سلطان العدل فى ربوع الأرض ، ونشر الهدى والخير بين العالمين .

ومن هنا كان لزاماً على أمة العرب لنشر هذه الرسالة المقدسة ، وإبلاغها إلى الناس أجمعين من الأخذ بالأسباب الآتية :

١ ــ هجر حياة اللهو واللعب بالكلية فلا مجال لديها للهو واللعب أياً كان نوعهما فلا مسارح ، ولا مسابح ولا مراقص أو مقاصف .

٢ ــ ترك السرف ، وحياة البذخ والابتعاد عن كل تورط فى ملاذ الحياة الخارجة عن حدود العدل والقصد تمشياً مع قول الله تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ .

٣ ــ بناء حياة الأمة على أساس الجهاد ، وما يتطلبه من تعبئة الجهود والطاقات ، وإعداد النفوس والأرواح حتى تألف ذلك ، ويصبح خلقاً لها وعادة لا يسهل عليها تركها أو العدول عنها .

الأساس الرابع

د ــ هدم ما كان من حياة الباطل التى عاشتها أمة العرب زمناً غير قصير .

والمراد من هذا أن نحدث تغييراً جذرياً فى كل حياتنا البعيدة عن الحق المجانبة للصدق ، ومن ذلك :

١ ــ محو الخداع النفسى الذى كنا نخادع أنفسنا والغش الذى كنا نغشها به . فقد عشنا منذ زمن بعيد إلى اليوم ونحن بعيدون عن الإسلام مجانبون لتعاليمه نصّا وروحاً ، وندعى اننا مسلمون ، مؤمنون وهو غش منا وخداع لأنفسنا .وإلا فأين آثار الإسلام فى نفوسنا ، وأين مظاهره فى مجتمعاتنا ، وأين نتائج تلك

التعاليم الحكيمة فى واقع حياتنا ؟ ؟

٢ ــ إزالة نفسية التهرب من الحقائق وعدم مجابهتها بعزم وصدق . وإبدالها بروح قوية تعترف بالخطأ ، وتعمل على إصلاحه ، وتقبل النقد النزيه ، والتوجيه الصحيح وتنتفع بهما فى الإصلاح والعمل والإنتاج .

٣ ــ تغيير عقيدة أن الانتساب إلى الإسلام كاف فى اسعادنا في الدار الآخرة، وفى حمايتنا من الزوال والفناء فى هذه الدار ، بعقيدة أن الإسلام لا يكون له أى أثر فى حياتنا الأولى والآخرة إلا إذا أخذنا به عقيدة وعبادة وخلقاً ونظاماً وقانوناً وحكماً .

٤ ــ تغيير فلسفة الخداع بأن أمة العرب يمكنها أن تستغنى عن الإسلام ، وتبنى حياتها بعيدة عنه ، منفصلة عن كل شرائعه وقوانينه ، وتعز وتسعد فى هذه الحياة، بعقيدة :أن لا عزة ولا سعادة لأمة العرب إلا بالإسلام عقيدة ونظاماً وعملاً ، وقانوناً وحكماً .

الأساس الخامس

هـ ــ بناء جديد للمجتمع العربى يقوم على الدعائم التالية :

الدعامة الأولى :

توحيد العرب فى مجتمع واحد .

وذلك بتشكيل مجلس حكومة عربية يتكون من جميع ملوك ورؤساء حكومات البلاد العربية ، ويطلق على هذا المجلس اسم « حكومة الولايات العربية المتحدة » ويجرى على الفور العمل فى تحقيق الخطوات التالية :

١ ــ تشكيل هيئة من كبار العلماء المسلمين لوضع دستور لحكومة الولايات العربية المتحدة على أن لا تخرج كافة مواده وبنوده نصاً وروحاً عن الشريعة الإسلامية بحيث يطمئن كل عربى الى أنه محكوم بشريعة ربه ، وأن الحكومة ما هى إلا سلطة تنفيذ لا غير ، وعلى أن يشمل هذا الدستور كل شؤون الحياة ولا يغفل طرفاً منها ولو قل بحال من الأحوال .

٢ ــ تكوين مجلس شيوخ يضم كبار العلماء فى البلاد الإسلامية ليكون

المرجع الأعلى لحكومة الولايات العربية المتحدة بحيث لا تصدر أمراً ، أو تضع لائحة فى شأن ما من شؤون الدولة إلا بموافقته وتقريره وسواء ذلك فى السلم أو الحرب ، فى السياسة أو الاقتصاد .

٣ ـ تكوين هيئة دفاع لحكومة الولايات العربية المتحدة من وزراء الحربية ، وقواد الجيوش وأركانها يطلق عليها اسم « وزارة الدفاع » لحكومة الولايات العربية المتحدة .

٤ ـ تكوين هيئة اقتصاد ومال تضم رجال المال والصناعة والتجارة والثروة المعدنية فى بلاد العرب اليوم يطلق عليها اسم «وزارة المال والاقتصاد » لحكومة الولايات العربية المتحدة . وتباشر عملها فوراً فى حصر موارد الدولة ووضع ميزانية لها .

٥ ـ اعتبار الحكومات العربية الحالية حكومات ولايات تابعة للحكومة المركزية العامة المسماة بحكومة الولايات العربية المتحدة .

٦ ـ نسخ جميع الأنظمة والقوانين السائدة فى البلاد العربية اليوم بالقوانين والأنظمة الجديدة التى نظمها الدستور الإسلامى الجديد الموضوع لحكومة الولايات العربية المتحدة .

٧ ـ اعتبار الحدود القائمة بين الأقاليم العربية اليوم ملغاة ، وأن الوطن العربى وطن واحد من المحيط إلى الخليج ويتبع ذلك فوراً ما يلى :

١ ـ توحيد السياسة الخارجية باعتبار جميع السفارات والقنصليات اليوم سفارات وقنصليات حكومة الولايات العربية المتحدة ، والعمل الفورى على إصلاح تلك السفارات وتعديلها . ودمجها فى بعضها .

٢ ـ إصدار عملة جديدة تحمل اسم حكومة الولايات العربية المتحدة ، وإلغاء ما عداها من سائر العمل المتداولة اليوم فى البلاد العربية .

٣ ـ إعطاء المواطنين العرب حقائب نفوس جديدة تحمل اسم حكومة الولايات العربية المتحدة .

٤ ـ ربط سائر الولايات العربية المتحدة من المحيط غرباً إلى الخليج شرقاً بخطوط مواصلات جوية وبرية وبحرية قوية بحيث تجعل المواطن العربى يتنقل فى

كل الولايات العربية عاملاً أو تاجراً ، وكأنه يتنقل فى اقليم واحد . كما تسهل مهمة الدفاع عن الوطن العربى وتجعل تنقل القوات من ثغر الى ثغر من السهولة والسرعة بحيث يمكن صد أى اعتداء فى أسرع وقت وبأقل تكليف.

الدعامة الثانية :

الاستقلال الكامل عن كل الدول غير الإسلامية .

وذلك بأن تعمل الحكومة فوراً على وضع خطة شاملة للاستغناء التدريجى السريع عن كل ما لا تنتجه مصانعها أو تخرجه أرضها ، أو يوجده فكر أبنائها ، حتى لا يمضى إلا يسير زمن وهى تعيش علي الاكتفاء الذاتى فى جميع المجالات . ومستقلة تمام الاستقلال بحيث يمكنها أن توالى من تشاء وتعادى من تشاء من الدول والشعوب فى غير حاجة أو ضعف .

الدعامة الثالثة :

الارتباط بالدول الإسلامية .

تعمل حكومة الولايات العربية المتحدة علي توثيق الصلات وتمتين الروابط الصادقة بينها وبين سائر الحكومات والشعوب الإسلامية ، ولا تدخر وسعاً فى نصح تلك الشعوب والحكومات ، ومساعدتها والأخذ بيدها في كل ما تحتاج إليه بوصفها الأمة القائدة والموجهة للمسلمين وبحكم الإمامة التى للعرب علي المسلمين؛ إذ العرب هم آل محمد ﷺ وورثة شريعته ، والأمناء عليها وعلى أتباعه من بعده ، وليس أدل على ذلك من أنه لم يصب المسلمين ما أصابهم من ضعف وذل إلابعد ما ضعف العرب وذلوا ، وذلك مصداق قول الرسول ﷺ :«إذا ذلت العرب ذل الإسلام ».

الدعامة الرابعة :

الانجاز السريع ، والسرية التامة .

يجب أن يتسم عمل الحكومة الموحدة في كل المجالات بسمتين :

الأولى : السرعة في الانجاز فما يقدر له سنة يجب أن يتم فى شهر ، وما قدر له شهر يجب أن يتم فى أسبوع وهكذا مسابقة منها للزمان وتطوراته

السريعة، وحتـى تخرج فى أقرب وقت من دائرة التخلف المادى الذى عاشته أمة العرب زمناً طويلاً .

الثانية : يـجب أن تختفى من محيط حـكومة الولايات العربية المتـحدة جميع مظاهر الادعـاءات الفارغة ، والمبالـغات الكلامية الجـوفاء ، وبصورة نهائـية ومن جميع أجهـزة الأمة والدولة، ولـم يبق إلا العـمل والانتاج المتقن السـريع لوناً من ألوان الدعاية للحـكومة العربية والشعب العربى مـعاً . فلو دارت أفران الذرة فى بلادنا وفرغنا من ألف تجربة لقنبلتنا الذرية والهيدرجونية ، لم نقل أننا أجرينا تجربة واحدة أو أننا أنتجنا قنبلة واحدة . حتى لا يكون لحكومتنا وشعبنا من شعار سوى « الانجاز المتقن السريع والتكتم التام » .

الدعامة الخامسة :

القضاء على الوجود اليهودى الصهيونى فى أرض العرب :

لكى يمكننـا القضاء الناجز التام علـى عصابات اليهود فى بلادنا يـجب العمل بحزم على الأخذ بالأسباب التالية وفى فورية كاملة :

١ ــ تعبـئة كل الجهود والطـاقات في الولايات العـربية المتحدة لإيـجاد جيش عربى يفوق أكبر جـيش فى العالم بحيث لا يقل عن ٣ ملايين جـندى مسلحة تمام التسـليح ، مجهزة كـامل التجهـيز لأننا إذ نحـارب اسرائيل إنما نحـارب كل قوى الصهيونية وهذا يحتم أن يكون الجيش العربى من الكثرة والقوة بحيث يحارب كل القوى التى تساند اسرائيل وتناصرها . كما أن حدود البلاد العربية الواسعة تتطلب من القوة ما يكفل حمايتها في كل الظروف والأحوال .

٢ ــ إعلان التقشف فى الشعب العربـى إلى أجل غير محدود وتوفير ما يلزم من المال أولاً لشراء السلاح الـكافى ليسلح الجيش العربى ، وثانـياً لاقامة المصانع الفعـالة لانتاج الـسلاح على اختـلاف أنواعه ، وتفـاوت آثاره فى الحرب المـتطور بتطور هذا الـزمان . فإذا كان لاسرائيل اليـوم فرن للذرة يجب أن يكون لـنا اليوم أفران للـذرة أقوى وأضخم مـن فرن اسرائيـل ، ولو أدى ذلك بالـشعب العـربى المسلم إلى أن يترك جميع الكماليات ، ويعيش دهراً على الخبز والماء .

٣ ــ تطويق اسرائيل تطويقاً كاملاً من جـميع الجهات بقوة حربية هائلة تفوق

قوتها بثلاثة أضعافها ، وجعل حدودنا معـها أكبر ثغر من ثغور الدولة ، يجمع فيه من الرجال والسلاح ما لو طارت طائراتنا الحربـية فوق سماء اسرائيل لحجبت عنها الشمس ، ومـا لو أطلقت جمـيع مدافعنا المحـيطة بأرض اسرائيـل لدكت كل دار ومصـنع فى اسرائـيل كل ذلـك يجب أن يـتم فى صمـت وسرية ، وفـى أقرب وقت، وحرام أن يـسمع منـا ما كنا نـردده باطلاً من عـبارات : ندمر اسـرائيل ، نقضى على اسرائيل ، نرمى بالعصابـات اليهودية فى البحر عائدون عائدون . وما إلى ذلك مـن الكلمات التـى كانت عاملاً كبـيراً فى إيقاظ هـمم اليهود ، وتنـبيه احساسهم ، وخلـق نفسية غريبة عنهـم تقوى على الحرب وتنتصر فـيها . وتجربة الأسبوع الأخير من صفر ١٣٨٧ هـ أصدق برهاناً على ذلك .

الرِّسالة السَّابِعَة عَشرَة

مِحَن المسلمين وكيف الخروج منها

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

المحنــة الأولى

ضعف المسلمين

إن أول محنة أصابت المسلمين كانت ضعفهم الروحى والمادى معاً .

ففى الـروح فَقَدَ المسـلمون بصـفة عامة ثـقتهم بـربهم تبـارك وتعالى ، فـما أصبحوا يعولون على الله عز وجل فى أية مهمة يراد لهم القيام بها ، ولا يتوكلون عليه فى أى عـمل تتطلبه الحياة مـنهم ؛ فقعدوا عن طلـب الوحدة والاتحاد وهو واجب عـليهم ، وتـركوا الأخذ بـأسباب التـكتل والتـجمع المـفروض عليـهم ، والضرورى لبقائهم وقوتهم ، كل ذلك لخوفهم وجبنهم نتيجة ضعفهم وعجزهم . وبه أيضاً تركوا فريـضة الجهاد التى هى أكبر سهم فى الإسـلام ورضوا بأن يعيشوا أتباعاً للمعسكرات العالمية الشرقية منها والغربية ، وياللأسف والفضيحة معاً .

هذا فى الجانب الروحـى . وأما فى الجانب المادى فإنهم لا يقـلون ضعفاً عن الجانب الروحى بحال ، فـتراهم يعيشون فقراء الى أعدائهم الذيـن أصبحوا بحكم الاحتيـاج إليهم سادة لهـم ، مفتقرين الـيهم فى كل شىء حـتى فى لقمة الـعيش أحياناً فضلاً عـن سلاحهم وعتادهم ، وأدوات زراعتهم أو بنائـهم وآلات حملهم أو ركوبهـم مما هو من ضـروريات حياتـهم فضلاً عن كـمالياتـها ، بحيـث لو لم يستوردوا أسلحتهـم من عدوهم لم يتسلحوا ، ولو لم يشتروا أكـثر حاجياتهم من أعدائهم لم يعيشوا ، ويدل على ذلك ويشـهد له أنهم لو منعوا الدواء لأغلقوا كل مستشفى .

فكان هذا الضعف بجانبيه وفى ناحيـتيه الروحية والمادية من أعظم المحن التى أصابت المسلمين وأقساها على الإطلاق عرف ذلك من تأمله وفكر فيه .

ولا ينبغى أن يؤمل فى النهوض من هذه الكبوة ولا الخروج من هذه المحنة إلا بإيجاد هذه القوة المفقودة فى المجالين الروحي والمادى ، وهذا ما يجب أن يعمل له المصلحون من هذه الأمة ، وإلا فسوف لا تبرح أمة الإسلام تعيش فى هذا الهون والدون ، والذل والصغار أمداً لا يعرف نهايته إلا الله تعالى .

هذه بدون شك محنة قاسية ، والخروج منها لا يتأتى إلا بإيجاد هذا المفقود من القوتين الروحية والمادية معاً ، وبإيجاد هذا المفقود يتطلب من الجهد والجهاد ، والتضحية والمفاداة ما يكاد يجزم المرء العاقل بأن المسلمين اليوم ليسوا بأهل له ولا للقيام به ، وذلك لقوة الضعف وتمكنه من نفوسهم ، وشدة العجز وإحاطته بهم.

بيد أن طاقة الإيمان التى ما زالت تكمن فى نفوسهم كفيلة بدفعهم الى حيث النهوض والقوة متى فجرت بحكمة وسخرت بعلم .

والسؤال الآن هو : أين هى اليد القادرة اليوم على تفجير هذه الطاقة وتسخيرها للقوة والنهوض ؟ !

لى أن أترك الإخوة القراء يفكرون فى البحث عن هذه اليد القوية التى تقدر على جمع قلوب المسلمين فى قلب واحد ، وبالتالى تفجر تلك الطاقة من الإيمان فتقلب أوضاع المسلمين الشاذة عن سنن الهدى اليوم ، تقلبها رأساً على عقب وتحيل هذا الضعف الى قوة جبارة عظيمة تنحنى أمامها رؤوس الأعداء فى الشرق والغرب على حد سواء . ثم تعود على المسلمين بقيادتهم لسفينة الحياة والنجاة بها من الغرق الذى يتهددها .

وبعثور الإخوة القراء علي هذه اليد القوية الأمينة يخرج المسلمون من هذه المحنة القاسية الشديدة : محنة الضعف الروحى ، والتخلف المادى .

ومساهمة منى مع القراء فى البحث على هذه اليد المطلوبة لجمع قلوب المسلمين وتفجير طاقة الإيمان فيها لتقلب هذه الأوضاع الفاسدة الغريبة رأساً علي عقب وتحيل الضعف الى قوة ، والذل الى عز ، والهون الي كرامة أقول : إن هذه اليد المطلوبة ليست بيد زعيم عربى بعثى ينادى بخلق عربى لا يؤمن بالله ، كما هى ليست بيد قومى عربى يقول : إنه يؤمن بالقومية العربية سبباً لنهضة العرب وإعادة مجدهم وسيادتهم ، ولا هى أيضاً بيد ثورى تقدمى اشتراكى يصطنع الكلمات للاستهلاك ، والشعارات لستر العورات ، ولا هى كذلك بيد

شعوبى يتغنى بأمجاد شعبه ، أو يحتفل بذكريات جاهلية ما قبل الإسلام بقرون.

وإنما هى يد مـؤمن موصول بالله تعالـى مشدود بحبله عـز وجل ، يحب الله تعالى ويحبه ،ذليـل على كل المؤمنين عزيز على كل الكافريـن ، يجاهد فى سبيل الله ، ولا يخاف عاقـبة الأيام ولا لومة اللـوام ، ولا يرهب قولة قائـل ولا صولة صائل .

ذلكم هــو الإمام القائد والـرجل القادر علـى جمع قلوب المـسلمين وتفـجير طاقـات الإيمان فيهـا ، والسيـر بالمسـلمين قدمـا الى حيـث يتبـوءون مكانتـهم ، ويتسلمون قيادتهم لصلاح البشرية جمعاء ، ويومئذ يفرح المسلمون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

تُرى من هذا الإمام القائـد ؟ أهو المهدى المنتظر ؟ أم عيسـى ابن مريم ؟ ليس شرطاً أبـداً أن يكون أحد هـذين الإمامين المنـتظرين ، وإنما يـكفى فيـه أن يكون المؤمن الصادق ، الموصـول بالله ، والمتمسك بحبله عز وجل ، يـخشى الله تعالى ويتقيه ، ويجاهد فى سبيله، يـحب فى الله ويبغض فى الله ، يعطى فى الله ويمنع فى الله .

كما أنه ليس شرطاً أيـضاً أن يقوم بنفسه ويدعو المسلمين الـى بيعته وطاعته ، وإنما على المسلمين ــ إن أرادوا الخروج من هذه المحنـة ــ أن يطلبوه ويطلبوه حتى يجدوه ثم يبايعوه ويـطيعوه ، ويومها يقوى على تفجير طـاقة الإيمان فى قلوبهم ، ويقدر على قـيادتهم والسير بهم الـى حيث القوة والعزة والكرامـة . وعندها وبلا شك ، إن شاء الله ، تنتهى هذه المحنة القاسية الشديدة ويستريح من عنائها وآثارها السيئة المسلمون .

المحنـة الثانيـة

فرقة المسلمين وانقسامهم على أنفسهم

فرقة المسلمين كانت وما زالت السبـب الأول فى ضعفهم وعجزهم وانهزامهم فى كل معـارك الحياة . انها فرقة منـكرة خطيرة قسمت الأمـة الواحدة الى أمم ، والدولة الى دويلات . والجمـاعة الواحدة الى جماعات ، والطريـقة الواحدة الى

طرق ، والمذهب الواحد الي مذاهب شتى . ويااللأسى والأسف معاً . وسبحان الله كيف رضيها المسلمون لأنفسهم مع أن العقول قد اطبقت ، والشرائع الإلهية كلها قد أجمعت على ضرر الفرقة وسوء أثرها فى الأمم والجماعات، واعتبرتها داء عضالاً ، ومصاباً جللاً ، ومحنة قاسية شديدة تصاب بها الأمم والشعوب فتدمرها، وتقضى على حياتها ووجودها .

وهذا القرآن الكريم ينعاها على أهلها ، ويحذر المسلمين من الوقوع فيها فيقول : ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم**﴾ . ويقول : ﴿ **ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء**﴾ . ويقول : ﴿**وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾ .

نعم ــ أيها الاخوة القراء ــ الفرقة والاختلاف من طبائع البشر ، ومن مقتضيات وجودهم وحياتهم . قال تعالى : ﴿ **ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** ﴾ .

وهذه الفرقة وهذا الاختلاف مردهما الي تباين العقول ، واختلاف المدارك والفهوم والى تعدد المصالح واختلاف الأغراض ، واختلاف الاستعدادات النفسية والجسمانية أيضاً .

غير أن لسطان الإيمان على النفوس ، وهيمنة روح الاخلاص على العمل والسلوك من الأثر الكبير ما يحول بإذن الله تعالى دون الفرقة والاختلاف فى الجماعة السعيدة والأمة المرحومة ، وهذا وجه الاستثناء فى قوله عز وجل : ﴿ **إلا من رحم ربك**﴾ فى آية : ﴿ **ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك**﴾ . أى فإنهم لا يختلفون لوجود المانع من ذلك وهو الإيمان الصادق والإخلاص التام فى أعمالهم لله تعالي . أما قوله : ﴿**ولذلك خلقهم**﴾ ففيه إشارة الى الاختلاف الذى يقتضيه تباين العقول ، وتعدد المصالح ، وتنوع الأغراض .

فإذا وجد المقتضى ، وعدم المانع كان الخلاف حتماً . عرف هذه الحقيقة ــ بوحى من الله ــ رسول الله ﷺ وقررها في قوله (من رواية الترمذي) : « ليأتين على أمتى كما أتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل . . »

«وإن بنى اسرائيل تفرقت علي اثنتين وسبعين ملة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلها فى النار إلا ملة واحدة . قالوا : وما هى يارسول الله ؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابى .»

فذكر أن الفرقة كائنة لا محالة ــ وقد كانت ــ وان ٧٢ ملة هالكة ، واستثنى من العدد ٧٣ ملة واحدة . فهى ناجية مرحومة وذلك لاجتماعها على الحق الذى كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، فلم تتقاسمها الاهواء ولا المذاهب ولا الطرق، وإنما اجتمعت على دين الله ولم تختلف فيه لسلطان الإيمان وروح الاخلاص فى العمل لله تعالى .

هذا وإذا بحثنا عن عوامل الفرقة الكائنة اليوم بين المسلمين فإنا نجدها تدور علي خمسة أسباب وهى :

١ ــ السياسة وتنازع الحكم .

٢ ــ عصبيّة الجنس أو الحرب والمبدأ .

٣ ــ عصبيّة المذاهب فى الأصول والفروع .

٤ ــ القول فى دين الله بالرأى ، والحكم فيه بالهوى .

٥ ــ دسائس أعداء الإسلام وكيدهم المتواصل للاسلام والمسلمين .

هذه أهم عوامل الفرقة والاختلاف بين المسلمين . وعليه فإذا أردنا الخروج بحق من هذه المحنة : محنة الفرقة والاختلاف بين المسلمين فلنعمل على القضاء على هذه العوامل ، وإنهاء هذه الأسباب . فعامل السياسة وتنازع السلطة يمكن القضاء عليه من طريق اقناع المسئولين ، وأرباب المصالح الخاصة أن بقاء هذه الدويلات الضعيفة الهزيلة مرهون ببقاء تنازع المعسكرين : الشرقى والغربى ، ويوم ينتهى باتفاق ، أو بتغلب أحد المعسكرين على الآخر ؛ فإن هذه الدويلات تنتهى من نفسها ، ويقضى عليها فى يومها ، فمن الخير اذاً أن تتحد هذه الدويلات فى دولة واحدة ، وان تتكتل هذه القوى المفرقة فى قوة واحدة يمكنها الوقوف فى وجه العدو الطامع فى ابتلاعها والقضاء عليها . فإذا أمكن اقناع المسئولين بهذا وأصبحت دولة الإسلام دولة واحدة فإن هذا العامل الخطير من عوامل التفرقة والخلاف قد قضى عليه واستريح منه .

وأما عامل عصبية الجنس أو الحرب فالقضاء عليه سهل ، ويأتي من طريق التوعية والتربية الإسلاميتين وتعميق معاني الإخاء الإسلامي في النفوس ، وغرس الفضائل الخلقية في القلوب وبإيضاح الخطوط العريضة للوحدة بين المسلمين ، والتعاون بين أفرادهم وجماعاتهم ، والمتمثلة في قول الله تعالي : ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾. وقوله : ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾، وقوله : ﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحدة**﴾، وقوله : ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾. وفي مثل قول الرسول ﷺ : «المسلم أخو المسلم» . «والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ». وقوله : «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ». وقوله : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» . بهذه التوعية والتربية الوجدانية يمكن القضاء على هذا العامل المدمر الخطير .

وأما عامل التعصب المذهبي فيمكن انهاؤه والتخلص منه بواسطة العودة بالمسلمين الى أصلي الدين الاسلامي وهما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تعلماً وتعليماً وعملاً ، ورياضة الأمة على ذلك وأخذها بهذه الطريقة شيئاً فشيئاً حتى يتم خلاصها من هذه الفتنة والخروج بها من هذه المحنة .

ولنعلم أن الظروف الراهنة اليوم تساعد كثيراً على النجاح في تحقيق وحدة الأمة المسلمة في عقيدتها وعباداتها . فإن من غير المشكوك فيه أنه لو وُجد للمسلمين اليوم دولة خلافة اسلامية تلم شملها ، وتجمع شتاتها ، أو حتى رابطة اسلامية قوية يدين لها كل المسلمين بالحب والتقدير والولاء لأمكن توحيد أمة الاسلام والعودة بها الى ما كانت عليه أيام الراشدين . وذلك لوجود الوسائل والاسباب الكفيلة بتحقيق ذلك إن شاء الله تعالى .

وآخر عوامل الفرقة والاختلاف دسائس الأعداء وكيد الخصوم .

إن هذا العامل الخطير لا يكون مستقلاً بنفسه ولا يستقل أبداً إلا في ساحات الحرب وحومة القتال ، وإنما هو مُذكٍ لنار الفرقة ومهيّج للهيب الاختلاف من طريق تلك العوامل الأربعة السابقة ، وعليه فالقضاء على تلك العوامل المتقدمة قضاء على هذا العامل الخطير وانهاؤها انهاء له ؛ إذ دسائس الأعداء ليس لها ما تدس فيه سوى النعرات السياسية والحزبية والمذهبية والجنسية .

ومن هنا كان القضاء على تلك النعرات قضاء على دسائس العدو كما أسلفنا.

فإذا أمكن المسلمين اليوم بفضل الله تعالى ثم بالوعى الصحيح ، والتعليم الهادف والتوجيه الصحيح القضاء على عوامل الفرقة والخلاف فقد نجت من هذه المحنة القاسية ونجت من كل المحن غيرها .

المحنة الثالثة

محنة اليأس الذى أصاب أكثر المسلمين ، وقعد بهم عن العمل من أجل انقاذ المسلمين وانقاذ العالم أجمع

لا شك أن من المحن يأس المرء وقنوطه من خير يريد الوصول إليه ، أو شر يريد التخلص منه ، ومن المحن الكثيرة التى أصيب بها المسلمين اليوم هذا المرض الخطير والداء العضال اليأس من عودة عز الإسلام، والقنوط من رجوع قيادة العالم للمسلمين فى حين أن اليأس كالقنوط كلاهما مما حرَّم الله عز وجل على المؤمنين ففى يوسف يقول : ﴿ **ولا تيأسوا من روح الله ؛ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾. وفى سورة الزُّمر يقول : ﴿**لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾.

ومع بالغ الأسى وشديد الأسف أقول : إن هذا الداء أو هذه المحنة محنة اليأس أصابت قادة المسلمين وعلماءهم وقتلتهم أكثر مما أصابت العوام والجهال وأوهنتهم ، وهذا وجه من أوجه الخطورة فى محنة اليأس ؛ لأن الداء فى الرأس أو القلب ليس هو فى خطورته كالداء فى باقى الجسم ، فإذا أصاب اليأس رؤساء الأمة ومفكريها قعدت طبعاً عن الحركة بالمرة ، وانقطع أملها فى النهوض والسير.

واستميح السادة العلماء والقادة المفكرين عذراً اذا قلت : إن ما يتعلل به البعض ويتخذه مبرراً ليأسه من عودة نهضة الإسلام وعودة قيادته للبشرية جمعاء ولا للمسلمين فحسب ، وذلك من مثل قول الرسول ﷺ :« بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وطوبى للغرباء »، وقوله :« لا يأتى عليكم يوم إلا والذى بعده شر منه» ، وقوله :« لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق» أو كما قال . فليسمحوا لى اذا قلت ان مثل هذه الاخبار النبوية الصادقة لا ينبغى أن تحمل على اليأس ، ولا أن تكون مبررة له أبداً ؛ إذ لم يرد بها قائلها عليه الصلاة والسلام ذلك أبداً ، بل أراد بها عكس ذلك تماماً أراد بها حفز المسلمين الى العمل الجاد،

وإيقاظ الهمم للعمل المتواصل ، والتَّنبه للشر دائماً . والحذر منه ، ومن الوقوع فيه ، وذلكم بالدؤوب على الجد والعمل ، والحرص على الحذر والحيطة دائماً . فلم يرد منه فداه ــ أبى وأمى ــ تخدير جسم المسلمين وحملهم على ترك العمل ، والاستسلام للفتن والمحن ، وإنما أراد به ما سبق أن قلته : الحفز ، والتيقظ ، والتَّنبُّه ، والتحذير .

ولو فكر هؤلاء الآيسون القانطون فى مسألة القضاء والقدر لاستنتجوا منها ما يبطل تعللهم وتبريرهم ليأسهم ؛ فإن عقيدة القضاء والقدر تلزم المؤمن أن يعتقد جازماً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وان ما أخطأه لم يكن ليصيبه ومع ذلك يجب عليه أن يتوقى الشر ويحذره ، ويتعرض للخير ويعمل له ويبذل ما يمكنه من الجهد والطاقة فى التوقى والحذر ، وفى السعى للخير والعمل من أجل الحصول عليه ، ولا يحل له أبداً ان يترك العمل والحذر اتكالاً على نظام القدر العام ، وإذا كان هذا لا يحل هنا فإنه لا يحل له هناك ألا فلنفهم ! !

هذا وان الخروج من هذه المحنة ليتطلب جهداً كبيراً ، وعملاً جاداً متواصلاً.

فأولا : ينبغى معرفة النفس الخبيثة التى تنفخ فى جسم المسلمين هذا الروح من اليأس الخبيث القاتل ، ولا شك أنها نفس العدو ، العدو الذى ما برح يحط من قيمة هذه الأمة المسلمة ، وينتقص من قدرها ، ويضعف من شأنها ، ويسخر من مقوماتها وأسس كمالها من عقيدة وشريعة ومنهاج وقانون .

وثانياً : يجب أن نضرب المثل العملى بالانتاج الصالح والاخراج الممتاز فى كل مجالات العمل الصناعية مما يخرس ألسنة المنتقصين ويكمم أفواه الطاعنين .

وما أسكت العدو الحاقد ، وأخرس الخصم المناوئ مثل أن يرى أمة تتجمع بعد طول شتات وتستقيم بعد قرون من الاعوجاج ، وتنتج وتصنع فى جودة وامتياز .

فهل آن لنا ــ نحن المسلمين ــ أن نفكر في هذا الذى يخرس العدو وينكيه؟؟

والجواب عن هذا التساؤل لا مطمع فيه ما دام اليأس قد استولى على القلوب، والقنوط قد استحكم فى النفوس ، اذاً ألا فلنقاوم اليأس ولنحارب القنوط ، ومن الطريق الذى ذكرنا آنفاً ، فإذا خرجت أمة الإسلام من هذه المحنة

ونجت منها فقد قطعت شوطاً كبيراً فى طريق عزها وسبيل كرامتها ، ومنهج خيرها وسعادتها. والله المستعان .

المحنـة الرابعة

محنة المبادئ الهدامة

من المحن الـقاسية الـشديدة القـساوة التى ابـتليت بـها أمة الإسلام كـل أمة الإسلام محنة وجود مبادئ هدامة مخربـة فى ديارها وبين أبنائها ، وهى مبادئ لا تستهدف مـن أمة الإسلام إلا وجودها كأمة لها ذاتيـتها ومميزاتها وقيمـها وأخلاقها وتاريخها وأملها وتطلعها ومن هذه المبادئ المدمرة الهدامة :

١ ــ الشيوعية .

٢ ــ الاشتراكية .

٣ ــ التقدمية الثورية .

٤ ــ الماسونية اليهودية .

٥ ــ الروطارية الماسونية .

هذه خمس مبادئ يصـح إطلاق لفظ الكفر المنظم عليهـا فهى لم تكن إلا هو ولم تخـرج عليه لا فى الـعرض ولا فى الجوهر ، لا فى الـكنية والماهـية ولا فى الحقيقة والذات . وإنها لمن أصل واحد كما سـيذكر ، وهى وان كانت فى جميعها تستهدف المجتمع الإسلامى القرآنى بعقـائده وشرائعه وآدابه وأخلاقه فإنها تختلف فى أسلـوب العمل ، ومنـاورة الحرب ، وطريقـة الخداع والتضلـيل ، وهى وان كانت بـهذا التفصيـل خمساً فإنهـا ترجع الى أصول ثـلاثة لكل أصل منـها فرع ، فالشعوبـية أصل للاشتراكية والثوريـة أصل والتقدمية فرع لها ، والمـاسونية أصل والروطارية فرع لهـا ، وواضع هذه المبادئ بأصولها وفروعـها واحد لا ثانى له ألا وهو عدوّ الله ورسوله والبشـرية جمعاء ، ألا وهو اليهود واليهود وحـدهم عليهم لعائن الله ، إذ غرضـهم من ذلك القضاء على روح الـتدين فى العالم ليـخلو لهم الجو فيتنفسوا الصعداء من طول ما خنقتهم الأديان ولعنتهم لخبثهم ومكرهم .

وليضربوا بالتالى ضربتهم فى اجلاء العرب المسلمين من بلادهم لإقامة دولتهم

الممتدة في أرض كنعان ومن النيل الى الفرات ، وبعدها يفكرون فى وضع قدمهم الثقيلة الوطأة على العالم أجمع ، كما هو المخطط المرسوم لديهم ، وقد اكتشفه الناس وعرفه الكثير من بنى الناس ولم يبق سراً مكتوماً الى اليوم . ومبرر ذلك عندهم : أنهم شعب الله المختار ، وأنهم وحدهم المؤمنون الأطهار ، وأن من عداهم من الأمم والشعوب أنجاس كفار .

وكشاهد أورده على نيات القوم وخبثهم وارادتهم الشر بالعرب بالخصوص ما نشر قريباً في الصحف اليهودية من أن استفتاء اجرى بين طلاب وطالبات اليهود فى دولة اسرائيل ، ومادة الاستفتاء : ماذا على دولة اسرائيل أن تفعله بالعرب الذين تحت سلطانها ــ ممن هم الآن تحت سلطتها وممن سيدخل طبعاً ــ ؟ فكانت نتيجة الاقتراع أن أكثر من ٧٥ ٪ تطالب بإبادة العرب وتطهير أرض اسرائيل منهم بحيث لا تستحى منهم الأبناء ولا النساء .

وبعد أخى القارئ فكيف المخرج من هذه المحنة القاسية ؟ المخرج لا يكون إلا من طريق واحد ألا وهو لعن كل هذه المبادئ والكفر بها واخراجها من ديار الإسلام ؛ إذ كلها يهودية صهيونية فى الأصل لا خير فيها ولا تفاضل بينها . وذلك من طريق ابراز المبادئ الإسلاميةوملء الفراغ بها حتى لا يبقى مجال لهذه الطفيليات العفنة الخبيثة أن تنبت فى أرض الإسلام وديار المسلمين . بيد أن ابراز الشخصية المسلمة والمبادئ الإسلامية يتطلب جهاداً مريراً ، وصبراً طويلاً . غير انه لما كان لابد من هذا فإنه لا معنى للحيدة ، ولتكن المجابهة كما شاءت ان تكون صعبة مرهقة مضنية . فعلى الجماعات المسلمة أن تتلاحم في كل ديار المسلمين وأن تقف صفّا واحداً وتجمع كل قواها وتضرب بجمعها هذه المبادئ الهدامة المخربة كلها فتميتها وتقضى عليها وترمى بها جيفة منتنة خارج ديارها والى غير رجعة ، والى الأبد إن شاء الله تعالى .

المحنة الخامسة

محنة الجهل بالاسلام

إن من أخطر المحن التى أصابت المسلمين وهم يقاسون من ويلاتها ويعانون من شدائدها ضعفاً وفساداً وشرّاً ، محنة جهل جماهير المسلمين بإسلامهم ، فى

الوقت الذى خمَّت فـيه ديار المسلمين بدور الـعلم ومدارسه بحيث لـم تعرف بلاد المسلمين كثرة فى المدارس وعناية بالتعليـم كما عرفتها اليوم . ومع هذا فالعلم يقل والجهل يكـثر ، والجهال يسودون والعلـماء يذلون ويهونون وهذا فـى أغلب ديار المسـلمين . ولعـل السبب المـباشر فى هـذه فساد منـاهج التعـليم ، وسوء نـيات الطالبين، وعدم الكفاية والاخلاص فى الاساتذة والمعـلمين . أما المناهج التعليمية وهى السبب القوى فى هذه المحنة فقد نادى الكثير من المصلحين فى بلاد المسلمين بوجوب مـراجعتهـا وتعديلهـا ووضعها عـلى أسس سلـيمة تكفـل للأمة المسـلمة حاجاتها الضرورية الملحة فى الاصلاح الشامـل لجانبى الحياة الدينى والدنيوى على حد سواء حيث لا غنى للأمة المسلمة عن أحدهما ، ولكن لا حياة لمن تنادى .

وأما سوء النية بالنسبة الى طلاب العلم فإن له أثراً كبيراً فى ذهاب بركة العلم وآثاره الطيبة فى نفوس أهله وذويه . وقد أصبح ــ مع الأسف ــ الكثير لا ينوى بطلبه العلم ولا يقصد به الا الجانب المادى البحت ــ ولعل جل المدارس ــ لم يبن إلا لهذا الغرض وحده ، وفى كل بلاد المسلمين .

وأما عدم الكفاية والاخلاص فى الاساتذة والمعلمين فإن له أكبر الأثر فى تربية الطالب وتوجيهه ؛ إذ كثيراً ما يرث الطلاب صفات معلميهم ، وقد يتقمصون كل شخصياتهم فيـرثون عنهم كمالهم إن كانوا كاملين ، ونقـصهم إن كانوا ناقصين ، وفى الحكمة المأثورة ، كيفما يكن المربّى يكن المربًّى .

ومن هنا كانـت النتيجة سيئة للـغاية ، فإن النفاق والذبذبـة والالحاد أيضاً لم يعرف بين المسلمين الامـيين منهم كما عرف المتعلمين والمثقـفين كما يقولون، وكل هذا عائد قطعاً الى فساد مناهج التعليم من جهة والى سوء نية الطلبة ،وعدم كفاية واخلاص المعلمين من جهة أخرى . والمخرج من هذه المحنة صعب جداً مع العلم بأن آثار هذه المحنة سيئة وسيئة لا تقـل وبالاً وشراً عن المحن السابقة واللاحقة ، وذلك لأن تغيير المناهج لا يملكه إلا ذوو السلطة فى بلاد المسلمين وهم فى أغلبهم ليسوا من الوعى الإسـلامى والادراك والمسئولية والقدرة بحيث يمـكنهم أن يغيروا هذه المنـاهج حتى تتـناسب ومتطـلبات الأمة المـسلمة ، وما يـجب أن يحققـه لها التعليم من القوتين الروحية والمادية .

وعليه فقـد تبقى هذه المشكلة بـلا حل ويبقى المسلمون عـاجزين عن الخروج

من هذه المحنة الصعبة ، وذلك لانها مرتبطة تماماً بالقانون العام الذى يحكم الأمة، والقانون ما دام ليس هو الإسلام فإن من الصعب جداً تغيير هذا الجانب وحده وتبقى سائر الجوانب أجنبية عن الأمة غير إسلامية .

بيد أنه فى الإمكان معالجة الموضوع من جانب آخر وهو جانب إصلاح النيّات من طريق التوعية الإسلامية والتوجيه الإيمانى بين الطلاب وذويهم ، وخاصة طلاب المعاهد والمدارس الدينية . وعلى سبيل المثال ما قلته وأقوله لطلاّب الجامعة الإسلامية وأنا أحد مدرسيها وهى أكبر مؤسسة علمية دينية فى بلاد المسلمين اليوم، والأمل معقود على طلابها أكبر من أن يعقد علي جيش إسلامى يتحرك الى الغزو والفتح ، لإشادة صرح الإسلام ، أو حمايته من التداعى والسقوط. هؤلاء الطلبة طالما قلت لهم وواجهتهم بهذه الحقيقة ، وهى أن عليهم واجباً ومسئولية ليست على غيرهم لأنهم يتهيئون بهذه العلوم الشرعية لا لأن يصبحوا قضاة فى جهاز دولة لا تحكم بالإسلام ، ولا تحكمه ، ولا معلمين للشريعة فى مدارس لا علم للشريعة بها ، وإنما ليصبحوا دعاة للاسلام ومبشرين به ، وهذا يتطلب منهم اخلاص النية وتحديدها . فالدعوة الى الإسلام يجب أن تكون فى اطارها الخاص المحدد بمثل قول الله تعالى : ﴿ **وما أسألكم عليه من أجر أن أجرى إلا على رب العالمين** ﴾ .

إن رسالتكم تتنافى مع طلب المادة وتتضادّ مع الرغبة فى الحياة الدنيا الفانية .

وعليه فمن الآن وأنتم بين جدرانى الجامعة مرنوا أنفسكم وروضوا أرواحكم على الصيام والقيام ، وعودوها على قبول آداب الشريعة وفضائلها ، وتحلوا بها قبل أن تدعوا الناس إليها ، فإن من النقص كل النقص أن يدعو المرء غيره إلى فضيلة لم يتحل هو بها ، أو القيام بواجب تخلى هو عنه وتركه . وقد جاء فى القرآن الكريم :﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾. وفى الحكمة الشعرية : قول القائل :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

فمن الآن أيها الطلاب أقبلوا على أنفسكم فكملوها ولحمل رسالة الحق اعدوها . وبكل صراحة أقول لكم : من أراد أن يطلب الدنيا بهذه العلوم الشرعية فليتق الله تعالى ولينقطع من الآن عن التعليم الشرعى وليطلب له علماً

مادياً يحق له أن يطلب به الدنيا وزينتها ، وهذا ــ والله لمن الصدق الذى هو أسمى الخلال وأفضل الخصال . وإن أبيتم إلا التعليم الدينى الشرعى فادعوا حقه بإخلاص النيّة والاستقامة عليه فذلك أزكى لكم ، وأبرك ، والله عليم بما أنتم صانعون .

المحنة السادسة

احتلال اليهود لأرض فلسطين
واستيلائهم على المسجد الأقصى

لاشك أن محنة قهر اليهود للمسلمين كل المسلمين باحتلال بلادهم والتحكم فى أمة كبيرة من نسائهم ورجالهم ، ثم بالاستيلاء على المسجد الأقصى ثالث الحرمين وأولى القبلتين لا شك أنها محنة شديدة الوطأة على النفوس قاسية على القلوب دونها كل المحن ؛ لأن اليهود أعداء الله هم أشد أعداء المسلمين عليهم وأقساهم كما قال تعالى : ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾ .

ومن أقسى المحن ــ ولا شك ــ أن يقهر المرء عدوه ويذله ويهينه ويتحكم فيه وقد استعاذ رسول الله ﷺ من قهر الرجال. حقاً إنها لمحنة لا تقاس وايم الله بمحنة تلك التى أصابت المسلمين فى أرض فلسطين حيث قتلوا وشردوا واستبيحت حرماتهم وديست كرامتهم ، وبالنعال وطئت مقدساتهم، وزاد فى ثقل الوطأة وفداحة الخطب وقساوة المحنة أن العدو القاهر المذل هو من أذل الناس وأقلهم شأناً ، وأرخصهم جنساً ما كان لمثلهم أن يسودوا ويحكموا ، فأصبح المسلمون معهم كما قال الشاعر :

الى الله نشكو أننا فى منازل   تحكم فى آسادهن كلاب

هذه هى المحنة أخى المسلم وكيف الخروج منها ؟ والجواب إن شاء أخى القارئ وضعنا بعض الكيفيات للخروج منها وإن شاء تركناها كما هى حتى يأتى أجلها فإن أجلها لآت قريب لا ريب فيه ؛ إذ قال الصادق المصدوق ﷺ : «لتقاتلن اليهود ثم لتسلطن عليهم حتى يقول الشجر والحجر يا مسلم هذا يهودى ورائى

فاقتله» ، أو كما قال عليه الصلاة والسلام والحديث فى صحيح مسلم قطعاً .

غير أننا ما دمنا نستعرض بعض محن المسلمين ونحاول وضع كيفيات للخروج منها فإنه لا مانع من ذكر كيفية للخروج من هذه المحنة القاتلة المميتة ، والذى رأيته مخرجاً من المحنة فقد تقدمت به برقياً لمؤتمر القمة الإسلامى بالرباط يوم انعقاده هناك بالعاصمة المغربية ، وهو نفس ما أبرقت به الى مؤتمر رؤساء الخارجية للدول الإسلامية ، ونصه بعد حذف الديباجة : نطالب بتكوين جيش إسلامى تحت قيادة إسلامية تساهم فيه كل الحكومات ذات الشعوب المسلمة بخير رجالها وأحدث ما تملك من سلاح حتى يكون أقوى جيش فى العالم وأقدر على رد كل اعتداء ، وتأديب كل معتدٍ .

ومهمة هذا الجيش الأولى تحرير الأراضى المقدسة ، ثم حماية كل بلد إسلامى يتعرض لاعتداء خارجى وفتنة داخلية كما هى الحال ــ يومها ــ فى الباكستان ، وكما هى اليوم فى الجنوب العربى حيث المسلمون ــ وليس فى البلاد سواهم ــ يكرهون بالحديد والنار على الكفر بالاسلام والإيمان بالمذهب الشيوعى، ومبادئ لينين وماوتسونك الالحادية ، وهم الآن يستصرخون ولا مصرخ ويستغيثون ولا مغيث ! !

هذا ما رأيته مخرجاً لهذه المحنة وما زلت أراه كذلك والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

المحنة السابعة

محنة الفسق العام

إن الخروج عن القانون والفوضى العامة فى السلوك الفردى والجماعى يُعدَّان من دون شك من الرزايا والمحن التى تبتلى بها الأمم والشعوب لما تفقدها من معنى الحياة وسعادتها ، وما تعرضها له من خراب ودمار . .

والمسلمون اليوم بصورة عامة يعيشون على فسق ظاهر، وخروج كامل عن القانون . فالفوضى فى العقائد والعبادات ، والأخلاق ، والآداب عامة كأن لم يكن هناك حدود ولا قواعد ولا قوانين يرجعون إليها فى حياتهم أبداً. وهذه

ظاهرة خطيـرة تنذر بشر مستطـير ، وستجر من الكوارث مـا لا يقادر قدره . ولا يعرف مداه ولا حصره . وبإلقاء نظرة خاطفة نرى مـا ذكرناه حقيقة ماثلة للعيان لا تقبل الأخذ والرد ولا الـنقاش والجدل . فالحدود معطلة كأن لم يـكن بشريعة الله حد واحد أمر أن يُقـام هذا قطعاً باستـثناء الحكومة العـربية السعودية مـع ملاحظة عدم إقـامة حد الـسرقة عـلى سراق الحـجيـج فى هذه الأعـوام الأخيرة مما جرّأ اللصوص الوافدين مع الحجاج على ترويـع وفجْع عدد كبير من الحجاج مما أصبح يذكر الناس بعد الفوضى فى الحجاز قبل دولة القرآن السعودية .

والعقـائد مختلفـة متنوعة فهـى ما بين مادية صرفـة ، وشركية وثنيـة ظاهرة ونفاقيـة مصطنعة متكـلّفة ، وارتيابيّه شكّيّة مزعزعـة ،وجهمية معطلـة ، وجبرية سلبية لا تبدى ولا تعيد .

والعبادات اختـيارية لا جبر فيها ولا إلزام ، الفـرضية منها كالنفلـية فمن شاء صلى،ومن شاء ترك،ومن شاء صام ومن شاء أفطر،ومن شاء زكى ومن شاء منع.

تغلبت الـبدع فيها على السنن ، فالـبدعة منصورة مشهورة ، والسـنة مخذولة مستورة . العادة مأتية مذكورة والعبادة منسيّة مهجورة .

والأخلاق جلها نفاق ، وعداوات وشقاق ، لو تساءلت : أين الصدق ، أين الوفاء ، أين المحبة ، أين الإخاء ، أين الأمانـة ، أين الحياء ؟ لما وجدت من يشير لك الى واحدة منها كلها ، وذلك لانعدامها فى المجتمع واختفائها فيه .

والآداب علقـم وصاب ، مهاترات كـلامية ، ومجـاملات سياسيـة لا تعرف الشجاعة فى الحق ، ولا الصراحة فى النطـق ، باسمها ضاعت الأمانة ،وأشيعت الخيانة ، وتظاهر المنكر ، وتوارى المعروف ، فاستبيحت المحرمات ، وأشيع الربا، وانتشر الـعهر والزنا ، وشربت الخمـور ، وأذيع الغناء والفحش والـبذاء ، وحتى الميسر والقمار أصبح تسليـة أهل كل دار . وخلاصة القول فى هذا أن هذه الموجة العاتية العارمة من الفسق عن شريعـة السماء والثورة عن قوانين الله لهى منن أخطر المحن التى يـقاسى منها المجتـمع الإسلامى ويعانى منـها جميع المسلـمين . ولكن كيف الخروج منها ، وما طريقه ؟

المخرج لن يـكون إلا بأحد أمـرين لا ثالث لهـما ، أولهمـا حكومة إسـلامية

عادلة قوية تقيم حدود الله وتحمى حماه ، فتضرب على أيدى كل المفسدين والعابثين ، وتقوى جانب الصالحين والمصلحين على قاعدة قول الملك الصالح كما حكى ذلك عنه رب العالمين فى قوله :

﴿أما من ظلم فسوف نُعذبه، ثم يرد إلى ربّه فيعذبه عذاباً نكراً ، وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى ، وسنقول له من أمرنا يسراً﴾.

وثانيهما بجماعة إسلامية أو رابطة علمية تنذر لله حياتها وتوقف على الإسلام جميع طاقاتها تعمل على تبوُّء مركز القيادة الروحية لجميع المسلمين ، حتى إذا أصبح لها فى القلوب عرش ، وفى الجيوب قرش تجيل يد الإصلاح فى المسلمين، فتقف فى وجه الباطل والشر وتدفع فى مسيرة الحق والخير فما هى إلا جولات بعد صولات والفسق قد اختفى والباطل قد مات .

المحنة الثامنة

محنة انحراف المرأة المسلمة

أىّ ألم أشد إيجاعاً من ألم النفس عندما تشاهد شرفها يضيع وعرضها يدنس، وكرامتها تداس ؟ ؟

وأى محنة أشد وأقسى على المرء من أن يرى امرأته أو فتاته مستخدمة لغيره تأتمر بأمر الغير ، وتخضع لسلطانه ، وتعمل حسب رغبته ، وتتحرك طوع إرادته مقابل ثمن بخس : دريهمات معدودات ، وذلك ما يسمى براتب الوظيفة الشهرى، وأى اعتزاز بالنفس أو شعور بالكرامة يبقى عندما يرى المرء امرأته أو فتاته من بنت أو أخت ترجل شعرها كل صباح وتتعطر وتلبس أحسن ثيابها وهى كاشفة عن شعرها ونحرها وحتى عن سوقها وصدرها لتقضى ست ساعات مع شباب ذائب مائع وقح صفيق لا يعرف حياء ولا مروءة ولا كرامة ولا شرفاً همه أن يشبع غرائزه فى إسراف غير محدود ، واتراف غير معدود . وكل ذلك باسم العلم وتحت شعار طلب المعرفة .

وأىّ دين ــ أو خلق أو حياء يجده أو يبقى له ذاك الذى يجلس نساؤه ورجاله من آل بيته أمام شاشة (التلفزة) والكل يشاهد أجمل غادة وأحسن غانية الى

جنب احسن فتى واجمل شاب يتبادلان النظرات القاتلات ، والعبارات الساحرات والابتسامات الفاتنات ، ويسمع الجميع منهما ارخم الأصوات وأرق العبارات وقد يتم امامهم تبادل قُبل العشاق وتعانق طول الفراق وأى داء أدوأ من هذا الداء ، وأىّ سقم اشد فتكا بجسم الإنسان وهو يعيش على هذا اللون الرخيص من الحياة. وواقعه يردد مع الشاعر قوله :

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيباً ... كاسفاً باله قليل الرجاء

هذه هى محنة انحراف المرأة المسلمة اليوم والرجال فى شتى بلاد الإسلام يقاسونها ويتجرعون غصصها ، وشرها ـ ومع الأسف ـ كل يوم يزداد استطاراً وداؤها استشراء وانتشاراً ، ولا يقابل ذلك من الرجال إلا بالمداهنة المتملقة والمجاملة المصطنعة المتكلفة ولسان حالهم يقول :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدواً له ما من صداقته بد

وكيف المخرج من هذه المحنة يا ترى ؟ ؟

بالرجوع الى عناصر المحنة التى تكونت منها ، وبالنظر الى أسبابها التى تسببت عنها نعثر على كيفية الخروج منها : ان عناصر هذه المحنة لا تعدو كونها التعليم ، والتعليم وحده ، وأعنى بالتعليم ذاك التعليم الغير الهادف ، والذى لم يراع فيه شرف ولا قدسية ، ولم يلاحظ فيه دين ولا دنيا بالمعنى الصحيح لمفهوم كلمتى الدين والدنيا.

كما أن أسباب هذه المحنة لا تخرج أيضاً عن سبب واحد ألا وهو الوظيفة ذات الراتب المالى . وعليه فالخروج من هذه المحنة زيادة على ما يجب من حملة التوعية الإسلامية والتربية الدينية : إصلاح مناهج التعليم ، وحرمان المرأة من الوظيفة الحكومية وغير الحكومية إلا فى حدود معروفة وإطار معلوم . وبذلك تقل الرغبة من الآباء والأمهات فى دفع بناتهم الى المعاهد والكليات ، وطبيعياً ستعود المرأة يومئذ الى وظيفتها : ملازمة البيت والقيام بشؤونه والنهوض بأعبائه وما أكثر شؤون البيت وما أثقل أعباءه ، وإن هى قامت بذلك فقد كانت بحق نصف الرجل وجناحه الذى لا يطير إلا به ، وكانت أقدر بكثير على إسعاد الرجل

وبيته ، واستحقت بجدارة لقب المواطنة الصالحة والمرأة المنتجة التى يعتمد عليها الوطن كما يعتمد على الرجل وتؤثر فى بنائه وحمايته وفى قوته ومنعته كما يؤثر الرجل وأكثر . وهذا أقصى ما يطلب من الأفراد الصالحين بين الناس أجمعين .

آخر سهم

وأخيراً وبعد عرض هذه المحن الثمانى التى يعانى منها المسلمون فى الشرق والغرب ووضع ما أمكن من كيفيات للخروج منها متى أراد المسلمون ذلك فإنى وكعادتى فى الجدية فى الأمور والصدق فيها اغتنم هذه الفرصة وقد سنحت مع الإخوة القراء وقبل أن تبرح ، فأضع بين أيديهم وهم ما بين عالم وطالب علم والكل مسئول عن بذل ما يمكن بذله للخروج بالمسلمين من هذه المحن التى تهدد كيانهم وتريد أن تقضى على وجودهم : أضع بين أيديهم وأطالبهم بالعمل على التنفيذ والإنجاز السريع : خطتين لعمل إسلامى مثمر جدير بالإنقاذ والإسعاد .

أولاهما : تكوين وفد من خمسة علماء ربَّانيِّين صالحين وعلى رأسهم فضيلة رئيس الجامعة الإسلامية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، والتوجه فوراً الى رحاب جلالة الملك فيصل إمام الحرمين الشريفين حفظه الله وأيده بروح منه . ومطالبة جلالته بالموافقة على إعادة بناء الرابطة ـــ رابطة العالم الإسلامى ـــ من جديد ، وإسناد ذلك الى هذا الوفد الذى حضر لدى جلالته مطالباً بذلك .

وأما كيفية إعادة بناء الرابطة فقد سبق لى أن أبرقت بها الى مؤتمر رؤساء خارجية الدول الإسلامية بجدة ضمن اقتراح آخر ، ولا شك أن جلالته حفظه الله تعالى على علم به . وهذا نص ما أبرقت به فليقرأه القارئ الكريم وليطلع عليه وهو بعد حذف الديباجة :

العالم البشرى عامة ، والإسلامى خاصة مهدد بكارثة محققة ان لم ينقذه الله تعالى بالإسلام . وعليه فالمطلوب منكم فى مؤتمركم هذا أن تخطوا الخطوات التالية :

أ ـــ إعادة بناء هيكل رابطة العالم الإسلامى بوضعه على أساس اختيار علماء ربانيين يختارون على علم من كافة ديار المسلمين ويسند إليهم ما يلى :

١ ـ وضع دستور إسلامى لأمة الإسلام يستقى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والفقه الإسلامى ، ويقدم لكل حكومة إسلامية للحكم به وتنفيذه .

٢ ـ فتح مراكز للرابطة فى كل بلد إسلامى تقوم الرابطة بواسطتها بإرشاد المسلمين وتوجيههم واصلاحهم عقيدة وسلوكاً .

٣ ـ مساهمة كل الحكومات المسلمة فى ميزانية الرابطة لتقوم برسالتها التربوية التوجيهية الاصلاحية بين كافة المسلمين .

٤ ـ احترام الرابطة وتقديسها من كافة المسلمين حكومات وشعوباً حتى تصبح كلمتها نافذة بين كافة المسلمين ، وتكون ظلاً كظل الخلافة الإسلامية يرجع إليها المسلمون فى كل ما يهمهم فى أمر دينهم ودنياهم .

هذا أيها الإخوة القراء ما جاء فى تلك البرقية ، وهو ما سيطالب به وفدكم يوم تكونونه لهذه المهمة العظيمة . واعلموا أن أمراً كهذا متى تحقق كان أكبر عمل إيجابى ، وأعظم خطوة سديدة فى إنقاذ المسلمين من شتى المحن والإحن والبلايا والرزايا إن شاء الله تعالى . فقوموا أيها الإخوة القراء بواجبكم والله معكم ولن يتركم أعمالكم . .

وثانيتهما : أن يعمل العلماء والمصلحون فى كل إقليم إسلامى على تكوين جمعيات تعاونية فى كافة أحياء مدن الإقليم وقراه بحيث يقوم رجال الحى أو القرية ، يعاونهم المجلس البلدى ببناء مسجد جامع فى حيهم أو قريتهم يتسع لكافة أفراد الحى أو القرية ذكوراً وإناثاً ، ويختارون إماماً لهم من أهل العلم والصلاح يسندون إليه أمر الصلاة بهم ، وجمعهم في مسجدهم مرتين فى الأسبوع ذكوراً وإناثاً لدراسة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تثقيفاً لهم ، وتربية لأرواحهم ، وتقويماً لأخلاقهم .

ومن المسجد وأهله تنبثق اللجان الإصلاحية الآتية :

١ ـ لجنة صندوق الحى ، أو القرية ، ومهمتها جمع الاشتراكات الشهرية من أفراد الحى أو القرية ، وحفظها فى صندوق الجمعية .

٢ ـ لجنة رعاية الحى أو القرية ، ومهمتها تفقد أحوال المتساكنين فى الحى أو القرية لمعرفة مريضهم ، ومحتاجهم ، وغائبهم ، ومظلومهم وظالمهم ، وتقديم

ذلك فى بيان لإمام الحى ، أو القرية لتقديم المساعدة الفورية التى يفرضها الإسلام بحكم الجوار والأخوة الإسلامية .

٣ ــ لجنة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويتكون أفرادها من رجل الحسبة (الشرطة) فى الحى أو القرية، ومن عضوين آخرين من أهل الحى ، ومهمتها مراقبة سلوك أفراد الحى أو القرية ، ومعرفة كل من ترك معروفاً وهو قادر على فعله ، أو ارتكب منكراً وهو غير مضطر إليه ، واستدعاؤه الى لجنة التأديب فى المسجد لأخذه بطرق تأديبها الخاصة .

٤ ــ لجنة التأديب وتتكون من إمام المسجد وعضو من رجال الحسبة (الشرطة) وأمين صندوق الحى ، ومهمتها تأديب وإصلاح كل من يخل بواجبه فى المجموعة المتساكنة فى الحى أو القرية بترك المعروف ، أو ارتكاب المنكر من قول أو فعل أو اعتقاد .

وتستخدم هذه اللجنة فى إصلاح الأفراد وسائل التأديب التالية :

١ ــ الوعظ والنصح ؛ إذ كان الرسول ﷺ يؤدب أصحابه بالقول أحياناً ، فإن لم يجد ذلك انتقل الى المادة التالية :

٢ ــ المقاطعة بهجره التام من كل أفراد الحى حتى من أقرب قريب إليه ، الى أن يتوب بفعل ما ترك من المعروف ، أو ترك ما ارتكب من المنكر ، فإن لم تنفع هذه الوسيلة انتقل الى المادة التالية :

٣ ــ رفع الأمر الى دائرة الحسبة (الشرطة) فى المدينة ، ومطالبتها باسم كافة أفراد الحى أو القرية بإصلاح هذا الشخص ، أو نفيه من الحى أو القرية ؛ لأنه عضو فاسد يخشى معه سراية الى أفراد الحى الصالحين .

وأخيراً لا أشك فى أن تحقيق هذين الأمرين سيحقق لأمة الإسلام خيراً كثيراً وسيخفف كثيراً من الآلام التى يعانيها المسلمون فى الشرق والغرب . كما لا أشك أن تحقيق هذين الأمرين من السهولة بمكان ، وأنه لا أيسر من ذلك متى نهضت الجماعة المؤمنة شاعرة بمسئوليتها ، تمد يدها بإخلاص لتسلّم زمام المبادرة والعمل والتكوين . والله وليها فى ذلك وناصرها وهو تعالى نعم المولى ونعم النصير .

الرّسَالَة الثَّامِنَة عَشَرَة

هَكذا الحج المَبرُور وَ الزيارة

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

أخي المسلم . . . إذا أردت أن يكون حجك مبروراً تخرج به من ذنوبك كيوم ولدتك أُمك ، ويكون جزاؤك عنه الجنة فاتبع كيفية الحج التالية :

إذا عزمت على الخروج الى مكة فقلم أظفارك وتنظف ، واغتسل والبس إزاراً ورداء نظيفين ، والبس نعلين ، وإذا وصلت الى الميقات « آبار على » فصلّ ركعتين ، ثم انو نسكك ، وإن كنت تريد التمتع ــ وهو أفضل لك عندنا ــ فلبّ قائلاً : لبيك اللهم عمرة . وإن كنت تريد الإفراد ــ وهو أفضل لمن اعتمر قبل أشهر الحج ــ فقل : لبيك اللهم حجاً . وإن كنت تريد القران ــ وهو أفضل أن سقت معك هديا ــ فقل : لبيك اللهم حجاً وعمرة . ثم واصل التلبية :

لبيكَ اللهم لبيك ، لبيكَ لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك .

وإن كان خروجك الى مكة بطريق الجو فتنظف واغتسل والبس إزارك ورداءك ونعليك وصلّ ركعتين بمسجد المطار واركب طائرتك ، فإذا ارتفعت الطائرة من أرض المطار وفارقته بقدر دقيقة فانو نسكك ولبّ وواصل التلبية حتى تصل الى مكة المكرمة واحذر وأنت محرم ما يلى :

لبس الثياب ، تغطية الرأس ، مس الطيب ، قص الشعر ، قلم الظفر ، مباشرة النساء . وعدم النطق بفحش . وأكثر من فعل ما يلى :

التلبية ، الدعاء، الصلاة على النبى ﷺ ، الصدقة ، بذل المعروف من قول وفعل . وإذا وصلت مكة المكرمة فتطهر واقصد المسجد الحرام ، فإذا وصلته فادخل من أى أبوابه تيسر لك وقدّم رجلك اليمنى وقل : بسم الله ، اللهم صل على محمد وآله ، اللهم اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب رحمتك. وإذا رأيت البيت ــ حرسه الله ــ فقل : اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وبراً وزد من شرّفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وبراً . ثم ادخل المطاف كاشفاً عن كتفك الأيمن وتقدم الى الحجر الأسود وقبله إن تيسر أو المسه بيدك أو أشر إليه

ناوياً الطواف ، ثم طف جاعلاً البيت عن يسارك قائلاً : بسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ وواصل طوافك مهرولاً فى الأشواط الثلاثة الأولى وماشياً فى الأربعة الباقية تدعو بما فتح الله عليك وتختم كل شوط بدعاء : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ،وكلما مررت بالركن اليمانى لمسته بيدك وبالحجر الأسود قبلته أو لمسته أو أشرت إليه حسب إمكانك وإذا فرغت من الطواف سبعة أشواط فأت مقام إبراهيم فصلِّ خلفه ركعتين ولو بعيداً منه . تقرأ فى الأولى الفاتحة والكافرون ، وفى الثانية الفاتحة والصمد . ثم ايت زمزم فاشرب منه وأكثر وادع بعد الشرب ما تحب من الخير وان قلتَ اللهم إنى أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً ، وشفاء من كل داء وعافية من كل بلاء فحسن . ثم تخرج الى المسعى من باب الصفا تالياً قول الله تعالى :﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله .. الى عليم**﴾. فإذا وصلت الصفا فاصعده واستقبل البيت وارفع يديك قائلاً : الله أكبر (ثلاثاً) لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير. لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، وادع بما شئت من الخير ، وانزل ساعياً الى المروة ، واذا كنت بين الميلين الأخضرين فخبّ (أى مسرعاً دون الركض) وإذا وصلت الى المروة فاصعده واستقبل البيت وقل ما قلته على الصفا ثم انزل ساعياً الى الصفا . وهكذا حتى تتم سبعة أشواط بثمانى وقفات (أربع على الصفا وأربع على المروة) وإذا فرغت من السعى فقصر شعرك « إن كنت متمتعاً » والبس ثيابك فقد تمت عمرتك . وإن كنت مفرداً أو قارناً ، فلا تقصر ولا تتحلل وإنما ابق على إحرامك حتى ترم جمرة العقبة يوم النحر .

تنبيه : أنبهك أخى المسلم الى أن شأن مكة والحرم عظيمان فاحذر أن ترتكب فيهما أى ذنب ، فإن الله تعالى يقول: ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾ فإياك والكذب والظلم والفحش وسماع الأغانى والباطل وحلق لحيتك وأذية عباد الله فى بيته وحرمه .

هذا وإذا كان يوم التروية ثامن الحجة فاغتسل وتجرد من ثيابك والبس إحرامك (إن كنت قد تحللت وانو الحج ملبياً به واخرج الى منى ضحى ملبياً فبت بها واقض جل هذا الوقت فى التلبية والدعاء والصلاة والسلام على النبى ﷺ .

وإذا صليت الصبح من يوم عرفة (تاسع الحجة) خرجت الى عرفة فنزلت بها ، وإذا أمكنك أن تأتى مسجد نمرة فتصلى الظهر والعصر مع الإمام جمعاً وقصراً فافعل فإنه خير. ثم توجه بعد ذلك الى جبل الرحمة فقف به مستقبلاً القبلة وقف حيث تيسر لك الوقوف لأن عرفة كلها موقف ، وأكثر من الذكر والدعاء وأفضل الذكر : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، حتى إذا غربت الشمس أفضت من عرفات الى مزدلفة فإذا وصلت فصل المغرب والعشاء قصراً (جمع تأخير) ثم بت فيها وإذا صليت الصبح وقفت مستقبلاً القبلة تذكر الله تعالى كثيراً وتدعوه الى قرب طلوع الشمس ثم تنفر الى منى بعد أن تلتقط إن شئت سبع حصيات لرمى جمرة العقبة ،وإذا وصلت الى منى فارم جمرة العقبة قبل الزوال بسبع حصيات تكبر مع كل حصاة (الله أكبر) فإذا فرغت نحرت هديك وحلقت رأسك وقصدت مكة المكرمة لطواف الافاضة ، فإذا وصلتها فطف بالبيت حرسه الله كما طفت عند قدومك غير أنك لا تكشف عن كتفك ولا تهرول فإذا فرغت فصل ركعتين خلف المقام واخرج الى المسعى فاسع إن كنت حججت متمتعاً وإن كنت مفرداً أو قارناً فإن سعيك الأول يجزئك. ثم عد الى منى لتبيت بها ثلاث ليال ، وقد تم حجك .

وإذا زالت الشمس من اليوم التالى للعيد فارم الجمرات الثلاث كل جمرة بسبع حصيات تكبر مع كل حصاة ، وتدعو بعد الفراغ من الرمى عند كل جمرة إلا جمرة العقبة فلا تدع بعدها وابدأ فى الرمى بالجمرة الصغرى التى تلى مسجد الخيف واختم بجمرة العقبة ، وهكذا افعل فى اليوم الثانى . وأن شئت تعجلت فخرجت من منى (قبل الغروب) الى مكة وان شئت بت ورميت فى اليوم الثالث، ثم أتيت مكة المكرمة لطواف الوداع . وعندما تعزم على السفر طف طواف الوداع على النحو الذى طفته فى طواف الافاضة ، ثم اخرج عائداً الى بلادك قائلاً : آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون ، لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

تنبيهات

١ ــ لا تطف إلا وأنت متوضئ ، وأما السعى فيجوز بدون وضوء .

٢ ــ لا تترك التلبية فى ذهابك من مكة الى منى ، ومن منى الى عرفات ،

ومن عرفات الـى مزدلفة ، ومن مزدلـفة الى منى حتـى ترمى جمرة العـقبة ، ثم استبدلها بالتكبير بعد الصلوات الخمس أيام منى الثلاثة .

٣ ـ لا تخرج من عرفات قبل غروب الشمس .

٤ ـ بت بمزدلـفة وإذا كنت مضطراً الى الخـروج منها فعلى الأقـل انزل بها وصل العشاءين واسـترح بها الى أن يمضى جزء كبير مـن الليل واذكر الله وادع ثم اخرج منها الى عرفات.

٥ ـ لا ترم قبل الزوال ، وإن اضطررت الى التأخير فأخِّر الى المساء .

٦ ـ العاجز والمريض ينيب من يرمى عنه ولا حرج .

٧ ـ يجوز أن تـشترط أثناء احرامـك فتقول : لبيك الـلهم لبيك مـحلى من الأرض حيث تحبـسنى ، فإنه إن نزل بك حادث مـنعك من مواصلة الحـج تحللت ولا شيء عليك .

٨ ـ يجوز لـلمفرد والقارن تأخيـر السعى الى ما بعد طـواف الافاضة إن لم يتيسر بعد طواف القدوم .

٩ ـ علامة قـبول حجك أن تجد نفسـك عند رجوعك الى بلـدك تحب الخير وتعمله وتـكره الشر وتجتنبه ، تلازم المسـاجد والصلاة فيها ، وتبتعـد عن المقاهى والجلوس فيها .

الزيـــارة

أخى المسلم : وإذا أردت أن تـكون زيارتك مقبولة تـثاب عليها فاتبـع فيها ما يلى :

إذا عزمـت على الـزيارة فانـو زيارة المسجـد النبـوى الشريـف أولاً ، ثم إذا وصلت المـدينة فانـو التشرف بالـوقوف على قـبر النبى ﷺ والـسلام عليـه وعلى صاحبيه ، إذ الزيارة طاعة وكل طاعة تحـتاج الى نية . وإذا وصلت فتطهر وادخل المسجد النبوى مقدماً رجلك اليمنى قائلاً: « بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ». ثم ايت الروضة الشريفة أو ما جاورها المسجد وصل ركعتين ، فإذا فرغت فـاقصد الحجرة الشريفة واستقبل المواجهة وسلم على النبى ﷺ قائلاً : « السلام عليك يا رسول الله ،السلام عليك

يا نبى الله ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، صلى الله تعالى عليك وعلى آلك وأزواجك وذرياتك أجمعين » .

ثم سلم على أبى بكر قائلا : « السلام عليك أبا بكر الصديق صفى رسول الله وثانيه فى الغار».

ثم سلم على عمر قائلاً : السلام عليك عمر الفاروق ورحمة الله وبركاته .

ثم انصرف فى أدب ، واجلس فى ناحية المسجد ، وادع الله تعالى واسأله من خير الدارين وبهذا تمت زيارتك فإن شئت سافرت وإن شئت أقمت بالمدينة لتصلى أربعين صلاة فى مسجد رسول الله ﷺ حيث كان فى ذلك أجر كبير وخير كثير . وإن أمكنك زيارة مسجد قباء للصلاة فيه فافعل فإن زيارته كأجر عمرة . وإن زرت قبور الشهداء بأُحد وقبور أزواج النبى ﷺ وبناته وأصحابه والمؤمنين بالبقيع فحسن. وأنبهك أخيراً الى ما يلى :

١ ــ لا ترفع صوتك عند السلام على الرسول ﷺ ولا فى مسجده أبداً .

٢ ــ لا تفعل ما يفعله الجهال من طول الوقوف عند القبر الشريف والدعاء ورفع الصوت وإنما سلم كما بينت لك وانصرف واجلس فى المسجد وادع بما شئت من الخير ، تأدباً مع الرسول ﷺ .

٣ ــ لا تكثر من التردد على القبر الشريف ومزاحمة الزائرين عنده وأذيتهم ، فإنه يكفيك أن تزوره عند قدومك ، وعند سفرك الى بلادك ، وأكثر من الصلاة والسلام على رسول الله وآله وأنت جالس مستقبل القبلة فى مسجده الشريف ، وأكثر من دعاء الله تعالى بالخير لك ولاخوانك المسلمين ولمن قدَّم لك هذه النصيحة فى هذا البيان .

الرّسالة التّاسِعة عَشَرة

اكبر مسَابقَة يشهدها العَالم الإسلامى

في رمضان



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المسلم العزيز ! . . يا أخى عبد الله ووليه ! . .

- هل أتشرف بابلاغك ؟ ! !
- هل أسعد باعلامك ؟ ! !
- هل تعلم يا ساكن طيبة الطيبة ؟ ! !
- هل تدرى يا جار رسول الله ﷺ ؟ !

يا حامى حمى الرسول ﷺ ! . . ماذا أبلغك ؟ ! وبمَ أعلمك ؟ !

- إنها للبشرى السارة العظيمة ! . .
- إنها للفرحة الكبرى العميمة ! . .

هى تلك المسابقة العالمية التى تبتدئ بأول ليلة من شهر رمضان ولا تنتهى إلا بآخر ليلة منه ! . .

فاستعدّ يا ابن المهاجرين . . . وتهيأ يا حفيد الأنصار . . .

استعد لأكبر فرصة فى عامك . . . وأبرك موسم فى سنتك . . .

انها المسابقة العظمى التى أعلن عنها الملك العظيم فى كتابه الكريم بقوله: ﴿**سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض**﴾ إن جائزةهذه المسابقة لأكبر جائزة والله . . . (إنها الجنة) . . الجنة التى عرضها السموات والأرض والتى فيها من النعيم ما تشتهيه الأنفس ،وتلذ الأعين . . وفيها من المتع الروحية والجسدية ما لم تره عين ، ولم تسمعه أذن . ولم يخطر على قلب بشر أبداً .

وهل بعد الجنة أيها العاقل اللبيب من مطلب لأصحاب السمو الروحى والكمال النفسى ــ مثلك ــ سوى رضوان الحبيب والنظر الى وجهه الكريم ؟

واسمح لى الآن أن أصف لك ميدان المسابقة ، وأفصّل لك شروط السباق حتى يمكنك اللحاق بحلبتها ، والمشاركة عن بصيرة فيها .

إن ميدان هذه المسابقة الإسلامية هو شهر رمضان المبارك الذى تفتح فيه أبواب الجنان فلم يغلق منها باب .

وأما شروطها فهى :

أولاً ــ أن يتخلى المسابق عن كل محرم أو مكروه كان يأتيه فى حياته قبل هذه المسابقة وذلك كأن يردَّ الحقوق الى أصحابها ، وأن يتجنب الباطل والشر فى كل شكل أو صورة ،وأن يترك سماع الأغانى والزمر والتطبيل وأن لا يسمح به فى بيته ولا فى دكانه أو محل عمله .

وأن يترك لعب الورق ، ويبتعد عن مجالسه كما يبتعد عن سماع الغيبة والنميمة والكذب والزور وقول ذلك كله ، وأن يطهر لسانه من قول الفحش والبذاء وسماعه مطلقاً وأن يطيب فمه ومجلسه بترك المكيفات من تبغ وشيشة ونحوهما .

ثانياً ــ أن يقبل بعزم وتصميم على ما يلى :

أ ــ أن يعلن عن توبته لله تعالى قائلاً: « اللهم إنى أستغفرك من كل ذنوبى وأتوب إليك من كل معتقد وقول وعمل تكرهه ولا يرضيك فاغفر لى وتب على إنك أنت التواب الغفور» .

ب ــ أن يعمل الصالحات الآتية :

١ ــ أداء الصلوات الخمس فى الجماعة لا يفوت ركعة منها .

٢ ــ قراءة القرآن آناء الليل وأطراف النهار طوال شهر رمضان .

٣ ــ الاكثار من نوافل الصلاة فى الليل والنهار طوال شهر رمضان .

٤ ــ الصدقات بالمال أو الطعام والشراب واللباس بحسب يساره وسعته .

٥ ــ الإكثار من الدعاء والاستغفار وقت السحر من كل ليلة .

هذه هى المسابقة وتلك شروطها . . فهل لك يا ابن الأبطال فى السبق ؟ هل

لك فى الفوز بالحور العين ؟ هل لك فى أن تضيف الى عمرك عمراً جديداً؟ والى رأس مالك نصيباً موفورا : ربح ومدة ألف شهر أى ٨٣ عاماً و ٤ أشهر .. هل لك فى تكفير كل سيئاتك ومحو كل ذنوبك ؟ ! كل ذلك يحصل بدخولك بجد وإخلاص فى هذه المسابقة .

فارم أيها الشاب البطل والرجل الحكيم بجواد عزمك فى حلبة هذا السباق وسابق :

احفظ سمعك من الغناء والزمر والتطبيل ، ومن الغيبة والفحش فى القول والبذاء ، ومن يديك من أن تتناول محرماً بهما ، ورجليك من أن تمشى الى باطل أو لهو بهما وكف لسانك من أن تقول غيبة أو نميمة أو كذباً أو زوراً أو فحشاً أو بذاء ! . . اصرف قلبك عما لا يعنى ، وأخله من التفكير فيما ليس لك به ضرورة أو حاجة .

الله أكبر ! . . الله أكبر . . أقدم أيها البطل وابسط يديك بالعطاء ، تصدق فهذا أوان الصدقة ، اعكف فى بيت ربك راغباً راهباً ، لازمه ولا تخرج إلا لحاجة حتى يغفر لك ويتوب عليك . . مكانك يا أخى فى الصفوف الأولى ، لا تفوتك تكبيرة الإحرام من كل صلاة أبداً . . كتاب الله . . كتاب الله يا أخى . . لا يمضى عليك رمضان دون أن تقرأه كله قراءة محفوفة بالتدبر والخشوع ، والدعاء والدموع .

وسلام عليك فى السابقين وبارك الله فيك فى الفائزين ! ! .

الراجى أن تشركه فى دعائك : **الجزائرى.**

الرِّسَالة العُشْرُون

غَدًا توزع الجَوائز

فى أعظم مشهد إسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله ولى المؤمنين ومتولّى الصالحين ! . .

بسم الله الرحمن الرحيم ورب العالمين ! . .

بسم الله المنعم بأوسمة القبول على السابقين ! . .

يُعلَن لجماهير المتسابقين من المؤمنين والمسلمين أن غداً توزع فيه جوائز السابقين ليوم قريب ! .

إنه يوم العيد السعيد الذى لم يبق عليه إلا أن تحترق فحمة آخر ليلة من ليالى السباق . . . ليالى رمضان المشرقة العِذَاب . . . ليالى الأنس والشوق الى الحبيب القريب .

الله أكبر . . . الله أكبر . . . الله أكبر

- أيتها الجماهير المتسابقة !
- أيتها الفئات المؤمنة الآملة !
- أيتها المواكب الراكبة الى الله الراكضة !
- الى المشهد . . . الى مصلى العيد ! . .

هلموا . . هلموا . . خذوا بطاقات الحضور من بيوت إماء الله تعالى وعبيده الفقراء والمساكين بدفع صدقات فطركم اليهم ، ثم يمموا المشهد آملين راجين وبذكر ملككم العظيم لاهجين :

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

لا تزالوا مكبّرين مهللين كذلكم حتى ساحة المشهد . . خذوا أماكنكم من قاعة المشهد مترنمين بتسبيح مليككم السبُّوح القدُّوس رب الملائكة والروح قائلين :

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والآن معشر المتسابقين إليكم هذه القائمة بأسماء الفائزين فى مسابقة شهر رمضان العظمى :

أسماء الفائزين فى المسابقة :

عبد الله الذى كان لا يشهد صلاة الجماعة صبحاً ولا عصراً ولا عشاء فأصبح لا تفوته أية ركعة منها .

عبد الله الذى كان بينه وبين أحد أقربائه عداوة وشحناء فأزالها وصافى قريبه وبرّه وأحبه فى الله .

عبد الله الذى كان يؤذى جيرانه فترك أذاهم وابرّهم وأحسن إليهم تقرباً الى الله سبحانه وتعالى .

ولىُّ الله الذى كان يستهويه الطرب فيسمع الأغانى ويقضى جزءاً كبيراً من يومه وليله حول المذياع يسمع أصوات الشيطان ومزاميره فتاب من ذلك وأصبح إذا سمع صوت طرب أدخل إصبعيه فى أذنيه كى لا يسمع تقرباً الى الله تعالى .

ولىُّ الله الذى كان يأتى بيوت الله ورائحة فمه متغيرة بنتن التبغ والشيشة فاستحى من الله تعالى وترك ذلك تطهيراً لبيت ربه وتطيباً لفمه الذى يذكر به اسم ربه .

ولىُّ الله الذى كان بعض اصدقائه يدعوه الى السمر على لعب (الكيرم) والورق فكان بذلك يغضب مليكه وملائكته وصالحى إخوانه فعدل عن ذلك خوفاً من الله .

نكتفى بذكر هذه القائمة من أسماء الفائزين ونكبر الله : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر . ثم لنستمع لهذا الهتاف :

- هنيئاً لمن سابق فسبق !
- هنيئاً لمن تاب واناب وقبل !
- هنيئاً لمن أحب الله فأحبه الله !

وانتم أيها المتخلفون عن ركب الفائزين لا تيأسوا من رحمة الله ، إن مليككم يقول : ﴿ **يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم. وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من**

قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾ إنه قد هيأ لكم فرصة أخرى للسباق والفوز فاهتبلوها ، إنها تبتدئ من يومكم هذا ولا تنتهى إلا بسبقكم وفوزكم ، فارموا اذاً بخيول العزم فى ميدان السبق ، واستعينوا بالصبر والصلاة ، واستعينوا على ترك الآثام بخوف المقام ، وتقووا على الطاعة بذكر الساعة ، وتغلبوا على الرذائل بكرهها وحب الفضائل .

ثم احذروا أيها المتسابقون الأبطال من العائق الأكبر ، احذروه أن يعوقكم كما عاق أمماً من قبلكم ،احذروه إنه :(حب الدنيا وكراهية الآخرة) فأحبوا الآخرة بالاكثار من الزكاة والصلاة واكرهوا الدنيا بتقليل الرغبة فيها وبالتجافى عن الشهوات .

وأخيراً إلى الأخوة هذين المثالين العجيبين

المثال الأول : رجل شديد وسخ الجسم والثياب تفوح منه رائحة النتن والتعفن الكبير ، من رآه كرهه وفر منه . ذهب الى نهر عذب فغسل جسمه وثيابه وتطيب بأجود أنواع المسك والطيب ، فصار أحسن الناس هيئة وأجملهم منظراً وأطيبهم ريحاً ، ولم يلبث إلا يسيراً حتى رمى نفسه فى حمأة منتنة فتمرغ فيها ، وعاد أقبح ما يكون منظراً ، وأنتن ما يمكن ريحاً . . وذلك مثل من ترك المعاصى فى رمضان توبة منه الى الرحمن ، ولما انقرض شهر رمضان عاد الى معاصيه ، وراجع ما كان يأتيه فتهاون بالصلاة ، وغفل عن ذكر الله . . نسى الله فأنساه الله نفسه فكان من الفاسقين .

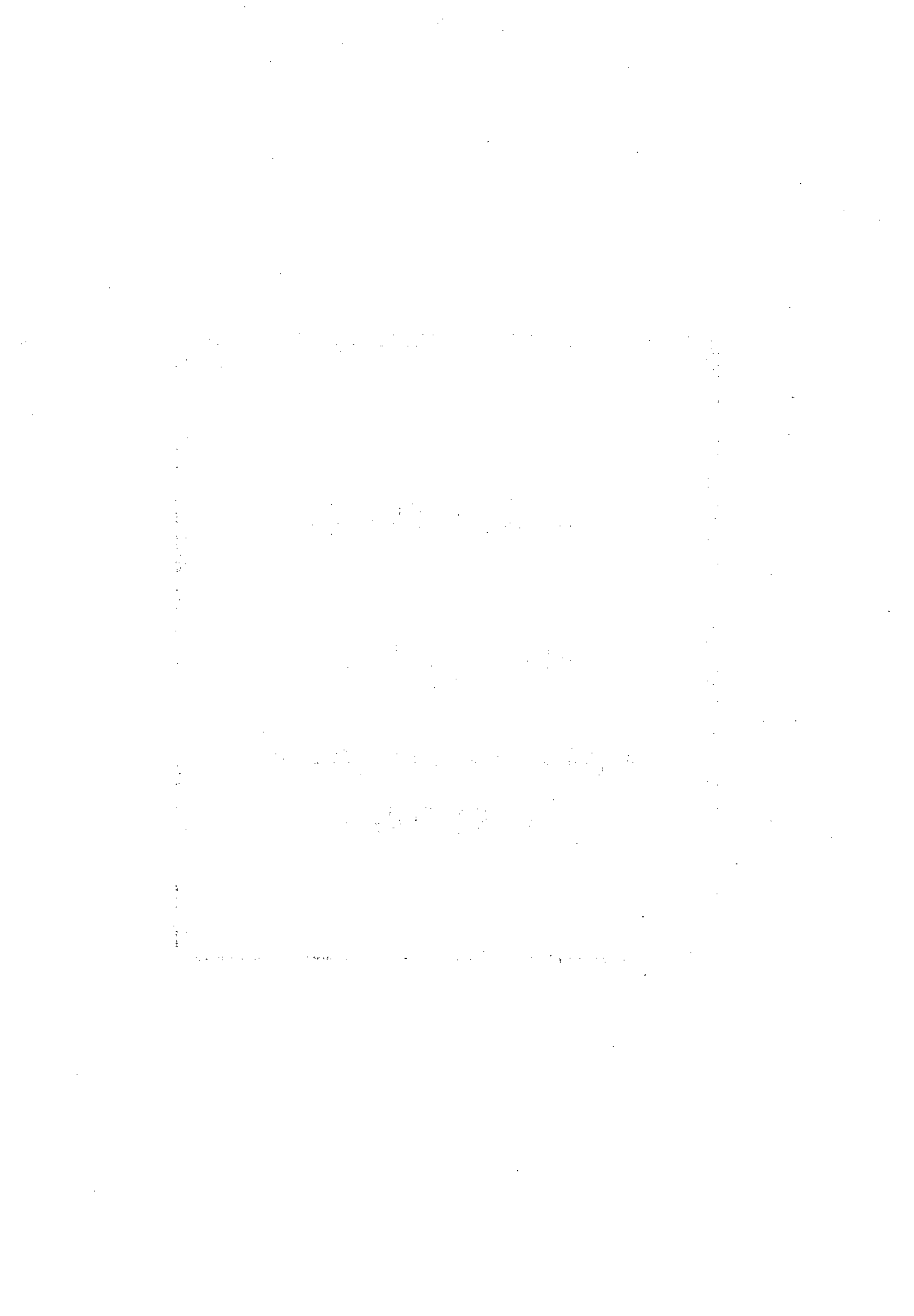
المثال الثانى : رجل عليل الجسم سقيم البدن ، شاحب الوجه ، مصفر اللون، قد غارت عيناه ونضب ماء محياه . ساقته عناية الله الى مستشفى الأمراض المستعصية فعالج أوجاعه ، وداوى اسقامه ، فعاد كأصح الناس جسماً ، وأنضرهم وجهاً غير أنه لم يتمتع بتلك الصحة ولم ينعم بذلك الكمال إلا أياماً معدودة حيث عاد الى أسباب اسقامه وأوجاعه الأولى يتعاطاها ويجرى وراءها حتى عاودته الآلام وأحاطت به من جديد الأسقام . . وذلك مثل من أناب الى ربه ، وتاب فى رمضان من ذنبه ، ولما خرج رمضان عاد الى معصية الديان ، فزين بيته بالصور والتماثيل ، ونام عن صلاة الليل وترك مجالس العلم وأقبل على مجالس اللعب واللهو ، فترك سماع القرآن وشغل سمعه بأصوات الشيطان .

فاحذر أيها المسابق الفائز سبيل هذين الرجلين ، واربأ بنفسك أن تكون من الخاسرين ، وسلام عليك فى الفائزين الصالحين .

الرِّسَالَة الوَاحِدَة والعُشرُون

بدَت طَلائِع وفود الله

فماذا أعددتم لها من « قِرى » يا أهل دار
رسول الله ﷺ ؟ !



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وآله وصحبه ومن نصره وولاه .

إليكم . . يا من تبوأ آباؤهم الدار والإيمان . . يا أحفاد المهاجرين ويا أبناء الأنصار . .

إليكم . . يا حماة الحمى ، ويا جيرة المصطفى ﷺ ، ويا أهل دار رسول الله ﷺ .

إليكم . . والى رحابكم الطاهرة ، وبيوتكم العامرة ، والى ساحات دوركم المباركة فى هذه الأيام تهفو قلوب ، وتحن نفوس وتتحرك أشواق ، وتشرئب أعناق فتتطاير بالأشباح الأرواحُ ، فمن طائر فى السماء ، وسابح فى الماء ، وضارب فى الغبراء . . والكل يؤم الدار ، ويقصد الجوار . .

وكأنى بطلائع تلك الوفود وقد أناخت بسوح هاتيك الديار ، نجائب الأسفار ، ورنت بالأبصار الى سكان دار المختار ﷺ تنتظر قِرى الاضياف ، ونزل الأشراف ! فأخبرونى وأنتم الأكرمون المستضافون . . أخبرونى بالذى أعددتم لضيفانكم ، وهيأتم لنزلائكم ؟ . .

وأرجو أيها الاخوة أن لا تعتبروا سؤالى هذا سؤال طفيلى غريب عن أهل الدار يسائلهم عما أوقدوا عليه النار ، وإنما الأمل أن تعدونى من حراس الحى يلزمنى ما يلزمكم من حماية الذمار ورعاية الدار ، ويتعين على ما يتعين عليكم من تأثيل مجد أو كسب حمد !

وبحكم هذا فهل لنا أن نتساءل : ماذا أعددنا من قرى لمن أموا دارنا جياعاً . . عطاشاً . . شعثاً . . غبراً . لا يشبعهم طعام . . ولا يرويهم ماء . . ولا يزيل شعثهم دهن ، ولا غبرتهم صابون . . لأنهم جياع الأرواح ، وعطاش النفوس ، وشعث الأخلاق وغبر الطباع . . أرداهم ــ إلا قليلاً منهم ــ ما أردى من ترف الحياة وأضناهم ما أضنى من قلة الصلاة .

فمثل هؤلاء لا يكون (قراهم) منا طعاماً ملُّوه ، ولا شراباً سئموه ، ولا دهناً تعفنوه . . وإنما يكون حلاوة الإيمان ، وسلامة الإسلام ، وجميل الاحسان!.

يا أهل حي رسول الله ﷺ :

إن مفقود ضيوفكم اليوم هو موجودكم بالأمس ، فأعطوهم من الموجود ولا تتكلفوا المفقود . . إن ضيوفنا أيها الاخوة ليسوا فى حاجة الى أن نريهم فى ديارنا وجوهاً حليقة فقد أصحابها المروءة والحياء . ! ولا ألسنة سليطة تحذق السفه وتجيد البذاء ، وإنما هم فى حاجة الى أن يروا فى ديارنا وجوهاً زانها الشعر ، وحلاها الطلاقة والبشر ، نضرتها ماء المروءة ورواؤها نور الشجاعة وبهاء الكرم .

إنهم فى حاجة الى أن يروا فى ديارنا الألسنة العذاب الناطقة بالصواب ، إن تكلمت أشفت ، وإن سكتت سكنت ! .

يا سكان الحمى !:

إن قاصدى حماكم ليسوا فى حاجة الى أن يسمعوا الزمر والغناء فى دياركم ، لأن ذلك شر فروا منه وهربوا من ساحته ، وداء أرادوا التخلص من أرضه . . انهم فى حاجة إلى أن يسمعوا فى دياركم من صغاركم وكباركم كتاب الله تعالى ، وذكر الله وما والاه من قولة حق صائبة ، وحكمة عزيزة نادرة .

يا سكان المعرس !:

إن وفود ربكم ليسوا فى حاجة الى أن يتعلموا عنكم كيف يترفون ويسرفون وإنما فى حاجة إلى أن يتعلموا عنكم الكرم والسماحة ، والعفة والقناعة ، إذ هذا هو المفقود فى ديارهم . . فليكن الموجود فى دياركم وقد طلبوه منكم فامنحوه.

يا حماة الرسول ﷺ !:

إن نزلاءكم ليسوا فى حاجة الى أن تبثوهم شكوى الفقر والحاجة فيكم . . ولا شكاة النفرة بينكم والفرقة ، فإن هذا أمر ضاقت به صدورهم ، ووباء خمت به دورهم . . وإنما هم فى حاجة أن تبثوا فيهم انكم فى يسر وخير ، وانكم أخوة لا فرقة بينكم ولا نفرة . . إخوان متعاونون وأحبة متصافون ليكون ذلك تخفيفاً

لآلامهم ، ومداواة لجراحاتهم .

وأخيراً أيها الاخوة !:

هل لكم يا جيرة الرسول ﷺ أن تتنافسوا فى المكارم وتتسابقوا فى ميدان الفضائل فتستقبلوا وفود الله تعالى وقاصدى حمى رسوله ﷺ بوجوه طلقة وألسنة عذبة .. ونفوس عزيزة ، وأرواح شريفة .. صدق قول ، وحسن معاملة .. تلطف فى الخطاب ، ورقة فى الجواب .

ترشدون من ضل ، وتعلمون من جهل ، وتحلمون على من سفه ابتغاء وجه الله تعالى ، وإكراماً لنزلاء حمى رسول الله ﷺ .

فتنافسوا فى هذه الفضائل ، وتسابقوا فى ميدان المكارم ، وإنكم لأهل لذلك. وكيف وانتم درع الرسول ﷺ وسيفه المسلول ، حمى الله بكم الحرم ، ورعى بكم الذمم ، وجعلكم هداة الأمم .

وسلام عليكم ما وفيتم ، وللخيرِ هديتم .

الرِّسَالَة الثانَية والعُشرُون

نِداء وبلاغ

الى وفود الله تعالى فى رحابه الطاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم ــ وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

وبعد :

أيها المسلمون :

إن الصراع الدائر اليوم بين الشيوعية عدوة الأديان ،وبين الرأسمالية الطاغية أوشك أن يصل إلى نهايته ، والتى غالباً لا تكون إلا واحدة من ثلاث :

إما خراب العالم ودماره ، وإما انتصار الشيوعية العالمية الملحدة ، وإما انتصار الرأسمالية الغربية المتهودة .

وبناء على هذا فإن الإسلام والعالم الإنسانى سيكونان الضحية لا محالة لهذا الصراع الدائر وبدون شك .

وذلك أنه إذا انتصر المعسكر الشيوعى وهو الأقرب احتمالاً فإن العالم ستلتهمه نار الشيوعية الحمراء فلا تبقى فيه من معنى للحياة الإنسانية بالمرة ، ولم يعش الناس بعدها إلا عيشة حيوانية ينزو بعضهم على بعض فى الشوارع والطرقات .

وإذا انتصر المعسكر الرأسمالى المتهود ، فإن القضاء على الإسلام سيكون الهدف الأول لتلك القوة الرأسمالية المتهودة ، ويومئذ يسود وجه الحياة ، وتذهب معالم الهدى ، ويفنى عالم الأخلاق ، وتنطوى صفحة النور ويَاَلخسارة هذا العالم البشرى يوم تغرب عنه شمس الإسلام ويذهب نوره من وجه الأرض .

أيها المسلمون :

إن مسئولية إنقاذ العالمين الإسلامى ، والإنسانى منوطة بكم ، وملقاة على كواهلكم فاعرفوا هذا الواجب المقدس وبادروا الى انقاذ هذا العالم المتطلع اليكم،والذى لا أمل فى أحد من الخلق غيركم ؛ إذ أنتم وحدكم مظهر الرحمة الإلهية فى هذا الكون . بكم لا بغيركم من الناس يدفع الشر ، ويرفع الظلم، وتطهر الأرض من الباطل والفساد . .

أيها المسلمون :

لا تنسوا أن العالم كان قبل الإسلام فاسداً ، وأن الله تعالى قد أصلحه بإسلامكم يوم حمله إليه أسلافكم فعاش دهراً طويلاً فى نور وهداية. وأنه لم يصب بما أصيب به من الخسران ، ولم يتهدده الذى يتهدده الآن من الفناء والدمار إلا يوم أن تركتم قيادته وتخليتم عن إمامته .

أيها المسلمون :

إنكم قد تعجبون من هذه الدعوة الموجهة إليكم لإنقاذكم العالم ، وقد تضحكون ، وتسخرون ، وذلك لما ترون من تفككم وضعفكم ، وسوء أحوالكم : دويلات هزيلة متناثرة لا تربطها ببعضها رابطة ، وشهوات عارمة جامعة ، وأهواء مستبدة سائدة . بضائع النفاق رائجة وسلع الصدق والأخلاق كاسدة بائرة .

أيها المسلمون :

إننا نعلم من حالكم ما تعلمون ، ولكنا نعلم كذلك أنه لا منقذ للعالم من البشر إلا أنتم ، ولا رافع للإسلام من كبوته ، والبشرية من وهدتها سواكم ؛ إذ آلة الإنقاذ بأيديكم والرافعة الوحيدة للإنسان لديكم . فاجتماع سبعمائة مليون مسلم فى كتلة واحدة هى آلة الإنقاذ ، واتباع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ هو الرافعة التى رفع الله بها المسلمين الى مستوى قيادة الناس أجمعين .

أيها المسلمون :

إن وصولكم إلى غايتكم فى إنقاذ أنفسكم والبشرية جمعاء من الفساد والشر وما يتوقع لكم ولها من الفناء والدمار ، لأمر أسهل من محافظتكم على الشر الذى تعيشون فيه ، والوضع الفاسد الذى تجاهدون من أجل الإبقاء عليه . إن الأمر لن يكلفكم أكثر من إيمان واستقامة إيمان بالله ، واستقامة على أمره ، مع خلع آلهة الشهوات والأهواء .

أيها المسلمون :

إنكم قد تقولون إن دعوتنا هذه إليكم دعوة سلبية وأنكم قد مللتم هذه الدعوات السلبية وأنكم تريدون دعوة إيجابية تحقق ما تصبون إليه من خير

وكرامة ، وعز وإمامة .

وعليه فهاكم الدعوة الإيجابية إن كنتم فاعلين :

فبسم الله تعالى اتصلوا فوراً فى يومكم هذا برابطة العالم الإسلامى اذهبوا إليها فرادى وجماعات ، وتعاونوا معها على تحقيق الخطوات الإيجابية التالية :

أ ـ تكوين مجلس أعلى لعلماء الشريعة علماء كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ يشارك فيه كل قطر إسلامى بخير واصلح وأعلم من عنده من علماء الشريعة وحماتها .

ب ـ تسندون إلى هذا المجلس القيام الفورى بوضع ميثاق إسلامى يشتمل على ما يأتى :

١ ـ اعتبار الأمة الإسلامية في جميع بلادها أمة واحدة لافرق بين عربيها وعجميها ولا أبيضها وأسودها .

٢ ـ اعتبار مجلس العلماء الآنف الذكر سلطة عليا للأمة الإسلامية يرد إليه كل ما يتعلق بشأن الأمة الإسلامية فى حياتها العامة والخاصة . ديناً ودنيا .

٣ ـ وضع دستور للأمة الإسلامية مستمداً أصولاً وفروعاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بحيث يشمل حياة الأمة الإسلامية الدينية والثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية والعسكرية .

٤ ـ دعوة الحكومات والشعوب الإسلامية الي المصادقة على هذا الميثاق ، والانخراط فى سلك هذه الوحدة الإسلامية المباركة التى هى أمل كل مسلم صادق .

٥ ـ اعتبار أى حكومة أو شعب يرفض هذه الوحدة والانخراط فيها خارجاً عن سبيل المؤمنين تجب معاداته وتحرم موالاته حتى يتوب بالرجوع الى وحدة المسلمين والانضمام إلى صفوفهم .

جـ ـ اتخاذ المدينة المنورة مقراً لمجلس علماء الأمة الإسلامية التشريعى والذى هو المرجع الوحيد لأمة الإسلام فى كل شؤون حياتها .

د ـ تعتبر الحكومة منخرطة فى وحدة المسلمين بتنفيذها الفعلى الصادق

للدستور الإسلامى الذى اقتبسه المجلس الاعلى للأمة الإسلامية من الكتاب والسنة ، وبعدم التنفيذ الكلى ، لا انخراط ولا موالاة . وأخيراً هذه هى الدعوة الإيجابية والبناءة فإذا عملتم أيها المسلمون على تحقيقها فقد أنقذتم الإسلام واجياله الصاعدة ، وانقذتم البشرية قاطبة ، وحررتم أرض قدسكم وطهرتم قبلتكم الأولى من رجس اليهود وإلا فانكم لن تبرحوا فى ذل وشقاء ، وفتنة وحيرة حتى تراجعوا هذه الدعوة وتنفّذوها .

واللهم اشهد فقد بلغت : أبو بكر جابر الجزائرى

المدينة المنورة ٤ / ١٢ / ١٣٨٧ هـ

الرِّسَالَة الثَالِثَة والعشرُون

دعَــاء وَدَعَــوة

في عرفات

دعــاء ودعـــوة (١)

نحمـدك اللهم حـمداً كثيراً ، ونـشكرك شكراً جـزيلاً ، ونسألـك أن تُصلى وتُسلم على نبيك نبى الرحمة محمد وعلى آله وصحابته أجمعين .

وإليك اللهمَّ فى هـذا اليوم المبارك السعيد يوم عرفةَ الأغـر الميمون نرفع أكف الضراعة سائلين إياك ضارعين إليك ، راغبين فيما عندك ، آملين فيما لديك ، فلا ترُد اللهم أكفنا صـفراً ، ولا تجعل غناءنا بك فقراً ولا رغبتنا فـيما عندك ، وأملنا فيما لديك خيبة وخسراً .

اللهـم إنا عبيـدك أبناء عبـيدك ، أبناء إمائـك ، نواصينـا بيدك ، ماض فـينا حكمك ، عـدلٌ فينا قضاؤك . إلـيك خرجنا ، وبساحـة إحسانك نزلنـا ، وبفناء رحمتك يا أرحم الراحمين أنخنا . أنت ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ، ولا معبود لنا سواك . اللـهم إنك تعـلم رغبتـنا فيك ، وحاجـتنا إليـك ، وأنت الغنـى ونحن الفقراء، وأنت القوى ونحن الضعفاء ، وأنت العزيز ونحن الأذلاء . فحقق اللهم رغبتنا ، واقض حاجتنا ولا تردنا خائبين ، إنك أرحم الراحمين ورب العالمين .

اللهم إنك تعلم ما حل بنا ، وما نـزل بديارنا ، وما نالنا من عدوك وعدونا ، فقد أصبحنا ونـحن أولياؤك ، وأُمة أكرم أنبيائك أضعف الناس سـلطاناً ، وأقلهم شأناً، لا يرهب لنا جانب ، ولا نمنع من يد طالب ، نغزى فى عقر الدار ، ونسام الخسف باللـيل والنهار ، تجرأ علينا أحـقر العباد البوذة الهنـود ، وأذلنا أذل الخلق اليهود . فأبـدل اللهم ذلنا عزاً ، وضعفنـا قوة ، ورد إلينا بطاعتك سلـطاننا وعزة جانبنا ما سلبتنا بمعصيتك ، إنك بر كريم ، غفور رحيم .

اللهم إن ما اصابنـا وما نزل بنا قد كان بعدلك وذنوبنـا ، فأنت المحمود على حكمك ، ونحن المذمومـون بذنوبنا الملومون بمعاصينا من خلـقك . فتب علينا ، واعف عنا ولا تدم حالة السوء علينا ، فإنه لا راحم لنا غيرك ، ولا كاشف لما بنا سواك .

اللـهم إنه لا مفـر لنا ولا مهـرب منك إلا إليـك ، ولا منجا ولا مـلتجأ لـنا غيرك، أنت ربنا ولينا ، لا رب لنا غـيرك ولا ولى ولا مولى لنا سواك ، ندعوك

---

(١) كتب الدعاء أبو بكر جابر المدرّس بالجامعة الإسلامية ، والواعظ بالمسجد النبوى الشريف .

ونتوسل إليك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تخلصنا من ذل معصيتك، وأن تجنبنا من هلكة الكفر بنعمتك ، أن تنقذنا من غرق الغفلة عن ذكرك ، ومن حيرة السير فى غير صراطك ، ومن عماية الجهل بسننك ، وغواية البعد عن شريعتك، ومن وحشة الحياة بغير حبك وحب رسولك وأوليائك وصالحى عبادك .

اللهم إنك قلت ، وقولك الحق : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾، وقد أصابنا ذل وفقر ، وضعف وعجز ، وقلق وحيرة ، وهون ودون، ذلك بما كسبت أيدينا من الفرقة فى دينك ، واتباع غير صراطك المستقيم ، وبما جنت أنفسنا من حب العاجلة وإيثارها ، وكره الآخرة وتركها . فأضعنا الصلاة واتبعنا الشهوات ، خلطنا التوحيد بالشرك ، واستبدلنا الرشد بالغى . أبطلنا أحكام دينك ، وعطلنا حدود [1] شرعك اتبعنا هوانا بدلا عن اتباع شرعك ، وأطعنا شح أنفسنا عوضاً عن طاعتك وطاعة رسولك ، أعجبنا بآرائنا ، وآراء غيرنا من أعدائنا ولم نعجب بالإسلام الذى ارتضيته لنا ديناً ،ووضعته لنا صراطاً مستقيما ، ونهجاً قويما . فاللهم إن أصابنا كان بما كسبت أيدينا وجنت أنفسنا وإنا جئناك الآن مستعتبين ، ومن ذنوبنا متنصلين ، ومن سيئاتنا مستغفرين ، فأعتبنا يا ربنا وأغفر لنا ذنوبنا يا إلهنا ، وكفر عنا سيئاتنا يا مولانا ، وأبدل ذلنا عزاً ، وفقرنا غنى وضعفنا قوة ، وقلقنا سكونا ، وحيرتنا هداية ورشداً ، إنك أهل لذلك وقادر عليه .

اللهم إنك أمرتنا بالدعاء وواعدتنا بالاجابة ، ونحن قد رفعنا اليك أيدينا سائلين، ووجهنا اليك وجوهنا ضارعين ، وعلقنا بك قلوبنا آملين راجين فأنجز لنا وعدك، وحقق فيك رجاءنا ، ففرج ما بنا وأكشف هذا السوء عنا ، خلصنا مما نحن فيه إنك ولى ذلك وقادر عليه .

اللهم إنا لا نسألك أن تبدل سننك فينا ولكنا نسألك أن توفقنا للأخذ بها والعمل بمقتضاها إنك يا ربنا على صراط مستقيم .

اللهم إن من سننك فى خلقك أن جعلت صلاح الأمة فى صلاح علمائها

---

(١) هذا غير صادق قطعاً على حكومة هذه المملكة الطاهرة ، إذ ما من شك أن أحكام الله تطبق فيها وحدود الشرع تقام بها كما أنها خالية من مظاهر الشرك والفسق والعصيان ، إلا ما قل وندر .اللهم أدم ذلك لها واحفظه عليها ، فإنه لم يبق للمسلمين سواها .

وولاة أمورها ، وفسادها فى فسادهما ؛ فإنا نسألك اللهم مخلصين لك الدين أن تصلح علماءنا وولاة أمورنا بتوفيقهم لمعرفة عجزهم وتقصيرهم ، وبإعانتهم على تدارك ذلك منهم ، وتلافيه فيهم إنك ربنا نعم المولى ونعم المعين والنصير .

اللهم إن بالمسلمين انقساماً وفرقة واختلافاً فهيّئ بفضلك ورحمتك علماء المسلمين لإصلاح ذلك فينا بإلهامهم يا ربنا أن يفهموا أن دين الله ما جاء ليكون أداة شقاء ، وفرقة للمؤمنين يختلفون فيه ، ويتقاتلون ، وإنما جاء ليوحّد سير المؤمنين فى طريق سعادتهم بإخلاص الدين لربهم وعبادته بما شرع لهم .

اللهم ألهمهم أن يفهموا أن القول بالرأى فى دينك كان وما زال سبب فرقة المسلمين واختلافهم ، وجنّبهم ذلك ، وابعدهم عنه ، وكن لهم ولياً مرشداً .

اللهم ألهمهم أن يفهموا أن من الاجحاف بمقام رسول الله وقدره ، وعدم الانصاف له أن يُقدموا على قوله قول أحد الناس ، أو على حكمه وقضائه قضاء أو حكم أحد من الناس . وأعنهم اللهم على تجنب ذلك والبعد عنه .

اللهم ألهمهم أن مداهنة العوام ، ومسايرة الحكام من أجل الحظوة والحطام كان وما زال سبب انتشار البدع ، وموت السُّنن ، وفساد البلاد والعباد . واحمهم من ذلك واحفظهم منه فإنك خير حافظ ، وأعزّ مجير .

اللهم أفهمهم وأعلمهم أن ترك المسلمين جهلاء بعقائد إسلامهم ، وأحكام شرعهم ، وآداب دينهم الذى هو دينك ، كان وما زال السبب فى محنة المسلمين وضعفهم وشقائهم. وخذ اللهم بأيديهم ليعلموا المسلمين ويفقهوهم ويؤدبوهم ويربوهم، وقوّهم على ذلك وأقدرهم عليه إنك ذو القوة المتين وعلى كل شىء قدير.

اللهم يا الله أصلح لنا علماءنا وولاة أمورنا فإن فى صلاحهم صلاحنا، وفى هدايتهم هدايتنا . اللهم اهدهم واصلحهم ووفقهم وسدّدهم وكن لهم ولا تخذلهم فإنك ولى المؤمنين ومتولى الصالحين ، وأرحم الراحمين ورب العالمين .

اللهم يا من لك الخلق والأمر ، وبيدك الملك ، وأنت على كل شىء قدير ، اليك وحدك نرفع شكوانا، وبين يديك فى هذا اليوم المبارك ، وفى هذا المقام الكريم ، والجمع العظيم ، نضع حاجتنا يا الله يا ربنا ويارب العالمين .

اللهم إنك تعلم ما أصابنا وما نزل بساحتنا ،وما حل بديارنا ، فإنَّا قد أصبحنا

بعد الهداية ضالّين ، وبعد العلم جاهلين ، وبعد الوحدة متفرقين ، وبعد العزة ذليلين ، وبعد المحبة متعادين ، وما ظلمتنا فى هذا يا ربنا ولكنا كنا الظالمين ؛ وقد أعرض الكثير منا عن ذكرك ، وترك الكثير منا طاعتك وطاعة رسولك ، والى بعضنا أعداءك ، دعاوى أولياءك ، فكان هذا فسقاً بنا عن أمرك ، وخروجاً عن طاعتك ، فآسفناك وأعصيناك ، واستوجبنا نقمتك ، واستحققنا عذابك ، ولولا واسع رحمتك ، وعظيم عفوك ، وكبير حلمك لأهلكتنا كما أهلكت من آسفوك ممن قبلنا ،ولكنك عفوت وغفرت ، فلك ياربنا الحمد على حلمك وعفوك ، ولك الشكر على إحسانك ولطفك ، ولك يا ربنا العتبى حتى ترضى .

اللهم اننا بعلمك علمنا أن صلاحنا بصلاح من ولَّيتهم أمرنا ، وقلدتهم زمام قيادتنا ، وأنهم كما أنت عليم بهم ، فنسألك اللهم ونضرع إليك أن تُصلحهم وتسددهم ، وتهديهم سبل الرشاد .

اللهم ألهمهم أن يعلموا عظم المسئولية التى تقلدوا ، وثقل الأمانة التى تحملوا ، وخطورة المنصب الذى نصبوا أنفسهم فيه ؛ أنه منصب الخلافة عنك وعن رسولك فى إقامة العدل والشرع ، والجهاد ، وحفظ العقائد والعروض والدماء والأموال .

اللهم ألهمهم أن يعلموا أن كل محاولة يبذلونها لإسعاد هذه الأمة المسلمة محاولة باطلة فاشلة إذا لم تكن أخذاً بالكتاب والسنّة وسياسة بهما .

اللهم ألهمهم أن يعلموا أن سياسة تقسيم أمة الإسلام الواحدة إلى أمم، ودولتها الواحدة إلى دول ، وقانونها الواحد إلى قوانين ، هى سياسة محرمة لا يحل أن تقيم عليها أمة الإسلام ثلاثة أيام ، وذلك لما تجره عليها وتجلبه لها من عجز وخوف وذل وهوان كما هى حالها الآن . والهمهم اللهم أن يتحدوا على الحق والهدى ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى ، واجمع اللهم قلوبهم على تقواك ، وسيرهم على هداك ، وكوّن اللهم من هذه الدويلات المبعثرة هنا وهناك كوّن يا ربنا منها دولة واحدة تنصر بها دينك وكتابك وأوليائك إنك ربنا على كل شىء قدير .

اللهم ألهمهم أن يعلموا أنك لا تغير ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم ، وأعنهم على تغيير ما بأنفسهم من إعراض عن كتابك وسنة نبيك ، وتعطيل

لحدودك، وتضييع لفرائضك ، واهمال لأمرك حتى تغير ما بنا من عجز وضعف وذل وهوان، حتى تبدل عجزنا قدرة وضعفنا قوة، وفرقتنا وحدة ، وذلنا وهواننا كرامة وعزة .

اللهم إن صلاح أمة نبيّك فى صلاحهم وهدايتها فى هدايتهم فأصلحهم واهدهم وغيّر ما بنا وبهم وانصرنا وانصرهم على عدونا وعدوهم ، وكن اللهم لهم هادياً ونصيراً ، وبنا وبهم رؤوفاً رحيماً .

اللهم يا ذا الغنى والطوْل ، والقوة والحوْل ، يا ذا الفضل والإحسان ويا ذا الجلال والإكرام ، إنك قد أعطيت من فضلك منّا من أعطيت ، وأغنيت من جودك منّا من أغنيت . وحرمت منّا بعدلك من حرمت ، وأفقرت منّا بحكمتك من أفقرت ؛ لا تُسأل عما تفْعل ، ونحن المسئولون المحاسبون ، وإنك تعلم اللهم بخل أغنيائنا وشحّهم ، وجوع فقرائنا وحرصهم ، وأنه لا يُرضيك بخلٌ ولا شحٌ، ولا جزع ولا حرص ؛ لذلك ندعوك اللهم ونتوسل إليك بإيماننا بك وبرسولك، وبحجنا لبيتك ، وخروجنا هذا اليك ووقوفنا هذا بين يديك أن ترزق أغنياء هذه الأمة الشكر على ما أعطيتهم فينفقوا المال فيما تحب أن يُنفق فيه من قِرى ضيف ، أو إكرام شريف ، أو إطعام يتيم ذى مقربة ، أو مسكين ذى متربة ، أَو بناء مسجد أو مدرسة ، أو مصنع أو مستشفى . وجنّبهم اللهم السّرف والتّرف ، وخل بينهم وبين الإنفاق فى معاصيك وما لايُرضيك حتى لا يتعرضوا لمقتك وسلبِ نعمتك ، فإنك خير مُعطٍ وخير آخذ .

ونسألك اللهم ونتضرع إليك أن ترزق فقراءنا التجمل والتعفف حتى لا يظهروا حاجتهم لغيرك ، ولا فاقتهم لمن عداك ، ولا يمدوا أيديهم لمن سواك يا الله، وأفهمهم أن سعادتهم فى حفظ ماء وجوههم لا فى ملء بطونهم وجيوبهم وأن المال إنما يطلب لصون العرض والشرف ، لا لتعريض العرض للنهش والعضّ، ولا لتقديم الشرف للامتهان والغض .

وارزقهم اللهم القناعة فإنها من الذل مناعة ، واسلك بهم سبل الرزق الحلال، فإنه خير فى الحال والمآل .

اللهم إنك قد أمرتنا بالدعاء وواعدتنا بالإجابة ، وقد دعوناك فاستجب لنا يا ربنا وأعطنا سؤلنا يا مولانا . فاغفر لنا وارحمنا ، وارض عنا وأرضنا ، وفرج ما

بنا ، وأبدل فرقتنا وحدة ، وذلنا عزة ، وجهلنا علماً ، وصلاتنا هداية ، واسلك بنا سبيل الرشاد ، وقنا العذاب فى الدنيا ويوم تبعث العباد يا الله يا الله يارب العالمين .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وارحم الأحياء منهم والأموات .

وَصَلِّ اللهم وسلم وبارك على نبيّك محمد وآله وأزواجه وذرياته وصحابته أجمعين .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

الرسالة الرابعة والعشرون

إعلام الأنام

بحكم الهجرة فى الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد للّه الذى خلق كل شيء من أجل الإنسان [1] وخلق الإنسان من أجله سبحانه وتعالى ، وذلك بأن يذكره ويشكره ، بعبادته التى هى حبه غاية الحب وتعظيمه غاية التعظيم ، مع وافر الخشية وشديد الرغبة والرهبة ، تلك العبادة التى تتجلى فى طاعته وطاعة رسوله ﷺ بفعل المأمور ، وترك المنهى فى الاعتقادات والأقوال والأفعال .

والصلاة والسلام على النبى الأمى محمد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين وسيد جميع الثقلين ، وعلى آله الطاهرين وصحابته من أنصار ومهاجرين . .

وبعد : فقد كثرت فى هذه الأيام تساؤلات حول هجرة المسلمين إلى بلاد غير المسلمين كاستراليا وأوروبا وأمريكا . هل هى هجرة جائزة أو ممنوعة وهل التجنس بجنسية الدولة الكافرة يعتبر ردة ، وما هو المخرج من هذه المشكلة العويصة الحل، لأن أعداد المهاجرين بلغ الملايين من المسلمين يضاف إلى ذلك أعداد من أبناء تلك البلاد الذين دخلوا فى الإسلام بدعوة المهاجرين من المسلمين إلى ديارهم .

لهذا رأيت أن أكتب هذه الرسالة لأبين فيها حكم الهجرة فى الإسلام مع وضع حل لمشكلة الهجرة الممنوعة ، وقد وقع فيها كثير من المسلمين ، واللّه تعالى أسأل أن ينفع بهذه الرسالة الدعوية كما نفع بغيرها إنه قدير ، وبالإجابة جدير ، وصلى اللّه وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أبو بكر جابر الجزائرى

الواعظ بالمسجد النبوى الشريف

---

(١) لحديث السنن : (يقول اللّه تعالى يا بن آدم لقد خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلى) وفى القرآن الكريم . ﴿ **هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً** ﴾ . البقرة : ٢٩ .

وقوله : ﴿ **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه** ﴾ . الجاثية :١٣ .

وقوله : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ الآية. الذاريات : ٥٦ .

تعريف الهجرة
وبيان حكمها

الهجرة : الاسم من هجر الشيء إذا تركه فهو هاجر له أى تارك .

وهاجر يهاجر مهاجرة من بلد إلى بلد آخر تاركاً للأول حالاً بالثانى فهو مهاجر، والهجرة فى عرف الشرع : الانتقال من بلد الحرب أو الكفر إلى بلد السلم أو الإسلام .

فضل الهجرة

الهجرة فى سبيل اللّه تعالى من أفضل الأعمال إذ هى كالجهاد فى سبيل اللّه تعالى ، قال تعالى فى سورة الحج: ﴿ **والذين هاجروا فى سبيل اللّه ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم اللّه رزقاً حسناً وإن اللّه لهو خير الرازقين * ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن اللّه لعليم حليم** ﴾ .

فقد وعدهم تعالى بالرزق الحسن إذ هم بمنزلة الشهداء أرواحهم فى حواصل طير خضر ترعى فى الجنة، ويوم القيامة يدخلهم مدخلاً يرضونه وهو الجنة دار السلام ـ وقال رسول اللهﷺ: « من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام » (١) .

وروى النسائى أن النبى ﷺ سئل عن عمل يستقيم عليه المرء ويعمله فقال له: «عليك بالهجرة فإنه لا مثل لها » .

أفضل هجرة :

إن أفضل هجرة كانت من مكة إلى المدينة قبل فتح مكة ، وأهلها أفضل المهاجرين بعد إبراهيم عليه السلام وذلك لثناء اللّه تعالى على أهلها فى كتابه فى مثل قوله : ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من اللّه ورضواناً وينصرون اللّه ورسوله أولئك هم الصادقون** ﴾ .الحشر:٨

---

(١) ذكره القرطبى فى تفسير آية ومن يهاجر فى سبيل الله من سورة النساء ولم يعزه إلى أحد .

وقول الرسول ﷺ : « لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار » . فلشرف هجرته ﷺ لم يرض بالتخلى عنها ليكون من الأنصار قال هذا وهو يطايب الأنصار عند قسمة غنائم غزوة حنين فى السنة الثامنة من الهجرة .

أنواع الهجرة :

الهجرة أنواع وهى كالتالى :

١ـ هجرة فرار بالدين .

٢ـ هجرة نصرة وتأييد .

٣ـ هجرة طلب علم .

٤ـ هجرة طلب رزق .

٥ـ هجرة خوف من الفتن .

وهذا بيان هذه الهجر (١) وتفاصيلها .

أولاً : هجرة الفرار بالدين :

إن الدين وهو عبادة اللّه تعالى بما شرع من عقائد وعبادات وأحكام وآداب وأخلاق مع حب اللّه تعالى غاية الحب وتعظيمه غاية التعظيم والرغبة إليه والرهبة منه هذا الدين هو علّة وجود الإنسان فى هذه الحياة وسر الوجود كله أرضه وسمائه .

فمن هنا إذا منع الإنسان من عبادة اللّه تعالى فى أى زمان أو مكان وجب عليه أن يهاجر إلى مكان يعبد فيه اللّه تعالى تلك العبادة التى يتوقف عليها سعادته وكماله فى الدنيا والآخرة فإن هو رضى بالبقاء فى الدار التى لم يتمكن فيها من عبادة اللّه ، ومات وهو ظالم لنفسه بترك الهجرة التى تسببت فى تركه العبادة فخبثت نفسه ولم تطهر كان العقاب شديداً إذ قال تعالى : ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم**

---

(١)الهجر : جمع هجرة كحكمة وحكم وعبرة وعبر ، إلا أن القاموس واللسان والمنجد لم يذكروا لها جمعاً.

تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً* إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ﴾ النساء : ٩٧ ، ٩٨ .

فالآية الكريمة تحمل الوعيد الشديد لتاركى الهجرة وهم قادرون عليها . وإنما آثروا البقاء فى ديارهم وأموالهم بين آبائهم وإخوانهم على الهجرة التى تمكنهم من عبادة اللّه تعالى ، تلك العبادة التى خلقوا لها والتى لا كمال ولا سعادة للإنسان إلا عليها وبها . وهذه هى الهجرة التى فرضها الله تعالى على المؤمنين بمكة فهاجر بعض المؤمنين إلى أرض الحبشة إذ كان فيها ملك صالح هو أصحم النجاشى الذى أمن المسلمين وأكرمهم ، ثم كانت الهجرة إلى المدينة النبوية بعد بيعة العقبة الأولى والثانية إذ تضمنت البيعتان تأمين المهاجرين ونصرتهم . ولما أذن اللّه تعالى لرسوله بالهجرة إلى المدينة فهاجر أصبحت الهجرة إلى المدينة ذات ثلاثة أغراض الأول : الفرار بالدين والثانى : نصرة النبى ﷺ والثالث : طلب العلم ، إذ التشريع يتوالى فإن لم يكن المؤمن بالمدينة فاته العلم الذى ينزل من عند اللّه ويبينه رسول اللّه ﷺ وفاته العمل به أيضا ؛ لذا كانت الهجرة إلى المدينة من أوجب الواجبات وكان المتخلف عنها من غير المستضعفين متوعداً بقوله تعالى : ﴿**فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً** ﴾ . النساء : ٩٧ .

ولما فتح الله على رسوله مكة وأصبحت دار إسلام ، أعلن رسول الله ﷺ عن انتهاء الهجرة من مكة إلى المدينة بقوله : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » . وفاز المهاجرون الأولون بأفضل هجرة وأعظمها أجراً ، وليهنأهم ذلك ، وهو فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

ثانيا : هجرة النصرة :

ومن أنواع الهجرة الواجبة هجرة النصرة وهى أن يطلب إمام المسلمين الهجرة إليه للجهاد معه ، ونصرة الإسلام والمسلمين معه فمتى كان للمسلمين إمام شرعى قائم بأعباء الخلافة والدعوة إلى الإسلام ونصرة المسلمين وطلب من أى مسلم الهجرة إليه إلا وجبت عليه الهجرة ، وإن تركها وهو قادر عليها ومات قبل توبته استوجب الوعيد الذى تضمنته آية النساء ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم إلخ...** ﴾ .

وهذه كالهجرة التى كانت واجبة من مكة إلى المدينة إلا أنها دونها فى الفضل .

ثالثا : هجرة طلب العلم :

ومن الهجرة الواجبة الهجرة لطلب العلم ، وذلك بأن يوجد مسلم فى بلد لا يوجد به من يعرف اللّه تعالى ويعرف محابه ومساخطه من الواجبات والمحرمات ويعرف ما عنده لأوليائه الذين عرفوه وعبدوه باعتقاد وقول وفعل ما يحب ، وبترك ما يكره من الاعتقاد والقول والعمل والصفات ، ويعرف ما لديه تعالى من أنكال وجحيم وطعام ذى غصة وعذاب أليم أعده لأعدائه الكافرين به الفاسقين عن أمره .

فهذه الهجرة لطلب العلم واجبة على كل مسلم إلا أن يكون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً .

رابعاً : هجرة لطلب الرزق :

هذه الهجرة مشروعة وليست واجبة ، فإذا ضاق رزق المسلم فى بلد ما ، وأمكنه أن يرتحل عنه إلى بلد آخر يطلب الرزق فيه شرع له ذلك ، ويكون فيه مأجوراً متى صلحت نيته وحسن قصده وهو أن يطلب الرزق ليكف نفسه عن سؤال الناس وعن التطلع إلى ما فى أيديهم وحتى لا يحسدهم على ما آتاهم اللّه من فضله ، وحرمه هو ابتلاءً له . ويشترط لجواز هذه الهجرة أمران الأول : أن لا تكون إلى ديار الكافرين والثانى أن يأمن فيها على نفسه وعرضه ودينه إذ لا تجوز الهجرة إلى بلاد الكافرين لمجرد طلب الرزق ، كما لا تجوز إلى بلد لا يأمن فيه العبد على نفسه وعرضه ودينه .

خامساً: هجرة لطلب الحلال :

من الهجرة المشروعة الهجرة من بلد غلب على أهله أكل الحرام فمن وجد نفسه فى بلد أغلب قوت أهله من الحرام ، فهاجر طلباً للحلال كان مهاجراً فى سبيل اللّه تعالى ، وله أجر المهاجر .

إن طلب الحلال واجب فلما تعذر عليه فى بلد تعين عليه أن يطلبه فى بلد آخر .

ويدخل فى هذا الضرب من الهجرة أن يترك العبد تجارة أو وظيفة يغلب على

كسبه فيها المال الحرام .

سادساً : هجرة الفرار من البدع :

إذا وجد المسلم نفسه فى بلد يغلب على أهله البدع [1] لا سيما بدعة سب أصحاب رسول الله ﷺ ولم يتمكن من إبطال تلك البدع فإن عليه أن يهاجر من ذلك البلد إلى آخر خال من البدع والضلالات إذ هذا من الفرار بالدين الواجب على المسلم القيام به حفاظاً على دينه الذى هو أعز ما يملك وخير ما يرجو ويؤمل فى هذه الحياة ، وقال ابن العربى فى قول مالك ولا يحل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف . وهذا صحيح فإن المنكر إذا لم تقدر أن تغيره فزل عنه قال تعالى : ﴿ **وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره** ﴾ الآية . الأنعام :٦٨ .

سابعا : هجرة الفرار من الأذى :

ومن أنواع الهجرة الهجرة من بلد لا يأمن فيها المسلم من الأذى يصيب بدنه بالضرب أو القتل أو السجن وأول من هاجر خوف الأذى إبراهيم عليه السلام ، إذ عزموا على قتله فألقوه فى النار ولما سلمه الله وخرج منها سليماً لم تحرق منه إلا كتافة فى يديه ورجليه طلب الهجرة وقال إنى مهاجر إلى ربى سيهدين وهاجر معه زوجه سارة وابن أخيه لوط عليهم السلام وهاجر هذه الهجرة موسى الكليم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم . إنه لما قتل القبطى قتل خطأً تآمر فرعون وملؤه على قتله فهاجر إلى أرض مدين ، كما قال تعالى : ﴿ **فخرجَ منها خائفاً يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين** ﴾ القصص :٢١ .

وهاجر هذه الهجرة كثير من الصحابة والسلف خوفاً مما ينالهم من تعذيب أعدائهم لهم .

ثامناً : هجرة الخوف من المرض :

إنه لما كان المسلم يعيش ليعبد اللّه تعالى ، والعبادة تكون مع سلامة البدن وصحته وإلا لما تأتى له ذلك ، لذا وجب على المسلم المحافظة على صحة بدنه

---

(١) ذكر القرطبى فى تفسيره أن مالكاً قال ليس لأحد المقام بأرض يسب فيها السلف ، ويعمل فيها بغير الحق ، أخذاً من قوله تعالى : ﴿ **ومن يهاجر فى سبيل اللّه يجد فى الأرض مراغماً كثيراًوسعة** ﴾ النساء : ١٠٠

وعقله وماله ، فإذا وجد المسلم نفسه فى بلد فيها الوخم والأمراض الملازمة تعين عليه الهجرة منها إلى أرض سليمة من الوخم والأمراض المنتشرة وقد أذن النبى ﷺ للعرنيين الذين استوخموا المدينة أن يخرجوا منها إلى الصحراء يرعون إبل الصدقة ويشربون من أبوالها وألبانها فإذا صحوا عادوا إلا أنهم لما صحوا ارتدوا والعياذ باللّه تعالى .

وقال القرطبى : وقد استثنى من هذا الخروج من أرض الطاعون فراراً منه ، لنهى النبى ﷺ عن ذلك ، قلت لأن مرض الطاعون عارض ومُعْدٍ فقد يحمله معه الهارب إلى بلد آخر فيتسبب فى أذية مسلمين آخرين .

تاسعاً : هجرة المحب إلى بلد الحبيب ﷺ :

إن الهجرة الفضلى إلى المدينة النبوية قد انتهت بفتح مكة ووفاة النبى ﷺ ، ودونها هجرة فاضلة وهى الهجرة إلى المدينة النبوية حيث الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ فيها بألف صلاة (١) وليس وحدها من مرغبات الهجرة إليها بل هناك أمور أخرى منها أن النبى ﷺ كان يرغب فى الإقامة بها ، إذ قال : « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » . وقال : « من مات بالمدينة كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة ». وقال : « لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها اللّه خيراً منه». وقال : « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » . وقال : « إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها ». ومنها أن الدجال لا يدخلها ومنها أن النبى ﷺ دعا لأهلها بالبركة فى صاعهم ومدهم . ومنها أن النبى ﷺ كان يحبها ، وحب ما يحب النبى ﷺ مشروع إن لم يكن واجباً ، إلى غير هذا من المرغبات فى سكنى المدينة النبوية للحياة والموت فيها واللّه أسأل أن يحيينى بها ويميتنى فيها ويبعثنى مع صالحى أهلها إنه بر رحيم .

عاشراً : هجرة الدعوة إلى اللّه عز وجل :

وهذه الهجرة من أفضل أنواع الهجرة وهى أن يهجر المسلم داره وبلاده إلى بلد آخر يدعو أهله إلى اللّه تعالى ليعرفوه ويعبدوه فيكملوا على تلك العبادة ويسعدوا فى الدارين .

---

(١) كل هذه الأحاديث الواردة فى فضل المدينة فى الموطأ والسنن والصحاح .

ولذا كانت اليوم فرصة عظيمة لأهل العلم لو اغتنموها بالهجرة إلى أهل القرى فى بلدان المسلمين إذ جلهم لا يعرفون الله تعالى ولا يعرفون عباداته ولا كيف يعبدونه سبحانه وتعالى لغلبة الجهل عليهم وانقطاعهم عن العلم وطلبه ، كما أن هناك جاليات إسلامية فى بلاد الغرب والشرق فى حاجة ماسة إلى معرفة اللّه تعالى ومعرفة أنواع عباداته وكيف يعبدونه تعالى بها . فلو أن أهل العلم يهاجرون إليهم للإقامة بينهم ليعرّفوهم بربهم عز وجل وبمحابه ومساخطه من الاعتقادات والأقوال والأفعال وكيف يؤدون تلك المحاب ، وكيف يتجنبون تلك المساخط كما يعرفونهم بما أعده من نعيم مقيم ، للمؤمنين به المتقين له ، وما له من أنواع العذاب للكافرين به الفاسقين عن أمره الخارجين عن طاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ ، لكانت هذه هجرة لهم تفوق فى الفضل كافة أنواع الهجرة ما عدا هجرة النبى ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة النبوية . ولكان للذين يساعدونهم على هذه الهجرة أجر عظيم ، لأن من دل على خير كان له مثل أجر فاعله (١) .

---

(١) لفظ الحديث : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » . رواه مسلم .

إثم تارك الهجرة

إن الهجرة الواجبة إذا تركها العبد إيثاراً لداره وأهله وماله توجب لصاحبها عذاب الله تعالى فى الدار الآخرة قال تعالى : ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً** ﴾ . النساء ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

وقال رسول الله ﷺ : « أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » . رواه أبو داود ، وقال الحافظ هذا محمول على من لم يأمن على دينه . وتجب الهجرة إذا وجد المسلم نفسه فى بلد يضطهد فيه من أجل دينه ويمنع من عبادة ربه التى خلق لأجلها . فإن كان قادراً على الهجرة فليهاجر إلى بلد آخر يأمن فيه على بدنه ودينه ، وإن كان عاجزاً كالمرأة والطفل والشيخ الكبير والمريض مرضاً لا يقدر معه على الانتقال والتحول فإنه معذور شرعاً للآية الكريمة . ومتى زال عذره هاجر وسوف يجد مراغماً كثيراً وسعة ، وإن مات فى طريق هجرته فقد وقع أجره على الله . قال تعالى : ﴿ **ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً (١) كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾ . النساء ١٠٠ .

هجرة الجاليات الإسلامية فى أوروبا وأمريكا واستراليا

إن هجرة المسلمين إلى غير بلاد المسلمين كان السبب الحامل عليها هو استعمار الدول الأوروبية لبلاد المسلمين إذ استعمرت بريطانيا وهولنده كل البلاد الإسلامية فى الهند والشرق الأقصى كما استعمرت بريطانيا جل بلاد المسلمين فى الشرقين الأدنى والأوسط كما استعمرت فرنسا وإيطاليا وأسبانيا شمال أفريقيا ولما حكم غير المسلمين ديار المسلمين وأصبح المسلمون محكومين بقوانين الدولة الحاكمة كان من

---

(١) المراغم : ما يرغم به عدوه الذى اضطره إلى الهجرة أى يذله ويكسر أنفه ويمرغه فى التراب وذلك بأن يجد فى هجرته داراً وأنصاراً ورزقاً واسعاً .

السهل عليهم أن يهاجروا إلى بلاد الدولة الحاكمة طلباً للرزق . إذ لم يصبح هناك فرق بين بلاد المسلمين وبلاد الكافرين الحاكمين إذ القوانين سائدة فى المستعمرات وفى بلاد المستعمر على حد سواء فكان هذا سبب هجرة بعض المسلمين إلى البلاد غير الإسلامية ونظراً إلى أن الدولة المستعمرة كتابية فلم تكره المهاجرين على التخلى عن دينهم ولا على اعتناق دينها المسيحى حتى أصبح فى كل دولة استعمرت المسلمين جاليات يقدر عددها بعشرات الآلاف بل بمئات الآلاف فى بعضها ونظرا للتسامح الدينى فى أمريكا فقد هاجر إليها من المسلمين عشرات الآلاف . والمهاجرون فى بلاد أوروبا وأمريكا صنفان : صنف متدين محافظ على قواعد الإسلام وشرائعه ،وصنف لا يعرف من الدين إلا اسمه وهو قليل والحمد لله .

ومن هؤلاء المهاجرين من يبقى على تبعيته لدولته التى هاجر منها ومنهم من تجنس بجنسية الدولة التى هاجر إليها وهو باقٍ على إسلامه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويصوم رمضان ويحج البيت الحرام ويحرم المحرمات كالخمر والزنا والربا ويحل المحللات من طعام وشراب ونكاح وغيرها . هذه حالة الجاليات الإسلامية فى استراليا وأوروبا وأمريكا .

والسؤال المطروح الآن هو : هل هجرتهم هذه جائزة وهم غير آثمين أو هى محرمة وهم آثمون؟ وهل هناك فرق بين من هاجر إلى بلاد الكفر أيام حكم الدولة الكافرة لبلاده وبين من هاجر إليها بعد استقلال بلاده عن تلك الدولة الكافرة التى حكمت بلاده ؟؟ وبين من هاجر إلى أمريكا واستراليا وهما دولتان لم تستعمرا البلاد الإسلامية ؟؟ وما حكم أخذ جنسية الدولة التى هاجر إليها وهى قطعاً كافرة ؟؟

والجواب من الصعوبة بمكان ، ولكنى أستعين بالله تعالى وأجيب عن هذه الأسئلة سؤالا بعد سؤال فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسى وأستغفر الله وما أنا بملزم أحداً أن يرى ما رأيت ويقول ، به كما أنى غير لائم ولا عاتب على من لم ير ما رأيت ولم يقل ما قلت ، والله المستعان وعليه التكلان .

السؤال الأول

هل هجرة المسلم إلى بلاد الكفر جائزة ؟

والجواب : جائزة بشروط إن توفرت لها جازت وإلا فلا والشروط هى :

(١) أن لا ينوى تكثير سواد الكافرين ولا نصرتهم .

(٢) أن يأمن على دينه وماله وعرضه .

(٣) أن يكون السبب الحامل له على الهجرة شرعياً ،وذلك بأن يكون فراراً بدينه من الفتن أو يكون لطلب العلم أو رزق تعذر حصولهما عليه فى بلاد الإسلام أو يكون لدعوة إلى الإسلام أو لتعليم المسلمين .

السؤال الثانى

هل هناك فرق بين من هاجر إلى بلاد الكفر أيام حكم الدولة الكافرة لبلاده وبين من هاجر بعد استقلال بلاده عنها ، أو هاجر إلى بلد لم يستعمر بلده قط كأمريكا مثلا ؟

والجواب : إن توفرت له شروط مشروعية الهجرة الآنفة الذكر فى جواب السؤال الأول فالهجرة جائزة وصاحبها غير آثم إن شاء اللّه تعالى وإن لم تتوفر فالمهاجر إلى بلد الكفر الذى يحكمه قد يكون أخف إثماً ممن هاجر بعد استقلال بلاده أو هاجر إلى بلد لم تحكم بلاده قط .

السؤال الثالث

ما حكم أخذ جنسية الدولة التى هاجر المسلم إليها وهى كافرة ؟

والجواب : فقد رُفِعَ السؤال التالى إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ونص السؤال : ما حكم الإسلام فى إمام للمسلمين فى مسجد بأرض فرنسا يريد أن يبدل الجنسية من جزائرية إلى فرنسية . .

. . . هل هى ـ أعنى تبديل الجنسية من عربية جزائرية إلى فرنسية ـ أمر جائز ولا إثم فيه ولا يضرنى فى دينى أو هو شىء محرم يجب اجتنابه ؟ أفيدونى بالجواب كتابة جزاكم اللّه عن الإسلام والمسلمين خيرا .

وأجابت اللجنة بما يلي : لا يجوز أن يتجنس باختياره بجنسية دولة كافرة لما فى ذلك من التزامه بنظمهم والتحاكم إلى قوانينهم وتبعيته لهم وموالاته إياهم ، ومن المعلوم أن فرنسا دولة كافرة حكومة وشعباً وأنت مسلم فلا يجوز لك التجنس واصبر واحتسب والله المستعان وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

الرئيس : عبد العزيز بن عبد الله بن باز

نائب الرئيس : عبد الرزاق عفيفى

عضو اللجنة : عبد الله بن قعود - عبد الله بن غديان

رقم الفتوى : ٤٨٠١ وتاريخها ١٣/٨/١٤٠٢هـ .

كما رُفع سؤال آخر إلى اللجنة المذكورة بعد الفتوى الأولى بسنة وإلى القارئ نص السؤال والجواب .

قال السائل : سماحة الرئيس العام . . . لدى زيارتى لمكة لأداء العمرة التقيت بشاب مسلم وبعد تعارفنا حدثنى بأنه قلق جداً من فتوى سمعها فى اليوم السابق لأحد العلماء يحدث بين المغرب والعشاء خلف مقام إبراهيم عليه السلام وهذه الفتوى أن سائلاً طرح سؤالاً : ما حكم التجنس بجنسية أجنبية ؟ .

وكان الجواب على السؤال هو أن حكمها حكم المرتد ، وكان ذلك الشاب مصرياً وتجنس بالجنسية الكندية . . وكان من حديث الشاب المصرى المتجنس بالجنسية الكندية أن المسلمين يلاقون احتراماً وحقوقاً أفضل من بلادهم بكثير ، حيث يلاقى المسلمون الاضطهاد وسوء المعاملة وأنواع الإهانة والتعذيب لا لشىء سوى أن يقولوا ربنا الله ولما دار بينى وبين الشاب المصرى من حديث فى هذا الخصوص رأيت أن أطرح سؤالى على لجنتكم الموقرة لإفادتنا بالجواب . والسؤال ما حكم التجنس بالجنسية الأجنبية فى الدول الكافرة ؟

وأجابت اللجنة بما يلى :

سبق أن صدر منا فتوى فى الموضوع برقم ٢٣٩٣ هذا نصها : (لا يجوز لمسلم أن يتجنس بجنسية بلاد حكومتها كافرة لأن ذلك وسيلة إلى موالاتهم والموافقة على ما هم عليه من الباطل . أما الإقامة بدون أخذ الجنسية فالأصل فيها

المنع لقوله تعالى : ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض اللّه واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً إلا المستضعفين ...** ﴾ الآية النساء :٩٧ ، ٩٨ .

ولقول النبى ﷺ : « أنا برىء من كل مسلم يقيم بين المشركين ». ولأحاديث أخرى فى ذلك ، ولإجماع المسلمين على وجوب الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام مع الاستطاعة لكن من أقام من أهل العلم والبصيرة فى الدين بين المشركين لإبلاغهم دين الإسلام ودعوتهم إليه فلا حرج عليه إذا لم يخش الفتنة فى دينه وكان مرجواً التأثير فيهم وهدايتهم وصلى اللّه على نبينا محمد وآله .

وأخيراً كانت تلك فُتيا اللجنة الدائمة للإفتاء فى المملكة حرسها اللّه وحماها من كل باطل وشر آمين .

والفتيا كانت إجمالية وأقيمت على أساس من الاحتياط فأجازت الهجرة إلى بلاد الكفر بشروط ولم تجز التجنس بحال ولم تقل بكفر المتجنس على خلاف ما أفتى به رئيس المجلس الإسلامى الأعلى بالجزائر الشيخ حمانى وهو أن من تجنس بجنسية دولة كافرة فقد ارتد ويحرم تزويجه بالمرأة المسلمة وتجرى عليه أحكام الردة كاملة من حرمانه من الإرث وعدم غسله ودفنه فى مقابر المسلمين إلا أن المفتى حمانى ـ عفا اللّه عنه ـ كان فى فتواه يرد علىَّ ويشنع أقبح تشنيع لأن الشيطان زين له بغضى وكراهيتى شأنه شأن غيره من عباد كثيرين يكرهوننى ويبغضوننى بغضاً شديداً بتزيين الشيطان لهم لأنه عدوى وعدوهم ويعلم اللّه أنى منذ كلفت ببلوغى الخامسة عشرة من عمرى ما آذيت مؤمناً ولا مؤمنة فى عرض ولا مال ولا جسم ولا سببت أحداً ولا شتمت آخر والحمد لله الذى حفظنى وتولانى وقد دعوت ربى غير مرة على من آذانى فأرانى اللّه فيه ما يكره ، لذا صرت أتحاشى الدعاء على مبغضىّ حتى لا يهلكوا .

وقبل أمس وأنا أكتب هذه الرسالة هتف بى هاتف من جدة فقال لى يا شيخ أنا أحبك وأعجبت من كتابك (هذا الحبيب) ووزعت منه فى أمريكا مئات النسخ وقد هدى الله تعالى عليه أناساً كثيرين وإنى زرت المدينة فوجدت أكثر أهلها يبغضونك أشد البعض فاعمل على إصلاح ما بينك وبينهم فقلت له يا محب لِمَ يبغضوننى ؟ وإنى والله ما آذيت أحداً منهم ولا من غيرهم فعلمت أن الشيطان هو

الذى زين للناس بغضى وكراهيتى لأنى أدعو إلى خلاف ما يدعو إليه . أدعو إلى التوحيد وهو يدعو إلى الشرك ، أدعو إلى الطهر وهو يدعو إلى الخبث ، أدعو إلى الإخاء والمودة بين المسلمين وهو يدعو إلى العداء والبغضاء ، أدعو إلى الإصلاح وهو يدعو إلى الإفساد. فمن هنا كان لا عجب أن يبغضنى أصحاب الأهواء وعُبَّاد المادة وأهل الجهل بمحاب الله تعالى ومكارهه؛ لأن الشيطان متمكن منهم للظلمة التى أصابت نفوسهم ، والعياذ بالله تعالى . هذا والآن فإلى بيان حكم الشرع الإسلامى فى التجنس .

والسؤال : ما هو التجنس ؟ والجواب : التجنس أن يطلب المرء تبعية الدولة من الدول المعاصرة فيعطاها فيصبح تابعاً لتلك الدولة يجرى عليه ما يجرى على أفرادها من أحكام وقوانين سياسية ومالية واجتماعية فى الجملة ودون تفصيل . وبما أن العلمانية سادت أكثر دول العالم فإن التدين أصبح حراً فللمواطن بالأصالة أو التبعية أن يتدين بما شاء فالمسلم إذا حصل على جنسية بريطانية لا يصبح نصرانياً والبريطانى إذا حصل على جنسية باكستانية لا يصبح مسلما . وكذا الفرنسى إذا حصل على جنسية مغربية أو جزائرية أو تونسية لا يصبح مسلماً بل يبقى على دينه الذى اعتنقه أو ورثه عن آبائه وأجداده .

إذا عرف هذا فهل يصح أن يحكم على المسلم إذا أخذ جنسية دولة كافرة كأمريكا أو بلجيكا أو فرنسا أو بريطانيا وبقى على دينه الإسلامى عقيدة وعبادة يحل ما أحل الله ورسوله ويحرم ما حرم الله ورسوله هل يصح أن يحكم عليه بالكفر والردة كما حكم الشيخ حمانى مفتى الديار الجزائرية ؟ والجواب متروك لأهل العلم والنظر أما أنا شخصياً فلا أقول بكفره ولا بردته وأبرأ إلى الله تعالى من أن أكفر مسلماً وأحكم عليه بالردة كما أبرأ إلى الله تعالى ممن يكفر مسلماً أو يحكم بردته لمجرد أنه تابع لدولة كافرة قانونياً . وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويصوم رمضان ويحج بيت الله الحرام ويحل ما أحل الله ورسوله ويحرم ما حرم الله ورسوله من المطاعم والمشارب والمناكح وغيرها .

وإن كان مفتى الديار الجزائرية يرى أن علاج مشكلة ملايين المسلمين يعيشون فى ديار الكفر هى الحكم بالردة على من تجنس منهم بجنسية دولة كافرة فأنا لا

أرى هذا علاجاً أبداً بل أراه زيادة فـي تعقيد المشكلة واستعصـاء حلها إن أريد لها ذلك .

إن حل هذه المشكلة يكون باتخاذ ما يلى وهو :

إرجاع كل مسلـم فى بلاد الكفر إلى بلاده الإسـلامية وبتهجير مـن أسلم فى بلاد الكفر إلى البلاد الإسلامية وهنـا يطرح هذا السؤال : هل فى الإمكان إرجاع المهاجرين وتهجير من أسلم من الكافرين إلى بلاد المسلمين ؟

وإذا كان الجواب : إن هذا من غير الممكن اليوم وغير متأتٍّ أبداً فما هو الحل إذاً يا تـرى ؟ والجواب : إن الحل لهـذا المشكل الـعويص لـيس فى الحكـم بردة المتجنس كما يرى مفتى الجزائر الشيخ حـمانى وإنما هو باتباع ما يلى : وهو تكوين لجنة عليا يـتكون أعضاؤها من كافة البـلاد الإسلامية تحت عنوان « اللجنـة العليا لرعاية المهاجـرين » وتكون لها ميزانية يـسهم فيها كل بلد إسلامـى بقدر معين من المال بحسب حال البلد قوة وضعفاً . وتتلخص مهام تلك اللجنة فيما يلى :

(١) بناء مساجد لهم يصلون فيها ويتعلمون الضرورى من دينهم الإسلامى .

(٢) تعـمير تلـك المساجد بـالأئمة الأكفـاء القادرين عـلى تربيـة إخوانهم روحـياً وسلوكياً وتزويدهم بالكتاب الصـالح النافع الذى يجمع ولا يفرق ويهدى ولا يضل كمنهاج المسلم للجزائرى .

(٣) العمل عـلى توحيد المهاجـرين فى البلد الذى هـم فيه بحيث تنـعدم الفوارق بينهـم ويصبحون جماعة واحـدة ليس لها انتماء إلا إلـى اللجنة العليـا لرعاية المهاجرين .

(٤) إيجاد تعليم لأبناء المهاجرين يتناسـب مع ما لديهم من وقت يتعلمون فيه ما لا بد منـه من العقيـدة والعبادة والخلق والأدب مـع اللغة العـربية لغة الـكتاب والسنة .

(٥) العمل على إيجاد تعاون بينهم يثمر ما يلى :

أـ وجود مجزرة ومقبرة ليأكلوا الحلال من اللـحوم وليقبروا موتاهم فى مقابر خاصة بهم .

ب ـ تكوين لجنة من ثلاثة علماء فى كل بلد فيه مهاجرون مهمتها :

١ ـ إصلاح ذات البين بين أفراد المهاجرين المسلمين ليتحاشوا التحاكم إلى محاكم غير إسلامية .

٢ ـ عقد النكاح بين الزوجين وتقرير فرقة الطلاق بينهما إذا خيف الضرر عليهما أو على أحدهما وتعذر الإصلاح برفع الضرر .

٣ ـ قسمة كل مسلم تركته وهو حى على ورثته وكتابة صك بذلك حتى إذا مات نفذ ما فى الصك كأنه وصية وحتى لا تتدخل السلطة الحاكمة فى تقسيم التركة حسب قوانينها .

٤ ـ إيجاد صندوق بر فى كل مساجد المهاجرين يسد حاجة المحتاج منهم ويقوم عليه ويديره لجنة العلماء الثلاثية آنفة الذكر .

٥ ـ إيجاد قانون مالى بينهم وذلك بإنشاء مصرف للإيداع والإنماء وفق الشريعة الإسلامية التى تحرم الربا وتبيح الربح بالتعاون المشروع .

هذا هو الطريق لحل مشكلة المهاجرين فى بلاد الكافرين فهل فى الإمكان سلوكه إنقاذاً لملايين المسلمين من الذوبان فى مجتمعات الكفر والإلحاد وأداء لواجب الدعوة إلى الإسلام فى وقت الدعوة فيه لا تكلف عرقاً ولا دماً إذ لم تزد على الدينار والصدق فى جمعه وصرفه لا غير .

فهل للشيخ حمانى مفتى الديار الجزائرية ــ عفا الله عنى وعنه ــ أن ينهض بهذا الواجب ، ويطوف بالبلاد الإسلامية مطالباً بتكوين هذه اللجنة العليا لرعاية المهاجرين لإنقاذ المسلمين المهاجرين من الذوبان فى ديار الكفر ، ولأداء واجب الدعوة إلى الإسلام التى تخلى عنها المسلمون متناسين قول الله تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ . يوسف : ١٠٨ .

فمن هم أتباعه ﷺ غير أفراد أمته ؟ آه ثم آه وإن كان التأوه غير نافع يا عباد الله !!

وقبل أن ينهض المسلمون بهذا الواجب وهو حل مشكلة ملايين المهاجرين فى ديار الكفر أقدم فتياىَ التى أراها حلا جزئياً للمشكلة وهى أن على المسلمين

المهاجرين العودة إلـى بلادهم فوراً إذ هجرتهم ما كانت فراراً بـدينهم ، ولا كانت إلى دار إسلام بل كانت إلى دار كفر ، وقد تسببـت هجرتهم فى ضياع دينهم أيضاً فلا يسعهم البقاء على هذه الحال إلا بالالتزام بما يلى :

(١) أن ينـووا الربـاط فى سبـيل الله ، وذلك بـتكـثير سـواد المسلـمين فـى ديار الكافرين .

(٢) أن يقوموا بالدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة .

(٣) أن يصحـحوا عقائـدهم ، ويعبدوا ربـهم بما شرع لهـم ، ويهذبوا أخـلاقهم ويكملوا فى آدابهم لتكون دعوتهم بـالحال وهى أنفع من دعوة القال باللسان وليعلـموا أن هذا لا يتم إلا بوجـود علماء صالحين يـربونهم عقائـد وعبادات وأخلاقاً وآدابـاً فليطلبـوا هؤلاء العلماء ولـيطيعوهـم طاعة كاملة مـا أمروهم بالمعـروف ونهوهم عن المـنكر فإذا فعـلوا هذا وتحقق لـهم فهم مرابـطون فى سبيل الله ولهم أن يأخذوا جنسية الدولة التى هم فيها سواء كانوا مهاجرين أو مواطنين على شرط أن يـكون التجنس - وهو غير التدين قطـعاً - مساعداً لهم على دعوة الإسلام الـتى هم مرابطون من أجلها . هـذه فتياى والله أسأل أن تكون مرضية له عـز وجل نافعةً لعباده المؤمنين وأن لا يحـرمنى أجر اجتهادى فيها آمين .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الرسالة الخامسة والعشرون

القول الكريم الغالى فى الدفاع عن الداعية الغزالى

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن آمن به ، واتبع ما جاء به من هدى الله .

وبعد : فإن الدفاع عن الغزالى يتطلب تعريفاً به أولاً ليكون القارئ على علم به فيكبر فى عينيه ، ويرى للدفاع عنه وزنه وقيمته وعليه فمن هو الغزالى ؟

إنه أحد دعاة الإسلام فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين خطب وحاضر وحاور وكتب وألف وراسل دعوة إلى الإسلام ، ونصرة له ولأهله ما أصبح به عَلَماً من أعلام الإسلام فى ديار الإسلام وخارجها .إنه المصرى مولداً ومنشأ وتعلماً وتخرجاً ، جاب أقطار العالم شرقاً وغرباً، أقام ردحاً من الزمن بغرب جزيرة العرب وبشرقها ، وبالجزائر ردحاً آخر وأحسبه الآن بديار أهله ، ومربع صباه ، ومسرح دعوته ودعواه أحسن الله عاقبته وعاقبتى معه . آمين .

مآخذ واعتذارات

إن ما أخذ على الداعية الغزالى مما جاء فى كتابه الأخير « السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث » كان معذوراً فيه ، ولذا رفعت القلم لأدفع عنه ما هو معذور فيه ، لا يؤاخذ بين أهل العلم به .

وإلى القارئ الكريم ما أخذ على الداعية الغزالى ، وبيان عذره فيه .

أ ـ نسبته السلفيين اليوم إلى الجبر ، وهم برآء منه براءته هو منه أو أشد إذ الجبر حيلة شيطانية يبرر بها الفساق تروكهم للواجبات وكثرة إسرافهم فى المحرمات، حتى إذا ما قيل لهم : لم تتركون كذا من الواجبات وترتكبون كذا من المحرمات ؟ قالوا : نحن مجبورون . هذا قدر الله وقضاؤه فينا ، أتلوموننا عن ترك أو فعل ما كتبه الله علينا فى كتاب المقادير « اللوح المحفوظ » وقضى به علينا فى الأزل !!

وبناء على هذا فلا السلفيون جبريون ولا الداعية الغزالى كذلك وإنما نسبة السلفيين إلى الجبر كانت من الغزالى رد فعل لا غير ويدل على ذلك قوله الآتى :

لقد شاء الله لحكمة لا نعلمها أن يخلقنا ويرزقنا ، وقال فى وضوح : ﴿**الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور**﴾الملك:٢ .

فجاء من زعم أن الحياة رواية تمثيلية خادعة ، وأن التكليف أكذوبة وأن الناس مسوقون إلى مصائرهم المعروفة أزلاً طوعاً أو كرهاً ، وأن الرسل لم يبعثوا لقطع أعذار الجهل ومنع الاحتجاج المرفوض بل المرسلون خدعة تتم بها فصول الرواية أو فصول المأساة !!

وبعد فهل الداعية الغزالى نسى أو جهل علة خلقنا ورزقنا وهى عبادة الله تعالى بذكره وشكره بطاعته فى أمره ونهيه ، حتى يقول : لقد شاء الله لحكمة لا نعلمها أن يخلقنا ويرزقنا وهو يقرأ أو يسمع من يقرأ قول الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ . الذاريات : ٥٦ـ ٥٨ .

إنه لم ينس ولم يجهل أو يتجاهل وإنما آلمه وقوف صغار طلبة العلم من السلفيين الجزائريين فى وجهه يردون عليه بعض آرائه فى غير أدب ولا احترام ،

فحمل عليهم المكنسة يضربهم بها تأديباً لهم . فقال : فجاء من زعم أن الحياة رواية تمثيلية خادعة ، وأن التكليف أكذوبة . وإلا فهل هناك سلفى واحد يقول هذا القول ؟ اللهم لا . وأبعد من هذا وأكثر استحالة قوله الذى يعنى به السلفيين: وأن المرسلين لم يبعثوا لقطع أعذار الجهل ، ومنع الاحتجاج المرفوض بل المرسلون خدعة تتم بها فصول الرواية أو فصول المأساة . ويدل على صحة ما قلناه قوله أثناء هذه المقولة (إن الناس مسوقون إلى مصائرهم المعروفة طوعا أو كرهاً) فهل هذا القول مناف لعقيدة الإيمان بالقدر الذى هو ركن الإيمان السادس ، ونفاته هم مجوس هذه الأمةً كما قال ابن عمر رضى الله عنهما ؟

والجواب لا ، لا ، إذ الإيمان بالقدر هو التصديق بأن كل ما يتم من سعادة وشقاء إنما يتم بعلم الله وتقديره له أزلاً . وإنما الغضب والانفعال الذى سببه صغار السلفيين للداعية الغزالى حيث لم يحترموا علمه وجهاده فى الدعوة فردوا آراءه المنافية للشرع والدعوة السلفية والإسلامية معاً ، وذلك كنقده لبعض أحاديث القدر مرة ، ورده لها مرة أخرى ، إذ قال بعد أن ذكر عدة أحاديث صحاح : . . . وهو أن الإنسان مسلوب المشيئة وأنه مقهور بكتاب سابق ، وأن سعيه باطل لأنه لا يغير شيئاً مما خط عليه فى الأزل !!

والحقيقة أن الداعية الغزالى لشدة ألمه من حال أمة الإسلام وهى تتخبط فى أودية من الضلال فاقدة للرشد وصلاح الحال صبَّ جام غضبه على السلفيين الصغار ، وأشنَّ على أحاديث القضاء والقدر غارةً شعواء لما سمع سلفياً صغيراً يعظ الناس ويذكرهم بأن المرء قد يعمل الصالحات وهو من أهل النار ، وقد يعمل السيئات وهو من أهل الجنة ، إذ العبرة بالخواتيم ، والحى لا يدرى بما يختم له وما قاله السلفى الصغير هو حق وليس بباطل . إلا أن الغزالى لحرصه على كمال الأمة الإسلامية وانطلاقها لتبنى ما هدمت وتصلح ما أفسدت لم يرتح لما قال السلفى الصغير . ومن الجائز أن يكون الغزالى غير بصير بعقيدة القدر ، لذا اشتبه عليه الجبر بالقدر ، مع أن السلفيين قديماً وحديثاً كباراً وصغاراً لم يكونوا أبداً جبريين ولا قدريين أو نفاةً للقدر والشيخ الغزالى بالتأمل فى كلامه يبدو أنه بعيد عن الجبر كل البعد إلا أنه قريب من القدرية بعض القرب ، وهو فى هذا معذور ، لأن هذا الطريق ضل فيه أقوام لا يحصون عداً . ولذا فإنى واضع صورة واضحة لهذا المعتقد العظيم أرجو أن ينتفع بها كل من ينظر إليها بصدق

وعنايـة فيسلم مـن الجبر وينجـو من نفى الـقدر ، ويظفر بـالمعتقد الحق فى باب القضاء والقدر الذى هو سادس أركان الإيمان الحق .

بداية الصورة :

نبدأ صورة الإيمـان بالقدر بذكر الآيـات القرآنية المقـررة لمعتقد القـضاء والقدر وهى قوله تعالى من سورة الأنعام : ﴿ **ما فرطنا فى الكتـاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون** ﴾ .

إذ الكتاب فى الآية هو كتاب المقادير بـإجماع المفسرين ومن ذهب إلى أنه من الجائز أن يكون القرآن الكريم لم ينفِ أبداً ما عليه المفسرون . وقوله عز وجل من سورة الأنعـام أيضاً : ﴿ **وما تـسقط مـن ورقة إلا يعـلمـها ولا حبـة فى ظلـمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين** ﴾ وهو كتاب المقادير قطعاً . وقوله تعالى من سورة يس : ﴿ **وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين** ﴾ وقد أجمع المفسرون أن المراد بالإمام المبين هنا هو كتاب المقادير أى اللوح المحفوظ .

وقوله تعالى مـن سورة القمر : ﴿ **إنا كل شـىء خلقنـاه بقدر** ﴾ وعامة أهل التفسير على أن الآيـة نص فى تقدير الله تعالى للأشياء قبل خلـقها . وقوله تعالى من سورة الحـديد : ﴿ **ما أصـاب من مصيـبة فى الأرض ولا فـى أنفسكـم إلا فى كتاب مـن قبل أن نبرأهـا إن ذلك على الله يـسير** ﴾ وكل المفسرين عـلى أن الكتاب هنا هو كتـاب المقادير . وقوله تعالـى من سورة البروج :﴿ **بل هو قرآن مـجيد فى لوح محفوظ** ﴾ والمراد باللوح المحفوظ هنا كتاب المقادير .

والقرآن العظيم شـأنه شأن سائر الموجودات له صورة ثابتة فـى كتاب المقادير قبل وجودها فى عالم الموجودات . وقوله تعالى من سورة الأعلى : ﴿ **الذى قدر فهدى** ﴾ أى قدر سائر المخلوقات وكتبها فى كتاب المقادير ، وهدى كل من قدر له شيئا إلى طلبه وتحصيله حسب سنته تعالى فى إيجاد الأشياء وتحصيلها .

كانت تـلك الآيات القرآنيـة المقررة لعقيـدة القضاء والقدر ، وأمـا الأحاديث النبـوية المثبتة لـلقدر والمبينـة له فمنهـا حديث جبريل فـى صحيح مسلـم وفيه : «الإيمان أن تؤمن بـالله وملائكته وكتبـه ورسله واليوم الآخر والقـدر خيره وشره» والمراد من القدر : ما قدره الله تعالى وقضى به قبل وجوده ، ثم هو يوجد حسب

ذلك التقدير الأزلى بلا زيادة ولا نقصان ولا اختلاف فى حال ولا زمان ولا مكان. ومنها حديث البخارى وفيه : « كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب فى الذكر كل شيء » . والمراد بالذكر هنا اللوح المحفوظ .

ومنها حديث مسلم وفيه : « كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكَيْس » ومنها حديث الشيخين البخارى ومسلم وفيه : « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ، ومقعده من الجنة ، قالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فييسَّر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة » . ثم قرأ : ﴿ **فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى** ﴾ الآيات من سورة الليل .

ومنها حديث الشيخين أيضاً : « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » . ومنها حديث « لو قضى شيء لكان». وحديث السنن الصحيح :« واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » . وحديث ابن عمر عند أبى داود : « القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم » والمراد بالقدرية نفاة القدر أى المكذبون به .

هذه نصوص الكتاب والسنة المثبتة لعقيدة القضاء والقدر المقررة لها فمن ردها مكذباً بها منكراً لها فقد كفر .

وزيادة فى البيان والتوضيح نقول : إن حقيقة القضاء والقدر هى اعتقاد المرء الجازم أن الله تعالى قبل أن يخلق الخلق كتب فى كتاب عنده كل ما قضى بخلقه وإيجاده من خير وشر مربوطاً بأسبابه التى جعلها مؤثرة فيه بإذنه فيوجد تعالى ما قضى بإيجاده فى وقته بحيث لا يتقدم ولا يتأخر ، وعلى الحال التى أرادها وقضى بها له فلا نقص ولا زيادة فى حال ولا صفة أبداً فكما قضى وقدر بعلمه السابق

وكتب فى كتاب المقادير يخرج المقدر إلى حيز الوجود وعالم الظهور ، فلا يقع فى ملكه إلا ما شاءه وأراده ، وهذا لكمال علمه وقدرته وحكمته . فمن رأى أن كائناً بوجود خارجاً عن علم الله وقضائه به وتقديره له فهو قدرىٌّ مجوسىٌّ ، لأن المجوس ينسبون إيجاد الخير للنور وإيجاد الشر للظلمة جهلاً منهم وكفراً .

هذه حقيقة القضاء والقدر ، وبالرجوع إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية السابقة الذكر تظهر واضحة عقيدة القضاء والقدر كما بيناها والحمد لله .

فتنة الجبر ونفى القدر

إنه من جملة ما كاد به خصوم الإسلام المسلمين لإفساد عقيدتهم ، وإطفـ نور الحق فى قلوبهم ليعيشوا فى ظلمة الكفر فيسهل صيدهم وقيدهم ثم استعمارهم وإذلالهم : نفى القدر وإثبات الجبر ، وهو تناقض ظاهر إلا أن طائفة تبنت نفى القدر وأخرى تبنت الجبر ، فعُرفت الأولى بالقدرية ، والثانية بالجبرية ، وأهل السنة والجماعة برآء من كلتا الطائفتين ، إذ معتقدهم كما رضيه الله لهم : اعتقاد أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن ما قضاه الله وقدره كائن لا محالة ، وما لم يقض به ، ولم يقدره لن يكون أبداً ، وأن أفعال العباد الإرادية الاختيارية يثابون عليها إن كانت طاعة لله ورسوله ، ويعاقبون عليها إن كانت معصية لله ورسوله ، بهذا قضى الله جل جلاله ، فلا حق لأحد أن يطالب بالثواب بلا طاعة بالإيمان وصالح الأعمال ، ولا بالنجاة من العقاب مع الكفر والعصيان .

ومن هنا فلا معنى للجبر مع قطع يد السارق وقتل القاتل ورجم الزانى المحصن ، ورجم القاذف وجلد وتغريب الزانى غير المحصن ، كما لا معنى لنفى القدر والمرء العاقل يَجِدّ ويجتهد لتحصيل أمور فلم تحصل ، ويحذر ويحترس من أمور فتحصل . كما لا معنى لإهمال الأسباب أو إغفالها والله عز وجل لما كتب فى كتاب المقادير كتب لكل حادثة سببها التى تكون به فلا يكمل امرؤ ولا يسعد بغير الإيمان وصالح الأعمال مع تركه للشرك والعصيان ، كما لا يخسر امرؤ ويشقى إلا بالكفر والشرك والعصيان . وحديث مسلم صريح فى هذا القانون الإلهى : إذ فيه : فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، ويعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، فهذا قضاء الله وعدله فلا يدخل أحد الجنة بالشرك والمعاصى ، ولا يدخل أحد النار بالإيمان الصحيح والتوحيد وطاعة الله ورسوله .

هذا معتقد أهل الإسلام فى القضاء والقدر ، وما أنكره الشيخ الغزالى على بعض السلفيين هو معذور فيه لأمرين ، الأول : أن من المسلمين من يهمل الأسباب ويترك الأعمال ولما يصاب بالخسران يتعزى بالقضاء والقدر ، والثانى : أن تصوره لعقيدة القضاء والقدر غير واضح فى نفسه ولذا تحير فى أحاديث القضاء والقدر ، ورد بعضها وشك فى صحة بعضها .

تلبس الجنىّ بالإنسىّ

لقد أنكر الشيخ الغزالى تلبس الجـنى بالإنسى تحت عنوان : « المس الشيطانى حقيقته وعلاجـه » وهو معذور فى إنكاره إلا أن ما استشهد به علـى إنكاره يتعلق بالشيطان الرجيم الذى هو إبليس وذريته ، إذ استشهد بآية : ﴿ **وما كان لى عليكم من سلطان** ﴾ إبراهيم: ٢٢ . والآية صريحة فى أن إبلـيس وذريته لا سلطان لهم على الإنسان بحيث يلزمونه بارتكاب المعاصى قهراً له وجبراً دون إرادته واختياره. كما اسـتشهد بآيـة آل عمران فى شأن حـنَّة أم مريم عليـها السلام حيـث قالت : ﴿**وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** ﴾ ثم قال : ومريم وابنها على أية حال من عباد الله الصالحين ، وليس للشيطـان سلطان على أولئك ، كما استشهد بحديـث مسلم : « كل بنـى آدم يمسه الشيطـان يوم ولدته أمه إلا مريم وابـنها» . وحملـه أسلوبه الأدبى السـاحر على أن قال : خـيِّل إلىّ أن الشيطان قـابع تحت الرحم يستقبل الوليد القادم ، وهو شـديد الحقد . ونسى الغزالى ـ عفا الله عنه ـ أن فى هـذا التعـبير مـساساً بـقول الـرسول ﷺ . وأنه تـعريض بـبطلانـه وعدم مصداقيته . وهكذا يتورط أدباء الكلام وهم لا يشعرون .

وخلاصة القـول أن الشيخ الغزالى لـم يذكر شاهداً واحداً عـلى عدم دخول الجنى فى جسم الآدمى ، وإنما تكلم على عدم تـأثير الشيطان على الإنسان لانعدام سلـطانه عـلى الإنـسان وهو حـق إذ لا يملك الـشيـطان إلا التـزيين للـقبـائح ، والوسوسة لحمل الإنسان باختياره عليهـا . وأما موضوع تلبس الجنى بالإنسى فلم يذكر فيه سوى قوله : هل العفاريت متخصصه فى ركوب المسلمين وحدهم ، لماذا لم يَشْكُ ألمانى أو يابانى من احتلال الجن لأجسـامهم ؟! فكان ذكره للشيطان دون الجن هروبـاً من قضية تلـبس الجنى بالإنسـى التى أنكرها المـعتزلة قديماً ووافـقهم الشيخ الغزالى عليها ، لأعذار سنذكرها بعد إن شاء الله تعالى .

أما كون الشيطـان لا يصرع الإنسان ولا يكرهه على قـول أو عمل ، فهذا لا خلاف فيه ، إذ لا سلطان للشيطان على الإنسان ، ولا يقدر على أكثر من التزيين والوسوسة كما تقدم .

هذا ولكى تتضح الحقيقة ويعلم المسلـمون خطأ من ينكر تلبس الجنى بالإنسى نذكر مبـينين أن العوالـم أربعـة وهى عالم الملائكة علـيهم السلام وعالم الـشياطين

وهم إبليس وذريته عليهم اللعائن أبداً . وعالم الجن وعالم الإنس [1]. أما عالم الملائكة فأصل مادة خلقه النور ثبت ذلك فى صحيح الحديث ، وأما عالم الإنس فأصل مادة خلقه الطين كما هو مبين فى القرآن الكريم ، وأما عالم الجن فأصل مادة خلقه النار لقوله تعالى : ﴿ **والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ الحجر : ٢٧ . وأما عالم الشياطين فأصل مادة خلقه إبليس وهو من الجان إلا أنه لما أبلسه الله تعالى لكبره وفسقه عن أمر ربه انمسخ وانسلخ من أصل خلقه ، وأصبح شراً كله لا خير فيه البتة ، وتوالد فكانت ذريته من جنسه لا خير فيها على الإطلاق ووصف الشر لازم لها ، فلا تعرف الخير ولا يصدر عنها .

وقد يلحق بإبليس وذريته فى الشر وانعدام الخير كل فاسق متمرد من الجن والإنس لقوله تعالى فى سورة الناس : ﴿ **من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس . من الجنة والناس** ﴾ فلفظ الجن فى الآية شامل لإبليس وذريته وللمتمرد من الجن من فسقتهم وشرارهم .

ويزيد الأمر وضوحاً أن أعمال الملائكة كلها خير ، وأنهم لا يؤذون إنسياً ولا جنياً ، إلا أن يشاء الله ذلك فيأذن لهم ويأمرهم . كما أذن لهم فى قتال المشركين يوم بدر ، وفى إرسال الشهب على مسترقى السمع من شياطين الجن ومردتهم . وإن أعمال الشياطين كلها شر إذ هى تزيين للباطل وتحسين للقبيح والدعوة بالوسوسة إليه والحث عليه ، وإن أعمال الجن كأعمال الإنس تكون خيراً وتكون شراً ، فمن آمن بالله واستقام على طاعته وطاعة رسله كثر خيره وقل شره ، والعكس فيمن كفر وعصى فإنه يكثر شره ويقل خيره فكما أن الإنسان يظلم ويجور كذلك الجان يظلم ويجور .

وبحكم أن الإنسى لا يرى الجنى كما قال تعالى : ﴿ **إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** ﴾ الأعراف : ٢٧ . فإن الإنسى لا يؤذى الجنى إلا بطريق الخطأ كأن يبول عليه أو يصب عليه ماء حاراً ، أو يرمى عليه نجاسة ، أو يجلس عليه ، أو يضع فوقه شيئاً ثقيلاً ، أو يرميه بحجر ونحوه وهو لا يريده ولا يقصده لعدم رؤيته له ، وعدم علمه به . أما الجنى فإنه قد يؤذى الإنسى لرؤيته له وعلمه به ، ولولا حماية الله للإنسان ما نجا أحد من الناس. ومن تدبير الله تعالى لحماية

(١) عالم الحيوان مسخر لعالم الإنس لذا لا حاجة إلى ذكره مع العوالم الأربعة .

الإنسان أن خلق الجان خلقاً ضعيفاً يدل علـى ذلك أن الجن يأكلون فضلات طعام الإنسـان ، كما صرحـت بذلك الأحاديـث الصحـاح ، فالجن أشبـه فى ضعفـهم بالحيوان فالحيوان لا يأكل مما يزرع ولا مما يطـبخ ، وإنما هو تابع للإنسان فى غذائه وكذلك الجان .

والآن وقد اتضحت لنا حقيقة الجـان فهل يصح عقلاً أو شرعاً أن نقول : إن الجان لا يظلم الإنسان ، ولا يتلبس به ، ولا ينطق على لسانه ؟

والجواب : إن من المكابرة أو العناد أن نقول بخلاف ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة بعد ثبوت ذلك بالسنة الصحيحة ، ومشاهدة وإقرار أئمة الأمة وصلحائها وأفاضلها فى كل زمـان ومكان من عهد نزول الوحى إلى اليوم ، فـفى عهد النبى ﷺ فإن أحمـد وأبا داود وغيرهمـا قد رووا أن رجلاً جاء بغـلام تلبسه جـنى إلى النبى ﷺ فـقرأ عليه وضربه فخـرج منه الجنى ، كما رووا أن امـرأة جاءت بغلام يصرع إلى النبى ﷺ فقالت : إنه يصرع فى اليوم مرات فنفخ النبى ﷺ فى فيه ، وقال : أى عدو الله اخرج أنا رسول الله ، فنظر إليه النبى ﷺ بعد فإذا هو سليم معافى ما مسه شىء .

وما هنـاك حاجة إلى ذكر عـشرات الآلاف ممن أصيـبوا بمس الجن القـاسطين منهـم والمسلمين . ومـن قرأ سورتهم فى الـقرآن الكريم « سورة الجـن » فإنه لا يتردد فـى أنهم يؤذون ويظلـمون شأنهم شـأن الإنس ، ويبقى السـؤال هو : هل أنكر مسّ الجنـى للإنسى وتلبسه بـه الداعية الإسلامى الغزالـى ؟ والجواب : نعم أنكره فى رسائله ومـنها كتابه الأخير « السنة النبويـة . . . » وهو معذور فى إنكاره وهذا بيان عذره :

١) وجود مشعوذيـن دجاجلة يدعون أنهم يـخرجون الجن ويتحكمـون فيهم وهم لا يقدرون عـلى شىء ، ويأكلون أمـوال الناس بالباطـل ، وقد تؤدى الحال بأحدهم حتـى يقتل المصاب بالضرب والخـنق . وعليه فمن باب سـد الذريعة قال الشيخ الغزالى بعدم صحة تلبس الجنى بالإنسى ، فقد قال : ولست أحب أن أفتح باب الشعوذة والدجل والسحر باسم أن الشيطان احتل بدن الإنسان .

٢) بحكم أن الشيخ داعية إسلامى كان ولا بد أن يختلط بالعقلانيين وأن يرد مواردهم ويشرب منها فيتأثر بها . والعقلانـيون منهم غلاة ومنهم معتدلون فالغلاة

يعرضون كل ما يأتيهم حتى ولو كان وحى الله تعالى أو هدى رسوله ﷺ على عقولهم فما وافق عقولهم قبلوه وقالوا به ، وما لا ، رفضوه بل ويضربون به عرض الحائط ، والمعتدلون ومنهم علامتنا الغزالى إذا خالف الوحى الإلهى أو الهدى النبوى عقولهم فإن كان قرآناً أولوه وقالوا إنه من باب التمثيل ، وظاهره ليس مراداً ، وإن كان سنة ردوها بانتحال ضعف سندها أو شذوذها ، أو مخالفتها للواقع المنظور إليه بالعقل البشرى المتهافت .

٣) وثالث الأعذار وآخرها أنه لم يسمع ولم ير مصروعاً من غير المسلمين فعجب للأمر وقال : هل العفاريت متخصصة فى ركوب المسلمين وحدهم ، لم لا يشكو ألمانى أو يابانى من احتلال الجن لأجسامهم [١] ؟ .

والسؤال الآن هو هل الغزالى دخل مشافى فى أوروبا وأمريكا واليابان ولم ير مصاباً بالصرع الجنونى ؟ والجواب قطعاً إنه ما دخل وما سأل ، وإلا فمشافى المجانين فى أوروبا وأمريكا كثيرة . وشىء آخر هو أن الكفار لا يؤمنون بالله وكتابه ورسوله فكيف يؤمنون بالجن ؟ فلذا يطلقون على المجنون الذى يصرع وينطق الجنى على لسانه حال صرعه بأنه مزدوج الشخصية ، أو به انفصام عقلى إلى غير ذلك من التأويلات ؛ لأنهم لا يؤمنون بالله فكيف يؤمنون بالجن .

وأخيراً آمل من كل من بلغه أن الغزالى ينكر تلبس الجنى بالإنسى أن يقول : إن إنكاره لأمر مجمع عليه لا قيمة له ولا يصح الالتفات إليه بحال من الأحوال والغزالى معذور وقد تقدم بيان عذره ، والله يهديه ويتوب علينا وعليه .

---

(١) جاء هذا فى كتابه السنة النبوية . وهو يخاطب مسلماً شكا إليه الإصابة بالجن .

انتصار الشيخ الغزالى للمرأة المسلمة لتساوى الرجل فى كل شىء فى الشهادة ـ فى الدية ـ فى ولاية المناصب ما عدا الخلافة ـ وفى كشف وجهها واختلاطها بالرجال الأجانب ـ وفى غنائها للرجال والنساء معاً

وهذه أقواله المنقولة من رسائله ، مع بيان الحق فيها من الباطل حتى لا يغتر بها من لا علم له ولا بصيرة لديه فى دين الله وشرعه .

قال الغزالى فى شهادة المرأة . . وأقرر قبول شهادة المرأة فى كل شىء وفق النصاب الثابت فى ديننا .

وتجاهل الداعية الغزالى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما عليه أئمة الإسلام. فكتاب الله تعالى قال تعالى فيه فى النكاح والطلاق ﴿ **وأشهدوا ذوى عدل منكم** ﴾ الطلاق :٢ . ولم يذكر فى هذه الشهادة النساء . وقال فى شهادة الزنى : ﴿ **واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم** ﴾ النساء:١٥ . ولم يقل أربعاً منهن . وقال فى شهادة القذف ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة** ﴾ النور :٤ . ولم يذكر النساء . وقال فى شهادة المال : ﴿ **واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء** ﴾ . البقرة :٢٨٢ .

إنه لما أراد تعالى استشهاد النساء نص عليه بقوله ﴿ **وامرأتان** ﴾ ، فهذا كتاب الله تعالى خص الشهادة فى الدماء والحدود بالرجال ، وأذن فى الأموال للنساء على أن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد . ورسول الله ﷺ يذكر النساء ويقول : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين » الحديث . وسئل عن معنى ناقصات عقل فقال : أليست شهادتهن على النصف من شهادة الرجال ؟ يعنى آية البقرة فى شهادة الأموال .

وإن فرضنا أن الجزائرى ـ صاحب الدفاع ـ لم يفهم مراد الله تعالى من هذه الآيات المقررة للشهادات فى الدماء والحدود والأموال فهل يعقل أن الرسول ﷺ لم يفهم مراد الله تعالى منها وهو اللسان المبين لها .

وعليه فليراجع الغزالى السنة النبوية فهل يجد فيها أن رسول الله ﷺ حكم برجم أو جلد أو نكاح أو طلاق أو رجعة بغير شهادة ذوى عدل من الرجال المسلمين .

إن الرسول ﷺ يعرف مدى ضعف المرأة الفطرى ، كما يعرف أن من الإحسان للمرأة المسلمة إبعادها عن مجتمعات الرجال ومجالسهم صيانة لها وحفاظاً على كرامتها وكرامة ذويها من زوج ووالد وولد وأخ وعم .

هذا والغزالى هنا معذور ، وعذره أنه يريد أن يُرى الغرب الصليبى الكافر أنه لا فرق بين الإسلام وأنظمة الغرب الكافر فى احترام المرأة وتقديرها ، فإن كان المانع للغرب فى الدخول فى الإسلام الخوف من امتهان المرأة وعدم تقديرها فليعلموا أن الإسلام يحترم المرأة ويقدرها أكثر منهم . وعليه فليدخلوا فى الإسلام.

ولنسأل الآن الغزالى عن الذين دخلوا فى الإسلام من الغربيين بما قدمت لهم من تنازلات وهى على حساب الإسلام والمسلمين قطعاً والجواب : ولا واحد مع الأسف !!

وقال فى دية المرأة : « وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل وهذه سوءة خلقية وفكرية رفضها الفقهاء المحققون فالدية فى القرآن واحدة للرجل والمرأة » .

كان هذا قول الغزالى وهو قول فاسد باطل مردود ، وبيان ذلك :

١) مغالطته المفضوحة وهى قوله : وأهل الحديث يجعلون دية المرأة إلخ . . والقضية ليست خاصة بأهل الحديث كما يغالط غزالينا بل الفقهاء وأهل الحديث فيها سواء إذ مالك كالشافعى كأحمد كأكثر فقهاء الأحناف الكل على أن دية المرأة على النصف من دية الرجل حتى كانت القضية إجماعية ، ولا عبرة بمن شذ عن إجماع المسلمين ولا يقول بالشاذ إلا مفتون .

٢) قوله رفضها الفقهاء المحققون : فمن هم الفقهاء المحققون عمر بن الخطاب أم على بن أبى طالب ، أم عبد الله بن مسعود أم زيد بن ثابت أم معاذ بن جبل رضى الله عنهم أجمعين ؟!. أم رفضها فقهاء المدينة السبعة سالم بن عمر وخارجة وإخوانهم ؟!، لا ،لا اللهم إن هؤلاء ما رفضوا ، فمن هم الذين رفضوا يا غزالى ، سيقول : إنهم أصحاب الرأى وليس له إلا هذا القول . وأمة الإسلام ترفض كل رأى يخرج عن إجماعها أو يحاد كتاب ربها وهدى نبيها .

٣) قوله : « وهذه سوءة خلقية وفكرية » هذه القولة لا أحسب أن يهودياً أو نصرانياً ساخطاً على الإسلام وأهله يقول مثلها فى رجالات الإسلام كالصحابة والتابعين وأئمة الفقه والمحدثين .

٤) قوله : « فالدية فى القرآن واحدة للرجل والمرأة » . فهل هذه القولة كافية التدليل بالقرآن على تساوى دية الرجل والمرأة ؟ والجواب قطعاً لا، لا، إذ القرآن لم يعين مقدار الدية ولم يحدده بمائة ألف أو أكثر أو أقل بل ترك الأمر للرسول ﷺ إذ هو الذى أناط به بيان القرآن إذ قال له : ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾ النحل : ٤٤ . وفعلا بين الرسول ﷺ أن دية المرأة الكاملة على النصف من دية الرجل وبه عمل المسلمون إلا من شذ ولا قيمة ولا وزن للشاذ فى قضاء الشرع .

ولنستمع إلى الإمام الشافعى وهو يقول حاكياً الإجماع [(١)] على أن دية المرأة نصف دية الرجل إذ قال : لم أعلم مخالفاً من أهل العلم قديماً ولا حديثاً فى أن دية المرأة نصف دية الرجل .

وإن عاب الغزالى هذا الحكم على المسلمين لما ظهر له من عدم الإنصاف للمرأة فإنا نلفت نظره إلى أن الله تعالى وهو رب المرأة ورب العالمين وأرحم بها منها بنفسها قد أعطاها ثلث التركة وأعطى أخاها ثلثيها فهل للغزالى أن يقول هذا إجحاف وعدم إنصاف ؟ لو قالها ولا أخاله يقولها : إذ لو قالها لسقط كافراً لا يساوى جناح بعوضة . لقد جهل الغزالى قاعدة : أن العبرة بالكيف لا بالكم . إن دينار الذهب يساوى عشرة من دراهم الفضة لأن دينار الذهب قد يسد حاجة صاحبه وسبعة دراهم لا تسدها . فالرجل يا غزالى يسد مسد عشرة نسوة لا امرأتين فقط فى باب الحماية والدفاع ، وفى باب البناء والتعمير ، والتحصيل والإنتاج . إن ملياراً من الذهب يا غزالى لا يساوى امرأة مؤمنة ولا رجلا مؤمناً ، ولكن لما أذن الرب تعالى فى الدية فضلاً منه ورحمةً ، نظر الشارع الحكيم إلى أن المرأة إذا فقدها ذووها لم تصب حياتهم بخلخلة وهزة عنيفة كما لو فقدوا فحلاً

---

(١) ما ذكره الشافعى رحمه الله فى الإجماع ، ذكره غير واحد من السلف ، ومن أراد التأكد من صحة ما ذكر ، فليراجع الكشف للدكتور ربيع الهادى .

من رجالاتهم وهم حماة الذمار وحراس الدار ودافعو الشنار والعار . إنهم فقدوا الرجل الساعى على الأرملة واليتيم الحامى للعرين المدافع عن الأمة والدين ، لذا تعين إعطاء فاقديه ضعف دية المرأة ، وبذلك تقر العين .

كل هذا قد خفى على الغزالى فقام يشنع على أهل الإسلام كأنه من غيرهم بأنهم ما أنصفوا المرأة إذ جعلوا ديتها على النصف من دية الرجل !!!

والغزالى فى هذا كما فى غيره معذور ، لأنه لا يريد أن يسمع الغرب الكافر أن الإسلام بشرائعه يخالف الغرب فى قوانينه لا سيما فيما يتعلق بالمرأة ، لأن الغرب أله المرأة فأصبح فى عداد عبدة الفروج والأهواء ومرة أخرى أقول : إن الغزالى فى هذا معذور ، لأنه يريد للغرب أن يدخل فى الإسلام ، ولا بد إذاً من تلطيف الجو له ، وتخفيف كثافة نور الإسلام حتى لا تعشوا أبصار الغرب عن رؤيته وحتى يُرى لهم سهلاً خفيفاً يمكنهم قبوله والدخول فيه . والسؤال هنا : هل مثل هذا عذر يقبل من الداعية الغزالى ؟ والجواب متروك لذوى البصائر والنهى .

وقال فى ولاية المرأة مدافعاً عنها فى المجتمع الإسلامى لتتحرر فتكون كالمرأة فى الغرب الصليبى أو الشرق الشيوعى ، لأنها متى تحررت وكانت أكثر تحرراً من نساء الغرب دخل الغرب فى الإسلام ، لأنه أصبح ملائماً للخُلُق الذى صنعته لهم اليهودية العالمية .

قال : « إننا لسنا مكلفين بنقل تقاليد عبس وذبيان إلى أمريكا واستراليا إننا مكلفون بنقل الإسلام وحسب ، وإذا ارتضوا أن تكون المرأة حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة فلهم ما شاءوا ، ولدينا وجهات نظر تجيز ذلك كله ، فلم الإكراه على رأى ما » ؟!

إن قول الغزالى : ولدينا وجهات نظر تجيز ذلك كله أى تجيز أن تكون المرأة المسلمة حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة إن كان يعنى نفسه ومن ضل من العقلانيين والعلمانيين والاشتراكيين الإسلاميين فله ولهم أن يجيزوا ما شاءوا أو يمنعوا ما شاءوا . وإن كان يعنى المسلمين من أهل السنة والجماعة فقد كذب ورب الكعبة . فالمسلمون عاش نبيهم محمد ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة يبنى ويؤسس صرح أمة الإسلام فوالله ما ولى امرأة حكم قرية ولا مدينة ، ولا قضى امرأة فى قرية

ولا مدينة ، ولا عيَّن امـرأة وزيرة فى أى شأن من شؤون الدولة لا الـداخلية ولا الخارجية ، لا التعليم ولا المال ولا الفلاحة ، ولا بعث بامرأةٍ سفيرة إلى أية دولة أو بلاد تمثله وحكومته فيها .

وعاش من بـعده خلفـاؤه الراشدون قرابـة أربعين سنـة . وقد امتد سـلطان دولتهم شرقاً وغرباً حتى شمل قرابة نـصف سكان المعمورة يومئذ ، فوالله ما ولوا امرأة حكماً ولا قـضاءً ، ولا وزارة ولا سفارة باستثناء كذبـة : أن عمر ولى امرأة حسبة سوق المدينة وهى كذبة معلومـة مرفوضة مطرودة . وجاء من بعدهم خلفاء الأمويين والعباسيين فوالله ما ولوا امرأة شيئاً مما ذكر الغزالى أنه يجيزه ، واستمرت الحال كذلك إلى عهد هـذه الاستقلالات المزيفة والدويلات المتناثرة المـتنافرة جلها من صنائع الاستعـمار والماسونية فرأى المسلمون المغلوبـون عن أمرهم وسمعوا أن امرأة ما من بلد كذا عـينت سفيرة ، وأخرى وزيرة ، وثالثة قاضـية ورابعة شرطية إلخ . .

مع هذا الإجماع الفعـلى يتملق الداعية الغزالى النسـاء والغرب معاً ويقول إن له وجهة نظر تجيز أن تكون المرأة المسلمة حاكمة وقاضية ووزيرة وسفيرة ؟ إن المرأة المسلمـة سيدة طاهرة كريمة حـسبها وظيفـة شريفة هى إدارة البيـت وإسعاد الزوج وتربية الأولاد بعد إنجابها لهم مع ما هو أعظم وظيفة وأشرف عمل وهو عبادة الله تعالى بإقام الصلاة والصيام ، والصدقات ، وشىء آخـر ينبغى أن يعلمه المتملقون للنساء والمتـزلفون للغرب الكافر وهو أن جـريمة الزنى تعتبر أكبر جـريمة بعد الشرك وقتل النـفس ، لذا فرض الله الحجاب علـى نساء المؤمنين بـاستثناء القواعـد منهن لكبر سنهن ، والمفروض عليها الحجاب يتعذر عليها مباشرة الحكم والقضاء والقيام بالوزارة أو السفـارة ، لأن هذه الوظائف تتطلـب حتماً مقابلة الـرجال غير المحارم والاختلاط والخلـوة بهم ، وهذا مما حرم الله تعالـى فى كتابه وعلى لـسان رسوله ﷺ والشرع والعقل معاً يقضيان بأن ما يؤدى إلى حرام فهو حرام .

وأخيراً فإن إجازة الغزالى للمرأة المسـلمة أن تكون حاكمة أو قاضية أو وزيرة أو سفيرة لا يعدو مجرد دعـوى لا دليل عليها ولا بينة تثبتهـا ، هو معذور فيها . وعذره أنه يريد الغـرب الكافر أن يدخل فى الإسلام ، لذا هو يعمـل على تهذيب شرائع الإسلام حتى توافق أمزجة الغرب ، ومشتهياته . وهل يقدر على ذلك .

وكتب الداعية الغزالى فى كشف وجه المرأة المسلمة واختلاطها بالرجال الأجانب فى كتابه : « السنة النبوية . . » كتب العنوان التالى : « معركة الحجاب » ودلالة هذا العنوان على أن الغزالى يخوض معركة حامية مع الله ورسوله لإبطال الحجاب وإسقاطه من الشريعة الإسلامية لتخرج المرأة المسلمة كاشفة عن وجهها سافرة فى وضح النهار ليرى وجهها كل من هب ودب . دلالة واضحة لا تحتاج إلى أدنى تفكير أو تأمل ، وهو فى هذا معذور لأنه يريد إرضاء الغرب الكافر بالإسلام والمتألم جداً من الحجاب الذى حرمه من النظر إلى وجوه المسلمات ، وقد كشف هو وجوه نسائه للمسلمين . يشهد كما قلت عنوان كتاب له اسمه «مستقبل الإسلام خارج أرضه وكيف نفكر فيه » .

والسؤال الآن هو هل إذا أسقط المسلمون الحجاب من دينهم ورفضه نساؤهم كما يريد الغزالى ومن على شاكلته يدخل الغرب فى الإسلام لا أحسب أحداً يقول نعم أبداً حتى ولو أبيح لهم كل محرم ، وأسقط عنهم كل واجب ، وإذا فعلنا هذا ففيم يدخلون وبنية الإسلام قد تهدمت وسفينة النجاة قد غرقت ؟

وهذه المعركة ضد الحجاب قد أجلب لها الغزالى ما أمكنه من أدلة وشواهد إلا أنه قد انبرى له الشيخ سلمان بن فهد العودة فى كتابه « الحوار » فنسف كل أدلته وأبادها نصرة لله ورسوله والمؤمنين ، وبذلك انتهت المعركة التى خاضها الغزالى ضد الحجاب ، وانتهت بتقرير الحجاب وفرضيته على نساء المؤمنين إلا من رخص الله تعالى لها أن تكشف وجهها وذلك لكبر سنها وقعودها عن الحيض والحمل ولم يبق للرجال من إربة فيها .

ومع هذا فإنى أذكر أدلة لا تتجاوز عدد أصابع اليد إلا أنها لا تبقى بإذن الله تعالى فى نفس المؤمن والمؤمنة أدنى شبهة فى وجوب حجاب المسلمات وها هى تلك الأدلة :

١) قوله تعالى من سورة النور : ﴿ **والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن** ﴾ . النور : ٦٠ . هذه الآية الكريمة محكمة للأخلاق ودلالتها على الحجاب للمرأة المسلمة دلالة قطعية إذ رفع الحرج عن القواعد فى أن يكشفن عن مواضع

الزينة منهن على شرط أن لا يستعملن أدوات الزينة من كحل فى العينين أو خضاب فى اليدين أو أسورة فى اليدين أو خلاخل فى الرجلين . أقول : رفع الحرج عن القواعد اللائى لا يرجون نكاحاً لكبر سنهن دال على أن غير القواعد ممن يرجون النكاح لصغرهن وعدم تقدم السن بهن عليهن الإثم إن وضعن ثيابهن وخرجن كاشفات الوجوه إذ المراد من الثياب ما تستر به المرأة مواضع الزينة منها وذلك كالخمار والعجار ، أما ما تستر به جسمها من درع ليس من المعقول أن يؤذن لها فى وضعه وتخرج عارية إذ هذا لا يصح حتى من الأطفال أبناء أربع سنوات فكيف بالنساء المتأهلات للنكاح والولادة . وثبوت الإثم على غير القواعد من النساء مقتض للحرمة موجب لها ، ولذا كان كشف وجه المرأة المسلمة للأجانب محرماً وصاحبته آثمة ومن أفتى بجوازه آثم أيضاً بل هو أكبر إثماً .

وفى قوله تعالى : ﴿ **وأن يستعففن خير لهن** ﴾ ترغيب للعجائز فى الإبقاء على الحجاب وهو ستر الوجه وعدم الاختلاط بالأجانب حتى الوفاة ، وحسب المؤمنة أن يختار لها ربها البقاء على خمارها وملاءتها حتى تلقاه عز وجل فيرحمها بالنجاة من النار ويكرمها بدخول الجنة دار النعيم المقيم .

٢) إن الحجاب ضرب على نساء المؤمنين فى السنة السادسة من الهجرة يوم وليمة زينب أم المؤمنين رضى الله عنها وذلك بقول الله تعالى : ﴿ **وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب** ﴾ الأحزاب :٥٣ . كما نزل فى قوله تعالى : ﴿ **يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين** ﴾ . الأحزاب :٥٩ .

والجلباب هو الخمار وليس هو الدرع الساتر لجسم المرأة من عنقها إلى قدميها، وقوله يدنين واضح الدلالة فى أنه الخمار وإدناؤه من الوجه والعنق والصدر لأجل ستر مواضع الزينة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن** ﴾ النور: من الآية ٣١ . إذ المراد من الزينة مواضعها وهى لا تكون إلا فى الشعر والوجه والعنق والصدر ، والخمار إذا أدنى غطى ذلك كله وستره . ويؤكد ما قلناه ويقرره حديث أبى داود وغيره عن إحدى نساء النبى ﷺ أنها قالت لما نزل قول الله تعالى : ﴿ **يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ الأحزاب :٥٩ : خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان ، فهذا ظاهر فى الخُمُر توضع على الرؤوس ثم تدنى من الوجوه

والأعناق والصدور لتغطيتها ، وهذا معنى الحجاب لغة وشرعاً وهو حجب ما لم يكن محجوباً عن الأنظار حتى لا يرى ولا ينظر إليه .

٣) قوله تعالى من سورة النور المدنية : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**﴾ أجمع أهل التفسير واللغة على أن المراد من الزينة هنا مواضعها ، إذ الكحل كالحناء كالأقراض كالقلائد كالأساور كالخواتم كالخلاخل لا تقوم بنفسها وإنما بالأعضاء التى تتزين بها وقد نهى الله تعالى المؤمنات عن إبداء زينتهن فلزم أن يسترن كل مواضع الزينة ، ومِنْ أظهرها الرأس إذ فيه الشعر وهو زينة والوجه إذ الكحل فى العينين والأحمر فى الشفاه ، والأبيض فى الخدين ، والتزجيج فى الحاجبين . وبهذا وجب ستر الوجه وتغطيته حتى لا تظهر الزينة التى نهيت المؤمنة عن إبدائها لغير محارمها .

٤) قوله تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ النور : ٣٠ . وقوله تعالى : ﴿ **قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** ﴾ النور: ٣١. فهذا أمر مقتض للوجوب وهو موجه للرجال والنساء معاً ، فتعين على المكلفين من المؤمنين والمؤمنات أن يطيعوا الله ربهم بغض أبصارهم وإلا لزم الفسق عن أمر الله ، والعياذ بالله .

والسؤال هنا كيف يمكن للمؤمنين والمؤمنات غض أبصارهم إن كانت الوجوه مكشوفة والاختلاط عام فى البيوت والشوارع والأسواق ودوائر العمل ، إنه لا يمكن ، إنه تكليف بما لا يطاق وهو مرفوع عن هذه الأمة إذاً فكيف المخرج ؟ والجواب : إنه الحجاب والحجاب لا غير ، وحقيقته حجب النساء عن الرجال الأجانب ففى البيوت حجرة النساء غير حجرة الرجال وفى المساجد مؤخرها للنساء ومقدمها للرجال ، وفى المشافى أروقة للنساء غير أروقة الرجال ، وكذا المعامل والمصانع لكلٍّ معملٌ خاص به ومصنع خاص به ولم يبق إلا المشى فى الشوارع للوصول إلى العمل فيلزم المرأة أن تسبل على وجهها من خمارها حتى تغطى وجهها ومحاسنها حتى تصل إلى منزلها أو محل عملها وبذلك يطاع الله . ومع ستر الوجوه فإن على الرجال كما على النساء غض البصر بحيث لا ينظر أحد الجنسين إلى الآخر ، لأن لفظ غض البصر: عام فى النظر إلى الوجه وباقى الجسد. وأنجع الطرق لأداء هذا الواجب هو إبعاد الجنسين عن بعضهما بعضاً ما

أمكن ذلك وتأتّى ، أما أن يسمح بالاختلاط كما يريده دعاة السفور والفجور معاً فتوجد المرأة حيث يوجد الرجل فى البيت والدائرة والسوق ، ويكتفى بإطالة الثياب وتغطية الرأس وترك الوجوه سافرة مكشوفة والاختلاط عام ، وندعى أنا أطعنا الله فى أمره بالحجاب وأمره بغض البصر فهذا كذب وباطل تجب التوبة منه والبراءة من دعاته والقائلين به .

٥) حديث عائشة رضى الله عنها فى الموطأ وغيره إذ قالت : « كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها وإذا جاوزونا كشفناه ». والسؤال لو كان وجه المرأة مكشوفا دائما كما يرى ذلك الداعية الغزالى وأضرابه أى معنى لأمرها بكشفه إذا أحرمت بحج أو عمرة ألم يكن من باب تحصيل الحاصل ؟ نظيره أمر المحرم بكشف رأسه ، فلو كان الرأس مكشوفا دائما لا يؤمر المحرم بكشف ما هو مكشوف لأنه عبث ينزه عنه الشارع الحكيم .

من هنا تأكدنا أن وجه المرأة مستور عن الأجانب كشعرها وعنقها وصدرها ، فإذا خرجت تخمرت حتى لا يرى وجهها ، إذا أحرمت أمرت بكشف وجهها ليعلم أنها محرمة وإذا حصل اختلاط بالرجال أسبلت على وجهها ما تستره به ، وتعيد كشفه فور بعد الأجانب عنها كما قالت أم المؤمنين .

وأخيراً هذه بعض أدلة وجوب الحجاب وستر وجه المؤمنة على الأجانب من الرجال وما أورده الغزالى فى جواز كشف الوجه فقد كفانى صاحب الحوار هدمه ونسفه من أساسه . والغزالى معذور فيما يدعيه ، لأنه يتصور فى ذهنه أنه فى الإمكان أن يسفر نساء المؤمنين ويختلطن بالرجال الأجانب فى كل مكان ويتم غض البصر وتطغى العفة ويعظم الحياء ويسود الطهر ، ولا يحدث فجور ولا يقع زنى. إن هذا التصور أسهل منه بناء قصر بين السماء والأرض بحيث لا جاذبية تحكمه ، ولا أعمدة تدعمه .

وما حمل الغزالى الداعية على هذا التصور العجيب إلا الرغبة فى أن يصبح المجتمع المسلم كالمجتمع الغربى رجاء أن يدخل الغرب فى الإسلام بعد أن أبعد عنه شبح الموت الذى يخيفه من الإسلام وهو إبعاد النساء عن الرجال فى كل مكان . وهل يدخل الغرب فى الإسلام إذا أنكرنا الحجاب وأبحنا الاختلاط ؟

والجواب لا ، لا ألف مرة .

وقال فى إباحة غناء المرأة وسماع صوتها ما قاله ابن حزم الظاهرى فى رسالته « السماع » ولم يزد عليها إلا شواهد من المجتمع الأوروبى الكافر كقول يهودية أسلمت فى أمريكا إذ قالت : إن الأوروبيين يحترمون احتراماً بالغا «بتهوفن» و «باخ » فى الموسيقى و « فردى » و« واجنر » فى الأبرا و « شكسبير » فى المسرح ويلقبونهم بالسادة العظام ، ويعتبرون تكريس الحياة لأى فرع من هذه الفنون الجميلة من أشرف المقاصد وأكثرها جداً .

وكقولها : إذا عرفت موهبة شخص ما بالتفوق الفنى ، وغالباً ما يقع ذلك بعد سنوات من رحيله حُسب فى زمرة العظماء الخالدين . وقولها ويحقق الروائيون التقليديون خلودهم عندما تطبع كتبهم مرات ومرات ، وتمدح على أنها أعمال أدبية عظيمة يلزم كل طالب فى المدارس أن يدرسها .

وكقولها : ويخلد مؤلفو الموسيقى السيمفونية والأبرا بأداء إنتاجهم مراراً وتكراراً فى قاعات الاحتفالات العظمى فى المدن الكبرى ، كما يكرم أعظم المغنين والعازفين بتسجيل أعمالهم على الأشرطة والاسطوانات .

إن الشيخ الغزالى فى دفاعه عن إباحة الغناء وسائر الفنون الجميلة كالموسيقى والتمثيل والمسرحيات معذور فى هذا الدفاع لأنه يريد للمجتمع الإسلامى أن يلحق بركب الحضارة الأوروبية ويتفوق لعل الأوروبيين الصليبيين يسلمون إذا رأوا الإسلام لا يتعارض مع ما هم عليه من مظاهر الحضارة التى تبيح كل شىء حتى عقد النكاح بين الذكرين !!

وما ينبغى هنا أن يعلم هو أن فتنة الغناء فى العالم الإسلامى وما جرته من بلاء كفتنة إبطال الحجاب وكشف وجوه النساء فى كل مكان ، وما جر ذلك من شر وفساد ، إنما كانت ثمرة عراك مرير خاضه عملاء الماسونية فى البلاد الإسلامية. واليوم وقد استيقظ المسلمون وحاولوا تصحيح مسارهم فى طريق الهدى فظهرت اللحى الجميلة فى وجوه الفحول وأخذ المؤمنات يسترن وجوههن ، وعزفت نفوس المؤمنين عن الأغانى والموسيقى ، وتنزهوا عن التمثيل والتصفيق ، وصرخوا منددين بالربا المجمع على تحريمه ، وبالتصوير المغضب لله ورسوله والمؤمنين، وأخذت مظاهر العودة إلى الهدى المحمدى تلوح فى ديار الإسلام كل

ديار الإسلام بين الشباب والشابات فاستعمل السواك وقصرت الثياب التى كانت تسحب فى الأرض ، وجر المؤمنات ثيابهن التى كانت إلى الركب أو نصف الساق اقتداء بالصحابيات والمؤمنات السالفات ، أقول : لما رأت الماسونية هذه الرجعة المخيفة لها المرعبة لأرباب الأهواء والشهوات ، طلبت من يمد لها يده لإيقاف هذا الزحف الإصلاحى ، ولا أدرى كيف استجاب لها مثل الداعية الإسلامى الكبير الإمام الغزالى فكتب مرة كلمة نشرت فى الصحف تحت عنوان « احذروا التدين الفاسد » فذكر منه اللحية ، والنقاب ، والسواك وتقصير ثياب الرجال والتصوير ، ثم أصدر أخيراً كتابه « السنة النبوية . . » دافع فيه عن أغراض الماسونية دفاعاً عجباً وهو لا يشعر بخدمته للماسونية التى تريد أن تحيل البشرية إلى حيوان مسخر لليهود إلى يوم القيامة . والغزالى ينزه قطعاً وذلك لإيمانه وعلمه وأصالته فى الإسلام ، ولهذا أخذنا العجب مما كتب واضطررنا لرد ما كتبه حتى لا تنتكس دعوة الإصلاح التى تجرى فى كل ربوع العالم الإسلامى.

وأخيراً هل ابن حزم الظاهرى فى إباحته الغناء فى القرن الرابع الهجرى كان مدفوعاً بتيار قوة الثالوث المجوسى اليهودى الصليبى لضرب الإسلام بالمكر والخديعة بعد العجز عن مقاومته بحرب السلاح والأبطال ؟ والجواب : الاحتمال قريب جداً ويقويه أن دولة الأندلس قبل سقوطها سنت قانوناً يقضى بإدخال الموسيقى للمشافى لعلاج المرضى بها ، وبذلك كانت فتيا ابن حزم بإباحة الغناء بمثابة مسمار دق فى نعش أمة الأندلس المسلمة ، والتى أصبحت فى خبر كان ، إذ قتل أهلها وشردوا ونصّروا وكفروا ، وعادت ديار الإسلام إلى ديار الكفر والصليب الحاقد .

وأعود للتدليل على بطلان فتوى الغزالى التى استقاها من معين ابن حزم الذى كان سبب هلاك ودمار أمة الإسلام فى الأندلس .

فأقول : هل ابن حزم المبيح للغناء يقارن بمالك بن أنس القائل ــ وقد سئل عن الغناء : إنما يفعله الفساق عندنا ، وهل رد ابن حزم للأحاديث المانعة من الغناء بضروب المحلاّت والتأويلات يجعل الغناء مباحاً وقد أجمع أئمة الفقه والحديث على تحريمه ، إذ ذكر الإجماع غير واحد من أهل العلم كالآجرى وغيره .

وهل من المعقول المقبول أن تحبط أعمال أمة ويتحقق عمل واحد ؟ أَيُكَذَّبُ

الصحابة والسلف ويصدق ابن حزم المعروف بشطحاته الظاهرية التى رفضها كل العقلاء ؟ وشىء آخر يا داعية الإسلام يا غزالينا هل غناء من سبق الذى أباحه ابن حزم ووافقته أنت عليه وحرمه أئمة الإسلام كغناء اليوم الذى يذاع من أمواج الأثير فيسمعه القريب والبعيد والبار والفاجر وهو مصحوب بالمعازف وآلات الطرب على تنوعها واختلافها ؟ وهل ظهر للغناء الذى كان يتعاطاه الفساق فى الغابات ورؤوس الجبال ، وبطون الكهوف وسراديب البيوت ما ظهر للغناء اليوم من الخنا والدعارة والشر والفساد ؟

أليس من الحمق وسوء التدبير وفساد الرأى أن يدعى اليوم إلى الغناء بإعلان إباحته ، بعدما خمّت أجواء البلاد منه ، أم لأن مظاهر التوبة منه ومن غيره أقلقت راحة الماسونية العالمية فأوحت إلى عملائها والمتأثرين بها وهم لا يشعرون أن يعيدوا الكرة فى الدعوة إلى مظاهر الفساد كالغناء والسفور ، لأنها أغاظها أن أصبحت تمر عشرات السيارات فلا يسمع فيها صوت غناء ، ويمر المرء بعشرات الدور والمقاهى فلا يسمع صوت الغناء ، فأفزعتها هذه الحال فأوحت إلى من يستجيب لها بحمل راية الدعوة إلى الغناء والسفور خشية أن يطهر المجتمع الإسلامى وتيأس اليهودية العالمية من بقاء دولة اليهود فضلاً عن توسعها حتى تضم ما بين النيل والفرات .

آه ثم آه ثم آه ، وهل ينفع ألف آه ؟.

إلى هنا كَلَّ القلم من شدة الألم، وضاقت النفس من قوة الرفس فلنترك داعينا الغزالى مع أخطائه الكبرى فى تمجيد الاشتراكية والتمدح بالمجوسية الخمينية حيث لا يجد من يعتذر له مثلى أتركه لصاحبى الكشف ، والحوار ، فقد أزاحا الستار ، وبينا العوار ومن لم يستره الليل لا يستره النهار ، ومن لم ير بالتوبة الجنة فسيرى بالأبصار النار . والأمر لله الواحد القهار .

الرسالة السادسة والعشرون

كيف تُسلم



كيف تسلم ؟

الإجابة عن هذا السؤال عبارة عن
مرحلتين يقطعهما من يريد الإسلام
والدخول فيه ، ولكل مرحلة خطوات
يخطوها المريد فلا ينهى آخر خطوة إلا
وقد أسلم لله رب العالمين وأصبح أهلا
لكرامة الدارين وسعادتهما بإذن الله تعالى .

المرحلة الأولى
وفيها عشر خطوات
الخطوة الأولى : النطق بالشهادتين

يحسن (١) قبل النطق بالشهادتين أن يُعَرَّف بما يلى :

١ ـ أن خالق السموات والأرض وما فيها من سائر المخلوقات هو الله تعالى وأنه لذلك كان الإله الحق الذى يُعبد ولا يُعبد معه غيره .

٢ ـ أن عبادة الله تعالى هى طاعته بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه من العقائد والأقوال والأعمال .

٣ ـ أن نبيه الذى نبأه وأرسله ليبلغ عنه عباداته إلى الناس ويبين لهم كيف يعبدونه بها هو محمد عبد الله ورسوله فإذا فهم هذا واقتنع به قيل له : انطق بالشهادتين : قل : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فإذا قالها فقد دخل فى الإسلام .

الخطوة الثانية : الطهارة

فإذا نطق المرء بالشهادتين وقد عرف معناهما عُلِّم كيف يتوضأ ويغتسل ليصلى إذ الصلاة عبادة لله لا تقبل إلا بالطهارة . فيوضع له الماء الطهور ويقال له : قل بسم الله ، واغسل كفيك ثلاث مرات ، ثم تمضمض ثلاثاً واستنشق الماء وانثره ثلاثاً ،واغسل وجهك ثلاثا، واغسل يدك اليمنى إلى المرفق ثلاثا، واليسرى كذلك، وامسح رأسك وأذنيك مرة واحدة ، واغسل رجلك اليمنى إلى الكعب واليسرى كذلك .

ويعلم الغسل بأن يقال له قل : بسم الله واغسل كفيك قبل أن تدخلهما فى الإناء ثلاثاً ناوياً الغسل ثم توضأ كما علمت ، ثم (٢) خلل أصول شعرك بالماء ثم

---

(١) استحسنت هذا ، لأن غير العربى لا يفهم معنى الشهادتين إذا نطق بهما أما العربى فإنه فاهم معناهما بمجرد النطق بهما . فلذا كان المشركون يأبون أن يقولوا لا إله إلا الله .

(٢) كيفية الغسل هذه واردة فى الصحيح . .

اغسل رأسك مع أذنيك ثلاث مرات ، ثم أفض الماء على شقك الأيمن من أعلاه إلى أسفله ، ثم الأيسر كذلك ظاهراً وباطناً ، قد تم غسلك مع وضوئك .

الخطوة الثالثة : الصلاة

فإذا توضأ واغتسل عُلِّم كيف يصلى ركعتين ، فيقف مستور العورة ، مستقبل القبلة ويكبر رافعاً يديه حذو منكبيه قائلا: الله أكبر ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا (١) الله والله أكبر. ثم يركع بأن يحنى ظهره ويمده واضعاً كفيه على ركبتيه قائلا: الله أكبر ويسبح وهو راكع قائلا: سبحان ربى العظيم ثلاث مرات فأكثر، ثم يرفع رأسه رافعاً يديه قائلا : سمع الله لمن حمده . ربنا لك الحمد حمداً طيباً مباركاً فيه وهو قائم معتدلاً ، ثم يهوى إلى السجود قائلاً : الله أكبر ، فيضع جبهته وأنفه على الأرض ويسبح قائلاً : سبحان ربى الأعلى ثلاثاً وأكثر ، ثم يرفع رأسه قائلاً : الله أكبر فيجلس ويقول وهو جالس : رب اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى . ثم يسجد كما سجد أولاً ، ثم يقوم قائلاً الله أكبر فيأتى بركعة أخرى على نحو ما فعل فى الأولى ، ثم يجلس فيتشهد قائلاً : التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ويصلى على النبى قائلا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، ويسلم قائلاً : السلام عليكم ورحمة الله ملتفتاً عن يمينه ، السلام عليكم ورحمة الله ملتفتاً عن يساره .

وإذا دخل وقت فريضة من الصلوات الخمس فليصلها كما يلى : فإن كانت الظهر أو العصر أو العشاء فإنه يصلى ركعتين ، ويجلس فيتشهد ثم يقوم فيصلى ركعتين ويتشهد ويسلم . وإن كانت المغرب فإنه يصلى ركعتين ويجلس فيتشهد ويقوم فيصلى ركعة ، ويجلس فيتشهد ويسلم، وإن كانت الصبح فيصلى ركعتين ويجلس فيتشهد ويسلم .

---

(١) يكتفى بهذا الذكر عن الفاتحة مادام لم يحفظها فإذا حفظها لا يجزئه إلا قراءتها .

الخطوة الرابعة : القراءة فى الصلاة

يعلم قراءة الفاتحة وأن الصلاة لا تصح بدونها مادام قادراً على تعلمها وحفظها ، وهى ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ فإذا قرأها فى الصلاة قال : آمين .

كما يعلم سورة الكافرون وهى ﴿ **قل ياأيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين** ﴾ .

* كما يعلم سورة الصمد وهى : ﴿ **قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ .

ويؤمر أن يقرأ بالفاتحة والكافرون فى الركعة الأولى من كل صلاته ،وبالفاتحة والصمد فى الركعة الثانية من كل صلاته ، وأما الركعتان الأخيرتان من صلاة الظهر والعصر والعشاء فإنه يقرأ فيهما بالفاتحة فقط وكذا الأخيرة من صلاة المغرب .

الخطوة الخامسة : نواقض الطهارة

يعلم أن الصلاة لا تقبل بدون طهارة وهى الوضوء والغسل وقد عرفهما فى الخطوة الثانية . وليعلم أن نواقض الوضوء ـ أى مفسداته ـ هى كل ما يخرج من السبيلين ـ مخرج البول ومخرج الغائط ـ من ريح وضراط وعذرة ، وبول ، ومذى ، فعندما يخرج واحد مما ذكر فسد الوضوء ولا تصح الصلاة حتى يتوضأ . كما يعلم أن من جامع امرأته فأدخل ذكره فى فرجها فقد وجب عليه الغسل ، وكذا إن احتلم فخرج منه منى فقد وجب عليه الغسل ، وكذا إن لامس امرأته فأمنى أي خرج منه المنى فقد وجب عليه الغسل فلا يجوز له أن يصلى أو يدخل المسجد أو يقرأ القرآن حتى يغتسل والمرأة كالرجل وتزيد عليه بغسلها من الحيض والنفاس ، فإذا حاضت المرأة وانقطع دمها وجب عليها الغسل وكذا إن نفست وانقطع دمها وجب عليها الغسل كذلك ولا تدخل المسجد وهى حائض أو نفساء

حتى ينقطع دمها وتغتسل ، ولا يجامعـها زوجها وهى حائض أو نفساء حتى تطهر بانقطاع الدم وتغتسل .

الخطوة السادسة : التنزه عن النجاسات

ولْيُعلَّم أن العبد إذا أراد الصلاة ينبغى لـه أن يكون متوضئاً ، وأن يكون بدنه وثيابه والأرض الـتى يصلى علـيها طاهرة أى ليس فـيها نجاسة . والنـجاسات هى البول والعذرة ، والدم ، وبول الحيوان الذى لا يؤكل لحمه وكذا روثه.

الخطوة السابعة : المحرمات

ويعلم المحرمات على المسلم هى فيما يلى :

فى المشارب : الخمر وكل مسكر والحشيشة ونظائرها .

فى المطاعم : الميتة ولحم الخنزير ، وما ذبح لغير الله،ومال الغير بدون رضاه .

فى الملابس : الذهب والحرير على الرجال لا على النساء .

فى المنـاكح :كل الـنساء إلا امرأتـه التى عقـد عليهـا عقداً شرعـياً،وهى من غـير محارمه[1] .

فى القول : الكذب ، شهادة الزور ، السب ، قولة السوء .

فى المعاملات : السرقة ، الغش ، خلف الوعد ، الغدر ، الخيانة ، الظلم .

فى الأخلاق : الكبر ، العجب ، الحسد ، الفخر ، الخيلاء .

فى الآداب : كشف العورة ، النـظر إلى عورة غيره ، الدخول على بـيوت الغير بدون استئذان منه .

الخطوة الثامنة : الزكاة

يعلم أن المسلم إذا كان له مال وبلغ نصـاباً وجب عليه أن يزكيه بإخراج جزء منه للفقراء والمساكين ، والأموال التى تجب فيها الزكاة هى ما يلى :

---

(١) المحارم هن : الأم والجدة والبنت والأخت والعمة والخالة ، وبنت الأخ وبنت الأخت والأم من الرضاعة والأخوات منها ، وأم الزوجة ، وزوجة الأب ، وزوجة الابن .

١ ـ الحبوب والثمار والواجب فيها العشر إذا بلغت نصاباً وهو خمسة قناطير ، وكانت تسقى بغير آلة ، وإلا ففيها نصف العشر لا غير .

٢ ـ بهيمة الأنعام وهى الإبل والبقر والغنم إذا حال عليها الحول وبلغت النصاب ، ونصاب الإبل خمسة أبعرة وفيها شاة (١) ، ونصاب البقر ثلاثون بقرة وفيها عجل (٢) ، ونصاب الغنم أربعون شاة وفيها شاة واحدة (٣) .

٣ ـ الذهب والفضة والعُمَل القائمة مقامهما اليوم إذا حال عليها الحول وبلغت نصاباً ، والنصاب فى الذهب سبعون قراما ، وفى الفضة أربعمائة وستون قراماً ، والعُمَل إذا بلغت قيمتها سبعين قراماً ـ زكيت بربع العشر كالذهب والفضة .

الخطوة التاسعة : صيام رمضان

يعلم أن صيام رمضان قاعدة الإسلام فلا يسلم العبد إلا إذا صامه وأن الصيام هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ورمضان هو الشهر التاسع من شهور السنة القمرية ويكون تسعة وعشرين يوماً ويكون ثلاثين ، فيصام لرؤية الهلال ، ويفطر لرؤيته والمسافر والمريض يفطران ويقضيان .

الخطوة العاشرة : حج بيت الله الحرام

يعلم أن الإسلام لا يتم إلا إذا حج العبد بيت الله الحرام بمكة المكرمة وذلك إن كان قادراً مالياً وبدنياً . فإن كان غير قادر فإسلامه كامل وإن لم يحج . والحج أن يحرم المسلم من الميقات بأن يتجرد من الثياب ويلبس إزاراً ورداءً ويلبى قائلاً : «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا

---

(١) ثم فى كل خمسة شاة. ففى العشرين أربع شياة . ثم إذا بلغت خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض من الإبل وهى ما كملت سنة ودخلت فى الثانية .

(٢) وإذا بلغت أربعين ففيها مسنة أوفت سنتين . فإذا زادت ففى كل أربعين مسنة . وفى كل ثلاثين عجل .

(٣) حتى إذا بلغت مائة وواحدة وعشرين ففيها شاتان ، ثم فى كل مائة شاة . . .

شريك لـك » . فإذا وصل مكة طاف بـالبيت سبـعة أشواط ، وسعى بين الـصفا والمروة سبعة أشواط . ووقف بعرفة يوم التاسع من شهر الحجة وهو الشهر الثانى عشر من شهور السنة القمرية .

ويعلم أن العبـد إذا خطا هذه الخطوات العشر فقـد دخل فى الإسلام وأصبح مسلماً ، وإذا ثـبت على إسلامه حتى مـات دخل الجنة بإذن الله تعـالى وكان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

المرحلة الثانية

وفيها عشر خطوات

الخطوة الأولى : لازم الإيمان

ليعلم المسلم أن للإسلام لازماً للإيمان بالله رباً وإلهاً موصوفاً بكل كمال منزهاً عن كل نقصان . لازماً وهو : الإيمان بملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره . فمن لم يؤمن بشيء من هذه بطل إسلامه وعاد إلى الكفر .

أما الملائكة : فهم خلق عظيم خلقهم الله تعالى من نور ، ﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ ، يسبحونه الليل والنهار ولا يفترون .

وأما الكتب : فإنها كثيرة بأيدى الناس منها اليوم أربعة: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن. وقد نسخها الله تعالى بالقرآن فلم يجز العمل بكتاب منها إلا القرآن العظيم ، فإنه جمع كل ما فى تلك الكتب من الهدى والنور قبل تحريفها وتبديلها . وأصبح القرآن كتاب الهداية والإصلاح لكل الأمم والشعوب المؤمنة به .

وأما الرسل : فإنهم كثير جاء فى القرآن الكريم ذكر خمسة وعشرين منهم . وأعاظمهم وهم أولو العزم خمسة هم نوح ، وإبراهيم ، وموسى ،وعيسى ، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين .

وأما اليوم الآخر : فهو يوم القيامة يبعث الله الأموات ويجمعهم لفصل القضاء ويجزى كل واحد بما عمل من خير أو شر فأهل الإيمان والعمل الصالح يدخلهم جنته ويحل عليهم رضوانه ، وأهل الكفر والشرك والمعاصى يدخلهم دار عذابه ويحل عليهم سخطه .

وأما القدر : فهو أن كل شيء خلقه الله تعالى ويخلقه فى هذه الحياة الدنيا من خير وشر قد كتبه الله فى كتاب المقادير قبل خلقه وإيجاده فلا يقع شيء فى هذه الحياة إلا سبق به علم الله تعالى ووقع بإذنه .

الخطوة الثانية : لازم الحب والبغض

ليعلم المسلم أن حب ما أحب الله تعالى وبغض ما أبغض من العقائد والأقوال والأفعال والذوات والصفات لازم لحب الله تعالى فمن أحب الله تعالى

وجب عليه أن يحب كل ما يحب الله تعالى ويبغض كل ما يبغض الله تعالى وبذلك يكون ولياً لله تعالى ، ومن أبغض ما أحب الله تعالى ، وأحب ما أبغض الله تعالى فهو عدو الله وليس بولى له ، إذ شرط الولاية الموافقة .

ليعلم المسلم أن تعلم سائر ما يحب الله تعالى وكيف يفعل ذلك لله تعالى ويتقرب به إليه واجب أكيد لا يصح إهماله أو التفريط فيه بحال. كما أن تعلم سائر ما يبغض الله تعالى ويكره من العقائد والأقوال والأفعال والصفات والذوات واجب أكيد أيضاً من أجل أن يتجنبه المسلم ويتركه ويكرهه لكراهية الله تعالى له.

إذ لازم محبة الله تعالى أن يحب العبد ما يحب ربه ويكره ما يكرهه وبهذا تتأكد الولاية بين العبد والرب تبارك وتعالى .

الخطوة الثالثة : زائد الصلاة

ليعلم المسلم أن للصلاة زوائد غيرها ؛ إذ الصلوات الخمس قاعدة الإسلام ، وزوائدها ـ نوافلها ـ كثيرة منها المؤكد ، ومنها غير المؤكد ، ومنها المستحب فقط . وفعل هذه الزوائد عن الصلوات الخمس يقرب من الله تعالى ويجلب محبته للمسلم ورضاه عنه ، وهذا أكبر ما يتمناه المسلم .وهذا بيان تلك الزوائد مفصلا :

أ ـ المؤكد منها وهو :

١ ـ رغيبة الفجر وهى ركعتان قبل صلاة الصبح .

٢ـ الوتر وهو ثلاث ركعات بعد صلاة العشاء .

٣ ـ صلاة العيدين وهى ركعتان فى جماعة .

٤ ـ صلاة الاستسقاء وهى ركعتان فى جماعة .

٥ ـ صلاة الخسوف والكسوف وهى ركعتان فى كل ركعة ركوعان .

ب ـ غير المؤكد منها وهو :

١ ـ صلاةالضحى وهى أربع ركعات فأكثر عند ارتفاع الشمس .

٢ ـ تحية المسجد عند دخول المسجد قبل أن يجلس وهى ركعتان .

٣ ـ ركعتان قبل صلاة الظهر ، وركعتان بعدها .

٤ ـ ركعتان قبل صلاة العصر .

٥ ـ ركعتان بعد صلاة المغرب .

٦ ـ ركعتان بعد صلاة العشاء .

جـ ـ المستحب منها وهو :

١ ـ قيام الليل وهو الصلاة فى آخر الليل إحدى عشرة ركعة فأكثر مع الوتر.

٢ ـ ركعتان بعد الوضوء .

٣ ـ ركعتان بين كل أذان وإقامة .

٤ ـ صلاة الحاجة وهى ركعتان يسأل الله تعالى بعدهما حاجته التى يريد قضاءها .

٥ ـ ركعتان فى مسجد الحى الذى يسكنه عند القدوم من السفر .

الخطوة الرابعة : زائد الزكاة

ليعلم المسلم أن الزكاة التى هى قاعدة الإسلام دونها صدقة التطوع ، وهى إنفاق مال فى سبيل الله يتقرب به المسلم إلى ربه عز وجل ليدفع عنه المكروه ، ويكشف عنه السوء ، ويبارك له فيما رزقه ، وليس لهذه الصدقة حد ولا عد وخيرها ما كان غير منقطع ولو كان قليلا ، وأكثرها أجراً الصدقة الجارية التى لا تنقطع زمناً طويلا كالأوقاف ، وبناء المساجد ودور الأيتام ، ومعاهد العلم . وصدقة الجهاد تضاعف بمليون ضعف وأقلها بسبعمائة ضعف .

الخطوة الخامسة : زائد الصيام

ليعلم المسلم أن صوم رمضان قاعدة الإسلام التى لا يقوم إلا بها وعليها وراءه صيام زائد عنه يتقرب به المسلم إلى ربه ليرفع به درجات ، ويقرب به من رضا ربه عز وجل وهو ما يلى :

١ ـ صيام ستة أيام من شهر شوال .

٢ـ صيام اليوم التاسع والعاشر من شهر المحرم وهو أول شهور السنة القمرية

٣ ـ اليوم التاسع من شهر الحجة وهو يوم الحج « عرفة » .

٤ ـ صيام ثلاثة أيام من كل شهر وهى الثالث عشر ، والرابع عشر، والخامس عشر .

٥ ـ يوم الاثنين ويوم الخميس من كل أسبوع .

٦ ـ صيام يوم وإفطار يوم من كل السنة وهو أعظم صيام التطوع وأفضله لمن قدر عليه ، ولم يخل بأمور دينه ودنياه .

الخطوة السادسة : زائد الحج والعمرة

ليعلم المسلم أن الحج الذى هو قاعدة الإسلام التى لا يقوم إلا عليها ولا يتم إلا بها دونه حج التطوع ، وهو أن من حج الفرض من المسلمين له أن يتطوع بحج واعتمار متى أمكنه ذلك ولو فى كل خمس سنوات مرة ، والتطوع بالحج والعمرة من أفضل أعمال البر وأعظم القرب التى يتقرب بها المسلم إلى ربه عز وجل ليرفعه درجات ما يكفر عنه السيئات .

والتطوع بالعمرة يكون مع الحج أو قبله أو بعده وكون العمرة فى رمضان أعظم أجراً إذ عمرة فى رمضان تعدل حجة مع النبى ﷺ والعمرة هى زيارة بيت الله للطواف به والسعى بين الصفا والمروة ويحرم لها المسلم كما يحرم للحج ، ويخرج منها بحلق شعر رأسه أو تقصيره .

الخطوة السابعة : ذكر الله تعالى

ليعلم المسلم أن ذكر الله تعالى من أعظم القرب وأشرف العبادات التى يكون بها القرب من الله تعالى وتعظم بها الصلة بالله تعالى ويحفظ بها المسلم من الوقوع فى الذنوب والآثام . وهو قسم خاص وعام .

فالذكر الخاص هو فيما يلى :

١ ـ قول : بسم الله عند كل عمل وقول ذى شأن ، كالأكل والشرب واللباس والجماع والركوب والخطابة والكتابة ودخول المسجد والمنزل ويجب قولها عند التذكية « ذبح الحيوان » ومعها : الله أكبر .

٢ ـ قول : الحمد لله ، بعد الفراغ من الأكل والشرب واللباس ، وعند حصول كل خير ونعمة .

٣ ـ قول : سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثاً وثلاثين، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له مرة واحدة بعد كل صلاة مفروضة .

٤ ـ قول : بسم الله ، والحمد لله ، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له

مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون مرة واحدة عند ركوب الدابة أو السيارة أو الباخرة أو الطائرة .

والذكر العام هو فيما يلي :

١ ـ قول : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم بلا حد ولا عد .

٢ ـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة فى الصباح .

٣ ـ قول : سبحان الله وبحمده مائة مرة فى اليوم أو الليل .

٤ ـ أستغفر الله بعد كل صلاة ثلاث مرات ، أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ، ثلاثاً بعد الصلاة المفروضة أيضاً .

٥ ـ قراءة القرآن العظيم آيات أو سورٍ من المصحف وبدونه .

٦ ـ الدعاء : رب اغفر لى وتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم بلا عد .

٧ ـ يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث بلا عدد .

٨ ـ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

الاستعاذة : وهى من الذكر الخاص وهى :

١ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند بداية القراءة للقرآن الكريم .

٢ ـ أعوذ بوجه الله العظيم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ، عند دخول المساجد ، ويزيد بعدها : اللهم صل على محمد اللهم اغفر لى ذنبى وافتح لى أبواب رحمتك ، وعند الخروج من المساجد كذلك .

٣ ـ أعوذ بالله من الخبث والخبائث الرجس النجس الشيطان الرجيم عند دخول المرحاض .

٤ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم آمنت بالله عند وجود وسواس فى النفس.

٥ ـ بسم الله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا عند الجماع .

٦ ـ اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ومن فتنة المسيح الدجال ، وفتنة المحيا والممات بعد التشهد الأخير من الصلوات الخمس، ويسلم بعدها .

الخطوة الثامنة : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

ليعلم المسلم أن من الواجب على المسلم إذا رأى معروفا قد تركه مسلم أن يذكره بفعله ويأمره به . وإذا رأى منكراً قد ارتكبه مسلم أن يذكره بتركه وينهاه عن فعله . وذلك عندما يتحقق أن المتروك حقاً هو معروف وأن المرتكب هو حقاً منكر ويأمر بالمعروف برفق وينهى عن المنكر بغير عنف فإن خاف الأذى ولم يطقه يسكت ولكن يغيره بقلبه فيكرهه ويبتعد منه ومن أهله .

الخطوة التاسعة : الجهاد فى سبيل الله

ليعلم المسلم أن الجهاد من واجبات الإسلام التى يجب على المسلم القيام بها، ويكون الجهاد بالمال كما يكون بالنفس ؛ فإن أمر إمام المسلمين به لقتال الكفار المحاربين ،أو المسلمين الباغين وجب على المسلم أن يجاهد بماله أو بنفسه أو بهما معاً .

وجهاد النفس واجب كذلك ، وهو حملها على أن تتعلم أمور الدين وتعمل بها وتعلّمها لغيرها من الناس .

الخطوة الأخيرة : طلب العلم

ليعلم المسلم أن طلب العلم من أوجب الواجبات التى على المسلم أن يقوم بها . والمراد بالعلم : معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ومعرفة ما يحبه تعالى من العقائد والعبادات والأخلاق والآداب والأحكام الشرعية ومعرفة ما يكرهه تعالى من ذلك كله . مع معرفة كيف يؤدى العبادات ، وكيف يجرى الأحكام .

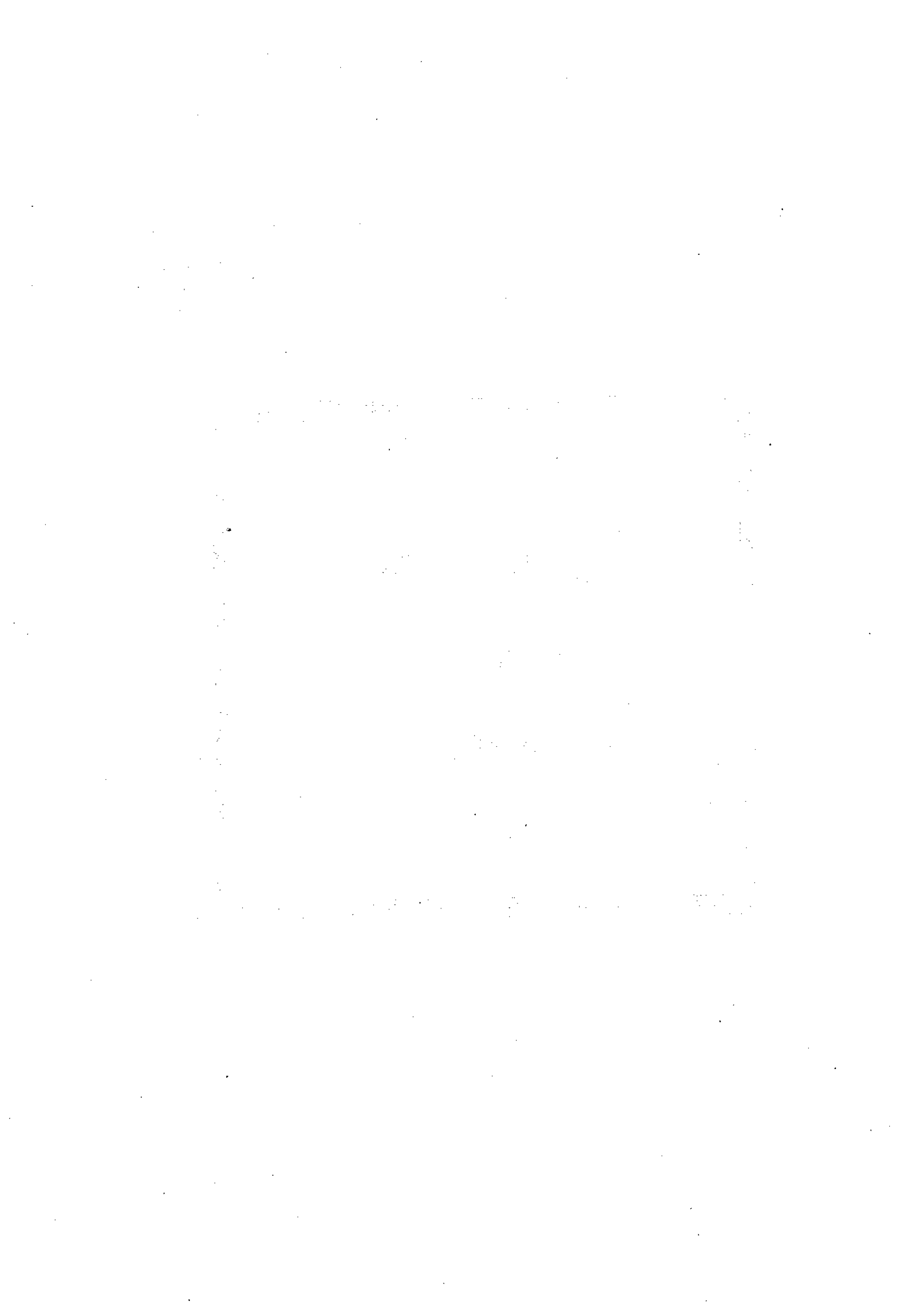
وأعظم العلم أن يعلم المسلم أنه لا يجوز له أن يعتقد أو يقول أو يعمل حتى يعلم حكم الله تعالى فيما أراد أن يعتقده ،أو يقوله أو يعمله فإن علم اعتقد أو قال أو علم ، وإن لم يعلم يسأل أهل العلم لقول الله تعالى : ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾.

وأخيراً : فليعلم كل من يطلع على هذه الرسالة أن كل ما جاء فيها من عقائد وعبادات وواجبات وتعاليم هو من كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الرسالة السابعة والعشرون

نصيحـة إيمانيــة

إلى عـصابة الطريقة العزمية



بسم الله الرحمن الرحيم

نصيحة إيمانية

إلى عصابة الطريقة العزميّة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ! أيها العزميون لقد وصلنى العدد الواحد والستون من مجلتكم « الإسلام وطن » وهى تحمل حملة شعواء منكرة عجيبة على كل من السلفيين والإخوان المسلمين فى العالم الإسلامى بصورة عامة ، وعلى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وناصحكم الجزائرى وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز والحكومة السعودية بصورة خاصة .

وهذه افتراءاتكم وأباطيلكم أيها العزميّون أضعها أمام القارئ المسلم ليعرف أولا حالكم وما عليه من البغض والعداء للإسلام الحق والمسلمين الصادقين ، ولنظهر زيفها وبطلانها أمام العالم الإسلامى ثانيا ! !

(أ) كتب شيخ طريقتكم الصوفية أبو العزائم تحت عنوان « أيها القرنيون هلا فقهتم ؟» ابن تيمية زلّ فى عقيدته فى الخالق فقد قال بالتجسيم والتشبيه !

(ب) وكتب أحمد البدوى يقول . . وجد [1] كل الطوائف التى تنتمى لفكر السلفية من إخوان مسلمين ــ جهاد ــ تكفير ــ هجرة ــ قطبيين . . الخ ، وكل جماعة تصلى وراء إمام ، وتعتقد أن الأخرى كافرة !!! .

وكتب أيضا يقول : أبو بكر الجزائرى الكاهن الوهابى . . . الخ وكتب أيضا يقول : كبير الكهنة الوهابية عبد العزيز بن باز . . . الخ ، وكتب أيضا يقول : لكن الإرادة الإلهية شاءت أن توقع المكفرين فى المكفرين .

وواصل طعنه المجنون فيقول : إن تلك الأفكار التى يبثها الوهابية . . . الخ ووضعت وزارة المستعمرات الانجليزية وقتئذخطة دقيقة لهدم الإسلام ليقوم بتنفيذها قرن الشيطان النجدى . . . . إلخ .

وواصل هراءه قائلا : ومازالت الأفكار الوهابية مرتبطة بأعداء الأمة الإسلامية . . وتختم عصابة العزمية حملتها بقول بطلها البدوى : وأعتقد يقينا

---

(١) يعنى أن أحدا زار السجن فى مصر فوجد . . . إلخ .

أننا ندرك الآن كيف تمارس الوهابية بكهنتها وسدنتها وقادتها عملية خداع وتضليل المسلمين فى الوطن الإسلامى باسم الإسلام وتجديده .

كانت تلك بعض افتراءاتكم وأباطيلكم أيها العزميون الساخطون على السلفيين ودولة التوحيد وحماتها ، وإلى القارئ الكريم بيان زيفها وبطلانها ، وما تدل عليه من سوء قصدكم وفساد قلوبكم ، ياإخوة الكيد للإسلام والمسلمين ! لا أكثر الله من أمثالكم آمين .

قول شيخكم عز الدين ماضى أبى العزائم : أيها القرنيون هلا فقهتم !! والسؤال الآن هو من هم القرنيون ؟ والجواب : إنه يعنى السلفيين أعداء الشرك وأهله ووسائله ومظاهره من تقديس مشائخ الطرق ، وضرب القباب ، وشد الرحال إلى أضرحة الأولياء للعكوف عليها ودعائها وتقديم القرابين لها من ذبح ومال لسدنتها الضالين المضلين من أمثال دعاة الطريقة العزمية .

وإن قلت أيها القارئ الكريم : كيف أطلق أبو العزائم لفظ القرنيين على السلفيين ؟ والجواب : هو أنه لحنقه وتغيّضه على الدعوة السلفية التى قضت على التصوف ورجاله ، والطرق الصوفية ودعاتها ، وما كانت تجنيه من أموال وما تتربع عليه من كراسى التبجيل والتعظيم من أغلب أفراد الأمة الإسلامية التى جهّلها الاستعمار الغربى بأيدى رجال الطرق ومشائخ التصوف لم يجد أبو العزائم ما يشفى به صدره سوى أن ينسب أعداءه السلفيين إلى الشيطان إذ جاء فى الحديث الشريف (١) : أن الشمس تطلع على قرن الشيطان فلذا تحرم صلاة النافلة عند طلوعها ، كما أنه يشير إلى حديث آخر صحيح وهو أن النبى ﷺ قال : «اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا »، قال بعض الصحابة وفى نجدنا ــ يعنى الشرق ــ فقال ﷺ : « هناك الزّلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان (٢) » أى من ثَمَّ يخرج قرن الشيطان ، وهذا دال على ما تقدم من أن الشيطان يُرى عُبّاده أنه يحمل الشمس بقرنيه حين طلوعها .

ودال على أن الفتن تأتى من الشرق وفعلا قد جاءت فتن عظام من الشرق فالخوارج كانوا فى الشرق والروافض في الشرق ، والتتار فى الشرق وهى فتن

---

(١)كما عند البخارى ومالك فى موطئه .

(٢) رواه البخارى .

عظام إلا أن أعداء التوحيد من مشايخ الصوفية والطرقية عَمُوا عن كل ذلك ورَأوْا أن دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ تغمده الله برحمته ـ التى قام بها بالديار النجدية من جزيرة الإسلام فأنقذ بها المسلمين من الشرك والجهل وعبادة القبور ، وصرف عنهم الخرافة والضلالة والبدعة ، وعاد بهم إلى عهد سلف الأمة الصالح وهو أن يعبد الله تعالى بما شرع فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ. فلما رأى أعداء الإسلام من رجال الاستعمار أوْعَزُوا إلى رجال الطرق والزوايا فى بلاد الإسلام الرازحة تحت كَلْكَل استعمارهم أوعزوا إليهم أن ينددوا بداعية الإصلاح ورجاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما انضم إليهم من علماء بُصراء فقام خطباء المساجد ومدرسو الفقه فيها بحملة منكرة وهى تكفير الشيخ وتلامذته وكل من دعا بدعوته فى العالم الإسلامى ونسبوهم إلى مذهب خامس(١) زائد على المذاهب الأربعة كما فعلوا بشيخ الإسلام أحمد بن تيمية فى القرن السابع ، إذ مازالت مؤلفاتهم ورسائلهم تحمل تكفير شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكذا شيخ الإسلام ابن عبد الوهاب رحمهما الله برحمته الواسعة .

وبعد أن ظهرت دعوة الحق وطلعت شمس الهداية الإلهية وأوجد الله بتلك الدعوة الصحيحة السليمة دولة عبد العزيز بن سعود ، هذه الدولة التى أرت العالم نموذجا صالحا للدولة الإسلامية رجاء أن يقتدى بها دول الأمة الإسلامية ، ولكن مع الأسف الشديد أنهم حرموا الاقتداء بها والانضمام إليها فكانت دول العالم الإسلامى دولا لا إسلامية فلا يؤمر فيها بإقام الصلاة ولا بجباية الزكاة ولا يؤمر فيها بمعروف ولا ينهى عن منكر ، وسبب هذه الصرفة الحاقدة أن أعداء الإسلام من مجوس ويهود ونصارى وأعوانهم من رجال الطرق ودعاة التصوف المزيَّف

(١) قالوا : هذا الباطل والافتراء المقيت وهم يعلمون أن مذهب الشيخ محمد وتلامذته هو المذهب الحنبلى أحد مذاهب أهل السنة والجماعة ، ولكنه المكر والخديعة والتضليل المتعمد ، وعموا أو نسوا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب تميمى الأصل عريق النسب فى بنى تميم لا يشك فى هذا ذو عقل ولا ذو علم من الناس إن بنى تميم الذين هم قوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآل سعود هم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ :«هم أشد أمتى على الدجال » رواه البخارى . وقال فيهم أبو هريرة رضى الله عنه : ما زلت أحب بنى تميم منذ ثلاث سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هم أشد أمتي على الدجال »، وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله ﷺ : « هذه صدقات قومنا » وكانت سبية منهم عند عائشة رضى الله عنها فقال لها رسول الله ﷺ : «اعتقيها فإنها من ولد إسماعيل » رواه البخارى .

قاموا بحملة ضد الدولة السعودية التى لم تر الدنيا فى أيامنا هذه أطهر منها ولا أعدل ولا أرحم ، ولا أدل على ذلك من قول أبى العزائم وأحمد البدوى هذا القول العفن الكاذب الباطل الذى يكفر فيه السلفيين على الإطلاق وهّابيين ـ كما يقول ـ أو غير وَهّابيين من إخوان مسلمين وهم يعلمون أن من كفَّر مسلما فقد كفر . . . (١).

ومواصلة لفضح جريمة العزميين أقول: إن قول البدوى: (أبو بكر الجزائرى الكاهن الوهابى) هذه المقولة الباطلة قد كفر بها الكاتب العزمى إذ كفَّر مسلما ، لأن الكاهن كافر بل شر كافر .

إن السبب الحامل له على تكفير الجزائرى هو لما علم أن الجزائرى داع إلى الله تعالى بدعوة الرسول ﷺ القائمة على التعريف بالله وبمحابه ومكارهه وكيف يؤدى المؤمن تلك المحاب ، وكيف يستجنب تلك المكاره ، وضمَّن ذلك التنديد بالشرك وأهله وبيان مظاهر الشرك فى الأمة الإسلامية والتحذير من دعاة الشرك؛ والبدع . وفعلا قد رأى آثار تلك الدعوة الإصلاحية السلفية فى البلاد المصرية لذا أعلن الحرب على السلفيين ، وكفّر الجزائرى المسلم وكفّر أيضا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ الذى كثيرا ما أقول اللهم زد فى عمره من عمرى وذلك لكثرة نفعه وقلة نفعى للإسلام والمسلمين ـ كفّره بقوله : (كبير الكهنة الوهابية عبد العزيز بن باز). إن هذا القول الذى قاله فى أعلم رجل وأتقاه وأكثره نفعا للإسلام والمسلمين لم يجرؤ على قوله يهودى ولا نصرانى من أعداء الإسلام وخصومه فكيف يقوله من يدعى الإسلام والوسطية (٢) فيه ، لا أشك أن الحامل له على هذا هو تغيضه الفائق وحقده الذى لا حد له على السلفية التى تنشرها دولة آل سعود الأماجد بواسطة علمائها وأموالها أداء لواجب الدعوة إلى الله تعالى بأن يعبد الله تعالى وحده بما شرع ليطهر العابدون ويزكوا فيكملون ويسعدون فى الحياتين .

وأخيرا فإنى أدعو بحرارة وصدق رجال عصابة العزمية بالديار المصرية أن

---

(١) رواه مسلم بمعناه .

(٢) هذه دعوى جاءت فى مجلتهم وأنهم يدعون إلى الدين الوسط أى لا إفراط فيه ولا تفريط وهم ورب الكعبة لكاذبون !!

يعلنوا عن توبتهم الصادقة ويتخلوا عن طريقتهم المبتدعة الضالة وينضموا إلى ركب السلفية وهى الفرقة الناجية لا غير طلبا لنجاة أنفسهم من النار ، إذ قال الرسول الكريم محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم : « افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ففى الجنة »، فقال أحد أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين : من هم يارسول الله ؟ قال : « هم الذين يكونون على ما أنا عليه اليوم وأصحابى » (١) .

وبهذا رسم طريق النجاة عن النار وهو أن يكون العبد فى عقيدته وعبادته وأحكامه وأخلاقه وآدابه على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، وهذا يتم للعبد بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ بعد العلم بهما .

والسؤال الواجب طرحه هنا هو : هل كان لرسول الله ﷺ وأصحابه مذاهب وطرق سوى صراط الله المستقيم الذى ما من مؤمن ولا مؤمنة إلا وهو يسأل الله تعالى الهداية إليه والثبات عليه ، وذلك فى قول المصلى : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » وهذا الذى بيّنه (٢) رسول الله ﷺ حينما خط خطا مستقيما وخط على جنباته خطوطا ، وقال: هذا سبيل الله وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، **﴿ وأنَّ هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتَّبعوا السُّبل فَتَفَرَّقَ بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾** (٣) أى إنه باتباعنا صراط الله الذى تركنا (٤) رسول الله ﷺ عليه نتقى عذاب الله فى الدنيا والآخرة .

لذا فإنه لا نجاة من خزى الدنيا وعذاب الآخرة إلا باتباع صراط الله المستقيم الذى كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، فهل ياتُرى كان لهم طريقة أو مذهب أو شيخ أو إمام يتبعونه فلا يَرِدُون ولا يَصْدُرون إلا عليه ، ولو خالف كتاب الله

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه أحمد فى مسنده والحاكم فى المستدرك واللفظ له .

(٣) الأنعام : (١٥٣) .

(٤) يشهد لهذا قوله ﷺ : « قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك » رواه أحمد فى مسنده .

وسنة رسوله ﷺ ؟

والجواب لا ، لا والله ماكان لهم إلا كتاب الله وهدى رسوله محمد ﷺ ، فوالله ماعرفوا مذهبا اعتزاليا ولا أشعريا ولا خارجيا ولا رافضيا ، ولاعرفوا طريقة نقشبندية ولا تجانية ولا عزمية قط ،ولا اتبعوا غير صراط الله المستقيم الذى جاء به كتاب الله وبيّنه رسول الله ﷺ .

ومن هنا كانت السلفية لا تعنى أكثر من أن على كل عبد يريد النجاة من النار أن يجتهد فى أن يكون فى عقيدته وعباداته وقضائه وآدابه وأخلاقه على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ولذا لا أرى حاجة إلى أن يقول المرء : (أنا سلفى) أو الجماعة الفلانية سلفية ، إذ واجب كل مسلم أن يكون سلفيا بمعنى أن معتقده وعبادته وقضاءه وأخلاقه وآدابه على نحو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، وعندئذ فكلمة « مسلم أو مؤمن » تُغنى عن كل انتساب، والله عز وجل عرّف المسلمين بقوله : ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله**﴾ [١] ، وقال تعالى فيهم : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم** ﴾ [٢] .

والرسول ﷺ عَرّف المسلم والمؤمن بالإسلام والإيمان فى أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى » [٣] ، وقال « المسلم أخو المسلم » [٤] ، وقال : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » [٥] ، وقال : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه الشريفة» ﷺ[٦] وصحابته وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وهذا هو المنهج الذى انتهجته بتوفيق من الله وعون منه سبحانه وتعالى إذ جلست بالمسجد النبوى الشريف ملتقى العالم الإسلامى أربعين سنة أعلم طالبى العلم وأجيب سائله ولم أخرج عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قيد شعرة وأنا

---

(١) التوبة : (٧١) .
(٢) الحجرات : (١٠) .
(٣) متفق عليه .
(٤) رواه البخارى .
(٥) رواه مسلم .
(٦) رواه البخارى .

أعلم بذلك ولا أقول للطالب ولا للسائل ما مذهبك ولا ما طريقتك ؟ وأكتفى ببيان الهدى المحمدى له ليأخذ به إن وفق لذلك .

وألفت عقيدة المؤمن على ضوء معتقد رسول الله ﷺ ومعتقد أصحابه والأئمة الأربعة أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد ولم أخرج فى ذلك قيد شعرة عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وأنا جازم أنه ما من مؤمن يأخذ بما فى هذا الكتاب من معتقد إلا كان من الفرقة الناجية .

وألفت منهاج المسلم وهو كتاب شامل للعقيدة والآداب والأخلاق الإسلامية والعبادات والمعاملات التى هى بيان الحلال والحرام والجائز والممنوع فى البيع والشراء والمناكح والمطاعم والمشارب والملابس وبيان الحدود وإقامتها والجهاد وأحكامه ولم أخرج فى هذا الكتاب عن الكتاب والسنة وفقه الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى ، لذا انتفع به أهل السنة والجماعة من أهل المذاهب الأربعة .

ولا أدرى عمن خرجوا عن أهل السنة والجماعة كالزيدية والإباضية والإمامية والجعفرية هل انتفعوا به أو لا ولا إخالهم ينتفعون به لأن أئمتهم وعلماءهم يحولون بينهم وبينه للإبقاء عليهم خاضعين لهم تابعين لما يهدونهم إليه .

أما أهل السنة والجماعة فقد انتفعوا بهذا الكتاب فى الشرق والغرب وبذلك أصبحت الأمة إلى طريق الاجتماع أقرب منه إلى طريق الافتراق كما كانت قبل القرن الماضى ١٣٠٠ هـ .

ثم ألفت رسالة سميتها الدستور الإسلامى تشتمل على بيان بيعة الإمام وكيفية إدارة شئون المسلمين دينا ودنيا سياسة ومالا واقتصاداً على ضوء الكتاب والسنة وفقه الأئمة ورغبت أن يُطبع مع كتاب المنهاج ليصبح كتاب المنهاج دستورا لأمة الإسلام ونبهت إلى أنه ينبغى أن تتكون لجنة عليا من فقهاء المذاهب الأربعة وتنظر فيما يجد من الأمور وما يظهر من الأحداث فتنظر فى الكتاب والسنة ثم فى فقه الأئمة وما تراه أقرب إلى رضا الله تعالى تلحقه بالمنهاج الذى هو دستور الأمة، وقد عرضت هذا الدستور على أكثر الملوك والرؤساء فى الأمة الإسلامية فلم يوفق أحد للنظر فيه والأخذ به (١) .

---

(١) وكتبت رسالة سميتها (الدولة الإسلامية) عرضت فيها قواعد الدولة الإسلامية فى تكوينها وسياستها فى كل مجالات الحياة دينا ودنيا وضمنتها أمثلة ونماذج للكمال الإسلامى الفذ فى هذه الحياة ،ولم يرغب حاكم ولا محكوم فى النظر فيها وتطبيقها فى واقع الحياة ممن لم يحكموا شرع الله فى مواطنيهم .

ونظراً لتهيُّؤ الأمة الإسلامية فى هذه الآونة لقبول الحق والعمل به مادام يحقق لها وحدتها وكمالها وسعادتها إذ دلَّ على ذلك كما قدمت قبول أكثرها للعمل بما فى كتاب المنهاج لكونه من الكتاب والسنة ولم يخرج عن فقه الأئمة الأربعة أئمة أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى أجمعين .

فقد خطوت ــ بإذن الله تعالى ــ خطوة مباركة فى طريق وحدة أهل السنة والجماعة وهى أنى ألفت كتابا سميته (كتاب المسجد وبيت المسلم) ضمنته ثلاثمائة وستين آية وحديثا نبويا صحيحا مشروحا مبينا لما تضمنته الآية والحديث من هداية إلهية تقود إلى السعادة والكمال فى الحياتين ، فلو أن العلماء يتجردون لله عز وجل فلم يبق فى قلوبهم إلا حب الله تعالى وخشيته فيأخذون فى الدعوة الصادقة إلى نشر هذا الكتاب ــ كتاب المسجد وبيت المسلم ــ بين كافة المسلمين عربا وعجما حتى لا يبقى مسجد فى حى من أحياء المدن ولا مسجد فى قرية من القرى الإسلامية ولا بيت من بيوت المسلمين إلا والكتاب يقرأ ويدرس فيه كل ليلة وعلى مدار السنة : ليلة آية وليلة حديثا .

إنه بهذه الحال حسب سنة الله تعالى لا يبقى بين أفراد مسجد الحىّ ، ولا أفراد مسجد القرية ولا أفراد الأسرة لا يبقى بينهم ولا فيهم ولا معهم جاهل بالله تعالى وبمحابه وبمكارهه و لا بما عنده لأوليائه ، ولا بما لديه لأعدائه ، ويومها يختفى الخلاف وتنتهى الفرقة ويذهب الشر والفساد والخبث ويحل محلها الخير والصلاح والطهر والصفاء ، وتتجلى الأخوة الإيمانية وتظهر المودة والرحمة الإسلامية فلا يبقى بين إخوة الإيمان جائع ولا عار ، ولا بين إخوة الإسلام مظلوم ولا مهضوم وتتقارب أمة الإسلام ويدنو بعضها من بعض فلا تلبث أن تلتحم وتصبح أمة واحدة تعيش تحت راية الحكم الإسلامى الرحيم العادل القوى العزيز الظاهر . ويومها تمد يدها للبشرية الهابطة والتائهة فى أودية الضلال فتنتشلها من وَهْدَة الكفر والظلم والشر والخبث والفساد ، وعندها يتحقق الموعود على لسان سيد كل مولود محمد ﷺ فى قوله الثابت الصحيح : «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز، وذل ذليل. عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر » (١) .

---

(١) رواه أحمد فى مسنده .

ويومها يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وأخيرا !! لا يفوتنى أن أوجه ندائى من المدينة النبوية المنورة الشريفة إلى المسئولين فى جمهورية مصر العربية بأن يوقفوا صاحب تلك المهاترات التى يثيرها مع مريديه وإخوان طريقته : عز الدين ماضى أبو العزائم ، حيث إنها لا تعمل إلا على هدم الكيان الإسلامى المتماسك والذى تنشد الأمة المسلمة زيادة توطيده وتثبيته إذ رمى علماء المملكة العربية السعودية وعلى رأسهم مفتى ديارها بصفة الكهانة ــ يعنى ضمننا تكفيرهم وبالتالى تكفير هذه الدولة الإسلامية التى أخذت على نفسها بفضل من الله تعالى حماية مقدسات المسلمين وخدمة الحرمين الشريفين جزاهم الله خيرا وكلَّل خطاها بالتوفيق والسداد آمين .

هذا وأعود مرة أخرى إلى أصحاب الطريقة العزمية وعلى رأسهم أبو العزائم شيخ الطريقة لأدعوهم إلى التوبة النصوح وذلك بالتخلى عن طريقة الضلال والانضمام إلى طريقة الهداية والفلاح ، وذلك بأن يعبدوا الله تعالى بما شرع فى كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺوأن يرفضوا البدع ظاهرا وباطنا ويتعلموا هدى الله من الكتاب والحكمة وتفسير أئمة الهدى من سلف هذه الأمة الصالح لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى رأسهم أئمة الإسلام الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد رحمهم الله أجمعين ورحمنا معهم بمنه وكرمه إنه جواد كريم بر رحيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبها

راجى عفو ربه ومغفرته

أبو بكر جابر الجزائرى

الواعظ بالمسجد النبوى الشريف

فى ١٧/٦/١٤١٣ هـ

الرسالة الثامنة والعشرون

كتـــاب مفتوح

إلى مسؤولى أمة الإسلام
علماءَ وحكاماً



دعوة صالحة

أسأل الله عز وجـل خـير الدنيا والآخرة لكل مؤمن يرفـع هـذه الرسالة إلـى مسؤولى الأمة مـن علماء وحكام ليقوموا بواجبهم فى إنقاذ أمتهم مما هى فيه من الجهل والشر والفساد .

بسم الله الرحمن الرحيم

نص الكتاب

بسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه ، ومن آمن به واهتدى بهداه .

أما بعد فإن المسؤولين عن أمة محمد ﷺ بعده هم علماؤها وحكامها ، إذ ورد فى الأثر الصحيح : « صنفان من الناس إذا صلحا صلحت الأمة ، وإذا فسدا فسدت الأمة : العلماء والأمراء » . ويكفى فى الدلالة على مسؤوليتهما وضمان صلاح الأمة فى صلاحهما ، وفسادها فى فسادهما : أمر الله تعالى بطاعتهما بعد طاعته وطاعة رسوله ﷺ فى قوله عز وجل فى سورة النساء : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾ الآية .

ومن هم أولو الأمر من المسلمين إن لم يكونوا العلماء والأمراء ؟

إن عامة أهل التفسير على أنهم العلماء والأمراء ، إذ هم الذين يأمرون بأمر الله وأمر رسوله ، وينهون بنهى الله ونهى رسوله ﷺ .

فالعلماء يأمرون وينهون لعلمهم بأوامر الله وأوامر رسوله ونواهيهما . . .

والأمراء يلزمون الأمة بفعل أوامر الله وأوامر رسوله ، كما يلزمونها بترك ما نهى الله عنه ، ونهى عنه رسوله ﷺ ، وذلك لسلطانهم المخول لهم من قبل الله سبحانه وتعالى ، إذ أمر تعالى بطاعتهم فيما أمر به وأمر به رسوله وفيما نهى عنه تعالى ونهى عنه رسولهﷺ .

وسر هذه الطاعة لله ورسوله وأولى الأمر والحكمة منها هو كمال الفرد والأمة وسعادتهما ، إذ أوامر الله ورسوله لا تكون إلا بما فيه سعادة الفرد والأمة كما أن نواهيهما لا تكون إلا عما فيه شقاء الفرد والأمة وخسرانهما ، وذلك لعلم الله تعالى وحكمته ورحمته بعباده .

وتقريراً لهذه الحقيقة التى هى صلاح الأمة فى صلاح علمائها وأمرائها ، وفسادها فى فساد علمائها وأمرائها نلقى نظرةً فاحصة على تاريخها الطويل ، فإننا نرى بكل تأكيد أن ما بلغته أمة الإسلام من عز وسيادة ، وطهر وصفاء وسعادة

وهناء فى قرونها الذهبية الثلاثة الأولى كان نتيجة صلاح أمرائها وعلمائها ، وأن ما بلغته فى فترات من تاريخها بعد ذلك من ذل وهُونٍ ، وفساد وشقاء كان نتيجة فساد علمائها وأمرائها .

وهذا تفصيل لما أجمل فى تلك النظرة التاريخية السريعة الخاطفة فلننظر إليه بعناية فى الصفحات التالية :

الأولى : إن الإسلام الذى هو إسلام القلب والوجه لله تعالى بدأ برسول الله ﷺ ، ثم برجل حر هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ورجل مملوك هو بلال، وطفل صغير هو على بن أبى طالب ، وامرأة حرة هى خديجة رضى الله عنهم أجمعين ، ولم يمض ربع قرن أى خمسة وعشرين عاماً حتى دخل فيه سكان ما دون نهر السند شرقاً إلى الأندلس غرباً ، ووالله ما أُكره - فيما أعلم - على الدخول فيه ، - أى : فى الإسلام - رجل ولا امرأة ، وإنما ما إن لاحت أنوار طاعة الله ورسوله وأولى الأمر حتى دخل الناس فى دين الله - الإسلام - أفواجاً، كانت هذه صورة لاتساع رقعة الإسلام ، ودخول الأمم والشعوب فيه ، وأخرى فى الطهر والصفاء والعدل والرحمة ، وهذه نماذج مصغرة لها :

الصورة الأولى : العدل والرحمة :

لقد صح سنداً ودراية أن علياً رضى الله عنه قد فَقَدَ يوماً درعه فوجدها فى يد يهودى ، فقاضاه إلى قاضيه شريح ، وجلس إلى جنب القاضى ، وقال معتذراً: لولا أن خصمى يهودى لاستويت معه فى المجلس ، ولكننى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أصغروهم من حيث أصغرهم الله » - أى أذلوهم - وقال القاضى : قل يا أمير المؤمنين !! فقال : نعم هذه الدرع التى فى يد هذا اليهودى درعى لم أبع ولم أهب . فقال شريح القاضى : ماذا تقول يا يهودى ؟ فقال اليهودى : درعى وفى يدى . فقال القاضى : ألك بينة يا أمير المؤمنين ؟ فقال : نعم قنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعى ، فقال شريح القاضى : شهادة الابن لا تجوز للأب . فقال على : رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ». فقال اليهودى : أمير المؤمنين قدمنى إلى قاضيه وقاضيه قضى عليه ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن الدرع درعك يا أمير المؤمنين .

والآن هل تجلت هذه الصورة فى العدل فى غير الإسلام وأهله وأيام صلاح الأمراء والعلماء ؟

إنه حاكم عام يتقاضى إلى أحد قضاته ويحكم عليه ولا يغضب ولا يسخط ويسلم بالحكم ولا يتوعد ولا ينتقم أو يهدد .

فهل تم هذا أو وقع فى غير الإسلام وأهله ، أو يمكن أن يتم ويقع فى غيره من أنظمة البشر وقوانينها الجاهلية ؟؟

كانت هذه صورة فى العدل ومثلها والله كثير ، وها هى ذى أخرى فى الرحمة . .

فقد أخرج ابن عساكر عن أبى صالح الغفارى : « أن عمر رضى الله عنه كان يتعهد عجوزاً كبيرة السن عمياء فى بعض أطراف المدينة النبوية يسقى لها ، ويقوم ببعض أمرها ، وذلك من الليل ، فكان يأتيها أحياناً فيجد غيره قد سبقه إليها فسقى لها ، وقضى لها بعض حاجاتها ، وحاول عمر رضى الله عنه أن لا يسبقه إلى خدمة هذه العجوز ، فكان يسبقه ـ مع الأسف ـ فعزم عمر على أن يرصده ليعرف من هذا السباق للخير فوجده أبا بكر الصديق رضى الله عنه » . فلننظر إلى مقام هذين الخليفتين ومنزلتهما العالية فى الأرض وفى السماء على حد سواء ، وهما يتسابقان إلى خدمة ورحمة عجوز عمياء مهجورة فى أطراف المدينة ، فهل مثل هذه الرحمة يتم ويقع فى غير الإسلام وأهله الصادقين فيه القائمين عليه بالعلم والعمل .

وها هى ذى صورة ثالثة فى الزهد فى طلب المناصب التى يطلبها من يطلبها عند فساد العلماء والأمراء بالحيل والرشوة والخيانة للعهد والأمانة معاً ، كما هو واقع الأمة الإسلامية يوم فقدت صلاح أمرائها وعلمائها ، إنها صورة صادقة فى الزهد فى طلب المناصب والوظائف للجاه والمال .

فقد روى وصح أن الإمام الشافعى رحمه الله تعالى قال للخليفة هارون الرشيد : « يا أمير المؤمنين : « إن اليمن يحتاج إلى قاض » ، فقال هارون الرشيد الخليفة رحمه الله تعالى للإمام الشافعى رحمه الله تعالى : « اختر رجلاً نوله إياه»، فقال الشافعى لتلميذه الإمام أحمد بن حنبل وكان يتردد عليه لطلب العلم :

« ألا تقبل قضاء اليمن يا أحمد ؟ » فرد عليه الإمام أحمد قائلاً : « إنما أختلف عليك لطلب العلم المزهّد فى الدنيا ، فتأمرنى أن آتى القضاء ، ولولا العلم لما كلمتك بعد اليوم » ، فاستحى الشافعى وسكت !!» .

إن هذه الصور الثلاث لمظاهر العدل والرحمة والزهد . . . إنها وغيرها من صور الكمال الذى عرفته أمة الإسلام أيام علمها وطهرها وعزها وسيادتها لا يأتى عليها عد ، ولا يحصيها فرد ، وقد كانت ووجدت يوم تعاون الأمراء والعلماء على صلاح الأمة وكمالها وطهارتها وسعادتها وعزها وسيادتها ، كانت هذه الصفحة الأولى .

والثانية : إنها يوم اختل ذلك التعاون المفلح المربح المسعد لأمة الإسلام بين العلماء والأمراء ، ولما اختل الناس بفساد العلماء والأمراء إلا من رحم الله ، ظهر الجهل والظلم والشر والفساد ، وهبطت أمة الإسلام من سماء مجدها وكمالاتها إلى مستوى أرضى هابط لا ترتفع عنه ، ولا تعود إلى سماء كمالاتها التى عاشت فيها وعمرتها ثلاثة قرون إلا بالتعاون الصادق بين العلماء والأمراء الصالحين ، التعاون على تربية الأمة بدنياً وخلقياً وعقلياً وروحياً بعد تزكية نفوسها بالإيمان الصحيح والعمل الصالح ، وإبعادها عن كل مدسيات النفوس من الشرك والمعاصى وكبائر الذنوب والآثام ، إن هذه التربية وهذه التزكية هى التى رفعتها إلى سماء كمالاتها ، وهى التى تعود بها اليوم أيضاً إلى مستواها الرفيع الذى عاشته قروناً عدة ، وذلك متى صلح العلماء والأمراء وتعاونوا على تربيتها وتزكيتها . كانت تلك صور لرفعة الأمة وسعادتها وكمالها .

وهذه صور أخرى كنماذج لهبوط الأمة وفسادها وخسرانها فلننظر إليها بعين الاعتبار رجاء أن نعمل على تغيير هذا الواقع المرير الذى تعيشه أمة الإسلام اليوم ومنذ ألف سنة تقريباً .

فالصورة الأولى : الفرقة ، وما الفرقة ؟! إنها التمزق والاختلاف الذى أصبحت به أمة الإسلام أمماً ، ودولة الإسلام دولاً ، ودين الإسلام أدياناً ، مذاهب وطرائق قدداً ، ولسنا فى حاجة إلى تفصيل هذه الفرقة وهذا الخلاف إذ الواقع شاهد .

الصورة الثانية : الجهل ، وما الجهل ؟ إنه الجهل بالله تعالى رباً وإلهاً ذا

أسماء حسنى ، وصفات علا ، وبمحابه ومساخطه ، وبشرائعه وأحكامه ، ووعده الصادق لأوليائه ، ووعيده الشديد المرعب لأعدائه ، هذا الجهل هو الداء العضال الذى سبب موتها وهلاكها .

وأوضح صورة لذلك حكم الغرب الصليبى لها ، واستغلاله واستذلاله لها فترة غير قصيرة من الزمن ، كما هو معلوم ومشاهد ، وآثاره دالة عليه وهى الإعراض عن تحكيم شرع الله ، وتحكيم قوانين الغرب الكافرة الهابطة ، وذلك فى كل ديار الإسلام من أندونيسيا شرقاً إلى موريتانيا غرباً باستثناء دولة آل سعود التى أوجدها الله تعالى على يد عبد العزيز ، لتكون آية له فى العالمين على أن الأمن من الخوف والجوع ، وأن الطهر والعدل بين الناس لا يتمان وجوداً إلا بتحكيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

والصورة الثالثة : وهى صورة بشعة تغنى عن مئات الصور التى تمثل هبوط أمة الإسلام ، وما حل بها من الفرقة والجهل والضعف والشر والظلم والخبث والفساد .

إن هذه الصورة هى فتيا صنعها رجال الاستعمار الفرنسى فى بداية احتلالهم لشمال أفريقيا وللجزائر بالذات ، ومضمون هذه الفتيا : أن حكم فرنسا أرحم وأعدل وأصلح من الحكم العثمانى الذى يمثل حكم الخلافة الإسلامية لأمة الإسلام ، وقدمت تلك الفتيا السياسية الماكرة الخبيثة إلى أبرز شخصية علمية فى الديار التونسية فوقعت عليها مصادقة على صحتها ونفعها ، ثم قدمت إلى أبرز عالم مصرى بالاسكندرية فوقع عليها مصادقاً على نفعها بعد صحتها ، ثم قدمت إلى أبرز عالم بمكة المكرمة عاصمة الإسلام وقبلته ومحط أنواره ، ومصابيح هدايته فوقع عليها وباركها ، كل تلك التوقيعات مقابل عدد من الجنيهات الذهبية، ثم ردت إلى رجال فرنسا لتخفيف آلام حملتهم على شمال إفريقيا لاستعمارها واستغلالها والتحكم فيها قرناً من الزمن .

والآن وبعد هذا التحليل السليم والصحيح والتصوير الصادق الدقيق ، فلنعلم أن إنقاذ أمة الإسلام مما حل بها ووقعت فيه من الفرقة والجهل والضعف والشر والفساد ، وأن العودة بها إلى سماء مجدها ظاهرة طاهرةً قوية متآلفة متحابة لا يتمان ــ بإذن الله تعالى ــ إلا بتعاونكم أيها العلماء والحكام تعاوناً صادقاً سليماً صحيحاً.

ولنعلم أن تعاونكم ــ وفقكم الله ــ لأمْرٌ سهل ، لا صعوبة فيه ، ولا مشقة ولا عناء يعتريه ، إنه لا يكلفكم ديناراً ولا درهما ، إذ أمر الله تعالى به ، وأمر الله تكليف لا حرج فيه ، قال تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾ وقال تعالى فى نفى الحرج ﴿**وما جعل عليكم فى الدين من حرج**﴾ .

وإليكم صورة واضحة لـكيفية التعاون المطلوب لإنقاذ أمة الإسلام مما وقعت فيه من الفرقة والخلاف والضعف والعجز ، وكان ذلك كما تقدم بسبب الجهل بالله تعالى ومحابه ومكارهه وما يترتب عليه من الخبث والظلم والشر والفساد ، حيث هبطت أمة الإسلام من سماء كمالها وطهرها وصفائها وعزها وقوتها إلى أرض النقص والعجز والهون والدون ، وهو ما أراده لها عدوها الماكر بها الحاقد عليها ، المتربص بها منذ أن رآها سَمَتْ وارتفعت بعد أن طابت وطهرت وعزت وظهرت ، وهذا العدو أيها الأمراء والعلماء وفقكم الله غير مجهول لنا ولا خافٍ علينا إنه الثالوث الأسود ، المجوس ، واليهود ، ورجال الكنيسة النصرانية . إنه وإن كان لا حاجة هنا إلى بيان سبب عداوتهم للإسلام ومكرهم بأهله إذْ هو الحسد والخوف من ذهاب رئاستهم ومصادر عزهم وكرامتهم بين إخوانهم الذين ضللوهم وحرموهم من نور الإسلام وهداية الإيمان وكمال الإحسان .

وكيفية التعاون المطلوب بين العلماء والأمراء المحقق لأمة الإسلام عودتها إلى سماء كمالاتها وعزها وطهرها ، وإلى صفائها الروحى ، وسموها الأدبى ، وكمالها الخلقى ، هى طريق واحد لا ثانى له وهو أخصر الطرق وأيسرها ، إنه لا يكلف مالاً كما تقدم ذكر بيان ذلك وبيانه ، إنه جهاد النفس لا غير ، جهاد النفس بإخراجها من ظلمات الجهل ، وذلك بتعليمها الكتاب والحكمة ، وتزكيتها بالتربية الروحية على أيدى أرباب البصائر والنهى وهم علماء الكتاب والسنة من أهل السنة والجماعة .

والطريقة المثلى لذلك أن يدعو الأمراء والعلماء كافة أفراد الشعب فى مدنهم وقراهم لشهود صلاتى المغرب والعشاء فى مساجد أحياء مدنهم وقراهم وذلك كل ليلة ولا يتخلف إلا ذو عذر من مرض أو خوف فما أن تدق الساعة السادسة مساءً

حتى يوقف العمل فى المزارع والمصانع والمتاجر والمكاتب ويقبل أهل الحى والقرية بنسائهم وأطفالهم ورجالهم على بيوت ربهم وما أن يصلوا المغرب حتى يجلس لهم عالم ربانى ، وهم بين يديه ، والنساء وراء ستار ، والأطفال دونهن والرجال أمامه يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، كما قال تعالى فى منّته على المؤمنين : ﴿ **يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم** ﴾ .إلى أن يؤذن العشاء فَيَصلون ويعودون إلى بيوتهم وأنوار المعرفة تغمرهم ولا يزالون كذلك يتعلمون الكتاب والحكمة ـ أى القرآن والسنة ـ حتى لم يبق بينهم جاهل ولا جاهلة ، وبذهاب الجهل وحلول العلم محله يتحقق الكمال المطلوب لهم ومظاهره كالآتى :

١ ـ الوحدة فى العقيدة والعبادة والسلوك .

٢ ـ المودة والإخاء والتعاون بينهم على البر والتقوى .

٣ ـ اختفاء مظاهر الانحراف فى السلوك ، فلا غيبة ولا نميمة ، ولا حسد ، ولا كبر ، ولا سرقة ، ولا غش ، ولا خداع ، ولا خيانة .

٤ ـ تحقيق ولايتهم لله تعالى وذلك بإيمانهم وتقواهم له عز وجل ، إذ بالعلم يقوى إيمانهم ، وبالعلم يعرفون محاب الله ويأتونها ، وبالعلم يعرفون مكاره الله ويجتنبونها ، وإذا تحققت لهم ولاية الله أصبحوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وبذلك تمت سعادتهم فى الدارين إذ قال تعالى : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون. لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ .

وإن قيل كيف يأمر العلماء والأمراء بالانقطاع إلى الله تعالى كل يوم من المغرب إلى العشاء طوال الحياة ؟

والجواب : إن فى العالم المتحضر كأوروبا إذا دقت الساعة السادسة مساء وقف العمل ، وأقبل أفراد الشعب على الملاهى ، والمقاهى ، والمراقص والمقاصف ، ونحن إذ نوقف دولاب العمل نذهب إلى بيوت الرب تعالى نستمطر رحماته ، ونتعلم الكتاب والحكمة ، ونزكى أنفسنا ، ونحفظ بذلك أبداننا ، وأرواحنا ، وآدابنا ، وأخلاقنا ، فأى الفريقين أحق بالصواب فيما يذهب إليه بعد تركه لعمله ؟؟

والجواب معروف ، طالب الهدى أحق بالصواب من طالب الضلال ، وطالب السعادة أصوب من طالب الشقاء ، وطالب الكمال أصوب من طالب الخسران .

وأمر آخر ينبغى أن نعرفه وهو أن ما تعانيه الأمة الإسلامية فى جميع بلادها من تكفير الحكام ولعنهم ومحاولة الخروج عليهم وتحزُّب الأحزاب عليهم ، والخلافات بين طلبة العلم والعلماء وما يجرى فى بعض البلاد من القتل والتشريد والتعذيب فى السجون بصورة كثيراً ما أقول فيها إن عذاباً يوجد فى سجون بعض البلاد الإسلامية والله لا يوجد فى عذاب النار يوم القيامة ، وأنا أعنى بذلك ما يرتكبون مع المساجين من فاحشة اللواط والعياذ بالله تعالى .

ولنترك هذا إلى ما هو أدهى وأمر من فساد العقيدة التى هى ضامن السعادة أو الشقاء يوم القيامة ، إلى هبوط الأخلاق وانحراف السلوك ، إنك لا تشاء أن ترى كبيرة مرتكبة من السرقة والزنى ، وشهادة الزور ، وعقوق الوالدين ، وأكل الربا، وشرب المسكرات وتعاطى المخدرات إلا ورأيت وسمعت .

أما الكذب والغيبة ، والحسد وخلف الوعد ونكث العهد فلا تسأل لكثرتها وعمومها وفشوها وانتشارها .

أما الطعن فى العلماء وانتقاصهم وعدم احترامهم وتوقيرهم فلا تسأل ، فإنها ظاهرة غريبة ما كانت تعرف بين المسلمين حتى فى عصور هبوطهم بجهلهم وفساد عقائدهم وضعف إيمانهم ، وتسلط الأعداء عليهم وحكمهم لهم بقوانين كفرهم وفسادهم وضلالهم .

وهنا أطلب السماح من القارئ والمستمع لأنى قد أطلت فى سرد الأحداث المؤلمة ، وكشف النقاب وإزاحة الستار عما تعيشه وتعانيه أمة الإسلام من فساد وشر وظلم وخبث . وإن كان لا بد من ذلك ، لأن طلب الدواء يتقدمه معرفة الداء ، متى أراد الطبيب البرء والشفاء .

وأخيراً أيها العلماء والأمراء وأعنى بالأمراء حكام المسلمين من ملوك ورؤساء وسلاطين ووزراء ، وأعنى بالعلماء علماء الشريعة الإسلامية من أهل السنة والجماعة .

إن ما تعانيه أمتكم من شر وفساد وظلم وخبث وسقوط ، وقد مر بكم ذلك فى هذه الورقات التى كتبتها لكم وأبعث بها إليكم رجاء أن تنهضوا بواجبكم فتنقذوا أمتكم أيها المسؤولون عنها فى الدنيا والآخرة ، واعلموا أنه ـ والله ـ لا سبيل إلى إنقاذها مما أَلَمَّ بها وحل بديارها من الظلم والخبث والشر والفساد ، إلا ما بينته لكم فى هذه الرسالة وهو أن تتعاونوا علماء وحكاماً على ترغيب الأمة (١) وإكراه من لم يرغب فى الحضور كل ليلة من المغرب إلى العشاء فى بيوت الله تعالى لتلقى العلم والمعرفة من معين الكتاب والسنة ، وذلك لتصحيح العقيدة وتقوية الإيمان ، وتزكية النفوس بعمل الصالحات ، واجتناب السيئات الملوثات للنفس .

ومتى قوى الإيمان وزكت النفوس فإنه لم يبق مكروه بين المسلمين وأصبحوا كما أراد الله تعالى لهم خير أمة أخرجت للناس ، ومثلاً أعلى فى الكمال البشرى، يقتدى بها وتفيض أنوار هدايتها على العالم الإنسانى فيدخل فى الإسلام وينجو من خزى الدنيا وعذاب الآخرة من شاء الله تعالى له ذلك .

يا حكاماً ويا علماء إنكم مسؤولون عن هداية الأمة وسعادتها ، فتعاونوا على ذلك ، فإنه يتحقق بإذن الله تعالى لكم ، ولأمتكم .

﴿ ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾..

فيا علماء علموا الأمة وعظموا الحكام وبينوا لهم بم يحكمون وكيف يحكمون، ويا حكاماً ارحموا الأمة ووقروا العلماء ، واستشيروهم فى مهام أموركم واستعينوا بالله وتوكلوا عليه ، فإنه لن يتركم أعمالكم (٢) .

واعلموا أن ما دعيتم إليه يا علماء ويا حكام وهو إنقاذ أمة الإسلام مما تعانيه من الفرقة ،والظلم ، والشر ، والفساد ، لا يتم حسب سنة الله فى الناس إلا على الطريقة التى بينت لكم فى هذه الرسالة وهى كما علمتم تعاونكم على تعليم الأمة الكتاب والحكمة ، وذلك بترغيبها ، بل وإلزامها بحضور مجالس العلم

---

(١) هذا الإكراه هو من باب إكراه الوالد ولده على فعل خير يرجو له ثوابه ، أو على ترك منهى عنه يخاف عليه عقابه .

(٢) لن يتركم : أى لن يخيب جهودكم ولن ينقصكم أجركم .

اليومية فـى بيوت الله تعالى ، وذلك بين المـغرب والعشاء من كل ليـلة على مدى الحياة .

والنسـاء والأطفال كالرجال ، الجـميع يجلـس بين يدى العالِم المـربى الوارث لوظيفة الرسول ﷺ فى تعـليم الكتاب والحكمة وتزكية النفوس بحـملها على فعل ما يزكـى من الصالحات وعـلى إبعادها عـما يُدَسِّى من السـيئات ، وذلك لتـفلح وتنجو من الخيبة والخسران ، إذ قال تعالى : ﴿ **قد أفلح من زكـاها وقد خاب من دساها** ﴾ .

واذكروا يا علماء ويـا حكاماً وفقكم الله وهدى وأصلح عـلى أيديكم أن هذا الانقطـاع الجماعى من السـاعة السادسة إلى الـثامنة فى بيـوت الله لتعليم الـكتاب والحكمة لم يكـن مما ينكر عليكم أو يسـتغرب منكم ، إذ العالَم الكافـر كله يترك العمل اليومى من الـساعة السادسة مساء إلى السابعة صبـاحاً ، وأين يذهب عندما يترك العمل ؟! إنـه يذهب إلى المقاهى والملاهى ، وضروب اللهـو والباطل ليزداد هبوطاً فى مسارح الحيوانية ، ومتاهات الشياطين .

هذا . . واعلموا يا حكام ويا علماء ــ سدد الله خطاكم فى هذا السبيل الذى دعيتم إليـه ــ أن ما قد يقال لكم مـن أن هذا الانقطاع اليومى إلـى بيوت الله لمدة ساعتين قد يؤثر فى اقتصاد الأمة ، وضـعف إنتاجها ، إنه والله لقول باطل ، وإن عكسه لـهو الواقع ، إن العلـم المزكى للنفـوس المهذب للأخلاق لا يتـولد عنه إلا الحزم والعـزم والصدق والوفاء ، والـنهوض بالواجبـات واحترام الحقوق والـصبر على أدائها ، يضاف إلى ذلك ما يورث العلم الربانى من تطهير النفوس من أوضار الشح والبخل والإسراف فى الشهوات .

وهذه حال توفر المال وتفيضه على مستـحقيه من أفراد الأمة بخلاف ما ينتجه الانغماس فى الـشهوات وضروب اللهو والباطـل التى يهرع إليها العـمال بعد ترك العمل مساءً من الشح والبخل والحرص على المال .

وإن أردتم أيها العلـماء والحكام وفقكم الله وأنقـذ بكم أمة الإسلام إن إردتم برهنة على صحـة ما دعيتم إليه ، وطلب منكم وهو جمـع أفراد القرية والحى فى بيـوت الله لتلقـى الكتاب والحـكمة لتـصفية الـعقول وتهـذيب الأخلاق والسـمو بالآداب بعد تزكية النـفوس التى هى سلم النجاة من النار ودخول الجـنة لما علمتم

من حكمة الله تعالى فى قوله : ﴿ **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾ ، فإن البرهنة على صحة ما دعيتم إليه هى أن تجرى تجربة فى قرية واحدة لمدة أربعة أشهر ، ثم ينظر فى سلوك وحال أهل تلك القرية أو الحى بالنظرة الدقيقة الفاحصة ، فإن تبين صحة هذه التزكية اليومية فى وقت لا عمل فيه سوى اللهو واللعب وإضاعة الوقت ، وإن شئتم حلفت لكم على صحة ما دعيتم إليه وبينت لكم .

وإن وجد خلل فى نجاح هذه التربية وهذا التعليم فإنه يعود إلى ضعف المربى وعدم قدرته ، ولذا يتعين على العالِم المربى أن يتخلى عن التمذهب بمذهب خاص من مذاهب الأئمة الأربعة وهى : الحنفى ، والمالكى ، والشافعى ، والحنبلى ، أما ما عداها من مذاهب الرفض والخوارج ، فلا ينظر إليها ، إذ ما وضعت إلا لتمزيق الأمة والاستيلاء على حكمها للتنكيل بها بعد تجهيلها وإبعادها عن سبيل نجاتها وفلاحها .

أما المذاهب الأربعة فهى مذاهب حق مستوحاة من الكتاب والسنة إلا أن الأمة لما هبطت من علياء كمالها أخذ التعصب يقوى بين الفقهاء حتى أصبح كل مذهب كأنه شرع مستقل خاص بأهله العاملين به ، فلا يبين لغيرهم ولا يأخذ به سواهم .

ولذا فالمفروض فى المربى أن يكون عالماً بالكتاب والسنة مفضلاً لهما على غيرهما ، لا يرد ولا يصدر إلا عليهما مستعيناً على فهمهما بما رآه أئمة الإسلام وما قالوا به وقرروه من الصحابة والتابعين وتابعيهم وعلى رأسهم الأئمة الأربعة مالك والشافعى وأحمد وأبو حنيفة رحمهم الله أجمعين .

ونظراً لقلة العلماء المربين فى هذه الظروف ، فإن كتابى (منهاج المسلم) المشتمل على العقيدة المنجية التى هى عقيدة رسول الله ﷺ وأصحابه ، والآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة الممثلة لأخلاق رسول الله ﷺ وأصحابه الأفاضل والعبادات من الطهارة إلى الحج والمعاملات الخاصة والعامة من الجهاد إلى القضاء وأحكامه . هذا الكتاب صالح لأن يربى به المربون المؤمنين فى مساجدهم إذ هو لم يخرج عن مذاهب أهل السنة والجماعة الأربعة وكل مسائله العلمية مقرونة بأدلتها النقلية من الكتاب والسنة .

كما أن هناك كتاباً آخر هو (عقيدة المؤمن) قد اشتمل على العقيدة الإسلامية

التى هى عقيدة رسول الله ﷺ وأصحابه مفصلة مبينة واضحة ، فتربية المسلمين فى مساجدهم عليها وتعليمهم إياها مما هو - والله أعلم - من الكتاب والحكمة .

كما أن هناك تفسيراً هو (أيسر التفاسير) وعليه نهر الخير فى إمكان كل طالب علم أن يدرسه فى مساجد الأمة ويربى عليه ، ويعمل به وهو تفسير خال من الخلافات والروايات الضعيفة والآثار غير النافعة التى حشيت بها كثير من التفاسير لكتاب الله تعالى .

كما أن هناك نموذجاً آخر لتعليم الكتاب والحكمة وهو : (كتاب المسجد وبيت المسلم) الحاوى لثلاثمائة وستين آية وحديثاً . . . فهذا الكتاب على مثله تربى الأمة إذ تتعلم يوماً آية ويوماً حديثاً ، فتحفظ الكتاب والسنة وتفهم ، وتعمل وتكمل وتسعد بإذن الله تعالى .

وكذلك كتاب : (نداءات الرحمن) الحاوى لسبعين نداء من نداءات الرب تبارك وتعالى لعباده المؤمنين ، وقد حوت كل ما يكمل عليه المؤمنون ويسعدون من العقائد والعبادات والأحكام والآداب والأخلاق .

فمن هنا يصبح من السهل تربية الأمة فى مساجدها وتعليمها الكتاب والحكمة فتتحد عقيدتها ، وعباداتها، وأحكامها، وآدابها ، وأخلاقها ، ويتم المطلوب من إنقاذ أمة الإسلام من ظلمة الجهل وآثاره المدمرة والعياذ بالله ، إذ كل ما حل بالأمة وما تعانيه من ذل ، وهون ، ودون ، وخلاف، وصراع، وفتن، وظلم ، وشر ، وخبث، وفساد هو نتيجة جهلها بالله تعالى ، ومحابه ومكارهه ، وما عنده لأوليائه من نعيم مقيم وما لديه لأعدائه من عذاب أليم .

تلك المحاب التى هى جميع ما أمر الله تعالى وأمر به رسوله على وجه الإيجاب أو الندب والاستحباب من الإيمان وصالح الأقوال والأعمال والصفات[1]، وتلك المكاره التى هى جميع ما نهى الله تعالى عنه ونهى رسول الله من المحرمات والمكروهات من الاعتقادات ، والأقوال ، والأعمال ، والصفات .

وبما أن محاب الله ومكارهه حواها كتاب الله وسنة رسوله القولية والفعلية والتقريرية [2] ، فإنه لا سبيل إلى علم ذلك إلا بدراسة الكتاب والسنة ، وذلك

---

(١) كالتواضع ، والحلم والأناة .

(٢) السنة التقريرية : أن يعمل بين يديه أحد أصحابه عملاً فيقره عليه .

بالاجتماع في بيوت الله تعالى كما سبق أن بينته وكررته لعلمي أنه لا سبيل إلى إنقاذ أمة الإسلام مما هي فيه من ضعف وهون ودون وفرقة وخلاف ، وظلم وشر، وجهل إلا بالعودة الصادقة إلى بيوت الله وتلقى الكتاب والحكمة فيها من علماء أهل السنة والجماعة الذين ألموا ولا أقول أحاطوا بالكتاب والسنة ، وما دَوّنه فقهاء الأمة ، وعلى رأسهم الأئمة الأربعة : أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد رحمهم الله أجمعين .

ونظراً لقلة هؤلاء العلماء بالكتاب والسنة ، وما دوَّنه الأئمة ، وإلى حاجة كل مسجد من مساجد الأمة في مدنها وقراها ، وهي مئات الآلاف إن لم تكن ملايين ، فإن الأخذ بما وضعتُ للأمة وتقدم بيانه من (منهاج المسلم) و(عقيدة المؤمن) و(نهر الخير على أيسر التفاسير) و(كتاب المسجد وبيت المسلم) ، و(نداءات الرحمن لأهل الإيمان) أضف إلى ذلك (هذا الحبيب) في سيرة الحبيب ﷺ .

إن الأخذ بهذه المؤلفات سهل ميسر فكل طالب علم يقرأ ، ويفهم ما يقرأ ، يقوم بهذا الواجب إن شاء الله تعالى ، وبهذا لا يتوقف هذا العمل الإصلاحي الضروري الواجب القيام به لإنقاذ أمة الإسلام .

وأخيراً إليكم يا حكاماً ، ويا علماء وفقكم الله للنهوض بهذا الواجب المقدس الذي هو إنقاذ أمة الإسلام مما حل بها وأحاط من مصائب وويلات لا سبيل إلى الخروج منها إلا بالأخذ بما سُطر في هذه الرسالة التوجيهية النافعة بإذن الله تعالى، وإليكم هذه التنبيهات . .

وأولها : أن تعلموا أيها الحكام والعلماء ـ أيدكم الله ـ أنكم مسؤولون عن إنقاذ أمة الإسلام لما خولكم الله تعالى من سلطان وعلم ، بهما يتم الإنقاذ والإصلاح .

وثانيها : أن تعنوا بقراءة هذه الرسالة وتفهُّم ما حوته من بيان للإنقاذ والإصلاح ، ولا يحملنكم تصور العجز وعموم فساد الأمة على إلغاء الرسالة وعدم النظر فيها ، بل اعزموا على تطبيق ما فيها من هدىً وإصلاح .

وثالثها : أن لا تستعظموا جمع أهل الحى أو القرية في مسجدهم الجامع نساء

وأطفالاً ، ورجالاً ، كل ليلة لتلقى الكتاب والحكمة ، وتزكية النفوس ، فإن ذلك وإن كان يبدو عظيماً ، فإنه والله لمن السهل الميسر ، إنه ما إنْ يألفوه أربعين يوماً إلا وهو أسهل عليهم وأخف من أى عمل كان خارج بيوتهم فى داخل مدنهم وقراهم .

ورابعها : هو أن يبدأ العلماء بزيارة الحكام وبحث القضية مع بعضهم بعضاً، ودراستها بعناية ، وعلى الجانب الذى انشرح صدره لهذا العمل الإصلاحى الإنقاذى العظيم أن يعمل على ترغيب الجانب الآخر ، وبيان منافع هذا العمل ، وأن عوائده عظيمة وهى على الجميع حاكمين ومحكومين ، علماء ومتعلمين ، حتى يتلاقى الجانبان على العمل بهذه الخطة الإصلاحية الضرورية .

وخامسها : أن يبدأ العلماء فوراً بعد اتفاقهم مع حكامهم على دعوة أفراد القرية أو الحى إلى المسجد وترغيبهم فى ذلك بصورة حازمة ، وعلى الحكام أن يصدروا أوامرهم بالحضور ، أو عدم التخلف إلا من ضرورة قصوى ، كمرض أو تمريض ونحوهما ، إذ بهذا يتم التعاون بين الحكام والعلماء على إنقاذ الأمة .

وسادسها : أن على العالم المربى فى مسجد الحى أو القرية أن يعرض عن الخلاف فلا يذكره للأمة ولا يقول : إن المذهب الفلانى يرى كذا . . وإن مذهبنا يرى غيره ، وذلك حفاظاً على وحدة الأمة فى عقيدتها وعباداتها وأحكامها ، وقد ذكرت أن كتاب منهاج المسلم ، وعقيدة المؤمن ، وكتاب المسجد وبيت المسلم ، ونداءات الرحمن ، نماذج صالحة لتوحيد الأمة ، والإغضاء عن الخلافات المذهبية، فعلى غرارها المربى يسير ويربى ويعلم تحت شعار الكتاب والحكمة حتى تتحد الأمة فى مسارها ، وتصل إلى غاياتها من وحدتها وقوتها ، وتزكية نفوسها ، وتهذيب أخلاقها وسمو آدابها ، وتتحقق كلمة الله تعالى فيها فى قوله تعالى : **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾** .

وسابعها : وهو أخطرها : أن يعلم من نهض بهذا الواجب من العلماء والحكام أنهم سيواجهون نقداً مريراً ، واعتراضات واسعة عديدة ، بل وطعناً شديداً ، وذلك من أجل إيقاف هذه الدعوة الربانية التى لا سبيل إلى إنقاذ أمة الإسلام مما هى فيه من الفرقة والجهل والشر والفساد ، والعودة بها إلى سموها

وكمالها ، وقيادتها للبشرية وهدايتها إلا بها ، فلنذكر هذا أيها الحكام والعلماء .

وفقكم الله للنهوض بهذا الواجب ، واصبروا على ما قد تلاقون من نقد وطعن واعتراض ، بل وعداء ، فإن العاقبة لكم ، والنصر حليفكم ، لأن الله تعالى مع المتقين ، ومع الصابرين ، ومع المحسنين ، ومن كان الله معه فلا يخاف ولا يحزن ، وانتفاء الخوف والحزن لازمهما النصر والأمن والفرح . والحمد لله .

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب

العالمين

الرسالة التاسعة والعشرون

إعلم ياأخى

تنج وتسعد



وإن قلت أعلم بماذا ؟

وأنجو مم؟ وأسعد بم ؟

قلت لك :

اعلم بالله خالقك ، وبمحابه ومكارهه ، وأحب ما يحب وافعله ،واكره ما يكره واتركه تنج من عذاب النار وتسعد بدخول الجنة دار الأبرار

والسلام عليك ما علمت وعملت وعلّمت

من أخيك :

أبو بكر جابر الجزائرى

فى ٢٦ /٣/ ١٤١٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أخى أن الأخوة التى تربطنا ببعضنا بعضا هى أخوة أصلنا وهو آدم وحواء ، إن البشر كلهم عربهم وعجمهم أبيضهم وأسودهم أبوهم آدم وأمهم حواء ؛ لذا فهم إخوة لبعضهم بعضا .

ومن واجب الأخ على أخيه أن يحب له الخير ويكره له الشر ويدعوه إلى ما فيه سعادته ، ويحذره مما فيه شقاؤه وهأنذا ياأخى أدعوك إلى العلم ؛ إذ فيه سعادتك وأحذرك من الجهل ؛ إذ فيه شقاوتك .

والعلم الذى أدعوك إليه هو أن تعرف أنك مخلوق كسائر المخلوقات من الإنسان والحيوان وكل الموجودات من السماء وما فيها من شمس وقمر ونجوم وكواكب وما يدور فيها من رياح وما ينزل منها من أمطار . ومن الأرض وما فيها من بحار وأنهار وجبال ، وأشجار ونباتات وحيوانات على اختلافها وتنوعها فى منافعها ومضارها وفى ظروفها وأوقاتها .

وسؤالى الآن ياأخى هو هل عرفت خالق هذه المخلوقات من هو وما أسماؤه وما صفاته ؟

إنه : الله . ومعنى الله : الإله المعبود بحق . ومعنى المعبود : المطاع حبا فيه وتعظيما له وخوفا منه ورهبة . ومعنى بحق أن عبادته واجبة له ؛ إذ هو الذى خلق الإنسان ورزقه وحفظه من الآهات والمهالك إلى نهاية أجله .

وأما غيره مما عبده الجهال من الأصنام والأحجار والجبال لا حق له فى العبادة؛ إذ هو نفسه مخلوق لله ، والله هو خالقه .

فكيف يعبد مع الله ؟ إن هذا ظلم من أكبر الظلم وأفظعه .

الآن عرفت يا أخى اسم الخالق وأنه الله فإذا أردت أن تسأله حاجة من حوائجك فادعه بـ يا ألله واطلب ما تريد فإنه يعطيك طلبك ، إذا علم أنه فى صالحك وأنه نافع لك ، أما إذا علم أن ما طلبته غير نافع لك فإنه يصرف عنك بدله عذابا قد يصيبك لولا أنه يدفعه عنك . فلذا يجب دعاؤه فى كل حاجة من حاجات الإنسان فى هذه الحياة .

لقد عرفت يا أخى اسم خالقك وخالق كل شىء فى هذا الوجود . وهو الله لتدعوه به فيجيب دعوتك إن رأى فيها خيراً لك . فاعلم أيضا أن من أسمائه القوى والعليم والحكيم والرحيم . فادعه بها يا قوى يا عليم يا حكيم يا رحيم وإليك معنى هذه الأسماء الأربعة .

١ ـ القوى هو ذو القدرة على خلق وإيجاد كل ما يريد خلقه وإيجاده فهو ذو قدرة لا يعجزها شىء أبداً .

٢ ـ العليم هو ذو العلم الذى أحاط بكل شىء فلا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ـ يعلم دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء، إذ الخلق كله هو خالقه والعالم به قبل خلقه فكيف يخفى عليه شىء منه بعد أن أوجده وخلقه؟

٣ ـ الحكيم هو ذو الحكمة والحكمة هى وضع كل شىء فى موضعه فهو الله الحكيم الذى يخلق ما يخلق ، ويترك ما يترك ، ويعطى ما يعطى ويمنع ما يمنع من سائر المخلوقات لحكمة رآها فى ذلك فكل ما يشاهد من تغيرات فى العالم كله فضلا عن الإنسان حين يمرض أو يصح أو يعطى أو يمنع ، أو يولد أو يموت الكل قائم على حكمة الله العليم الحكيم القوى القدير .

٤ ـ الرحيم أى ذو الرحمة التى وسعت كل شىء ، فالدجاجة بتلك الرحمة التى أوجدها الله فيها تدخل أفراخها تحتها عطفاً عليهم وتعلمهم كيف ينقرون الحب رحمة بهم ، والفرس ترفع حافرها وهى ترضع مهرها مخافة أن تطأه بحافرها وذلك رحمة به ، والمرأة يتحول دمها الأحمر إلى لبن أبيض عندما تلد مولودها لترضعه اللبن الأبيض الخالص . هذه وغيرها مظاهر رحمة الله بخلقه تلك الرحمة التى وسعت كل شىء .

لذا يا أخى ادع الله ربك بهذه الأسماء فقل يا ألله يا قوى يا قدير يا عليم يا حكيم يا رحيم واسأل حاجاتك منه فإنه سميع الدعاء قريب مجيب .

واعلم أن لله تعالى أسماء غير الخمسة التى ذكرت لك منها الرب والرحمن والغفور والشكور والحليم .

وأصغ إلىَّ أخبرك عن كلمة (تعالى) التـى ذكرتها لك فى قولى واعلم أن الله تعالى : إن كلمة تـعالى معناها أن الله فوق خلقه ، وإن الخلـق كلهم تحت عرشه وسرير ملكه، فهو تـعالى عن مشابهة المخلوقات له فى ذاته وصـفاته وأفعاله وأنه المنزه عن خلقه وعن كل ما يصفه به الجـهال من نسبة ولد إليه ، أو إله أى معبود يعبد معـه أو عجز أو نسيان أو عدم معرفة بـشىء خفى فهو تعالى أى تـنزه وتباعد وارتفع وتقدس عـن كل ما يصفه به الجهـلة من الإنس والجن . هذا معنـى كلمة (تعالى) ويحسن أن نقولها كلما ذكرنا اسمه فنقول الله تعالى هو الذى خلق ورزق وأعطى ومنع . وهو الذى أمات وأحيا وأعز وأذل إذ هو وحده الرب لكل شىء ، هذا والآن أشرح لك معنى أسماء الله الخمسة التى ذكرتها لك وهى :

١ ـ الربّ من أسمـاء الله تعالى ، ومـعناه : الخالق الرازق المـدبر لأمور مَنْ خلقهم ورزقهم ، معبودهم الحق الذى لا معبود لهم سواه .

٢ ـ الرحمن: أى الله ذو الرحمة الواسعة التى وسعت كل مخلوقاته فالخليقة كلها تتراحم بـرحمته، فهو تعالى رحمان الدنـيا والآخرة أى يرحم عباده فى هذه الحياة الدنـيا ، ويرحم أهل طاعته فى الحيـاة الآخرة التى تكون بعد نهاية هذه الحياة التى يحياها الخلق اليوم وقبل اليوم من عهد آدم إلى اليوم وإلى نهايتها المحددة لها وذلك بفناء الخلق والكون . ثم تأتى الحياة الآخرة ، التى لا تفـنى ولا تزول كهذه الحياة وسأعرّفك بـها بعد إن شاء الله تعالى .

٣ ـ الغفـور: أى ذو المغفرة أى لذنوب عـباده التائبين إلـيه المستغفـرين له أى الطالبين منه مغـفرة ذنوبهم . والذنوب هى ما يعلق بنفـوسهم من ظلمة وخبث نتيجة معـصيتهم له بترك ما أمرهم بفعلـه ، أو بارتكاب ما نهاهم عن فعله .

٤ ـ الشكور: أى كثـير الشكر لعباده المؤمـنين به وبرسله ولقائـه . من يعمل منهم حسنة يجزيه بها عشراً أو أكثر إلى سبعمائة أو أكثر .

٥ ـ الحليم: أى ذو الحلم والصفح والعـفو عن عباده المؤمنين به وبرسله ولقائه وكتبه . فقد يذنب العبد ذنبا ويحلم الله تعالى عليه ويصفح ولا يعاجله بالعقوبة بل يمهله حتى يتوب من ذلك الذنب ويتركه نادماً مستغفراً تائباً .

وهذا من حلمه تعالى على عباده ، وكيف لا ، وهو الغفور الحليم والآن فهل عرفت الله ربك ورب العالمين يا أخى ؟ قل لى : نعم عرفته بأسمائه . وهل عرفت أنه منزه عن النقائص كلها . فلا شريك له فى الخلق والرزق والتدبير ؟ قل لى : نعم قد عرفت ذلك . وعرفت أنه العليم الحكيم القوى القدير .

إذا عرفت هذا فاعرف شيئا آخر وهو أن الله تعالى خلق الجن والإنس بعد ما خلق هذا الكون كله خلقهم من أجل أن يعبدوه . فقد قال تعالى ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ وهل تدرى يا أخى ما هى العبادة التى يعبد الله تعالى بها ؟ إنها طاعته بفعل ما أمرهم بفعله ، وطاعته بترك ما أمرهم أن يتركوه . وهل تدرى السر فى عبادة الله تعالى ما هو ؟ إنه تحقيق سعادتهم وكمالهم فى الدنيا ونجاتهم من النار ودخولهم الجنة فى الدار الآخرة ، وذلك لأن ما يأمرهم بفعله كله حق وخير وعدل ، وكل ما ينهاهم عن فعله كله باطل وشر وظلم ، وسعادة الدنيا لا تتم إلا باعتقاد الحق وفعل الخير وإقامة العدل بين العباد . وتجنب الباطل والشر والظلم والخبث . وأما سعادة الدار الآخرة فإنها متوقفة على طهارة الأرواح وزكاة النفوس فمن كانت روحه طاهرة ونفسه زكية قبله الله تعالى فرفعه إليه وأدخله جنته . والنفس لا تزكو إلا على ما أمر الله تعالى بفعله من اعتقاد الحق وفعل الخير وإقامة العدل . مع إبعادها عما يخبثها من اعتقاد الباطل وفعل الشر والظلم والفساد .

وهل تعلم يا أخى حكم الله تعالى الصادر على الإنس والجن فى أن من زكّى نفسه أفلح وفاز بدخول الجنة ، ونجا من دخول النار ، وأن من دسّى نفسه أى خبثها بأوضار الذنوب والآثام خاب وخسر وحرم دخول الجنة وأدخل النار دار البوار والخسران . وحكم الله تعالى هذا جاء مبيناً فى كتابه القرآن العظيم فى قوله تعالى من سورة والشمس وضحاها إذ قال تعالى فيها : ﴿ **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾. ومعنى أفلح فاز بدخول الجنة . بعد النجاة من دخول النار، ومعنى خاب من دساها أى خسر حيث حرم من دخول الجنة وأدخل النار دار العذاب والخسران .

ومعذرة يا أخى لقد ذكرت لك أن لله ربنا كتاباً جاء فيه حكمه الصادر على الإنس والجن بالسعادة أو الشقاء وما عرفتك بكتاب الله تعالى . وإليك تعريفاً

كافيا لكتاب الله تعالى . الذى هو القرآن العظيم . إن هذا الكتاب أنزله الله تعالى فى ظرف ثلاث وعشرين سنة بواسطة ملك من ملائكته تعالى له جبريل، لم ينزله جملة واحدة ، ولكن أنزله مفرقاً بحسب الأحوال والظروف وما فيها من متطلبات حياة الإنسان فى الدنيا والآخرة فهو كتاب فيه بيان كل شىء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين .

وإن قلت من هم المسلمون ؟ قلت لك يا أخى إنهم من آمنوا بالله رباً لا رب غيره ومعبوداً لا معبود سواه ، وأسلموا له قلوبهم ووجوههم ، فقلوبهم لا تتقلب إلا فى طلب حبه تعالى ورضاه . ووجوههم لا تنظر إلا إليه فى طلب منافعهم ودفع مضارهم إذ لا يملك النفع إلا هو تعالى ، ولا يدفع الضر سواه وذلك لقدرته وعجز غيره من سائر خلقه . فهؤلاء الذين أسلموا قلوبهم ووجوههم لله فآمنوا به وبكتابه ورسوله ولقائه، هم الذين لهم البشرى من الله تعالى بدخولهم الجنة ونجاتهم من النار .

أتذكر أخى أنى قلت لك إن القرآن كتاب الله فيه تبيان كل شىء فاصغ إلى أسمعك بعض ما جاء فيه من الهدى والرحمة .

إن هذا القرآن ما آمن به إنسان أو جان وقرأه وفهم معانيه وعمل بما فيه من الشرائع والأحكام ، وصدق بما حواه من علوم الغيب والأخبار إلا أصبح من أفضل الخلق وأكملهم وأسعدهم ، وأطيبهم وأطهرهم وأعدلهم وأرحمهم . هذا فى الدنيا . وأما فى الآخرة فإنه فى جنات النعيم حيث لا مرض ولا هرم ولا موت ، ولا ألم ولا حزن ولا خوف ، ولا تعب وإنما هى نعيم دائم وسعادة خالدة. وأما من كفر به أو أعرض عنه فلم يؤمن به أو لم يقرأه ولم يعرف ما فيه فلم يعمل بما دعا إليه من الإيمان والعمل الصالح ، ولم يجتنب ما نهى عنه وحذر منه من الكفر والشرك والفجور والفسق والخبث والظلم . فإنه فى الدنيا فى ضلال وشقاء وفى الآخرة فى عذاب النار وهو عذاب دائم لا ينقطع إنه شراب الحميم . وأكل الزقوم ، ولباس من قطران ، يسحبون فى النار على وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر وهى النار يعيشون فى غربة حيث لا أب ولا أم ولا أخ ولا أحداً أبداً ممن كانوا يعرفونهم ، فلذا يعظم كربهم ويقوى حزنهم ويشتد عذابهم.

هذا ولو استطعت أن تتصفح القرآن وتقرأه لرأيت العجب العجاب فى أخبار

أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم ، وأحوال أهل النار وما هم فيه من الخزى والبوار ، وعذاب النار !! لوتسألنى أخى قائلا : على من أنزل الله تعالى هذا القرآن ؟ لأجبتك شاكراً لك سؤالك وقلت لك إنه أنزله بواسطة الملك الذى سبق أن ذكرته لك وهو جبريل عليه السلام . إنه على عبده ورسوله محمد بن عبد الله من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وإبراهيم هو أبو الأنبياء إذ جلهم من ولده . ومحمد الرسول كان ولد فى مكة البلد الذى فيه بيت الله تعالى الذى بناه إبراهيم ليحجه المسلمون ويطلبون من الله حوائجهم من تكفير ذنوبهم وحفظهم مما يضرهم ووقايتهم من العذاب والشقاء . وإكرامهم بدخول الجنة يوم يلقون ربهم . فمكة أقدس بلاد الله لأن فيها بيت الله ، لذا اختار الله محمداً وأرسله رسولا لأنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم ولأنه فى مكة بلده المقدس الأمين وحفظه الله تعالى من التلوث بالإثم من صباه حتى بلغ الأربعين من عمره فأعده بذلك ليوحى إليه كلامه بواسطة ملكه جبريل وكان أول لقاء معه فى غار بجبل حراء حيث كان محمد ﷺ ينقطع عن الناس حتى لا يشاهد الباطل والمنكر والفجور حفاظا على روحه حتى لا تتلوث فتخبث وتصبح لا تخاف الله ولا تحبه ولا تطلب رضاه .

وإن قلت لى : لم قلت ﷺ ؟ قلت لك : لأن الله تعالى صلى عليه وصلى عليه ملائكته وأمر عباده المسلمين له أن يصلوا عليه إذ جاء فى كتاب الله القرآن، قوله تعالى : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ ، فلذا لا يسعنا أبداً إذا ذكرناه باسمه أو بصفته إلا قلنا : ﷺ.

وأول ما أنزل الله تعالى على رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل وهو فى غار جبل حراء بمكة هو قوله تعالى : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ . ثم واصل تعالى نزول القرآن بواسطة جبريل مدة عشر سنوات فنزل الكثير من القرآن . ثم عرج به إلى السماء أى رفعه إليها وأدخله جنات عدن فشاهد قصورها وأنهارها ، ورأى فى كل سماء من فيها من الأنبياء عليهم السلام ، إذ رأى آدم وعيسى ويحيى وإدريس وهارون وموسى وإبراهيم عليهم السلام ، ثم رفعه إليه وكلمه كفاحاً بلا واسطة وفرض عليه وعلى المسلمين الصلوات الخمس ، وهى خمس مناجات يناجى فيها المسلم ربه فى اليوم والليلة ثم عاد إلى مكة المكرمة وأقام بها ثلاث سنوات والقرآن ينزل والرسول يبين ما ينزل عليه ويدعو الناس إليه ، ثم هاجر من

مكة إلى المدينة النبوية مهاجره ﷺ كما جاء ذلك فى التوراة والإنجيل ، وأقام بها عشر سنوات وهو وأصحابه يدعون إلى الله تعالى ليعبد وحده ويجاهدون من جاهدهم . ثم توفى رسول الله ﷺ ، وقد تم نزول القرآن كاملا . فلم ينقص منه حرف ولا كلمة كما هو فى اللوح المحفوظ وها هو محفوظ فى صدور المسلمين مكتوب بسطورهم . ومن آمن به وقرأه وعمل بما فيه نجا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، ومن أعرض عنه فهو فى ذل وشقاء وخسران فى الدنيا والآخرة بهذا قضى الله سبحانه وتعالى .

وإن قلت يا أخى لم زدت كلمة « سبحانه » قبل تعالى ؟ قلت لك يا أخى إن كلمة سبحانه معناها تنزيهه عما لا يليق به من العجز والنقص فمن ذكر الله وقال سبحانه كان قد أقر واعترف بأن الله منزه عن سائر العيوب والنقائص إذ هو الرب الحق الذى لا رب غيره يخلق ويرزق ويميت ويحيى ويعطى ويمنع ، والإله الحق الذى لا إله يستحق أن يعبد إلا هو . وكل عبادة تصرف لغيره فهى منكر وظلم وباطل .

وإن قلت زدنى حديثا بيانياً عن الرسول محمد ﷺ قلت لك ذلك ياأخى إنه خاتم أنبياء الله تعالى ورسله إذ قال تعالى فى كتابه القرآن : ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾ . إذ ذكره تعالى باسمه محمد وقرر رسالته ، وبين أنه آخر الأنبياء فلا شيء بعده وفعلا فقد مضى عليه نحو من ألف وأربعمائة وخمسة عشر عاماً ولم يظهر نبى فى العالم . وصدق الله العظيم.

هذا أولا ، وثانيا إن الإيمان برسالته وما جاء به من الهدى والشرع الحكيم ضرورى للعبد ، وإلا فلا فائدة من الإيمان بالله وكتابه إذ لم يؤمن برسوله إذ هو ﷺ الذى يعرف العباد بربهم ويعلمهم ماذا يجب عليهم لربهم من العبادات وكيف يعبدون الله بها ليكملوا ويسعدوا .

والعبادات اعتقادات وأقوال وأفعال . فما كان منها محبوبا لله تعالى لأنه أمر به فعلوه كما بينه لهم رسوله ﷺ ، وما كان مكروها لله تعالى لأنه نهى عنه تركوه وابتعدوا عنه . لهذا يا أخى أصبح وجود الرسول ضرورياً والإيمان به واجبا ومحبته وطاعته من الضروريات ، وإلا فلا نجاة للعبد من عذاب الله وسخطه يوم لقائه والوقوف بين يديه يوم القيامة للحساب ثم الجزاء إما بالنعيم المقيم فى الجنة دار الأبرار وإما بالعذاب الأليم فى النار دار البوار .

كما أريد يا أخى أن أعرفك بيوم القيامة فإليك بعض المعلومات عنه :

١ ـ إن الإيمان به ركن من أركان الإيمان ، فلا إيمان لمن لا يؤمن به ، وأركان الإيمان التى يبنى عليها إيمان العبد هى : الإيمان بالله وبملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر وهو يوم القيامة ، والقدر خيره وشره . فهذه ستة أركان عليها يبنى إيمان العبد فيصبح مؤمنا ، وإن أنكر ركنا منها أو أكثر كفر وأصبح كافراً غير مؤمن وهو من أهل النار يوم القيامة .

٢ ـ سمى بيوم القيامة ، لأن الناس يقومون فيه من قبورهم أحياء لأجل الحساب والجزاء على أعمالهم فى هذه الحياة الدنيا وسمى أيضا باليوم الآخر لأنه آخر يوم وليس بعده يوم آخر كما هى أيام الحياة الدنيا يذهب يوم ويأتى آخر . فيوم القيامة يوم واحد لا ينتهى أبداً .

٣ ـ يسبقه فناء هذه الدنيا وزوالها نهائيا ؛ إذ ينفخ ملك يقال له إسرافيل نفخة الفناء فيموت كل إنسان وحيوان فى هذه الدار الدنيا وتتحلل الكائنات فالجبال تصبح هباء ، والسماء تذوب ذوباناً والنجوم تتناثر ، ويعود الكون كما كان قبل خلقه سديماً وبخاراً . ثم تتجمع ذرات الأرض وتصبح أرضا بيضاء كخبزة نقية . ثم ينزل الله تعالى عليها ماءً فتنبت البشرية بواسطة عظم صغير يقال له عجب الذنب يكون فى آخر فقرات ظَهر الإنسان . يحفظ فى ذرات الأرض . ومنه يركب الخلق بهذا أخبر رسول الله ﷺ . ثم ينفخ إسرافيل نفخة البعث فإذا الخليقة كلها واقفة على أرض واحدة هى أرض المحشر ثم يجىء الرب تبارك وتعالى والملك صفا صفا . ويجرى الحساب . فمن ثقلت موازينه أفلح بالنجاة من النار ودخول الجنة . ومن خفت موازينه خسر دخول الجنة وحشر فى النار .

هذا واعلم أن من كان يؤمن بالله ولقائه وعبد الله تعالى وحده ثم ارتكب ذنوباً ولم يتب منها فإنه بعدما يعذب فى النار يخرج منها إلى الجنة مقابل إيمانه وصالح أعماله . فإن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً .

والآن وبعد هذا الذى عرفته يا أخى من العلم الضرورى فإنى رغبة فى سعادتك ونجاتك فإنى أرسم لك طريق النجاة من النار ودخول الجنة دار الأبرار ،

وهم المؤمنون المطيعون .

وإليك بيان الطـريق : إنه طريق مبدؤه اليوم أى هذه الحيـاة و نهايته **غداً** أى الحياة الآخرة إنه لا ينتهى بالسالـك إلا إلى باب الجنة أو باب النار وإن هذا الطريق للسعادة هو أربع خطوات خطوتان إيجابيتـان وخطوتان سلبيتان . كطريق الشقاوة أيضا أربـع خطوات خطوتان إيـجابيتان وخـطوتان سلبـيتان . وإليك بيـان طريق السعادة بخطواته الأربع وهى :

الأولى : الإيمان بالـله وملائكـته وكتبـه ورسله واليـوم الآخر والقدر خـيره وشره . ومعناه التصديق الجازم بوجود الله تعالى رباً أى خالقا رازقا مدبراً للخلق مالكا له سيـداً فيه معبوداً فى الأرض والسماء . لا إلـه غيره ولا رب سواه . كما هو التصديق بكل ما أمر تعالى بالإيمـان به من أمور الغيب والشهادة ، وأخبرت به رسله عليهم السلام .

والثانية : هى عمل الصالحات . والصالحات هى جمـيع ما تعبد الله تعالى به عباده المؤمـنين من الأقوال والأفعال كالـوضوء والغسل والصلاة والـزكاة والصوم والحـج والجهـاد والربـاط والذكـر والدعـاء وتلاوة كـتاب الـله تـعالـى وإطعـام الجائع،وعـيادة المريض ، ودفـع الظلم عـن المظلوم .وتـعليم الجـاهل ، وإرشاد الضال ،وبـر الوالدين ، وصلـة الأرحام والإحسان إلى الـيتامى والمسـاكين وابن السبيل ، والجيران والصاحب .

هذه الأعـمال الصالحـة شرعها الـله تعالـى لعباده المـؤمنين لتـزكى نفوسـهم وتطهرها ، وبـذلك يحبهم ويرضى عـنهم ويدخلهم جنـته . إلا أن هذه الأعمال الصالحة يشترط لتزكيتها للنفوس شرطان لا بد من توفرهما :

الأول : الإخلاص فيه لله تعالى بأن يعملـه العبد طاعة لله تعالى . ولا يريد به شيئا غير رضا الله تعالى بطاعته .

والثانى : أن يفعله كما بينه رسول الله ﷺ بلا زيادة ولا نقصان ، ولا تقديم ولا تأخير وفى وقته المحدد له ومكانه المعين له .

وإليك أخى شرح هذا الشرط الأكيد :

مثلا الصلاة فالصلاة لا تزكى النفس إلا إذا أداها العبد وهو طاهر الثياب والبدن متوضئ ومستور العورة ومستقبل القبلة وفى أوقاتها المحددة لها . وعلى الكيفية التى بينها رسول الله ﷺ فلا يزيد فيها شيئا ، ولا ينقص منها شيئا ولا يقدم بعض أجزائها على بعض ولا يؤخر . بل عليه أن يؤديها كما بينها جبريل لرسول الله ﷺ وكما بينها رسول الله ﷺ للمؤمنين .

وكذا سائر العبادات فالصيام ، لو صام وأفطر قبل المغرب بخمس دقائق لبطل صومه فلم يزك نفسه ، ولم يطهرها والزكاة لو نقص منها درهماً واحداً لبطلت ولم تزك نفسه والحج لو ترك ركناً واحداً من أركانه بطل حجه ولم يزك نفسه . وهكذا سائر العبادات إذا لم يرد بها وجه الله ، ولم تؤد كما بينها رسول الله ﷺ لم تزك النفس وإذا لم تزك نفس العبد حرم دخول الجنة وتعين عليه دخول النار.

وهنا اعلم ياأخى أن معرفة الطريق لا بد منها لسالكه وإلا ضل وهلك ، لذا وجب على المرء أن يعرف العبادات التى هي العمل الصالح ويعرف كيفية أدائها ، وعلى سبيل المثال الوضوء فإن الله تعالى قد أمر به فى كتابه فكيفيته هى أن يقول العبد بسم الله ، ثم يغسل كفيه ثلاث مرات ، ثم يغسل فمه بمضمضة الماء فيه ثلاث مرات ، ثم يغسل أنفه بأن يجذب الماء بأنفه وينثره بنفسه ثلاث مرات ويغسل وجهه ثلاث مرات ، ثم يغسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات ، ثم اليسرى كذلك ، ثم يمسح رأسه وأذنيه مرة واحدة ، ثم يغسل رجله اليمنى إلى الكعب ثم يغسل اليسرى كذلك .

هذا هو الوضوء . وأما الغسل الذى أمر الله تعالى به إذا جامع الرجل زوجته، أو احتلم فخرج منه المنى فإن الغسل هو أن يغسل كفيه ثلاثا ناويا الغسل الذى أمر الله تعالى به ، ثم يغسل فرجيه وما حولهما ، ثم يتوضأ كما سبق ثم يغسل رأسه وأذنيه ثلاثا ، ثم يغسل شقه الأيمن من أعلاه إلى أسفله ثم الأيسر كذلك بحيث يعمم الماء على كل جسده . هذا الغسل ، وإن هو مرض أو لم يجد ماء يتوضأ به أو يغتسل به إن كان جنبا فإنه يتيمم وهو أن يضرب بكفيه الأرض ويمسح وجهه مرة واحدة ثم يضرب كفيه على الأرض ويمسح يديه اليمنى واليسرى.

وأما الصلاة فإنها ذات هيئة خاصة فلا بد من معرفتها وإليك أخى بيانها :

وهو : أن يقف العبد متطهراً مستقبل القبلة وهى بيت الله الذى بمكة ثم يرفع يديه قائلا الله أكبر ثم يقرأ الفاتحة ﴿ **الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ ثم يقرأ سورة أخرى من القرآن أو آيات من سورة ، ثم يركع بأن يمد ظهره ويضع كفيه على ركبتيه ، ويسبح الله قائلا سبحان ربى العظيم ثلاثا أو أكثر ، ثم يرفع رأسه قائلا : سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ويقف معتدلاً قائلا حمداً كثيراً طيبا مباركاً فيه ، ثم يهوى إلى السجود فيضع وجهه علي الأرض الجبهة والأنف معاً . ثم يسبح قائلا سبحان ربى الأعلى ثلاثا أو أكثر ثم يرفع رأسه ويجلس قائلا : رب اغفر لى وارحمنى وعافنى واهدنى وارزقنى . ثم يسجد ، ثم يقوم ويقرأ ويفعل كما فعل فى الركعة الأولى فإن كانت الصلاة صلاة الصبح فإنه يزيد ركعة ويجلس فيتشهد ويسلم ، وإن كانت صلاة الظهر أو العصر أو العشاء فإنه يزيد ركعة بعد الأولى ويجلس فيتشهد ، ثم يقوم فيزيد ركعتين يقرأ فيهما بالفاتحة فقط ثم يتشهد ويسلم، وإن كانت الصلاة صلاة المغرب فإنه يزيد ركعة واحدة بعد التشهد الأول ويتشهد ويسلم ، لأن المغرب ثلاث ركعات والصبح ركعتان والظهر والعصر والعشاء أربع ركعات .

ومعنى التشهد هو أن يقول : التحيات لله والصلوات والطيبات . السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وإن كان التشهد هو الأخير . فإنه يصلى على النبى ﷺ قائلا . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. ثم يسلم قائلا : السلام عليكم ورحمة الله عن يمينه ، ثم أخرى عن يساره وبهذا تمت صلاته . فله أن يستغفر ويسبح ويدعو بما شاء من خير الدنيا والآخرة .

بهذا يا أخى قد بينت لك الخطوتين الإيجابيتين ، وأكرر لك القول فيهما قبل

أن أنتقل إلى الخطوتين السلبيتين فأقول إن الخطوتين الإيجابيتين هما الإيمان الصحيح، والعمل الصالح فالإيمان الصحيح : التصديق بوجود الله تعالى رباً وإلهاً لا رب غيره ولا إله سواه ،والتصديق الجازم أيضا بكل ما أمر الله تعالى عباده بالإيمان به والملائكة والكتب والرسل والبعث الآخر والجزاء والقدر والقضاء .

وأما العمل الصالح فهو ما شرع الله تعالى للمؤمنين من أقوال وأعمال وآدائها على النحو الذى بينه رسوله ﷺ بلا زيادة ولا نقصان ، لذا فلا عمل صالح يزكى النفس ويطهرها إلا ما شرعه الله تعالى فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .

ولذا وجب على المؤمن أن يعرف الأعمال الصالحة وأن يعرف كيف يؤديها بشروطها وأركانها حتى تنتج له الحسنات المزكية للنفس المطهرة لها .

وبعد معرفتك للخطوتين الإيجابيتين فإليك بيان الخطوتين السلبيتين إنهما :

الشرك ، والمعاصى : أى بأن تترك الشرك بالله تعالى فى عبادته ، وأن تترك فعل المحرمات . ولما كان الترك لا مشقة فيه ولا عناء كانت الخطوتان سلبيتان لا عمل فيهما ولا كلفة إذ هما ترك الشرك والمعاصى والترك راحة بخلاف العمل فإن فيه المشقة والعناء . فاذكر هذا يا أخى وإليك بيان الشرك الذى تتركه للاتقاء ، وطهارة نفسك وزكاتها لأن الشرك والمعاصى يخبثان النفس ويدسيانها فتحرم رضا الله تعالى عنها ، وجواره فى الجنة دار الأبرار .

الشرك هو اعتقاد وجود إله يعبد مع الله تعالى . كما هو عبادة غير الله تعالى مع الله ؛ إذ من عبد شيئا جعله إلهاً مع الله .

أما اعتقاد وجود إله غير الله فهو اعتقاد فاسد باطل صاحبه أحط إدراكاً من البهائم ؛ إذ خالق العوالم كلها العلوية كالسفلية هو الله تعالى ، ولا خالق معه قط ، والمشركون من العرب كانوا يؤمنون بالله خالقا رازقا مدبراً .

إذ أخبر تعالى عنهم فى كتابه القرآن بقوله ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى تؤفكون** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله قل أفلا تتقون** ﴾ .

ولما ألّهوا أصناماً وعبدوها مع الله بدعوى أنها تشفع لهم عند الله تعالى حكم

الله بكفرهم وشركهم فهم كافرون مشركون وأمرهم بالإيمان الصحيح ، والعبادة الخالصة لله تعالى . فمن آمن وعبد الله تعالى وحده نجا من عذاب النار ودخل الجنة ، ومن مات على الكفر والشرك حرم من الجنة ودخل النار لأن من آمن وعبد الله وحده زكى نفسه وطهرها بالإيمان والعبادة التى هى العمل الصالح فقد حكم الله تعالى بفلاحه وهى النجاة من النار ودخول الجنة دار الأبرار . ومن كفر فلم يؤمن وعبد غير الله تعالى خاب وخسر فدخل النار وحرم من دخول الجنة دار الأبرار . وذلك لحكم الله تعالى فى قوله ﴿ **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾ وقد سبق أن عرفته يا أخى. هذا وإليك مظاهر الشرك فى الناس :

١ ـ النصارى يعبدون عيسى وأمه وروح القدس « جبريل عليه السلام » إذ جعلوا هؤلاء الثلاثة الأقانيم إلهاً واحداً يعبدونه فهم لذلك كافرون مشركون مخلدون فى النار إلا من تاب منهم قبل موته .

٢ ـ المجوس يعبدون النار وبعض الكواكب ،ويكفرون بالله تعالى وبعباداته.

٣ ـ اليهود إذ عبدوا العزير وقالوا هو ابن الله فهم كافرون مشركون .

٤ ـ البوذة والهندوك وغيرهم ممن يعبدون آلهة ، وتركوا عبادة الله وكفروا بها فهم كافرون مشركون .

٥ ـ جهال المسلمين هم يؤمنون بالله رباً وإلهاً لا رب غيره ولا إله سواه ولجهلهم بأنواع العبادة يعبدون مع الله الأولياء والصالحين من المؤمنين المسلمين .

وإليك مظاهر شركهم فى عبادة الله تعالى لتتجنبها وتبعد عنها فتنجو من النار وتفوز بدخول الجنة دار الأبرار .

١ ـ دعاء غير الله تعالى أى سؤال غير الله تعالى قضاء الحاجات إذ يقولون : يا سيدى فلان ويسمون ولياً مات وبنوا على قبره قبة ووضعوا على قبره تابوتاً ووضعوا عليه ستائر من حرير وكتان جميل: اشف مريضى أو رد على غائبى ، أو سدد عنى دينى إلى غير هذا من طلب الحاجات .

٢ ـ الاستعانة بالأولياء الأموات : يا سيدى فلان أنا بك وبالله أنا فى حماك، أنا دخيلك أستعين بك وبالله ادع الله لى يفرج كربى أو يقضى حاجتى .

٣ ـ النذر للأولياء إذ يقول أحدهم يا سيدى فلاناً إذا شفى الله تعالى مريضى أو رد على ولدى ، أو عطف على زوجى أو قضى دينى أشترى لك أزراً أى ستائر فوضع على قبر الولى أو أذبح لك كبشاً . أو أجدد بناء قبتك أو أصبغها بصبغة جديدة إلخ .

٤ـ الذبح للأولياء وإقامة حفلات سنوية لهم حيث يجتمعون قرب الضريح ويأتون بذبائح ويقيمون حفلات أذكار وأناشيد ويدعون صاحب الضريح ويستعينون به .

٥ ـ الحلف بغير الله تعالى كالحلف بالأولياء والصالحين ، ثم وحق سيدى فلان ورأس سيدى فلان وكالحلف بمن يتحدون معه من الناس كأن يقول ورأسك. أو وحياتك أو الطعام الذى أكلنا .أو والنبى إلى غير ذلك من الأيمان والحلف بغير الله تعالى والرسول ﷺ أخبر أن الحلف بغير الله شرك فقال ﷺ « من حلف بغير الله فقد أشرك » . وبيان وجه الشرك أن التعظيم لله تعالى فمن حلف بغير الله تعالى فقد عظم المحلوف به وجعله مثل الله تعالى وبذلك يكون قد أشرك فى عظمة الله تعالى غيره من عباده ومخلوقاته . ونقض قوله : لا إله إلا الله . إذ من قال لا إله إلا الله لا يعترف بعبادة غير الله ، ولا يعبد مع الله غيره أبداً . إذ غير الله مهما كان لا يستحق العبادة ؟ لأنه مخلوق مرزوق والله خالقه ورازقه فكيف إذاً يعبد مع الله ؟؟؟

ومن مظاهر شرك جهال المسلمين أيضا :

١ ـ نقل المريض إلى ضريح الولى وطلب الشفاء بذلك .

٢ ـ العكوف حول الضريح اليوم والليلة لطلب الحاجات .

٣ ـ التمسح بقبور الصالحين والطواف بها رجاء قضاء الحاجات كل هذا الشرك يفعله جهال المسلمين وهم لا يعتقدون أنه شرك محرم يوجب لصاحبه الخلود فى عذاب النار ، وذلك لجهلهم بالقرآن والسنة ، وعدم طلبهم العلم منهما ، وأحيانا لعدم وجود علماء بالكتاب والسنة يعرفونهم بتوحيد الله تعالى ووجوب عبادته وحده ، وأن من عبد معه غيره كان مشركا مخلدا فى النار .

وأخيراً أحذرك يا أخى إن آمنت وأسلمت أن تبقى جاهلاً بعبادات الله وكيف

تؤديها ، أو تشرك فيها غير الله من نبـى أو ولى أو غيرهما فإن ذلك **يحبط عملك** ويخبث نفسك وتكون من الخاسرين لما علـمت من حكم الله تعالى فى عباده وهو **﴿ قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ﴾** .

والآن وقد عرفـت الشرك ورأيت مـظاهره فى النـاس فابتعـد عنه واجتـنبه ، واعبـد الله وحـده . وبذلـك تكون قـد خطوت الخـطوة الأولـى من الخطـوتين السلبيتين . ولم تبق لك إلا خطوة ترك المعاصى المدسية للنفوس المخبثة لها فاتركها وإليك مظاهرها لتكون منها على علم فتحذرها ولا تقع فيها :

١ ـ أكل أموال النـاس بالباطل أي بغيـر حق ، وذلك كسرقته أو اخـتطافه أو الغش فيه أو التزوير للحصول عليه ، أو التعامل بالربا للحصول عليه .

٢ ـ أذية المؤمن بأى أذى كقتله أو ضربه أو سبه أو شتمه أو انتهاك عرضه أو أكل ماله أو إفساده عليه .

٣ ـ شرب الخمر واستعـمال المخدرات كالأفيون والكوكيين والحـشيشة وسائر المخدرات المفسدات للعقل والموقعة فى السفه والشر .

٤ ـ ترك الصلاة أو التهاون فى أدائها .

٥ ـ الإفطار فى رمضان بلا عذر مرض أو سفر .

٦ ـ عقوق الوالدين بعدم طاعتهما فى المعروف وعدم الإحسان إليهما.

٧ ـ أذية الجار وعدم الإحسان إليه .

٨ ـ حب ما يكره الله ، وكره ما يحب الله من الاعتقادات والأقوال والأفعال والصفات .

٩ ـ قطع صلة الأرحام من الإخوة والأخوات والأعمام والعمات والخالات . ومن إليهم من أبناء وبنات .

١٠ ـ الكذب فى القول وعدم الصدق فى الحديث .

١١ ـ الغيبة وهى ذكر المؤمن بما يكره وهو غائب .

١٢ ـ النميمة وهى نقل الحديث مشوها للإساءة.

١٣ ـ شهادة الزور وهى أن يشهد بالباطل لإبطال حق أو لإحقاق باطل .

١٤ ـ نقص الزكاة أو عدم إخراجها وقد وجبت عليه فى ماله .

١٥ ـ عدم الحج وهو قادر على أدائه لوجود مال وقدرة بدنية وأمن سبيل .

١٦ ـ أذية أهل الذمة فى أموالهم وأبدانهم وأعراضهم .

هذا واعلم يا أخى أن كل هذا الذى ذكرت لك من المعاصى هو محرم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ . ولولا الرغبة فى الاختصار لك حتى لا يطول عليك المطلوب من العلم والمعرفة لذكرت لك كل معصية بدليلها من الكتاب والسنة .

والآن أرجع بك يا أخى إلى الحديث عن حكم الله تعالى الصادر على كل إنسان وجان وهو أن من زكى نفسه فاز بالنجاة من النار ودخول الجنة ،وأن من دسى نفسه خاب بحرمانه من الجنة وخلوده في النار ، وذلك يوم القيامة ، وأذكرك بما علمت من أن زكاة النفس تكون بالإيمان الصحيح ، والعمل الصالح ، وأن تدسية النفس تكون بالشرك والمعاصى ، وقد عرفتك بالإيمان والعمل الصالح كما عرفتك بالشرك والمعاصى وذلك لتطلب نجاة نفسك من النار وسعادتها بدخول الجنة دار الأبرار .

وأختم حديثى إليك بأمرين عظيمين وهما :

الأول : التوبة ومعناها الرجوع إلى طاعة الله ورسوله بعد معصيتهما بفعل حرام أو ترك واجب فمن عصى الله تعالى بترك واجب أوجبه عليه فلم يعمله ، ثم ندم واستغفر وفعل الواجب الذى تركه فإن نفسه تطهر من ذاك الذنب الذى ارتكبه وهو ترك الواجب وتخبث النفس به ، وتعود لنفسه زكاتها وطهارتها .

كما أن من فعل محرماً وتخبثت نفسه به وتدست ثم تاب أي رجع إلى الله نادماً مستغفراً بعد ترك المحرم فإن نفسه تعود إليها زكاتها وطهارتها حسب سنة الله تعالى فى عباده .

والثانى : أن تعلم أن أعظم هدف تعمل على تحقيقه لك هو أن تصبح ولياً لله تعالى ، والله وليك وبذلك تنجو من الخوف والحزن فى الدنيا والآخرة ، وإذا انتفى عنك الخوف والحزن حل محلهما الأمن والفرح .وتلك هى السعادة

التى تـتم للعبـد فى الجنة دار السـلام حيث هو فى جـوار ربه يريه وجهـه الكريم ويسلم عليه سلاما قولا من رب رحيم .

هذه الولاية يا أخى تتحقق لك بأمرين الأول الإيمان كما علمته قبل ، وتقوى الله عز وجل وهى الخوف مـنه تعالى خوفا يحملك على طـاعته وطاعة رسوله ، وما أمرك بـطاعته كـطاعة الوالديـن وأولى الأمر من الـعلماء والأمـراء وذلك فى المعروف لا فى المنكر . فاذكر هذا . وسر هـذا أن الإيمان يدفع إلى العمل الصالح ويقوى عليه .وأن طاعـة الله وطاعة رسوله بفعل الأمر وترك النهـى تطهر النفس وتزكيهـا كما سبق أن علمـته ، ومن زكت نفسـه وطهرت روحه أحبه اللـه تعالى وقربـه وأدناه ، والـله لا يحـب ولا يقـرب ولا يدنـى إلا أولياءه وهـم المؤمـنون المتقون. هيا ندعو الله تعالى أن يجعلنا منهم.

اللهم يا ألله اجعلنا من أوليائك وصالحى عبادك

وارض عنا كما رضيت عنهم ،إنك ولينا ووليهم

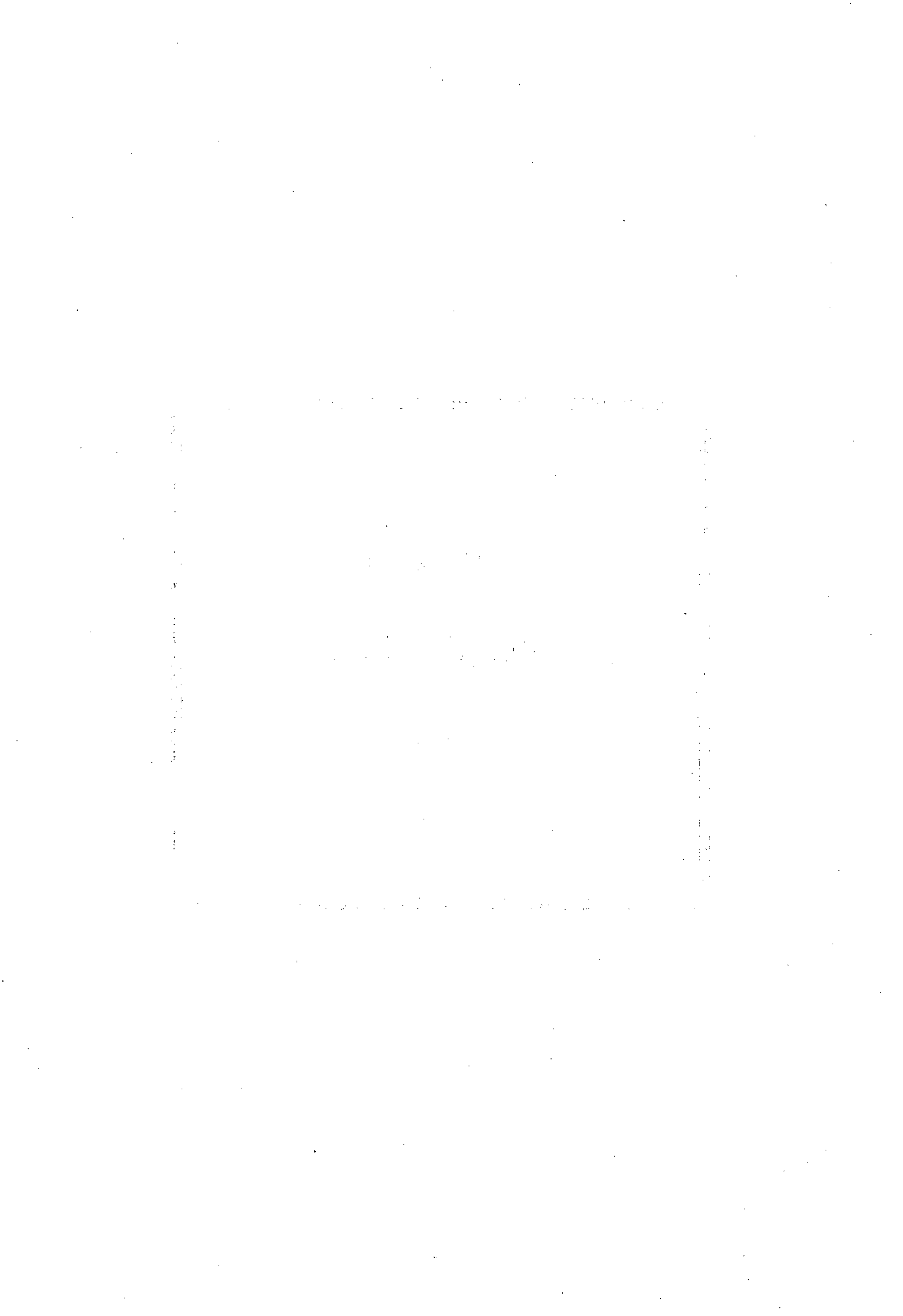
وسلام على المرسلين ،

والحمد لله رب العالمين .

الرسالة الثلاثون

يا علماء الإسلام

أفتونـا



يا علماء الإسلام

أفتونا !!!

أفتونا فى رجل من جلدتنا يتكلم بلساننا ويدين بديننا وينكر ويرد من ديننا ما يلى:

١) رده للسنة ورفضه الأخذ بها .

٢) إنكاره على فقهاء الإسلام أن فى الشريعة فرضا وسنة ومندوبا ومكروها .

٣) إنكاره أن يكون رجب من الأشهر الحرم .

٤) إنكاره أن يكون مقام إبراهيم هو الحجر الذى بنى به إبراهيم البيت .

٥) إنكاره السعى بين الصفا والمروة.

٦) إنكاره أن يكون الإحصار فى الحج بمنع العدو .

٧) إنكاره لما يبينه رسول الله ﷺ ووضعه البديل له حتى لا يعترف بالسنة .

٨) إنكاره تجرد المحرم من المخيط وكشف رأسه حال إحرامه .

٩) إنكاره وجوب الغسل من الاحتلام .

١٠) إنكاره ترك الحائض الصلاة والصيام حال الحيض .

١١) إنكاره أن تكون الصلاة أكثر من ركعتين.

١٢) إنكاره أن يكون المراد بالسبع المثانى سورة الفاتحة .

١٣) إنكاره مشروعية رفع اليدين فى الدعاء .

١٤) إنكاره للتاريخ الإسلامى.

١٥) إنكاره وجوب القتال فى سبيل الله .

١٦) إنكاره الأدلة الشرعية لبيان الأنصبة فى الزكاة.

١٧) إنكاره الختان فى الإسلام.

١٨) إنكاره الصلاة على الميت .

١٩) إنكاره أن يكون إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

٢٠) إنكاره أن يكون الرسول ﷺ جمع بين أكثر من أربع نسوة . .وغيرهذا كثير.

بسم الله الرحمن الرحيم

« مقدمة »

الحمد لله متم نوره ولو كره الكافرون ، ومظهر دينه ولو كره المشركون والصلاة والسلام على رسوله وخاتم أنبيائه محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد : فإن حماية الملة المحمدية بإظهارها ورد ما يلصقه بها أعداؤها ، وما يحرفونه من شرائعها وأحكامها أمر واجب متعين على كل مسلم عرف ذلك وقدر عليه .

وها هو ذا صاحب كتاب « البيان بالقرآن » المطبوع مع الأسف بالدار البيضاء من المملكة المغربية الإسلامية وهو الدكتور مصطفى كمال المهداوى ، يظهر اليوم فى صورة مجدد العصر فيرد سنة الرسول ﷺ جملة وتفصيلا ، وكذا كل أثر للصحابة رضى الله عنهم ، وللتابعين رحمهم الله أجمعين ، ويرد كذلك كل تفسير للمفسرين ، بل ويطالب أمة الإسلام بمحو كل حديث أو أثر أو تفسير لكتاب الله أثر عن سلف الأمة الصالح ، وأن تأخذ فقط بكتاب الله تعالى . فمنه تأخذ عقائدها وعباداتها وأحكامها وآدابها وأخلاقها وسياستها فى الحرب والسلم ، وفى المال والاقتصاد كذلك ولا ترجع فى شىء من ذلك إلى تشريع رسول الله ﷺ ، أوإلى بيان أصحابه ، أو تفسير التابعين أو فقه الأئمة أجمعين . ومن شك فى دعوى هذا الرجل وصحتها فليتأمل الصفحة الأولى من هذه الرسالة وما حوته من عشرين رقما كل رقم يشير إلى إنكاره وتكذيب له فإنها كافية فى صحة ما قلته عنه ووصمته به .

ولهذا كتبت هذه الرسالة ووجهتها إلى علماء الأمة الإسلامية مطالبا إياهم بفتوى جماعية تصدر فى أقرب وقت وهى دعوته للتوبة الصادقة بتكذيب نفسه واعترافه بزلته ومحو كتابه وإحراقه ودفنه ، فإن أبى وأصر على موقفه قتل كفراً لا حداً ، وجمع كتابه وأحرق ثم لا يسمح لأى أحد بإظهاره أو تناوله ؛ لما يدعو إليه من الكفر والإفساد والإضلال .

كتبه

أبو بكر جابر الجزائرى

الواعظ بالمسجد النبوى الشريف

فى ٤/١/١٤١٣هـ

(١) رده للسنة ورفضه الأخذ بها :

إذ جاء فى صفحة (١٠) من كتابه : « وإن ما يوصف بأنه سنة رسول الله ﷺ من حيث كونها تكميلا للقرآن أو تفصيلا أو تفسيراً له مردود بما سبق من الآيات ومرفوض كذلك » .

إنه بهذا الموقف من سنة الرسول ﷺ المفسرة للقرآن المفصلة لمجمله والله يقول : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليه** ﴾ : بهذا الرد للسنة قد كفر صاحب البيان بالقرآن مصطفى كمال المهداوى . ووجب استتابته فإن تاب وإلا وجب قتله كفراً .

(٢) إنكاره على فقهاء الإسلام

أن فى الشريعة فرضا وسنة ومندوبا ومكروها إذ جاء فى صفحة (١٢) من كتابه : « لذلك فليس ثمة فرض وسنة ومندوب ومكروه وما شابه ذلك من التقسيمات فى الدين » .

فقوله هذا دلالته على تجاهل السنة وإنكار إجماع الأمة أمر مسلم لا جدال فيه . والذى ينكر السنة وإجماع الأمة لا يتصور أبداً أنه من أهل هذه الملة المحمدية .

(٣) إنكاره أن يكون رجب من الأشهر الحرم

وجعله بدله شهر شوال إذ قال فى صفحة (٨٨) من كتابه : « . . . وبذلك فإن الأشهر الحرم هى الأشهر الأربعة السابقة على شهر صفر وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم » .

فإنكاره لما أجمعت عليه الأمة وعلى رأسها نبيها ﷺ من أن رجب هو الشهر الرابع من الأشهر الحرم يجعل هذا المدعى الإسلام أكبر معول لهدل الإسلام . . وعليه فلا يحل السكوت عنه ويجب استتابته أو قتله .

(٤) تكذيبه لرسول الله ﷺ فى

أن مقام إبراهيم هو الحجر الذى كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه ويرفع بناء البيت وهو تكذيب للأمة وتاريخها وتشريعها إذ قال فى صفحة (٩١) من كتابه

« مقام إبراهيم هو المكان الذى كان يقوم فيه إبراهيم مصلياً ».

ويواصل هـراءه وافتراءه فيقول وهـو معروف من الكـعبة بالضلـع ذى الباب الذى يؤدى إلى داخلها .

إنه بهذا الـهراء يقرر مبداه فـى رد كل ماجاء وصح عن رسـول الله ﷺ ولا أدرى ما الحامل له على هذا الهدم للإسلام . إن أمـر هذا الرجل لعجيب . **فمقام** إبراهيم كـان بجانب البيت حـيث تركه إبراهيم بـعد فراغه من بناء الـبيت وجاءت السيول فزحـزحته وأبعدته وهو فى مـكانه الذى تركه فيه رسـول الله ﷺ وصلى خلفه بأمر الله تعالى وصلى المسلمون مـن الصحابة والتابعين إلى اليوم فيجىء هذا الرجل العجيب فيبطل ويهدم ما أقره رسول اللـه ﷺ وبناه بالسنة القولية والفعلية ولا يدرى ما الحامل لهذا الرجل على الهدم والإبطال أمجنون هو أم مسحور؟! .

(٥) إنكاره للسعى بين الصفا والمروة

وتقريره الـطواف بهما لا السـعى بينهمـا إذ قال فى كتابه صـفحة (٩٢ـ٩٣): «وتيسيراً لـلحاج أقيم السقف فوق الـصفا والمروة ولا تثريب على هـذه الفكرة فى شىء غير أن هذا السقف قـد أقيم على جدارين متقابلين بنى أحـدهما فوق الصفا وبنى الآخر فوق المروة وكان يتعين بناء هذين الجدارين وراءهما حتى يستطيع الحاج أن يطوف بـهما كما أمـره الله . والطواف بشـيئين يعنـى الدوران حولهمـا وليس السعى بينهما ».

فانظروا يا مسلمون ! كيف يتخبط هذا المجنون إنه بإنكاره للسنة وإعراضه عن بيان الرسول ﷺ وتشريعه بإذن ربه فهم من قوله تعالى : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمـن حج البيت أو اعتمر فلا جناح علـيه أن يطوف بهما** ﴾ فهم أن لا سعى بين الصفا والمروة ولكن الدوران بينهما فتخيل أن هناك بناء وأن الحاج يطوف به كما يطوف بالبيت ، وجهله هذا وضلاله كان من كفره بالسنة وعدم الاعتبار بها والتمسك بها وإلا فالرسول ﷺ سعى بـين الصفا والمروة وقال : « أبدأ بما بدأ الله به» وسعـى أصحابه وهـم ألوف وهو يشاهـدهم . وسن لهـم الخبب بين المـيلين الأخضرين ، وأن هذا السعى شرع إحياء لذكرى هـاجر أم إسماعيل عليهما السلام إذ كانت تطلب الماء لولدها لما ظمئ ونفـد ماؤها فرأت أقرب جبل إليها وهو الصفا فأتته وعلتـه وتطلعت فلم تر شيئا وقـابلها جبل المروة فسعت إلـيه ولما وصلت إلى

بطن السيل خبت لتتجاوز بسرعة وتصل إلى المروة وتعلوه وتتطلع إلى الماء ففعلت ذلك سبع مرات فأحيا الله تعالى هذه الذكرى لها وجعلها عبادة ومنسكا من مناسك الحج .

فسبحان الله ! كيف يتجاهل هذا الضال المضل هذه الشعيرة ويدعى أن السعى ليس بمشروع وإنما المشروع الطواف ! .

(٦) إنكاره أن يكون الإحصار بمنع العدو

الحاج من دخول مكة لأداء المناسك وتفسيره الإحصار بأنه مجيء الحاج فى آخر شهر الحجة الذى يسميه المحرم .

وإنكاره أن يكون الهدى هو الذبح فى الحرم من شاة أو بقرة أو بعير . إذ قال فى صفحة (٩٦) من كتابه : « فإن أحصر الحاج بأن جاء فى أواخر محرم ولم يبق له من الأيام ما يكفيه للاطمئنان فى المناسك فلا جناح عليه أن يؤجل العمرة إلى ما بعد انقضاء الأشهر الحرم ، ولا تجوز العمرة فى هذه الحالة إلا بالهدى ﴿**فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى**﴾ أى تقديم هدية إلى البيت الحرام ﴿**هديا بالغ الكعبة**﴾ بحسب ما يستطيعه كل حاج محصر من وجده ويفى بذلك تقديم الثريات والفرش أو خزانات المصاحف أو غير ذلك مما تعمر به المساجد من الهدايا على أن يكون ذلك قبل الحلاقة » .

فانظروا يا مسلمون ! كيف يحرف هذا الضال المضل شرع الله ويفترى على الله وعلى عباده . ويتجاهل المعلوم من الدين بالضرورة كل هذا من أجل أن لا يعترف بسنة رسول الله ﷺ وتشريعه لأمته وبيان شرع الله تعالى لها وإلا فالإحصار بالعدو الذى نزلت فيه الآيات كان للنبى ﷺ وأصحابه وهو ما تم فى صلح الحديبية إذ منعتهم قريش من الاعتمار سنة ست فذبحوا هديهم بالحديبية وعادوا إلى المدينة واعتمروا من عام قابل حسب الصلح الذى تم بين الرسول ﷺ وقريش . كما هو معلوم بالضرورة للمسلمين فكيف ما يخجل هذا الضال المضل ويقرر الإحصار بأنه مجيء الحاج فى آخر الحجة الذى يعبر عنه بالمحرم كفرا وتضليلا ، وأعجب من هذا تفسيره الهدى بالهدايا تهدى إلى البيت من ثريات وفرش وخزانات للكتب إلى غير ذلك . وعدم اعترافه بأنه ذبح الأنعام . وهو فى هذا أنكر الكتاب والسنة وسخر من الأمة وجهلها وضللها من نبيها ﷺ وصحابته إلى هذا اليوم .

(٧) تقريره أن من كانت معه امرأته فى الحج

بأن حجت فى صحبته ولم يستطع هديـا يقدمه للبيت من أثاث وغيره أن عليه أن يصوم العشرة أيام كلها فى الحج إذ قال فى صفحة (٩٧) : « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فإن لـم يجد جاز له أن يصوم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة بـعد أن يعود من حجه إن لم يـكن أهله حاضرى المسـجد الحرام ، أما إن كان أهله معه فى الحـج فيجب عليه صيام الأيام العشـرة كلها ذلك لأن الأهل فى هذه الحالة عون له على الصيام » .

فاعجبوا يا مسلمون ! من هذا المحرف لشـرع الله المبدل لكلماته وكيف يصح السكوت عنه ويسمح لكفره أن ينتشر بين المسلمين آه ثم آه .

إنه بتـقريره هذا قـد كذب الله ورسـوله وسخر مـن المسلمـين واستهزأ بـهم وبكتابهم ونبيهم .

إذ المسلمـون مجمعون على أن مـن عجز عن الهدى وقد وجـب لأنه تمتع أو قرن ، وهو من غير سكان الحرم أن يصوم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع ولا عبرة بـكون زوجته مـعه مصاحـبة له فى حـجه واعتمـاره لأن قول الله تـعالى : ﴿**ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام**﴾ فهم منه الرسول ﷺ وأصحابه وسائر المسلمين إلى اليوم أن معناه لم يـكن مقيما بمكة سواء كانت له زوجة أو لم تكن .

فانظروا كيف يحرف هذا الضال المضل كتاب الله وشرعه .

(٨) تجاهله لما بينه رسول الله ﷺ

وعدم اعترافه به ووضع بديل له حتى لا يعترف بسنة رسول الله ﷺ وبيان ما شرع الله للمؤمنين إذ قال فى كتـابه فى صفحة (١٠٠) : « وإنما يجوز للحاج إن كان مريضا أو به أذى من رأسه يقعده عن الحلاقة أو يمـنعه منها أن يفتدى بالصيام ويجوز بيوم واحد أو أكثـر فى الحج أو بعد رجوعه منه لورود النص عـليه مطلقا من أى قيد والمطـلق يجرى على إطلاقه مـالم يقيده نص آخر فى الـقرآن ذاته كما يجوز بصدقة يؤديها الحاج ليتيم أو فـقير أو مسكين . . . ويجوز كذلك بأداء منسك من المناسك كطواف بالبيت أو صلاة فـى مقام إبراهيم أو طواف بالصفا والمروة أو

خلود إلى ذكر الله عند المشعر الحرام أو إفاضة من عرفات» . فانظروا يا علماء الملة! إلى هذا المتنكر لرسول الله ﷺ المتجاهل المعادى له كأنه أكبر عدو له . فالله تعالى قال :﴿ **فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** ﴾ وفسر الرسول ﷺ فى حديث الصحيحين المراد من الصيام وأنه ثلاثة أيام والصدقة وأنها إطعام ستة مساكين لكل مسكين مد من بر أو شعير والنسك وأنه ذبح شاة فيجىء هذا العدو لرسول الله ﷺ فيفسر الصيام بأنه يوم فأكثر ويفسر الصدقة بأنها مطلق صدقة قلّت أو كثرت ويفسر النسك بأنه طواف بالبيت أو صلاة فى مقام إبراهيم أو طواف بالصفا والمروة أو خلود إلى ذكر الله عند المشعر الحرام أو إفاضة من عرفات .

فاعجبوا يا علماء ! لهذا العدو لرسول الله ﷺ ، كيف يحجر على رسول الله ﷺ تفسير وبيان كلام ربه ويبيح ذلك لنفسه فالرسول ﷺ فسر الفدية وأنها إطعام ستة مساكين والصيام وأنه ثلاثة أيام والنسك وأنه ذبح شاة فيرفض تفسير رسول الله ﷺ وبيانه ثم يفسر هو الصيام بأنه صيام يوم فأكثر والفدية بأنها إطعام مسكين والنسك بأنه عبادة من طواف أو صلاة أو سعى أو إفاضة من عرفة أو ذكر عند المشعر الحرام .

وانظروا كيف مازال مصراً على أن المقام زاوية من البيت يصلى فيه وأن السعى طواف بكل من الصفا والمروة لا سعى بينهما وكيف سخر من أمة الإسلام بتجهيلها من نبيها إلى آخر عالم من علمائها يا للعجب !!! .

(٩) إنكاره وتكذيبه بتجرد المحرم من

المخيط ، وكشف رأسه ، وانتعاله ، ويوم عرفة وأنه تاسع شهر الحجة وبالتقاط الحصى ورمى الجمرات وبتحديد الطواف بأنه سبعة أشواط إذ قال فى كتابه صفحة (١٠٣) : « ولا نجد فيما أوحى إلى محمد بن عبد الله ﷺ من كتاب ربه ما يقيد الحاج بلباس معين لا يجوز الحج بغيره أو بيوم من أيام الأشهر الحرم لا يصلح الحج إلا فيه أو يسوغ له أن يلتفت عن ذكر ربه فى المشعر الحرام ليلتقط من الحجارة مايلقم بها نصبا فى منى لم ينزل الله بها من سلطان ، ولا نجد كذلك فيما أوحى إلى محمد بن عبد الله ﷺ ما يفرض على الحاج فى حجه مناسبات محددة معدودة للطواف بالبيت العتيق أو بالصفا والمروة » .

فانظـروا يا علمـاء الإسلام ! كيف يـكذب هذا الرجـل الضال المضـل بما هو معلوم من الديـن بالضرورة إنه ينكر على أمة الإسلام تجـرد المحرم من **المخيط** إنه ينكرأن يوم عرفة الذى قال فيه الرسول ﷺ :« الحج عرفة » والله **يقول** : ﴿**فإذا أفضتم من عرفات**﴾ هو تاسع الحجة وقد وقف فيه رسول الله ﷺ **وعليه** إجماع المسلمين ، إنـه ينكر رمى الجمرات وينفر مـنه حتى قال إنه نصب لم يـنزل الله به من سلطان وعمى أن أعظم سلطان هو بيان رسول الله ﷺ وتشريعه لأمته بما أمره به ربه فما تقولون يا علماء الإسلام فـى مثل هذا المبدل لشرع الله والهادم له ؟؟؟

(١٠) إنكاره الغسل من الاحتلام

إذ قال فى صفحة (١١٤) : « ولعله من نافلة القول أن ننبه إلى أنه ليس من المنطق فى شىء أن نقيس الاحتلام بالجنابة كـما يقول البعض فيفرض الاغتسال من الاحتلام كما فرض الاغتسال من الجنابة ».

إن إنكاره هذا لما أجمعت عليه الأمة وقرره رسولها صلوات الله وسلامه عليه فى حديث البـخارى : لما احتلم عمار بن يـاسر رضى الله عنه فتـمرغ فى التراب فقال له رسول الله ﷺ : «إنما يكفيك أن تفعل كذا وكذا ومسح وجهه وكفيه ».

يعتبر سخريـة منه من أمة الإسلام كافة وعلى رأسها نبيـها ﷺ فهل مثل هذا الرجل يسكت عنه ويترك يسرح ويمرح يا علماء الإسلام ؟

(١١) إنكاره مشروعية ترك الحائض الصلاة والصيام أيام حيضها :

إذ جـاء فى كـتابـه صفـحـة (١١٨) بعـد أن ذكر آيـة : ﴿ **ويسألـونك عن المحيض...** ﴾ إلخ قال : « وبذلك فـإن المرأة تمتنع عن زوجها فـى المحيض لأنه أذى ، ولا يحل له أن يقربها حتى تطهر مـنه ولا نجد فى كتاب الله ما يرخص لها أن تترك الصـلاة أو تدع صيامها . وعـليها بالتـالى أن تصلى فى المحـيض بعد أن تطهر ما ظهر منها وتتوضأ لصلاتها » .

فانظروا يا مسلمون ! كيف عبث هذا الضال بإجماع المسلمين على أن الحائض لا تصلى أيـام حيضها ولا تقضـى ما فاتها من صـلاة أيام حيضها وأنهـا تفطر ولا

تصوم حتى تطهر ثم تقضى مافاتها من صيام وكيف والرسول ﷺ يقول فى صحيح الحديث تقضى الحائض الصيام ولا تقضى الصلاة ففى حديث البخارى عندما قال : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين » فقيل له فى ذلك فقال : «أرأيت أنها إذا حاضت تترك الصلاة والصيام » الحديث .

إن رجلا يجرؤ على تكذيب رسول الله ﷺ ورد إجماع المسلمين كيف يرضى به مسلما بين المسلمين ؟ .

(١٢) إنكاره أن تكون الصلاة أكثر من ركعتين فى الحضر والسفر على حد سواء

وأن صلاة الخوف ركعة واحدة إذ جاء فى كتابه صفحة (١٢٣) قوله : «وصفت صلاة الرسول كما قام بها إماماً لمن كان معه على حذر من الكافرين بإقامة الصلاة ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة** ﴾ وظهر من ذلك أنه أقامها بركعتين فوجب اعتبار إقامة الصلاة فى جميع أوقاتها وفى النفل بها بركعتين لكل صلاة ، لأن المطلق يجرى على إطلاقه ، مالم يقيده النص فى القرآن » .

فياعباد الله المسلمين ! أترضون بمن يحرف دينكم ويكذب رسولكم ﷺ ويجهل علماءكم ويهدم أعظم ركن فى دينكم ألا وهو الصلاة إنكم إن رضيتم ـ ولا إخالكم ترضون ـ هدمتم دينكم بأنفسكم وإن لم ترضوا فما هو موقفكم من هذا الرجل الهدام ؟! .

(١٣) إنكاره وتكذيبه أن يكون مراد الله

بالسبع المثانى التى آتى رسوله محمداً ﷺ سورة الفاتحة وآياتها السبع التى تقرأ فى كل ركعة من الصلوات الخمس وسائر نوافل الصلاة إذ قال فى كتابه صفحة (١٢٧) : « الفاتحة من القرآن العظيم وبتنزيله على قلبه ﷺ أصبح رسولا وهو من قبل أن يقضى إليه وحيه بشرا سويا بالسبع المثانى ، وهى العينين [١] والأذنين واليدين والرئتين والكليتين واللوزتين والرجلين ، فهو ﷺ بشر بالسبع المثانى كما

---

(١) نصب العينين وما بعدها خطأ إذ هما خبر والخبر مرفوع وما أكثر اللحن والخطأ فى كتابه !! .

يسمع ويرى بعينين وأذنين يأخذ ويعطى بيدين كريمتين يتنفس برئتين ويتقدم ويتأخر برجلين طاهرتين . وهو ﷺ رسول بالقرآن العظيم من سورة الفاتحة إلى سورة الناس: كذلك هى السبع المثانى وذلك هو القرآن العظيم . » .

والآن أرأيتم أيها المسلمون كيف تجلى تعمد هذا الضال المضل فى تحريف الشريعة الإسلامية أصولا وفروعا ، وكيف يسف فى تحريفه حتى يجعل السبع المثانى التى هى آيات الفاتحة السبع والتى قال فيها رسول الله ﷺ هى السبع المثانى التى أوتيت والقرآن العظيم ، يجعلها العينين والأذنين والرئتين والكليتين واللوزتين والرجلين وهل هناك بشر لم يؤته الله تعالى هذه الأعضاء حتى يمن بها على رسوله ﷺ دون غيره من سائر البشر ؟ آه .

ما أضل هذا الرجل وما أعظم عداءه لرسول الله ﷺ إنه لا يريد أن يثبت له نبوة ولا رسالة ولا مقاما محمودا ، ولا أمة تحبه وتتبعه فيما جاء به ودعا إليه .

(١٤) إنكاره وتكذيبه بمشروعية رفع اليدين

فى الدعاء ومسح الوجه بهما بعد الفراغ من الدعاء إذ جاء فى صفحة (١٧٠): « واعتاد المسلمون أن يبسطوا أيديهم نحو السماء إذا مادعوا ربهم ، ولا تجد أصلا لهذه العادة إلا عند اليهود فقد جاء فى سفر الملوك إلخ . . . أما مسح الوجه بعد الانتهاء من الدعاء فلم نجد له أصلا على الإطلاق ، وربما تواتر الناس على هذه العادة بعد أن رأوا آباءهم يمسحون جباههم مما علق بها من التراب من أثر السجود » .

أرأيتم أيها المسلمون سخف عقل هذا الرجل الذى تجلى إنكاره فى أمر معلوم من الدين بالضرورة إذ لا يوجد مسلم تحت أديم السماء ومنذ بزوغ النور المحمدى فى الدنيا يجهل أن رفع اليدين إلى الله تعالى أثناء الدعاء مما جاء به النبى ﷺ وفعله وقرره وتوارثه أجيال الإسلام جيلا بعد جيل إلى اليوم وجاء هذا المجنون ينكره على المسلمين ويقول هذه العادة أخذها أهلها من اليهود .

وانظروا كيف يعلل لنفيه مسح الوجه باليدين بعد الدعاء بأن المسلمين رأوا آباءهم يمسحون التراب من وجوههم إذا سجدوا فظنوا أن هذا المسح من الدين .

(١٥) ينكر أن يكون المغرب هو الذى

يفطر فيه الصائم وتصلى فيه صلاة المغرب ينكر أن يكون بعد غروب الشمس ويقرر أنه بعد غياب الشفق الأحمر بعد غروب الشمس وهو المعروف عند كافة المسلمين أنه بداية دخول وقت صلاة العشاء إذ جاء فى كتابه صفحة (١٨٨) قوله: « وبدلالة الآيات البينات جميعها فإن الليل لا يبدأ إلا بغياب الشفق الأحمر من الأفق الغربى تماماً أقبل الليل أفطر الصائم وحل له الطعام والشراب والرفث ».

اسألوه يا علماء ! عن الحامل له على الخروج على ماأجمع عليه المسلمون وبعد أربعة عشر قرناً وهو أن غروب الشمس أى غيابها فى الأفق الغربى هو بداية الليل وفيه وجب إفطار الصائم ودخل وقت صلاة المغرب ، وأما ذهاب الشفق الأحمر فهو وقت دخول صلاة العشاء فقد بين هذا رسول الله ﷺ بالقول والفعل ثلاث عشرة سنة وخلفته فى ذلك أمته أربعة عشر قرنا وزيادة .

وأعجب من هذا التخبط فى الضلال فهمه لدلوك الشمس بأنه يبدأ بغروب الشمس ، إذ قال فى صفحة (١٩١) : « ولا يفوتنا أن نذكر بأنه إذا غربت الشمس فقد وجبت صلاة الدلوك متصلة إلى غسق الليل » .

إنه يرى يا للعجب أن دلوك الشمس هو غروبها مع أن الله تعالى يقول : ﴿**أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل**﴾ فدلوك الشمس هو انزلاقها ودحوضها من وسط السماء فإذا مالت إلى الغروب وجبت صلاة الظهر ثم العصر، وإذا جاء غسق الليل وهو ظلامه بغروب الشمس وجبت صلاة المغرب ثم العشاء، فكيف يسكت عن هذا المحرف لدين الله المبدل له بهواه ورغبة فى نفسه لذلك ؟

(١٦) رفضه للتاريخ الإسلامى

وهو شامل للسيرة النبوية وتاريخ أصحابه وتاريخ السنة والتفسير والفقه إذ قال فى صفحة (٢٠٣): « أولا أن نرفضه كله جملة وتفصيلا ونريح أذهاننا من هذا العنا وهو ما أقترحه وأفضله » .

فانظروا أيها العلماء الراشدون كيف يريد هذا الضال المضل أن يمسح تاريخ أمة الإسلام بالجملة ماصح منه وما لم يصح ؟ وهو بذلك يريد إنهاء الإسلام كما هى رغبة أعداء الإسلام من مجوس ويهود ونصارى ، أمثل هذا يسكت عنه ويرضى

بنشر كتابه بين المسلمين ؟.

إن واجبكم أيها العلماء ! أن تعقدوا اجتماعا كبيرا عاجلا ويدعى فيستتاب ثلاثا فإن تاب فذاك وإلا قتل كفراً لا حداً .

(١٧) إنكاره وجوب القتال فى سبيل الله

إلا دفاعا عن الدين أو الوطن أو نصرة للمستضعفين وأن الإسلام لا يكره أحدا على القتال ، إذ جاء فى صفحة (٢٣٨) قوله : « الدعوة إلى القتال فى سبيل الله كالدعوة إلى دين الله سواء بسواء لا إكراه فيها فمن شاء فليقاتل ومن شاء فليقعد.

وفى صفحة (٢٣٥) قال : « مثل الذين يكرهون الناس على القتال كمثل الذين يرفعون السياط على رقاب المؤمنين ليحملوهم إلى المساجد إذا نودى للصلاة أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم والله غنى عن العالمين » .

وجاءت العناوين التالية :

(١) فى صفحة (٢١٥) قتال مانعى الجزية .

(٢) فى صفحة (٢١٨) القتال لرد العدوان.

(٣) فى صفحة (٢١٩) القتال دفاعاً عن المستضعفين .

(٤) فى صفحة (٢٢٣) القتال دفاعاً عن الدين .

(٥) فى صفحة (٢٢٤) قتال ناقضى الميثاق .

(٦) فى صفحة (٢٢٧) القتال دفاعاً عن المسلمين .

(٧) فى صفحة (٢٢٨) القتال دفاعاً عن الديار .

(٨) فى صفحة (٢٣٠) قتال المنافقين .

(٩) فى صفحة (٢٣١) قتال الفئة الباغية .

إنه قد استشهد على إنكار وجوب القتال فى سبيل الله بالآيات القرآنية التى تأذن بالقتال أو تأمر فى ظروف خاصة ومنها مادلت على ما عنون به فى تسعة

مواضع ، ولكنه أخفى وجحد الآية الصريحة فى وجوب القتال لإنقاذ البشرية من النار ودخول الجنان بعد إصلاح أخلاقها وآدابها ورفع الظلم عنها وتطهيرها من الخبث الذى دنس أنفسها وحطها إلى مستوى الحيوان أو أرذل ، أخفى آية : **﴿ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾** وجحد آية : **﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾** وتجاهل ماأجمعت عليه أمة الإسلام من وجوب الجهاد لهداية الخلق وإسعادهم ، إلا فى حالة العجز والضعف فيتوقف الجهاد إلى حين ينتهى العجز والضعف فإذا انتهى العجز وحالة الضعف ينظر إمام المسلمين البلد الذى يحاد بلاد الإسلام فيجهز جيشه ويرسله إلى ذلك البلد فينزل بساحته ويراسل حكامه مطالبا إياهم بواحدة من ثلاث : الأولى : أن يدخلوا فى رحمة الله وهى الإسلام حيث هو طريق نجاتهم وسعادتهم فإن أبوا ، فالثانية : وهى أن يدخلوا فى ذمة المسلمين ويفتحوا أبواب بلادهم ليقيم فيها المسلمون العدل ويطهرونها من رجس الخبث ، وليتمكنوا من معرفة الإسلام فيدخل فيه من شاء الله رحمته وإسعاده فإن أبوا ، فالثالثة : وهى القتال حتى يحكم الله بينهم بنصر من ينصر وخذلان من يخذل وبذلك يتم أداء واجب الجهاد فى سبيل الله لإنقاذ البشرية وإسعادها دنيا وأخرى .

فهذا ماأخفاه المهداوى وغطاه إرضاء للجهلة والمقلدين الذين يقولون : إن الإسلام جاء لاستعباد البشر وإذلالهم واحتلال بلادهم وأكل أموالهم وهم والله لكاذبون ، إنما جاء الإسلام لتحرير البشر وإسعادهم .

وفضيحته الأخيرة هى فى المثل الذى ضربه لإنكاره الجهاد لإنقاذ البشرية وإسعادهم حيث قال : « كمثل الذين يرفعون السياط على رقاب المؤمنين ليحملوهم إلى المساجد إذا نودى للصلاة » .

إن هذه الجملة لا تزيد على كونه ينكر أحكام الشرع فلا يرى رجم زانٍ ولا قتل قاتل ولا قطع يد سارق ولا تعزير متهاون بالصلاة أو بغيرها من الفرائض والواجبات والسنن والمستحبات .... وحَسْبُه كفراً موقف كهذا وما أكثره !! .

(١٨) إنكاره الأدلة الشرعية لبيان

الأنصبة فى مال الزكاة والمقدار الواجب فيها إذ جاء فى كتابه صفحة (٢٨٩) قوله : « قد تكون الزكاة على فترة من المسلمين قد تحددت بربع العشر أو بغير ذلك من النسب بحكم أو نفقة أو تشريع ولا نستطيع أن نثبت ذلك ولا نستطيع أن ننفيه فلا نجد من بين أيدينا ولا من خلفنا دليلا ينص على صحة ذلك أو يقوم على دحضه ».

إن الحامل لهذا الضال المضل على تجاهل أنصبة الزكوات ومقاديرها فيما وجبت فيه هو كفره بالسنة النبوية وإجماع الأمة ، فلذا لم يقل بنصاب فى الزكاة إلا فى الحرث فقط . لقول الله تعالى : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ . أما الذهب والفضة والأنعام وهى الإبل والبقر والغنم فلم يذكر منها شيئا .

وقد حاول الهرب من اللعنة وهى تلاحقه إذ قال قد تكون الزكاة على فترة من المسلمين قد تحددت بربع العشر أو بغير ذلك من النسب بحكم أو نفقة أو تشريع ولا نستطيع أن نثبت ذلك ولا نستطيع أن ننفيه . ثم يفصح عن كفره بالسنة وإنكاره للإجماع إذ يقول : « فلا نجد من بين أيدينا ولا من خلفنا دليلا ينهض على صحة ذلك أو يقوم على دحضه » .

إن بيان الأنصبة ومواقيت الزكاة وشروط إخراجها فاضت به كتب السنة الصحيحة من الموطأ والصحيحين وغيرها وإجماع الأمة على ذلك أمر لم يقل بنفيه أو تجاهله أحد قط قبل هذا الضال المضل . لذا وجب استتابته أو يقتل كفراً لا حداً .

(١٩) تجهيله علماء التفسير فى هذه الأمة

وتأويله كلام الله حسب هواه وإن خالف أمة الإسلام من نبيها إلى آخر عالم منها . إذ جاء فى ص (٣٠٧) قوله : ﴿ **ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا إنى بما تعملون بصير** ﴾ « يرى المفسرون أن المعنى المقصود من الآية الثانية هو صنع الدروع المنضبطة ونرى بادى الرأى أن خليفة يؤتى من العلم والحكمة مثل ماأوتى داود عليه السلام ما كان لينبه إلى مثل ذلك فصنع الدروع من أعمال الحدادة إلخ . . . » .

والسبب الحامل له باختياره لهذه الآية هو أن النبى ﷺ ذكر فى غير ما حديث، جهاد داود وصبره وحكمته وصيامه فأراد هذا الضال المضل أن يغطى ذلك بتأويله لهذه الآية تأويلا لم يقل به أحد قبله من رسول الله ، إلى يومنا هذا.

فاعجبوا ياعباد الله من السبب الحامل لهذا الضال المضل عن دفن السنة وإقبارها حتى لا يرى منها نور ولا يهتدى بها مؤمن فى هذه الحياة ولا أدرى ما الحامل على هذا الكفر والعياذ بالله ؟!!.

(٢٠) رغبته الملحة فى انعدام السنن والآثار

بين المسلمين حتى لا يبقى لهم إلا القرآن العظيم ليقول فيه أصحاب الأهواء بما شاءوا وإضلالا للأمة وإبعاداً لها عن الهدى والصراط المستقيم إذ جاء فى كتابه ص (٣٢٨) قوله : « ويروى عن أبى حنيفة النعمان رحمه الله أنه أحرق كل كتبه فى حياته ولم يترك من كتبه شيئا من بعد موته » .

ويعلل لذلك فيقول : « وترى أنه ما فعل ذلك رحمه الله إن كان قد عمله إلا عملا بما روى عن النبى ﷺ أنه قال من كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه ، فرأى - أى أبو حنيفة - أن كلامه أولى بأن يمحى فمحاه بنفسه ».

وما ذكر من رواية أن النبى ﷺ نهى أصحابه عن كتابة غير القرآن إلا لأنها تخدم مذهبه فى ترك السنة وما أجمعت عليه الأمة ليسود هو العالم الإسلامى ويقوده إلى الشر والفساد بعد الكفر والضلال.

والرسول ﷺ نهى عن كتابة غير القرآن مخافة أن يختلط القرآن بغيره فلما تم القرآن واستعرضه على جبريل مرتين وكتبه الصحابة أذن فى كتابة السنة وكتبها أصحابه والتابعون لهم ، وهذا أمر اجتمعت عليه الأمة لكن هذا الضال المضل يريد صرف الأمة عن اتباع نبيها لتضل والعياذ بالله !!.

(٢١) إنكاره الختان فى الإسلام

إذ قال فى صفحة (٣٤٩) : « ونقول إنه قد فرض علينا ولكنه لم يفرض علينا بأمر ربنا بل فرضناه نحن على أنفسنا وقلنا إن الرسول - ﷺ - قد فرضه علينا بل قلنا إنه هو نفسه ﷺ قد ختن قبل أن يدرى أو يدرى أحد ما الكتاب وما

الإيمان ، ولو بحثنا فى أصل الختان فى التاريخ لوجدناه عند بنى إسرائيل » .

وساق الحديث عن بنى إسرائيل والذى يعنينا هنا أيها العلماء أن هذا الرجل الضال المضل ينفى مشروعية الختان فى هذه الأمة ويكذب بكل حديث أو أثر يثبت هذه السنة الشرعية ويقررها ، مع العلم أن الإجماع قائم على سنة الختان وأنه لا يوجد تابعى واحد ولا صحابى لم يختتن .

فما ندرى ماذا يريد هذا الذى يكذب أمة بكاملها وعلى رأسها نبيها - صلوات الله وسلامه عليه - إنه أمر عجب فأفتونا يا علماء الإسلام فيه ؟

(٢٢) إنكاره إباحة الله تعالى للمؤمن

أن يتزوج أكثر من زوجة ، وحتى رسول الله ﷺ إذ قال فى صفحة (٣٨٤): « ليس لمؤمن أن ينكح إلا زوجة واحدة ، أما الزوجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة فلا توجد إحداهن إلا لإيواء اليتيم » .

وقال فى صفحة (٣٨٥) : « ولقد نرى أن رسول الله ﷺ قد حرم عليه النساء على فترة من رسالته ، وهو ما لم يفرض على أحد غيره من المؤمنين ، ولا نجد فى القرآن ما يرخص له أن ينكح أكثر من زوج واحدة فى وقت واحد إلا فى حدود الأزواج الأربعة أو فى ملك اليمين وفق ما شرع الله لعباده المؤمنين » .

فانظروا يا علماء ! كيف خرج هذا الضال على أمة الإسلام بمذهب فى النكاح جديد وهو أنه لا يحل لمؤمن أن يتزوج ثانية أو ثالثة أو رابعة إلا لإيواء اليتيم ، ومن أين أتى بهذا المذهب من قوله تعالى : ﴿ **وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم** ﴾ الآية .

فانظروا كيف فسر الآية بتفسير عجيب أملاه عليه هواه وشياطينه فخرج على المسلمين بمذهب حرمة تعدد الزواج إلا ما كان لإيواء يتيم ويهون هذا أنه حتى الرسول ﷺ .

قال فى كتابه صفحة (٣٨٥) :«ولا نجد فى القرآن ما يرخص للرسول ﷺ أن ينكح أكثر من زوج واحدة فى وقت واحد إلا فى حدود زواج الأربعة أو فى ملك اليمين وفق الشرع لعباده المؤمنين» .

إنه كذب الأمة بكاملها بأن نبيها عليه الصلاة والسلام أذن له فى الزواج بتسع وتوفى ﷺ على تسع من النساء ، وأن نكاح الأربع بشرط العدل جائز بالكتاب والسنة وإجماع الأمة . فهل يليق أن يسكت عن هذا الضال المضل وهو يحطم فى شرع الله ويتعالى على أمة الإسلام وحتى على نبيها ﷺ ؟ .

أفتونا يا علماء مأجورين ؟؟

(٢٣) إنكاره الصلاة على الميت وكذا

صلاة الاستسقاء إذ قال فى صفحة (٤١٦): « أما إقامة الصلاة بأى حركة من حركاتها قياما أو ركوعا أو سجوداً فلا تجب إلا فى مواقيتها لله تبارك وتعالى فرضا أو نفلا ولا تجوز أبدا لميت أو لغائب أو للاستسقاء أو لغير ذلك مما نجده اليوم عند المسلمين بغير سلطان من الكتاب المجيد ».

ولما واجهته آية ﴿ **ولا تصل على أحد منهم مات أبداً** ﴾ وهى فى منع الصلاة على من مات من المنافقين قال : « ويبين من هذه الآية الكريمة أن المسلمين قد استثنوا من هذا النهى فيجوز الصلاة عليهم كما يجوز القيام على قبورهم ، وذلك فى صلاة قائمة يصلى بها الأحياء على الأموات بالرحمة والدعاء والحب والوفاء والبر والصدقات » .

ففسر الصلاة على الميت التى صلاها رسول الله ﷺ مآت المرات وصلاها أصحابه مآت الآلاف وصلتها الأمة بلايين المرات فسرها بأنها الرحمة والدعاء والحب والوفاء والبر والصدقات كل هذا من أجل أن يكذب رسول الله ﷺ والمؤمنين ويبطل الصلاة على موتى المسلمين ألا لعنة الله عليه من ضال مضل !

(٢٤) إنكاره وراثة العم وابن العم

إذ قال فى ص ٤٢١ : « ومن هذا القول : قول إمام المفسرين ابن جرير الطبرى : جاء فقهاء الشريعة بميراث العصبة فورَّثوا العم وأبناء العم مهما نزلوا وهم لا يرثون بالقرآن شيئا ولا ينبغى لهم ولا لغيرهم أن يرث شيئا بعد ما بين الله فى كتابه العزيز الذين يرثون تفصيلا . . . » .

وتجاهل على عمد قول الرسول ﷺ :«ألحقوا الفرائض بأهلها وما بقى فلأولى رجل ذكر» ليبيح لنفسه الخروج على أمة الإسلام فى توريث العصبة عند

بقاء شىء من التركة بعد أخذ أصحـاب الفروض فرائضهم ، فلو مات رجل وترك زوجة وبنتا فللزوجة الثمن وللبنت النصف ، وما بقى لمن ؟ إنه لابن الأخ إن كان أو للعم أو ابن العم .

ويهرب هـذا الضال من الحق كـالمجنون فيسـمى ما بقـى بعد الفرائـض نفلا مستشهدا بالآية :﴿ **قل الأنفال لـله والرسول** ﴾ فيقرر أن ما بقـى بعد الفرائض لا يعطـى للعصبـة من عم وابن عم وإنمـا هو نفل يتـصدق به ، إذ جاء فى صـفحة (٤٢٧) بعد أن مثل لمسألة العول قال :« المسألة الثانـية هى ما يسميها الفقهاء بمسألة العول ، أمـا المسألة الأولى فـيسميها مـسألة النفـل هو الزيادة ومازاد فـى حساب المواريث أو فى أى حساب غيره فهو لله وللرسول ينفق فى سبيله ».

فانظروا ياعلماء الأمة كيف خرج هذا الضال بمذهب اخترعه فجعل ما بقى من التركة بعد أخذ أصحاب الفروض فروضهـم هو نفل لله والرسول . كل هذا حتى يخرج على المـسلمين بتشريع جديد يـجهل به رسول الله ﷺ وأصحابـه والتابعين وأمة الإسلام جمـعاء والسبب الحامل له هـو إنكاره للسّنة من أجـل أن تضل أمة الإسلام فتـصبح لقمة سـائغة لأعدائها يـقودونها كيـف شاءوا كما حصل لـها يوم أفسدوا عقيدتها وحـرموها من نور الكتاب والسنة فاستعمرت ديـارها من أندونيسيا شرقا إلى الدار البيضاء غربا .

(٢٥) إنكاره وتكذيبه بما رآه رسول الله ﷺ

ليلة الإسراء والمعراج من الملائكة والجنـة وما فيها ، وما تم من كلام الله له وما فرضـه عليه وعلـى أمته من الصلـوات الخمس إذ جاء فى كـتابه ص (٥١٥) قوله: « لا حاجة لنا فى الضلال البعيد الذى يقدمه المؤرخون فى ليلة الإسراء لقد أسرى الله سـبحانه وتعالـى بعبده ليلا من المـسجد الحرام إلى المسـجد الأقصى ، ولقد رأى رسول اللـه ﷺ من آيات ربى الكبرى ، ما هـى هذه الآيات ؟ لا علم لنا بهذا ولا لآبائنا بل هى درجة من درجات التفـضيل التى آثره الله بها على عباده المؤمنين كما فضل بعض النبيين علـى بعض بما لا علم لنا به ولا طاقة لنا بإدراكه ، فنحن دون هذا المستوى ولا قبل لنا بقياس هذا التفضيل».

إنه بهذا الـنفى المؤكد رد كل ما جـاء فى الصحاح من أحـاديث الرسول ﷺ المتعلقة بالإسراء والمعراج وهذا أساس فتنـته وهى رد السنة النبوية وإلغاء الأحاديث

النبوية الصحيحة إيقاعا للأمة فى فتنة عجز عن إيقاعها فيها المجوس واليهود والنصارى والملاحدة الدهريون أن الرسول ﷺ قد بين لأمته ماراه فى إسرائه ومعراجه تقريرا لعقيدة الإيمان بالدار الآخرة وما فيها من جنة ذات نعيم مقيم ونار ذات خسران وبوار فجاء هذا الضال المضل ليغطى ذلك ويستره عن الناس ليعيشوا فى ظلام الجهل والكفر والعياذ بالله .

والآن ما جزاء هذا الضال المضل ؟؟ أجيبوا يا علماء !! .

(٢٦) إنكاره وتكذيبه بأن يكون إسماعيل بن

إبراهيم عليهما السلام إذ جاء فى ص (٥٣٩) قوله : « إنا لا نعرف لإبراهيم عليه السلام إلا زوجا واحدة هى التى بشرها الله بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب أما إسماعيل عليه السلام فلم يقل أحد إنه ابن إبراهيم من زوج أخرى إلا اليهود . فى أسفارهم ومن شايعهم فى ذلك من المسلمين فيما جاءوا من الأساطير» .

فانظروا يا علماء الإسلام كيف ينكر هذا الضال وينكر ماأجمعت عليه أمة الإسلام فيدعى أن إسماعيل لم يكن بابن إبراهيم ، والله يقول عن إبراهيم : **﴿إنى ذاهب إلى ربى سيهدين . رب هب لى من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾** .

انظروا كيف رد أحاديث الرسول ﷺ فى الصحاح وهى تثبت حقيقة ما أنكره هذا الضال وكذب به وهو أن إسماعيل والدته هاجر القبطية وأن إبراهيم لما ولدت له إسماعيل نقلها إلى وادى مكة لما أصاب سارة زوجه وبنت عمه من الغيرة النسوية .

إن هذا الأمر لا ينكره ذو عقل فضلا عن ذى الدين ، والذى حمله على هذا هو أنه مسخر لدفن أحاديث الرسول ﷺ وإقبارها ليفصل الأمة عن نبيها لتهلك بحجة أن القرآن فيه كفاية ولا حاجة إلى غيره . . . ألا لعنة الله على الظالمين الماكرين الخادعين ! .

(٢٧) إنكاره لترك إبراهيم عليه السلام هاجر

وإسماعيل بواد مكة الأمين وتكذيبه وسخريته بمن يسعى بين الصفا والمروة إذ جاء فى ص (٥٤٠) و ص (٥٤١) قوله : « وليس فى القرآن بينة ظاهرة على أن إسماعيل كان ابنا لإبراهيم ولا نعلم له زوجا غير التى جاءتها البشرى ولا نعلم أن له ابنا غير إسحاق ويعقوب ولا نعلم ختانا فى الدين ولا نعلم بئر الرواء التى جعلها رواة الأساطير من المسلمين بئر زمزم إلى أن يقول وهو قدوة الأنبياء من بعده يترك زوجا تحمل طفلا من صلبه فى الخلاء حتى كاد يقتلها الظمأ لولا أن تفجر ماء زمزم ثم يقال كذلك يسعى الحجيج بين الصفا والمروة ، إن هذا لمن أسوأ ما جاءت به الأساطير وأحق أن يمحى وأن الذين جاءوا به ما لهم به من بينة وما يجدونه فى كتاب منير » .

فاسمعوا ياعلماء الملة يا حماة الدين يا علماء المسلمين كيف كذب وأنكر وسخر منكم إنه أنكر أن يكون إسماعيل ابنا لإبراهيم عليهما السلام ، إنه أنكر وكذب أن يكون لإبراهيم هاجر أم إسماعيل ، إنه أنكر أن بئر زمزم كانت بضرب جبريل الأرض بعقبه ففاضت زمزم وقال فى ذلك رسول الله ﷺ :« رحم الله أم إسماعيل لو تركتها لكانت عينا معينا »، إنه أنكر وكذب بالختان والرسول ﷺ يخبر بأن أول من اختتن إبراهيم وأن نبى الختان محمد ﷺ ،إنه أنكر وكذب أن يكون إبراهيم عليه السلام ترك هاجر وطفلها إسماعيل بجوار البيت العتيق ،إنه يقول فى هذه الأخبار الصادقة التى قررها رسول الله ﷺ وأصحابه وأهل الإيمان من أهل الكتاب والإسلام يقول فيها : إنها من أسوأ ما جاءت به الأساطير وأحق أن تمحى. وإن الذين جاءوا به وهو قطعا رسول الله ﷺ ما لهم به من بينة متجاهلا مكذبا بقول الرسول ﷺ « ألا وإنى أوتيت القرآن ومثله معه» .

إن واجبكم أيها العلماء لتسلم لكم عقيدتكم ويثبت إيمانكم أن ترفعوا أصواتكم عالية وتطالبون الحكام المسلمين بالبحث عن هذا الرجل الضال المضل وإحضاره أمام لجنة من كبار العلماء ويطلبون منه التوبة فإن تاب ورجع إلى الحق وكذب نفسه وأمر بإحراق كتابه فذاك وإلا فقتله كفرا لا حدا فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن فى قبور المسلمين . . . . ألا فافعلوا .

(٢٨) إنكاره أن يكون الرسول ﷺ جمع بين

تسع نسوة وتقريره أنه لم يجمع إلا بين أربع واحدة منهن زوجة والثلاث الباقيات مجرد إيواء لهن من أجل يتمٍ إذ جاء فى كتابه ص (٦٢٣) قوله :« ولا نعلم عدد أزواجه ﷺ ولكننا نعلم بيقين أنه لم يكن ليجمع بين أكثر من أربع أزواج فى وقت واحد الأولى زوجة والثلاث من بعدها إيواء فذلك حكم الله الذى كان يتبعه ، ولم يرخص له بتجاوز ذلك ».

أرأيتم يا علماء الإسلام كيف كذبكم . .من نبيكم إلى آخر عالم منكم إذ أنتم تعتقدون أن الله خص نبيه بخصائص دون سواه من أمته منها : أنه أحل له أن يتزوج أكثر من أربع وفعلا جمع بين تسع ، وجاء هذا الضال المضل يركض ليكذبكم ويكذب عليكم فيقرر أن النبى ﷺ لم يتزوج إلا واحدة وآوى إليها ثلاثا لعلة يُتمٍ ونحوه . . . . فما هو موقفكم يرحمكم الله؟

(٢٩) إنكاره وتكذيبه أن تكون عائشة

أم المؤمنين رضى الله عنها هى التى رماها ابن أبىّ بالفاحشة فى حادثة الإفك المعروفة والتى نزل فيها قرآن يقرأ إلى اليوم ، إذ جاء فى ص (٦٢٤) قوله: «إن حديث الإفك إنما أنزل فى امرأة مؤمنة من نساء المؤمنين برأها الله بكلماته ، وما من أحد يستطيع أن يقيم البينة على اسمها أو اسم زوجها أو أسماء الذين جاءوا بالإفك المبين فيها » .

إنه بهذا يا علماء ! يقرر : أنه لا يصدق رسول الله ﷺ فى حديث صح عنه قط . . أن حادثة الإفك التى آلمت رسول الله ﷺ وسائر المؤمنين وأبكت عائشة وأمرضتها ، والتى اهتزت المدينة النبوية لهولها ينفيها ، وحتى حادثة الجمل يكذب بها وينفيها وقد أخبر بها رسول الله ﷺ قبل وقوعها بقرابة ثلاثين سنة وهى من أعلام نبوته صلوات الله وسلامه عليه ، سلوه ماذا يريد بهذا الكذب والإنكار لأصول الدين وفروعه وتاريخه فهل يخبركم ؟

إنه لا يدرى ما الحامل له على ذلك لاستيلاء فتنة حب الظهور عليه حتى أصبح يتناقض تناقضا عجيبا يقرر الشىء وينفيه ، ينفى الشىء ويقرره.

(٣٠) إنكاره أن يكون قد غسل قلب النبي ﷺ

وشق صدره ﷺ فى بادية بنى سعد ، وليلة الإسراء والمعراج بالمسجد الحرام، إذ جاء فى كتابه ص (٦٣٧) قوله: « كان طاهر القلب والثياب يداه مبسوطتان إلى الماء يسبغ بهما على وجهه الكريم وأطرافه فى الصلاة ، لم يكن بحاجة إلى من يغسل قلبه ».

إن قضية شق صدر النبى ﷺ فى بادية بنى سعد وهو فى سن الصبا كشق صدره ﷺ ليلة الإسراء مما أجمعت عليه أمة الإسلام فنفيها تكذيب لأمة الإسلام أولا، وثانيا تكذيب للنبى ﷺ إذ هو المخبر بذلك فكيف يجرؤ هذا الضال المضل على تكذيب أمة بكاملها وعلى رأسها رسولها ﷺ ، إنه لأمر عجب ، وسكوت المسلمين عليه أعجب فانظروا يا مسلمون ! ماذا أنتم عاملون .

(٣١) إنكاره وتكذيبه بما أصاب المسلمين

من هزيمة فى وقعة أحد بسبب مخالفة الرماة أمر الرسول ﷺ ببقائهم فى أماكنهم كيفما كانت الحال إذ جاء فى كتابه ص (٦٤٤) قوله الباطل : « ولقد نتوقف قليلا مع رواة الأساطير عن حقيقة ما يقدمونه من أحاديث الرماة الذين عصوا الرسول - ﷺ - فتركوا مواقعهم يوم أحد وطمعوا فى الغنائم حتى كر عليهم خالد بن الوليد فسحقهم وسحق الجند من ورائهم . إننا لا نجد سندا لهذه الرواية فى القرآن بل على العكس من ذلك فإننا لا نجد إلا ما يدحضها ويكشف زيفها ويثبت أنها أقحمت على السيرة لتحريف صراط الله الذى بينه الله مفصلا فى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه » .

والآن يا علماء الإسلام ما رأيكم وما حكمكم على رجل ينكر ويكذب بأكبر حادثة فى تاريخ الإسلام نزل فيها قرآن ونطق بأحداثها إجمالا وتفصيلا رسول الأنام ﷺ ويبالغ فى الإنكار إذ يقول فإننا لا نجد إلا ما يدحضها ويكشف زيفها مع أن وقعة أحد نزلت فيها آيات تتجاوز العشرين آية من سورة آل عمران ، وقوله تعالى : ﴿ **أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم** ﴾ كاف فى لعن هذا المكذب المفترى الذى نصب نفسه خصما للسنة والتاريخ الإسلامى والفقه والعلم الشرعى ، إن كتب الحديث وعلى رأسها صحيح الإمام البخارى رحمه الله وكتب التفسير وعلى رأسها تفسير ابن جرير

رحمه الله، وكتب السير ، وعلى رأسها سيرة ابن هشام رحمه الله كلها تذكر هذه الحادثة بشواهد من الكتاب والسنة وهذا الضال يسخر من ذلك كله ويبطله بجرة قلم.

أفتونا يا علماء الإسلام فى هذا الضال المضل ، قولوا كلمتكم الواضحة الصريحة ، إنها المحاكمة ثم القتل كفرا لا حدا إن رفض التوبة .

(٣٢) إنكاره وتكذيبه مشروعية ملك اليمين

إذا توفرت شروطه ووجدت دواعيه إذ جاء فى كتابه ص (٦٨٤) قوله : « من ذلك تفسير ملك اليمين على أنه حق امتلاك الإنسان لأخيه الانسان رقيقا مع أن ملك اليمين هو إيواء المسلم لأخيه الإنسان الذى فقد المأوى بسبب من أسباب الحرب أو الكوارث برعايته وولاية أمره بالمعروف والإحسان » .

فانظروا يا علماء الإسلام كيف أنكر هذا الضال وحرف حكما شرعيا جاء به الكتاب والسنة وأجمعت عليه الأمة.

إنه يقول : إن الذين فسروا ملك اليمين بأنه استرقاق وملك لإنسان بسبب حرب الجهاد لإعلاء كلمة الله بأن يعبد الله وحده .

يقول هذا تفسير خاطئ وتحريف لكلام الله ، ويفسره هو بهواه بقوله هو إيواء المسلم لأخيه الإنسان الذى فقد المأوى بسبب من أسباب الحرب أو الكوارث. من الجائز أن يكون هذا الضال يتملق الذين يطعنون فى الإسلام ففسر لهم ملك اليمين بأنه إيواء لاسترقاق إلا أن تملقه هذا لا ينبغى أن يكون على حساب شريعة الله تعالى وتجهيل أهل الإسلام وعيبهم من نبيهم ﷺ إلى آخر مؤمن منهم .رُوا رأيكم يا علماء الإسلام فى هذا الضال المضل !!

(٣٣) رده للسنة النبوية وكتب الفقه والعقيدة

والتاريخ الإسلامى وإصراره على أنه لا حاجة بعد القرآن إلى سنة ولا إلى فقه ولا ، . . ولا . . إذ جاء فى كتابه ص (٧٤٨) قوله : « ومن الكرب العظيم أنهم يظنون أنهم هم العلماء وأنهم يحسنون صنعا من الذين يزينون للناس ما أخرجوا لهم من الكتب والمفتريات والروايات والأساطير ويقولون هى من عند الرسول ـ ﷺ ـ وليس هناك أثر بعد الرسول ـ ﷺ ـ إلا هذا القرآن ».

فانظروا يا علماء ! واعجبوا من قوله :« وليس هناك من أثر بعد الرسول ﷺ إلا هذا القرآن ».

والرسول ﷺ يقول :« ألا وإنى أوتيت القرآن ومثله معه ».

إنه بإصراره على أن لا يطلب علم شرعى إلا من القرآن وحده يريد من أمة الإسلام أن تضل الطريق وتهوى فى مكان سحيق لا تخرج منه أبداً.

فهل من الممكن أن كل مسلم يقدر على أن يعرف بم يعبد الله تعالى ؟ وكيف يعبد من القرآن دون بيان الرسول ﷺ ؟ وهل فى الإمكان لولا أهل الحديث والفقهاء أن يبقى بيان الرسول ﷺ فى متناول كل مسلم ومسلمة يعرف به بم يعبد الله وكيف يعبد ؟

يا علماء الإسلام إن هذا الضال يريد إضلال أمة الإسلام فما هو موقفكم؟.

(٣٤) وأخيرا يا علماء الإسلام اسمعوا !

ما قال مضللكم ومجهلكم فى آخر كتابه ص (٨٣٩) : « لو أنك رأيت الحجيج فى منى لرأيت أن الشيطان قد أقام لنفسه نصبا من الحجارة ليحشر عباد الله حوله ثلاثة أيام فى الأشهر الحرم يقذفون الحجارة بالحجارة فى صراع دموى مع أنفسهم فيسقط الناس صرعى أو يضيقون ذرعا بعذاب بئيس ، وكان ذلك عند الشيطان نصيبا مفروضا » !!!

هل قوله هذا يخرج عن كونه استهزأ بنسك رمى الجمار أليس الله تعالى هو الذى شرع لعباده على لسان رسوله ﷺ رمى الجمار أيام التشريق ، أليس ظاهر قوله هذا يدل دلالة واضحة أن الشيطان هو الذى شرع للناس رمى الجمار بعد أن أقام لنفسه نصبا من الحجارة ويوضح هذا قوله ليحشر عباد الله حوله .

وقوله فى الأشهر الحرم يقرر به افتراء بأن الأشهر الحرم هى شوال وذو القعدة والحجة والمحرم دون رجب .

وأخيرا ما هو موقفكم يا علماء الأمة من هذا الرجل الذى رأيتم مواقفه ضد الرسول ﷺ وضد أمته وضد تشريع رسول الله وشرع الله ؟.

(خاتمــة)

وأخيراً ! فليعلم كل ذى دين ويقين أن مطالبتى علماء الإسلام بإصدار فتوى جمـاعية تدور عـلى مطالـبة صاحـب كتاب « البـيان بالـقرآن » بالتـوبة العاجـلة الصادقة، وإحراق كـتابه ، وإلا فبإقامة حد الردة علـيه ليقتل كـفـراً ، ثـم تجمع كل نسخ كتابه وتحرق ، ويـعلن عن منع تداول هذا الكـتـاب وقــرائته منعا باتا ، إنها ـ مطالبتى ـ غضبة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين حيث سخر هذا الضال المضل من الكل وخرج عن تعظيم وتقدير واحترام الكل .

وأحلف بالله ! إنــه لو كان أبا لى أو ابنا ما ترددت فى مطالـبة علماء الإسلام باستتابتـه أو إعدامه ، قلت هذا وأقوله حتى لا تـأخذ العاطفة النسبيـة أو الوطنية أحدا من المسلمين فيستنكر المطالبة بهذه الفتوى ، أو يرى غيرها خيرا منها .

والله على ما أقول وكيل

وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

أبو بكر جابر الجزائرى

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة